سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء الثاني عشر

موسوعة مصر القديمة (الجزء الثاني عشر)

موسوعة مصر القديمة (الجزء الثاني عشر)

عصر النهضة المصرية ولمحة في تاريخ الإغريق

تأليف

سليم حسن

هنداوي

موسوعة مصر القديمة (الجزء الثاني عشر)

سليم حسن

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٠١٧/١/٢٦

٣ هاي ستريت وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: سيلڤيا فوزي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٦٢٥ ٦

تمهيد

وصل بنا المطاف في الجزء الأخير من هذه الموسوعة عن تاريخ أرض الكنانة إلى نقطة تحول في الحياة المصرية في الداخل والخارج. فقد كانت مصر منذ باكورة النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد نهبًا مقسمًا بين دولة الكوشيين في الجنوب وبين دولة الآشوريين في الشمال، وقد كانت مصر وشعبها في يد القدر آنذاك، فقد رأيناها تارة في يد ملوك كوش وتارة أخرى في يد الآشوريين، وكان هوى المصريين أنفسهم أحيانًا مع ملوك كوش وأحيانًا مع حكام آشور، غير أن ميولهم الحقيقية كانت مع قوم كوش. ولا غرابة في ذلك فقد كان يجمع بين المصريين والكوشيين رابطة الدم والدين، لكن ذلك لم يجد نفعًا أمام جحافل الآشوريين الذين اجتاحت جيوشهم جند الكوشيين الذين كانوا يسيطرون على البلاد المصرية جملة. وعلى أية حال لم تبقَ مصر في قبضة الآشوريين فترة طويلة من الزمن؛ وذلك بسبب الاضطرابات الداخلية التي كانت متفشية في أنحاء الإمبراطورية الآشورية ممَّا آذن بقرب أفول نجمها، واختفائها من بين الدول صاحبة السلطان في العالم.

وقد انتهز أحد أمراء مصر العظام تلك الفرصة السانحة الفذة؛ لتخليص بلاده من الحكم الآشوري بعد أن خلصت آشور مصر من الحكم الكوشي.

وهذا الأمير الذي حرر مصر مرةً أخرى من محبسيها في الشمال والجنوب هو «بسمتيك الأول» مؤسس الأسرة السادسة والعشرين حوالي عام ٦٦٣ق.م، حقًّا كانت الفرصة مواتية لهذا الأمير من كل الوجوه فقد زال عنه خطر الكوشيين الذين انزووا في عقر دارهم بنباتا عاصمة بلاد كوش ورضوا من الغنيمة بالإياب، ولم نسمع عنهم بعد ذلك حتى عهد الملك «بسمتيك الثاني». أما الآشوريون فقد شغلتهم الثورات والاضطرابات التي كانت متفشية في أنحاء

إمبراطوريتهم، ورضوا عن طيب خاطر بالتحالف مع «بسمتيك الأول» الذي لم يلبث أن انتهز الفرصة وحرر بلاده نهائيًّا من الحكم الآشوري على أن يبقى حليفًا لمليكهم.

وقد دخلت مصر في عهد «بسمتيك الأول» في طور جديد من أطوار حياتها كان لملوك كوش فضل المبادرة فيه، غير أن «بسمتيك» وأسرته من بعده قد ساروا بهذا التطور إلى غايته وزادوا عليه حتى اكتمل. وهذا التطور أطلق عليه المؤرخون المحدثون عصر النهضة. وكانت نهضة مصر في تلك الفترة نسيجَ وَحْدِها، إذ لم تكتفِ بإحياء مجد مصر القديم وبخاصة بعث ما كان للكنانة من حضارة يانعة سامية في عهد الدولتين القديمة والوسطى في فنون الأدب والدين والعمارة، بل بدأت فضلًا عن ذلك صفحة جديدة في تاريخ حياتها من حيث الفنون الحربية والعلاقات الخارجية. ولقد أراد ملوك الأسرة الساوية أن يعيدوا لمصر مجدها الغابر، ويحافظوا على كيانها وحدودها حتى لا تعود لقمة سائغة في أفواه الدول المجاورة التي كانت تتنمر لها وتتحفز للوثوب عليها.

وقد كان أول ما قام به «بسمتيك» من إصلاح أن جمع شمل البلاد، وجعلها وحدة متماسكة بعد أن كانت ممزقة مقاطعات مستقلة وشبه مستقلة، وقد اضطر — ليصل إلى هذه النتيجة — إلى استخدام الجنود الأجانب من الإغريق والكاريين وغيرهم ممن برعوا في فنون الحرب بدرجة عظيمة لم تكن معروفة في مصر، وقد كان من نتائج دخول هؤلاء الأجناد الأجانب مصر أن نشأت علاقات تجارية بين مصر وبلاد اليونان وبلاد بحر إيجة، ولم تلبث هذه العلاقات أن تطورت إلى علاقات أسمى وأرفع، إذ في هذا العهد بدأت العلاقات الثقافية والعلمية تضرب بأعراقها في بلاد اليونان ومصر، ومنذ ذلك العهد بدأ علماء الإغريق وكتابها يفدون على مصر، وكانوا ينظرون إليها على أنها مهد الحضارة والعرفان فنقلوا إلى بلادهم من مصر كل أنواع العلوم من رياضة وفلك ودين وهندسة وقوانين؛ فهضموها وأدمجوها في علومهم بما يتفق وأساليبهم وطرائق تفكيرهم.

والواقع أن مصر كانت قبلة علماء اليونان في تلك الفترة من تاريخ أرض الكنانة، وكان حكام اليونان ينظرون إلى مصر على أنها مثلهم الأعلى، ولا أدل على ذلك من أن «سولون» مشرع اليونان الأعظم قد أخذ بعض تشريعاته عن القانون المصري. والغريب المدهش أن علماء أوروبا المحدثين قد ظلوا إلى عهد قريب جدًّا ينكرون ما أخذه اليونان عن مصر إلى أن وضعت الكتب التي تثبت ذلك بما لا يتطرق إليه أي شك.

سارت مصر بعد عهد مؤسس النهضة فيها إلى مدارج الرقي بخطًا واسعة في شئون التجارة والحرب، فقد خلق «نيكاو» بن «بسمتيك» لبلاده أسطولًا تجاريًّا سيطر على البحار المعروفة وقتئذ وقهر به ملوك بابل، وعلى الرغم من أن سياسة «مصر» التي وضعها مؤسس الأسرة كانت دفاعية، فإن «نيكاو» الثاني (٦٠٩ق.م) فكر في إعادة إمبراطورية «تحتمس الثالث» المترامية الأطراف في آسيا، فزحف على فلسطين واستولى عليها وليس ببعيد أن يكون «نيكاو» قد فكر في إعادة إمبراطورية «تحتمس الثالث» إذ نراه قد انتحل لقب هذا العاهل لنفسه، بل يُظَن أن أطماعه قد تخطت أطماع «تحتمس» إذ على ما يبدو خيل إليه أن يسيطر على كل الشرق بأسطوله وجيوشه. ولا أدل على ذلك من أنه بدأ في حفر قناة نيلية تربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض، وتلك هي قناة السويس مصدر أطماع الأمم الاستعمارية الحديثة، غير أن الأحوال لم تساعد على إتمام مشروعه فقد ناداه هاتف إلهي أن قف لا تُلقِ ببلادك إلى التهلكة، ولكن طموحه لم يقف أمام هذا التهديد إذ نراه اتجه وجهة أخرى لتنمية تجارته، ومد نفوذ سلطان بلاده، فحاول أن يلف حول بلاد «أفريقيا» عن طريق «الرجاء الصالح» بأسطول مصري، وقد أفلح في محاولته للمرة الأولى في تاريخ العالم. وهكذا سار «نيكاو» ببلاده شوطًا بعيدًا في سبيل التجارة والفتوح، غير أن «بابل» وقفت حجر عثرة في سبيله فعاد بجيشه إلى مصر مهزومًا، ولكنه حافظ على حدودها الأصلية. ولما تولى «بسمتيك الثاني» مقاليد الأمور كانت مصر مهددة بخطرين حربيين؛ أحدهما من الشمال والآخر من الجنوب، فقد كانت «بابل» مرابطة

على حدود «فلسطين» ترقب مصر وتتحفز لغزوها من الشمال، كما كان ملوك كوش قد بدءوا يفكرون في غزو مصر مرة ثانية وإعادتها إلى سلطانهم. وقد خرج «بسمتيك الثاني» من هذين الخطرين المداهمين بسلام إذ تغلب على البابليين في الشمال، وهزم الكوشيين هزيمة منكرة في الجنوب لم تقم لهم بعدها قائمة، وقضى على كل ما كان لهم من بقايا نفوذ في البلاد المصرية، وذلك على الرغم من أن ملوكهم استمروا يلقبون أنفسهم بلقب ملك الوجهين القبلي والبحري، كما سيرى القارئ في الجزء الذي خصصناه لتاريخهم في هذا الكتاب. كل ذلك كان بفضل الجنود المرتزقة الذين أتى بهم من بلاد اليونان وغيرها.

لم يمكث «بسمتيك الثاني» طويلًا على عرش مصر، فقد وافته المنية بعد حكم دام حوالي ست سنين وتولى بعده ابنه «إبريز» مقاليد الحكم (٥٨٨ق.م) وقد كانت الأحوال الدولية في تلك الفترة تنذر بالخطر، وذلك أن مصر كانت دائمًا تخاف شر «بابل» التي كانت جيوشها مرابطة في فلسطين التي كانت تحتلها وقتئذ، وكانت يهوذا تنظر إلى مصر لتخلصها من نير البابليين، وقامت الحرب بين الفريقين وساعدت مصر «فلسطين» ودارت الدائرة على الجيوش والأساطيل البابلية، واستولى المصريون على «صيدا» والمدن الساحلية الأخرى وبذلك حقق «إبريز» ما كانت تصبو إليه نفس «نيكاو»؛ غير أن «إبريز» لم يتمتع كثيرًا بهذا النصر المبين، إذ قامت بينه وبين إغريق بلاد لوبيا حرب طاحنة انتهت بخلعه على يد قائده «أمسيس»، الذي تولى عرش الملك بعده على الرغم من أنه كان لا يجري في عروقه الدم الملكي.

وقد سار «أمسيس» بالبلاد سيرة عطرة بما أوتي من ذكاء وحسن تدبير، وقد عده الإغريق أحد عظماء الملوك المشرعين في مصر؛ وفي عهده أخذ اختلاط الإغريق بالمصريين يزداد زيادةً مطردةً حتى إنهم أسسوا لأنفسهم مستعمرات في مصر مما أغضب المصريين وأحفظهم عليهم، ولكن «أمسيس» بحسن سياسته وفق بين مصالح الإغريق الذين كان يعتمد عليهم في مد جيشه بالرجال المدربين وبما تربحه مصر من تجارتهم، وبما كانت تجنيه مصر من الضرائب التي

كانت تفرض على السلع الداخلة مصر والخارجة منها، وبين المصريين الذين كانوا يكرهون وجود الأجانب في مدنهم، وبخاصة أنهم كانوا يعتبرون كل ما هو غير مصري نجسًا، ومن أجل ذلك حصر «أمسيس» إقامة الإغريق في مدينة واحدة وهي «نقراش» — كوم جعيف الحالية — وبذلك منع كل احتكاك أو اصطدام بين الفريقين.

لم يتخذ الملك أمسيس خلال حكمه سياسة هجومية، بل اتبع سياسة الدفاع بالنسبة لما حوله من البلاد المجاورة، وفضلًا عن ذلك عقد معاهدة دفاعية مع عاهل «بابل» وكذلك مع ملك لوبيا، غير أنه في هذا الوقت كانت دولة الفرس قد أخذت تظهر في الأفق، ولم تلبث طويلًا حتى اكتسحت ما حولها من الممالك ثم جاء الدور على مصر التي لم يكن لها قبل بمقاومتها والوقوف في وجهها. وقد زحف «قمبيز» ملك الفرس بجيشه على مصر، وفي أثناء ذلك الزحف عاجلت «أمسيس» المنية فتولى بعده حكم البلاد ابنه «بسمتيك الثالث» عام ٥٢٥ق.م فقاوم الغزاة بكل شجاعة وإقدام، غير أن جيوش الفرس الجرارة، والخيانة التي حدثت في قلب الجيش المصري على يد أجنبي اضطرت بسمتيك إلى التسليم بعد هزيمة نكراء، وهكذا قُضي على استقلال مصر نهائيًّا، وظلت بعد ذلك تتقلب على حكمها أسرات أجنبية لا تمت إلى مصر بصلة، اللهم إلا مدة قصيرة بعد العهد الفارسي الأول فقد هبت مصر خلالها واستعادت استقلالها، ثم وقعت في قبضة الفرس ثانيةً، ولم تتخلص بعد ذلك من النير الأجنبي منذ عام ٣٤١ق.م إلا عام ١٩٥٢م. عندما هب الشعب المصري كله ونقض عن نفسه غبار وأوساخ آخر طاغية من دم أجنبي، ومن ثم بدأت لأول مرة مصر تحكم بمصريين من دم مصري خالص، وتشعر بكيانها وعزتها وكرامتها بين دول العالم الحرة.

هذا وقد اتبعنا تاريخ هذا العهد بلمحة في تاريخ بلاد اليونان لارتباطها بمصر في تلك الفترة، والتي ستأتي بعدها في الجزء التالي إن شاء الله.

وإني أتقدم هنا بعظيم شكري لصديقي الأستاذ محمد النجار المفتش بوزارة التربية والتعليم لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة، كما أتقدم بالشكر للأستاذ أحمد عزت لما قام به من قراءة التجارب، وعمل الفهارس بكل دقة. ولا يسعني إلا أن أشكر السيد زكي خليل مدير مطبعة الجامعة على ما بذله من جهد في طبع هذا الكتاب، والله اسأل أن يوفقني إلى ما فيه خير مصر ومجدها.

أول مايو سنة ١٩٥٧

عصر النهضة

الأسرة السادسة والعشرون

مقدمة عن أصل الأسرة السادسة والعشرين

ذكرنا في الجزء التاسع من هذه الموسوعة أن الجنود المرتزقة من اللوبيين الذين كانوا يعملون في جيش ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، قد منحوا أحد قوادهم وهو «شيشنق الأول» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ملك مصر. والواقع أن الجيش المصري منذ نهاية الأسرة العشرين كان مؤلفًا فعلًا من الجنود اللوبيين المرتزقة الذين كانوا يطيعون رؤساءهم طاعة عمياء، وقد جاء ذلك على ما يظهر تمهيدًا لإحلال «شيشنق» أحد عظماء قواد هؤلاء الجنود المرتزقة محل آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين.

وقد كان الضعف المتناهي الذي وصل إليه نفوذ ملوك هذه الأسرة حافزًا قويًّا ودافعًا أغرى هؤلاء الجنود المرتزقة، الذين قضت عليهم الأحوال بالفراغ وعدم الصبر بالسيطرة على البلاد، أو بشن الغارات في خارجها. وكان نتيجة ذلك أن آل ملك مصر إلى رئيس هؤلاء الأجناد، فإن جموعهم المنبثة في أنحاء البلاد — التي كان من الصعب توحيدها — لم يجعل لهم مطمحًا إلا التمتع في وادي النيل الخصيب باستقلال سياسي تام بقدر المستطاع. هذا ولم يكن في قدرة الملك رئيسهم الأعلى أن يقف في وجه طائفة قوية لها مطالبها الملحة، يُضاف إلى ذلك أن الانقسام في صفوف كهنة «طيبة» كان سببًا في حرمانه مساعدتهم وهي من الأهمية بمكان، ولا أدل على ذلك من أن مصر العليا لم تعترف في الحال بالملك الجديد، ومن المحتمل في هذه الفترة أن كان جزء كبير من كهنة «آمون» قد نفوا أنفسهم عن طيب خاطر إلى بلاد «النوبة العليا»، يُضاف إلى ذلك أن كل مقاطعة من مقاطعات «مصر الوسطى» و«مصر السفلى» كانت محكومة وقتئذ برئيس «لوبي»، وتفسير ذلك كما أسلفنا من قبل أن رؤساء اللوبيين كان لهم حاميات منذ زمن

بعيد في المدن الرئيسية في أنحاء القطر، وبذلك كان في مقدورهم دون أية صعوبة أن يستولوا على مراكز القيادة المحلية، وبذلك كان في استطاعة رئيس كل فرقة من الجيش أن يكافئ جنوده ويجعلهم بوجه خاص يلتفون حوله، وسبيل ذلك أنه كان يثبتهم في إقطاعاتهم الغنية، وكان ملوك الأسرة الواحدة والعشرين قد وزعوا فعلًا قطعًا من الأرض على الجنود اللوبيين، ولكن الظاهر على وجه التأكيد أن الجنود كانوا قد استتبوا فعلًا على حسب الإدارة الجديدة في إقطاعات كبيرة المساحة أغنى بكثير مما سبق (راجع Herodotus, II, § 168).

وتدل ظواهر الأحوال على أنه في خلال القرنين من ٩٥٠–٧٥٠ق.م قد بقيت الأسرتان الثانية والعشرون والثالثة والعشرون على عرش الملك لسببين:

أولهما: أن الرؤساء التابعين لهما من اللوبيين كانوا يطيعون حكام المقاطعات، وكان مجرد مظهرهم كفيلًا بحفظ التوازن بين قوى عدة متكافئة يعارض بعضها بعضًا.

ثانيهما: أن جيران مصر من أمم العالم لم يكونوا يؤلفون خطرًا عليها. وكانت البلاد الأجنبية التي يخشى بأسها وقتئذ هي دولة «العبرانيين»، غير أنها كانت لحسن حظ مصر قد قسمت بعد عهد «سليمان» قسمين متناحرين.

ولكن النظام الذي وضعه «شيشنق الأول» — وكان يشابه كثيرًا النظام الإقطاعي في القرون الوسطى — كان لا يلتئم إلا قليلًا مع دولة نفس تكوينها الجغرافي لا يمكن أن ينسجم إلا مع نظام ثابت غاية في التقدم من حيث الإدارة. هذا وما دام الذين كانوا على عرش الملك يعرفون قوة شخصياتهم وفرض إرادتهم، فإن سلطاتهم كانت تُحترم في كل مكان، ولكن عندما كان يعتلي عرش «بوبسطة» في ذلك الوقت ملوك ضعفاء أو عاجزون عن إدارة حكومة البلاد، كانت الفوضى تسري في جسم البلاد وتثبت فيها أقدامها. والواقع أن البلاد المصرية كانت تنوء بعبء الانقسام وقتئذ، فمنذ بداية القرن الحادي عشر قبل الميلاد كانت تحكم أرض الكنانة أسرتان، إحداهما في الوجه القبلي والأخرى في الدلتا. وحوالي عام ٧٥٠ق.م شاهدنا «مصر

الوسطى» و«مصر السفلى» مقسمتين بين ثلاث أو أربع أسرات، في حين أن الوجه القبلي كان تحت حكم «الكوشيين»، وفي تلك الفترة رأى أمير شجاع من أبناء مصر أن الفرصة مواتية لتحقيق مطامحه الشخصية والقومية، وذلك بجمع شمل مصر كلها وتوحيدها تحت حكمه.

أصل الأسرة السادسة والعشرين

يدل ما لدينا من وثائق على أن «تفنخت» أمير «سايس» كان من أصل لوبي كما حدثتنا بذلك لوحة «بيعنخي». وإذا كنا لا نعرف شيئًا عن أسرته ولا عن حالة أملاكه، عندما أصبح سيدًا مطاعًا في الدلتا ومصر الوسطى حوالي عام ٧٣٠ق.م، فإن المصادر التاريخية لا تعوزنا كثيرًا في تاريخ كفاحه المجيد لاسترداد استقلال «مصر» من يد «بيعنخي». ويدل ما كتبه عدوه «بيعنخي» على أنه كان رئيسًا صاحب نشاط ومشاريع تؤكد طموحه، إذ قد أصبح في زمن قصير ملكًا مطاعًا في كل أنحاء الدلتا الشرقية من أول شواطئ «البحر الأبيض» حتى «منف»، وقد أفاد من ضعف حكام المقاطاعات المجاورين لها وانقسام بعضهم على بعض، ففرض قوانينه وأنظمته الحكومية على الأسرات التي كانت تحكم في وسط الدلتا وغربيها، وقد اعترفوا دون أية صعوبة بسلطانه، وقدموا له المساعدة والعون عندما قرر الشروع في إخضاع الأمراء اللوبيين في «مصر الوسطى» لسلطانه تمهيدًا لطرد «الكوشيين» من «مصر العليا».

والظاهر أن «تفنخت» لم يقابل وقتئذ إلا مقاومة ضئيلة في تأمين قوته على شاطئ النيل حتى مشارف «بني حسن». ولم يقف في وجهه عقبات في تحقيق مشاريعه إلا مدينتين وهما: «أهناسيا المدينة» التي كان مضطرًّا أن يضرب عليها حصارًا قويًّا، ثم مدينة «الأشمونين» التي لم تلبث أن سلمت له وانضمت إلى لوائه.

والواقع أن «الكوشيين» كانوا في تلك الفترة قد استولوا فعلًا على كل «الوجه القبلي»، ووضعوا فيه حاميات من الجنود «الكوشيين» في المراكز الرئيسية على النيل بعد «طيبة»، وكانت مدينة

«هيراكليو بوليس» = أهناسيا المدينة تعد الحد الشمالي لنفوذهم، وقد ذعر «بيعنخي» بحق عندما سمع بأخبار حصار هذه المدينة، وأرسل جيشين أوقفا زحف «تفنخت» نحو الجنوب وحاصرا «أهناسيا المدينة»، غير أن جنوده أهملوا متابعة جنود أمير «سايس» الذين حولوا طريقهم محاولين الاستيلاء على «الأشمونين».

وقد أغضب ذلك «بيعنخي» وصمم على قيادة جيشه بنفسه، ولم يلبث أن أخضع أمير «الأشمونين» قبل أن ينحدر في النيل إلى «منف» التي استولى عليها بهجوم مفاجئ. وعلى الرغم من الجهود اليائسة التي بذلها «تفنخت» فإن الجيش «الكوشي» قد استمر في تقدمه الظافر في ربوع الدلتا. ولما كان أمير «سايس» موطدًا العزم على المقاومة، فإنه احتمى في مناقع الدلتا الوعرة المسالك على الجنود الأجانب، غير أن حلفاءه انفضوا من حوله الواحد تلو الآخر دون أن يحارب أحد منهم معه مما جعله يقدم خضوعه للملك «بيعنخي» الذي قبله بلهف وكرم، وعلى إثر ذلك عقد له «تفنخت» يمين الطاعة والولاء.

ومما يُؤسف له أن الحوادث التي أعقبت ذلك الاستسلام ليست معروفة لنا تمامًا، وكل ما نعلمه أن «بيعنخي» بعد أن أتم فتوحه لمصر كلها عاد إلى «نباتا» عاصمة ملكه البعيدة الواقعة بالقرب من «الشلال الرابع»، فهل يا ترى قدر هذا الفاتح العظيم قيمة عدوه «تفنخت»، وما كان له من أنصار وأتباع وعهد إليه بالسيطرة على الأمراء «اللوبيين»؛ حتى يعوقه عن تأليف حلف آخر من الأمراء ليقاوم الغزو «الكوشي»؟

وكذلك تساءل هل سمح لأمير «سايس» بعد تسليمه أن يضع اسمه في طغراء ملكية في مقابل ولائه، وبذلك يصبح ملكًا على البلاد ولو اسمًا؟ والواقع أن عدم وجود «تفنخت» في زمرة المهزومين الذين نراهم مصورين في الجزء العلوي من لوحة «بيعنخي» يجعل أمامنا مجالًا للاعتقاد في ذلك، ولكن الأرجح أن «بيعنخي» بارتكابه غلطة ترك بلاد الدلتا دون احتلالها

عسكريًّا ثم ترك كل الأمراء المحليين في مقاطعاتهم قد مهد فرصة مواتية للأمير «تفنخت»؛ ليحتل المكانة العليا التي كان قد فقدها مؤقتًا، ومع ذلك فإنه قد عرف كيف يضع حدًّا لمطامعه، فقنع بتمكين سلطانه على الدلتا بقوة فاعترفت به ملكًا، وقد مكث حكمه عليها على أقل تقدير ثمانية أعوام (راجع L. R., III P. 409).

ومهما يكن من أمر فإن حملة «بيعنخي» الهائلة قد أظهرت الضعف المتناهي الذي وصل إليه نسل «شيشنق الأول» في أواخر أيامه. فقد كانوا لا يعرفون كيف ينظمون المقاومة أو يفيدون من الفرص التي أتيحت لهم ليستولوا من جديد على السلطان في البلاد. وعلى أية حال فإنه بعد ارتداد «الكوشيين» إلى «نباتا» تسلط «تفنخت» على «الوجه البحري»، كما كان يسيطر عليه قبل وصولهم إليه.

وهكذا أسست في الدلتا أسرة ثالثة «لوبية» تناسَت من أمراء «سايس»، وقد قضت الأحداث التاريخية أن يواجه أخلاف الفاتحين اللوبيين غزوات عدة لأرض الكنانة من «كوشيين» و«آشوريين» و«فرس» فيما بعد.

ونجد في كل مرة أن روح المقاومة للغاصبين يأتي من أحد أمراء بيت «سايس»، فنشاهد كلًّا من «بوكوريس» و«نيكاو» و«بسمتيك» قد قفا نهج «تفنخت» مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين — ومن نسله ملوك الأسرة السادسة والعشرين على حسب ما جاء في «مانيتون» — ولكن بحظوظ متباينة.

خلف «بوكوريس» والده «تفنخت» دون معارضة، وعلى الرغم من أن رقعة ملكه كانت ضيقة المساحة إلا أنها كانت منظمة تنظيمًا حسنًا. وتعد الأساطير التي انحدرت إلينا من هذا العهد — الملك «بوكوريس»[١] واحدًا من ستة المشرعين العظام الذين ظهروا في مصر القديمة. ولا نزاع

في أن الدلتا كانت تتمتع في عهده بسلام ورخاء كافيين يسمحان له بأن يلعب دورًا هامًّا خارج حدود بلاده.

والواقع أن هذا الملك «الساوي» كان يقلقه تقدم «الآشوريين» الذين كانوا قد أضاعوا النفوذ المصري الذي أعاده «شيشنق الأول» في «فلسطين»، وقد خاف وقوع غزوة مصر على يد جنود «سرجون الثاني» (٧٢١–٧٠٥ق.م) وقد اتبع «بوكوريس» سياسة والده الواقعية التي لم تتردد في الاتحاد مع إسرائيل على «آشور»، وقد اهتم بتكوين حلف من أمراء «فلسطين» و«صيدا» وأمده بمساعدة عسكرية، غير أن جيش الحلف هزم هزيمةً نكراء، وأرخت النجدة المصرية لساقيها العنان مولية الأدبار. وقد كانت هذه الخيبة الحربية سببًا في أن نفض «بوكوريس» يده من كل من تدخل في الشرق، وعلى أية حال فإنه كان مهددًا بغزوة «كوشية» جديدة (راجع Leclant Revue D’Egypt, T. VIII, P. III, note I).

وقد أعد «بوكوريس» نفسه ليحارب داخل بلاده إذا أغار عليه العدو، غير أن الحرب دارت دائرتها عليه ولم يكن ملك «كوش» وقتئذ وهو «شبكا» رحيمًا كما كان سلفه «بيعنخي»، فقد أخذ «بوكوريس» أسيرًا وحرقه حيًّا (حوالي ٧١٥ق.م) كما قيل.

والواقع أن معلوماتنا ناقصة عن هذا الفتح «الكوشي» الثاني، وكذلك لا نعرف نتائجه على مملكة «سايس»، ويمكن تفسيره كره «شبكا» للملك «بوكوريس» بأن «بيعنخي» كان قد أعاد «تفنخت» إلى عرش «سايس» وأن ابنه قد اقترف خيانة حقيقية، وتدل شواهد الأحوال على أن المملكة «الساوية» قد أقيمت دون موافقة «الكوشيين»، ولكن لما كان الملك «شبكا» يشعر بالخطر «الآشوري» فإنه رأى من الصواب أن يسمح بوجود أسرة «لوبية» ثالثة في «سايس». ولا بد أن أخلاف «بوكوريس» قد اتخذوا من موته موعظة، وعلموا أن مصيرهم سيكون كمصيره إن هم شقُّوا عصا الطاعة وحلوا عقدة تبعيتهم وخضوعهم أو قاموا بمعارضة الخطط

«الكوشية». ويتساءل الإنسان هل أعطوا ضمانًا لذلك؟ وهل اكتفوا بأن يقوموا بإدارة البلاد وحسب؟ وهل كانوا دائمًا ملاحظين من جانب جنود الاحتلال «الكوشي»، الذين كانوا بعيدين عن قواعدهم وخافوا قيام ثورة وطنية؟ ولا شك في أن هؤلاء كانوا يتكلون على مساعدة مصريي الدلتا في حالة تهديد غزو «آشوري» لهم؛ ولذلك فضلوا أن يشعروا الملوك الشرعيين ظاهرًا بالقوة. غير أنه لم يبدُ مؤكدًا من هذا إلا شيء واحد، وهو أنه بعد موت «بوكوريس» نجد أن رجال أسرته قد حافظوا على امتيازاتهم الملكية.

وقد ظل ملوك «سايس» ما بين عامي ٧١٥–٦١٥ق.م خاضعين تمام الخضوع للفاتحين «الكوشيين»، وقد كان من العسير عليهم أن يحصلوا على الطاعة التامة من أتباعهم القدامى، وكان من مصلحة المحتلين تمامًا ألا تهدأ المشاحنات التي تسهل لهم عملهم. وتاريخ الملوك المصريين الذين عاشوا في عهد «شبكا» و«شبتاكا» غامض جدًّا بوجه خاص. وقد حفظت لنا أسماؤهم، غير أنه من المستحيل أن نقرر بوجه التأكيد الروابط الأسرية، التي تربط بعضهم ببعض حتى يمكننا القطع بالحوادث التي اشتركوا فيها.

والملك «نيكاو» جد المتعبدة الإلهية «نيتوكريس» من جهة أبيها معروف لنا جيدًا. ولا يدل حكمه «سايس» وسلوكه في أثناء الغزوات «الآشورية» أو الفتوح الجديدة «الكوشية» بصورة قاطعة على أنه ينتسب إلى الأسرة «اللوبية» الثالثة التي قامت في «سايس»، إذ الواقع أنه كان في مقدور كل من «شبكا» و«شبتاكا» أن يتصرف في عرش «سايس» على حسب ميله، وإن كانت شواهد الأحوال تدل على أنه في عهد «شبتاكا» قامت حروب داخلية استدعت مجيء «تهرقا» وإخوته معه لمعاونة أخيهم الملك (راجع مصر القديمة الجزء الحادي عشر).[٢]

ونكتفي هنا أن نفرض — وهو أمر محتمل — أن «نيكاو» كان من نسل «بوكوريس» دون أن نحكم بأنه ابنه أو حفيده من الفرع الأكبر أو من الفرع الأصغر للأسرة. وقد حكم «نيكاو»

حوالي ثماني سنين، وقد كان بداية توليه العرش عندما غزا «الآشوريون» مصر وكانت الإمبراطورية العظيمة التي أسسها «بيعنخي»، وتمتد من «الشلال الرابع» إلى «البحر الأبيض» في يد «تهرقا العظيم». وكان متخذًا «تانيس» مقرًّا لحكمه ليشرف عن كثب على حدوده الشرقية. وكان يحلم كما فصلنا القول في ذلك من قبل في إعادة «سوريا» للنفوذ المصري. وفي تلك الفترة كان «أسرحدون» ملك «آشور» الجديد مضطرًّا إلى إعادة استقرار ملكه الذي كان مهددًا لمدة بسبب قتل والده غيلة. وقد رأى «تهرقا» أن الفرصة سانحة لنيل مأربه. فأثار الاضطرابات والثورات في «آسيا» على الحكم «الآشوري»، غير أن «أسرحدون» لم يجد عناءً كبيرًا في قمع الثائرين، وبعد ذلك بقليل دخل الجيش «الآشوري» مصر، وقد سهل عليه غزو «مصر» التقهقر السريع الذي قام به «تهرقا». فقد وصل إلى «طيبة» بسرعة ثم تابع تقهقره حتى وصل إلى «نباتا» عاصمة ملكه. على أنه باستيلاء «أسرحدون» على «منف» خضعت له الدلتا بسرعة، وعندئذ أسرع الملك «نيكاو» ملك «سايس» بالاعتراف بسيادة «أسرحدون»، ولما كان «نيكاو» يأمل بعد موت ملك «آشور» في أن يحصل على بعض الفائدة، فإنه أسبغ اسمًا آشوريًّا على عاصمة ملكه كما سمى ابنه «بسمتيك» اسمًا آشوريًّا أيضًا. وهذا الملق المشين قد ينم عن خور ونذالة في وطنيته، ولا عليه في ذلك أكثر من اللوم الذي كان يقع على عاتق «منتومحات» أمير «طيبة» آنذاك، فقد سلك مسلك الرجل الذي يبيع وطنه بأبخس الأثمان، وهو بعيد عن كل خطر وتهديد من «الآشوريين». فقد ذهب إلى «أسرحدون» عن طيب خاطر مقدمًا له الجزية، ولم يكن لديه من الأسباب ما يدل على زحف العدو على مدينته، هذا إلى أنه كان لديه الوقت الكافي لأن يعمل حسابه لإمكان تقهقره نحو بلاد «النوبة» أو بلاد «كوش» نفسها، ولا يستسلم للعدو دون أية مقاومة، ولكن قد يكون من الخير ما فعله إذ حفظ المدينة المقدسة من يد التخريب والعبث بآثارها، كما فعل الفرنسيون في الحرب الأخيرة عندما سلموا «باريس»، فحفظوها من الدمار

ولم يكن في مقدور «أسرحدون» بعد إحراز هذا النصر أن يبقى مدة طويلة أكثر من اللازم بعيدًا عن مقر ملكه في «نينوه»؛ ولذلك فإنه اكتفى بالغنائم التي جمعها من الجزية وبإخضاع أمراء «الدلتا» في نفس الوقت ثم عاد إلى «آشور».

أما «تهرقا» فإنه نزل إلى النيل ثانيةً غازيًا وبعد هزيمة «الآشوريين» صفح عن «نيكاو» كما صفح عن «منتومحات»، وبذلك أصبحت مملكة «سايس» من جديد تحت سيادة «الكوشيين».

أما «أسرحدون» فإنه استعد لفتح مصر مرة أخرى عندما علم بحملة «تهرقا» ولكن المنية عاجلته.

وبعد ذلك قام ابنه وخليفته «آشور بنيبال» عام ٦٦٨ق.م بمشروع فتح مصر تنفيذًا لخطة والده، فوضع أحد قواده على رأس جيش عظيم، وتقابل مع جيش «تهرقا» فهزمه وولى «تهرقا» هاربًا إلى «الوجه القبلي»، وعلى أثر ذلك أصبحت «منف» والدلتا من جديد تحت السيادة الآشورية. وعندما أراد قائد «آشور بنيبال» اقتفاء أثر «تهرقا» حتى «طيبة» أمده «نيكاو» الذي كان يحكم «سايس» و«منف» وقتئذ بجنود من جيشه، غير أنه لم ينقطع عن الاتصال بالكوشيين سرًّا رغبةً في إعادتهم ثانية. وقد كشف أمر هذه الخيانة الآشوريون وعلى ذلك قبض على «نيكاو» وابنه «بسمتيك» وبعض أتباعهما، وسيقوا إلى «نينوه» في السلاسل والأغلال.

وقد عرف ملك «سايس» و«منف» وهو في الأسر كيف يستهوي الملك «آشور بنيبال»، ويكسب ثقته حتى إنه عفا عنه وأعاده إلى «مصر» محملًا بالهدايا، واعتلى عرش ملك بلاده ثانية، وكذلك أنعم على ابنه «بسمتيك» فضلًا عن ذلك بولاية بلدة «أتريب» بمثابة إقطاع له. وقد كان لزامًا على «نيكاو» أن يبقى مقابل ذلك مواليًا للملك «آشور بنيبال». هذا ولم يكن في مقدور «تهرقا» أن يسترد سلطانه على «الوجه البحري». ولكن خلفه على عرش ملك «كوش» وهو «تانو تأمون» قرر على حسب رؤيا في منام له أن ينحدر من «نباتا»، ويخلص

الدلتا من يد الآشوريين، وقد اصطدم بالقرب من «منف» مع حامية «آشور بنيبال» وجنود «نيكاو»، وهزمهم وأسر «نيكاو» في الواقعة التي دارت بين الفريقين في عام ٦٦٣ق.م — وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن «نيكاو»، الذي أخذه «تانو تأمون» أسيرًا قد أعدم — (راجع De laporte, Le proche Orient, P. 260).

والظاهر أن سياسة «نيكاو» كانت سياسة واقعية جدًّا، وذلك أنه لما رأى أن كلًّا من الملك «تفنخت» والملك «بوكوريس» سلفيه ليس لهما إلا عدو واحد يناهضهما في الملك هو ملك «كوش» وجد من العبث القيام في وجهه في تلك الفترة، غير أنه في عهده كان الموقف معقدًا؛ وذلك لأن مصر كانت محط أنظار كل من «الكوشيين» و«الآشوريين»، وقد أصابها الضعف فلم تصبح قادرة على محاربة غزاتها من «الآشوريين» و«الكوشيين»؛ ولذلك وجد من الحكمة أن يسير على حسب مقتضيات الأحوال. والواقع أنه كان على رأس مملكة «سايس» الملك السياسي المحنك الذي تتطلبه الأحوال وقتئذ، وفي الحق لقد قام «نيكاو» بدور حرج جدًّا ولكن بمهارة بين «الكوشيين» و«الآشوريين» عدوي مصر. فنجد أنه كان في بادئ الأمر تابعًا للملك «تهرقا»؛ ولذلك فإنه تلقى أخبار الحملة الأولى «الآشورية» بكل حماس وهي التي خلصته من ملك غير مشرف، غير أن إعادة فتح البلاد على يد «الآشوريين» قد جعله يفكر مليًّا، إذ نظر باحتقار وازدراء إلى مقاصد الآشوريين من فتحهم لبلاده، وفهم أنهم لم يكونوا يفكرون في جعل «مصر» مديرية من إمبراطوريتهم وحسب، بل إن ملك «نينوه» لم يكن يبحث إلا على التغلب على بلاده التي دلت على التقاليد على أنها كانت مصدر ثروة طائلة. ومن أجل ذلك بقي «نيكاو» مواليًا «لتهرقا» منذ الحملة الثانية الآشورية. ومع ذلك فإن مدة مكثه أسيرًا في «نينوه» قد فتحت عينيه وغيرت أفكاره، وعندما عاد إلى «مصر» وجد من الحكمة ألا يخدع بإغراء «الكوشيين» له، فقد أملت عليه مصالحه الخاصة أن يكون على ود ومصافاة مع «آشور بنيبال» ملك «آشور» والمسيطر على «مصر». وقد كان ملك «كوش» وقتئذ «تانو تأمون»

يفضل «مصر» على بلاده «كوش»، أما «آشور بنيبال» الذي كان وقتئذ يسيطر على إمبراطورية شاسعة المساحة مترامية الأطراف مليئة بالثورات، حافلة بالاضطرابات، فكان لا يهتم بوادي النيل؛ ولذلك فإنه بعد سحق «الكوشيين» لم يهتم بوادي النيل إلا من الوجهة السياسية، ومن ثم كانت الفرصة التي طالما ارتقبها ملك «سايس» سانحة لتوحيد ملك «مصر»، ولم يخطئ «نيكاو» في حسابه ولم تكن آماله بعيدة المنال، فقد حققتها حوادث المستقبل على يد ابنه «بسمتيك» (؟).

والواقع أن الحوادث التي وقعت بين «كوش» و«آشور» قد سببت تأخير تولي «بسمتيك» عرش مصر، وذلك أن الملك «تانو تأمون» قد استمر عبثًا في مطاردة أتباع ملك «سايس» في الدلتا. وقد أبوا منازلته واعتصموا في حصون بلادهم، وفي خلال تلك المدة التي خاف فيها الملك الشاب أن يكون مصيره مصير «بوكوريس» فر إلى «سوريا»، وعاد بجيش آشوري إلى «مصر» ليستولي به عليها. وكان عليه أن يطارد «تانو تأمون» ويقفو أثره حتى «الشلال الأول». والواقع أن إعادة فتح «مصر» كان سهلًا ميسورًا، فقد طورد «تانو تأمون» حتى «الوجه القبلي»، وبعد ذلك هرب إلى «نباتا» بعد أن خربت «طيبة» خرابًا شاملًا. وبعد ذلك استولى «بسمتيك الأول» على إرث والده إثر وفاته. وقد اعترف صغار الأمراء في كل أنحاء الدلتا بسلطان «بسمتيك الأول» عليهم.

هذه نظرة عابرة إلى الأحداث التي سبقت اعتلاء بسمتيك الأول عرش مصر، وتأسيس الأسرة السادسة والعشرين التي أعادت لأرض الكنانة بعض غابر مجدها وسؤددها في العالم المتمدين وقتئذ.

الأسرة السادسة والعشرون أو عصر النهضة

لا نزاع في أن أول ظهور للأسرة الساوية كان في عهد الملك «بيعنخي» الكوشي، كما أشرنا إلى ذلك من قبل (راجع الجزء الحادي عشر)، وذلك عندما ظهر الحاكم «تفنخت» أمير «سايس»، وأخذ في مناهضة العاهل الكوشي «بيعنخي». وقد أفلح «تفنخت» في ضم كثير من جهات القطر المصري، ولكنه اضطر في آخر الأمر إلى الخضوع إلى سلطان «بيعنخي» مؤقتًا. ومن ثم نرى أن سلطان الأسرة «الساوية» قد بدأ منذ نهاية الأسرة الثالثة والعشرين عندما احتل «كشتا» الوجه القبلي، وتدل شواهد الأحوال على أن «تفنخت» هو مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين أو الأسرة اللوبية الثالثة على الرغم من أن «مانيتون» لم يذكره في قائمة هذه الأسرة، بل قال: إن الملك الوحيد الذي تتألف منه هذه الأسرة هو الملك «بوكوريس» — باكنريف — الذي تحدثنا عنه في الجزء الحادي عشر. والآثار المصرية القليلة التي بقيت لنا من هذا العهد تمكننا مع ذلك من التعرف على سلسلة من الأمراء الساويين، مما يسهل علينا ربط «بوكوريس» والملوك الذين تسموا باسم «نيكاو»، وكذلك الذين تسموا باسم «بسمتيك» وهم الذين تتألف منهم الأسرة السادسة والعشرون «المانيتونيه»، ويكاد يكون من المؤكد أن الأسرة السادسة والعشرين ليست إلا امتدادًا للأسرة الرابعة والعشرين، ولا شك في أن الانزواء المؤقت للأمراء الساويين الذي حدث في خلال الأسرة الرابعة والعشرين ونهاية الخامسة والعشرين يقابل الفترة التي استولى فيها على «مصر» ملوك «كوش»، الذين كانوا يؤلفون الأسرة الخامسة والعشرين، ولكن لا بد من أن نلفت النظر هنا بوجه عام إلى أن نسل هؤلاء «الساويين»، الذين قهرهم «بيعنخي» وغيره من ملوك «الكوشيين» هم بدورهم الذين انتقموا من الغزاة، وانتصروا عليهم انتصارًا باهرًا وردوهم على أعقابهم إلى عقر دارهم «نباتا» في الجنوب.

وهؤلاء الملوك وعددهم خمسة قد تحدثنا من قبل عن اثنين منهم، وهما «تفنخت» و«بوكوريس» (راجع الجزء ١١). وقد اختلف علماء الآثار في تحقيق أسماء الملوك الثلاثة

الآخرين، كما اختلفوا في ترتيبهم (راجع في هذا الموضوع ما كتبه Petrie, History of Egypt, vol. III. P. 312–24; Gauthier, L. R. IV P. 406–16).

وعلى أية حال نجد أن آخر هؤلاء الملوك «نيكاو الأول» الذي قاوم «الآشوريين» وهو والد «بسمتيك» مؤسس الأسرة السادسة والعشرين.

---

[١] راجع Diodorus Siculus. loeb. Ed., vol. 1, P. 321 f.

[٢] راجع Unger, Chronologie des Manetbo. P. 271.

الملك «بسمتيك الأوَّل»[١]

مؤسس الأسرة السادسة والعشرين ٦٦٣–٦٠٩ق.م



بسمتيك

واح-أب-رع

تعد الأسرة التي تبتدئ بالملك «بسمتيك الأول» ابن الملك «نيكاو»، وتنتهي بالملك «بسمتيك الثالث» من الأسر التي نعرف تاريخها بصورة مرضية على وجه عام. وتحتوي هذه الأسرة على ستة ملوك حكموا جميعًا حوالي تسع وثلاثين ومائة سنة. ويبتدئ حكمها بالسنة الرابعة والستين والستمائة، وينتهي بالسنة الخامسة والعشرين والخمسمائة قبل الميلاد (٦٦٤–٥٢٥ق.م).

ولكن «مانيتون» قد وضع لهذه الأسرة ثمانية ملوك؛ وذلك لأنه أضاف قبل «بسمتيك الأول» ثلاثة ملوك وهؤلاء في الواقع يعدون بقية ملوك الأسرة الرابعة والعشرين، وهي أسرة «ساوية» كما ذكرنا من قبل، أو الأسرة اللوبية الثالثة. وهؤلاء الملوك هم «واح-ايب-رع» «تفنخت الثاني» وحكم سبع سنين، والملك «ار-أب-رع» «نيكاوبا» حكم ست سنوات، ثم الملك «من-ايب-رع» «نيكاو» الأول وحكم ثماني سنين.[٢]

وقد كان بداية عهد «بسمتيك الأول» فاتحة عهد جديد في تاريخ مصر، وبداية حكم أسرة جديدة بلا نزاع.

إن أول عقبة تصادفنا في حياة «بسمتيك» هي: لماذا عُد مؤسس أسرة جديدة وهي الأسرة السادسة والعشرون، مع أنه من سلسلة أسرة ملوك متتابعين وهم ملوك الأسرة الرابعة

والعشرين؟ وفي اعتقادي أن الجواب الشافي على ذلك هو أنه ابتدأ عصرًا جديدًا في حياة «مصر». فقد أصبحت البلاد في عهده مستقلة، بعد أن كانت ترزح تحت نير الحكم الآشوري. ولدينا حادث يعد نظيرًا لذلك في تاريخ الأسرة الثامنة عشرة التي ابتدأها «أحمس الأول»، فقد كان أخًا للملك «كامس» آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة، ومع ذلك عد مؤسسًا لأسرة جديدة، حقًّا أسس هذا العاهل أسرة جديدة في تاريخ مصر، فقد سار بها في طريق الاستقلال حتى بلغت غايته، ثم أخذ بعد ذلك في تأسيس إمبراطورية جديدة على أنقاض دولة «الهكسوس» الذين هزمهم، وها نحن أولاء نرى «بسمتيك» يلعب نفس الدور، فإنه خلص «مصر» من النير الآشوري والكوشي، ونهض بها نهضة كانت مضرب الأمثال في تاريخ «مصر» بل في تاريخ الشرق عامة، فقد خلص البلاد من حكم «الآشوريين» الغاشمين، ثم سار بالكنانة نحو المجد، فأعاد لها بعض عظمتها القديمة، فأحيا فنونها واسترد كثيرًا من ممتلكاتها خارج حدودها.

وقد عزا الأستاذ «بتري» تأسيس الأسرة الجديدة إلى سبب آخر، فرأى أن ذلك يرجع إلى تأثير «كوش»، فقال: إن شواهد الأحوال تدل على أنه حوالي ٦٩٠ق.م عندما كان الملك «تهرقا» في أوج عظمته وقوته في بلاد الدلتا وفي بلاد «فلسطين»، عمل على أن يضم أمير «سايس» «نيكاو» بالمحالفة إلى جانبه، فزوجه ابنته التي أصبحت فيما بعد أم «بسمتيك» مؤسس الأسرة السادسة والعشرين، وقال: إنه من البدهي أن اسم «بسمتيك» في تركيبه هو من طراز تركيب اسم «شبتاكا»، ومعنى هذا الاسم هو: ابن القط البري، وعلى هذا النمط يكون معنى «بسمتيك» «ابن سام» والمقطع «با» = أداة التعريف (ال) للمذكر كما توجد أداة التأنيث «تا» في اسم «تاسمتيك». ومعنى «بسمتيك» معناه «ابن الأسد»؛ وذلك لأن كلمة «سام» معناه الأسد باللوبية، وكذلك لدينا في العربية اسم «أسامة» = «أسد». وقد وافق «بتري» في اشتقاق اسم «بسمتيك» على أنه من أصل «كوشي» الأثري «بروكش» (راجع Brugsch, Gesch. Aegypten P. 737).

ولكن من جهة أخرى نجد أن «لبسيوس» و«سترن» و«ارمان» يعدون هذا الاسم من أصل «لوبي»، وعلى العكس من ذلك قد برهن «فيدمان» بوضوح أن هذا الاسم «مصري» بحت وأخيرًا يقول الأستاذ «شبيجلبرج»: إن التفسير اللغوي للاسم هو إنسان الإله «متك»، وقد ذهب إلى أن «متك» هو الإله المحلي للمكان الذي نشأت فيه هذه الأسرة (راجع المصادر عن ذلك في Gauthier L. R. IV P. 66, N. 2).

وعلى أية حال فنحن نعرف من مصادر مختلفة إغريقية أن «بسمتيك الأول» كان ابن «نيكاو». من ذلك ما جاء في «هردوت» (راجع Herod. II 152) و«بسمتيكوس» هذا الذي فر أمام «سبكون» «الأثيوبي» الذي قتل والده «نيكاو»، وكان قد هرب في ذلك الوقت إلى «سوريا»، وقد أحضره المصريون التابعون لإقليم «سايس» عندما تقهقر الأثيوبيون بسبب رؤيا في منام (راجع عن هذا الحلم Herod. II 139)، وجاء في «مانيتون» أن «بسمتيك» حكم أربعًا وخمسين سنة (راجع Unger Chronologie des Manetho P. 271).

وقد أكد هذا التاريخ ما جاء في لوحة «السربيوم» الموجودة بمتحف «اللوفر» (راجع Louvre N. 193: L. R. IV P. 74–9 XXXI-XXXII).

ومن بين الأساطير التي كانت شائعة في «سايس» في القرن الخامس قبل الميلاد قصة تحدثنا أنه في ذلك الوقت كانت كل البلاد قسمة بين اثني عشر أميرًا، وأنهم كانوا يعيشون في أمان جنبًا لجنب إلى أن أوحي إليهم وحي بأن كل الوادي سيكون في نهاية الأمر في قبضة أمير منهم، وهو الذي سيصب القربان للإله «بتاح» في كأس من النحاس، ومن ذلك الوقت أخذ كل واحد منهم يرقب الآخر بغيرة شديدة في كل مرة يجتمعون فيها سويًّا في معبد «منف»؛ ليقيموا الصلاة ويقدموا القرابين، واتفق ذات يوم عندما اجتمعوا معًا رسميًّا وقدم لهم الكاهن الأكبر كئوسًا من الذهب اعتادوا استعمالها، أن وجد أنه قد أخطأ في الكئوس، وأنه قد أعد أحد عشر

كأسًا بدلًا من اثني عشر، وقد ترك من أجل ذلك «بسمتيكوس» بدون كأس، ولكن لأجل ألا يرتبك الاحتفال أخذ «بسمتيكوس» قبعته المصنوعة من النحاس واستعملها كأسًا ليأخذ فيها قربانه، وعندما لحظ سائرهم ذلك مرت بأذهانهم كلمات الوحي، فنفوا «بسمتيكوس» الأمير الطائش إلى المستنقعات الواقعة على ساحل «البحر الأبيض» وحذروه أن يغادرها أبدًا. ولكنه استشار وحي «إيزيس»[٣] صاحبة بلدة «بوتو»؛ ليعرف ماذا ينتظر من الآلهة، وقد أجابته أن طريقة الانتقام ستصل إليه من البحر في اليوم الذي سيخرج من مياهه جنود من نحاس. وقد ظن في بادئ الأمر أن الكهنة يهزءون منه، ولكنه لم يمضِ طويل وقت حتى نزل إلى البر قرصان من «ايونيا» و«كاريا» لابسين دروعهم على مسافة قريبة من مسكنه، ولم يكن الرسول الذي جاء ليخبر بوصولهم قد رأى من قبل جنديًّا مدججًا بسلاحه مثل الذين رآهم، وقد أخبر أن رجالًا من نحاس قد خرجوا من أمواج البحر، وأنهم ينهبون البلاد. ولما لحظ «بسمتيكوس» أن نبوءته قد تحققت هرول ليقابل هؤلاء الأجانب، وخرطهم في خدمته وبمساعدتهم تغلب على مناهضيه الأحد عشر أميرًا حكام المقاطعات على التوالي (راجع Herod. II 152–57).

وعلى ذلك نجد أن قبعة من النحاس ووحيًا قد خلعاه عن العرش، وأن وحيًا آخر ورجالًا من النحاس قد وضعاه على العرش. وقد وصلت إلينا رواية أقصر من السابقة عن هذه الحوادث لم تذكر الاثني عشر ملكًا، ولكن ذكرت بدلًا منهم ملكًا يدعى «تمننس» Tementhes حذره وحي «آمون» أن يحترس من الديوك. وقد كان «لبسمتيكوس» رفيق في النفي وهو رجل من بلاد «كاريا» يدعى «بجرس»، وفي أثناء الحديث معه ذات يوم عرف بطريق الصدفة أن «الكاريين» كانوا أول أناس يلبسون القبعات ذات العرف، وعلى ذلك تذكر في الحال كلمات الوحي، واستأجر من «آسيا» عددًا من هذه «الديوك» — الأعراف — وبمساعدتهم ثار على ملكه وهزمه في موقعة تحت جدران «منف» على مقربة من معبد «أزيس» (راجع Polyaenus, Stratagemata VII 3).[٤]

هذه هي الأسطورة التي تعزى إلى نهضة العصر «الساوي»، وتاريخها الحقيقي لم يعرف على وجه الدقة حتى الآن، ومن المحتمل جدًّا أنها تشير إلى التحالف الذي عقد بين «جيجز» ملك «ليديا» وبين «بسمتيك» على طرد «الآشوريين»، والتخلص من نيرهم. حقًّا كانت مصر في حالة انحلال تام عندما أخذ «بسمتيك» في نهاية الأمر يحيي مشاريع أسرته الطموحة، غير أن القضاء على أجزائها التي تتألف منها لم يحدث على وتيرة واحدة في كل مكان. فكان الشمال أي: «الدلتا» ووادي النيل حتى «سيوط» في يد سلطة حربية أرستقراطية يشد أزرها جنود وطنيون غير نظاميين بالإضافة إلى فرق من الجنود المرتزقة، الذين كان معظمهم من أصل «لوبي»، وهم الذين كانوا يطلق عليهم اسم قبيلتهم «المشوش». ومعظم هؤلاء الأشراف كان الواحد منهم لا يحكم أكثر من مدينتين أو ثلاث، وكان لديهم مجرد العدد الكافي من المعاضدين للمحافظة على كيانهم المهدد في أملاكهم المحددة، وقد كان الأمير منهم يخضع في الحال لسلطان جاره القوي إذا هاجمه عندما لم يجد له مساعدًا قويًّا يحمي ذماره. وانتهى أمرهم أخيرًا بأن انقسموا جماعتين يفصل الواحدة عن الأخرى فرع النيل الأوسط. وتحتوي إحداهما على المراكز التي يمكن أن يطلق عليها «الدائرة الآسيوية»، وتشمل «هليوبوليس» و«بوبسطة» و«منديس» و«تانيس» و«سمنود»، وكان يتزعمها سيد من أسياد المدن الفتية، فكانت مرة تدين بالطاعة لحاكم «بوبسطة»، وأخرى لحاكم «تانيس»، وأخيرًا لصاحب «باسبد» — صفط الحنة — المسمى «باكرورو».

وكانت المجموعة الثانية تلتف حول أسياد مدينة «سايس»، التي كانت بسيطرتها على «منف» قد أصبح لها الكلمة العليا في مجالس الدولة أكثر من قرن من الزمن. وهذا التقسيم كان ممكنًا أن نلحظه مما جاء على الآثار «الآشورية» و«المصرية» في ذلك العصر، فقد رأينا أن أمراء الإقطاع كانوا يلتفون حول «نيكاو الأول» و«باكرورو». وقد وصلت إلينا قصة كتبت بالديموطيقية أساسها وصف حالة مصر في عهد الاثني عشر ملكًا التي تحدث عنها الكتاب

الإغريق، وعلى الرغم من أن هذه القصة قد لا تكون لها قيمة تاريخية قط، إلا أنها مع ذلك تضع أمامنا مختصرًا مقبولًا عن الأحوال في بلاد الدلتا الإقطاعية في حوالي القرن السابع قبل الميلاد. ومما يؤسف له جد الأسف أن هذه القصة لم تصل إلينا سليمة، بل وصلت إلينا في صورة أخرى مكتوبة بالديموطيقية أيضًا (راجع Maspero, Popular Stories of Ancient Egypt P. 217–264)، وهاك ملخص هذه القصة إتمامًا للفائدة: «في الوقت الذي كان يحكم فيه الفرعون «بدي باست» في «تانيس»، كانت كل البلاد مقسمة بين حزبين معاديين، وكان على رأس كل حزب منهما السيد العظيم صاحب «آمون» في «طيبة» أمير «منديس» وهو الذي سرق صدرية «أناروس» أمير «هليوبوليس». وبدون هذه الصدرية أصبح لا يمكن أن يكون حفل جنازه تامًّا، وقد شكا «بمبي» ابن أمير «هليوبوليس» هذا إلى الملك «بدي باست» في «تانيس» مما حدث، وكان الرئيس الأعلى لكل الدلتا وقتئذ. غير أن السيد العظيم صاحب «آمون» في «طيبة» لم يطع أوامر الملك. وكان لكل فريق منهما أتباع كثيرون، وبذلك كانت كل الدلتا على أهبة الدخول في حروب داخلية. وقد نظم «بدي باست» الحرب وأمر بتأليف جمع رسمي مكون من الرؤساء الإقطاعيين، ووضعهم في صفين متقابلين. ونشبت الحرب ودارت الدائرة على حزب السيد العظيم «صاحب آمون في طيبة»، على الرغم من أن الملك «بدي باست» كان يميل إليه، وانتهى الأمر بإعادة الصدرية إلى «هليوبوليس».»

والآن يتساءل الإنسان لماذا كانت الصدرية تحتل هذه المكانة في مراسيم الدفن؟

والواقع أن القصة لم تقدم لنا جوابًا عن ذلك. ولكن يقول «بتري» (راجع Petrie, Hist. III, P. 322): إننا إذا تأملنا موميات هذا العصر وجدنا أنه توجد صدريات عظيمة مذهبة محلاة بأشكال آلهة وشياطين، وهذه كانت تؤلف جزءًا أصليًّا من المراسيم الجنازية في هذا العصر، وهذه الصدريات التي كانت تصنع من نسيج مقوى في العادة كانت في الواقع تقليدًا لصدريات من الذهب أو الفضة المذهبة (راجع صدرية «حوروزا» Petrie, Kahun P. 19)، وكانت

تصنع خصيصًا لعظماء الرجال في ذلك العصر. ومن ثم لا بد أن الصدرية المسروقة كانت على أغلب الظن عظيمة وذات قيمة كبيرة.

وقد كانت الحرب بوجه عام قائمة بين الإقليم المتحد الجديد الذي نشأ في الشمال الشرقي من الدلتا، وبين مقاطعات الجزء الأعلى من الدلتا وغيرها (راجع Petrie, Ibid P. 322).

ومن أسماء أمراء المقاطعات يتبين لنا أن ثلاثة منهم ذكروا في القائمة، التي تركها لنا «أسرحدون» بوصفهم من أتباعه وهم: «بدي باست» (بوتوبيستي صاحب «تانيس») و«باكرورو» صاحب «باسبد» (صفط الحنة) و«ناهكي» صاحب «أهناسيا المدينة». ومن هذه الأسماء نفهم أن هذه القصة لا يمكن أن نضعها قبل عام ٦٧٠ق.م وأنها تحدثنا في الوقت نفسه عن أشخاص تاريخيين.

ومن دراسة هذه القصة نعلم أن «بدي باست» كان الرئيس الأعلى لكل حكام الإقطاع من الدلتا، وأنه هو الذي كان يرجع إليه للفصل بينهم في مشاكلهم. وأنه عندما كانت الأحوال تحتم الحرب بين الفريقين كان هو الذي ينظمها، غير أنه لم يكن في مقدوره أن يصدر أوامره بمنعها كلية. ففي الحرب التي نشبت بسبب الصدرية نجد أنه قد وعد مرارًا بإعادتها، غير أنه لم يكن في استطاعته إرغام السيد العظيم «صاحب آمون في طيبة» على الخضوع لأمره، وعندما تحرجت الأحوال وأصبح لا بد من الحرب، وجد أن «باكرورو» رئيس الشرق قد أرسل رسائل يطلب فيها حضور حلفائه المختلفين، ويحدد لهم أن يجتمعوا عند بحيرة «الغزال» (نبيشة) وبعد ذلك تقص علينا القصة وصف وصول «بدوخنسو» صاحب «أتريب»، ومعه أربعون سفينة كبيرة وستون ومائة سفينة صغيرة هذا إلى خيل وجنود رجالة بمقدار عظيم لدرجة أن النهر وشاطئيه قد ضاقا بهم. وقد تدخل الملك راجيًا «بدوخنسو» ألا يحارب حتى يحضر كل الأحزاب الأخرى، وبعد أن وصلوا جميعًا أمر الملك أن يحضر صفان من المقاعد المرتفعة أو الشرفات

يقابل أحدهما الآخر، وذلك لأجل قعود الفريقين المتعاديين. وبعد ذلك أمر الملك أن تنشب حرب منظمة، ويظهر أن كل رئيس كان يقود فيها جيشه بنفسه، وقد وصفت لنا تسليح «باكرورو».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الحرب لم تكن حرب مبارزة ينازل فيها المحارب قرنه، كما كانت الحال في حروب القرون الوسطى أو الحروب التي نسمع عنها في القصص الشعبي أمثال قصة «عنترة العبسي» و«الزناتي خليفة» و«دياب بن غانم». بل كانت حربًا منظمة تستعمل فيها كل قوة الجيش، ولم يكن يسمح فيها بالهجوم المباغت أو الخدع الحربية. ويحتمل أن هذا النظام في الحرب كان نتيجة لحروب قد استمرت عدة أجيال، كانت المشاحنات فيها قائمة على قدم وساق دون انقطاع؛ مما دعا إلى وضع قواعد دقيقة لا بد من السير على مقتضاها كما كانت الحال في حروب القرون الوسطى في «أوروبا».

وقد حضر «منتو بعل» السوري واشتبك في المعركة، وهاجم جيش صاحب «سمنود» بشدة لدرجة أن جنوده أرسلوا للملك، وأخبروه بما أصابهم مما جعله يرتعد فرقًا، ورجا «باكرورو» أن يأمر حليفه بالكف عن القتال والانسحاب. وقد صمم «باكرورو» على أن يذهب الملك معه إلى ساحة القتال، وقد وعد الملك مرة أخرى بإعادة الصدرية. ولما كان السيد المعظم «صاحب آمون في طيبة» على وشك أن يقتله «بمبي» بن «اناروس»، فإنه سلم أخيرًا بمطلب عدوه. وفي هذه الأثناء كان «بدو-خنسو» صاحب «منديس» يقاتل «عنخ حور» ابن الملك «بدي باست» ويتغلب عليه، وعندئذ أسرع الملك ورجا المنتصر أن يكف عن القتال. وفي خلال ذلك ظهر أمير «الفنتين» بجيشه، وهاجم «تاحر» قائد «منديس» وهو الذي كان يحرس الصدرية، وفي نهاية الأمر أعيدت الصدرية، وكان القوم يحفونها بمظاهر السرور والفرح من خلف ومن قدام. وهذه الحروب المنظمة التي شبت وفق قواعد موضوعة هي التي كانت تقوم بسبب مناهضة أمير مقاطعة الآخر، وقد تظهر أمامنا هامة؛ وبخاصة لأن منظمها كان ملكًا يعلن

انحيازه لأحد الفريقين المتحاربين. ومن ذلك تكونت فكرة غريبة عن ذلك العصر المضطرب في تاريخ مصر.

وتدل الأحوال على أن مقاطعات «مصر الوسطى» وإماراتها الصغيرة كانت تتأرجح في ولائها من حين لآخر بين الحزبين السابقين اللذين تتألف منهما بلاد الدلتا، وكان عملها سلبيًّا، فقد كانت بلاد مصر الوسطى في الحقيقة تستسلم لتيار الحوادث، وليس لها أي دخل في توجيهه، فكانت أحيانًا تدين بالطاعة «لسايس» وأميرها، وأحيانًا تستسلم «لتانيس» وفرعونها على التوالي على حسب فوز فريق على الآخر. وإذا ما انتقلنا إلى إقليم «طيبة»، وجدنا عالمًا آخر مختلفًا اختلافًا تامًّا فقد كان الإله «آمون»، كما عرفنا من قبل هو صاحب السيطرة التامة، وقد حول نفوذه المتزايد وأملاكه إلى دولة دينية حيث كانت أعظم وظيفة فيها في يد امرأة تقلب «زوج الإله»، وهي التي كانت وحدها مصدر السلطات. وقد شرحنا من قبل أن هذه السلطة كانت في يد ابن الملك أو أحد أفراد أسرته (راجع مصر القديمة الجزء العاشر)، ثم انتقلت إلى يد المتعبدة الإلهية التي كانت إحدى بنات الملك الحاكم أو السالف.

(١) بداية حكم «بسمتيك»[٥]

ليس لدينا وثائق تدل دلالة صريحة على تحديد بداية المدة التي سيطر فيها «آشور بنيبال» على زمام الأمور في شمالي مصر، ولا على المدة التي ظل فيها سلطان «تانو تأمون» سائدًا في جنوبي مصر. ويظهر أن بداية حكم «بسمتيك» في مصر كانت مفعمة بالمصاعب والعقبات؛ ولذلك فإنه من الجائز أن الأخبار التي تتحدث عنه بأنه قد نفي على يد مناهضيه، وأنه قد حوصر في مستنقعات ساحل «البحر الأبيض» ترتكز على شيء من الحقيقة. وذلك أن «باكرورو» الذي جعل كل مقاطعات الجزء الغربي من الدلتا تحت نفوذه — وقد كان معروفًا

بتذبذبه باستمرار بين كل من ملك «آشور» وملك «كوش»، مما مكنه من المحافظة على قوته وعلى حياته، لم يتنَحَّ من تلقاء نفسه عن أمله في أن يضع على رأسه تاج الفراعنة المزدوج.

ولا بد أنه قد بدأ عهد «بسمتيك» أو في عهد سلفه على ما يظن شن الحروب على «آشور»؛ ليخلص البلاد من نيرها. ومن المحتمل أن الحزب الموالي «لآشور» من المقاطعات المصرية هو الذي طرده إلى الساحل. وتدل الأحوال على أنه قد خلص نفسه من هذا المأزق الحرج بمساعدة الجنود المرتزقين من «الأيونيين» — الإغريق — و«الكاريين»، ويقرر بعض المؤرخين أن الواقعة الفاصلة قد وقعت بالقرب من «منف» عند معبد «أزيس» (راجع Polyaenus Start. VII, 3). ويقول آخرون: إنها وقعت في «مومنفس» — كوم الحصن — وكان من نتائجها أن كثيرًا من الأمراء لاقوا حتفهم في حومة الوغى، ومن بقي منهم فر إلى بلاد «لوبيا» ولم يعودوا منها قط. (راجع Diodorus, I, 66) غير أن في ذلك شكًّا كبيرًا.

وتحدث آخرون كذلك عن وقوع حرب على النيل، وذلك عندما شتت أسطول ملك «سايس» شمل أسطول مناهضيه (Strabo, X VII, 1 § I8. P. 67).

ففي ذلك يقول «استرابون»: إنه في وقت «بسمتيك» — الذي عاش في زمن «سياكسارس» Cyaxares الميدي — رسا «الميليزيون» بثلاثين سفينة في فرع النيل «البولبيتي»، ثم نزلوا وتحصنوا بجدار المؤسسة السالفة الذكر، ولكنهم أقلعوا في الوقت المناسب إلى المقاطعة «الساوية»، وهزموا مدينة «أراتوس» في واقعة بحرية وأسسوا «نقراش»، التي لا تبعد كثيرًا عن «شديا» Schedia — وهي كوم جعيف الحالية.

ومن المحتمل أن «بسمتيك» قد تغلب على الأمراء الإقطاعيين في موقعة أو موقعتين، كما حدث ذلك في خلال الفتح «الكوشي»، غير أن أمراء الإقطاع كانوا يأملون في أنهم بعد ذلك سيفيقون من هزيمتهم ويستردون سلطانهم المفقود، ولكن الحوادث أظهرت لهم أنهم كانوا مخدوعين في

زعمهم، وذلك أن «بسمتيك» كان قد وجد في الجنود المرتزقة من «الإغريق» خدامًا مخلصين أكثر مما وجده «تفنخت» أو «بوكوريس» في الجنود «اللوبيين»، أو ما وجده «بيعنخي» أو «تانو تأمون» في جنوده الكوشيين، وقد ساعده ذلك على توطيد حكمه على البلاد التي فتحها.

ولا نزاع في أنه منذ حوالي عام ٦٦٠ق.م قد سيطر على مصر بحزم وعزم، حتى إن الأجانب و«الآشوريين» أنفسهم أطلقوا عليه عادة ملك مصر. ولا نزاع في أن تداعي الحكم «الآشوري» في مصر يرجع إلى حكام الإقطاع وقيامهم في وجه الغاصب، غير أن الرأي السائد أن «آشور بنيبال» كان لا يترك وسيلة دون أن يسلكها لجعل بلاد وادي النيل تدين له بالطاعة. وقد كان «بسمتيك» يعلم ذلك كما يعلم أن الجيش الآشوري سيعود إلى فتح مصر عند فراغه من الثورات والحروب، التي كانت تنشب أظفارها في جهات ممتلكاته الأخرى. ومن أجل ذلك عقد «بسمتيك» محالفةً مع «جيجيز» ملك «ليديا».

والواقع أن الثورات المختلفة قد قامت في أنحاء الإمبراطورية الآشورية وقتئذ، ولا نزاع في أن قيام مثل هذه الثورات المستمرة لا يمكن أن ينتهي دون أن يحط من نفوذ الإمبراطورية. حقًّا إن الرعايا والحلفاء القدامى قد بقوا موالين بعض الشيء لآشور، ولكن البلاد التي أخضعت حديثًا — هذا بالإضافة إلى الممالك المجاورة المستقلة — قد قبلت دون أي تردد ظهر المجن لآشور، ونزعت عنها نير سيادتها أو نبذت الصداقة التي فرضتها عليها، والتي كانت تئن تحت عبئها. ولا غرابة إذن في أن نرى «بسمتيك» صاحب «سايس» — وهو ابن «نيكاو» أحد الأمراء الذين كانوا من أعظم الأمراء المصريين حظوة في البلاط الآشوري — يطرد الحاميات الآشورية، ويخضع أمراء الإقطاع الوطنيين، ويؤلف مرة أخرى مملكة الفراعنة القديمة من أول «الفنتين» حتى صحراء «سوريا» في الوقت الذي لم يكن في استطاعة «آشور بنيبال» أن يقتصد جنديًّا واحدًا يمنعه من عمله هذا، أو يجعله يعود إلى ولائه لآشور. حقًّا إن تفاصيل[٦]

العمل الذي قام به «بسمتيك» مجهولة لنا حتى الآن غير أننا نعلم أن نجاحه يرجع إلى الجنود المرتزقة الذين جلبوا من «آسيا الصغرى».

ولما كان المؤرخون الآشوريون لم يتعودوا التمييز بين الأقوام المختلفة القاطنين على شواطئ بحر «إيجة»، فإنهم قد اعتقدوا أن هؤلاء الجنود المرتزقة قد وردهم إلى فرعون «مصر» والملك الوحيد الذي كان يتعامل معه «جيجز» هو «بسمتيك»، ولكن لم يثبت بعد أنها أدت إلى نتيجة، غير أنه من جهة أخرى تدل كل ما لدينا من معلومات عن حكمه على أنه كان ملكًا جريئًا في المشاريع السياسية، ويميل إلى عقد محالفات مع أقصى البلاد. ولا نزاع في أن الرجل الذي سعى لمحالفة «آشور بنيبال» على «السميريين» لم يكن ليتردد في عقد محالفة بينه وبين «بسمتيك» إذا كان يأمل أنه سيجني أي كسب من وراء ذلك. ولا شك في أنه كانت هناك مبادلات تجارية بحرية بين «أيونيا» أو «كاريا» من جهة و«مصر» من جهة أخرى، وكذلك لم تكن لتقع أية حادثة هامة في الدلتا دون أن يصل خبرها إلى «افيسوس» أو «ميليتس».

وبعد أن طرد «بسمتيك» الجنود الآشوريين من الدلتا أصبحت مملكة سايس مستقلة، ومن ثم أخذ بسمتيك في تحقيق المشروع الذي كان يرمي إليه جده «تفنخت» وهو توحيد كل البلاد المصرية. فبعد أن أعلن نفسه سيدًا على الدلتا عمل على إخضاع مصر الوسطى، وفعلًا لم يمضِ طويل زمن حتى أعلن أمير أهناسيا المدينة ولاءه، ولكن كان لا بد من مفاوضات طويلة صعبة مع «منتومحات» حاكم إقليم طيبة وسيدته المتعبدة الإلهية شبنوبت الثانية التي كانت تحكم طيبة باسم ملك كوش الذي لم يكن يفارق عاصمة ملكه «نباتا» أبدًا. وأخيرًا تم «الاتفاق» على أن يحتفظ كل من «منتومحات» وشبنوبت الثانية بألقابهما، ولكن المتعبدة الإلهية قد أجبرت وقتئذ على أن تتبنَّى نيتوكريس ابنة بسمتيك الأول (راجع Kees zu Innepolitik des Saiten Dynasite, Nachrichten-zur Gottengen Phil-Hist., Klasse 1936. P. 96–106) هذا ولم تكن محيتنوسخت زوج بسمتيك الأول وأم نيتوكريس من فرع ملكي، بل

كان والدها «حورسا أزيس» رئيسًا لكهنة عين شمس (راجع .Daressy, Rec. Trav. XIX P. 21, and XXP. 83–85) وكان اسم «محيتنوسخت» هو اسم جده الملك «شيشنق» الأول (L. R. III. P. 318-319).

وقد أدى توحيد الاسمين إلى الاعتقاد بأن أم نيتوكريس كانت من أصل لوبي. وقد رأينا في أوائل الأسرة الثانية والعشرين أن الرؤساء اللوبيين عندما أصبحوا أسياد مصر قسموا كل الوظائف الإدارية العالية فيما بينهم، وكذلك استولوا لأنفسهم على كل الوظائف الدينية الهامة جدًّا في مصر الوسطى وكذلك في الدلتا. وعلى ذلك فإنه من الجائز أن نفرض أن جد «حورسا أزيس» قد صار في تلك الفترة الكاهن الأكبر للإله رع في هليوبوليس، وأن هذه الوظيفة الرفيعة الشأن قد توارثها على التوالي نسله على الأقل حتى الأسرة السادسة والعشرين، هذا وتشبه ألقاب الملكة «محيتنوسخت» ألقاب ملكات الأسر السابقة. ومن المستحيل التسليم بأنها كانت تحمل لقب المتعبدة الإلهية «شبنوبت» الثالثة أو «نيتوكريس». ويلحظ هنا أن التعبير الزوجة الإلهية العظيمة غير معروف في ألقاب المتعبدات الإلهيات، وعلى ذلك يجب أن نقرأ بصورة أكيدة على تمثال «أبا» الزوجة الإلهية العظيمة (راجع A. S, V. P. 94–9) وهو نعت كثير الاستعمال للملكات في مصر القديمة. ومن جهة أخرى نجد أنه في التماثيل المجيبة الموجودة في متحف برلين L. R. III, 319 note 1; IV P. 82 g & note 3 وهي التي يوجد عليها لقب المتعبدة الإلهية «لامون» تمثال خاص بامرأة تدعى «محيتنوسخت»، غير أنها ليست جدة شيشنق الأول ولا أم نيتوكريس. وعلى ذلك فإن «محيتنوسخت» الثالثة التي نحن بصددها يحتمل جدًّا أنها من أصل لوبي، فقد كانت منصبة في طيبة في وظيفة زوج آمون في خلال الأسرة الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين، كما يشعرنا بذلك النعت الذي تحمله «وهو محبوبة آمون»، وقد وجدناه في طغرائها، غير أن قراءة اسم هذه الملكة ليس محققًا. وهذه التماثيل المجيبة الخاصة بهذه الملكة قد عثر عليها في قبر صاحبتها. والواقع أن الملكة «محيتنوسخت»

لم تقم بسياحة في الوجه القبلي، ولا بد أنها كانت قد دفنت بالقرب من بسمتيك الأول الذي يوجد قبره في سايس (Herod. II, 169)، أما مسألة وجود مقصورة جنازية للملكة محيتنوسخت في مدينة هابو فيمكن حلها بسهولة جدًّا. والواقع أنه يوجد غربي الأثر الجنازي الذي كان خاصًّا بعبادة أمنردس الأولى ثلاث مقصورات صغيرة تؤلف وحدة قائمة بذاتها. (راجع Porter and Moss. II. P. 177, P. 176)، والظاهر أن إقامة هذه المقاصير كان بأمر من المتعبدة الإلهية «شبنوبت الثانية» التي كانت تحتل المقصورة الوسطى، أما المقصورتان الأخريان فقد خصصتا لربيبتيها اللتين تبنتهما وهما على التوالي امنرداس الثانية ونيتوكريس. وقد زينت في مدة حياة أمنردس الثانية المقصورة الوسطى. وبعد موتها تولت نيتوكريس مكانها وقررت الأخيرة أن تستولي على المقصورة الشرقية. وعلى ذلك فإن الموضوع لا يمكن أن يكون خاصًّا بالمتعبدة الإلهية أمنردس الثانية ابنة ملك كوش تهرقا الممقوت — يحتمل أن أمنردس الثانية كانت قد ماتت قبل شبنوبت الثانية، وكذلك من المحتمل أنها كانت قد عادت إلى «نباتا» عندما حلت محلها نيتوكريس — وقد أهدت نبتوكريس — تدينًا منها — المقصورة الغربية لأمها الملكة محيتنوسخت التي توفيت في سايس، وعلى ذلك فإن المجموعة البنائية التي صممتها «شبنوبت الثانية» لنفسها ولابنتيها اللتين تبنتهما لتحلا محلهما بوصف كل منهما متعبدة إلهية قد أصبحت الأثر الجنازي الذي خلفته نيتوكريس.

وفي السنة التاسعة من حكم الملك بسمتيك الأول (عام ٦٥٥ق.م) اليوم الثامن والعشرون من الشهر الأول من فصل أخت — أي فصل الزرع — صدر أمر مختصر بتحريك السفينة المزينة التي كانت تحمل المتعبدة الإلهية نيتوكريس مقلعة نحو طيبة؛ لتتبوأ عرشها الجديد كما سنرى بعد.

وهكذا نرى أنه في حين كان «آشور بنيبال» يشن حربًا على «عيلام» و«كلديا» زحف «بسمتيك» جنوبًا في عام ٦٥٨ق.م واستولى على إقليم «طيبة» دون أن يلاقي أية مقاومة من

«الكوشيين» كما لاقى سلفه «تفنخت» عند محاربة «بيعنخي». والظاهر أن «منتومحات» قد فاوض في تسليم «طيبة»، كما فاوض من قبل في النزول عن أشياء أخرى عدة.

وقد كوفئ على خدمته هذه بأن ثبت في وظيفته، واحتفظت ملكته الزوجة الإلهية بمركزها العالي. على أن «بسمتيك» لو كان قد عاش قبل ذلك بقرن أو قرنين لتزوج من امرأة من سلالة الكهنة، وهذا الزواج كان كافيًا لشرعية توليه الملك. ويقول «ماسبرو»: من المحتمل أنه قد أوجد رابطة فعلية بينه وبين «شبنوبت» بمظهر زواج، ولكن على أية حال فإنه جعلها تتبنى ابنته على حسب السنة التي وضعها الفراعنة «الكوشيون».

والواقع أنها كانت قبل ذلك قد تبنت ابنة أخرى وهي ابنة «تهرقا»، وهي التي عندما غيرت أسرتها سميت باسم «أمنردس» تشريفًا للملكة التي كانت قبل «شبنوبت». وكان «بسمتيك» قد أجبرها على أن تتبنى بدلًا من الأميرة الكوشية «أمنردس» الثانية أميرة أخرى من «طيبة»، وهي «نيتوكريس» ابنته، وهي التي عند تسلمها مهام أمور وظيفتها الجديدة جاء إليها وفد من الأشراف وكهنة «طيبة»؛ ليرافقوها في أثناء رحلتها من «منف» إلى «طيبة» في شهر «طوبة» من السنة التاسعة من حكم والدها.

وقد قدمها لهم «بسمتيك» رسميًّا، وبعد أن استمع السفراء إلى خطابه ردوا عليه بالمدائح المعتادة ذاكرين بهاءه وكرمه قائلين: «إنها ستبقى ما بقيت الدنيا، وإن كل ما تأمر به سيخلد. ما أجمل ما فعله الإله لك، وما أفخر ما فعله والدك الإلهي لك! وإنه مسرور بأن روحك سيحتفل بها، وإنه ينشرح بالنطق باسمك؛ لأن سيدنا «بسمتيك» قد قدم هدية لوالده «آمون»، فقد أهداه كبرى بناته وهي ابنته المحبوبة «نيتوكريس» «شبنوبت الثالثة»؛ لتكون زوجه الإلهية ولتلعب بالصناجات أمامه.» وفي الثامن والعشرين من شهر «طوبة» غادرت الأميرة الخدر مرتدية الكتان الجميل ومحلاة بزينة من الفيروزج، ونزلت إلى الثغر يتبعها حشد ضخم؛ لتذهب إلى

موطنها الجديد. وقد سهل عليها وعثاء السفر أنه قد أقيمت لها محاط على طول النهر في أماكن متتابعة،[٧] ولم يمضِ أكثر من ستة عشر يومًا حتى بدت أمامها مشارف «طيبة». وغادرت سفينتها في الرابع عشر من شهر «كيهك» بين تصفيق الأهلين وترحابهم قائلين: «إن ابنة ملك الجنوب «نيتوكريس» تأتي إلى مثوى «آمون» حتى يمكن أن تكون ملك يمينه ويضمها إلى نفسه، إن ابنة ملك الشمال «شبنوبت» تأتي إلى معبد «الكرنك» لأجل أن يتغنى الآلهة بمديحها.» وعلى إثر رؤية «شبنوبت» المسنة ابنتها أحبها أكثر من كل شيء، وقدمت لها مهرًا يعادل المهر الذي منحه إياها والدها، ومثل الذي منحته ابنتها الأولى «أمنردس» الثانية.

هذا وقد تبارى عظماء «طيبة» ومن بينهم «منتومحات» المسن وابنه «نسبتاح» وكهنة «آمون» في تقديم الهدايا لها ترحيبًا بمقدمها، وقد كان «بسمتيك» من جانبه غاية في السخاء. ولا شك في أن المعابد المصرية قد منحت الأميرة دخلًا سنويًّا من محاصيلها أو أغدقت عليها منحًا من البيوت والأراضي، مما كان يتألف منه إرث ضخم قد عزى بعض الشيء أهل «طيبة» عن خضوعهم إلى حكم أسرة يرجع أصلها إلى مدن الشمال (راجع A Z, XXXV. P. 24).

وقد قلدت مهام كل الإمارة الطيبية، وبعد ذلك أصبحت كل مصر مرة أخرى من سواحل «البحر الأبيض المتوسط» حتى صخور «الشلال الأول» موحدة تحت صولجان ملك واحد مصري. وقد تبع حركة الضم هذه جزء صغير من بلاد النوبة وهو الجزء القريب جدًّا من «الفنتين»، غير أن الجزء الأعظم من هذه البلاد أبى أن ينفصل عن بلاد «كوش». وكانت تنحصر أملاك الكوشيين في الأقاليم الواقعة على المجرى الأوسط لنهر النيل، وكانوا منفصلين عن باقي العالم بالصحراء و«البحر الأحمر» ومصر. ومن المحتمل أنهم بعد طردهم من مصر لم ينفكوا عن شن الغارات أملًا في استرداد ما فقدوه.[٨] والواقع أن سكان إقليم «طيبة» كانوا يرون في «الكوشيين» أنهم الممثلون الأمناء لأخلاف «آمون» الشرعيين؛ ولذلك كانوا في قرارة أنفسهم لا

يزالون على ولائهم لهم. ومن المحتمل أنهم كانوا من وقت لآخر يفلحون في غاراتهم حتى يصلوا إلى العاصمة القديمة، غير أنهم إذا كانوا فعلًا قد أفلحوا في تحقيق هذا الغرض فإنه لم يكن إلا فلاحًا مؤقتًا غير دائم، وأن مقامهم هناك لم يترك أية آثار باقية. على أن الأسباب التي مزقت شمل العناصر التي تألفت منها وحدة مصر الكبرى في نهاية العصر الطيبي، كانت لا تزال تعمل عملها في العصر «الساوي»؛ لتكوين بناء الإمبراطورية المصرية من جديد، وذلك أن حفظ توازن القوة في هذا الوادي الطويل الضيق كان يتوقف على نقطة الجاذبية فيه، وعلى أن يكون مقر الحكومة فيه في نقطة وسط بين طرفيه. وقد كان هذا الشرط متوفرًا ما دامت عاصمة الملك في «طيبة»، ولكن نقل عاصمة البلاد إلى الدلتا سبب ضياع الأقاليم الجنوبية وفصلها عن البلاد، فنقل العاصمة فجأة إلى أقصى الجنوب وجعل مقرها مؤقتًا في «نباتا» قد سبب بضرورة الحال نفس التأثير؛ مما أدى إلى فصل الأقاليم الشمالية بسرعة.

وفي كل من الحالتين نجد أن الأسرة التي كانت تتخذ مقرها في أقصى حدود الإمبراطورية، في الجنوب أو في الشمال لم يكن في مقدور ملوكها أن يقوموا بأعباء الجهة الأخرى البعيدة عن مقر الملك؛ ولذلك فإنه عندما كان يختل الميزان بعض الشيء يعجز الملك الحاكم وقتئذ أن يعيد التوازن إلى ما كان عليه، ومن ثم كان يحدث انحراف مفاجئ في ميزان الحكومة.

والواقع أن النصر الباهر في ظاهره الذي أحرزه «بسمتيك» كان في حقيقة الأمر القضاء المبرم على كيان الإمبراطورية، التي بدأ بتكوينها ملوك الأسرة الثانية عشرة، والتي بلغت ذروتها في عهد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، فقد محيت «مصر الكبرى» — التي كانت تتكون من مصر وكوش وبلاد آسيا — بعد أن استمرت شامخة الذرا ما يقرب من عشرين قرنًا من الزمان، وحلت محلها «مصر الصغرى» للمرة الأولى في التاريخ. وتدل الآثار على أن هزيمة الأمراء الحربيين الشماليين، وضم إمارة «طيبة» التي كان يسيطر عليها «آمون» وطرد «الكوشيين» و«الآشوريين» نهائيًّا من «مصر» لم يستغرق أكثر من تسع سنين، غير أن هذه الأعمال

العظيمة التي حققها «بسمتيك» لم تؤلف إلا جزءًا صغيرًا من مشاريعه العظيمة. إذ كان واجبه بعد ذلك ينحصر في إعادة الرخاء إلى بلاده، أو على أية حال كان عاقدًا آماله على أن ينتشلها من البؤس الذي استمرت ترزح تحت عبئه قرنين من الزمان قضتها في حروب داخلية وغزوات خارجية. وقد تأثرت — في خلال تلك الفترة الطويلة من تاريخ البلاد — المدن الكبيرة تأثرًا بالغًا. فقد حاصر «بيعنخي» مدينة «منف» ومن بعده حاصرها «أسرحدون»، وكذلك نهبت مدينة «طيبة» مرتين على يد جنود «آشور بنيبال»، وقد كان خرابها في المرة الثانية شاملًا مما جعلها مضرب الأمثال، هذا إلى أنه لم توجد مدينة من مدن مصر من أول «أسوان» حتى «بلزيوم» لم تصل إليها أيدي التخريب، سواء أكان ذلك على أيدي الأجانب أم المصريين أنفسهم.

حقًّا إن مصر قد أخذت تتنفس الصعداء بعض الشيء في عهد ملوك «الكوشين»، وبخاصة في مدة حكم كل من «شبكا» و«تهرقا» غير أنها لم تلبث بعد عهد الأخير أن عادت إلى سيرتها الأولى من الحروب الداخلية والغزو الأجنبي؛ مما أدى إلى إهمال حفر الترع وإقامة السدود، وتراخي الشرطة في حفظ الأمن، وكذلك أخذ عدد السكان يتناقص أو كانوا يضطرون إلى الاحتماء في المعاقل؛ مما أدى إلى إهمال فلاحة الأرض، ومن ثم انتشر القحط فزاد الطين بلة. وكان ظهور «بسمتيك» في هذه اللحظة حاسمًا إذ إنه بعد أن أجبر أمراء الإقطاع على الخضوع إلى سلطانه، حرمهم ألقابهم الملكية التي كانوا يدعونها بدون حق، وما أشبه اليوم بالبارحة. هذا إلى أنه لم يقضِ نهائيًّا على الحروب الداخلية التي كانت تقوم بين حاكم مقاطعة وجاره، ولم يترك لهم من السلطان في مقاطعاتهم إلا وظائفهم الوراثية، وهي التي كان يتمتع بها أجدادهم في الأزمان الغابرة في العهد «الكوشي». والواقع أنه قد كشف عن سجلات بعض أشخاص، تدل أسماؤهم وأحوالهم على أنهم كانوا منحدرين من أمراء شبه مستقلين من العهد «الكوشي» والعهد «اللوبي». فمن هؤلاء شخص يدعى «اكنشو» الذي كان أمير «سمنود» في عهد

«بسمتيك» الأول (راجع Naville, The Mound of the Jews of the City of Onias PP. 14–25, P. 1. v).

ومن المحتمل أنه كان حفيد «اكنشو» أمير نفس المدينة في عهد «بيعنخي» (راجع نقوش «بيعنخي» سطر ١١٥)، وكذلك نجد أن «شينشق» صاحب «بوصير»، ويحتمل أنه من نسل «شيشنق» أمير «بوصير» في عهد «بيعنخي» أيضًا (راجع Naville, Ibid. P. 28, P. 1. VII).

وقد كان من نتائج هذه الإجراءات التي اتخذها «بسمتيك» أن ساد السلام والأمن، مما مهد الطريق أمام الفلاحين إلى مزاولة أعمالهم العادية بقلوب فرحة مطمئنة، ولا نزاع في أن زراعة أرض مثمرة خصبة، كالتربة المصرية سنتين أو ثلاثًا كان في خلالها الفلاح يعمل، وهو مطمئن من غارات المغيرين الذين كانوا يعيثون في الأرض فسادًا، كانت كافية إلى إعادة الرخاء إن لم تكن الثروة إلى البلاد. وقد نجح «بسمتيك» في تحقيق تلك الضمانات وغيرها من الفوائد لمصر، ويرجع الفضل في ذلك إلى الصرامة واليقظة والحزم، التي اختطها لنفسه في إدارة البلاد، على أنه لم يكن في استطاعته أن ينجز هذه الإصلاحات، لو اعتمد فقط على القوى التي كانت في متناول أسلافه، وأعني بذلك الجنود الوطنيين الذين أفسد الفقر أخلاقهم، وكذلك الجنود المرتزقين من «اللوبيين»، الذين فقدوا كل نظام وهم الذين كانت تتألف منهم جيوش الدولتين «التانيسية» و«البوبسطية»، وكذلك جيوش أمراء الإقطاع في الدلتا ومصر الوسطى. وقد عقد «بسمتيك» العزم بعد تجربته لهذين الصنفين من الجنود أن يبحث عن عماد يرتكز عليه في حروبه أحسن من هؤلاء، ومنذ أن قادته الصدف إلى الاختلاط «بالأيونيين» و«الكاريين»، أحاط نفسه بجيش منظم من الجنود المرتزقين من هؤلاء «الإغريق» و«الكاريين» وكذلك «الآسيويين».

والظاهر أن الفزع الذي أحدثه ظهور هؤلاء الجنود المرتزقة من «الإغريق» و«الكاريين» كان عظيمًا جدًّا في عقول أقوام أفريقيا، ولن يكون في مقدورنا أن نصف مقدار أثر الثورة التي أوجدها هؤلاء الجنود في السلم أو في الحرب في الحكومات الشرقية (راجع Mallet, Les premiers Etablissements des Grecs en Egypte PP. 38–45) (انظر شكل رقم ٣).

والواقع أن هجوم المشاة «الأسبان» على مشاة الجنود «المكسيك» و«بيرو»، لم يكن ليسبب ذعرًا أكثر من الذي سببه جنود «الإغريق» المدججون بالسلاح — الوافدون من وراء البحار — للرماة المصريين نصف العراة و«اللوبيين» المرتزقة، ولا نزاع في أن هؤلاء الجنود «الإغريق» بزردياتهم البارزة، وهي التي كانت تحمي صفحتاها الظهر والصدر، ودروعهم المصنوعة من قطعة واحدة من البرونز، وتصل من الكعب إلى الركبة ودرقاتهم المربعة أو البيضية المغطاة بالمعدن، وقبعاتهم الثقيلة الوزن المستديرة المحكمة تمامًا على الرأس والرقبة والمحاطة بأعراف من الريش المتماوج، كانوا في حقيقة الأمر رجالًا قُدُّوا من نحاس فلا يمكن أن يصل إلى أجسادهم أي سلاح شرقي. وقد كانوا عندما يصطفون في صفوف متراصة تحت دروعهم يتلقون وابلًا من السهام والأحجار، دون أن يصيبهم أي أذى من المشاة الذين كانت أسلحتهم خفيفة، وعندما ينفخ لهم في الأبواق إيذانًا بالهجوم ينقضون بكل قواهم على كتل الأعداء ملوحين بحرابهم من فوق حافة تروسهم، فلم يكن في استطاعة قوة من الجنود الوطنيين أو فرق «المشوش» أن تقف أمامهم، بل كانوا يتأرجحون من هول الهجوم ولا تمضي إلا لحظة حتى يستسلموا مهزومين. وقد عرف المصريون أنه ليس في استطاعتهم التغلب عليهم إلا بأعداد كبيرة تفوق عددهم أو بالحيلة، ولا غرابة إذن في أن نرى حكام الإقطاع يحجمون عن طلب الانتقام من «بسمتيك»، عندما ثبت لهم أن قوتهم الحربية تتضاءل أمام قوته. على أنهم لو أرادوا أن يكونوا على قدم المساواة من حيث القوة لكان عليهم إما أن يستخدموا جنودًا مثل جنوده،

وهذا لم يكن لهم قبل به، وإما أن يغروا الجنود الذين كان يستخدمهم مليكهم إلى جانبهم، غير أن السخاء الذي عامل به «بسمتيك» جنوده المرتزقة جعلهم يخلصون في خدمته، إذا كان الشرف العسكري وحده ليس كافيًا لجعلهم مخلصين لسيدهم. فقد منحهم «بسمتيك» كما منح مواطنيهم الذين اجتذبتهم شهرة مصر إقطاعات من أرض الدلتا الخصيبة الممتدة على الفرع «البلوزي» للنيل، وقد اتخذ الحيطة في أن يفصل بين إقطاع «الإغريق»، وإقطاع الجنود «الكاريين» بعرض كل النيل، وهذا كان إجراء يعد حيطة حازمة؛ وذلك لأن اجتماعهم تحت علم واحد كان يزيد بل ويلهب ما بينهم من حقد متوارث، هذا إلى أن سلطان القائد لم يكن دائمًا كافيًا لمنع نشوب شجار تراق فيه الدماء بين فرق جنود من قوميات مختلفة.

ويقول في ذلك «هيردوت» (راجع Herod., II, 154): وقد أعطى «بسمتيك» «الأيونيين» وأولئك الذين ساعدوه أراضي متقابلة يجري النيل بينها فاصلًا، وهذه الأراضي قد سميت «معسكرات». وقد منحهم غير هذه الأراضي كل ما وعدهم به، وفضلًا عن ذلك وضع أولادًا مصريين تحت رعايتهم؛ ليتعلموا اللغة الإغريقية، ومن أولئك الذين تعلموا اللغة الإغريقية نَسَلَ المترجمون الحاليون. وقد استمر «الأيونيون» و«الكاريون» مدة طويلة يسكنون هذه الأراضي وهي واقعة بالقرب من البحر على مسافات قليلة في أسفل مدينة «بوبسطة» على فرع النيل الذي يسمى الآن الفرع «البلوزي». وهؤلاء نقلهم فيما بعد الملك «أحمس الثاني»، وأسكنهم «منف» متخذًا منهم حرسه ضد «الميليزيين». ومنذ أن سكن هؤلاء القوم مصر وجدنا المصريين على نضال مستمر معهم، ومن ثم أصبحنا نعرف بالضبط كل ما كان يحدث في مصر منذ بداية حكم «بسمتيك»، وكان هؤلاء حتى هذا الوقت هم أول قوم سكنوا مصر يتحدثون لغة مختلفة. وكانت أحواض مراكبهم وخرائب مباينهم ترى في زمني في الأماكن التي نزحوا عنها. وهكذا أصبح «بسمتيك» سيد مصر. وهؤلاء الجنود كانوا فضلًا عن ذلك يسكنون بانتظام معسكرات محوطة بخنادق حولها سور ذو جدران سميكة، تحتوي على مجموعة من

الأكواخ المصنوعة من الطين، أو بيوت مقامة من اللبنات، وكان هذا السور كله يشرف عليه قلعة يحتلها رجال القيادة وقائدهم، كما كانت الحال في «دفنى» = «أدفينا» التي كشف عن حرائبها الأستاذ «بتري» في «تل أدفينا» الحالي (راجع W. Plinders Petrie, Nebrsheh and Defenneh PP. 47–67).

أهالي «ميليتوس» Miletus[٩] وجود مواطنيهم في مصر، فساحوا بسفنهم التي كانت تتألف من إحدى وثلاثين قطعة في فرع النيل «البولبيتي»، وهناك أسسوا مستعمرة أطلقوا عليها اسم حصن «الميليزيين». وقد ذكر لنا «استرابون» قصة تأسيس هذا الحصن، حيث نجد أنه قد خلط ذلك بتأسيس مستعمرة «نقراش» (راجع Strabo, XVII, 1 § I8, P. 801) غير أن المؤرخ «مالت» يميل إلى أن هذه الحادثة قد وقعت قبل العصر «الساوي»، كما سترى بعد (راجع Mallet, Les Premiers Etab. des Grecs en Egypte PP. 28–34, 37, 38 etc).

وقد قفا أثر هؤلاء المستعمرين جماعات متتابعة من المهاجرين إلى هذه الجهة مما قوى هذه المستعمرة الناشئة، وفضلًا عما ذكره «هيردوت» جعل الملك بعض «الإغريق» يعلمون المصريين اللغة الإغريقية. ويؤكد لنا «ديدور» أن «بسمتيك» قد ذهب إلى أبعد من ذلك، فربى أولاده هو تربية إغريقية (Diodorus 1, 67)، ومن الجائز بل ومن المحتمل أنه قد علمهم اللغة الإغريقية. ولدينا في المُتْحَف المصري تمثال «أبيس» أهداه مترجم، نقش عليه متن باللغتين «الهيروغليفية» و«الكارية» (راجع Mariette, Monuments divers Pl. 106. a. & P. 30; & maspero Guide du Vesiteur, P. 180 no. 1576).

ولقد أدى انتشار «اللغة الإغريقية» إلى جعل التعامل التجاري والثقافي بين البلدين سهلًا ميسورًا. وكان على ما يظهر غرض «بسمتيك» من اختلاط رعاياه برجال هذه الأمة التي

اشتهر رجالها بالنشاط والجد والإقدام، وقوة الشباب المتوقدة أن يبعث فيهم روح التحلي بالصفات التي شاهدها في هؤلاء المستعمرين، غير أن مصر كانت قد ذاقت الألم الموجع من الأجانب من كل صنف، فلم تكن على استعداد لمصافاة هؤلاء الأجانب الجدد الوافدين عليها، وربما كانت الحالة تختلف لو كان هؤلاء «الإغريق» و«الكاريون» قد قدموا أنفسهم في تواضع كما حدث مع «الآسيويين» و«الأفريقيين» الذين فتحت لهم مصر أبوباها على مصاريعها بعد عهد الأسرة الثامنة عشرة، أو إذا كانوا قد انتحلوا مظاهر الخضوع، والمسكنة التي أظهرها تجار «فنيقيا» وبلاد اليهود، ولكن هؤلاء قد نزلوا من سفنهم مدججين بأسلحتهم معجبين بشجاعتهم وقدرتهم مناهضين المواطنين الأصليين للبلاد، سواء أكانوا من عامة الشعب أو من علية القوم، وذلك بفضل ما حباهم به الفرعون من حظوة.

وقد أصبحوا موضع كره المصريين والغيرة منهم من جراء لغتهم التي كانوا يتحدثون بها، وحيلهم الخداعة في معاملاتهم التجارية، وكذلك من جراء الدهشة التي أظهروها من حضارة البلاد المصرية، يضاف إلى ذلك أن الطعام الذي كانوا يأكلونه جعلهم نجسين في نظر الأهلين، حتى إن الفلاح البسيط كان ينفر من الاختلاط بهم خوفًا من تدنيس نفسه، فكان يتحاشى الأكل معهم أو استعمال السكاكين أو الآنية التي استعملوها.

وفي ذلك يقول «هيردوت» (راجع Herod. II. 41): وعلى ذلك كان كل المصريين يضحون بذكر البقر والعجول النظيفة، ولم يسمح لهم بتضحية أنثى البقر؛ لأنها كانت مقدسة عند الإلهة «إيزيس»؛ وذلك لأن صورة «إيزيس» كانت تصور في هيئة امرأة بقرني بقرة كما يمثل «الإغريق» الإلهة «أو» IO[١٠] وكذا كل المصريين على السواء يظهرون احترامًا عظيمًا للبقرات أكثر من أي ماشية أخرى، وعلى ذلك لم يسمح لأي رجل مصري أن يقبل إغريقيًّا من فيه، أو يستعمل سكينًا أو سفودًا أو قدرًا إغريقيًّا أو يذوق لحم ثور طاهر قطعه سكين «إغريقي». هذا وإن كان الكتاب المصريون وأفراد الطبقة العليا مندهشين من جهلهم،

فيعاملونهم معاملة الأطفال الذين ليس لهم ماضٍ، وأن أجدادهم الذين يرجع عهدهم إلى أجيال قليلة إلى الوراء كانوا مجرد متوحشين — وكان المصري يسمي كل فرد ليس مصري الجنس همجًا.

وعلى الرغم من أن هذا العداء للإغريق لم يكن في بادئ الأمر سافرًا، فإنه لم يلبث طويلًا حتى أصبح علنًا، وقد نسبته التقاليد الساوية إلى حركة قوامها جرح كبريائهم، وذلك أن «بسمتيك» عندما أراد أن يكافئ شجاعة جنوده من «الأيونيين» و«الكاريين»، قربهم إلى شخصه ومنحهم مرتبة الشرف في جناح جيشه الأيمن عندما كان يستعرض جيشه للواقعة (راجع Diodorus Siculus, I, 67)، كما حدثنا بذلك «ديدور الصقلي» إذ يقول: إن الملك في أثناء حروبه في «سوريا» قد حبا جنوده المرتزقة. غير أن الأثري «فيدمان» يعارض ذلك الرأي ويخطئه (راجع Weidemann-Herodots Zweites Buch PP. 128).

وعلى حسب الرأي الأول كان الجنود المرتزقة يجنون فائدة مزدوجة من الفخار الذي كانوا يقدرونه كثيرًا، ومن الأجر العالي الذي كان يتسلمه حامل لقب «الحرس الملكي»، وقد حدثنا «هردوت» عن تفاصيل الأجور العالية التي كان يتسلمها كل جندي منهم (راجع Herod. II 168).

وقد أُعطي هؤلاء وحدهم دون كل المصريين باستثناء الكهنة كثيرًا من الميزات الخاصة، فقد مُنح كل فرد منهم اثني عشر أرورا خالية من الضرائب، والأرورا تعادل مائة ذراع مربعة، والذراع المصري تساوي ذراع ساموسي، وهذه الامتيازات وكانوا يعطونها ولكن آخرين كانوا يتمتعون بها بالتبادل، ولم يتمتع بها نفس الشخص أكثر من مرة قط. وقد كان ألف من جنود الكلازير، ومثلهم من جنود الهرموتيبي يخدم كل منهم سنة في الحرس الملكي، وقد أُعطي هؤلاء على حسب ذلك الجرايات اليومية التالية، غير الأرورات التي منحوها: وزن خمسة مينات من

الخبز المعجون ومينات من اللحم البقري وخمسة aryster من النبيذ. وهذه كانت الجراية الدائمة للحرس الملكي.

غير أن الجنود الذين كانوا يتمتعون بهذه الميزات حتى الآن أخذوا بطبيعة الحال يتذمرون، ويظهرون غضبهم بسبب فقدانها وقد حدث ظرف مقلق بوجه خاص دعاهم إلى عصيان الحكومة في آخر الأمر، وذلك أن الحدود الشرقية والجنوبية للبلاد المصرية كانت مشتركة مع حدود الدولتين «الآشورية» و«الكوشية» على التوالي، ومن جهة الغرب كانت القبائل «اللوبية» القاطنة على سواحل «البحر الأبيض المتوسط» قوية لدرجة تدعو إلى اليقظة المستديمة من جهة حاميات الحدود المصرية. وكان من بين الإصلاحات التي قام بها «بسمتيك» أنه أعاد نظام طريقة الدفاع القديمة، ففي حين أنه قد وضع نقط حراسة عند مدخل الممرات المؤدية من الصحراء إلى وادي النيل، فإنه قد ركز فرقًا عظيمةً من الجنود عند النقط الضعيفة الثلاث التي كان يمكن للعدو أن ينفذ منها إلى داخل البلاد بسهولة، وهي منافذ الطرق المؤدية إلى «سوريا» والإقليم الذي يحيط ببحيرة «مريوط» ثم «الشلال الأول».

ومن أجل ذلك حصن بلدة «دفني»[11] — تل أدفينا الحالي — الواقعة بجوار مدينة «زالو» القديمة؛ لتكون نقطة دفاع في وجه «الآشوريين» وحصن «مرا» لدفع عدوان أهل بدو بلاد «لوبيا» وحصن «الفنتين» لمقاومة أي هجوم من بلاد «كوش». وهذه الحاميات الأمامية كانت مجهزة بجنود وطنيين، وكانوا يقيمون هناك لمدة سنة ثم يحل محلهم غيرهم، وقد كان نفيهم لمدة طويلة كهذه بعيدين عن أسرهم سببًا في إشعال نار حقد عميق في نفوسهم على الجنود الأجانب، ولكن زاد الطين بلة أن تركهم «بسمتيك» ثلاث سنوات في هذه الحاميات، دون أن يرسل إليهم جنودًا يحلون محلهم، فغضبوا غضبًا لا حد له، وعزموا على أن يضعوا حدًّا لهذه المعاملة القاسية. ولما كان أملهم في القيام بثوة ناجحة ضعيفًا وطدوا العزم على هجر بلادهم كلية،

فاجتمع أربعون ومائتا ألف منهم في يوم معلوم، ومعهم أسلحتهم ومتاعهم وساروا في نظام نحو بلاد «كوش».

وقد علم «بسمتيك» بمقاصدهم في وقت متأخر وأسرع في أثرهم يرافقه حفنة من أتباعه، وعندما لحق بهم رجاهم ألا يهجروا آلهتهم وأزواجهم وأولادهم. وكاد ينجح في إغرائهم بالعودة إلى وطنهم لولا أن جنديًّا بإشارة معبرة منه بعضو التذكير قال: إنه ما دامت الرجولة باقية، فإنه يكون لديه القوة لإنشاء أسر جديدة في أي مكان تؤدي بهم الصدفة إلى سكناه (راجع Herod., II P. 30).

وتفاصيل هذه القصة تدل على أنها أسطورة شعبية، ومع ذلك فإنها تحمل في ثناياها نواة من الحقيقة، ولا أدل على ذلك من أن قوم «المشوش» الذين ظهروا من عهد «مرنبتاح»، ولعبوا أدوارًا هامة في تاريخ البلاد في عهد الدولة الحديثة، وما بعدها لم يأتِ ذكرهم في النقوش المصرية منذ عهد «بسمتيك» وما بعده، ومن ثم يمكن القول: إنهم هم ورؤساؤهم قد اختفوا من البلاد، وكذلك قُضي على الشقاق والسرقة في الحال في المقاطعات المصرية، ومن المحتمل جدًّا أن المشاغبين منهم هم الذين غادروا البلاد في الحالة الخاصة التي قصصنا قصتها فيما سبق. وقد رأى هذا الفريق الذي هاجر إلى بلاد «كوش» أنه لم يعد في مقدورهم التفوق على مناهضيهم من «الإغريق»، فأيقنوا أن دورهم في تاريخ البلاد قد انتهى، وأن الأكرم لهم أن يغادروا البلاد كتلة واحدة عن أن يقوموا فيها بدور ثانوي. وقد عارض في صحة هذه القصة «فيدمان» (راجع Aegyp. Gesch. PP 617-618) في حين أن «ماسبرو» يعتقد بأن لها أصلًا تاريخيًّا (راجع Etudes de Myth. Et D, arch. Egyptiennes vol. III P. 398–402) والآن بعد أن تحدثنا عن هذا الحادث إجمالًا يجب أن نتناوله بشيء من التفصيل لأهميته، فنورد أولًا ما قاله «هيردوت» حرفيًّا ثم نستعرض ما جاء في نقده:

(١) ذكر «هردوت» هذه القصة في أثناء حديثه عن بلاد «النوبة» (راجع Herod. II, 30)، فبعد أن تكلم عن مدينة «مروى» يقول: «وإذا سحت من هذه المدينة — أي مروى — فإنك تصل إلى إقليم «أوتومولي» في مدة من الزمن تساوي المسافة التي أخذتها في مجيئك من «الفنتين» إلى عاصمة «الأثيوبيين»، وهؤلاء «الأتومولي» يطلق عليهم اسم «أسماك Asmak »، وهي بلغة الإغريق تعني «هؤلاء الذين يقفون على يسار الملك»، وهؤلاء وعددهم أربعون ومائتا ألف من قبائل الحرب ثاروا ذاهبين إلى «الأثيوبيين» في المناسبة التالية، وذلك أنه في عهد الملك «بسمتيك» كانت توضع حاميات في «الفنتين» لمواجهة «الأثيوبيين»، وأخرى في «بلزيوم» و«دفني» لمواجهة «العرب» و«السوريين» وثالثة في «ماريا» لمواجهة «اللوبيين»، وحتى في زمني كانت حاميات من الفرس موضوعة في نفس الأماكن، كما كانت في عهد «بسمتيك»؛ وذلك لأنها تقوم بالحراسة عند «الفنتين» و«دفني» — أدفينا الحالية — وحدث أن هؤلاء المصريين قاموا بنوبتهم في الحراسة ثلاث سنين لم يحل محلهم آخرون، فتشاوروا فيما بينهم، ووصلوا إلى قرار بالإجماع نتيجته أنهم خرجوا على «بسمتيك» وذهبوا إلى «أثيوبيا»، وعندما لحق بهم رجاهم بحجج عدة، واستحلفهم بأن لا يهجروا آلهة آبائهم وأطفالهم وأزواجهم، ولكن يقال: إن واحدًا من بينهم قد كشف عن عورته وقال: «إنه في أي مكان توجد هذه، فإنها ستجد أطفالًا وزوجات.» وهؤلاء الرجال قدموا خدماتهم لملك «الأثيوبيين»، عندما وصلوا إلى «أثيوبيا» وقد كان بعض الأثيوبيين ساخطين عليه فأمر الرجال الوافدين بطرد هؤلاء، وبأخذ أرضهم مكافأة لهم، وباستقرار هؤلاء الرجال بين الأثيوبيين أصبح الأثيوبيون أكثر تمدينًا، وتعلموا طبائع المصريين.»

(٢) كان أكبر المُعارضين لفكرة خروج هؤلاء الأجناد من «مصر» إلى بلاد «أثيوبيا» الأثري «فيدمان» (راجع Wiedemann, Geschichte Aegyptens vom Psammetich

I, bis auf Alexander des grossen P. 136 sqq.; Herodots Zweites .(Buch. P. 131 ff.

وأهم اعتراض لهذا الأثري «أنه من المستحيل على حاميات «دفني» و«ماريا» أن يخترق جنودها كل البلاد المصرية من الشمال إلى الجنوب، دون أن يستوقفوا في أثناء مسيرهم، وأنه إذا كان رجال هذه الحاميات على جانب عظيم من القوة؛ لينفذوا هذا الخروج المظفر، فإنهم لم يكونوا في حاجة إلى نفي أنفسهم إلى أعماق بلاد «أثيوبيا»، بل كانوا يبقون في مصر ويؤسسون لأنفسهم ولرؤسائهم حكومة أو عدة حكومات مستقلة.»

والواقع أن هذه الحجة ليست دامغة؛ وذلك لأننا لا نعرف القدر الكافي من تفاصيل هذه الثورات التي أدت إلى تأسيس الأسرة السادسة والعشرين؛ حتى يحق لنا أن نقول: إن «بسمتيك» كان تحت تصرفه العدد الكافي من الرجال لمنع هؤلاء الجنود الأفريقيين من مغادرة البلاد في ذلك الظرف الغامض، ولم يكن في مقدوره أن يكون معه إلا عدد صغير من الجنود المرتزقة «الإغريق» و«الكاريون»، ومن جهة أخرى فإن الثائرين قد علمتهم تجارب الحروب الحديثة احترام الجنود المدججين بالسلاح، وأن حربًا طويلة مع هؤلاء ليس فيها ما يبشر بأي نصر لهم، وعلى ذلك فإنه كان من الأوفق لهم أن ينتهزوا فرصة ضعف الملك المؤقت؛ ليذهبوا بأقصى سرعة قبل أن يجمع معظم جيشه الأجنبي ويمنعهم، وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الهجرة قد وقعت فعلًا؛ لأنه كما أسلفنا نجد أن ذكر قوم «المشوش» قد اختفى أثره في تاريخ البلاد منذ عهد «بسمتيك». وفي اعتقادي أن هؤلاء هم القوم الذين تتألف منهم جنود الحاميات الفارون إلى بلاد «أثيوبيا»، ولا غرابة في ذلك فإن هؤلاء القوم كانوا منذ الأسرة الحادية والعشرين يؤلفون الحرس الملكي.

وفي عهد الأسرة الثانية والعشرين استولوا على زمام الحكم في البلاد، وكان لهم حاميات في كل مقاطعات البلاد، تتألف جنودها من رجال «المشوش» أيضًا، وحتى بعد أن سقطت دولة «اللوبيين» في مصر وجدنا أن حكام المقاطعات استمروا أسياد البلاد في الخفاء، وقد بقيت هذه الحال حتى نهاية العهد الآشوري. ولن نستغرب أن «بسمتيك» عندما استولى على زمام الأمور في البلاد، بدأ يفكر في القضاء على هذه الفئة التي كان في قبضتها زمام الحكم فعلًا، فبدأ أولًا بوضعهم في حاميات بعيدة على الحدود، ثم هجرهم مدة في تلك البقاع النائية عن البلاد، وفي خلالها أخذ يعد جيشه من الإغريق والكاريين؛ ليقضي على جنود «المشوش» القضاء المبرم، وهذا هو نفس ما عمله «محمد علي» عندما أخذ يدرب جيشًا من أهل البلاد؛ ليقضي به على أمراء المماليك الذين كانوا أصحاب الحل والعقد في مختلف مديريات القطر المصري. وبعد أن أعمل فيهم السيف في مذبحة القلعة فرت البقية الباقية منهم إلى «الوجه القبلي»، فطاردهم هناك ففروا إلى بلاد «النوبة» حتى وصلوا إلى «دنقلة» (راجع تاريخ مصر من الفتح العثماني ص١٣١).

ومن المحتمل جدًّا أن هؤلاء «المشوش» كانوا قد بدءوا يشعرون بما كان يدبره لهم «بسمتيك»، فآثروا النجاة بأنفسهم إلى بلاد «أثيوبيا»، وبخاصة أنهم كانوا على ما يظهر يأملون في أن يعيد ملوك «أثيوبيا» فتح مصر من جديد بسهولة لما كان بين «الكوشيين» و«المصريين» من وحدة في الدين والجنسية. وقد أراد «بسمتيك» أن يستدرجهم كما استدرج «محمد علي» المماليك إلى القلعة، وأعمل السيف في رقابهم، ولكنهم فطنوا لذلك عندما أتى يستعطفهم، ويطلب إليهم العودة إلى آلهتهم وأوطانهم وأولادهم، فأجابوه بأنهم برجولتهم يمكنهم أن يؤلفوا أسرًا ووطنًا في أي مكان يحلون فيه، وبذلك خاب تدبير «بسمتيك» للفتك بهم جملة. على أن فرارهم إلى بلاد «أثيوبيا» كان فيه نفع للقطرين، وذلك أنهم بوجودهم بين ظهراني «الكوشيين» أفادوهم فنقلوا

إلى هذه البلاد كثيرًا من الحضارة المصرية، كما يقول «هيردوت» كما أنهم بثوا الروح المصرية في بلاد «كوش».

ومما سبق يظهر أن قصة هؤلاء الجنود ليس فيها من الغرابة شيء، وبخاصة أن لها نظيرتها في تاريخ البلاد الحديث.

والواقع أن تخلص مصر من هؤلاء القوم قد جاء في وقته المناسب؛ وذلك لأن مصر كانت في حاجة حتى هذه اللحظة إلى أن تسترد مكانتها الحقة بين دول العالم، ووجودهم جنبًا لجنب مع جنود بسمتيك الأجانب كان يعد عقبة لا بد من إزالتها إذا أراد تنظيم جيشه على أساس متين في جوٍّ صاف. والظاهر أن «بسمتيك» لم يعتمد كثيرًا على فرقه الذين جندهم من الوجه القبلي، وهم الذين وكل إليهم أمر المحافظة على الحدود النوبية؛ لأنه كان يرى أن سحبهم من هناك يكون مآله غزو البلاد أو الثورة من جانب «الكوشيين»، غير أن مصدر الخطر الداهم لم يكن من جهة بلاد «أثيوبيا» وقتئذ، إذ كانت قد أنهكتها الحروب التي قام بها «تهرقا» و«تانو تأمون» من بعده على جيوش «آشور» التي غزت وادي النيل، فكانت في حاجة إلى الراحة والسلم ولو مؤقتًا أكثر من مصر، بل الخطر كل الخطر كان من ناحية الآشوريين؛ وذلك لأن «آشور بنيبال» على الرغم من الارتباكات والثورات التي كانت دائمًا قائمة على قدم وساق في «كردونياش» و«عيلام» وغيرهما من القبائل الثائرة على الحكم الآشوري، لم يكن قد نفض يده من ادعائه التسلط على مصر. وقد قسم الفرعون «بسمتيك» جنود الإقطاع في الدلتا قسمين يسكن كل فريق منهما منفصلًا عن الآخر في مقاطعات معينة، واسم الجماعة الأولى جنود «هرموتيبي» والجماعة الثانية جنود «كالازيري»، وكان عدد الأولى ١٦٠٠٠٠ مائة وستين ألف مقاتل وعدد الثانية ٢٥٠٠٠٠ مائتين وخمسين ألف مقاتل على حسب رأي «هيردوت»، وقد تحدثنا عن هؤلاء الجنود بالتفصيل في غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء التاسع).

ولا نزاع في أن رحيل «المشوش» كان آخر صفقة ربحتها البلاد بعد قيام العاصفة، فقد برئت البلاد شيئًا فشيئًا وساد السلام في داخلها. هذا ونرى أن «طيبة» قد أصلت من شأنها وجارت النظام الجديد بقدر المستطاع في ظل الإدارة الاسمية، التي كانت في يد الزوجة الإلهية «شبنوبت الثانية» وابنتها بالتبني «نيتوكريس» ابنة «بسمتيك الأول» وأمها التي وضعتها هي «محيتنوسخت» كما أسلفنا.

(١-١) لوحة نيتوكريس بالكرنك

وقد تركت لنا «نت كرت» «نيتوكريس» لوحة تدل على ما كان لهذه الزوجة الإلهية من مكانة دينية في هذا العصر. وهذه اللوحة عثر عليها «لجران» في «الكرنك»، وقد ترجمها وعلق عليها الأستاذ «ارمان»[١٢] (راجع A. Z. 35, P. 24 ff).

وتقص علينا هذه اللوحة كيف أن «بسمتيك الأول» في السنة التاسعة من حكمه جعل «شبنوبت الثانية» تتبنى ابنته «نيتوكريس» بدلًا من ابنة «تهرقا»، الذي أقصيت أسرته من حكم البلاد، وهي التي تسمى «أمنرديس الثانية»، غير أننا لا نعلم كيف تم ذلك؛ لأن الجزء الأول من اللوحة ناقص، ومن المحتمل أن «بسمتيك» حضر إلى «طيبة» وجعل الكهنة يحلفون يمين الولاء لها، وما تبقى في أول المتن هو خطاب للملك يظهر أنه يشكر الإله «آمون» والده. وهذه الوثيقة قد ألقت فيضًا من الضوء على العلاقات الأسرية في العهدين «الكوشي» و«الساوي». وقد كان العثور عليها مغنمًا كبيرًا للتاريخ المصري في ذلك العهد الذي كان فقيرًا في الآثار التاريخية. ويمكن أن نصفها بأنها منشور تَبَنٍّ ونقل ملكية. وهي تسجل لنا تبني «شبنوبت» لابنة الملك «تهرقا» التي كان تحمل لقب «المتعبدة الإلهية» أو زوج الإله في طيبة، واسمها «أمنرديس الثانية» ثم نزول الأخيرة لابنة «بسمتيك» المسماة «نيتوكريس». وقد نزلت «شبنوبت الثانية» عن كل ممتلكاتها للأخيرة «نيتوكريس»، وكان الغرض من هذا التبني هو أن تصبح أسرة

«بسمتيك» بعد وفاة «شبنوبت» صاحبة هذه الممتلكات بالإضافة إلى وظيفة «زوج الإله آمون طيبة».

ومما يؤسف له أن بداية هذه الوثيقة قد فقد، والجزء الباقي يبتدئ في وسط خطاب «بسمتيك الأول» لرجال حاشيته معلنًا غرضه من جعل «شبنوبت» تتبنى ابنته «نيتوكريس». وتجيبه الحاشية بالمديح العادي المتبع في مثل هذه الأحوال.

وعلى ذلك فإنه في السنة التاسعة من حكم «بسمتيك الأول» أقلعت «نيتوكريس» إلى «طيبة» حيث قوبلت بمظاهر الفرح والابتهاج، وأعطيت ممتلكات «شبنوبت» رسميًّا، ويلي ذلك قائمة بكل ضياعها.

ومن منطوق هذه اللوحة نفهم أن «بسمتيك» كان صاحب السيطرة التامة على «طيبة»، كما ذكرنا من قبل في السنة التاسعة من حكمه، وأن «تانو تأمون» كان على ذلك قد فقد سلطانه على الوجه القبلي قبل ذلك التاريخ. وكانت حالة «طيبة» تشبه كثيرًا ما كانت عليه في عهد الكوشيين، فكان «منتومحات» حظي «تهرقا» لا يزال حاكم المدينة، مما يدل على أن بقايا الحكم الإقطاعي كان لا يزال موجودًا في عهد «بسمتيك الأول». ويلفت النظر في نقوش هذه اللوحة أن الكاهن الأكبر لآمون كان يشغل مكانة ثانوية، وأنه لم يكن له أي نفوذ سياسي، وأن تابعه أي الكاهن الثالث لآمون قدم لدخل «نيتوكريس» مثل ما قدم هو. وهاك ترجمة ما بقي من اللوحة:

> إني ابنه، والأول في حظوة والد الآلهة، والمقدم قربانًا للآلهة، والذي أنجبه لنفسه ليرضي قلبه. لقد أعطيته ابنتي لتكون «الزوجة الإلهية» لأجل أن تلتمس الحماية للملك أكثر من أولئك اللائي كن قبلها، وحتى يكون راضيًا حقًّا بصلواتها؛ ولأجل أن يحمي أرض من أعطاه إياها.

تأمل! لقد سمعت الآن القول أن ابنة[13] الملك «حور كاخع» — عالي التاج — الإله الطيب — تهرقا — المرحوم موجودة هناك، وهي التي قد أعطاها أخته «شبنوبت»؛ لتكون ابنتها الكبرى وهي الموجودة هناك بوصفها «المتعبدة الإلهية». وإني لست بالإنسان الذي يقصي وارثًا عن مكان والده؛ لأني ملك يحب الصدق، وأن ما أمقته — خاصة — هو الافتراء، وأني نفسي ابن حامي والده «حور» مستوليًا على إرث «جب» (إله الأرض) وموحدًا الجزأين (أي الوجه القبلي والوجه البحري) بوصفي شابًّا، وعلى ذلك فإني أعطيتها (أي نيتوكريس) إياها (أي شبنوبت) لتكون ابنتها الكبرى، كما نقلها (أي شبنوبت أخت تهرقا) والدها «بيعنخي» مرة لأخته (أي أمنرديس أخت بيعنخي وابنة تهرقا).

وعندئذ انحنوا إلى الأرض وقدموا الشكر لملك الوجه القبلي والوجه البحري «واح-أب-رع» (بسمتيك الأول) عاش أبديًّا وقالوا: ليمكث وليخلد في الأبدية! إن كل أمر لك سيمكث ويخلد. ما أجمل هذا الذي يفعله الإله لك! وما أفخر ذلك الذي يفعله لك والدك! … إنه يجب أن يذكر حضرتك، وإنه ينعم عند ذكر اسمك يا «حور» يا عظيم القلب، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بسمتيك الأول» عاش أبديًّا. إنه فعل ذلك أثرًا لوالده «آمون» رب السماء وحاكم الآلهة. لقد أهدى ابنته المحبوبة «نيتوكريس» صاحبة الاسم الجميل إلى «شبنوبت»؛ لتكون زوجة الإله، ولتضرب الصاجات أمام وجهه — أي آمون — الجميل.

«نيتوكريس» تقلع إلى «طيبة»

وفي السنة التاسعة الشهر الأول من الفصل الأول (الشهر الأول) اليوم الثامن والعشرون، غادرت كبرى بناته خدر أسرة الملك مرتدية الكتان الجميل، ومزينة حديثًا

باللازورد، وكان التابعون المرافقون لها عددًا عظيمًا، وقد أفسح لها الطريق الشرطة لتبتدئ الطريق السوية إلى الميناء؛ لتصعد في النيل إلى «طيبة». وكانت السفن التي تقلها عديدة جدًّا، وكان الملاحون رجالًا أقوياء، وقد كانت مثقلة جدًّا حتى السطح بكل شيء طريف من قصر الملك. وكان القائد هناك هو السير الوحيد حاكم مقاطعة «أهناسيا[١٤] المدينة»[١٥] والقائد الأعلى للجيش ورئيس السفن المسمى «سماتوي تفنخت». وسافر الرسل إلى الجنوب؛ ليقوموا بالتجهيزات الفاخرة أمامها. وأقلعت السفينة (…) وأخذ عظماء الرجال أسلحتهم، وكان مع كل شريف مؤنته. مجهزًا بكل شيء طيب؛ من خبز وجعة وثيران وبط وتمر وخضر وكل شيء طيب. وقد نقلها والواحد إلى جانبه حتى وصلت إلى «طيبة» — وهذا يعني أن الملك كان معها في رحلتها إلى «طيبة».

استقبال الأميرة في «طيبة»

في السنة التاسعة (الشهر الثاني) من الفصل الأول، اليوم الرابع عشر — أي بعد مغادرتها «سايس» بأربعة عشر يومًا — وصلوا إلى مدينة الآلهة «طيبة». وكلما تقدمت — في المسير — وجدت أن رجال «طيبة» ونساءها واقفون مبتهجين باقترافها محيطين إياها بالقربات العظيمة، وكان عددهم جمًّا غفيرًا. وبعد ذلك قالوا: إن ابنة ملك الوجه القبلي والوجه البحري تأتي إلى بيت «آمون» ليستقبلها ويسر بها. إن ابنة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «شبنوبت» تأتي إلى «الكرنك»؛ لأجل أن يشرفها الآلهة الذين فيه، وأن كل أثر لملك الوجه القبلي والوجه البحري «بسمتيك» الأول يمكث ويخلد إلى أبد الآبدين.

إن «آمون» سيد السماء وملك الآلهة قد تسلم ما عمله له ابنه «حور» العظيم القلب العائش أبد الآبدين. وإن «آمون» حاكم الآلهة قد مدح ما عمله له ابنه محبوب الإلهتين

«نب عا» العائش أبد الأبدين … وإن المكافأة على ذلك تكون مع «آمون» ومع «منتو»، وهي ألف ألف سنة من الحياة وألف ألف سنة من الثبات وألف ألف سنة من الرضا. وإن كل الصحة وكل سرور القلب تكون معهم — أي الآلهة — لابنهم المحبوب ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «واح-أب-رع» بن «رع» «بسمتيك الأول» العائش أبد الآبدين … «إن الآلهة قد أعطوه الملكية».

تحويل أملاك «شبنوبت» إلى «نيتوكريس»

والآن فإنه فيما بعد عندما أتت للمتعبدة الإلهية «شبنوبت» نظرتها كانت مرتاحة إليها، وأحبتها أكثر من أي شيء. وقد نزلت لها عن الثروة التي نزل عنها والدها ووالدتها لها ولابنتها الكبيرة «أمنرديس» ابنة الملك … المرحوم. وقد دون ما يخص ذلك كتابة قائلًا: لقد أعطيناك كل متاعنا في الحقل وفي المدينة، وإنك تمكثين على عرشنا باقية ومخلدة أبد الآبدين. والشهود على ذلك كانوا الكهنة خدام الإله والكهنة المطهرون وكل أسرة المعبد.

(١-٢) قائمة الثروة

قائمة بكل المتاع الذي أعطوه إياها في المدن ومقاطعات الجنوب والشمال:

الأراضي: ما أعطاه إياها جلالته Sicl في المقاطعات السبع من أرض الجنوب:

(١) في إقليم «أهناسيا المدينة» المقاطعة المسماة «يو-نا» التي توجد في الإقليم التابع لها:

أراضي	٣٠٠ ستات (أرورا)

(٢) في إقليم «البهنسا» ضيعة «بو-تاوي»، وهي التي في الإقليم التابع له:



أراضي	٣٠٠ ستات

(٣) في إقليم «سب» ضيعة «كاو كاو» وهي في الإقليم التابع لها:

أراضي	٣٠٠ ستات

(٤) في إقليم مقاطعة الأرنب «الأشمونين» ضيعة «نسومين»، وهي في الإقليم التابع له:

أراضي	٦٠٠ ستات

(٥) في إقليم «أفروديتوبوليس» (بلدة قاو) وهي في الإقليم التابع له:

أراضي	٣٠٠ ستات

(٦) في إقليم … ضيعة «حورسا أزيس» وهي في الإقليم التابع له:[١٦]

أراضي	٢٠٠ ستات

وكل ذلك مجموع معًا:[١٧]

أراضي	١٨٠٠ ستات

هذا بالإضافة إلى كل دخلها من الحقل والمدينة، وكذلك أراضيها القاحلة وترعها.

ويلاحظ هنا أولًا أن عدد المقاطعات التي ذكرت في المتن هي ست مع أن العدد الذي ذكر في العنوان هو سبع والمقاطعة الناقصة، وهي التي حذفت خطأ من الكتاب قد أضيفت في نهاية النقش.

ويلاحظ ثانيًا أن المجموع هو ٢٠٠٠ لا ١٨٠٠ ستات، ولكن قد يجوز أن الاختلاف قد يفسر بعدم تأكدنا من عدد المادة الثالثة.

الدخل: الخبز والجعة التي أعطيت معبد «آمون» من أجلها.

من أمير «طيبة»: ما أعطاه إياها الكاهن الرابع أمير المدينة — طيبة — وحاكم كل الجنوب «منتومحات»:

يوميًّا	
خبز	٢٠٠ دبن
نبيذ	٥ هنان
فطير (شعت)	١
خضر	١ حزمة (حتب)
شهريًّا	

ثيران	٣
أوز	٥

من ابنه

ما يعطيه إياها ابنه الأكبر رئيس الملاحظين لكهنة «طيبة» المسمى «نسبتاح»:

يوميًّا	
خبز	١٠٠ دبن
نبيذ	٢ هنان
خضر	١ حزمة (حتب)
شهريًّا	
فطير (شعت)	١٥
جعة	١٠ جرار (هن)
وأراض من إقليم «قمحت» التابع لـ «واوات»	١٠٠ ستات

من زوجه

ما أعطته إياها زوج الكاهن الرابع لآمون «منتومحات» المسماة «وزارنس»:

يوميًا	
خبز	١٠٠ دبن

من الكاهن الأكبر لآمون

ما يعطيه إياها الكاهن الأكبر لآمون المسمى «حورخب»:

يوميًا	
خبز	١٠٠ دبن
نبيذ	٢ هنان
شهريًا	
فطير (شعت)	١٠
خضر	١٠ حزم (حتب)

ما يعطيه الكاهن الثالث

ما يعطيه إياها الكاهن الثالث لآمون المسمى «بدي آمون نب نستاوي»:

يوميًا	

خبز	١٠٠ دبن
نبيذ	٢ هنان
	شهريًا
جعة	٥ جرار (هن)
فطير (شعت)	١٠
خضر	١٠ حزم (حتب)

ملخص المجموع الكلي.

	يوميًا
خبز	٦٠٠ دبن
نبيذ	١١ هنًا
فطائر (شعت)	* -
خضر	-
	شهريًا
ثيران	٣
أوز	٥

جعة	٢٠ جرة
أراضي	١٠٠ ستات

*يشمل هذا المقرر الشهري محولًا إلى أيام.

ما يعطيه إياها جلالته في مقاطعة «هيلوبوليس» في معبد «آتوم» من القربات المقدسة — من دخل المعبد — التي أوقفها جلالته.

حنطة	٢ حقيبة

وذلك بعد أن قربت يوميًّا في الحضرة الإلهية ونعم الإله بها هناك.

من المعابد.

«سايس»	خبز	٢٠٠ دبن
«بوتو»	خبز	٢٠٠ دبن
بيت «حتحور» صاحبة الفيروزج	خبز	١٠٠ دبن
«منف» (بر-انبو)	خبز	٥٠ دبنًا
«كوم الحصن»	خبز	٥٠ دبنًا
المجموع الكلي	خبز	١٥٠٠ دبن

«بر منو»	خبز	٥٠ دبنًا
بيت (عت) «ثارو»	خبز	٥٠ دبنًا
«تانيس»	خبز	١٠٠ دبن
بيت «حتحور»	خبز	١٠٠ دبن
«بوبسطة»	خبز	١٠٠ دبن
«أتريب»	خبز	٢٠٠ دبن
«مستا»	خبز	٥٠ دبنًا
«بستا»	خبز	٥٠ دبنًا
بيت «حرشف» سيد «هناسيا»	خبز	١٠٠ دبن
«برسبد» (صفط الحنا)	خبز	١٠٠ دبن
المجموع الكلي	خبز	١٥٠٠ دبن

أراضٍ أخرى

ما أعطيته في مقاطعاتها الأربع التابعة للأرض الشمالية:

(١) في إقليم «سايس» ضياع بدو الجنوب التي في الإقليم التابع له:

أراضي	٣٦٠ ستات

(٢) في إقليم «بياستا» بيت «نفر-حر» وهو في الإقليم التابع له:

أراضي	٥٠٠ ستات

(٣) في إقليم «ثبو» في «قارب الجميز» وهو في الإقليم التابع له:

أراضي	٢٤٠ ستات

(٤) في وسط إقليم «عين شمس» جدار حوري بن «زدتي»، وهو — كذلك — «جدار بسنموت» الذي وضعته «مرت وبخت»، وهو الذي في الإقليم التابع له:

أراضي	٢٠٠ + س ستات

ومجموع أراضي المقاطعات الأربع = ١٤٠٠ ستات.

هذا بالإضافة إلى دخلها من الحقل والبلد مع أرضها القاحلة وترعها.

المجموع الكلي

خبز = ٢١٠٠ دبنٍ (أي: ما قيمته ٢١٠٠ دبن).

أراض في المقاطعات الإحدى عشرة = ٣٣٠٠ ستات.

باقية باقية منقولة لا تفني لا تمحى أبد الآبدين وسرمديًّا!

أرض حذفت أعلاه — نسي الكاتب هذه القطعة من الأرض من قائمة المقاطعات السبع كما ذكرنا آنفًا — في إقليم «… بب» مع كل أهله وكل أراضيه، وكل ممتلكاته في الحقل والبلدة.

(٣-١) مدير بيت الأميرة «نيتوكريس» المسمى «أبا»

كان مدير بيت الزوجة الإلهية يشمل مكانة ممتازة، كما ذكرنا من قبل عند التحدث عن مديري بيت الزوجات الإلهية فيما سبق (الجزء العاشر).

والواقع أنه كان هو المتصرف الحقيقي في أمور كل مقاطعة «طيبة» في ذلك الوقت.[١٨]

وقد بقي لنا من آثار «أبا» مدير البيت للمتعبدة الإلهية «نيتوكريس» تمثال من الحجر الجيري اشتراه من «الأقصر» الأثري «لجران» عام ١٩٠٣.

وهو يمثل «أبا» واقفًا، ولكن مما يؤسف له لم يبقَ منه إلا الجزء الأسفل من أول وسطه.

وكان التمثال يقبض أمامه على لوحة منقوشة. ويلاحظ أن حجر التمثال عندما وجد كان هشًّا جدًّا وقد تآكل سطحه، ومن أجل ذلك كانت قراءة المتن غير مؤكدة (راجع Br., A. R. vol. IV § 958 A and; Daressy, A. S. V P. 94–96; & Das Gottesweib Des Amun Von Sander Hansen Textanhang No. 3).

وقد كان «لأبا» هذا قبر فاخر في «العساسيف» وقد دمر في الأزمان القديمة. وما بقي على جدرانه من الأشكال والنقوش قد نقلها ونشرها الأب «شيل»[١٩] (راجع Memories Publiés par les Membres de la Mission Archeologique Française, Tome V. Daressy Cones Funeraires P. 256).

و«أبا» هذا هو ابن رجل يدعى «عنخ حور» كما جاء على مخروط جنازي، ويحدثنا المتن عن جزء من حياة «أبا» مدير بيت «نيتوكريس» ابنة «بسمتيك الأول» بعد توليتها وظيفة زوج الإله «آمون» في «طيبة». ويصف لنا «أبا» تنصيبها في السنة التاسعة من حكم والدها في الاحتفال الذي كان حاضرًا فيه، ثم يقص علينا تنصيب الملك له مديرًا عظيمًا للبيت بعد ذلك بسبع عشرة سنة، أي: في السنة السادسة والعشرين من حكم «بسمتيك» وذلك لأجل إصلاح قصرها. وقد رتب «أبا» أمور الأميرة، وقد مضت هي يومًا معه في المعبد فاحصة أوراقها. وبعد ذلك أدار أمور إصلاح قصرها، ويتضمن ذلك إقامة مبنى يبلغ ارتفاعه مائة ذراع. وهذه هي الإشارة الوحيدة التي ذكرت كناية عن ارتفاع مبنى من مباني مصر القدية، وقد بنى كذلك مقصورة قصر للإله «أوزير» كما أسهم في الاحتفال بأعياد الإله «آمون»، وساعد في إصلاح قبر «أوزير» بطيبة.

وهاك ما بقي من النقش:

(١°) … المدير العظيم لبيت الزوجية الإلهية «أبا» بن الكاهن «مري نتر» و«عنخ حور».

(٣) … امدحوا «آمون» وحيوا «منتو» رب «طيبة» مثل (… ٤°) المدير العظيم لمليكتي ابنته الزوجة الإلهية …

(١-٤) تعيين «نيتوكريس»

توجد هنا فجوة في الحجر، وتحتوي بداهة على العبارة الدالة على أن «بسمتيك» قد أمر بتعيين ابنته زوجة إلهية.

(٥) محبوبته والحظية العظيمة لدى «آمون» الحلوة ... ابنة المحبوبة «مرموت» محيتنوسخت للزوجة الإلهية، والمتعبدة الإلهية لآمون في «الكرنك».

الاحتفال بتنصيب «نيتوكريس»: كان الكاهن رئيس المرتلين والكتاب المقدس، والكهنة خدمة الإله والكهنة آباء الإله، والكهنة المطهرون، والسمار العظام لجلالته في معية مليكتهم. وكانت كل الأرض في عيد عظيم، وقربان ... (٧) مملوءة بكل قربان مهللين له. فرحى القلوب، بالواحدة الفاخرة العظيمة بين العظماء ومحبوبته المتعبدة الإلهية «نيتوكريس» العائشة، في حين أن كهنة الساعة كانوا يتبعونها (٨) ... وقد أنجز من أجلها كل احتفال متبع على حسب ما يحدث في تتويج سيدها الطيب «آمون» ... سناء مثل الشمس. وقد جعلت (٩) أن يقدم قربانًا عظيمًا، وأحضرت كهنة الساعة (المناوبة) بخور الحظوة والحب والسعادة والصحة لوالدها «واح-أب-رع» (بسمتيك الأول).

«نيتوكريس» في قصرها بطيبة

وقد سارت جلالتها ... (١٠) إلى القصر قاعدة في محفتها التي صنعت قضبانها حديثًا من الفضة والذهب ومطعمة بكل حجر ثمين أصيل، وأمرت بأن يقدم ...

تصدع قصر «نيتوكريس»

(١١) في السنة السادسة والعشرين — الشهر الثاني من الفصل الأول — اليوم الثالث (في هذا اليوم) (أو يوم تتويج جلالته) ... أرسل جلالته أولئك الذين كانوا في حاشيته ...

(١٢) من أرض الجنوب كهنته خدام الإله وكهنة مطهرين تابعين لآمون، ونساء مقدسات لآمون — حريم «آمون» — وقد أتوا قائلين: لقد سمع جلالته أن بيت المتعبدة الإلهية بدأ يئول إلى الخراب.

(١-٥) تعيين «أبا» مديرًا عظيمًا لبيت «نيتوكريس» ليقوم بالإصلاح

وهؤلاء الناس قد حضروا ومعهم أمر ملكي جاء فيه:

ينبغي أن يعين «أبا» وهو محل ثقة الملك، مديرًا عظيمًا لبيت الزوجة الإلهية وأن يجمع له كل الأشياء اللازمة لدفع أجر الأعمال (١٥) وأن تدفع لكل الكتاب والمفتشين الذين أرسلوا لأشغال بيت المتعبدة الإلهية بقدر ما يكون عددهم. قائمة كل يوم … (١٦) … أوان من الفضة والذهب والنحاس، وكل شيء من البيت الأبيض — الخزانة.

«أبا» يتحدث عن إدارته

(١٧) لقد ملأت مخازن غلالها بالقمح والحنطة وكل فاكهة، وضاعفت حظائر ماشيتها بالعجول وأجبرت موظفيها على دفع ضرائب … (١٨) … كلهم وصنعت كل شيء قسرًا … تمامًا.

«نيتوكريس» تمضي يومًا في فحص أمورها

… وذهب ليقابلها في معبد «آمون» … (١٩) وأمضت يومًا تختم … الخاص بالبيت. ويظهر أنها قد فحصت (٢٠) «كل أمورها الخاصة بعشرة آلاف السنين التي عاشها كل ملك ممتاز».

«أبا» يباشر إصلاح قصر «نيتوكريس»

لقد أقمت طعامها بجانب بيت الملك (ويسمى) «خنسو-آمون» (؟) بمثابة عمل أبدي وكل شيء كان عمل … فيه، وبيتها في البيت الطاهر الخاص بوالدها «آمون»، وهو الذي عمله لها والدها «رع» في الأزل فكان ارتفاعه مائة ذراع وعرضه مائة ذراع … (٢٢) مبنى في كل … وجدرانه (؟) كانت من الحجر ورقعته من الحجر وكل

مائدة قربان وجدت فيه، وموائده ... (٢٣) لا تحصى. وسقفه — حرفيًّا سماؤه — كان من السام المطعم بكل حجر أصيل غالٍ.

إقامة «أبا» مقصورة لأوزير

وأقمت معبدًا بجواره لسيدها «أوزير وننفر» من كل عمل ممتاز. وسفينته ... (٢٤) ... مثل «رع» في أفقه وتمثال جلالته الذي كان يحمل قد صنع من السام المطعم بكل حجر أصيل غالٍ هذا بالإضافة إلى تماثيل جسمها — أي نيتوكريس — من السام ... (٢٥) ... التي قصرها في سفينتها أمام الـ ... مكان.

الاحتفال بأعياد «آمون»: ويقص علينا «أبا» بعد ذلك كيف أن الإله «آمون»، قد أحضر من مقصورته في قدس الأقداس باحتفال مع نساء الخدر المقدسات اللائي كن في صحبة «نيتوكريس».

في عيده الذي احتفلت به البلاد من أجله في اليوم السادس من الشهر، وهو لم يعمل مثيله بجانب البوابة العليا لآمون-رع ... مع والدها في خلال عيده في الشهر الأول من الفصل الثالث (بشنس) (٢٦) ...

إصلاح مقبرة «أوزير» أثاثه: وملأت كهفه السري (قبر آمون الأوزيري) أثاثه باللبنات وبكل الأشياء الأصلية التي رغب فيها، وكانت أبوابه من خشب الأرز ورقعته من (...) وهو الذي صنعته الملكة «نيتوكريس» المتعبدة الإلهية الحياة والفلاح والصحة ... (٢٧) ... وزوج الإلهة العظيمة «محيتنوسخت» كذلك في كل شيء لأجل أن يدفن جمع غفير من أوانيهم، وكذلك كل موائد قربانهم (؟) الخاصة بالمعبد وهي المصنوعة من الفضة والذهب وكل حجر ثمين. وقد أسست قرباتهم المقدسة من خبز وجعة وماشية وطيور وكتان وعطور وخمر ولبن ... وحضر بمثابة قربان يومي لا (٢٨) بعد ...

(وباقي السطر غامض.)

وقد وجد على العمود الذي يرتكز عليه التمثال المتن التالي بحروف كبيرة:

> ... السمير الوحيد مدير البيت العظيم والمعروف لدى الملك «أبا» ابن محبوب الإله «عنخ حور» المرحوم. ضع نفسك — يشير إلى الإله المحلي في الجزء المفقود في أول النقش — خلفه في حين أن روحه يكون أمامه؛ لأنه أيوني — أي أوزير — (راجع عن هذه الصيغة Melanges Maspero P. 375) (راجع عن قبر «أبا» كذلك ما يأتي: —Tombeau d, Aba n. 25 de Assassif, L. D. III, 271 L. D Texte III. P. 247; Cahmpollion Monuments II PI. CL III, et Notice 1, PP. 553–556 et 854–858; Brugsch Rec. de Monum (II, PL LXVIII;.

وقد وجد له في خبيئة «الكرنك» تمثال من البازلت هشم جزؤه الأعلى، ولم يبقَ منه إلا قطعة يبلغ طولها ٤٦سم، ويشاهد فيها آثار التشويه، وقد نشرها حديثًا لأول مرة الأثري «كرستوف» (راجع A. S. Tome LIII. P. 49)، وقد مثل على ما يظهر راكعًا ويقدم تمثالًا للإله «أوزير» غير أنه مهشم أيضًا. وقد بقي عليه نقشان يمكن منهما معرفة شخصية صاحب التمثال وتاريخه.

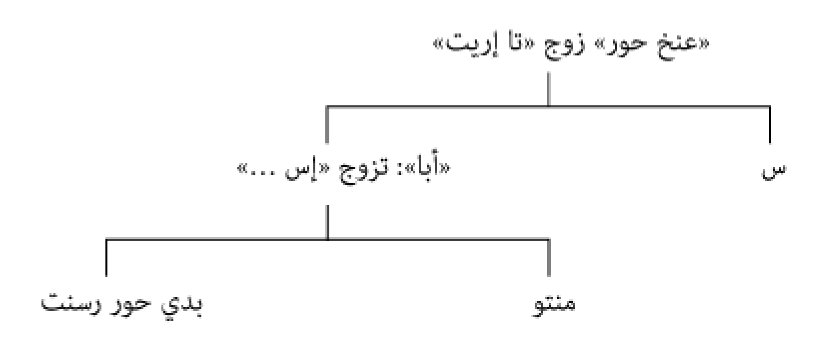
النقش الأول على ظهر التمثال وجاء فيه: ... لأجل الأمير الوراثي والحاكم وكاهن «آمون-رع» ملك الآلهة والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية. ويلحظ في هذه الألقاب أن لقب كاهن «آمون-رع» ملك الآلهة لم يكن قد ظهر لأحد من هؤلاء المديرين العظام لبيت المتعبدة الإلهية إلا في ألقاب «بابس» أو «باباسا» (راجع Campell, The Sarcophagus of Pabasa

Pl. en face de pages 10; et 16, Roeder Naos Catalogue general … .(du musée du caire P. 107; A. S. Tome LIII, P. 50 note 1

(٢) نقش على سنادة تمثال «أوزير» من الجهة اليمنى، وهي التي وجدت عليها النقوش فقط.

الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد المحبوب، رئيس كهنة آلهة الوجه القبلي، والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية «نيتوكريس» العائشة. وحاكم كل الوجه القبلي قاطبة «أبا»، الذي يتمتع بصحة جيدة ابن الكاهن محبوب الإله «مري تتري» المسمى «عنخ-حور» المرحوم وأمه هي السيدة «تا إريت».

ومما يلفت النظر في نقوش مقبرة «أبا» أن زوجه لم تمثل معه، وعلى العكس نجد أنه قد ذكر اسم والدته مرات عدة على آثاره، وعلى أية حال وجد جزء من اسمها وهو «اس …» ويمكن أن نضع شجرة نسب لأسرة «أبا» كما يأتي:



ومن المحتمل جدًّا أن هذا التمثال كان قبل أن يحشر في خبيئة «الكرنك» يزين مقصورة «أوزير» للمتعبدة الإلهية «نيتوكريس» في «الكرنك» الشمالي.

والواقع أن نقوش هذا التمثال لا تقدم لنا أية معلومات جديدة عن تولي وظيفة المدير العظيم لبيت «نيتوكريس». هذا ونعلم أن «أبا» كان يقوم بأعباء وظيفته هذه من أول عام ٢٦ من حكم الملك

«بسمتيك الأول»، كما جاء في لوحة «نيتوكريس»، أي: بعد سبع عشرة سنة من تبني «شبنوبت» الثانية للأميرة «نيتوكريس»، والظاهر أنه حل محل المدير العام العظيم للبيت «باباسا» (بابس) (راجع Karnak Nord III p 41, No. 2).

وقد ترك لنا «بابس» عدة آثار غير ما ذكرنا (راجع karnak Nord III P. 132-133) يضاف إليها ما يأتي:

(١) تمثال متربع من الحجر الجيري نقش عليه خمسة أسطر بالهيروغليفية (راجع Catalogue of the Mac. Gregor Collections (1922) P. 212 no. 1627; A. S. LIII. P. 55 note 5.).

(٢) ثلاثة مخاريط جنازية (راجع Daressy, Recueil del Cònes funeraires no. 177; Speleers, Recueil des Inscriptoins Egyptiennes des Musées Royaux du Cinquantenaires á Bruxelles E. 3983 no. 180 P. 48; of A. S., LIII. P 75).

(٣) قاعة تمثال (راجع A. S. LIII. P. 56 note 1)، ويلحظ أن اسم «أبا» في هذا الأثر قد سبق بعبارة «ممدوحها وحبيبها»، وأن إهداء التمثال كان للمتعبدة الإلهية «شبنوبت» الثانية الحية «أمنردس» الأولى، ومع ذلك فإنه يمكننا أن نفرض أن هذا كان أثرًا مقدمًا للإله «أوزيرونفر» قبل السنة التاسعة من حكم الملك «بسمتيك الأول» بقليل بوساطة أحد عظماء رجال البلاط الذين رافقوا الأميرة الشابة «نيتوكريس» إلى «طيبة». وتدل شواهد الأحوال على أن «أبا» كان من أهل الوجه البحري، إذ نجد أن اسم أمه يوحي بأنها كانت من أسرة «بوبسطية» عظيمة. وعلى أية حال نعرف من جهة أخرى أن كاهنًا للإلهة «باستت» صاحبة «تل بسطة»، كان يدعى «أبا» (راجع Koeford Petersen, Recueil des

inscriptions hieroglyphigues de le glyptotheque Ny Carlsberg, .(Bibliotheca Aegyptiaca VI, p 28 no. 121

ومهما يكن من أمر، فإن «أبا» قبل ترقيته لوظيفة المدير العظيم لبيت «نيتوكريس» كان لا يحمل إلا لقب «المعروف لدى الملك»، ثم أصبح فيما بعد كغيره من المديرين العظام «المعروف لدى الملك حقًّا» أو «المعروف لدى الملك حقًّا والذي يحبه». وقد كان يحمل نعوتًا أخرى إذا أخذناها على معناها الحرفي، فإنه كان يعد فردًا من أسرة «بسمتيك الأول».

وسنورد هنا ألقاب هذا العظيم ونعوته؛ لنرى ما كان له من منزلة عالية في زمنه.

وقد جمع كل هذه الألقاب والنعوت الأثري «كرستوف» (راجع A. S. LIII, P. 56–61).

ويبلغ عددها ٦٤ غير أن بعضها مشكوك فيه. وهاك أهمها:

(١) الأمير الوراثي.

(٢) الأمير الوراثي والحاكم.

(٣) حاكم الوجه القبلي.

(٤) حاكم الوجه القبلي قاطبة.

(٥) الحاكم.

هذه هي ألقابه العامة، أما ألقابه المتصلة بالمتعبدة الإلهية فهي:

(٦) الذي يقترب من يد الإله.

(٧) حارس تاج المتعبدة الإلهية.

(٨) الرجل الوحيد المختار للمتعبدة الإلهية.

(٩) الذي يرى أسرار يد الإله «شبنوبت الثانية».

(١٠) المدير العظيم للبيت.

(١١) المدير العظيم لبيت زوج الإله.

(١٢) المدير العظيم لبيت يد الإله.

(١٣) المدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية لآمون.

(١٤) الذي يسهر على المتعبدة الإلهية.

(١٥) رئيس العظماء الذين يسمعون ما يسمع.

(١٦) رئيس الأسرار التي تسمع.

(١٧) مدير كل الوظائف المقدسة.

(١٨) رئيس قصر «المتعبدة الإلهية».

(١٩) مدير كل الملابس.

(٢٠) الشريف العظيم للمتعبدة الإلهية.

(٢١) خادم المتعبدة الإلهية.

(٢٢) المدير العظيم لبيت آمون.

(٢٣) رئيس كهنة آلهة «آمون».

(٢٤) رئيس كهنة آلهة الوجه القبلي.

(٢٥) رئيس كهنة الإله «منتو» سيد «أرمنت».

(٢٦) رئيس كهنة «حور» الكبير سيد «جسي» (قوص)؟

(٢٧) كاهن «آمون» ملك الآلهة.

(٢٨) كاهن «منتو» سيد «أرمنت».

ألقاب متصلة بالملك:

(٢٩) رجل ثقة سيد الأرضين.

(٣٠) رجل ثقة الإله الطيب (الكامل).

(٣١) الرجل الفريد الغالي لسيد الأرضين.

(٣٢) فم الذي يهب الهدوء للمدن والمقاطعات.

(٣٣) المعروف لدى الملك.

(٣٤) المعروف حقًّا لدى الملك.

(٣٥) المعروف حقًّا لدى الملك الذي يحبه.

(٣٦) الحاكم في القصر.

(٣٧) السمير الوحيد المحبوب.

(٣٨) شريف القصر.

(٣٩) السمير الوحيد في قصر الملك.

(٤٠) السمير الوحيد للملك.

(٤١) الذي يهدئ غضب القصر.

(٤٢) حامل خاتم الملك.

(٤٣) الذي يتبع الملك في تنقلاته.

(٤٤) الذي يطرد الفزع من القصر.

نعوت عامة:

(٤٥) عظيم الحب.

(٤٦) العظيم في شرفه.

(٤٧) الذي يدخل بتقارير حسنة في المكان الذي يوجد في الملك.

(٤٨) الذي يدخل أولًا ويخرج آخرًا.

(٤٩) الوحيد الحب.

(٥٠) الوحيد الذي رأس العظماء.

(٥١) أعظم العظماء.

(٥٢) العظيم في وظيفته.

(٥٣) العظيم في خطواته.

(٥٤) الممدوح.

(٥٥) شريف على رأس الناس.

(٥٦) أشرف الأشراف.

هذا ولدينا نعوت أخرى صعبة الفهم. وعلى أية حال نجد أن كثيرًا من هذه الألقاب كان يحملها المديرون العظام لبيت المتعبدة الإلهية، الذين سبق التحدث عنهم. ويلفت النظر هنا أن مديري البيت العظيم للمتعبدة الإلهية كانوا كغيرهم من كبار الموظفين يضفون على أنفسهم ألقابًا ونعوتًا معظمها متشابه، وترجع في أصلها إلى العهود القديمة، وبخاصة من الدولة القديمة والدولة الحديثة.

(٢) أعمال «بسمتيك» وآثاره في البلاد

(٢-١) عاصمة الملك

كانت المدينة الملكية بلا نزاع في عهد هذا الفرعون هي «سايس»، ولا غرابة في ذلك فهي مسقط رأس أجداده ومعقلهم الحصين منذ أن أخذ «تفنخت» أميرها العظيم يناضل عن ملك مصر في وجه «الكوشيين»، وبخاصة في عهد «بيعنخي». وقد استمرت هذه المدينة الشوكة المؤلمة في جسم ملوك الأسرة «الكوشية» حتى قضي عليها نهائيًّا، وتقهقر ملوكها إلى الجنوب ثانيةً ولزموا عقر دارهم. فقد رأينا كيف أن «بوكوريس» قد نهاض «شبكا»، ثم وقف ثانية في وجه ملوك «الآشوريين» على الرغم من إغرائه بالمال والحكم. وأخيرًا جاء بعده «بسمتيك» وخلص البلاد من «الآشوريين» أولًا، ومن الكوشيين آخرًا. وقد أقام ملوك الأسرة السادسة والعشرين في هذه المدينة قصورهم ومقابرهم، غير أن مقتضيات الأحوال قد جعلتهم يتخذون عاصمة الملك الرسمية «منف»، وذلك على غرار ما فعله الرعامسة العظام، فقد كانت عاصمة ملكهم السياسية «قنتير» في حين كانت عاصمتهم الحقيقية «طيبة».

وقد كانت «سايس» في الواقع مقامة على الفرع «الكانوبي» للنيل وهو أهم فروعه. وفي العصر الذي كانت فيه مصر مقسمة مقاطعات متنافرة متناحرة، كان الأمير الساوي في مقدوره أن يقف في وجه السفن التي تسير على الطريق الرئيسي إلى «منف». ومن المحتمل أن هذا هو السبب

الذي من أجله كانت «سايس» و«منف» مرتبطتين معًا من أول عهد «تفنخت» و«بوكوريس» وما بعدهما.

وقد كان المسيطر على هاتين المدينتين يقبض في يمينه على سلطان عرم. ولا غرابة في ذلك فقد كانت التجارة الإغريقية تأتي عن طريق الفرع «الكانوبي» إلى مصر، وكذلك الجنود المرتزقة وهم الرجال الذين كان يطلق عليهم «رجال البحر النحاسيون»، وقد حدثنا عنهم «هردوت» في كتابته. ومن جهة أخرى كان «الفينيقيون» على ما يظن يدخلون في مياه النيل في أغلب الأحيان بوساطة فرع النيل البلوزي. وتدل الآثار المكشوفة على أن «بسمتيك» قد نشر تجارة بلاده واسمها في كل البلاد المجاورة، وفي ممالك «البحر الأبيض المتوسط».

فبينا نجد له آثارًا في «جبل مويا» الواقع على مسافة ثمانية عشر ميلًا جنوبي «سنار» — عثر على جعران باسمه في هذه الجهة، وهو محفوظ بمتحف «الخرطوم» — (راجع Addison. jebel moya II P. 181) إذ نرى أنه قد عثر له على آثار في «تونس»[٢٠] وفي «جيزر»[٢١] بفلسطين وفي «كركميش»[٢٢] أي: في «تركيا» الحالية، وفي «كورنثه»[٢٣] ببلاد «اليونان» وفي «قبرص».[٢٤] و«رودس»[٢٥] وفي «فولشي» Vulci[٢٦] «بإيطاليا» وكذلك في «كورنتا» «ترقينيا».

ومن ذلك نفهم أن اسم «بسمتيك»[٢٧] كان شائعًا في أنحاء العالم المتمدين، فكان مثله في ذلك كمثل الملوك العظام الذين نشروا المدنية المصرية في ربوع الشرق في عهد الدولة الحديثة، وبخاصة «تحتمس الثالث» و«رعمسيس الثاني».

أما في داخل مصر فكان نشاطه عظيمًا وبخاصة في العمارة؛ ولذلك نجد أنه في عهده أخذت محاجر «وادي حمامات» تستغل، وقد ترك الموظفون الذين ذهبوا لقطع الأحجار أسماءهم وطغراءات الفرعون «بسمتيك الأول». ومن أهم هؤلاء الذين وجدت أسماؤهم هناك «نسبتاح»

بن «منتومحات» الكاهن الرابع لآمون المعروف. وقد مثل في هذه المحاجر يتعبد أمام طغراء الملك «بسمتيك الأول» ملك الوجه القبلي والوجه البحري «واح-أب-رع» بن «رع» «بسمتيك» له الحياة والسلطان مثل رع» أبديًّا.

وعلى اليمين نقرأ فوق «نسبتاح» النقش التالي: الكاهن الرابع لآمون ملك الآلهة، وعمدة المدينة وكاهن «سكر»؟ والمشرف على «الكرنك» «نسبتاح» بن الكاهن الرابع لآمون حاكم الجنوب قاطبة «منتومحات» (راجع Couyet-Montet, Les Inscriptions Hieroglyphiques et Hieratiques du, Ouadi Hammamat P. 17).

هذا ونجد نفس الكاهن «نسبتاح» مرسومًا مرة أخرى يتعبد أمام الإله «مين»، ويلاحظ أن رئيس الأشغال الذي كلف بعمل هذا المنظر قد أضاف إلى اسم سيده هو «بدي وسر» بن «منفرر آمن» المرحوم. وهاك ترجمة النقش: الكاهن الرابع لآمون ملك الآلهة، وكاتب بيت «آمون»، وحاكم الجنوب قاطبة «منتومحات» المرحوم بن كاهن «آمون» بالكرنك «نسبتاح» عمله له خادمه مدير أعمال بيت «آمون» «بدي أوزير» بن «منفرر أمن» المرحوم (راجع Ibid. P. 52. 3). والظاهر أن مدير العمال هذا قد زار هذه المحاجر عدة مرات لقطع الأحجار منها في تلك الفترة، فقد نقش اسمه في عدة مواضع في «وادي الحمامات» (راجع Ibid. no 44, 52, 68, 118)، وسنحاول هنا أن نتحدث عما كشف له من آثار في جهات القطر المختلفة من الشمال إلى الجنوب.

(٢-٢) الإسكندرية

(١) عثر لهذا الملك على لوحة كانت بين عمودين عليها اسمه، وهي محفوظة بالمُتْحَف البريطاني الآن. Arundale and Bonomie, Gallery fig. 167 P. 109 Pl. 43.

(٢) وكذلك وجدت قطعة من أساس عمود «بومبي» من الجهة الشرقية، وقد مثل عليها صورة ملك وإله نقش عليها ما يأتي: «واح-أب-رع» بن الشمس. وهذه القطعة من الحجر الرملي الصلب في حين أن طبقة البناء التي تحت هذه القطعة من الجرانيت، وفي المؤلف «اجبتياكا»[٢٨] نجد رسم العمود مصورًا مع القاعدة التي نجد فيها قطعة نقش خاصة بنفس الملك، وهي محفوظة بالمُتْحَف البريطاني، وقد بقي من النقوش ما يدل على اسم «بسمتيك الأول»، ومن المحتمل أن هذه القطعة نزعت من الجانب الشمالي الشرقي، ويلحظ أنها قد كسيت بملاط من الجير، وهاتان القطعتان تدلان على أن «بسمتيك» قد أقام بناء بالقرب من عمود «بومبي» (راجع L. D. Text P. 1; and L. R. iv. P. 77)، ومثل على قطعة منهما صورة «بسمتيك الأول» في صورة فتى، ولا تدل الصورة على أنه كان من الطراز المصري القديم (راجع A. Z. XXXIII. P. 116).

(٣) يوجد الآن بمتحف «الإسكندرية» تمثال كبير «لبول هول»، ويحتمل أنه عثر عليه في «عين شمس» (راجع Daressy A. S. Vol. v. P. 126)، وهذا التمثال مصنوع من الحجر الرملي الأصفر المحبب، وقد وجد في حالة تهشيم سيئة، ونقش على الجهة اليسرى من القاعدة ما يأتي:

> … «بسمتيك» العائش أبديًّا محبوب «آتوم» رب الأرضين في «عين شمس» الإله الطيب ضارب «الأيونتو»، والمستولي على … «بدنو» أهل الأقوام التسعة، معطى الحياة والثبات والسلطان كله والصحة كلها، وفرح القلب كله مثل «رع».

وعلى الجهة اليمنى من القاعدة نقرأ:

> … «بسمتيك» معطي الحياة … الإله الطيب رب القوة وواطئ «المننتيو» (البدو) …

(٤) النصف الأسفل من تمثال راكع للملك «بسمتيك الأول»: يظهر أن هذا التمثال كان يقبض بين يديه على محراب صغير، وعثر عليه في حفائر «السرابيوم» بالإسكندرية، غير أن الأشياء التي وجدت في هذه الحفائر التي قام بها الأثري «برشيا» لم تكن في مكانها الأصلي على ما يظهر؛ ولذلك يظن أن هذا التمثال منقول من «عين شمس» وهو مصنوع من الجرانيت الأسود، وارتفاع الجزء المحفوظ منه ٥٠سم، ونقش حول قاعدته وعلى ظهره المتن التالي: من اليمين:

> يعيش «حور» (المسمى) كبير القلب، والسيدتان «المسمى» رب الساعد، وحور الذهبي «المسمى» القوي، وملك الوجه القبلي والوجه البحري (المسمى) «واح-أب-رع»، وابن الشمس (المسمى) «بسمتيك».

(٢-٣) سايس

كانت «سايس» عاصمة ملك الأسرة الساوية، وفيها أقيمت مدافن ملوكها كما يحدثنا عن ذلك «هردوت» في سياق كلامه عن الملك «إبريز»، وهزيمته على يد «أماسيس» ثم شنقه على يد المصريين أنفسهم: «ولكن شنقه المصريون وبعد ذلك دفنوه في مدفن الأجداد». وهذا موجود في دائرة معبد «منرفا» Minerva[٢٩] قريبًا جدًّا من المعبد على يسار الداخل فيه. وقد كان «الساويون» معتادين إحضار كل الملوك الذين نبعوا من هذا المركز في داخل المحيط المقدس، ومن ثم نعرف أن الملك «بسمتيك» لا بد أنه دفن في هذه البقعة على أغلب الظن.

وقد وجد في «سايس» مائدة قربان محفوظة الآن بمتحف «برلين» عليها اسم الملك «بسمتيك الأول» (راجع Ausfuhrliches Verzeichniss 1899. P. 250 no. 11576). وكذلك وجدت فيها قطعة حجر عليها اسمه (راجع Murray, Egypr. P. 147).

وأخيرًا عثر للملك «بسمتيك» على تمثال صغير من البرنز يمثله راكعًا أمام الإلهة «نيت» أعظم آلهة «سايس» في ذلك العهد. هذا وقد وجد عليه كتابة باللغة الكارية ذكر فيها اسم الرجل

الذي صنع هذا التمثال، كما ذكر كذلك اسم أمه (راجع Daninos Pacha, Rec. Trav. XII P. 216, Porter & Moss IV P. 26) «نوكراتيس» (نقراش) أو «كوم جعيف» الحالي (بمركز إيتاي البارود).

دلت البحوث الأثرية التي قام بها علماء الآثار على أن مدينة «نوكراتيس»، التي تعد من أقدم المستعمرات الإغريقية في مصر قد أسست قبل عهد الملك «أمسيس الثاني» — أحمس الثاني — ملك مصر. وأن المؤسسين لها هم قوم من الأهالي «الميليزيين»، ومن المحتمل أن ذلك كان حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد، كما هو المرجح من النقوش التي وجدت فيها (راجع Petrie, Naukratis vol. P. 5, and vol. II P. 70 ff).

هذا وقد وجدت بعض جعارين باسم الملك «بسمتيك الأول» (راجع Naukratis I Pl. XXXVII)، والظاهر أنها كانت تعد بمثابة حصن لحماية الحدود الغربية للبلاد.

(٢-٤) منديس

هذه المدينة القديمة هي «تل الربع» الحالية. عثر فيها على لوحة مثل فيها الملك «بسمتيك الأول» يقدم الحقول للإلهة «نيت» على الجانب الأيسر، ومثل على الجانب الأيمن صورة الملك ولكنها وجدت مهشمة، ولا بد أنه كان يقدم شيئًا من القربان للإله «خنوم» رب «منديس»، الذي مثل على اللوحة واقفًا برأس كبش، وقد أرخت اللوحة بالسنة الحادية عشرة + س. والظاهر أنه قد أهدى فيها ماشيةً وحقولًا تبلغ مساحتها أكثر من ٥٢٢ أرورا (راجع Brugsch Thesaurus P. 738).[٣٠]

(٢-٥) «دفني» أو «أدفينا»

كانت «دفني» (أدفينا) إحدى المعسكرين العظيمين اللذين كانا يتألفان من جنود «كارية» و«أيونية» في الحدود الشرقية للدلتا .Herodotos, II. 154 وتقع على فرع النيل البلوزي على مسافة عشرة أميال غربي «القنطرة» الحالية على الطريق العامة من «سوريا» إلى «مصر». فهناك أقيمت قلعة عظيمة مساحتها حوالي ١٤٠ قدمًا مربعًا في داخل معسكر مسور (راجع Petrie, Tanis II Pl. XIIII-iv). وتدل مئات الأواني الإغريقية التي وجدت في بناء القلعة الخارجي على أن هذه الجهة كانت مستعمرة عظيمة للإغريق في عهد الملك «بسمتيك الأول»، وقد استمرت كذلك حتى هجرها «أماسيس الثاني» مفضلًا عليها «نقراش» — كوم جعيف حاليًّا — وذلك بعد قرن من الزمان على بنائها. وقد عثر تحت أركان القلعة على ودائع أساس باسم «بسمتيك الأول» مصنوعة من الذهب والفضة والنحاس والقصدير واللازورد والكرنالين … إلخ (راجع Petrie, Ibid P. L XXII)، وكذلك وجدت في المباني الخارجية أختام جرار خمر باسم «بسمتيك الأول» و«نيكاو» و«بسمتيك الثاني». وهذا المعسكر الإغريقي كان يؤلف مأوى للمهاجرين اليهود في خلال موجات الغزو التي قام بها «الآشوريون» في أثناء فتوحهم، وآخر ما ورد عن هذه المدينة هو ما جاء في قصة «أرميا» وسماها «تاهبانهس» Tahpanhes، وتدل شواهد الأحوال على أنه ينبغي أن ننظر إلى القلعة العظيمة الموجودة في «نقراش» على أنها قلعة البلاد التي كان الغرض منها حماية الحدود الغربية، كما كانت «أدفينا» تحمي الحدود الشرقية كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

(٦-٢) هربيط

وجد اسم مبنى على لوحة للملك «بسمتيك الأول» (راجع Brugsch Thesaurus 797; A. Z. XXXI. P. 84)، وهذه اللوحة عثر عليها بالقرب من «الزقازيق»، ونقش عليها عقد

تأسيس معبد أقامه «بسمتيك الأول» على شرف الإله «حورمرتي» إله «هربيط» وهاك ترجمة النص:

السنة الواحدة والخمسون من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «واح-أب-رع» «بسمتيك» لقد بنيت هذا البناء الذي أقمته أنا بنفسي لمعبد «حورمرتي» (وهو المسمى) «أوزير-رمحت» إني «بدربس» بن «بديسمتاوي» الذي وضعته السيدة «تابرت» هذه. حده الجنوبي بيت «أتا» بن «عنخ-حور» وشماليه مخزن الإلهة «باستت» الذي وكل أمره إلى خادم محراب «حورمرتي»، «حور» بن «عنخ بف حر»، وحده الغربي بيت السقاء «بب» بن «حورسا إيزيس».

وتحمل له القربان أمام «حورمرتي» (الملقب) «أوزير» صاحب «رمحت»، وقلبه يفرح بذلك أبديًّا بثبات. وإن كل إنسان يهدم هذا فإنه سيسحق بالآلهة الأرواح العائشة لمدينة «هربيط». والحد الشرقي (يطل على) الشارع الذي يوجد فيه سور «عك». البقاء الأبدي والسرمدي في معبد «حور مرتي». ليت «حورمرتي» يمنح «حور وننفر» بن «بديسمتاوي» الذي وضعته السيدة «قبر» الحياة.

وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف «برلين» وكانت في الأصل ضمن مجموعة «بوزنو»، والإله «حورمرتي» وهو الإله المعبود «هربيط» (راجع Hans Boonet, Reallixekon der Aegyptischen Religionsgeschicbte P. 592).

(٢-٧) بوباسطة

وجد لهذا الفرعون خاتم من الشمع (؟) في «تل بسطة» (راجع Petrie Hist. III P. 325; and Maspero Guide Boulaq. P. 99).

(٢-٨) تل الناقوس

وجدت في «تل الناقوس» قطعة من الحجر عليها اسم الملك «بسمتيك الأول»، وقد عثر عليها مبنية في جدار (راجع Naville, Ahnas El Medineh Pl. III (c), cf. P. 26, Porter and Moss IV P. 40).

(٢-٩) نوب طحا

(طحانوب بمديرية القليوبية مركز «شبين القناطر»): وجد في هذه القرية محراب صغير من الجرانيت الأحمر باسم الملك «بسمتيك الأول»، وهذا المحراب وجد بكل أسف غير كامل، إذ قد اختفى أكثر من نصفه الأسفل وطوله ٣٢ سم. وعرضه ١٧ سم من الداخل، والنقوش التي على الجزء الباقي هي:

> ملك الوجه القبلي والوجه البحري «واح-أب-رع» ابن الشمس «بسمتيك» معطى الحياة، لقد عمل أثرًا لوالده «آتوم» صاحب «عين شمس»، وسيد المأوى العظيم فأمر أن يقام له محراب مقدس من الجرانيت الأحمر، وعمل …

(٢-١٠) عين شمس

وجدت مائدة قربان عليها اسم الملك «بسمتيك الأول» في «عين شمس» (راجع Petrie, Hist. Egypt III P. 325).

(٢-١١) منف

ذكر «هيردوت» (راجع Herod. II 153) أن «بسمتيك» بعد أن جعل من نفسه سيدًا على مصر أقام خارجة لمعبد «فلكان» في «منف» تواجه ريح الجنوب، وأقام ردهة للعجل «أبيس» كان يطعم فيها يوميًّا عندما كان يظهر قبالة الخارجة وأحاطها بعمد وملأها بالأشكال المنحوتة،

وبدلًا من العمد المضلعة أقام تماثيل طول الواحد منها اثنتا عشرة ذراعًا وضعها تحت الممر.

وعثر له على تمثال في «منف» مهشم (راجع Brugsch, Reiseberichte P. 81).

هذا وذكر له «ديدور» تمثالًا طوله اثنتا عشرة ذراعًا (راجع Diod. I, 67).

(٢-١٢) السربيوم[٣١]

منذ أن حفر «رعمسيس الثاني» النفق الذي تحت الأرض المسمى «السربيوم»؛ ليكون مدفنًا للثيران المقدسة، نجد أن كل الملوك الذين حكموا في «منف» لم يَفُتْهم أن يزينوا هذا «السربيوم»، ويحتفلوا عند إقامة شعائر دفن هذه العجول بكل أبهة وعظمة، فكان يحنط جسم «أبيس» بكل دقة وعناية، ثم يوضع في تابوت من الخشب أو الحجر الصلب، ثم تفتح فوهة القبة المخصصة للدفن، ويوضع فيها التابوت ثم تبنى ثانية، وكانت تقام لوحة تذكارية ينقش عليها استرحامات وصلوات على روح من أقاموها.

وكانت هذه اللوحة تسند على الجدار الجديد الذي أقيم لسد فوهة القبر، وتوضع عند أسفل الصخرة المجاورة للقبر، أو على رقعة الممر أو في أي مكان يكون تحت أنظار كبار رجال الدولة والعمال والكهنة، الذين اشتركوا في الاحتفال بدفن العجل «أبيس» المتوفى، ومن ثم نجد أن الممر أو الرواق الذي كان يخترق الجبانة قد تحول شيئًا فشيئًا إلى إدارة سجلات، كانت تدون فيها كل أسرة من أسر الملوك المصريين أسماءها في أية مناسبة تسنح عند دفن «أبيس» جديد.

وهذه السجلات قد كشف عنها الأثري «مريت باشا» في حالة تكاد تكون سليمة على الرغم مما أصابها من يد الإنسان المخربة. وهذه السجلات تشمل نقوشًا من عهد ملوك «بوبسطة»، ومن عهد الملك «بوكوريس» وحتى من العهد «الكوشي» (الأثيوبي)، فنجد أن «تهرقا» عندما هدد

بالغزو الآشوري قد مكث في «منف» قبل وفاته بسنة (راجع مصر القديمة الجزء الحادي عشر).

وقد عني «بسمتيك» بأمر هذه الجبانة واكتفى في بادئ الأمر بأن قلد أسلافه، غير أنه حدث بعض تصدع في جزء من «السربيوم» في الجزء الذي كان قد دفن فيه العجل «أبيس»، الذي مات في السنة العشرين من حكمه، فأمر مهندسيه بنحت ممر آخر في عرق صلب من الحجر الجيري في الجبل، واحتفل بافتتاحه في السنة الثانية والخمسين من حكمه. وقد كان ذلك بداية إصلاح شامل، ففحص الأقبية التي دفنت فيها العجول المقدسة، وجددت أكفانها كما أصلحت صناديق مومياتها، وقويت مباني المقصورة ومنح المبنى الأخشاب والمتاع والعطور والزيوت اللازمة. وقد دون هذا العمل الذي قام به «بسمتيك» على لوحة عثر عليها «مريت باشا» محفوظة الآن بمتحف «اللوفر» (راجع Mariette, Rensignments sur les 74 Apis Trouvés dans les Souterrains du Serapeum Bull. Arch. D’Atheraeum Français 1885 P. P. 47, 48, & vol. II. P. 78, cf Le Serapeum de Memphis 2nd Ed. Vol. 1 P. P. 118–121).

ويقول «برستد» مخالفًا لرأي «ماسبرو» الذي ذكرناه هنا: «أن هذه اللوحة قد فهم من نقوشها رجال الآثار أنها سجل الإصلاحات التي عملت في «السربيوم»، أو في محراب «أبيس» (راجع Brugsch, Gesch. P. 741–74)، ودفن فيه عجل من عجول «أبيس» مات في عهد «بسمتيك الأول»، ولكن المضمون الحقيقي لهذا النقش يختلف كلية عن ذلك إذ الواقع أنه لا توجد فيه إشارة إلى عجل «أبيس» مات في عهد «بسمتيك الأول»، ولكن كل ما هو موجود ينحصر في تسجيل الإصلاح الذي قام به هذا العاهل لمدفن قديم، وأنه قد وصل إليه تقرير بأن صندوق عجل «أبيس» تداعى لدرجة أن جسم الحيوان المقدس قد بدا للعيان.

وهاك ترجمة هذه اللوحة:

في السنة الثانية والخمسين من عهد جلالة هذا الإله الطيب (بسمتيك الأول يأتي بعد ذلك ألقابه الخمسة).

رسالة: إن معبد والدك «أوزير أبيس» (يرى هنا الأستاذ «برستد» أن كلمة «معبد» هي مدفن لعجل[٣٢] «أبيس»، وأنها لا بد أن تعني هنا قبة في «السربيوم» دفن فيها عجل «أبيس») والأشياء التي فيه قد بدأت تئول إلى الخراب، وقد بدت الأعضاء المقدسة التي في تابوته للعيان، وقد استولى العطب على صناديقه الجنازية فأمر جلالته بإصلاح معبده على أن يكون أجمل مما كان عليه من قبل، فأمر جلالته بأن يعمل له كل ما يفعل لإله في يوم الدفن. وقد كان لكل إدارة عملها حتى تصبح الأعضاء المقدسة فخمة من حيث العطور والأكفان المصنوعة من الكتان الملكي وكل ملابس إله. وكانت صناديقه الجنازية من خشب «كد»، وخشب «مرو» وخشب «الأرز» من خيرة كل خشب.

وكانت جنودها من رعايا القصر — من اللوبيين — في حين كان يشرف عليهم سمير من سمار الملك جامعًا أعمالهم — أي ما فرض عليهم — إلى البلاط مثل أرض مصر. ليته يعطي الحياة والثبات مثل «رع» أبد الآبدين (راجع Br. A. R. IV 963 ff).

وأخيرًا يقول «بوريه» (راجع Boreux, Antiquités Egyptiennes, Guide-Catalogue Sonmaire I P. 171): إن اللوحة رقم ٢٣٩ الموجودة في متحف «اللوفر» تعد ذات قيمة بوجه خاص لتاريخ «السربيوم». فمنذ السنة السبعين من حكم «رعمسيس الثاني» كانت عجول «أبيس» تدفن في نفق تحت الأرض، وكان قد تهدم جزء منه بسبب تداعيه

في عهد الملك «بسمتيك الأول»، فاقتضى الأمر إصلاح هذا التداعي وأدى ذلك إلى حفر مقابر جديدة للثيران المقدسة؛ لتستعمل في الأزمان المقبلة، وكان أكبر اتساعًا وأعظم حجمًا من المقابر القديمة، وقد استعملت حتى عهد البطالمة، وقد افتتحها عند دفن «أبيس» في السنة الثانية والخمسين من حكمه، ونحن مدينون بهذه المعلومات الثمينة للنقوش التي جاءت على اللوحة ٢٣٩، وهي كما قال عنها «مريت» عبارة عن محضر لتنفيذ المرسوم الملكي الذي أمر به «بسمتيك» لحفر هذه المقابر التي تحت الأرض.

وتدل شواهد الأحوال على أن رأي كل من «ماسبرو» و«بوريه» هو الأصح.

ولوحات «بسمتيك» الثلاث الباقية باسمه هي لوحات شواهد قبور:

اللوحة الأولى: (راجع Mariette, les Serapeum du Memphis III Pl. 36; Revillout Rev. Egypt. III, 138; Chassinat Rec. Trav. 22, P. 191; and Br. A. R. IV 959) صنعت من الحجر الجيري وهي مستديرة من أعلاها، ويشاهد في النصف الأعلى منها صورة العجل «أبيس» سائرًا نحو اليمين. وفي النصف الثاني متن اللوحة، وهذا المتن هام إذ منه نفهم أن الملك «تهرقا» كان يحكم قبل «بسمتيك» مباشرة أو بعبارة أخرى نفهم أن «بسمتيك الأول» قد تجاهل حكم الملك «تانو تأمون». وقد كان موت العجل قبل بداية السنة الحادية والعشرين من حكم «بسمتيك الأول»، وقد ظل على قيد الحياة إحدى وعشرين سنة وشهرين وسبعة أيام. ولما كان هذا العجل قد ولد في السنة السادسة والعشرين من حكم الملك «تهرقا»، فإنه من البدهي أن «تهرقا» هذا كان قد سبق «بسمتيك الأول» في حكم البلاد بمدة بينهما تبلغ شهرًا أو شهرين. وهذه اللوحة هامة تظهر أن سني حكم الملك تتفق مع سني التقويم المدني. وقد مات العجل في السنة الواحدة والعشرين — الشهر الثاني في السنة العشرين من حكم «بسمتيك». وعند نهاية السبعين يومًا الاحتفالية دفن العجل في اليوم الخامس والعشرين من الشهر الثاني من السنة الواحدة والعشرين من حكم هذا الملك. وبدهي أن الانتقال

من السنة العشرين إلى السنة الواحدة والعشرين قد وقع في يوم أول سنة جديدة (راجع Br. A. R. IV § 984).

ترجمة اللوحة:

> تاريخ «أبيس»: السنة العشرون — الشهر الرابع من الفصل الثالث الحصاد (الشهر الثاني عشر) اليوم الواحد والعشرون، في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «واح-أب-رع» من جسده «بسمتيك الأول» صعد جلالة «أبيس» الابن الحي إلى السماء، وهذا الإله قد قيد في سلام إلى الغرب الجميل (أي: الجبانة) في السنة الواحدة والعشرين — الشهر الثاني من الفصل الأول (فصل الفيضان) في اليوم الخامس والعشرين، وكان قد ولد في السنة السادسة والعشرين من حكم الملك «تهرقا»، وقد استقبل في «منف» في الشهر الرابع من الفصل الثاني «فصل الزرع» في اليوم التاسع من الشهر، وبذلك يكون عمره واحدًا وعشرين سنة وشهرين وسبعة أيام.

اللوحة الثانية من لوحات «السرابيوم الخاصة بعهد بسمتيك»: (راجع Chassinat Rec. Trav. XXII. P. 20-21; Br. A. R. IV §§ 974–9; L. R. IV. P. 74) هذه اللوحة عثر عليها في «السربيوم» بمنف وهي محفوظة الآن بمتحف «اللوفر» (No. 193)، وهي مستديرة في أعلاها ومصنوعة من الحجر الجيري، ويشاهد في نصفها الأعلى صورة العجل «أبيس آتوم» بقرنيه وكتب فوق رأسه «معطى الحياة كلها»، وقد مثل سائرًا نحو اليمين وأمامه مائدة قربان والملك «خنم-أب-رع» الإله الطيب رب الأرض راكعًا، وخلف الملك صورة زوجة واسمها «حور منيت»، وفوق هذا المنظر صورة السماء بقرص الشمس المجنح. وما جاء في هذه اللوحة من نقوش يدل على أن «أبيس» ولد في السنة الثالثة والخمسين من عهد «بسمتيك الأول» قد توج في السنة الرابعة والخمسين من حكم هذا الملك، ومات في السنة السادسة عشرة اليوم السادس من شهر «بابة» من عهد الملك «نيكاو الثاني»، وكان عمر هذا العجل وقت

مماته ست عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة عشر يومًا، وعلى ذلك لم يكن قد عاش إلا سنة ونصف السنة، قبل تولي «نيكاو الثاني» مقاليد الحكم، وعلى ذلك يكون قد حكم «بسمتيك» بالضبط أربعًا وخمسين سنة، ويظن الأستاذ «برستد» أن «بسمتيك الأول» لم يمت في اليوم الأخير من السنة الرابعة والخمسين من حكمه، بل مات في أوائل السنة الخامسة والخمسين من سني حكمه. وهو يقول في ذلك: إن هذه اللوحة تقدم لنا البيانات لحساب المدة المضبوطة لمدى حكم الملك «بسمتيك الأول». فقد مات هذا العجل «أبيس» بعد أن عاش ست عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة عشر يومًا، في السنة السادسة عشرة اليوم السادس من الشهر الثاني من عهد «نيكاو»، ومن ثم نرى أن معظم حياته قد وقعت في عهد الملك «نيكاو»، وقد كان عمره سنة واحدة وستة أشهر وأحد عشر يومًا فقط عند تولية «نيكاو»، وهذه المدة من حياته تنطبق مع السنة الأخيرة وستة الأشهر والأحد عشر يومًا من حياة سلف «نيكاو» وهو «بسمتيك الأول»، والآن لما كان «أبيس» قد ولد في السنة الثالثة والخمسين من عهد «بسمتيك الأول» في اليوم التاسع عشر من الشهر السادس، فإن المجموع الكلي لحكم «بسمتيك الأول» هو حاصل جمع ما يأتي:

٥٢ سنة	٥ أشهر	١٩ يومًا	= ٥٤ سنة كاملة
١ سنة	٦ أشهر	١١ يومًا	

وهذا يدل على أن «بسمتيك» قد حكم عددًا تامًّا من السنين، غير أنه لا يمكننا أن نفرض أن «بسمتيك» قد مات في اليوم الأخير من سني حكمه، وأن الكسر من تلك السنة غير التامة كان قد حسب بعد وفاته في السنة الأولى من عهد خلفه «نيكاو»، ومن ثم يظهر جليًّا أن سني حكم الملك في عهد الأسرة السادسة والعشرين كان يبتدئ في أول يوم من السنة الجديدة. وقد وصلنا

إلى نفس النتيجة من مضمون لوحة «السربيوم» الأولى من عهد «بسمتيك الأول» كما ذكرنا آنفًا.

وهاك نص اللوحة:

السنة السادسة عشرة — الشهر الرابع — من الفصل الأول (فصل الفيضان) — اليوم السادس عشر من الشهر في عهد جلالة الملك حور المسمى (المسمى) حكيم القلب، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (هذا اللقب وضعه الكاتب خطأ من حيث ترتيب الألقاب الملكية) حظي الإلهتين (المسمى) المنتصر، حور الذهبي (المسمى) محبوب الآلهة، «واح أب رع» من جسده ومحبوبه (المسمى) «نيكاو»، عاش أبديًّا محبوب «أبيس» بن «أوزير».

دفن «أبيس»

يوم دفن هذا الإله. هذا الإله قد اقتيد في سلام إلى الجبانة؛ ليأخذ مكانه في معبده في الصحراء الغربية التابعة لحياة الأرضين (= منف) بعد أن عمل له كل ما يعمل في البيت المطهر، كما كان قد عمل سابقًا (لغيره من العجول المقدسة).

حياة «أبيس»

ولد في السنة الثالثة والخمسين — الشهر الثاني من الفصل الثاني (فصل الزرع) اليوم التاسع عشر من الشهر في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «واح-أب-رع»، ابن «رع» (المسمى) «بسمتيك الأول» المنتصر. وقد استقبل في بيت «بتاح» في السنة الرابعة والخمسين الشهر الثالث من الفصل الأول (فصل الفيضان) اليوم الثاني عشر. وقد فارق الحياة في السنة السادسة عشرة — الشهر الثاني من الفصل

الأول (فصل الفيضان) اليوم السادس، ومجموع مدة حياته كان ست عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة عشر يومًا.

قبر «أبيس» – تجهيزه

إن جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «نيكاو» العائش إلى الأبد قد عمل كل التوابيت، وكل شيء ممتاز ومفيد لآلهة الفاخر هذا. فقد بُني له مكانه في الجبانة من الحجر الجيري من عيان وهي بضاعة ممتازة. ولم يوجد قط من قبل مثل ذلك منذ الأزل؛ وذلك لأجل أن يمنح كل الحياة وكل الثبات وكل السرور والصحة وفرح القلب مثل «رع» أبد الأبدين.

(٢-١٣) رشيد

عثر في «رشيد» على قطعة حجر بين عمودين منقوشة من وجهيها، مثل عليها «بسمتيك» الأول أمام آلهة برءوس ثيران، ويقال: إنها مستخرجة من معبد «آمون» برشيد، وهي محفوظة الآن بالمُتْحَف البريطاني (راجع Porterand Moss, vol. IV. P. 1)، وكذلك وجد ساق عمود من البازلت لهذا الملك محفوظًا بالمُتْحَف البريطاني (راجع Ibid. P. 2).

(٢-١٤) العرابة

عثر للفرعون «بسمتيك الأول» على بعض آثار في «العرابة المدفونة»:

(١) رأس صغير من الحجر الجيري يحتمل أنه للملك «بسمتيك الأول» (راجع Ayrton Currelly and Weigall, Abydos Pl. XXVII (2) cf P. 52).

(٢) عثر في المعبد الصغير على جزء من عتب مثل فيه «بسمتيك الأول» «أوزير نب عنج» (أوزير رب الأحياء) و«حور»، كما مثلت «نيتوكريس» أمام «أوزير وننفر» و«أزيس» مع

اسم «بدي حور» حاكم المدينة وهو محفوظ بالمُتْحَف المصري (راجع Porter and Moss, v P. 70).

(٢-١٥) قفط

وجدت في «قفط» قطعة حجر عليها اسم «بسمتيك»، ويحتمل أنه «بسمتيك الأول» أو الثاني وهي الآن بمتحف «ليون» (راجع Petrie, Koptos Pl. XVII (1); cf. P. 17).

(٢-١٦) تل إدفو

وجد في «تل إدفو» قطعة نقش عليها اسم «بسمتيك الأول» في أسكفة باب من عهد البطالمة (راجع Alliot, Tetl Edfu (1932) P. 42–45 (P. M. V. P. 202) fig. 63-64).

(٢-١٧) الكرنك

ترك «بسمتيك الأول» عدة نقوش باسمه في «معبد الكرنك» نذكر منها ما يأتي:

(١) وجد على جدران ميناء «الكرنك» نقشان يدلان على ارتفاع النيل في عهده في أول السنة العاشرة وفي السنة الحادية عشرة، كما كانت عادة الملوك في تدوين مقاييس النيل في عهدهم (راجع Legrain, A. Z. XXXIV. P. 116, 117)، هذا وقد دون كذلك مقياس النيل في السنتين السابعة عشرة والتاسعة عشرة من حكمه على نفس الميناء (راجع Ibid. P. 117).

(٢) معبد «مونتو»: وفي معبد «مونتو» بالكرنك (راجع A. S. XXIV. P. 85). نقشت طغراءات «بسمتيك الأول» وابنته «نيتوكريس» على عرش الكرنك من جهة الشمال، كما نقشت طغراءات «نيكاو» و«بسمتيك الثاني» و«إبريز».

(٣) وفي الكرنك وجد نقش على الصخر في معبد «خنسو» باسم «بسمتيك الأول» (راجع Prisse, Monuments 35, 4; Wiedemann Gesch. P. 619).

(٤) ووجد للملك «بسمتيك الأول» جزء من تمثال محفوظ بالمُتْحَف البريطاني نقش عليه: الإله الطيب رب الأرضين، فاعل الخيرات «واح أب رع» (راجع Guide Maspero. P. 222 No 801).

(٥) وفي معبد «آمون» يشاهد على بوابة الملك «حور محب» (أي: البوابة العاشرة) طغراء الملك «بسمتيك الأول»، وقد لوحظ أن اسم هذا الملك قد كتب مكان اسم ملك آخر بعد محوه بدقة (راجع A. S. XI 4. P. 14-15).

(٦) وكذلك وجد اسم هذا الملك منقوشًا على قطعة حجر في معبد الإلهة «موت» مع ملوك آخرين (راجع Benson and Gourlay, Pls. XX-XXII. PP. 370).

(٧) عثر لهذا الملك كذلك على آنية في صورة قلب في معبد «الكرنك»، وهي محفوظة بالمُتْحَف المصري (راجع Rec. Trav. XIV. P. 38). وقد نقش الجزء الأعلى من هذه الآنية صور وأسماء بعض الآلهة، وعلى الجزء الأسفل صيغة دعاء ديني للملك «بسمتيك» الإله الطيب «واح أب رع» ابن رع «بسمتيك» عاش أبديًّا.

(٨) ويوجد في متحف «فينا» قطعة من البرنز عليها اسم «بسمتيك الأول» (راجع Rec. Trav. IX P. 53)، ويقول «بتري»: إن ألواح البرنز التي كتب عليها اسم الملك «بسمتيك الأول»، وهي المحفوظة بمتحفي «فينا» و«القاهرة» عثر عليها كذلك في «الكرنك» (Petrie, Hist. III. P. 326).

(٢-١٨) مدينة «هابو»

(١) وجد في مدينة «هابو» تمثال فخم للإله «أوزير» مصنوع من البازلت الأسود طوله ١,٥٥ مترًا، وقد نقش على قاعدته متن من عهد الملك «بسمتيك الأول» وابنته «نيتوكريس» المتعبدة الإلهية، وعلى ظهر التمثال نقش متن يذكر فيه «أوزير» ألقابه هو ومناقبه في كل جهات القطر (راجع Rec. Trav. XVII. P. 118).

(٢) وكذلك وجدت في هذا المعبد نقوش باسم الملك «بسمتيك الأول» على عمود ومعه ابنته «نيتوكريس» (راجع Champ. Notices Desc. 1, 229; and L. D. Texte III, P. 157).

(٣) رجال عصر «بسمتيك الأوَّل»

ظهر في عصر الملك «بسمتيك الأول» عدة شخصيات كان لهم شأن عظيم في البلاد، وخلفوا وراءهم عدة آثار تكشف النقاب بعض الشيء عن عصر هذا الملك. ونخص بالذكر منهم غير من جاء ذكره من قبل من يأتي:

(٣-١) سمتاوى تفنخت[٣٣]

تدل الآثار التي عثر عليها لهذا الموظف العظيم على أنه كان صاحب شأن خطير في شئون الملك في عهد الملك «بسمتيك الأول». وقد جمع كثيرًا منها الأثري «دارسي» وتحدث عنها. ففي «أهناسيا المدينة» عثر له على قاعدة تمثال من الجرانيت الأسود يفهم من صورتها أن التمثال الذي كان فوقها قد مثل راكعًا، وممسكًا أمامه محرابًا صغيرًا، غير أنه لم يبقَ من التمثال إلا الركبتان، وقد نقش على القاعدة متنان متقابلان يدوران حولها ولم يبقَ منهما إلا ما يأتي:

> قربان يقدمه الملك للإلهة «باستت» والإلهة «أهناسيا المدينة»؛ ليكون له نصيب من كل ما يظهر على مائدة القربان، الأمير والحاكم و«المشرف على الجنوب» (المسمى)

«سمتاوى تفنخت» بن الملك.

وقد ذكر «دارسي» هذا الأثر؛ لأنه كما يقول خاص بشخصية لعبت دورًا هامًّا في بداية العهد الساوي (راجع A. S. XVIII P. 121).

وفي المُتْحَف المصري يوجد تمثال لنفس هذا الأمير فقد رأسه، وهو كذلك مصنوع من الجرانيت الأسود ويبلغ ارتفاعه ٤٥ سنتيمترًا. وقد مثل قاعدًا على الأرض بهيئة بعض التماثيل التي من العصر الكوشي، كما شاهدنا ذلك من قبل (راجع الجزء العاشر). ونقش حول القاعدة المتن التالي:

> قربان يقدمه الملك للآلهة والإلهات الذين في معبد الإلهة «نيت»؛ ليعطوا كل شيء طاهر من كل ما يظهر على مائدة قربانهم روح الأمير الوراثي والحاكم في كل أماكنه (المسمى) «سمتاوى تفنخت».

ونقش على الوجه العلوي للقاعدة:

> «خادمه الحقيقي في سويداء قلبه، والأمير الوراثي والحاكم المشرف على الأسطول الملكي» «سمتاوى تفنخت».

هذا ونجد منقوشًا على كتفه اليمنى لقبه، وعلى اليسرى: «ابن رع» «بسمتيك الأول»، ونلحظ أن الألقاب المنقوشة على هذين الأثرين السابقين ليست موحدة، غير أن اسم صاحبها نادر جدًّا مما يجعل من الصعب علينا أن نعدهما شخصين مختلفين، وذلك على الرغم من أن واحدًا منهما وجد في «أهناسيا المدينة»، والثاني في «سايس» «صا الحجر». ومن المحتمل أن التمثال الأخير عمل هدية منحها «بسمتيك الأول» لهذا الرجل العظيم، وذلك بعد أن أتم الرحلة الميمونة التي تحدثنا عنها عند الكلام على لوحة «نيتوكريس» ابنة «بسمتيك»، وهي التي تبنتها «شبنوبت» المتعبدة الإلهية «لآمون» ابنة «بيعنخي»، والأخيرة قد انتخبت «نيتوكريس» (أو

بعبارة أصح فرضت عليها) ابنة «بسمتيك الأول». وقد كان على «نيتوكريس» التي كانت تسكن الوجه البحري أن تذهب إلى عاصمة الجنوب «طيبة» مقر المتعبدات الإلهيات. ولما أراد «بسمتيك» أن تكون رحلة ابنته ذات أهمية سياسية نفذها بأبهة بالغة وعظمة فائقة. وقد وصفت لنا نقوش رحلة «نيتوكريس» هذه في لوحتها التي تركتها لنا مؤرخة بالسنة التاسعة من عهد والدها، وذلك في الثامن والعشرين من شهر «توت». وكان موكبها يسير في النيل مؤلفًا من عدة سفن محملة بالهدايا لمعابد «طيبة»، وكان يصحب الأميرة أعظم موظفي الدولة.

وكان رئيس البعثة الذي وصل في سلام هو «السمير الوحيد» وحاكم مقاطعة «أهناسيا المدينة»، وقائد الجيش والرئيس العظيم (المسمى) «سمتاوى تفنخت»، وهو صاحب التمثال الذي تحدثنا عنه هنا. هذا وقد جاء ذكر هذه الرحلة المظفرة في نقش دون على جدران معبد «الكرنك» (معبد موت)، غير أنه لم يَبْقَ منه إلا بعض قطع أحجار كشفت عنها مس «بنسون» في أثناء أعمال الحفر التي قامت بها في معبد «موت» بالكرنك، وهذه الأحجار محفوظة الآن بمتحف القاهرة. والواقع أنه ينبغي أن تكون هناك سلسلة من النقوش لتفسير قصة وصول هذه الأميرة إلى «طيبة». فنشاهد بوضوح على إحدى القطع السفينة الأولى راسية أمام مرسى المعبد الكبير بالكرنك (راجع Benson, Temple of Mut, Pl. XXII fig. 5. P. 258)، وهو المرسى الذي نقشت عليه مقاييس ارتفاع النيل، ويمكن معرفته بالمسلة الصغيرة وتمثال «بولهول» الذي رسم على اللوحة، وهذا يذكرنا بالمسلة الصغيرة التي أقامها «سيتي الثاني»، وهي التي كان من المحتمل أن يوجد بجوارها تمثال «بولهول» صغير، اللهم إلا إذا كان قد قصد بذلك الإشارة بهذه الصورة إلى «شارع الكباش» المؤدي للمعبد. وقد عرفت إحدى السفن الكبيرة بأنها السفينة الكبيرة التابعة لسايس وقد نقش عليها: «الأمير والحاكم ورئيس جيش «أهناسيا المدينة»، وقائد الأسطول «سمتاوى تفنخت»، وبعد هذه السفينة تأتي سلسلة سفن أصغر حجمًا بنيت على نسق واحد؛ وذلك لأن كل واحدة منها كان طولها ٤٥ ذراعًا وعرضها

١٥ ذراعًا. والأولى سميت «ناقلة الملك بيعنخي»، وهذا الاسم الأخير يوحي بأن هذه النقوش يرجع تاريخها إلى حكم الملك الفاتح «بيعنخي»، ولكن ذلك يخالف الواقع. والقطعة التي ذكرناها فيما سبق تمثل لنا وصول الأميرة وما تحمله من مهر معها إلى «الكرنك»، وليس الموضوع هنا حملة إلى بلاد «السودان» كما ذكر لنا ذلك «برستد» (راجع Br. A. R. IV. P. 483) عند التحدث عن لوحة «نيتوكريس» إذ يقول: إن أهناسيا بنفس الاسم ونفس الوظيفة قد ظهر في عهد «بيعنخي» بعد فتح «طيبة»، ولما كانت السنة التاسعة من حكم «بسمتيك» جاءت بعد حوالي خمس وسبعين سنة من حكم «بيعنخي»، فإن الرجلين ليسا موحدين، بل يحتمل أنهما الأب والابن.

ويقول «دراسي» (A. S. XVIII P. 32 note 2): إن هذا التمييز ليس مقنعًا وذلك أنه من بين السفن الأخرى للنقل توجد سفينتان تحملان الاسمين «نجول» و«بهجوتا»، وينبغي على حسب مظهرهما أن يكونا اسمي أميرين أجنبيين فهل هما كوشيان أو لوبيان؟ وإني أميل للرأي الثاني؛ وذلك لأن هذه السفن كان قد أرسلها «بسمتيك»، وأمراء «سايس» يعدون أمراء لوبيين وكذلك يوجد تشابه بينهما وبين الأسماء الأخرى في هذا العصر التي تعد لوبية مثل «هجل» وهو اسم ملك، وكذلك «بدجويهت» وهو اسم كاهن من العصر الساوي، وقد وجد على تمثال بمتحف «القاهرة». هذا وقد كتب الأستاذ «جريفث» تفسيرًا عن سفينة الملك «بيعنخي»، التي جاء ذكرها هنا وهو يختلف عن الذي أوردناه (راجع Griffith, Ryland Pap. III. P. 73-74) هذا ووجد الأثري «بتري» في الحفائر التي قام بها في «أهناسيا المدينة» (Ehnasya, Pl. XXVII, fig. 4) ساق تمثال في معبد الإله «حرشف» نُقِشَ عليه جزء من لقب أن يكون يحتمل (رئيس سفن الأرض) «سمتاوى تفنخت». ومن الجائز أن هذا التمثال كان يمثل «سمتاوى تفنخت» الذي نحن بصدده. يضاف إلى ما سبق أنه في عام ١٩٠٥ رأى الأثري «شبيجللبرج» في شارع «وجه البركة» بالقاهرة قطعة من تمثال راكع مصنوع من الحجر

الجيري، وأمامه محراب آلهة يحتمل أنها الإلهة «أزيس». وقد نقش على العمود الأيمن لهذا المحراب ما يأتي: الملك «بسمتيك» محبوب «أزيس» القاطنة في «العرابة»، والأمير المقرب وحاكم الجنوب «سمتاوى تفنخت» ونقش في أسفله: عملته الابنة الملكية من ظهره. وكذلك نقش على هذا التمثال ما يأتي:

(١) محبوبة الملك … «سمتاوى تفنخت». (٢) المشرف على كهنة الإله «حرشف» (المسمى) «سمتاوى تفنخت». (٣) الأمير الوراثي والحاكم والسمير الوحيد …

(راجع A. Z. 53. P. 112)، ونلحظ أن ما وجد لهذا العظيم من آثار لا يقدم لنا شجرة نسبه، وإن كنا قد عرفنا من نقوشه أنه من سلالة ملكية. ويقول «دارسي» (Ibid. P. 33): إنه كان من المحتمل أن يتصل نسبه بأولئك الأمراء ملوك «أهناسيا المدينة»، والظاهر أن واحدًا من أواخرهم «بدي باست» الذي عثر له على تمثال من الذهب صنعه للإله «حرشف» الإله الأعظم لمدينة «أهناسيا المدينة» عثر عليه «بتري» (راجع Petrie? Ihnasya Frontes Piece).

ومما هو جدير بالملاحظة أن اسم «سمتاوى تفنخت» كان شائعًا في هذا العهد، وذلك تيمنًا باسم «تفنخت» الأمير العظيم الذي لعب دورًا هامًّا في تاريخ مصر في العهد الكوشي، وسنعود إلى التحدث عن هذا العظيم في سياق الكلام عن قصة ظلامة «بتيسي».

(أ) ظلامة «بتيسي»

والحديث عن «سمتاوى تفنخت» يجذبنا بطبيعة الحال إلى الحديث عن قصة تؤرخ بالعهد الفارسي، ولكن على الرغم من ذلك فإن معظم حوادثها يرجع إلى العهد الساوي، وبخاصة في عهد الملك «بسمتيك الأول» وكبار رجال حكومته، يضاف إلى ذلك أنه قد جاء في القصة ذكر بعض رجال عصر هذا الفرعون لم يأتِ ذكرهم في نقوش أخرى مما كشفت حتى الآن، وكذلك

جاءت بعض إشارات عن ملوك الأسرة الساوية غير الملك «بسمتيك الأول» مثل «بسمتيك الثاني» و«أمسيس» و«إبريز»، ولكن بصورة خاطفة. وسنورد هنا ملخصًا ثم ترجمة لهذه القصة لما لها من أهمية في عهد «بسمتيك الأول»، وبخاصة في الحالتين الاجتماعية والدينية في هذه الفترة من تاريخ البلاد. ويجب أن نشير هنا إلى أن هذه القصة كغيرها من القصص تحتوي على أشياء جاءت من نسج خيال كاتبها، ومع ذلك فإنا نرى من بين سطورها صفحة مجيدة عن أحوال البلاد في هذه الفترة، قل أن نجد مثيلتها مما وصل إلينا حتى الآن عن هذا العهد. والقصة ترجع حوادثها في الأصل إلى عهد الملك «دارا» ملك الفرس، وهي ظلامة كتبت على بردية، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه البردية كانت ضمن عدة أوراق عثر عليها في «الحيبة»، ولكنها تعد أهمها ويبلغ طولها أربعة أمتار وربع المتر، وقد كتبت بخط صغير وشغلت كتابتها كل وجه الإضمامة وخمسة أسداس ظهرها، وقد ترجمها الأثري «جرفث»، وعلق عليها كما ترجمها «ريدر».[٣٤]

وأهم أقسام هذه البردية الطويلة ما يأتي:

(أ) تبتدئ الورقة بذكر حوادث السنة التاسعة وما بعدها من عهد «دارا» عاهل «الفرس»، فقصت حقائق غير زمنية عن أسباب خراب «توزوي» (الحيبة)،[٣٥] وعن الآلام التي قاساها «بتيسي» صاحب القصة وسجنه، وما يتبع ذلك من هجوم غادر قام به الكهنة، ثم تظلمه مما حدث له للحاكم أو «الشطربة» وقتئذ وطلبه إليه حمايته، وتكلم عن حرق بيته انتقامًا منه. ثم ينتهي الأمر بعودته إلى بلدته «توزوي» (الحيبة الحالية)، وذلك بعد أن غاب عنها أكثر من عام، ولكن على شرط تعهد أولي الأمر له بسلامته وحمايته، غير أنهم اشترطوا عليه ألا تعوض له الخسائر التي حاقت به، كما أنه لن يلتفت إلى أي حق من الحقوق التي ادعى أنه ورثها عن أجداده في معبد «توزوي».

(ب) والجزء الثاني من هذه البردية هو بيان أشير إليه في صلب الورقة، وقد أعده «بتيسي» للحاكم ليظهر له كيف أن علاقة أسرته ببلدة «توزوي» كانت قد بدأت في السنة الرابعة من حكم «بسمتيك الأول»، وقد قص في هذا البيان تاريخ هذه العلاقة بالتطويل حتى السنة الرابعة من حكم الملك «قمبيز»؛ مما وضع أمامنا صفحة رائعة عن الحياة الدينية في تلك الفترة من تاريخ البلاد. وإذا كان التقرير الأصلي كما هو المحتمل استمر في سرد القصة حتى السنة التاسعة من حكم الملك «دارا» الفارسي، فإن هذا الجزء من القصة قد حذف؛ لأنه حل محله وكمله الجزء (١) وقد أضيف في نهاية هذا البيان وثائق أخرى وهي:

(جـ) نسخ بالخط الهيراطيقي لنقشين بالهيروغليفية مؤرخين بالسنتين الرابعة عشر والرابعة والثلاثين من حكم الفرعون «بسمتيك الأول» على التوالي. وكل منهما يتحدث عن تخفيف عبء ضريبة المعبد بألفاظ موحدة، ولكن مع تفسيرات هامة في ألقاب الموظفين اللذين ظهرا فيهما، وهما «بتيسي» رئيس السفن و«بتيسي» وكيله في بلدة «توزوي». والأخير على حسب ما جاء في الظلامة هو «بتيسي الأول» جد «بتيسي» مقدم الظلامة، وقد محيت نقوش اللوحة الثانية عن سوء قصد بيد الكهنة؛ لأجل القضاء على ما يثبت حق «بتيسي» الأول في معبد «توزوي».

(د) نسخ أغان أوحى بها «آمون» عندما اقترب من اللوحة المشوهة. وكانت قد نقشت بعد هجوم فظيع قام به الكهنة على أسرة «بتيسي»، وصفح عنهم بكل كرم وعزة. ولا نزاع في أنه يفهم من مطلع البردية أن هذا المتن بحذافيره كان رواية قصها «بتيسي الثالث»، وأنه قد أعدها للحاكم أو لموظف آخر من كبار الموظفين لأجل أن يستعملها في ظلامة جديدة؛ وذلك لأن نتائج الظلامة القديمة قد أخفقت في إرضاء الشخص الذي أصابه الضر.

ويلحظ في هذه البردية أن أهم شخص اتصل به «بتيسي» كان يطلق عليه لقب «الحاكم»، كما ورد في الترجمة، غير أن قراءة ومعنى هذا اللقب الذي أشير إليه به وحده في الأصل غير

معروفين. ونعلم من سياق الكلام أن مقره كان «منف» عاصمة الملك، ومن المحتمل أنه كان «الشطربة» نفسه، وعلى أية حال فإنه لا يمكن أن يكون واحدًا من الرؤساء أتباعه. هذا ويلحظ أنه في فقرة من فقرات الورقة قد ذكر «الحاكم» و«سيد مصر» معًا، ومن المحتمل أن الأخير هو «الشطربة»، ولكن الأرجح أنه هو «الملك العظيم» نفسه (أي: ملك الفرس) ولم يظهر الحاكم في الأطوار الأولى من القصة، وعلى ذلك فإنه يمكن أن يكون تبعًا — كما هي الحال مع الشطربة — لإدارة الدولة الفارسية، التي أعاد تنظيمها «دارا» ملك الفرس وقام بنفسه على تنفيذها.

هذا هو هيكل الظلامة التي قصها علينا «بتيسي»، وسنرى من ترجمتها أنها تكشف لنا عن صفحة من أروع الصفحات التي خلفها لنا قدماء المصريين في العصر الأخير من تاريخهم مدونة على البردي. والواقع أنه من أمثال هذه البردية وما جاء فيها يمكن الباحث في تاريخ مصر أن ينفذ إلى صميم حياة الشعب، وما كان فيها من مآسٍ وأخبار تصور لنا الحياة الاجتماعية بأجلى معانيها. وسنشاهد في المتن الذي بين أيدينا صفحة من تاريخ أمة كانت سائرة نحو الأفول؛ بسبب ما كان يجري فيها من فساد ورشوة وانحطاط أخلاق، وبخاصة ما وصل إليه رجال الدين من التكالب على حب المال مما جعلهم يدنسون معابد أكبر الآلهة بجرائم القتل والسلب والنهب، وهذا يذكرنا بعهد القرون الوسطى في «أوروبا» وعهد الفساد في الماضي القريب في بلادنا. وسنحاول أن نقدم ترجمة لهذه البردية على الرغم مما فيها من صعوبات لغوية لم يُتوصل إلى حلها حتى الآن. وعلى أية حال فإن المعنى العام لما جاء فيها ظاهر واضح، ويرجع الفضل في هذه الترجمة للأستاذ جرفث الذي حل معظم معميات هذا المتن، وسنبدأ بترجمة القسم الخاص بما حل بالكاهن «بتيسي الثالث» المتظلم في السنة التاسعة من حكم الملك «دارا»، وسنتحدث عن ظلامته، ثم عودته أخيرًا إلى بلدة «توزوي»: وهناك النص:

آه ليت آمون يمد حياته[٣٦]

في السنة التاسعة، شهر «بامنحوتب (برمودة)» في عهد الفرعون «دارا»[٣٧] أتى «أحمس»[٣٨] بن «بتحارمبي» من «بتورس»[٣٩] (الوجه القبلي) إلى (توزوي) (الحيبة)، وحدث «زوبستفعنخ» بن «ينجارو» الذي كان ليشوني (لشن مدير المعبد وهو كاهن، ولكن من الوجهة الإدارية) لآمون. أن حصتي[٤٠] كانت تمنح لي في «توزوي». (الحيبة) سنويًّا منذ أن أصبح «الحاكم» كاهنًا لآمون «توزوي». فقال له «زوبستفعنخ» (٤) ابن «ينجارو» وهو مدير المعبد الإداري: بحياة نفسك الناجح، وبحياة «آمون» الذي يثوي هنا تأمل أنه على الرغم من أننا في «برمودة»، فإنه لا توجد غلة في مخزن «آمون» ولا توجد فضة في صندوق المعبد، والبحث «عن سلفية من» الفضة (؟) بفائدة لتعطى ضريبة الـ ... (٦) هو الشيء الذي سنفعله من الآن (فصاعدًا).

أما عن الرجال الذين وضعت الأغلال في أيديهم (؟) في هذه البلدة، فإنه ليس من واجبنا (٧) إذا كان رجال في هذه البلدة غيرهم (لم يوضعوا في السجن)، فقال له «أحمس»: من منهم الذي يمكنني أن أسأله ليجيبني عن الكيفية التي خربت بها البلدة؟ فقال له «زوبستفعنخ» مدير المعبد الإداري:

لا يوجد رجل في مقدوره (٩) أن يخبرك عن الكيفية التي خربت بها هذه البلدة، إلا «بتيسي» بن «إسمتو» كاتب المعبد، (١٠) وأنه هو الذي سيقول الصدق.

وقد أمر «أحمس» بدعوتي وقال لي: خبرني، أرجوك، عن الطريقة (١١) التي خربت بها هذه المدينة، فقلت له: هل ذلك ما أنت فاتح لأجل أن تجعل ... (أي: لأجل أن يغلق الباب؟ أي: كلما كان سؤاله أكثر فإن جوابه يكون أقل)، فأنا نفسي (١٢) ... ولن يكون في مقدوري أن أخبرك عن الأشياء التي أصابت هذه البلدة. ولكن «أحمس»

قال: إنك أنت الذي (١٣) تخرب البلدة أكثر من الرجال الذين يخربونها، وقد وضع رجالًا لحراستي ثم أمر بوضعي في سفينته قائلًا: سآخذك للحاكم. ولقد أحجمت عن ضربك؛ لأنك رجل مسن، إذ قد يسبب ذلك موتك. وعندما وصل «أحمس» إلى «أهناسيا» قال لي: ألا تريد حتى الآن أن تخبرني عن الكيفية التي ضربت بها «توزوي»؟ ولكن قلت له: آه ليت يكون في قدرتي أن أصل إلى الحاكم وأعلم الحقيقة (؟) إن ... «توزوي»[٤١] وأحدثه بكل شيء كان قد وقع في «توزوي». ولكن «أحمس» قال لي: (١٨) سترغم على قولها لي؛ لأنك لست رجلًا صاحب وزن. وقد خصص رجلين لحراستي قائلًا: دعاه يمكث في الضح إلى (١٩) أن أقول كل شيء قد حدث في «توزوي».

وقد قاسيت نصيبًا كبيرًا في الضح وقلت له: مر بإعطائي إضمامة من البردي حتى أكتب لك الشيء الذي حدث. وأعطاني «أحمس» إضمامة بردي وكتبت كل شيء، وكان قد عمل لخراب «توزوي»، فقرأ «أحمس» البردية وصاح عاليًا قائلًا لي: بحياة «برع» لقد علمت حقيقة أنك على حق (٣)، فقلت: أنا تأمل لقد قلت لك الأشياء التي حدثت لي، وهؤلاء الكهنة سيقتلونني. وبعد ذلك ختم البردية وجعلني أختمها معه (٤)، وسلمها إلى رجل وأمر بإحضارها إلى المكان الذي كان فيه الحاكم (أي: حاكم مصر). وقد مكث «أحمس» في «أهناسيا» خلال إنهائه عمله، وقد صرفني فأتيت إلى «توزوي». ولم تمضِ إلا أيام قلائل حتى أتى «بكويب» بن «بفتو عو آمن» (٦) إلى «توزوي» وأحضر البردية التي جعلني «أحمس» أكتبها إلى الكهنة. فقبض علي وعلى ابني وعلى أربعة إخوة لي. وقد سلمنا لبعض الحرس وحبسنا في مكان المعبد. وقد عزل «بكويب» (٨) «وزوبستفعنخ» بن «ينحارو» من وظيفة ليشوني (مدير المعبد الإداري) وأمر بوضعه في السجن، كما أمر بوضع قفل على المكان الذي كنا

فيه وجعل «ينحارو» بن «بتحابي» يخلفه. وفي ١٣ أمشير في عيد «بشو»[٤٢] (عيد الحرارة؟) كان كل واحد في «توزوي» يشرب الجعة،[٤٣] وقد شرب الحراس الذين كانوا يحرسوننا وغلب عليهم النوم. وعندئذ هرب «زوبستفعنخ» بن «بتحارو»، وعندما استيقظ الحراس لم يجدوا «زوبستفعنخ»، وعلى ذلك هرب الحراس الذين كانوا يحرسوننا. وعندما سمع «ينحارو» بن «بتحابي» رئيس المعبد الإداري بذلك أتى إلى المعبد مع إخوته بعصيهم (؟) فأتوا علينا وقتلوني ضربًا، وعندئذ سكتوا عن ضربنا قائلين: إنهم ماتوا وحملونا (١٤) إلى برج قديم بالقرب من بوابة المعبد، وألقوا بنا فيه (١٥) وهم عازمون على هدمه علينا ... ولكن ابن «بتيسي» (يجوز أنه ابن المتظلم نفسه) هو الذي قد أتى صارخًا بصوت عالٍ قائلًا: إنكم أنتم الذين على وشك قتل (١٦) أناس في وضح النهار (؟) إن هذا الشيء الذي تفعلونه سيصل إلى (الحاكم)، وسيصل (١٧) إلى سيد مصر (كمي).

إن هؤلاء الذين تقتلونهم هم ستة كهنة ثم تقولون: «إننا سنهدم برجًا عليهم.» ولا يمكنني إلا أن أرسل خبرًا عنهم للحاكم، وعندما يسمعون عنهم فإنهم سيقتلونكم قائلين: (؟) الخراب الخراب لتوزوي (؟) بسبب ذلك، ولن يكون في مقدورها (؟) أن تظل مدينة يأوي إليها رجل مهذب (؟) وأخرجونا من البرج وحملونا إلى واجهة المعبد. (والآن) اتفق أنه لم يكن بينهم رجل مسن غيري. وقد هبط قلبي ولم أعرف شيئًا (٣/ ١) في الأرض قد حدث. وقد مر بخاطرهم قائلين: «إن «بتيسي» لن يمضي ساعة على قيد الحياة.» وأمروا بحملي إلى بيتي وأمضيت أربعة أيام لا أعلم شيئًا في الأرض التي كنت فيها. وأمضيت ثلاثة أشهر تحت أيدي الأطباء قبل أن يشفى الضرب الذي وقع علي. ثم ذهبت على سطح سفينة شحن ليلًا، (٤) وأتيت إلى «منف» وأمضيت سبعة أشهر متظلمًا للحاكم وحاشيته في حين كان «بكويب» بن «بفتو عو

امن» قد أمر كل رجل قائلًا: لا تجعلوه يصل إلى الحاكم. وعلى أية حال تعرف علينا «سمتاوى تفنخت» بن «خوننفر». (٦) فأخبرته بالأشياء التي حدثت لي فجعلني أمثل أمام الحاكم. وأمر الحاكم بإحضارهم أربع مرات، (٧) ولكنهم لم يحضروا، وعندما حضروا في المرة الخامسة كان العقاب الذي وقع عليهم هو أن يجلد كل واحد خمسين جلدة بالسوط،[٤٤] ثم يطلق سراحهم، فذهبوا إلى «سمتاوى تفنخت» بن «خوننفر» قائلين: إننا سنمنحك حصة أنت وأخاك وأبناءك الثلاثة، فيكون المجموع خمس حصص. مر بإحضار بردية لأجل أن نعمل لك براءة بالحصص الخمس. فأمر «سمتاو تفنخت» بإحضار إضمامة من البردي، وعملت براءة بخمس حصص. وذهب «سمتاو تفنخت» أمام الحاكم قائلًا: آه ليته يبقى بقاء «برع». انظر إن هؤلاء الكهنة قد أمر الحاكم أن يوقع عليهم عقاب وقضيتهم خاسرة هنا. دع الحاكم يصرفهم وقد جعل الحاكم يعلن قائلًا: دعهم يرحلوا.

(والآن) اتفق أنني مثلت أمام الحاكم في المساء مع «سمتاوى تفنخت»، فتكلمت أمام الحاكم، إن حصة كاهن «آمون» صاحب «توزوي» كانت ملك والدي[٤٥] بالإضافة إلى حصة كاهن الستة عشر آلهة أصحاب «توزوي»، وعلى ذلك أعطوه ست عشرة حصة باسمهم (ولكن؟) (١٦) والدي ذهب إلى أرض «خارو» من الفرعون «بسمتيك»[٤٦] «نفر أب رع» مصاحبًا باقة (؟) «آمون» (وعندئذ) ذهب الكهنة إلى «حار زو» بن «حارخبي» (؟) (حاكم) «أهناسيا» قائلين: إن حصة كاهن «آمون» صاحب «توزوي» هي حصة ملك الفرعون (١٨)، (ولكن؟) استولى عليها كاهن لآمون (ووالده) كان في «أهناسيا». وتأمل أن ابن ابنه مستولٍ عليها حتى الآن (١٩) تأمل أنه قد ذهب إلى أرض «خارو» (سوريا) مع الفرعون، دع ابنك «بتحانوفي» بن

«حاروز» يأتِ حتى نكتب له تنازلًا (٢٠) عن حصة «آمون» صاحب «توزوي»، فأرسل «بتاحنوفي» ابنه إلى «توزوي»، وكتبوا له تنازلًا عن حصة كاهن «آمون».

(١/٤) وأخذ الكهنة الست عشرة حصة، وقسموها بين طوائف الكهنة وقد كان نصيب كل طائفة أربع حصص. فقال لي الحاكم: إن هذه الحوادث التي تسردها عديدة (٢). اعمد إلى بيتك أرجوك ودع «سمتاوى تفنخت» يعطك إضمامة بردي واكتب فيها كل شيء قد حدث (٣) لآبائك منذ الوقت الذي كانت فيه هذه الحصة ملكهم. اكتب الطريقة التي أخذت بها من والدك، وكذلك هذه الحصص الأخرى، واكتب الأحداث التي وقعت لك من ذلك الحين حتى الآن. (وهذا هو ما سنجده في الوثيقة ب التي ستأتي بعد). وفي اليوم التالي أخذت إضمامة بردي (٥) في يدي، واتفق أنه حدث في أثناء ذلك أن كنت أكتب الأشياء التي أخبرني الحاكم أن أكتبها، فجاء الكهنة إلى مدخل البيت الذي كنت فيه قائلين: «بتيسي» هل مر بخاطرك أن الحاكم قد أمر بضربنا بسببك؟ بحياة «برع» إنه لم يأمر بضربنا بسببك؛ بل أمر بضربنا لأنه أرسل إلينا مرة (؟) ولم نحضر، فتحدث إليهم قائلًا: بحياة «بتاح» إن ذلك (٨) قد حدث فعلًا (هكذا)، وأنكم سوف ترون العقاب الذي سيوقعه عليكم بسببي؛ لأني لم أعرف أن «سمتاوى تفنخت» قد جعل (٩) الحاكم يصرفهم.

(وعندما) أتى المساء وخرج «سمتاوى تفنخت» من بيت السجل (أي: مكتب أعمال عامة) أخذت له البردية التي كتبتها قائلًا: اقرأها فقال هو: (١٠) لقد قلت لنفسي: أما من جهة الكهنة فإن الحاكم صرفهم، وقد ذهبوا بعيدًا وليس هناك فائدة لك من أخذ بردية إليه. وهل سيكون معنى ذلك أنه سيرسل إليهم ثانية؟ وعندئذ بكيت أمام «سمتاوى تفنخت» قائلًا: «هل أتيت لأمضي سبعة أشهر هنا متظلمًا للحاكم ولعظماء رجاله كل يوم من أجل هاتين الجلدتين بالسوط اللتين نالهما هؤلاء الكهنة، وتقول لي:

لقد كنت بطيئًا، فعندما أرسلت إليك لمْ تأتِ؟ بحياة «برع» لقد أتيت لأتظلم للحاكم (١٤) ليمنع طردي؟ أبدًا من بيتي ثانية. ولم أكن أعرف أنهم قد عملوا تنازلًا إلى «سمتاوى تفنخت» بأخذه حصة، كما أفهم لن ينفكوا قط عن (١٦) احترامك! تعال حتى أجعل «أحمس» كاهن «حور» يكتب إليهم رسالة ولأكتب إليهم رسالة رفيقة (؟) أيضًا، وأنهم سيحترمون هذه الرسالة (١٧) أكثر من رسالة الحاكم. وأتى معي إلى «أحمس» كاهن «حور»، وجعله يكتب رسالة وكتب هو رسالة لهم بنفسه.

(١٨) وبعد ذلك صرفوني وأتيت جنوبًا، ووصلت إلى «أهناسيا» (وتأمل) لقد وجدت ... ابن «بتيسي» و«أحمس حانوراس» (١٩) أتيا شمالًا فقالا لي: هل أنت «بتيسي»؟ هل تذهب إلى «توزوي»؟ لا تتعب نفسك (٢٠) لقد أحرق بيتك! وأتيت شمالًا، وصرخت عاليًا للحاكم قائلًا: إن بيتي قد أحرق!

(١/٥) فقال لي: بفعل من؟ فقلت له: بفعل هؤلاء الكهنة الذين كنت اتهمتهم أمامك منذ سبعة أشهر حتى الآن، (٢) وهم الذين قد سمح لهم بالذهاب دون أن يعاقبوا. وعلى ذلك أمر الحاكم بطلب «أحمس» بن «بتحارمبي» قائلًا: سافر إلى (٣) «توزوي» مع «بتيسي»، وأحضر إلى الكهنة الذين أشعلوا النار في بيته. وقد أمضى «أحمس» عدة أيام (٤) قائلًا: سأذهب جنوبًا معك، ولكني اضطررت لإعفائه ثانيةً (من السفر معي). وذات يوم أتى إلى «أحمس» كاهن الإله «حور»، ونادى (٥) «واح أب رح مرى رع» (؟) وهو رجل أعمى قائلًا: اذهب إلى «توزوي»، وأحضر هؤلاء الكهنة الذين يتهمهم «بتيسي»، فأتى «واح أب رع مرى رع» إلى «توزوي»، وكان قد أعطي خمسة قدات من الفضة، ولكنه لم يحضر كاهنًا واحدًا معه شمالًا إلا «ينحارو» بن «بتحابي» رئيس المعبد الإداري، وقد سألوا «ينحارو» بن «بتحابي» ما الذي سبب

حرق بيت (٨) «بتيسي»؟ فقال: لا أعرف. فأمرا بجلد «ينحارو» بن «بتحابي» فجلد خمسين جلدة ثم تركوه.

وقد أمضيت عدة أيام في المسألة (؟) متظلمًا وراجيًا يوميًّا، ولكنهم لم ينهوا شيئًا لي كما أنهم لم يتركوا «ينحارو» بن «بتحابي» يذهب وهو الرئيس الإداري للمعبد. وقال لي «أحمس» كاهن «حور»: هل ستموت من أجل هذه القضية؟ تعال حتى أجعل «ينحارو» (١١) مدير المعبد الإداري يحلف لك قائلًا: «سأذهب وأعطيك حقك في كل مسألة لك.» وجعل «أحمس» كاهن «حور» «ينحارو» بن «بتحابي» يحلف لي قائلًا: سأذهب (١٢) وأعطيك حقك في كل شيء لك.

وترك كاهن «حور» وشأنه. وأتيت إلى «توزوي» مع «ينحارو» بن «بتحابي» مدير المعهد الإداري، ولكني لم أنل حقي (فعلًا)، بل (١٣) كنت آخذ أناسًا لهم لأجعلهم يتصالحون معي.

شرح وإيضاح لمحتويات البردية

ننتقل بعد ذلك إلى سرد تاريخ العلاقات المبكرة بين أسرة «بتيسي» هذا؛ أي «بتيسي الثالث» مع معبد «توزوي». وقد بدأت كما يقصها علينا من السنة الرابعة من عهد «بسمتيك» الأول إلى عهد «قمبيز»، وقد دونها لنا «بتيسي الثالث»، وهو المتظلم، على حسب أمر الحاكم أي: الشطربة كما ذكر من قبل. والواقع أنها قصة طريفة طويلة تحدثنا بوقائع غاية في الأهمية عن الحياة المصرية، وبخاصة في المعبد وفي مصالح الحكومة في عهد الأسرة السادسة والعشرين، وبداية العهد الفارسي في مصر.

وتتقسم هذه القصة ثلاثة أقسام:

(أ) القسم الأول: وقع في باكورة عهد الملك «بسمتيك الأول»، عندما كان جنوب البلاد يحكمه عظماء يلقب كل منهم رئيس السفن، وكان مقره «أهناسيا»، وكان «بتيسي الأول» وقتئذ مفتشًا تحت إدارة عمه رئيس السفن، ويقوم بإصلاح معبد «توزوي» المتداعي. وقد تولى «إسمتو الأول» بن «بتيسي الثاني» وظيفة كاهن «آمون» في «توزوي» وتاسوعه.

(ب) والقسم الثاني: جاءت حوادثه في عهد «بسمتيك الثاني»، وذلك أن «بتيسي الثاني» قد صاحب الحملة التي قام بها هذا الفرعون إلى أرض «خارو» (سوريا)، وفي أثناء غيبته استولى الكهنة في «توزوي» على وظيفة كاهن «آمون» التي كان يشغلها وأعطيت ابن حاكم المقاطعة. ولكن بسبب موت الملك لم يكن في مقدور «بتيسي» عند عودته من «سوريا» استرجاع وظيفته (١٦/١٤-١/١٦).

(جـ) والقسم الثالث من القصة تقع حوادثه في حكم «أحمس الثاني» (أمسيس)، فنجد أن المشرف على الأرض المنزرعة يستولي لحساب الحكومة على جزيرة «توزوي» التي كان يزرعها الكهنة، وقد حصل الكهنة على مساعدة أحد رجال البلاط أصحاب السلطان ويدعى «خلخنس»، وذلك في مقابل منح وظيفة كاهن «آمون» لأخيه. ولكن نرى أن حامل هذه الوظيفة يقدم المستندات التي تبرر له حق شغلها، غير أن «إسمتو الثاني» بن «بتيسي الثاني» الذي كان ادعاؤه لهذه الوظيفة يقف عقبة في سبيل الكهنة قد تجنب إرغامه على التنازل بالهرب، وكان ابنه «بتيسي الثالث» يعمل مساعدًا لمفتش في الحكومة، وبوساطة تدخل هذا المفتش أعيد إلى وطنه مع ضمان سلامته، وهكذا استمرت الأمور حتى بعد الفتح الفارسي (١/١٦–٩/٢١).

الجزء الأول من القصة: في عهد الملك «بسمتيك الأول»

يحصل «بتيسي الأول»، على وظيفة كاهن «آمون» في «توزوي»، وقد ورثها عنه ابنه «إسمتو الأول»، ثم حفيده «بتيسي الثاني» (١٤/٥-١٦/١٤).

وظيفة رئيس السفن في هذا العهد

وقبل أن نبدأ ترجمة هذا الجزء لا بد لنا من التحدث عن وظيفة رؤساء السفن في هذه الفترة من تاريخ البلاد المصرية وما لها من أهمية.

والواقع أن هذه القصة تحتوي على إشارات عدة إلى موظفين كبيرين، وهما «بتيسي» بن «عخشيشنق» وابنه «سمتاوى تفنخت»، وهما اللذان ورثا بالتوالي وظيفة رئيس السفن كما وكل لكل منهما حكومة «بتورس» (أو الوجه القبلي). وقد وصف الأول وهو «بتيسي» بأنه ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة وهو «آمون» الطيبي، وعلى أية حال فإنه قد ضم إلى بلاط الفرعون دون أن يتلقى تعاليم كهانة «آمون»، بل أصبح كاهن «أرسافيس» إله «أهناسيا» (حرشف) و«سبك» إله «كروكود بوليس»، وهي «أرسنوي» فيما بعد، وتقع بجوار الفيوم. ومنذ السنة الرابعة من حكم «بسمتيك الأول» طلب المساعدة في عمله بسبب تقدمه في السن! ولا بد أن حياته في البلاط قد بدأت في عهد ملك آخر، ويحتمل أن ذلك كان في زمن «تهرقا» أو أحد صغار الأمراء في عهده في مصر الوسطى. وسنتحدث عن أهمية «أهناسيا» فيما بعد، ووظائف الكهنة التي شغلها «بتيسي» تذكرنا بوجه خاص بما قاله «هردوت» عن «اللبرنته» (راجع مصر القديمة الجزء الثالث)، وتقع في منتصف الطريق بين «أهناسيا» و«الفيوم» أي: على بعد حوالي عشرين كيلومترًا من كل منهما، وقد مثلت بأنها الأثر المشترك والمعبد لحكومة «الدوديكانيشي» (أي: حكومة الاثني عشر).

وقد منح «بتيسي» ملتمسه في السنة الرابعة من الملك، فأصبح في مقدوره أن يبقى في «أهناسيا» هادئًا مطمئنًّا حاكمًا في حين كان ابن أخيه المسمى كذلك «بتيسي» يقوم بعمل التفتيش الفعلي له.

وتحتوي الورقة على نسخة من لوحة مؤرخة بمدة إدارة «بتيسي» في السنة الرابعة عشرة من حكم «بسمتيك الأول». هذا ونصادف رئيس السفن هذا ثانية في السنة الخامسة عشرة من حكم هذا الفرعون نفسه. وقد مات «بتيسي» في السنة الثامنة عشرة من عهد «بسمتيك الأول».

وعلى أثر موت «بتيسي» هذا نصب «سمتاوى تفنخت» رئيسًا للسفن، ووكل إليه حكومة «بتورس» مكان والده، وقد كان مقر حكومته كذلك في «أهناسيا» في حين كان بتيسي الأول، مستمرًّا في وظيفة مفتش لمدة سنة، والظاهر أنه قام بهذا العمل ليعطي مهلة لرئيس السفن الجديد؛ ليتمكن في وظيفته. وقد ذكر «سمتاوى تفنخت» في السنتين ١٩، ٣١ وكذلك جاء ذكره بعد السنة الرابعة والثلاثين بقليل من عهد «بسمتيك الأول». وقد انقضت فترة طويلة على هذه القصة لم يأتِ ذكرها ثانية حتى السنة الرابعة من حكم «بسمتيك الثاني»، ولم نسمع شيئًا قط عن رؤساء السفن بعد ذلك.

هذا ما كان من أمر البردية ولكن عندما نعود إلى الآثار المنشورة من هذا العصر، فإنا لا نجد فيها إشارة إلى «بتيسي» رئيس السفن، ولكن من جهة أخرى نجد أن «سمتاوى تفنخت» يظهر في نقوش عدة، وأهمها جميعًا ذلك النقش الذي يؤيد تأريخه براهين معاصرة، وأعني بذلك لوحة التبني الخاصة بتنصيب «نيتوكريس» ابنة الملك «بسمتيك الأول»، بوصفها زوج الإله في معبد الإله «آمون» بالكرنك، فقد كان الضابط الموكل إليه قيادة الأسطول العظيم، الذي رافق الأميرة من قصر الحريم في «سايس» أو «منف» إلى «طيبة» قد ذكر بوضوح على اللوحة العظيمة، فقد كان يحمل الألقاب التالية: السمير الوحيد، والحاكم لمقاطعة «نعرت» (أهناسيا المدينة)، والقائد الأعظم للجيش ورئيس السفن «سمتاوى تفنخت».

وتأريخ السنة التاسعة من حكم «بسمتيك الأول» قد خصص لهذه الحادثة موضعين من اللوحة، وبذلك لم يترك مجالًا للشك في حقيقة شخصية «سمتاوى تفنخت» الذي جاء على اللوحة، ولكن

مما يؤسف له أن ذلك يعارض ما جاء في البردية التي نحن بصددها، وهي التي ذكر فيها أن «سمتاوى تفنخت» لم يخلف والده «بتيسي» إلا في السنة الثامنة عشرة من حكم «بسمتيك». وإذا اعتمدنا على صحة ما جاء في البردية بالنسبة للحقائق الرئيسية، كان في مقدورنا أن نفرض أن «بتيسي» قد اعتزل الخدمة الفعلية في الحكومة قبل السنة التاسعة، وأنه إذا كان قد استمر يحمل ألقابه وبعض سلطته، فإن ابنه يكون قد خلفه فعلًا، وذلك على الرغم من أنه ليس لدينا في البردية أي أثر لذلك. ولكن عندما نلحظ أن اسم «سمتاوى تفنختي» لم يكن متبوعًا باسم والده في أي أثر من آثاره الباقية لدينا، فإنه من الممكن أن نشك في أن «بتيسي» له أهمية كبيرة فعلًا. ونجد أن «بتيسي» المتظلم الذي جاء بعد ذلك بحوالي خمسين ومائة عام قد ادعى أن «سمتاوى تفنخت» جد عمه ورئيسه؛ ولذلك أراد أن يعظم من شأنه. فهل نفهم من ذلك أنه اختلق نقوش اللوحتين اللتين اعترف أنهما نسختان نقلهما في البردية؟ وعلى أية حال فإنه يوجد فيهما صعوبات سنتحدث عنها عندما نصل إليهما فيما بعد.

ونجد غير لوحة التبني أثرًا من الأهمية بمكان ذكر فيه اسم «سمتاوى تفنخت»، وقد تحدثنا عنه فيما سبق.

وخلافًا لهذه المظاهر التي ظهر بها «سمتاوى تفنخت» على الآثار العامة نرى أنه حفظ اسمه وذكراه في تمثالين مهشمين؛ فقد عثر «بتري» في حفائره التي قام بها في معبد «أرسفيس» في «أهناسيا المدينة» على قدم تمثال من البازلت الجميل من الأسلوب «الساوي»، وقد بقي على هذه القدم جزء من لقب واسم «رئيس السفن» لكل الأرض قاطبة «سمتاوى تفنخت»،[٤٧] ولدينا تمثال آخر أكثر حفظًا، وقد عثر عليه «مريت» في «منف»،[٤٨] وهو يحمل اسم «بسمتيك الأول» ويسمى في نقوشه: خادمه الحقيقي، الخاص بمكان قلبه، والأمير الوراثي، الحاكم والمشرف على إدارة سفن الملك «سمتاوى تفنخت». وكذلك يذكره بأنه الأمير الوراثي والمعروف لدى الملك حقيقة، الذي يحبه، والمكلف بأسرار الملك في كل إدارة «سمتاوى

تفنخت»، ويلحظ أن ألقاب تمثال «منف» قد وضع نموذجها على غرار أسلوب الدولة القديمة، الذي كان متبعًا كثيرًا في عهد الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين.

وقد لاحظنا من قبل أن «سمتاوى تفنخت» لم يذكر اسم «بتيسي» في أي من هذه السجلات.

وإذا كنا قد أخفقنا في وجود اسم «بتيسي» على الآثار، فإن لدينا الموظفين الذين يظهر من ألقابهم أنهم كانوا مكلفين بحكم الجنوب في عهد «بسمتيك الأول». وقد مرت علينا أسماؤهم فيما سبق، ونخص بالذكر منهم «بابس» الذي أهدى محرابًا صغيرًا لآلهة فرس البحر (تواريت) من الأميرة «شبنوبت» وابنتها التي تبنتها «نيتوكريس» في الكرنك،[٤٩] وقد كان يلقب كاهن «آمون رع»[٥٠] ملك الآلهة والمشرف على كهنة آلهة أرض الجنوب، والمشرف على كل الجنوب، والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية بابس بن يدي باست.

وفي «العرابة المدفونة» نجد الملك «بسمتيك الأول» يظهر مع «نيتوكريس»، وشخص يدعى «بدي حور» (؟) وكان يحمل لقب «أمير طيبة»، والمشرف على كل الجنوب قاطبة، والمدير العظيم للمتعبدة الإلهية.[٥١] هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا «منتومحات» الذائع الصيت (راجع «مصر القديمة» الجزء ١١)، فقد كان في قبضته في «طيبة» نفس السلطة التي كانت في أيدي كهنة الأسرة الواحدة والعشرين، ومن المحتمل أنه في عهد «بسمتيك الأول» كانت لا توجد هذه الألقاب إلا في إقليم «طيبة»، أما رؤساء السفن فكانوا موظفين أصحاب مراكز عالية يحكم كل منهم إقليم «طيبة» ومصر الوسطى معًا.

ولا بد أن نلحظ هنا أنه على الرغم من أن رئيسي السفن قد وكل إليهما حكومة «بتورس»، والسهر على سعادته من كل الوجوه، فإنه لا يوجد أي أثر يدل على مثل هذا التعيين في مثل هذه الوظيفة لا في ألقابهما ولا في نسخ اللوحتين. وهنا تتفق البردية مع الآثار. ومن جهة أخرى نجد أن «منتومحات» الذي يظهر لنا باستمرار لقبه بوصفه المشرف على كل الجنوب، يسجل لنا

نشاطه في الأمور الدينية غير أنه لا يكاد يقدم لنا أية إشارة باهتمامه في المصالح الأخرى لا في قبره، ولا على الآثار التي أهداها في معبد «موت» بالكرنك.

«أهناسيا» عاصمة الوجه القبلي في هذا العهد وأهميتها

لاحظنا في سياق كلام من هذه القصة في البردية أن رئيسي السفن كان كل منهما يحكم الوجه القبلي كله، من أول صرح الحراسة الجنوبي في «منف» حتى «أسوان» من مقره في «أهناسيا». ولم يكن ذلك بسبب أنهما من أصل أهناسي؛ وذلك لأنه على الرغم من أن رئيس السفن «بتيسي» نفسه كان قد سكن هناك، فإنه كان ابن كاهن من أصل طيبي، وكان ابن أخيه «بتيسي الأول» له أقارب بل كان منزل والديه في «طيبة». وقد كانت «أهناسيا» دائمًا مدينةً هامةً على الأقل بوصفها عاصمة المقاطعة العشرين من مقاطعات الوجه القبلي. ونعلم أنه في خلال العهد المظلم الذي وقع بين نهاية الدولة القديمة والدولة الوسطى كانت أهناسيا عاصمة الأسرتين التاسعة والعاشرة، وكان ملوكها يحكمون على ما يظهر كل مصر لمدة. وفي عهد الأسرة الثانية والعشرين نجد أن رؤساء أسرة «أهناسيا» كانوا لمدة خمسة أجيال متعاقبة من أول عهد الملك «أوسر كون الثاني»، يحملون لقب «المشرف على الجنوب» والمشرف على كهنة «أهناسيا» وقائد الجيش.[٥٢] وفي عهد الملك «بعينخي» وحملته على «مصر» كانت «أهناسيا» عاصمة «بفتوعوباستي»، الذي يعد أحد الأمراء الأربعة الذين كانوا يحملون لقب ملك، وكانت المدينة الوحيدة التي قاومت «تفنخت» حتى جاء إليها «بيعنخي»، وخلصها من الحصار الذي ضربه عليها. هذا ونجد أن «أهناسيا» في قصة الملك «بتوباستس» قد ذكرت «جزيرة أهناسيا»[٥٣] بوصفها مقر أحد الرؤساء الذين طلب إليهم أن يشتركوا في النضال بين قبيلتين.

وعلى أية حال فإن توجد صعوبة في التعرف على اسم هذه المدينة العظيمة في قائمة العشرين حاكمًا محليًّا في العهد الآشوري. فقد خيل أن «خينينشي» Khininshe كانت في الوجه البحري حسب سياق الكلام في المتن الآشوري. وهذه هي نفس الصعوبة التي نجدها في كلمة «حنس» في سفر «أشعيا» الإصحاح ٣٠ سطر ٤. وكذلك نفس الصعوبة في اسم Anysis في «هردوت»، وإلا فإنه لدينا أسباب ممتازة تدعو إلى توحيد كل من هذه الأسماء بمدينة «أهناسيا».

وأهم موضوع يلفت النظر بالنسبة لمدينة «أهناسيا» في هذه الفترة، هو أن الأوراق البردية الطيبية المؤرخة بعهدي «تهرقا» و«بسمتيك الأول» على التوالي، تميز معيار الفضة بوصفه أنه «فضة خزانة» أرسفيس (حرشف). و«أرسفيس» هذا هو إله «أهناسيا» وفي العادة لا يوجد تعريف كهذا. والأوراق البردية التي وجد فيها هذا التعريف أرخت بالسنة الثالثة من حكم «تهرقا»، وبالسنة السادسة عشرة من نفس حكم هذا الملك، والسنة الثلاثين من عهد «بسمتيك الأول»، وكذلك السنة الخامسة والأربعين من حكم هذا الملك.

هذا نجد شهادتين في ورقة قد حل محل التعريف الأخير فيهما فضة خزانة «ني» (أي: طيبة). والمثال الأخير الوحيد المنشور لدينا الآن من الأسرة السادسة والعشرين المؤرخ بالسنة السادسة والثلاثين من عهد «أحمس الثاني» (أمسيس) يستعمل نفس التعبير، ونجد أن الأوراق التي من عهد «دارا» تستعمل التعبير فضة خزانة الإله «بتاح» النقية (؟) أو في مقال مبكر فضة خزانة بتاح الخاصة بالضرائب (؟).

ومن هذه الحقائق نستخلص أنه: أولًا: في عهد «دارا» كان معيار الفضة منفيًّا، وفي خزانة الإله «بتاح». ويقص علينا «هردوت» أن «أرياندس» شطربة «مصر»، وهو الذي عينه «قمبيز» قد أعدم؛ لأنه حاول أن يناهض معياره من الذهب الرفيع في نقاوته بمعيار من الفضة ذي نقاوة

تفوق حد المألوف، وأنه في أيامه لم تكن هناك فضة تضارع فضة «أرياندس» (راجع Herod. IV. 166).

ومن المحتمل أن الفضة كانت تضرب مثل الذهب.

ثانيًا: لم يكن قبل الفتح الفارسي، وكذلك على الأقل قبل السنة الخامسة والأربعين من حكم «بسمتيك الأول» هناك معيار من الفضة غير المضروبة في الخزانة الطيبية، ويحتمل أن ذلك كان خاصًّا بمعبد للإله «أرسفيس» هناك.

ولكن لا بد أن نتأكد بوجه عام من أنه في أزمان قبل ذلك كان معيار الفضة لكل مصر العليا، وكان تحت حراسة الإله «أرسفيس» في «أهناسيا» الكبرى. هذا وتعوزنا البراهين على ذلك حتى الآن اللهم إلا النزر اليسير، وعلى ذلك لا يمكننا أن نقطع بشيء عن المعيار الذي كان شائعًا في «مصر السفلى»، وحتى في «مصر العليا» قبل عهد «تهرقا».

ويرى الأستاذ «شبيجلبرج»: أنه لما كانت بعض المدن تظهر أحيانًا مزدوجة الاسم؛ أي إنها توجد في كل من الوجه القبلي والوجه البحري، وأن المعبود الذي يعبد في واحدة منهما كان يعبد في الأخرى، فإنه على ذلك يمكن أن يكون هناك «أهناسيا» في «مصر السفلى»، وهي التي تقع في الشمال الشرقي من الدلتا، وتقابل «أهناسيا» التي في «مصر الوسطى»، وهي التي كانت معروفة للآشوريين واليهود والإغريق بالأسماء الآتية على التوالي «خنينشي» و«هانس» و«أنيسيس» راجع (Spiegelberg, Aegyptologische Randglossen Zum Alten Testament P. 36).

هذا بالإضافة إلى أن الإله «أرسفيس» الذي وجده اليونان باسم «هيراكليس»، يمكن أن يكون قد عبد هناك، وعلى ذلك تكون «أهناسيا» عاصمة مقاطعة «ستروبت» Sethroite. هي المكان الذي يبحث عنه. وإذا كان هذا الزعم مقبولًا، فإنه يكون من المعقول جدًّا أن نذهب إلى أن معيار

الفضة قد أسس في هذه المدينة الثانية للإله «أرسفيس» الواقعة على الحافة الشمالية الشرقية للوجه البحري، وهي التي كانت تمر بها كل ثروة القوافل الآتية من «سوريا» في حين أن التجارة النهرية التي تسير في الفرع البلوزي للنيل كانت قريبة منها، ويمكن أن نفرض فضلًا عن ذلك أن معبد هيراكليس الواقع بجوار «كانوبس»، حيث كان في مقدور العبيد أن يطلبوا حريتهم (Herod. II. 113) كان معبد آخر قد تأسس عند ميناء تجارية عظيمة. ويمكن أن نعيد إلى الذاكرة أنه في تاريخ متأخر عن العصر الذي نحن بصدده الآن كان يوجد شخص يدعى «سمتاوى تفنخت»، ويحمل لقب مدير مدرسة الأطباء المصريين قد ذكر لنا في نقش هام أن سبب عودته سالمًا إلى «مصر» من هزيمة دامية أوقعها الإغريق بالآسيويين، (ويحتمل أن ذلك كان في موقعة «مرتون» أو «أسوس») يرجع إلى تدخل الإله «أرسفيس» في صالح عابده المخلص. ورئيس السفن القاطن في «أهناسيا» العظمى، وهو الذي على ما يظهر كان يعمل مشرفًا على كهنة الإله «حرشف»، وكان هو نفسه رئيس سفن كل البلاد، ومن المحتمل أنهم لم يشرفوا على مؤن السفن الملكية وحدها، بل كانوا يشرفون على تجارة النهر الداخلية لمصر، هذا إذا لم يكن نفوذهم يمتد إلى التجارة الخارجية أيضًا. ومن المحتمل أنه كانت تقام معابد لإله «أهناسيا» في الموانى الرئيسية، وكذلك مخازن التجارة لآسيا وبلاد «هلاس». ويجب أن نعتبر ما قلناه في هذا الصدد لا يخرج حتى الآن عن كونه حدسًا وتخمينًا، والواقع أن ألقاب الإله «أرسفيس» لا تحتوي على ما يوحي بمثل هذه الحماية للتجارة والسياحة.

ونعود الآن إلى «أهناسيا المدينة» فنتساءل لماذا كانت تعد المدينة الرئيسية في «مصر الوسطى» ومقر حكم «مصر العليا والوسطى» معًا، وكذلك لماذا كانت على ما يظهر مركزًا للأشغال المالية — إذا كان يمكن استعمال مثل هذا التعبير — لكل مصر؟ والواقع أنه إذا كان الإله «أرسفيس» حقيقة هو الإله الحامي للتجارة، فإن هذه الوظيفة التي يلقب بها هذا الإله تكون نتيجة أكثر منها سببًا لأهمية «أهناسيا المدينة» التجارية؛ وذلك لأن التربة الخصبة في هذا

الإقليم الذي تقع فيه «أهناسيا» كانت واسعة وغنية. وكانت المدينة على مقربة من الطريق المؤدية إلى بحيرة «موريس» والطريق المؤدية إلى الواحات اللوبية، ولا بد أن المدخل المؤدي للفيوم في هذه الفترة من الزمن كان ضمن مقاطعة «أهناسيا المدينة». وقد برهن لنا الأستاذ «جولنشيف» على أن الجنود اللوبيين الغزاة في الأسرة التاسعة عشرة قد أتوا من طريق الواحات إلى وادي النيل في الإقليم، الذي حول «أهناسيا» وعلى ذلك كانت «أهناسيا» هذه هي المفتاح للخط التجاري الرئيسي مع «لوبيا». والواقع أن «مصر» قد حكمت لمدة عدة قرون برؤساء من أصل لوبي. وفضلًا عن ذلك فإن ذكرى الخدمات العظيمة التي أدتها «أهناسيا» للفرعون «بيعنخي»، يمكن أن تكون قد جعلت ملوك «كوش» يظهرون ميلًا خاصًّا لها، في حين أن ولاءها الحماسي لبلاد «كوش» قد جعل الآشوريين في مقابل ذلك يهملون ذكرها في قائمة حكامهم. وعلى أية حال فإننا هنا كذلك ننغمس في بحر من الحدس والتخمين.

وبعد هذه الإيضاحات التي كان لا بد منها نعود إلى قصة «بتيسي» التي دونها للحاكم شارحًا له تاريخ أجداده، وما حدث لهم في بلدة «توزوي» حتى اليوم الذي يعيش فيه. وقد دون ذلك في الوثيقة (ب):

> (١٣/٥) آه ليت «آمون» يمد في وجوده! أخبار الحاكم للحوادث (١٤) التي حدثت لوالدي.
>
> في السنة الرابعة من حكم الفرعون «بسمتيك» العظيم كان «بتورس» (الوجه القبلي) موكلًا حكمه لبتيسي[٥٤] بن «عنخشيشنق» (١٥) رئيس السفن (أو رئيس المين)[٥٥] من أول بيت الحراسة الجنوبي لمدينة «منف»، حتى «أسوان» (والآن) فإن بتيسي بن «عنخشيشنق»، رئيس السفن (١٦) كان ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وكان قد أحضر إلى بيت الفرعون قبل أن يصير كاهنًا لآمون. وقد أصبح (١٧) كاهنًا للإله

«حرشف»، وأصبح كاهنًا للإله «سبك». كان له زميل وهو ابن أخي والده يدعى «بتيسي» بن «يتورو»، وكان (١٨) الثاني لبتيسي رئيس السفن وهو الذي كان يفتش من أول بيت الحراسة الجنوبي حتى «أسوان».

(والآن) في السنة (١٩) الرابعة من عهد الفرعون «بسمتيك» ذهب «بتيسي» بن «عنخشيشنق»، رئيس السفن أمام فرعون وقال: يا سيدي العظيم (٢٠) ليته يبقى مثل «برع»! لقد تقدمت في السن. ليت هذا الشيء الطيب يعمل لي أمام الفرعون أن لي زميلًا يدعى (١/٦) «بتيسي» بن «يتورو»، وأنه هو الذي يدير «بتورس» (الوجه القبلي)، وينمي فضتها وغلتها. وقد اتفق أن «بتورس» غني جدًّا (٢) ففضته وغلته قد ازدادت من واحد إلى واحد ونصف؛ دعه يحضر أمام الفرعون ودع شيئًا طيبًا يقال له أمام الفرعون، وليقل له: (٣) إن «بتورس» (الوجه القبلي) قد وكل إليك، وإنه موكل لي أيضًا، وفي قدرته أن يجمع الضرائب فيه.

وأحضر «بتيسي» بن «يتورو» أمام الفرعون وقال له الفرعون: (٤) إن رئيس السفن قد أخبرني «أي رجل مدهش أنت»، وقال الفرعون: دع سفينة يعطها ودع عربة يحفظها (٥) وقال له الفرعون: إنك تذهب مفتشًا إلى «بتورس» (الوجه القبلي)، وأمر بأن يوكل إليك ذلك. فقال «بتيسي»: يا سيدي العظيم إنه قد وكل به إلى «بتيسي» رئيس السفن (ولكن) الفرعون قال له: إنك موكل به كذلك، إنهم سيجعلون حسابها معك (أي إن التقارير ستوجه إليه رسميًّا) وأعطوه ذهبًا وكتانًا (٧) أمام الفرعون.

وأتى «بتيسي» بن «يتورو» جنوبًا مفتشًا من أول بيت الحراسة الجنوبي حتى «أسوان» (٨)، ولكن «بتيسي» بن «عنخشيشنق» رئيس السفن سكن في «أهناسيا» [٥٦] وكان يقدم إليه التقرير عن كل شيء حدث في «بتورس» (الوجه القبلي).

(٩) وقد وصل «بتيسي» بن «يتورو» إلى «توزوي»، وذهب إلى المعبد وفتش كل مكان في معبد (١٠) «توزوي». وتأمل أنه قد وجد معبد «توزوي» في هيئة بيت كبير جدًّا غير أن رجاله كانوا قليلين، فلم يجد رجلًا واحدًا في المعبد غير كاهن محسن وفاتح محراب.[٥٧] وأمر «بتيسي» بن «يتورو» بإحضاء الكاهن وقال له: تأمل أنه ليس ينقصك السن فأخبرني، أرجوك، عن الكيفية التي قد خربت بها هذه البلدة (١٣) فقال له الكاهن: إن الأمر قد حدث (بهذه الكيفية؟) إنه لم يكن هنا رجل كاهن إلا كهنة «آمون رع» ملك الآلهة، (١٤) ولكن أجدادك كانوا كهنة هنا وإنهم جعلوا هذا المعبد فاخرًا بكل الأشياء، فإن الضياع الوفيرة الموقوفة (١٥) قد أصبحت ملكًا لآمون «توزوي»، وهذا البيت كان يتحدث عنه بأنه أول مقر للإله «آمون رع» ملك الآلهة (١٦) وعندما حل الزمن الشؤم[٥٨] فرض على معابد «مصر» الكبيرة أن تدفع ضرائب، وهذه البلدة قد أثقلت (١٧) بالضرائب الفادحة! ولم يكن في مقدور الناس دفع الضرائب التي أثقلت بها؛ ولذلك هجروها. وتأمل فإنه على الرغم من صدور أمر إعفاء للمعابد الكبيرة في «مصر» فإنهم قد أتوا إلينا قائلين: «ادفعوا ضرائبكم حتى الآن.» (١٩) وذهب «بتيسي» بن «يتورو» إلى «أهناسيا»، ووقف أمام «بتيسي» رئيس السفن وأخبره بكل الحالة التي وجد أنها (٢٠) أصابت «توزوي»، وأخبره كل الحوادث التي حدثه بها الكاهن المسن الذي وجده في «توزوي» وقال له: إن هذا الكاهن قال لي: لم (٢١) يكن هنا رجل يشغل وظيفة كاهن إلا كهنة «آمون رع» ملك الآلهة.

فقال له «بتيسي» رئيس السفن بحياة «آمون رع» ملك الآلهة: إن كل ذلك قد حدث (فعلًا).

(١/٧): وإن كل شيء تخبرني به قد اعتدت سماعة من فم أشرافنا. وأمر بإحضار كتبة المقاطعة والوكلاء، (٢) وأمر بإحضاء الرجال الذين يمكن أن يستجوبهم، وقد سئلوا جميعًا أمام رئيس السفن (أو المين) فقالوا: هل من المعتاد أن تؤخذ ضرائب من «توزوي» قبل أن يحل الزمن المشئوم؟ وقد اتفقوا كلهم قائلين: لم يكن يدفع أي شيء منها على وجه البسيطة: إنها أحد البيوت العظيمة في هذه المقاطعة. وأمر رئيس السفن بأن يضربوا ضربًا مبرحًا بسبب ذلك قائلًا: لم تخبروني قط قائلين لقد أمرنا بدفعها. وقال رئيس السفن «لبتيسي» بن «يتورو»: اذهب ومر بأخذ كتابة عن الأشياء التي دفعت من «توزوي»، منذ أن صدر الإعفاء لكل معابد «بتورس» الكبيرة، (٦) ومر برد المبلغ لكهنة «آمون» صاحب «توزوي».

وحضر «بتيسي» بن يتورو (٧) وأمر بإحضار الرجال الذين كانوا محترفين، وأعطاهم مائتي قطعة (دبن، ٢٠٠ دبن = ٤٠٠٠ درهمٍ أو أكثر من ٦٠٠ أوقية) من الفضة النقية (؟) و٢٠ دبنًا من الذهب، وأمرهم أن يصنعوها أقداحًا من الفضة والذهب للإله «آمون». وأمرهم بعمل محراب صغير «لآمون» على المحل العظيم (مقصورة الإله)، وأمر الكهنة وفاتحي المحراب وطبقات (؟) الناس الآخرين الذين لهم الحق في دخول المعبد بأن يحضروا إلى «توزوي». (٩) حتى ولو كان رجل من بينهم قد ذهب إلى «ني»، فقد أمر بإحضارهم جميعًا. وأمر بأن ترد ضياع الوقف التي وجد أنها كانت ملكًا لآمون، وأمر بإضافة ألف «أرورا» من الأرض لضياع الأوقاف الخاصة بآمون. وأمر بأن يوضع قربان وكتان أمام «آمون» وأمام «أوزير» صاحب «بوروز» (؟) وقد جعل (١١) «توزوي» فاخرة مثل أحد معابد «بتورس» العظيمة، وجعل أولاده كهنة لآمون «توزوي»، وأمر (١٢) ببناء بيت طوله ٤٠ ذراعًا وعرضه ٤٠٠ ذراع مقدسة وله حرم حوله؛ ليكون ردهته وأمر بإقامة معبده.

وذهب إلى «بتورس» مفتشًا ووصل إلى «الفنتين»، وأمر (١٤) بقطع لوحة من حجر «الفنتين»، وكذلك بقطعتين لتمثالين من حجر تمجي وأمر (١٥) بإحضارها إلى «توزوي». وذهب شمالًا ووصل إلى «توزوي»، وأمر بإحضار صناع الجرانيت (١٦) والحفارين وكتاب بيت الحياة والرسامين. وأمر بأن توضع الأعمال الطيبة التي عملها في «توزوي» على (١٧) اللوحة وأمر بصنع تمثاليه من حجر تمجي راكعين (؟) على أقدامهما، وصورة «آمون» في حجر واحد منهما، وصورة «أوزير» في حجر التمثال الآخر، وأمر بأن يوضع واحد عند مدخل محراب «آمون»، وأمر بأن يوضع الآخر عند مدخل محراب «أوزير».

وذهب «بتيسي» (٢٠) بن «يتورو» إلى «أهناسيا»، ووقف أمام رئيس السفن وقدم له تقريرًا عن كل شيء فعله في «توزوي».

(١/٨) وقال له «بتيسي» رئيس السفن: إن «حرشف» ملك الأرضين يمدحك! وإن «آمون» سيعطيك جزاءً حسنًا، وإنك تعرف حقيقة أن حصة كاهن «آمون توزوي» (٢) وتاسوع آلهته هي ملكي، ولما كنت قد اخترتها مسكنًا، فإني سأكتب لك تنازلًا عن حصة كاهن «آمون توزوي» وتاسوعه. وقد أمر رئيس السفن (٣) بإحضار كاتب مدرسة[٥٩] وكتب تنازلًا له عن حصة كاهن «آمون توزوي» وتاسوعه.

ثم أتى «بتيسي» بن «يتورو» جنوبًا، ووصل إلى مقاطعة «البهنسا» مفتشًا.

وقد وجد كاهنًا «لآمون رع» ملك الآلهة كان قد أرسله كهنة «آمون»؛ لأجل رعي الماشية والإوز التي كانت تقدمها المقاطعة. وكان اسمه «حاروز» بن «بفتوعوباستي». وقد اتفق أن مدير خزانة «آمون» كان هو اللقب الذي أُعطي للكاهن الذي أرسل من أجل الرعي خلال الوقت الذي أرسل فيه للرعي. وقد أحضر «بتيسي»

بن «يتورو» «حاروز» بن «بفتوعوباستي» مدير خزانة «آمون» معه إلى «توزوي»، وجعله يتناول الطعام معه في بيته الذي أمر ببنائه في توزوي. وجعل زوجه وبناته يحضرن، (٨) وشربوا معهن جعة (أي: أولموا وليمة).

وقد رأى «حاروز» بن «بفتوعوبستي» ابنة «لبتيسي» تدعى «نتمحي»، فقال «حاروز» (٩) بن «بفتوعوبستي» إلى «بتيسي»: دع حضرتك (سيادته) يجعلني أجد عملًا لي. تأمل أن حضرتك (سيادته) كاهن للإله «آمون رع» ملك الآلهة، (١٠) وكان والدي فيما مضى كاهنًا هنا في «توزوي»، وإني سأري لحضرتك أنه كان يعمل كاهنًا هنا، وسأحضر مستندات والدي (١١) أمام حضرتك؛ ليسمح سيادته بأن أوهب «نتمحي» زوجة. فقال له «بتيسي»: إن سنها لم يأتِ بعد ولكن أعمل بمثابة كاهن (١٢) «لآمون رع» ملك الآلهة. وإني سأعطيك إياها وفي كل فرصة سنقوم فيها بالرعي في «البهنسا» ستمكث في «توزوي» (١٣) تأمل إنه بيت مدهش وهو بيت لكاهن. وليس فيه طائفتان من الناس خلاف الكهنة والرجال الذين يدخلون المعبد. (١٤) فباركه «حاروز»، وقال له: هذا حسن.

وفي السنة الخامسة عشرة من حكم الفرعون «بسمتيك»: كان «بتورس» (الوجه القبلي) يفيض بالخير، وقد أقذ «بتيسي» بن «يتورو» إلى بيت السجل، وكانت فضته وغلته قد زيد فيها من واحد إلى اثنين وأخذ «بتيسي» بن «يتورو» أمام الفرعون، وقد عطر بزيت البشنين، وقال له الفرعون: هل هناك شيء طيب تقول عنه؟ دعه يعمل لي؟ وقال «بتيسي» أمام فرعون: إن والدي كاهن «آمون-رع» ملك الآلهة وكان كاهنًا في معابد إقليم «ني» أي: «طيبة» (١٧) وكان كاهن الإله «حرشف»، وكان كاهن الإله «سبك». وقد نادى الفرعون للكاتب المكلف بالرسائل قائلًا: اكتب رسالة للمعابد التي سيقول عنها «بتيسي» بن «يتورو»، والذي كان كاهنًا فيها وقل

فيها: دع «بتيسي» كاهنًا فيها إذا كان ذلك موافقًا (ملائمًا). وكتبت الرسائل للمعابد التي قال عنها «بتيسي»: إن والدي كان فيها كاهنًا. ثم صرف «بتيسي» بن «يتورو» من أمام الفرعون وأتى جنوبًا. وقد أصبح كاهن «حرشف» وكاهن «سبك» صاحب «شيتي» وكاهنًا «لآمون-رع» (٢٠) ملك الآلهة، وكان «أوزير» رب «العرابة» وكاهن «انحوري» صاحب «طينة»، وكاهن الإله «مين» (صاحب قفط)، وأتى «بتيسي» بن «يتورو» شمالًا مفتشًا (١/٩) ووصل إلى «البهنسا»، ووجد «حاروز» بن «بفتوعوبستي» كاهن «آمون» الذي كان قد أرسل لأجل الرعي، وأتى (٢) إلى «توزوي» مع «بتيسي» بن «يتورو»، وأحضر «حاروز» بن «بفتوعوبستي» مستندات والده إلى «بتيسي»، (٣) وأطلعه أن «بفتوعوبستي» والده كان كاهن «آمون» «توزوي»، وعلى ذلك أمر «بتيسي» (٤) أن ينصب «حاروز» بن «بفتوعوبستي» كاهن «آمون توزوي»، وأعطاه «ننتمحى» ابنته زوجًا له.

وذهب «بتيسي» بن «يتورو» إلى (٥) «أهناسيا»، وأمر بإحضاء نسائه وأولاده في سفينة إلى «ني». وقد وصل إلى «توزوي» (٦) ووجد «حاروز» بن «بفتوعوبستي» في «توزوي». وقصد «بتيسي» إلى بيته الذي في «توزوي»، وقال «لحاروز»: (١٧) من المستحب أن نمضي يومًا في شرب الجعة أمام «آمون» في «توزوي» قبل أن نغادرها إلى «ني»، (٨) وقد أمضى «بتيسي» اليوم في شرب الجعة مع نسائه وأولاده، ومع «حاروز» بن «بفتوعوبستي».

وقال له «حاروز» بن «بفتوعوبستي»: (٩) تأمل أن حضرتك ستتوجه إلى «ني»، فما الأشياء التي تأمر سيادتك أن أفعلها؟ فقال له «بتيسي»: (١٠) أقم هنا في «توزوي». سأذهب وآمر كهنة «آمون» أن يعملوا حسابك، وسأعطيهم المبلغ (١١) الذي سيبقى لك وأي باقٍ سيكون لك غير المبلغ الذي سيصلك. وعندما يوكل إليك

الرعي سآمر بأن يصل إليك وأنت مقيم هنا في «توزوي» دون أن تتحمل مشقة. تأمل أن حصتي هي حصة كاهن «آمون توزوي» بالإضافة إلى الست عشرة حصة الأخرى، (١٣) ولكنك أنت الذي ستؤدي الخدمة لآمون، وتاسوعه من الآلهة وستعطي خمس دخل أوقاف «آمون» أيضًا. ولكن ينبغي عليك أن تدفع المبلغ الذي سيتبقى عليك (يقصد الدين الذي عليه في «طيبة» لحساب الرعي).

وبكت «نتمحي» (؟) ابنة «بتيسي» قائلةً: خذني معك إلى «ني». فقال لها «بتيسي»: (١٥) لماذا تريدين الذهاب إلى «ني»؟ سأتركك بحياتك أحسن من كل البنات (١٦) خذي لنفسك هذا البيت الذي في «توزوي»، وسمي لي حصة كاهن ترغبين في أن أنزل لك عنها. فقال «حاروز» بن «بفتوعوبستي» (١٧) زوجها: ليأمر سيادتك بأن ينزل لها عن حصة كاهن «خنسو». فكتب لها «بتيسي» تنازلًا عن حصة كاهن «خنسو»[٦٠] وسافر (١٨) «بتيسي» إلى «ني» مع نسائه وأولاده، أما «حاروز» بن «بفتوعوبستي» فقد استوطن «توزوي» مع «نتمحي» (؟) (١٩) ابنة «بتيسي»، وكان يقوم بخدمة «آمون» وتاسوعه من الآلهة في حين كان خمس دخل الأوقاف يعطاه. ووصل «بتيسي» بن «يتورو» إلى «ني»، (٢٠) وأمر نساءه وأولاده أن يصعدوا إلى «ني»، وأسكنهم في بيت والده الذي كان في «ني» (طيبة).

وفي السنة الثامنة عشرة من عهد الفرعون (١/١٠) «بسمتيك الأول»، ذهب «بتيسي» بن «عنخشيشنق» رئيس السفن إلى آبائه (توفي)، وعندئذ أمر الفرعون بإحضار «بتيسي» بن «يتورو» وقال له: إن «بتورس» (٢) قد وكل أمره إليك، وإنك أنت الذي سيكون في مقدورك أن تديره. فقال «بتيسي» أمام الفرعون: بحياة وجهك سيكون في مقدوري أن أدير شئونه إذا وكل أمره لشريف آخر معي. فقال له الفرعون: خبرني أرجوك عن الشريف الذي تقول عنه: دعه (الوجه القبلي) يوكل إليه، فقال

«بتيسي»: يا سيدي العظيم إن «بتيسي» بن «عنخشيشنق» رئيس السفن له ابن، وهو رجل من حاشية بيت الفرعون، وهو رجل مدهش للغاية واسمه «سمتاوى تفنخت»، (٥) وسيجد الفرعون أنه رجل مدهش، فليأمر الفرعون أن توكل إليه وظيفة والده. وقد سأل الفرعون الأشراف في ذلك، (٦) وقد وافقوا (؟) قائلين أمام الفرعون: فلينفذ ذلك، إنه رجل مدهش.

وقد نصب الفرعون «سمتاوى تفنخت» رئيسًا للسفن، ووكل أمر «بتورس» (الوجه القبلي) إليه (٧) ثانية كما كانت الحال مع والده، وانصرف «بسمتاوى تفنخت» من أمام الفرعون وذهب إلى «أهناسيا» (٨) وقال لبتيسي بن «يتورو»: سافر إلى الجنوب وفتش في المديرية، ولا تدع أي شيء يتلف وسأمكث هنا في «أهناسيا» (٩) حتى يدفن رئيس السفن.

وذهب «بتيسي» بن «يتورو» جنوبًا مفتشًا ثانيًا على حسب عادته القديمة. وقد مكث «بتيسي» رئيس السفن (١٠) سبعين يومًا في احتفال؟ ودفن في قبره في بوصير.[٦١] (٥) والآن كان «بتيسي» بن «يتورو» يدير الوجه القبلي، (١١) وكان يعمل حسابه معه كل سنة ولم ينحط (؟) وذلك لأن ما فعله كان زيادة في الفضة والغلة له كل سنة.

وفي السنة التاسعة عشرة من حكم الفرعون (١٢) «بسمتيك» عمل حساب الأرض مع «بتيسي»، وكان حسابها حسنًا فقال له الفرعون: هل هناك شيء تقول عنه! دعه ينفذ؟ فقال بتيسي (١٣) أمام الفرعون: مر هذا الشيء الحسن يعمل لي أمام الفرعون. إني رجل مسن فمر بانصرافي من أمام الفرعون؛ لأنه لن يكون في استطاعتي تحمل (١٤) التعب. فقال له الفرعون: هل لك ابن يعرف الإدارة؟ فخال أمام الفرعون: إن خدم الفرعون الذين يعرفون الإدارة كثيرون، (١٥) وأنهم سيقومون بالإدارة تحت يد

رئيس السفن، ولن يدعوا شيئًا يتلف. فقال له الفرعون: هل هناك متاع تريده؟ فقال «بتيسي»: ليت الفرعون يثرو! ليس هناك شيء طيب لم يأمر الفرعون بعمله لي. فقال الفرعون لسمتاوى تفنخت رئيس السفن: تدبر هذا الذي يفوه به «بتيسي» قائلًا: «إني متقدم في السنين دعني أعتزل العمل.» فإذا صرفته فهل سيكون في مقدورك إدارة «بتورس» (الوجه القبلي) فقال له (١٨) «سمتاوى تفنخت»: دعه يعتزل العمل يا سيدي العظيم — إنه والدنا — ليصرف بقية حياته في راحة ولكنه مع ذلك سيكون حارسنا (أي: مكلفًا معنا). (١٩) وقد انصرف «بتيسي» بن «يتورو» من أمام الفرعون، وأتى جنوبًا ووصل إلى «توزوي»، ثم ذهب وصلى أمام «آمون» وأمر بعمل قربان محروقة،[٦٢] (١٠) وقربان من الشراب أمام «آمون»، ثم نقل إلى بيته الذي كان في «توزوي»، وقد طهر نفسه فيه (= أكل) مع «حاروز» بن «بفتوعوباستي»، وشرح الأمور (٢١) لحاروز قائلًا: لقد أعفيت نفسي من أمام الفرعون فقال «حاروز»: لا تدع هؤلاء الكهنة الذين هنا يعرفون ذلك؛ لأنهم خبثاء. فقال له «بتيسي»: تأمل (١/١١) سآخذك إلى «سمتاوى تفنخت» رئيس السفن، والشيء الذي لا يعجبك ستقول له عنه. وأرسل «بتيسي» إلى إخوته الكبار (٢) وأمرهم بتطهير أنفسهم أمامه، وقد أمضى أيامًا مطهرًا (أي: في ولائم) في «توزوي» ثم أقلع إلى «ني» (طيبة).

وفي السنة الواحدة والثلاثين شهر «برمهات»[٦٣] أحضرت الغلة التي حصل عليها من ضياع وقف «آمون» في «توزوي»، وفرغت أمام المعبد وتجمع الكهنة عند المعبد، وقالوا: خبرنا أرجوك بحياة «برع» (٤) هل سيستمر يأخذ خُمس (ـ) الأوقاف المقدسة؟ إن هذا الطريد الجنوبي[٦٤] في قبضتنا (؟) وكلفوا بعض الشبان من الأخدان الخبثاء قائلين: تعالوا أنتم بعصيكم في المساء وارقدوا فوق (؟) هذه الغلة، وادفنوا

عصيكم فيها حتى الصباح. واتفق أن كان ولدان (٦) لحاروز بن «بفتوعوباستي» قد كبرا. وفي الصباح أتى الكهنة إلى المعبد؛ ليقسموا الغلة (؟) بين طوائف الكهنة، وأتى ولدا «حاروز» بن «بفتوعوباستي» (٧) إلى المعبد قائلين: دع الخُمس (-) يكل، وعندئذ سحب الكهنة عصيهم من الغلة، وأحاطوا بولدي «حاروز» وضربوهما. فهربا إلى المكان المقدس الذي أمامهم، ولكنهم كذلك جروا خلفهما وتأمل فقد أمسكوا بهما عند مدخل محراب آمون، وذبحوهما ضربًا وألقوا بهما في حجرة مخزن في داخل الطوار المصنوع من الحجر.

والآن اتفق أن «حاروز» بن «بفتوعوباستي» لم يكن في «توزوي»، (١٠) بل كان في الغرب في قرى «تكوهي» (= الإقليم) ولكن «نتمحي» ابنة «بتيسي» وأم الولدين أغلقت على نفسها باب البيت، وعندما (١١) سمع «حاروز» بن «بفتوعوباستي» أن ولديه قد ذبحا عمل ثيابه ملابس حزن (يحتمل أن ذلك يعني أنه مزق ثيابه)، وذهب إلى رئيس شرطة «تكوهي»، وأخبره بالأمر فجمع رئيس (١٢) الشرطة جنود «تكوهي» وأخذهم إلى «توزوي»، مسلحين بالدروع (؟) والحراب ووضع حرسًا (١٣) على البيت الذي كانت فيه «نتمحي».

وخف «حاروز» إلى «ني» في ملابس حداده. وعندما أتى «حاروز» إلى «بتيسي» ركب «بتيسي» سفينته (١٤) مع أولاده وأهله وتوجه نحو النهر، وعندما وصل «توزوي» لم يجد رجلًا في «توزوي» إلا رجال رئيس الشرطة الذين يقومون بالحراسة (١٥) حول البيت الذي كانت فيه «نتمحي». وذهب «بتيسي» إلى المعبد، ولكنه لم يجد رجلًا في المعبد إلا كاهنيْنِ مسنين (١٦) وفاتح المحراب. وقد هربا إلى المكان المقدس من «بتيسي»، فوضع «بتيسي» رجالًا لحراستهما وأرسل إلى «أهناسيا» لسمتاوى تفنخت (١٧) رئيس السفن بخصوص كل الحوادث التي وقعت في

أثناء أن كان «بتيسي» في «توزوي»، وأمر رئيس السفن ضابط الجنود بالحضور قائلًا: اذهب واقبض على كل رجل يشير عليك «بتيسي» بالقبض عليه. وأتى الضابط إلى «توزوي» وأمر «بتيسي» بالقبض على الكاهنيْنِ، وانحدر معهما في النهر إلى بيت الفرعون (١٩) وتحدث «بتيسي» أمام الفرعون بكل شيء حدث. وأمر الفرعون بتوقيع العقاب على الكاهنين، وصرف «بتيسي» من أمام الفرعون ووصل إلى «أهناسيا»، (٢٠) ووقف مع رئيس السفن فقال له «سمتاوى تفنخت» رئيس السفن: لقد سمعت بالأشياء التي عملها فيك هؤلاء الرجال الأشقياء وحثالة (؟) رجال «توزوي»، الذين جعلتهم أغنياء (٢١) فقال له «بتيسي»: ألم يسمع محقق الجناية أن الذي يطعم الذئب (؟) سيموت؟ بحياة «برع» هذا هو الذي أصابني من كهنة «آمون» «توزوي». (١/١٢)

والآن اتفق أن «حاروز» بن «بفتوعوباستي» كان في «أهناسيا» مع «بتيسي»، وأخذ «بتيسي» يد «حاروز»، وأحضره أمام رئيس السفن قائلًا: تأمل يا أخي الذي في «توزوي» مر رئيس السفن يكلف رئيس شرطة «تكوهي» (٣) ومأمور «تكوهي» بالمحافظة عليه. فقال له «سمتاوى تفنخت»: سأكلف كل رجل تابع لي قائلًا: إن رجل «توزوي» (٤) الذي ستجده دعه يحضر إليَّ؛ لأجل أن أجعله يموت في السجن في «أهناسيا». ولكن «بتيسي» قال له: لا تدع رئيس السفن يفعل هكذا (٥) بحياة «آمون»، وليت نفس رئيس السفن يفلح! إني لن أذهب إلى «ني» دون أن أكون قد زودت «توزوي»، وأعدت إليها أهلها (٦) ثانية فقال رئيس السفن: لقد جعلت «حرشف» ملك الأرضين يذكر (في قسم) (؟) عندما قيل: إن حبك الذي كان عندك لتوزوي (٧) لم ينقطع بعد. فقال له «بتيسي»: لقد خُيل إليك (؟) وبحياة نفسك النامي!

إن الآلهة الذين فيها هم غاية في العظمة، وإنها بيت نأتي إليه (٨) «آمون رع» ملك الآلهة الإله العظيم، وإن الأشياء المقدسة التي عرفتها فيها عديدة.

وصرف رئيس السفن «بتيسي» فذهب جنوبًا ووصل إلى (٩) «توزوي»، وأمضى بضعة أيام في «توزوي». واتفق أن رئيس الشرطة أتى إلى «توزوي» ومعه خمسون محاربًا، وأتى (١٠) أمام (بتيسي) وقدم الطاعة فقال رئيس الشرطة «لبتيسي»: ما هذا الشيء المحزن الذي من أجله جعلت سيادتك رئيس السفن، الذي يكشف عن الجريمة يرسل إلي قائلًا: (١١) دع حرسًا يقم على أهل «بتيسي» الذين يكونون في «توزوي». أليس حضرتك الذي أطعمتنا؟ ومنذ الوقت الذي سمعت فيه أن (١٢) هؤلاء الكهنة قد أحدثوا ضررًا ألم آتِ في الحال، وأضع حرسًا حول هذا البيت؛ لأنهم كانوا (١٣) يضايقون هذه السيدة العظيمة؟ فإذا قلت سيادتك: تعال حتى إلى «ني» فهل يمكنني أن أرفض؟

فقال له «بتيسي»: إن «آمون» سيجعلك تحيا (؟) (١٤) وقد جعلت رئيس السفن يرسل إليك؛ ليمنح واجبًا (؟) آخر يوضع على عاتقك. افعل هذه المأمورية لي. سافر واذهب حول مقاطعة (١٥) «البهنسا» ومقاطعة «حارتاي» (حور هنا) باحثًا عن رجال «توزوي»، الذين ستجدهم أجمعهم سويًّا في مكان واحد (١٦) يريدون أن أذهب فيه إليهم؛ لأجل أن أحلف يمينًا لهم بألا أجعل أي شيء يفعل ضدهم قائلًا: إن الضرر الذي عملتموه قد جعلت عقابه يعمل لكم.[٦٥] هل من الصواب أن أجعل آمون يذبح باقي هؤلاء الشبان ويدع مدينته تخرب؟

وأخذ «بتيسي» يد رئيس الشرطة (١٨) وقاده إلى داخل محراب «آمون» (يحتمل أمام آمون)، وقد ربط نفسه بيمين أمامه قائلًا: إن كل الرجال الذين ستحضرهم لي إذا

أتوا إلى «توزوي»، فإني لن أسمح بأذى يصيبهم، (١٩) وإني سأربط نفسي بيمين لهم على ألا أجعل ضررًا يلحق بهم. لقد قيدت نفسي بيمين أمامكم؛ لأنه يمكن القول: إن رئيس الشرطة قد بحث عنا (٢٠) ليلحق بنا أذى.

وانبطح رئيس الشرطة على الأرض وقدم الطاعة. وهب رئيس الشرطة إلى أماكن مقاطعة (٢١) «البهنسا»، ومقاطعة «الأشمونين» ومقاطعة «حارتاي» (حورهنا): وجمع رجال «توزوي» في «حارتاي»، وأتى رئيس الشرطة (١/١٣) إلى (توزوي)، وأخبر «بتيسي» بن «يتورو» قائلًا: لقد وصلت حتى «الأشمونين»، ولم أترك رجلًا من «توزوي» حتى «الأشمونين» إلا أحضرته إلى «حارتاي»، وهو المكان الذي اتفقوا عليه قائلين: دع يمينًا يوثق لنا فيها. دع «إسمتو» بن «بتيسي» يأتِ ويربط نفسه بيمين لنا، وإذا لم يكن هو فواحد من الشباب مع سيادته فقال «بتيسي»: بحياة «آمون» إني أنا (٣) نفسي سآتي. فسافر «بتيسي» إلى «حارتاي»، وأقسم يمينًا للكهنة وفاتحي المحراب، ولكل رجل قد أتى إلى «توزوي» قائلًا: إني لن أجعل أي شيء يعمل ضدكم بسبب الشيء (٤) الذي مضى، وعاد «بتيسي» إلى «توزوي» مع رجال «توزوي» الذين وجدهم، وكذلك أتى كل نسائهم وأطفالهم. وأمر «بتيسي» بجمع كل الكهنة (٥) عند المعبد وقال لهم: آه ليتهم يحيون هل عملت لكم شيئًا غير الشيء الذي رغبتهم فيه؟ تأملوا إنني عندما أرسلت (رسميًّا) هل فعلت شيئًا بصورة رجل صاحب سلطة؟ (٦) لقد قلتم لي: إن أربع حصص هي التي أعطيت الكاهن «حور»[٦٦] سيد «أهناسيا» وكاهن «أنوبيس» سيد «حارتاي» وقلت لكم: ذلك ما ستعطونني إياه؟ فقلتم: (٧) إن حصة واحدة أعطيت بمثابة حصن كاهن. وقلت لكم: هذا ما تعطونه، إن لي حصة أربعة بمثابة نصيب كاهن «آمون». ولي خلاف لذلك ست عشرة حصة باسم (٨) الآلهة الذين كنت كاهنًا لهم فيكون المجموع عشرين

حصة. وعدد الكهنة الذي تؤلفونه هو عشرون لكل طائفة، وكل طائفة كهنة تؤلف (١/ ٥) الوقت المقدس.[٦٧] وعندئذ وضع الكهنة ملابسهم حتى رقابهم (هل معنى ذلك أن الكهنة قد رفعوا ملابسهم حتى رقابهم علامة للخضوع التام؟) وانبطحوا على الأرض أمام «بتيسي» وقالوا: ألا نعلم أن «حضرتك» أنك أنت الذي جعلتنا نعيش عندما أسست حضرتك (١٠) مدينتنا، وجعلتها مساوية لبيوت «مصر» العظيمة. وهؤلاء الشبان الذين حادوا عن الطريق مر حضرتك بإحضارهم، ودعهم يوضعوا في (آتون).

فقال «بتيسي»: إن الأعمال الصالحة التي عملتها أمام «آمون» أنا أعلم حقيقة أني لم أفعلها لآبائكم بل فعلتها لآمون. وهؤلاء الكهنة الذين ذبحوا ابني أليس في مقدوري أن أجعلهم يحضرون؟ إلا أني قد أمرت (١٣) بإيقاع العقاب على آبائهم وقد أخليت سبيلهم أنا والإله (أو قد تركتهم ليحاسبهم الإله). تأملوا فإنه منذ أن تغلبتم عليَّ حتى عندما كنت في قوتي وفي حياتي، (١٤) فإنه قد يأتي زمن عندما سيكون ابن لي هنا قد يكون أضعف منكم، وبذلك سيكون في مقدوركم أن تطردوه، وتأخذوا أنصبته التي في هذه المدينة (١٥) هل أحد يعرف الحوادث (أي: الغيب)؟ وهذه اللوحة[٦٨] التي أمرت بإقامتها ونقلت إلى البيت المقدس قد أمرت بعملها قبل أن أصبح كاهنًا، وقبل (١٦) أن يكتب تنازل من أجلي عن أنصبة الكهنة هذه التي في هذه المدينة، وسيكون في استطاعتكم أن تقولوا: أنت لم تكن كاهنًا عليها (على حسب النقوش التي على اللوحة).

فقال له الكهنة: ما الشيء الذي تقول سيادتك: (١٧) افعلوه؟ فقال لهم «بتيسي» بن «يتورو»: سآمر بعمل لوحة على الطوار الحجري في الطريق الذي يمر فيه «آمون» إلى محل التنظيف (؟) (يحتمل أن ذلك هو طريق الكباش المقدسة)، (١٨) وسأضع الأعمال الطيبة التي أنجزتها لآمون عليها، وسأضع وظائفي الكهانية عليها. فقال

الكهنة: إن كل الأشياء (١٩) الموافقة لمصالح سيادتك دعها تنجز، وسنعلم أننا نعيش بوساطة سيادتك إذا كان سيادتك تأمر بعملها (أي: اللوحة).

وأمر «بتيسي» بإحضار كتبة بيت الحياة (٢٠) والرسامين، وأمر بنقش اللوحة على الطوار الحجري قائلًا: سيراها الكهنة والأشراف الذين سيأتون للتفتيش على المعبد. (١/١٤) وقد ركب «بتيسي» بن «يتورو» إلى الشاطئ قائلًا: سأقلع إلى «ني»، (٢) ولكن «نتمحي» ابنته بكت أمامه قائلة: إن الولدين اللذين ذُبحا لا يزالان في المعبد، ولم يُؤْتَ بهما بعد (٣) فذهب «بتيسي» إلى المعبد وأمر بالبحث عن الولدين، وقد وجدا في حجرة مخزن في المكان المقدس، وقد أمر بإحضارهما (٤) ووضع عليهما كتانًا، وأقيمت لهما محزنة عظيمة في المدينة، ودفن الولدان.

وكان «بتيسي» (٥) على وشك ركوب السفينة، ولكن «نتمحي» بكت أمامه قائلة: خذني إلى «ني» معك وإلا فإن (٦) هؤلاء الكهنة سيعملون على ذبحي فقال لها «بتيسي»: لا يمكنهم بحياة «آمون». إنهم لن ينفكوا قط ثانية عن الخوف منك (٧) فقالت «نتمحي»: إذا كنت تريد أن تبقى هنا فدع «إسمتو» بن «بتيسي» يمكث هنا معي، ويقيم بخدمة (٨) «آمون» وعلى ذلك أمر «بتبسي» «إسمتو» بن «بتيسي» أن يبقى في «توزوي»، وقال له: خذ لنفسك نصيب كاهن «آمون» «توزوي» وتاسوع آلهته، (٩) وأمر «بتيسي» بإحضار بردية وكتب تنازلًا لإسمتو بن «بتيسي» عن وظائف كاهن «آمون» في «توزوي» وتاسوع آلهته، (١٠) وبقي «إسمتو» في «توزوي» مع «نتمحي» أخته و«حاروز» زوجها، وسكن «إسمتو» بن «بتيسي» في «توزوي» (١١) يقوم بخدمة «آمون» وتاسوع آلهته، ومنح خمس (ـ) الأوقاف المقدسة لآمون. وذهب «إسمتو» بن «بتيسي»، ووقف أمام (١٢) «سمتاوى تفنخت» رئيس السفن وقال له: إني أنا الذي نصبني في «توزوي» لأقوم بخدمة «آمون»

وتاسوع آلهته، فقد كتب لي تنازلًا عن (١٣) نصيب كاهن «آمون» وتاسوع آلهته، وعلى ذلك جعل رئيس السفن خاتمًا من الذهب ... يعطى «إسمتو» وقال له: إني لم آمر بإعطائك (١٤) كتانًا؛ ذلك لأن وراثة كتان «آمون» تابعة لك. ولا تنسَ أن تخبرني عن أشغالك في كل فرصة. وقد أمضى «إسمتو» بن «بتيسي» (١٥) الأيام التي قضاها في الحياة، وهو يقوم بخدمة «آمون» وتاسوع آلهته وأعطوه خُمس (-) أوقاف «آمون».

وذهب «إسمتو» إلى آبائه (١٦) وخلفه «بتيسي» بن «إسمتو» ابنه، وقد أدى خدمة «آمون» وتاسوع آلهته، وقد منح خُمس (-) الأوقاف المقدسة لآمون أيضًا.

في نهاية حكم «بسمتيك الثاني» كان «بتيسي الثاني» غائبًا في حملة إلى بلاد «خارو»، وبذلك فقد وظيفته وهي كاهن «آمون» ١٤/١٦-١٦/١.

الجزء الثاني من القصة: حملة «بسمتيك الثاني»

يقدم لنا القسم الثاني من هذه القصة معلومات عن زيارة «بسمتيك الثاني» لبلاد «خارو» في السنة الرابعة من حكمه، وقد صحبه عدد من الكهنة، وبعد عودته من هذه الزيارة وافاه القدر المحتوم بعد مرض قصير. ونحن نعلم أنه قد مات بعد أن حكم خمسة أعوام ونصف العام، ولكن على حسب ما عثر عليه «لجران» عام ١٩٠٤ نعلم أنه قد مات في ٢٣ توت من السنة السابعة من حكمه (راجع A. S., V. P. 86)، ويحدثنا «هردوت» — الذي يسمي هذا الفرعون «بساميس» Pesammis — أن موته وقع بعد حملة حربية على بلاد «كوش» مباشرة (Herod. II, 161). وعلى الرغم من أنه ليس لدينا في الورقة ما يثبت أن هذه الحملة التي قام بها على بلاد «سوريا» كانت حربية، فإن شواهد الأحوال تدل على أنها كانت لهذا الغرض.

وهناك ما يحملنا على أن نفرض أن كلا البيانين يشير إلى نفس الحملة. ولكن إذا كان الأمر كذلك فإن أحد المصدرين لا بد أن يكون خاطئًا؛ وذلك لأن أرض «خارو» لا يمكن أن تكون بلاد «كوش»، ولكن لا بد أن تكون «فنيقيا» أو بمعنى أعم ساحل أقاليم «فلسطين» و«سوريا»، وفي الوقت نفسه يجوز أن يكون كل من المصدرين صحيحًا، وأن الحملتين وقعتا فعلًا كما مثلتا. ولدينا مدة كافية تضع فيها الحملة الكوشية بين عودة الملك «بسمتيك» من «سوريا» وبين سنة موته. ولم يذكر لنا «بتيسي» حوادث إلا التي تهم موضوع تظلمه. هذا ويمكن الاعتماد على «هردوت» الذي يظهر في منتهى الدقة فيما يخص ذكر تتابع الأسرة السادسة والعشرين، ومدة حكم كل منهم، فيما سجله لنا عن أعمالهم، على أن ذلك لا يكاد يتخذ برهانًا على عدم قيام حملة على «سوريا»؛ لأنه لم يذكرها في كتابه. فنجد مثلًا أنه قد ذكر لنا فلاح «نيكاو» في «سوريا»، ولكن في الوقت نفسه لم يذكر لنا أنه فيما بعد قد فقد بعض ما فتحه، على الرغم من أنه لدينا براهين قوية من مصادر أخرى، تدل على أن «نيكاو» وجيشه قد مُنوا بهزيمة منكرة. ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعلم عن تاريخ هذه الفترة إلا القليل، فليس في مقدورنا أن نضع الأمور في نصابها على الوجه الأكمل من الوجهة التاريخية. ويلحظ أن «بتيسي» في سرد الحوادث في عهد «بسمتيك الأول» قد برهن على أنه لا يعتمد عليه قط، بل يعد مضللًا؛ وذلك لأن بياناته تتعارض مع الحقائق، ولا تكاد أحيانًا تتفق مع نسخ الوثائق الملحقة بقصته، ولكن دقته في سرد الحوادث التاريخية كان ينبغي أن تزداد كلما اقترب من التاريخ الذي يعيش فيه. ويلحظ أن القصة هنا قد قفزت إلى الأمام إلى حوالي عام ٥٩٠ق. م، وبذلك نجد أن المتظلم يحدثنا عن أمور ليست بعيدة عن ذاكرته، كما سيظهر من الاعتبارات التالية:

كان «بتيسي» بعد العام الخامس عشر من حكم «أمسيس» كاتبًا وكاهنًا لآمون، وكان يعتبر على الأقل أنه قد ترعرع وأصبح شابًّا. فلا بد أنه ولد في السنة الأولى من عهد «أمسيس» إن

لم يكن قبل ذلك؛ أي حوالي ٥٧٠ق.م؛ أي بعد قيام حملة «خارو» بعشرين عامًا، ونجد كذلك أن «بتيسي» قد مثل بأنه «مسن» في السنة التاسعة من حكم «دارا» (٥١٢ق.م) وعلى أساس هذا الحساب الأخير كان وقتئذ قد بلغ السابعة والخمسين من عمره، وهذا يتفق مع الفرض الذي وضعناه هنا. وفضلًا عن ذلك فإن «بتيسي» الذي عمل العقد رقم ٨ في السنة الثامنة من عهد «أمسيس»؛ أي عام ٥٦٢ هو على كل الاحتمالات موحد مع «بتيسي الثالث» المتظلم، ولكن هذا يحتم تاريخًا مبكرًا لولادته عن الذي اقترح فيما سبق.

ويحتمل أن البردية لم تكن قد كتبت بعد السنة التاسعة من حكم «دارا» إلا بفترة يسيرة؛ أي حوالي ٨٠ سنة بعد تاريخ الحملة إلى بلاد «سوريا»، وذلك عندما كانت الحادثة لا تزال قريبة من ذاكرة سن المعاصرين لبتيسي. أما عن المتظلم نفسه والأضرار التي لحقت بجده عندما كان غائبًا في الحملة إلى بلاد «سوريا»، فلا بد أنها كانت نقطة تحول في مصائر الأسرة، فلا بد أنها كانت باستمرار في ذاكرته بوساطة والده، وقد قدمت به وبسيده في محاكم القضاء. وتدل الكشوف الحديثة على أن الحملة إلى بلاد «كوش» قد وقعت فعلًا، وقد فصلنا القول فيها في مكانها.

أما عن «فنيقيا» فإنه ليس هناك سبب يدعو لعدم قيام «بسمتيك الثاني» بحملة في هذه الجهة؛ لأجل أن يجدد النضال للاستحواذ عليها من الدولة المسيطرة «مسوبوتاميا»، والواقع أنه بعد انتصار «آشور بنيبال» على «تانو تأمون» الكوشي (في مصر حوالي عام ٦٦٣ق.م) حاصر ولاية «صور»، وقد انتهى الأمر بأن جعلها تدفع له جزية، ولكن دون أن يستولي عليها. ومن هذه اللحظة يظهر أنه لم يلتفت إلا قليلًا إلى غربي ممتلكاته، هذا على الرغم من أن «سوريا» و«مصر» كانتا لمدة طويلة تعدان رسميًّا ضمن أقاليم الإمبراطورية الآشورية. وقد كان «آشور بنيبال» منهمكًا في شرقي إمبراطوريته في حروب، وفي إخماد ثورات في «عيلام» و«بابل» و«بلاد العرب»، وكان النجاح دائمًا حليفه.

ونعلم من السجلات أنه كانت هناك بعض مراسلات بين «بيساميلكي» أو «توساميلكي» (بسمتيك الأول) و«جوجو» (جيجز) ملك «ليديا»، وهذه المراسلات كانت تنم عن الخيانة لآشور، ولكن لم تكن قد استمرت سيادة «آشور» الفعلية على «مصر» وقتئذ.

وتدل شواهد الأحوال على أن الحروب المتلاحقة التي قامت بها «آشور»، قد أثرت تأثيرًا مفزعًا في عدد جيش «آشور» المحارب الذي أخذ في التناقص بدرجة محسة، يضاف إلى ذلك أنه في السنين الأخيرة من عهد «آشور بنيبال» اقتحمت قبائل «السيثيين» إمبراطوريته. وقد حدثنا «هردوت» أن «بسمتيك الأول» قد رد «السيثيين» الذين وصلوا إلى حدود «مصر» على أعقابهم ببذل العطايا لهم، والتوسل إليهم (Herod. I, 105)، وأنه استولى على «أزوتوس» AZOTUS بعد أن حاصرها ٢٩ سنة (Ibid. II, 157)، أما عن المغامرة الجريئة التي قام بها «نيكاو» في بلاد «سوريا»، والاستيلاء عليها فلدينا عنها براهين مؤكدة.

ففي حوالي عام ٦٠٨ق.م ذبح الفرعون «نيكاو» «يوشعيا» عاهل «أورشليم» في موقعة «مجدو»، وأوغل في «سوريا» حتى كركميش الواقعة على «نهر الفرات» (كتاب الملوك الثاني الإصحاح ٢٣ سطر ٢٩)، وبذلك قضى على كل بارقة أمل باقية للسيطرة الآشورية في زحفه. وبعد عودته من هناك خلع الملك «يوحاز» الذي خلف والده «يوشعيا» في «أورشليم» بعد أن حكم ثلاثة أشهر، ووضع مكانه أخاه «يواقيم» على العرش، وجعل بلاد «يهوذا» تدفع له الجزية (كتاب الملوك الثاني الإصحاح شرحه سطر ٣١–٣٥). ويحدثنا كذلك «هردوت» أن «نيكاو» هزم الآشوريين في «ماجدولا»، ويقصد بذلك «مجدو» واستولى على «كاديتس» Cadytes، ويعني بذلك «غزة» أو بعض مدينة في شمال «سوريا». ولا بد أن قوة «نيكاو» لمدة بضع سنين كانت هي المسيطرة على «سوريا»، ولكن في الوقت نفسه كانت مملكة «بابل» قد أصبحت وطيدة الأركان في يدي عاهلها «نابو بالاصر»، الذي كان ابنه «نبوخذ نصر» ينقض بجيوشه نحو «الفرات»؛ ليسترد من «السيثيين» والمصريين الإمبراطورية التي فقدها

الآشوريون. ونسمع بعد ذلك في الحال أن ملك مصر لم يأتِ إلى الأرض أبدًا؛ لأن ملك «بابل» قد أخذ من أول نهر مصر حتى نهر «الفرات» كل ما كان يملك ملك مصر (كتاب الملوك الثاني الإصحاح ٢٤ سطر ٧). ويضع كل من كتاب «أرميا» («أرميا» الإصحاح ٤٧ سطر ٢)، وكتاب «جوسيفس» (راجع Ant. Jud. X 6, 7) الواقعة الفاصلة في «كركميش»، وتمثل الجيوش المصرية بقيادة «نيكاو» نفسه. على أن المؤرخ الفارسي «بروسوس» Bersous يجعل سبب حملة «نبوخد نصر» ثورة شطربة الفرس، الذي كان يحكم وقتئذ «مصر» و«سوريا» و«فنيقيا» (Frag. 14)، وعلى الرغم من أن هذا القول خاطئ من أساسه، إلا أنه في الوقت نفسه يظهر لنا أن الرأي القديم القائل: إن الفرعون المصري كان أميرًا تابعًا قد بقي عالقًا بالأذهان منذ التسلط الآشوري على «مصر».

وتاريخ الحملة البابلية على «مصر» كان حوالي ٦٠٥ أو ٦٠٤ق.م وليس من المؤكد على أية حال أن «نبوخد نصر» كان قد استولى على «فنيقيا» في هذا الوقت، وقد حفظ لنا المؤرخ «جوسيفس» قطعة من حوليات نعلم منها أن قلعة «صور»، التي لا يكاد يمكن اختراقها قد حاصرها «نبوخد نصر» مدة ثلاث عشرة سنة كان يدافع عنها ملكها «اتهوبعل»، ولكن هذا الحادث كان على ما يرجح قد وقع حوالي عامي ٥٨٥–٥٧٠ق.م في عهد الملك «إبريز» ملك مصر. وفي الوقت نفسه بقدر ما نعلم كانت بلاد «فنيقيا» تحت الحكم المصري. وعلى أية حال كان في مقدور الفراعنة أن يدسوا الدسائس، ويرسلوا الحملات كما فعل «إبريز» (حفرا) بدون شك. وعلى ذلك ليس لدينا أي سبب يحملنا على عدم احتمال وقوع حملة إلى «فنيقيا» أو «سوريا» في عهد الملك «بسمتيك الثاني». ففتح «أورشليم» كان قد وقع في السنة التاسعة عشرة من حكم «نبوخد نصر» (كتاب الملوك الثاني ٨/٢٥)؛ أي في عام ٥٨٦ق.م والسنة التي تقابل ذلك في التاريخ المصري لا تكاد تتعدى السنة الأولى أو الثانية من حكم الفرعون «إبريز» (حفرا). وقد بدأ الحصار قبل ذلك بسنة ونصف سنة (كتاب الملوك الثاني) (١/٥)، وقد عين في

وقت ما اقتراب جيش الفرعون (أرميا ٣٧/٥–١١)، وهذه الحادثة يبعد أن تكون قد وقعت في السنة الرابعة من حكم «بسمتيك الثاني»، بل على الأرجح في عهد الملك «إبريز». وقد حدثنا «هردوت» (Herod. II, 161)أن «إبريز» قد تعدى حدود «صيدا» في هجومه، وحارب ملك «صور» في البحر، والظاهر أن كل فرعون من أول «بسمتيك الأول» حتى «إبريز» قد حارب في «سوريا». ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الاستيلاء على «غزة» بالفرعون، وهذا ما أشير له في عنوان من عناوين تثيات أرميا (أرميا ٤٧/١) لا يمكن معرفته على وجه التأكيد، هذا إلى أن صحة هذا العنوان على ما يظن مشكوك فيها شكًّا كبيرًا. وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في غير هذا المكان.

نعود بعد هذه اللمحة المختصرة التمهيدية إلى ما قصه علينا «بتيسي الثالث» عن ظلامته، وتاريخها الذي يرجع إلى الوراء لمدة طويلة.

> (١٤) وفي السنة الرابعة من (١٧) حكم الفرعون «بسمتيك» نفر أب رع[٦٩] (بسمتيك الثاني) أرسلت الرسل إلى المعابد الكبرى في الوجهين القبلي والبحري، قائلين: إن الفرعون يذهب إلى أرض «خارو» (يحتمل أنها تعني الساحل التجاري لفنيقيا، ويمكن أن يشمل ذلك أجزاء غير مهمة من «سوريا»، وهي التي ميزت في منشور «كانوب» بأرض «عامور»)، فدعوا (١٨) الكهنة يأتوا مع باقات آلهة مصر؛ ليأخذوها إلى أرض «خارو» مع الفرعون. (يجوز أنه كانت تؤخذ أكاليل مصنوعة بمثابة تعاويذ والأكثر احتمالًا أن الأشجار النامية أو النباتات كانت تحمل إلى «سوريا» أو «فنيقيا» لتقدم قربانًا؛ أو لتنقل هناك وتزرع في المعابد المصرية التي أسست على البلاد الساحلية في «سوريا» و«فنيقيا»)، وقد اجتمع الكهنة واتفقوا على (٢٠) قولهم لبتيسي بن «إسمتو»: إنك أنت الذي تصلح للذهاب إلى أرض «خارو» مع الفرعون، وليس هنا رجل في هذه المدينة يمكنه (٢١) أن يذهب إلى أرض «خارو» إلا أنت. تأمل أنك

كاتب بيت الحياة (أي: مدرب على الكتابة المقدسة والأدب)، وليس هناك شيء سيسألونك عنه إلا له جواب سديد (؟) (٢٢)؛ لأنك كاهن «آمون» وكهنة الآلهة العظام لمصرهم الذين سيذهبون إلى أرض «خارو» مع الفرعون. وقد (١٥/١) أغروا «بتيسي» ليذهب إلى أرض «خاروا» مع الفرعون، وقد جهز نفسه للسفرة.

وذهب بتيسي بن «إسمتو» إلى أرض «خارو»، ولم (٢) يصحبه رجل إلا خادمه وحارس يدعى «وسير موسى»، ولما علم الكهنة أن «بتيسي» قد سافر إلى أرض «خارو» مع الفرعون (٣) ذهبوا إلى «حاروز» بن «حارخبي»، وهو كاهن الإله «سبك» وحاكم «أهناسيا» وقالوا له: هل سيادته (يقصدون «حاروز») يعرف أن نصيب كاهن «آمون توزوي» هو نصيب الفرعون، وأنه ملك لسيادته (أي: «حاروز»)؟ وقد استولى عليه «بتيسي» بن «يتورو» — وهو كاهن «آمون» — عندما كان حاكمًا لأهناسيا. وتأمل فإنه في قبضة ابن ابنه حتى الآن فقال «حاروز» بن «حارخبي» لهم: وأين ابنه؟ (٥) فقال له الكهنة: لقد جعلناه يذهب إلى أرض «خارو» مع الفرعون. دع «بتاحنوفي» بن حاروز يأتِ إلى «توزوي»؛ لأجل أن نكتب له تنازلًا عن نصيب كاهن «آمون». وعلى ذلك جعل «حاروز» (٦) «بتاحنوفي» بن «حاروز» ابنه يأتي إلى «توزوي»، وكتبوا له تنازلًا عن نصيب كاهن «آمون» صاحب «توزوي»، ثم قسموا الستة عشر نصيبًا الأخرى أربعة أقسام بين طوائف الكهنة الأربع، كل طائفة أربعة أنصبة. ثم ذهبوا ليبحثوا (٧) عن «بتاحنوفي» بن «حاروز»، وأحضروه وجعلوه يعطر يديه ويؤدي صلاة لآمون.

وعاد «بتيسي» بن إسمتو من أرض «خارو» (٨) ووصل إلى «توزوي»، وأخبر بكل شيء عمله الكهنة فأسرع «بتيسي» شمالًا إلى بوابة بيت الفرعون، غير أنه عومل باحتقار (؟) فقيل له: الهلاك! إن فرعون (٩) مريض والفرعون لا يخرج.

وعلى ذلك قدم «بتيسي» شكوى إلى القضاة (؟) فأحضروا «بتاحنوفي» بن «حاروز» ودونت اعترافاتهما في بيت المحكمة (١٠) قائلين: إن هذا النصيب الذي استولى عليه «بتاحنوفي»، وهو الذي كان والده سيد «أهناسيا»، هو نصيب الفرعون. وقد مضى «بتيسي» بن «إسمتو» عدة أيام (؟) في بيت المحاكمة مناضلًا مع «بتاحنوفي» بن «حاروز»، وقد ضويق «بتيسي» في بيت المحاكمة، وأتى جنوبًا، وذهب إلى «ني» قائلًا: اذهب لأدع إخوتي (١٢) الذين في «ني» يعرفون ذلك، وقد وجد أولاد «بتيسي» بن «يتورو» الذين كانوا كهنة «آمون» في «ني»، وأخبرهم بكل شيء حدث له مع كهنة «آمون» (١٣) صاحب «نوزوي»، فأخذوا «بتيسي» وجعلوه يقف أمام كهنة «آمون».

فقال له كهنة «آمون»: ما الشيء الذي نقول: افعلوه؟ لقد حدث أن تقريرًا أرسل (١٤) إلى كهنة «آمون» جاء فيه: إن الفرعون «بسمتيك» نفر-أب-رع قد توفي (؟)[٧٠] تأمل أنهم عندما قالوا: الفرعون قد توفي (؟) كنا على وشك أن نرسل إلى بيت الفرعون عن كل ما (١٥) فعله كهنة «آمون» ضدك. ويجب عليك أن تقدم شكوى (؟) إلى هؤلاء القضاة، (؟) الذين أعطوا اعترافاتهم كتابة في بيت المحاكمة ضد كاهن «سبك» هذا الذي يأخذ (؟) من نصيبك؛ (١٦) لأنه لا يمكن أن يكون في مقدورهم الفراغ من قضيتك في هذه المدة من الزمن، (؟) وأمر الكهنة بإعطاء خمسة دبنات من الفضة «بتيسي»، وأعطاه إخوته خمسة دبنات أخرى فيكون الكل عشر دبنات من الفضة وقالوا له: اذهب إلى بيت المحاكمة ضد هذا الرجل الذي يأخذ من نصيبك، وعندما تنفق هذه الفضة تعال لنعطيك فضة أخرى. فذهب «بتيسي» بن «إسمتو» شمالًا، (١٨) ووصل إلى «توزوي» وقال له الرجال الذين وقفوا معه: لا فائدة من الذهاب إلى بيت المحاكمة. إن خصمك في الكلام رجل أغنى منك. وإذا (١٩) كان في يدك

مائة دبن من الفضة فإنه سيهزمك. وأقنعوا «بتيسي» بألا يذهب إلى بيت المحاكمة، ولم يدفع الكهنة حصة (٢٠) ما يقابل الستة عشر نصيبًا التي قسمت بين طوائف الكهنة، ولكن الكهنة الذين اتفق أنهم دخلوا (الخدمة) قد قاموا بالخدمة باسمهم، وقد أعطيت كذلك حصة أربعة «بتاحنوفي» (١/١٦) باسم نصيب كاهن «آمون» من السنة الأولى من عهد الفرعون «واح اب رع»، حتى السنة الخامسة عشرة من حكم الفرعون «أحمس» (أمسيس).

الجزء الثالث والأخير من القصة: الحوادث التي وقعت في عهد الملك أمسيس الثاني من حكم «قمبيز»، وكان «إسمتو الثاني» و«بتيسي الثالث» هما الممثلان للأسرة (٩/٢١/١٦)

هذه الفقرة تتحدث عن نزاع خطير بين الإدارة وكهنة «توزوي» عن جزيرة كانت تؤلف جزءًا كبيرًا من أوقاف المعبد، فقد رشا الكهنة أحد رجال الحاشية من أصحاب النفوذ؛ ليتدخل في صالحهم بإعطاء وظيفة كاهن «آمون» لأخيه. ولكن لأجل أن تكون هذه العطية ذات أثر فعال كان من الضروري أن ينزل «إسمتو» الثاني بن «بتيسي» عن الحقوق، التي ادعاها بالوراثة لهذه الوظيفة. ولكن «إسمتو» تجنبًا لذلك هرب من «توزوي»، وأخذ معه أسرته إلى «الأشمونين»، وهنا وجد ابن الشاكي وهو «بتيسي» عملًا تحت إدارة موظف حكومي ساعده على وضع قضية والده تحت نظر رئيسه، وانتهى الأمر إن كان في مقدور «بتيسي» ووالده العودة إلى «توزوي» مع بعض التعويض عن الأضرار التي ألحقها الكهنة بأملاك الأسرة في تلك الأثناء. وتبتدئ فاتحة تاريخ ذلك في السنة الخامسة عشرة من عهد الملك «أمسيس» حوالي عام ٥٥٥ق.م؛ أي حوالي الأربعين عامًا بعد حوادث القسم الأخير من القصة، ومن هذه النقطة وما بعدها نجد المتظلم يقص أشياء كان قد رآها هو رأي العين أو كانت معاصرة له، وعلى ذلك ينبغي أن تكون الأسماء التي يذكرها أو غيرها صحيحة، ومجموعة الوثائق الأصلية من السنة الثانية إلى السنة الثامنة من حكم «أمسيس» (Pap. III-VIII) خاصة به وبوالده «إسمتو»،

ولكن الاسم الوحيد بين الشهود في هذه الوثائق التي يمكن أن تكون موحدة مع أي اسم في هذه البردية هو «زوبستفعنخ» بن «أحو» (؟) الذي أمضى باسمه في السنة الثالثة من حكم «أمسيس» (VI, Verso 18)، والظاهر أنه هو رئيس الكهنة الإداري الذي جاء ذكره في ١٨/ ١٠ في سنة ١٥ أو بعدها. وليس عندنا سجلات أخرى تضبط بها القصة.

في السنة الخامسة عشرة من عهد «أحمس»[٧١] أتى المشرف على الأرض، المنزرعة (٢) إلى «أهناسيا»، وأمر كتاب مقاطعة «أهناسيا» بالحضور وقال لهم: هل يوجد دخل خاص (؟) بحار مخر بن «بتاح-أرتايس» (٣) في هذه المقاطعة؛ وذلك لأن المشرف على الأرض المنزرعة متحمس ضد «حار مخر» فقال له «بفتوعوباستي» بن «خبخرات»، وهو كاتب المقاطعة الذي لم يكن كاهنًا لآمون «توزوي»: لا توجد ضرائب خاصة «بحار مخر» بن «بتاح-أرتايس» (٤) في هذه المقاطعة، ولكن إذا كان المشرف على الأرض المنزرعة يريد إلحاق ضرر (٥) «بحار مخر»، فإنه يمكنني أن أفعل له شيئًا سيجعله أكثر تحمسًا أكثر من حنقه من أجل الضرائب، فقال له المشرف على الأرض المنزرعة: قله (ما هذا الشيء) فقال له: «بفتوعوباستي» أنه لا يوجد رجل (٦) على الأرض نابع «لحار مخر» إلا (؟) كهنة «آمون» «توزوي» هؤلاء؛ وذلك لأنه نصب إخوته كهنة (٧) «آمون» «توزوي». وتوجد جزيرة في يد كهنة «آمون» «توزوي» فيها ٤٨٤ أرورا قد استولوا عليها لهم، ولكنها ستبلغ ألف أرورا. وعندما أحضر تمثال الفرعون «أحمس» إلى «توزوي» (٨) جعل «حار مخر» «بتاح-أرتايس» بن «ميبتاح» يعمل له بمثابة كاهن تمثال،[٧٢] وأمر بملكية ١٢٠ أرورا لتمثال الفرعون في حين أنه لم يعطِ أرورا واحدًا لتمثال الفرعون الذي كان قد أحضر إلى «أهناسيا».

وأقلع المشرف على الأرض المنزرعة جنوبًا، ووصل إلى جزيرة «توزوي» وأرسى سفينته عند (١٠) نهايتها، وأمر مساحين بالذهاب إلى الشاطئ والذهاب حول الجزيرة (لمسحها)، وقد ضم إلى الجزيرة الرمال والأشجار (١١) وجعلوا مساحتها تبلغ ٩٢٩ أرورا. هذا ونزع الجزيرة من «توزوي» أما المائة والعشرون أرورا التابعة للتمثال، فكانت في حقل شلك (وهو مكان يدعى هكذا)، واستولى عليها (١٢) أيضًا.

ونادى المشرف على الأرض المنزرعة ضابط الجنود «مانانو — واح اب رع» (= واح أب رع قد لاحظنا) قائلًا: دع كهنة «آمون» «توزوي» يعطوا ٤٠٠٠ مكيال من القمح من محصول (١٣) هذه الجزيرة التي كانت في قبضتهم، وأتى ضابط الجنود إلى «توزوي»، واستولى على مخزن الغلال وأمر بحمل كل الغلة التي وجدها في المخزن، وفي البيوت إلى (١٤) مدخل المعبد. وكانت تحت الحراسة عند مدخل المعبد وعندئذ خف الكهنة نحو الشمال إلى مدخل بيت الفرعون (في «منف») (١٥) قال لهم فاتح محراب «بتاح» الذي أكلوا في بيته: لا يوجد رجل تابع للفرعون يمكنه أن يحميكم إلا «خلخنس» بن «حور»، وهو رجل يتوسل إلى الفرعون حتى وهو في مخدعه. فإنهم يقولون (له): إنه لا يوجد رجل داخل بيت الفرعون يسمع له في شيء مثله. وجعلوا فاتح محراب «بتاح» يذهب ليحضر «حارخبي» خصي (؟) «خلخنس»، ووقفوا معه وقالوا له: إذا دافع عنا «خلخنس» في قضيتنا، (١٨) وجعل هذه الجزيرة التي يملكها «آمون» من نصيبنا، فإنا سنعطيه ٣٠٠ إردبٍّ من الغلة و٢٠٠٠ هنا من زيت تكم (زيت خروع) (الهن يساوي نصف لتر) وخمسين هنا من الشهد و٣٠ إوزة بمثابة حصة سنوية له. فذهب الخصي «حارخبي» وأخبر «خلخنس» ذلك (ولكن) «خلخنس» قال لهم: إن فتحة أفواه هؤلاء الجنوبيين كبيرة (؟) (يقولون كثيرًا ولا يفعلون). دعهم يدفعوها لي هذه السنة، (وإلا) فإنهم عندما يعلمون

أنني قد خلصتهم لا يدفعون. خبرهم أني أعمل كاهنًا للإله «حور» صاحب «بوتو»، وأن لي أخًا يعمل كاهنًا للإله «حور» في «ب». اكتبوا له تنازلًا عن وظيفة كاهن من معبدكم، واكتبوا له بإعطائه هذه الأشياء على حسب جباية كل سنة (١/١٧)، حتى يمكنني أن أدافع عنكم في قضيتكم.

واتفق أن «نكوموسي» بن «بتاحنوفي» كاهن «سبك»، الذي كان كاهنًا لآمون «توزوي»، كان في «منف» (٢) فذهب إليه الكهنة وقالوا له: يا «نكوموسي» إن ضياع وقف «آمون توزوي» قد استردها ثانية المشرف على الأرض المنزرعة إلى أرض «و» (الأرض الصالحة للزراعة التي تدفع ضرائب للفرعون) (٣) هل في مقدورك أن تحمينا؟ وإذا لم يمكنك تأمل فإننا عندما ذهبنا إلى عظيم (بعينه) قال لنا: اكتبوا لي تنازلًا عن نصيب كاهن «آمون» (٤) حتى يمكنني أن أحميكم في كل قضية لكم. وأنت تعلم أننا نحن الذين كتبنا لوالدك «بتاحنوفي» بن «حاروز» تنازلًا (٥) عن نصيب كاهن «آمون»، عندما كان والده «حاروز» بن «حارخبي» حاكمًا «أهناسيا»، وذلك على الرغم من أنه لم يكن نصيب له فيه حق. وقد أعطيناه (٥) إياهًا قائلين: «إنه سيحمينا» فقال لهم «نكوموسي» بن «بتاحنوفي»: اذهبوا واكتبوا لأي رجل يحميكم تنازلًا عن نصيب (٧) كاهن «آمون» و«سبك» معكم! وأحضروا لي الوثيقة التي ستعملونها حتى أوقع عليها.

وذهب الكهنة إلى «حارخبي» (٨) بن «يوحارو» وهو رجل «خلخنس»، وكتبوا تنازلًا عن نصيب كاهن «آمون» إلى «بسمتيك منمبي» بن «حور» أخو «خلخنس»، (٩) وأخذوا الكتابة إلى «خلخنس». وعندئذ دافع «خلخنس» بن «حور» أمام الفرعون قائلًا: إن والدي كان يعمل (١٠) كاهن «آمون توزوي»، وهو بيت شهير في مقاطعة «أهناسيا». وقد ذهب المشرف على الأرض الزراعية إليها، واستولى (١١)

على ضيعة أوقافها وأمر بالاستيلاء على كل شيء في المدينة قائلًا: سأجعلهم يعطون محصول الأرض الذي استولى هو عليه. (١٢) فأحضر المشرف على الأرض المنزرعة أمام الفرعون وقال: يا سيدي العظيم لقد وجدت جزيرة نهر في وسط «توزوي»، (١٣) وقال لي كتاب المقاطعة: إن مساحتها ألف «أرورا» فمسحتها وبلغت ٩٢٩ أرورا بحياة وجه الفرعون أنه ليس بلائق أن تعطى هذه الضيعة لإله أو إلهة، بل اللائق أن تكون للفرعون أن (ضريبتها) عشرون مكيالًا من الغلة (١٥) ... لأرورا واحد وقد سألت الكتاب قائلًا: هل هي ضمن أملاك آمون توزوي؟ فقالوا لي: إن ـ أرورا (١٦) قد خصصت لآمون فقلت لكهنة «آمون»: تعالوا حتى أجعلكم تعطونها ملاصقة لضيعة أوقافكم (١٧) في الحقل الذي على أرض ساحل «توزوي»، ولكنهم لم يصغوا إلي. أما عن «آمون توزوي»، فإني وجدت في حيازته ضيعة (١٨) لبيت عظيم جدًّا فوجدت ٣٣ مكيالًا من الغلة ... مخصصة لآمون توزوي يوميًّا، وأني (١٩) سأحصل عليها كاملة له (؟) وقد قامت مناقشة كثيرة بين «خلخنس»، والمشرف على الأرض المنزرعة أمام الفرعون (٢٠) والنهاية أنه لم يمكن نزع الجزيرة من يد المشرف على الأرض المنزرعة، ولكن «خلخنس» جعله يكتب رسالة (١/١٨) بوحي إلهي بها تعطى ٤٨٤,٥ أرورا بمثابة مقابل ٤٨٤,٥ أرورا التي وجد أنها مخصصة لضيعة وقف آمون على جزيرة توزوي ملاصقة لضيعة أوقاف «آمون»، التي كانت على اليابسة في «توزوي»، (٣) وكذلك بإعادة الغلة التي أخذت من «توزوي»، وقد قالوا: إنها ستؤخذ من محصول جزيرة «توزوي» التي استولى عليها؛ وقد أتى «بسمتيك منمبي» بن «حور» وأخو «خلخنس» إلى «توزوي» معطرًا جسمه، وأدى الصلاة لآمون، وأعطيته الأشياء التي قالوا عنها لخلخنس: سنعطيك إياها.

فقال لهم «بسمتيك منمبي»: (٦) إن هذه البردية التي كتبتموها لي من أجل نصيب كاهن «آمون» قد أخذتها لبيت المحاكمة وقال لي قاضٍ: إنها باطلة (٧) وذلك بسبب أن هؤلاء الكهنة سيقولون لك: أليس لهذا النصيب مالك؟ إن مالكه يمكن أن يأتي إليك (٨) مرة أخرى ويقول: إنه ملكي وإني سأنال حقي منك. تأمل لقد سمعت أن كاهن «سبك» هذا الذي كان ملكًا له قد كتب له الكهنة تنازلًا عنها، وذلك عندما كان والده رئيس «أهناسيا» ألم يكن له مالك قبله؟ وعندئذ (١٠) قال «زوبستفعنخ» بن «أحو» رئيس المعبد الإداري: سأحضر إليك مالكه وأجعله يكتب إليك تنازلًا عنه. واتفق أن «بتيسي» بن (١١) «إسمتو» قد ذهب إلى آبائه في السنة الثالثة عشرة من عهد الفرعون «واح أب رع»، وكان ابنه «إسمتو» على قيد الحياة. فأتى رجل إلى «إسمتو» (١٢) قائلًا: إنهم سيأتون إليك ليجعلوك تكتب تنازلًا عن نصيب كاهن «آمون» من أجل «بسمتيك منمبي» بن «حور» بالقوة. فذهب «إسمتو» مع زوجه وأولاده إلى قارب ورحلوا إلى «الأشمونين».

وعندما حل اليوم التالي (١٤) سمع الكهنة ورئيس المعبد الإداري بذلك، فذهبوا إلى بيته واستولوا على كل شيء كان يملكه، وهدموا منزله ومكان معبده، وأمروا بإحضار بناء وجعلوه يشوه اللوحة التي عملها «بتيسي» بن «يتورو» على الطوار الحجري واتجهوا (١٦) نحو اللوحة الأخرى المصنوعة من الجرانيت، وهي التي كانت في المكان المقدس قائلين: سنشوهها، غير أن البناء قال: لا يمكنني (١٧) تشويهها وأن عامل جرانيت فقط هو الذي يمكنه تشويهها: إن آلاتي ستنزلق (؟) وقال كاهن: خل سبيلها! تأمل لا (١٨) أحد يراها، وفضلًا عن ذلك فإنه قد أمر بعملها قبل أن يقوم بوظيفة كاهن، وقبل أن يكتب له رئيس السفن تنازلًا (١٩) عن نصيب كاهن «آمون».

ويمكننا أن نمنعه بوساطة ذلك قائلين: «إن والدك لم يكن يعمل كاهنًا لآمون.» وعلى ذلك تركوا اللوحة (٢٠) المصنوعة من حجر الجرانيت ولم يشوهوها.

وذهبوا إلى تمثالين له من حجر تمجي واحد منهما عند مدخل مقصورة (٢١) «آمون» وصورة «آمون» كانت في حجره، وألقوا به في النهر، وذهبوا إلى التمثال الآخر الذي كان في بيت «أوزير» عند مدخل مقصورة «أوزير» (٢٢) وصورة «أوزير» كانت في حجر هذا التمثال، وألقوا به في النهر. وسمع «إسمتو» بن «بتيسي» كل شيء فعله الكهنة ضده (١/١٩) في «توزوي»، واتفق أنه كان يوجد كاتب حسابات تابع للمشرف على الخزانة يدعى «امحوتب» بن «بشنسي» قد أرسله المشرف على الخزانة؛ (٢) ليعمل حساب «الأشمونين» فقال «إسمتو» بن «بتيسي» لابنه «بتيسي» (وهو المتظلم): تأمل إنك كاتب فاذهب واكتب مع «امحوتب» بن «بشنسي» (٣) كاتب الحسابات التابع للمشرف على الخزانة (؟) وعندما يعرف حاجتك سيكون في مقدوره أن يدافع عنك عند المشرف على الخزانة (؟) ويجعلنا محميين (٤) فذهب «بتيسي» وكتب مع «امحوتب» بن «بشنسي»، وأنهى المأمورية التي أرسل إلى «الأشمونين» ليسجلها كتابة. وأتيت إلى «منف» (٥) مع «امحوتب» فجعل كتاب المشرف على الخزانة (؟) يكتبون مسائل «الأشمونين»، وعمل تقريرًا عنها للمشرف على الخزانة (؟) وتكلم المشرف على الخزانة (؟) كلمة طيبة له، (٦) وعمل «امحوتب» احتجاجًا إلى المشرف على الخزانة (؟) قائلًا: إن لي أخًا وهو كاهن لآمون «توزوي»، وقد ذهب «زوبستفعنخ» بن «آحو» (؟) مدير المعبد الإداري لآمون «توزوي» مع إخوته إلى بيته ومكان معبده، وأخذوا كل شيء يخصه وهدموا بيته ومكان معبده. (٨) وقد أمر المشرف على الخزانة بكتابة رسالة إلى «حاربس» بن «حانفيو» (؟) شيخ «أهناسيا» قائلًا: إن الكاتب «امحوتب» (٩) بن

«بشنسي» الذي تحت إدارتي قد عمل احتجاجًا لي قائلًا: إن لي أخًا كاهنًا لآمون «توزوي» واسمه «بتيسي» بن «إسمتو»، وقد ذهب «زوبستفعنخ» بن «آحو» (؟) المدير الإداري لمعبد «آمون» صاحب «توزوي» مع إخوته إلى بيته ومكان معبده، واستولوا على كل شيء فيها وهدموا البيت (١١) ومكان المعبد، وفي اللحظة التي يصل فيها هذا الخطاب اذهب إلى «توزوي»، ومر بالقبض على كل رجل سيقول لك عنه (١٢) «إسمتو»، دعهم يقبضوا عليهم، دعهم يحضروا مكبلين إلى المكان الذي أنا فيه، وأمر بكتابة مثله (١٣) إلى «بسمتيك-عانيت» ضابط الجنود الذي كان في مقاطعة «أهناسيا»، وأمر شاب بحمل الرسالتين. وأتى إلى «أهناسيا» (١٤) معي، ووصلنا إلى أمير «أهناسيا» وضابط الجنود، ووقفنا أمامهما في بيت السجل، وقرأت (١٥) رسائل المشرف على الخزانة.

وقال «حرس» شيخ «أهناسيا»: بحياة «آمون» إن «زوبستفعنخ» المدير الإداري لبيت «آمون» ليس بموجود في هذه المقاطعة (١٦)، لقد سمعت أنه قد غادر إلى «بوتو» ليعزي في «حور» والد «خلخنس» الذي ذهب لآبائه. ونادى (١٧) «بيتيحرشف» خادمه قائلًا: اذهب إلى «توزوي» وخذ معك خمسين رجلًا، ودعهم يقبضوا على كل رجل سيقول عنه «بتيسي» (١٨): فليقبض عليهم ثم أحضرهم إليَّ مكبلين، ونادى ضابط الجنود على خادمه قائلًا: اذهب إلى «توزوي»، خذ معك رجالًا كثيرين (١٩) ودعهم يحضروا الرجال الذين سيقول عنهم «إسمتو» دعهم يقبض عليهم، دعهم يقبض عليهم وأحضرهم (٢٠) مكبلين لي.

وحضرنا إلى «توزوي» في سفينتين، ولم نجد «زوبستفعنخ» مدير المعبد الإداري في «توزوي» (٢١)، ولكن إخوانه الذين وجدوا هناك قبض عليهم، وأحضروا إلى «أهناسيا» أمام شيخ «أهناسيا» وضابط الجنود. وقد تضرعوا أمام (١/٢٠) شيخ

أهناسيا وضابط الجنود قائلين: بحياة الفرعون، إننا لم نأخذ متاعًا ملكًا لبتيسي، وإننا لم نهدم بيتًا له (٢)، وإن «بسمتيك منمبي» بن «حور» كاهن «آمون» هو الذي هدم البيت ومكان المعبد.

وقال شيخ «أهناسيا»: يا «بتيسي» انظر (٣) إنهم لم يجدوا «زوبستفعنخ» مدير المعبد الإداري فما الفائدة إذن من أخذ هؤلاء الكهنة إلى المشرف على الخزانة (؟) إنهم سيذهبون ويقولون أمام المشرف على الخزانة: (؟) (٤) إننا لم نأخذ متاعًا لك، وإننا لم نكن سببًا في هدم بيتك. فقلت لشيخ «أهناسيا»: هل وضعني «امحوتب» (٥) كاتب المشرف على الخزانة (؟) أمام المشرف على الخزانة، (؟) وأمر بإرسالي إلى شيخ «أهناسيا» وضابط الجنود قبلي (لأجل الدفاع عني) قائلًا: إن سيادته (أي: حضرتك) ستجعل قضيتي تحتقر (؟) هنا في المقاطعة؟ وعندئذ قبض شيخ «أهناسيا» على يدي، وأخذني جانبًا وقال لي: بحياة «أوزير» إني أحبك أكثر من هؤلاء الكهنة، (٧) فقد حدث أن «خلخنس» ذهب ليتحدث مع المشرف على الخزانة (؟) لصالح هؤلاء الكهنة ويجعلهم يفرج عنهم، فتسقط قضيتك (٨). تأمل الرسالة الرقيقة التي أرسلها إلى «امحوتب» عنك، ومن أجل ذلك فإني متحمس (؟) من أجل حقوقك، (؟) ويقول (فيها): إنه أخي فليعنَ به، ودع القضية التي جاء من أجلها إليك يهتم بها كثيرًا. أما هؤلاء الكهنة فإني سأجعلهم يدفعون لك عشر دبنات من العملة الفضية، وسأجعلهم يحلفون يمينًا لك فضلًا عن ذلك أمام الإله «حرشف» وأمام «أوزير» صاحب «نارف» (المكان المقدس لأوزير في أهناسيا، ومعناه الذي لا يمكن قيده) قائلين: إننا لم نأخذ متاعك، وإننا لم نهدم (١١) بيتًا لك، وسأجعلهم فضلًا عن ذلك يدفعون مصاريف (؟) هذا الرجل التابع للمشرف على الخزانة الذي أمامك.

وقد أقنعني «حاربس» شيخ «أهناسيا» أن أعمل تنازلًا للكهنة. وقال شيخ أهناسيا للكهنة: تأملوا، لقد أقنعت «بتيسي» بأن يتنازل (١٣) لكم، أنتم ستعطونه عشرين دبنًا فضة، ولكنهم صاحوا عاليًا قائلين: لا يمكننا أن نعطيه قطع الفضة. فقلت لشيخ أهناسيا: بحياة نفس سيادته (أي: شيخ أهناسيا) لقد أخذوا ما قيمته عشر دبنات من الفضة من عوارض الخشب والأربطة من هذه البيوت التي هدموها. وقد أتلفوا شيئًا قيمته عشرون دبنًا أخرى خلافًا لذلك من الحجر المصنوع (١٥) فيها فقال لهم شيخ «أهناسيا»: بحياة «أوزير» لقد سمعت كل شيء عملتموه له، وإنكم لو أخذتم إلى المشرف على الخزانة، فإن خمسين دبنًا من الفضة لن تخلصكم (١٦) اعملوا على دفع عشر دبنات له، وسأجعله يسامحكم في عشر الدبنات الأخرى، وستحلفون يمينًا له قائلين: إننا لم نأخذ متاعًا لك، (١٧) ولم نعمل على أخذه ولم نعمل على هدم بيتك ومكان معبدك. وفي النهاية اتفق معه على أن يد (١٨) الكهنة تؤخذ لدفع عشر الدبنات من الفضة (يضع يده في يده يعني اتفق وتعهد)، وحلفوا اليمين لي أمام «حرشف» وأمام «أوزيز» صاحب «نارف»؟ وأعطوا الرجل المشرف على الخزانة قطعة فضة (؟) وهو الذي كان قد حضر قبلي، وقد عمل التنازل للكهنة، وقال لي شيخ أهناسيا: لا تخاطب قلبك (= لا تخف) وبحياة أوزير إذا حضر «زوبستفعنخ» (٢٠) مدير المعبد الإداري جنوبًا، فإني سأجعله يعطيك ما تبقى لك من ثمن متاعك الذي أعطاك هؤلاء الكهنة إياه، وسأجعل لك فائدتي الشخصية أيضًا. وبحياة «برع» (١/٢١) لقد سمعت بالأضرار التي عملوها لك. وإني لم أجعل هؤلاء الكهنة يساقون إلى المشرف على الخزانة (؟) لأني قلت خشية أن يجعل (٢) «خلخنس» قضيتك تنكر (؟) وبذلك تسقط ظلامتك.

وقد صرفني شيخ أهناسيا وضابط الجنود، فذهبت إلى «الأشمونين» (٣) وأحضرت والدي «إسمتو» مع أمي وإخوتي وكل أهلي إلى «توزوي»، وجعلنا لبنات تضرب لنا (٤) وبني بيتنا. وقد انتهوا من واجهته التي على الشارع (؟) وسكنا فيه (ولكن) مكان المعبد (٥) لا يزال باقيًا خربًا حتى الآن. (يقصد البيت القديم الذي كان يسكن فيه). وبعد أيام قلائل ذهب «خلخنس» بن «حور» إلى آبائه (٦) و«بسمتيك» بن «منمبي» بن «حور» لم يأتِ إلى «توزوي» حتى الآن، ولكن ما عمله كان إرسال رجال ليحضروا له متاعه (٧) حتى عام ٤٤ من عهد «أحمس» (الثاني). وفي السنة الثالثة من عهد «قمبيز» أتى «بسمتيك منمبي» كاهن «آمون» إلى «توزوي»، (٨) ووقف مع الكهنة ولكنهم لم يتحدثوا معه كأي رجل في الدنيا (تجاهلوه) ولم يصرفوا له جرايات، وذهبوا إلى «بشناه» بن «اينحارو» وهو أخو «حارخبوسيكم»، وكتبوا له تنازلًا عن نصيب كاهن «آمون توزوي» في السنة الرابعة من عهد «قمبيز».

كانت السنة الرابعة والأربعون هي آخر سنة من سني حكم «أمسيس» (٥٢٦-٥٢٥ق. م)، والمعتقد أن وفاته قد حدثت في أواخر أيام هذه السنة، وقد حكم بعده «بسمتيك الثالث» لمدة ستة أشهر شاغلًا بذلك جزأين من سنتي ٥٢٦، ٥٢٥ق.م والظاهر أن «قمبيز» قد حسب سني حكمه من أول موت «أمسيس» متجاهلًا «بسمتيك الثالث»، وعلى ذلك فإن نهاية السنة التي حكم فيها «أمسيس» قد عدت بمثابة السنة الأولى من حكم «قمبيز». وفي السنة الثانية من حكمه، والتي كانت تعد كذلك جزئيًّا السنة الثانية من حكم «بسمتيك الثالث». غزا «قمبيز» مصر، وخلع ذلك الفرعون التعس الحظ. ومن المحتمل أن مرتبات المعبد كانت قد دفعت في حوالي منتصف السنة المصرية؛ أي في برمهات (يوليه) بعد الانتهاء من الحصاد. وتسلم «بسمتيك منمبي» حصته بوصفه كاهن «آمون» في «توزوي»، حتى نهاية سنة موت «أمسيس». وفي السنة التالية وهي السنة الثانية من حكم «قمبيز»، وسنة الفتح الفارسي الفعلية يظهر أنه لم يكن لديه الفرصة

لإرسال طلبها، ولما كان ساكنًا في الدلتا، فإنه كان بطبيعة الحال بين هؤلاء الذين قد تضايقوا مضايقةً عظيمةً بالغزو، ولكن في السنة التالية وهي التي عدت السنة الثالثة من حكم «قمبيز»، أرسل ابنه «حور» إلى «توزوي» لتسلم مرتبه، غير أن مأمورية «حور» كانت فاشلة. وقد ابتدأت السنة الرابعة من حكم «قمبيز» على أقل تقدير، قبل أن يعمل تعيين جديد، ومما يؤسف له أنه لا يمكننا أن نقول لأي أسرة كان ينتمي الكاهن الجديد.

أما فيما يخص الاستقرار الجزئي الذي ساد البلاد في السنة الثالثة من عهد «قمبيز»، وهو ما أشير إليه هنا، فإنه يمكن أن نشير هنا إلى أن الحوليات الديموطيقية على ما يظهر تتكلم عن «قمبيز»، وإعطائه مصر لشطربة (ارياندس؟) في السنة الثالثة — اللهم إلا إذا كان يشير إلى عهد «دارا»، الذي على حسب ما جاء في «هردوت» كان المنظم للشطربيات.

نسختان من السجلين اللذين أقامهما «بتيسي» على لوحتين في معبد «توزوي»

والسجل المبكر A مؤرخ بالسنة الرابعة عشرة من حكم الملك «بسمتيك»، وقد جاء ذلك متأخرًا عما كان متوقعًا. وقد جاء في القصة (١٩/٥) أن السنة الرابعة هي تاريخ تعيين «بتيسي» بن «يتورو» من قبل الملك بوصفه المشرف على السفن، والظاهر أن عمله في «توزوي» قد أعقب ذلك التعيين مباشرة، وعلى أية حال فإن التاريخ التالي الذي ذكر بعد ذلك هو السنة الخامسة عشرة، ومن الممكن على الرغم من بعض الصعوبات أن نلائم بين العمل في «توزوي»، وبين إقامة اللوحة المصنوعة من الجرانيت في القصة في عام ١٤، فقد يمكن أن يصحح الإنسان العدد الذي جاء في ١٩/٥ من السنة الرابعة إلى السنة الرابعة عشرة. وعلى أية حال فإننا إلى الآن لا نعرف مقدار الوقت الذي كان لازمًا لنقش وطلاء ونحت التماثيل واللوحات في الحجر الصلد، ولكن نعلم أن مسلة «حتشبسوت» قد أنجزت في سبعة أشهر، غير أن ذلك قد عد أعجوبة من الأعاجيب، وذلك يدل على أن العمل لم يكن يحتاج إلى وقت طويل، وأنه لا يأخذ أكثر من سنة.

هذا ونجد في القسم A أن رئيس البحرية أو السفن كان يحمل لقب كاهن «آمون رع» صاحب الصوت العظيم (وهو رب «توزوي»)، وكذلك كان كاهن تاسوعه في القسم B، ونجد أن هذا اللقب أصبح لا يمنح لرئيس السفن ولكن «بتيسي» بن «يتورو» منحه، وعلى ذلك نجد في القصة أن نقل هذه الوظيفة قد حدث مباشرة بعد إصلاح «توزوي»، وإقامة اللوحة المصنوعة من الجرانيت (A, 83).

وعلى حسب القصة نجد في السنة الخامسة عشرة أن «بتيسي» بن «يتورو» قد حصل على الوظائف الكهانية في كل من مصر الوسطى ومصر العليا، وهي الوظيفة التي كان يشغلها والده، غير أنه من الصعب أن يتعرف الإنسان على أية واحدة من هذه بوجه التأكيد في القائمة الطويلة التي نجدها في القسم B فتاريخ لوحة B هو السنة الرابعة والثلاثون، ولكن على حسب القصة (٢٠/١٣) نجد أنها كانت قد حفرت نتيجة لحوادث وقعت في السنة ٣١، ويشمل ذلك قتل حفيدي «بتيسي» Cols II، ومن الجائز أنه قد مرت عدة سنين بعد القتل قبل أن يعيد بتيسي الكهنة إلى أماكنهم، غير أنها كانت صدمة أن يوجد جسما الطفلين المجني عليهما مخبأين في حجزة خزانة المعبد، ولم يعثر عليهما من قبل.

ومما يلحظ أن اللوحتين قد أرختا بنفس الشهر، وقد فصلا بفترة هي ثلاثون سنة، وذلك طبعًا فيه تلميح عاطفي، ويمكن قرن تلك المدة بمدة العيد الثلاثيني الذي كان يقام للملك كل ٣٠ عامًا وكذلك يلحظ أن مدة ٣٠ سنة تعادل جيلًا. وإذا كانت هاتان اللوحتان حقيقيتين ونسختا نسخًا صحيحًا، فإنه من الأمور الخطيرة لدى علماء التاريخ أن يجدوا التاريخ على لوحة لا يناسب وقت الحوادث المسجلة عليها، كما في اللوحة B، وقد ظهر هنا أن التاريخ ليس إلا تاريخ نقش اللوحة وحسب، وأن الحوادث المدونة عليها قد حدثت على الأقل منذ ست عشرة سنة أو ثلاثين سنة قبل نقشها.

ويدل أسلوب متن اللوحتين على أنه غريب في بابه، فقد أعطى أهمية فوق العادة لرئيس السفن ومساعده، ويحتوي على جمل لا يمكن وجود شبيه لها. فإذا كان «بتيسي» قد اختلق هاتين الوثيقتين تعضيدًا لظلامته، فإنه كان يجب عليه أن يجعلهما أكثر ملاءمة للقصة، ولكن لا يمكن أن تقبلا على أنهما أصليتان، وذلك بسبب الصعوبات التي تقف في وجه القصة، وكذلك في وجه ما جاء على لوحة «نيتوكريس» الخاصة بتبنيها. ومن الأفضل أن نرجع القصة إلى الوراء فيما يخص الحوادث إلى عهد الملك «بسمتيك الأول». ويحتمل مثل ذلك في اللوحة الثانية التي هشمت بلا نزاع بعد عام ١٥ من عهد الملك «أمسيس»؛ أي قبل كتابة الظلامة بخمس وأربعين سنة، وأنه من الصعب أن نحكم على نسخة اللوحة الأولى بالتزوير، وهي التي على حسب ما نعلم كانت لا تزال منصوبة في المعبد ليراها كل من يريد، وعلى ذلك يجب علينا أن نستنبط على حسب طريقة ترجمة مثل هذه الوثائق المعتادة في الآثار المصرية، أنه في السنة التاسعة كان رئيس السفن هو «سمتاوى تفنخت» (كما جاء في لوحة التبني)، في حين أنه في السنة الرابعة عشرة كانت هذه الوظيفة الهامة يشغلها «بتيسي» بن «عنخشيشنق»، وهذا الاستنباط يختلف مباشرة عما جاء في القسم (ب) في الظلامة.

ونسختا اللوحتين (أ)، (ب) قد كتبتا بالهيراطيقية، ولما كان كل منهما موحدًا بالآخر تقريبًا، فسنورد هنا ترجمة واحدة لهما:

(أ) نسخة من هاتين اللوحتين اللتين أمر بعملهما «بتيسي» بن «يتورو».

(ب) نسخة من اللوحة المصنوعة من حجر الفنتين وهي التي أقيمت أمام «آمون».

(جـ) نسخة من اللوحة التي كانت قد محيت على طوار من الحجر.

(أ) (١٢/٢١) السنة الرابعة عشرة من شهر حتحور من عهد جلالة حور العظيم.

(ب) (٩/٢٢) السنة الرابعة والثلاثون الإلهتان «سيد السلاح» حور المنتصر، الشجاع، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «واح أب رع» «بسمتيك».

كان جلالته مهدئًا للأرض، وخامدًا الثوار (؟) فيها وممونًا كل معابد الجنوب (١٤) والشمال. لقد قيل أمام الكاهن الأول للإله «حرشف» ملك الأرضين كاهن «أوزير» صاحب «نارف» في مكانه، المشرف على كهنة الإله «سبك» صاحب «شد» (الفيوم) المشرف على السفن لكل الأرض «بتيسي» بن «عنخشيشنق».

(١٦) إن معبد «آمون» صاحب الثغاء العظيم (كصوت الكبش الذي يتقمصه الإله آمون آيل للخراب بسبب الضرائب الفادحة عليه.

تأمل أن شريفه الذي يسكن في هذه المدينة (طيبة؟)،[٧٣] والكاهن والد الإله لآمون رع ملك الآلهة وكاهن آمون رع (١٣/٢٢) في حريم أوزير (؟)! ومادح الروح (؟) والذي في الحجرة، واهاب (٢) الإلهة «موت» (؟) والابن الذي يحبه، خادم «نيت» وكاهن «آمون رع» صاحب الثغاء العظيم وسيد الصخرة العظيمة، وتاسوعه من الآلهة، (١٤/٢٢) وكاهن «أوزير»، وكاهن «سوكاريس»؟ وكاهن «إسي» (أزيس)، وكاهن آمون ملك الأرضين (وانتب)، وتاسوعه من الآلهة، وكاتب شونة الغلال، وكاتب المعبد، ووكيل هذا الإله «بتيسي» بن «يتورو» الذي تدعى أمه «تتبهنيت»، (وأقول: إن هذا الشريف) قد جعله يسمعها، (١٨/٢١)، وهذا الشريف فهم (؟) الأمر إلى أساسه (؟) قائلًا: إذا ألغيت ضرائب معبد «آمون رع» صاحب الثغاء العظيم، فعندئذ (١/٢٢) ستكون هذه المدينة في خدمتك، ولن يكون فيها شيء خاطئًا.

وقد وضع هذا الشريف في قلبه أن يجعل هذه المدينة في خدمته. ولماذا يناقش ضابط الجيش هذه الضريبة مع كل كاتب لكل مدينة تابعة له، ومع كل عميل ومن شابهه.

وقالوا: إنها لم تدفعها فيما مضى (؟) وقد غضب من ذلك، وبعد ذلك أرسل ضابط الجيش هذا شريفه هذا الذي يسكن في هذه المدينة، وهو «بتيسي» بن «يتورو» قائلًا: لا تدع ضرائب تفرض على معبد «آمون» صاحب الثغاء العظيم أبديًّا وسرمديًّا؛ وذلك لأنه لم يدفع ذلك من قبل. وحفظ كل كاهن وكل فلاح (؟) وحرس من دفع ضريبة إلى الأبد، ضد كل شريف وكل مأمور وكل وكيل وكل ابن بيت (أي: شخص له حقوق وراثية).

وقد عمل ذلك ليحمي هذا المعبد، وأولئك الذين فيه لأجل أن يعملوا له بمثابة عجول في المرعى (قد يجوز أنه يعني أنهم يتمتعون بالحياة، كما تتمتع صغار البقر في المرعى).

وأن الذي يقر هذه اللوحة سيكون له حظوة (آمون رع ملك الآلهة) باي (= الروح) أو الكبش وهذا اسم للإله «أرسفيس»، وكذلك آلهة أخرى في صورة الكبش (وقد كان الكبش الخاص بذلك له قرنان منبسطان في حين أن الكبش الخاص بآمون كان قرناه ملويين)، واسمه سيصير طيبا، وسيكون ابنه في مكانه وبيته ثابتًا على أساسه.

وأن من يهاجم هذه اللوحة (٦) سيكون قاطعًا لذنوبه في الدائرة العظيمة[٧٤] لأولئك الذين في «أهناسيا» (أي: مجلس القضاة)، وأنه سيكون من نصيب سكين «حنب»[٧٥] (= الحية المقدسة) القاطنة في نارف، وابنه سيكون مختفيًا وبيته لن يبقى بعد ولحمه يؤخذ (٧) إلى النار، ومأواه «آتون أوزير» في «مكك» (مكان ظلم)، واسمه لن يكون بين الأحياء أبدًا.

وهكذا تنتهي هذه القصة الطريفة في بابها، وقد حوت بين دفتيها لمحات في تاريخ الأسرة السادسة والعشرين حتى بداية العهد الفارسي، وقد أوردناها في عهد الملك بسمتيك الأول؛ لأن

معظم حوادثها وقعت في عهد هذا الفرعون، وسنشير إلى ما جاء من حقائق عن سائر ملوك هذه الأسرة في سياق الكلام عنهم كلما جاءت مناسبة لذلك، وعلى أية حال فإنا قد آثرنا سردها هنا بأكملها حتى يمكن للقارئ أن يتتبع سير الحوادث فيها دون انقطاع. هذا ونعود الآن إلى متابعة تاريخ بسمتيك وعظماء الرجال الذين عاشوا في عصره.

(٣-٢) الكاهن نسناوياو

يعد «نسناوياو» من أبرز الرجال العظام الذين عاصروا الملك «بسمتيك الأول»، كما تحدثنا عن ذلك النقوش التي وجدت على تمثال له من الجرانيت الأسود والمحفوظ الآن بمتحف «برلين» (راجع A. Z. 4 4 P. 42).

ويحمل هذا العظيم لقب كاهن الإله «حور» في «إدفو». وقد مثل «نسناوياو» في هذا التمثال قاعدًا القرفصاء، وصناعة التمثال متوسطة الحالة، وليس في هيئة جسمه، وتقاطيع وجهه ما يلفت النظر، هذا وقد وجد مشوه الأنف.

ويلحظ أنه قد نقش على الجزء الأعلى من ساعديه عموديًّا اسم الملك «بسمتيك» ولقبه. فعلى الذراع اليمنى نقش: «بسمتيك» وعلى الذراع اليسرى نقش «واح أب رع». وتبتدئ نقوش هذا التمثال بذكر لقب المتوفى واسمي والديه مع التماس من صاحب المقبرة من زائريه أن يتلوا صيغة القربان الجنازية المعروفة، وعلى ذلك سينالون جزاءهم الأوفى في الحياة الآخرة، ثم يتلو ذلك تقرير مختصر من المتوفى عن معاملته الحسنة للناس والآلهة، إذ كان يعمل كل ما يحبه الناس والآلهة، وخاتمة النقش التي تشير إلى بدايته تحتوي على ذكر الإله حور صاحب «إدفو».

ولا نزاع في أن التمثال كان مقامًا في معبد «حور» بإدفو، كما يدل على ذلك الأسطر ٣، ١٩ … إلخ.

وتدل شواهد الأحوال على أن المتوفى قد وضع تمثاله هذا في معبد «حور»؛ لأجل أن يتمتع بالقربات التي كانت تقدم لهذا الإله في معبده، كما كانت العادة منذ أزمان بعيدة.

وتمثيل صورة المتوفى قاعدًا القرفصاء، كانت من الأوضاع المحببة في هذه الفترة منذ عهد الأسرة الاثنتين والعشرين (٢٢) وما بعدها. وقد كان أمثال هذا التمثال توضع في ردهة المعبد، وذلك على غرار ما كان يعمل في عالم الدنيا، فكما أن أتباع السيد العظيم كانوا يجلسون في ظل ردهة قصر سيدهم، عندما كانوا يفرغون من عملهم اليومي، كذلك كان يرغب أهل التقى والصلاح بعد نهاية حياتهم الدنيوية في أن يقعدوا في معبد سيدهم الإلهي، وينعمون بالراحة الأبدية. وهاك النقوش:

(١) يا رع «حور أختي» أيها الإله العظيم، رب السماء، الأمير الوراثي والحاكم وكاهن «خور إدفو»، والمعروف لدى الملك حقًّا «نسناوياو» بن «حوروزا» وابن ربة البيت «نس-نيت-برت» المرحومة يقول (هكذا) عندما تضرع لأوزير؛ لأجل الإله الكامل (له الحياة والصحة والعافية) رب الأرضين (المسمى) «واح-أب-رع» بن «رع» (المسمى) «بسمتيك» العائش أبديًّا.

(٢) أنتم يا كل الكهنة والعظماء والكتاب الذين يدخلون في معبد «إدفو» يوميًّا (٤) لتقديم القربان قولوا من أجلي صيغة القربان: ألفًا من الخبز والجعة والثيران والإوز (وكل الأشياء)، التي منها يعيش إله لأجل روح الأمير الوراثي والحاكم «نسناوياو» بن «حوروزا»، وأن الآلهة والإلهات الذين يأوون في هذا المكان ليتهم يمدحونكم ويثبتون أولادكم في أماكنكم إذا ما نطقتم اسمي، ومن سينطق الاسم ممن يعيش ويرى آخر (أنك تعمل ذلك لي) فإن المثل سيعمل لك.

وبعد هذه المقدمة يبتدئ بطلنا يقص علينا قصة حياته فيقول:

إني سأقول لكم ماذا حدث لي — وليس فيه كذب — لقد أعطيت الجوعان خبزًا، والعريان كساءً، واحتفلت بعيد عزق الأرض لسيدتي سنويًّا في يوم السكر، ليتها تكافئني على ذلك بحفظ الحياة (والمقصود هنا بالسيدة هي الإلهة «حتحور» سيدة «دندرة»، أما عيد عزق الأرض فكان يحتفل به في ١٢ كيهك. راجع Rec. Trav. (V, 86 § 89).

لقد أعطاني سيدي مكافأةً إذ جعلني أميرًا وراثيًّا (للمكان المسمى) «برانب».

لقد أعطاني سيدي مكافأة مرةً ثانيةً، إذ جعلني أميرًا وراثيًّا على «بر-نب-أم».

لقد أعطاني سيدي مكافأة مرة ثالثة إذ جعلني أميرًا وراثيًّا على «خاس تمح».

لقد أعطاني سيدي مكافأة مرة رابعة، إذ جعلني أميرًا وراثيًّا على «بر-رما».

لقد أعطاني سيدي مكافأة (١٣) مرة خامسة، إذ جعلني أميرًا وراثيًّا عظيمًا وأميرًا على «راكايم» (١٤).

لقد أعطاني سيدي مكافأة سادسة، إذ جعلني أميرًا على «مرت (؟) (١٥) نثرت».

لقد أعطاني سيدي مكافأة سابعة إذ جعلني (١٦) … على «طيبة».

لقد أعطاني سيدي مكافأة ثامنة إذ جعلني (١٧) أميرًا وراثيًّا على «الكاب».

لقد أعطاني سيدي مكافأة تاسعة (١٨)، إذ جعلني أميرًا على «إدفو»؛ وذلك لأن مهارتي (١٩) كانت غالية في قلبه.

وإن هذا الإله العظيم الرفيع صاحب ونس حور قد جعل اسمي يصلح مثل اسمه يبقى دائمًا وأبديًّا!

وأول ما يلحظ في هذا المتن أنه في أوله كان عاديًّا بالنسبة لهذا العصر، ولكن نجد من أول السطر التاسع حتى السطر الخامس عشر منه أن المتن يحتوي على مكافآت، نالها صاحب التمثال تسترعي النظر وتحتاج إلى درس عميق، إذ تميط اللثام عن صفحة في تاريخ هذه الفترة من تاريخ الميلاد، من حيث نظام حكمها فيقص علينا المتوفى كيف أن سيده؛ أي «بسمتيك الأول» قد كافأه تسع مرات بتنصيبه في كل مرة أميرًا وراثيًّا[٧٦] على ثماني مدن مختلفة، وأكثر من ذلك نصبه أميرًا وراثيًّا أعظم على الغرب، وكذلك خلع عليه وظيفة كبرى في «طيبة» لم يعرف كنهها بعد.

ومن كل ذلك نفهم أننا أمام موظف عظيم من موظفي الدولة في تلك الفترة.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أولًا أن لقب كاهن الإله «حور إدفو»، الذي كان يحمله لم يكن إلا لقب شرف وحسب، وقد جرت العادة في زمنه أن يحمل مثل هذا اللقب رجال عظماء الدولة، وأعظم مثل أمامنا هو الحاكم العظيم «منتومحات» الذي كان يعتبر أكبر رجال عصره، فكان يحمل لقب كاهن آمون الرابع (راجع الجزء الحادي عشر). والواقع أن الوظيفة الأصلية لبطلنا كانت دنيوية قبل كل شيء، وذلك على الرغم من أنه كان يلقب في نقوش مائدة قربان له «مدير كهنة حور إدفو»، مما يدل على أنه كان يقوم فعلًا بأعباء هذه الوظيفة. أما مواقع البلاد التي أقره الملك عليها، فيجد الباحث لأول وهلة أنها تشتمل على بعض الصعاب من حيث تحديد مواقعها، وبخاصة الخمسة الأول. والواقع أنه ليس لدينا ما يساعد على تحديدها إلا الأسماء التي جاءت على لوحة التبني التي خلفتها لنا المتعبدة الإلهية «نيتوكريس»، فنجد أن الاسمين الرابع والخامس في لوحة التبني، وهما «منف» و«كوم الحصن» يقابلان الاسمين الأول والثاني في متن التمثال الذي نحن بصدده، وعندما نرى أن اسم المدينة الثالثة في المتن الذي نفحصه يدعى «خاس-تمح»؛ أي أرض «لوبيا»، وأن «نسناوياو» كانت مكافأته في الدفعة الخامسة هو الأمير العظيم لبلاد الغرب، فإن ذلك يوحي إلينا بأن نظن على وجه التقريب أن المدن الخمس كانت

كلها في الوجه البحري، وأنه كان قد نصب حاكمًا على هذه المقاطعة، وأنه بعد ذلك قد ثبت بوصفه حاكمًا على كل واحدة منها على انفراد.

ينتقل بنا المتن بعد ذلك إلى مدينة أخرى، وهي السادسة وهي مدينة «نثرت» وهي التي وحدها «بروكش» ببلدة «أزيوم» Iseum القديمة وببلدة «بهبيت الحجر» الحديثة الواقعة في وسط الدلتا شمالي «سايس». أما المدن من السابعة حتى التاسعة في متننا فهي «طيبة» و«الكاب» ثم «إدفو»، وكلها في الوجه القبلي. على أن امتداد سلطان رجل واحد بعينه يصبح بعيد المدى بهذه الصورة يعد من الأمور الغريبة حقًّا.

ولا نزاع في أن الإنسان يمكنه أن يجد حلًّا لهذه المعضلة، وذلك بأن ما جاء في الأسطر من التاسع حتى الخامس عشر يصور لنا حالة مصر السياسية في السنين الأولى من حكم «بسمتيك الأول» بصورة غير مباشرة، فلدينا في هذا النقش سجل هام نفهم منه أن الملك الجديد، قد أعاد للبلاد وحدتها بعد أن كانت منقسمة قسمين الدلتا والصعيد.

ففي عصر الحكم الكوشي الآشوري كانت الوحدة الحكومية معدومة. وكانت المدن الكبيرة بما لها من أرض محكومة بأمراء مستقلين كل يناهض الآخر. وقد كان «بسمتيك» واحدًا منهم أميرًا على «سايس»، غير أن طموحه وشجاعته كانا يفوقان طموح الآخرين وشجاعتهم … وكان والده «نيكاو الأول» قد نصب من قبل الآشوريين كما قلنا حاكمًا على أرض الكنانة، وقد كان جل هم «بسمتيك» توحيد البلاد تحت سلطانه؛ ولذلك كان أول واجب عليه هو أن يخضع الأمراء المناهضين له؛ وذلك بانتزاع استقلالهم من أيديهم.

وكان كل من لم يخضع عن طيب خاطر يخضعه على أية حال بمهارته وحسن سياسته، دون أن يلحق به أذى، ومن ثم أصبح أمراء المدن الذين سلموا عن طيب خاطر يشاطرونه الإخلاص، ومن بين هؤلاء «نسناوياو». ولا بد أنه كان له أهمية خاصة، ولا أدل على ذلك من

أنه بعد خضوع الدلتا كان يشغل مكانة علية، وعندما امتدت سيادة «بسمتيك» نحو الجنوب تولى بطلنا وظائف في «طيبة» وفي «الكاب»، وأخيرًا في «إدفو» التي لم تكن بعيدة عن الحدود الجنوبية للمملكة المصرية.

وقد كان «نسناوياو» هذا يقطن فيها حتى مماته، أما تعيينه في الوظيفة التي كان يشغلها في «طيبة»، فلا بد أنه لم يكن بعد السنة الثامنة من حكم «بسمتيك» بزمن طويل؛ وذلك لأن «تانو تأمون» كان لا يزال في خلال السنة الثامنة من حكم «بسمتيك» قابضًا على زمام الأمور في «طيبة»، ونعلم ذلك من لوحة التبني التي خلفتها لنا المتعبدة الإلهية «نيتوكريس»، ومن جهة أخرى لم نجد من بين المدن التي قدمت جزية للمتعبدة الإلهية «نيتوكريس» بلدة من البلاد التي جنوبي «طيبة». وهذا يوحي بأن الأرض التي كانت في الجنوب لا تزال تحت نفوذ «تانو تأمون»، أو من أتى بعده من الملوك «الكوشيين»، وعلى ذلك فإن تنصيب «نسناوياو» أميرًا على كل من «الكاب» و«إدفو»، قد جاء بعد السنة التاسعة من حكم الملك «بسمتيك الأول».

ومن المهم أن نلحظ أن «طيبة» كانت المدينة الوحيدة التي لم ينصب عليها «نسناو ياو» أميرًا من بين المدن التسع التي ولي عليها، وهذا يرجع إلى حقيقة تاريخية كبيرة؛ وذلك أن أمير «طيبة» أو حاكمها وقتئذ كان «منتومحات» الذائع الصيت. وتدل الوثائق التاريخية التي في متناولنا على أن «بسمتيك الأول» قد اعترف به حاكمًا عليها، كما يتضح ذلك جليًّا من لوحة التبني التي خلفتها لنا «نيتوكريس»، إذ نجد أنه كان لا يزال حاكمًا على المدينة عندما وصلت إليها «نيتوكريس» لتسلم مهام وظيفتها.

ووما يؤسف له أنه لا يمكننا أن نعرف أية وظيفة كان يشغلها «نسناوياو»؛ وذلك لأن اللقب الذي حمله في نقوش هذا التمثال ليس معروفًا، ولكن من مخصص الكلمة يظهر أنه كان شبه

ملاحظ أمين يثق فيه الملك تمامًا في مثل هذه المدينة العظيمة الواقعة في الجنوب، بعيدة عن عاصمة ملكه التي في أقصى الشمال.

هذا وتوجد مائدة قربان في متحف «فلورنسا» لنفس «نسناوياو» صاحب التمثال الذي تحدثنا عنه. والنقوش التي على هذه المائدة لها أهميتها ولا بد من ذكرها هنا (راجع Schiaparelli's Katalog, der Agyptischen Sammlung des Museum in Florenz S. 433 F).

وهاك ترجمتها:

> «رع حور» أختي الإله العظيم الذي يسكن في «إدفو» إنه يعطي الحياة والعافية والصحة والعمر الطويل، وشيخوخة جميلة عالية مع سرور القلب(كسر من ٢-٣ سنتيمترات) للأمير الوراثي والحاكم وللمحبوب حقًّا المعروف لدى الملك ومدير الكهنة ... وللحاكم العظيم للغرب «نسناوياو» (؟) والعائش ابن «حوروزا» وأمه هي «نس-نيت-برت».

وهكذا نجد أن هذه المائدة ينطبق معظم ما فيها على ما جاء من نقوش على تمثال هذا العظيم.

(٣-٣) القائد حور حاكم «أهناسيا» المدينة و«بوصير» و«هليوبوليس»

يوجد تمثال هذا القائد والحاكم العظيم الآن بمتحف «اللوفر»،[٧٧] وقد مثل واقفًا ورأسه قد ضاع وقد نقل نقوشه بعض الأثريين نخص بالذكر منهم «بيريه» ثم «بروكش»،[٧٨] ثم ترجمها كل من «برستد»[٧٩] وأخيرًا ترجمها وعلق عليها الأثري «فركوتر»،[٨٠] والتمثال مصنوع من الجرانيت الأسود، وقد ضاع منه بعض أجزائه، وأهمية هذا التمثال تنحصر في النقوش التي عليه، وقد اختلف في تحديد الزمن الذي عاش فيه صاحبه وسنورده هنا على أية حال.

(أ) المتن والترجمة

يلحظ لأول وهلة عند رؤية التمثال أن المتن الذي يغطي كل العمود الذي يستند عليه ظهر التمثال غير كامل، فقد ضاعت بداية أربعة الأعمدة من النقوش وكذلك الرأس. ويضاف إلى ذلك أن قاعدة التمثال غير كاملة.

وخلاصة ما جاء في المتن هي أن صاحبه يبتدئ بمديح نفسه، ثم يذكر ألقابه وسلسلة نسبه ويستمر المتن بدعاء لإله «أهناسيا» المدينة وهو «حرشف»، ثم يعدد الأوقاف التي عملت في معبد هذا الإله، وكذلك في المعابد المجاورة على يد القائد «حور»، ثم يشير بعد ذلك إلى هبات من الأرض والأشياء الأخرى، ويستحث الغيرة الدينية في نفس صاحب الهبة، وفي النهاية يتطلب القائد في مقابل ذلك حماية الإله «حرشف» له، غير أنه مما يؤسف له لم يذكر في نقوشه اسم الملك الذي عاش في عصره، ومن ثم جاء الاختلاف في تحديد عصره.

وهاك الترجمة الحرفية لهذا المتن:

(١) مديح وألقاب وسلسلة نسب المهدي: ... الذي يعمل أشياء مفيدة في «أهناسيا المدينة»، والذي يسهر على إصلاح «نارف» والذي يحمي «أهناسيا المدينة» ويصد أعداءها، والذي يحمي من يتأخر في شوارعها بتأكد كما في المحراب، والذي يبعد الأعداء عن إقليمه، حاكم إقليم «أهناسيا المدينة» القائد «حور» بن رئيس جنود «بوصير» (المسمى) «بسمتيك»، الذي وضعته السيدة «نفرو سبك» يقول:

(٢) تضرع للإله «حرشف»: يا سيدي ويا إلهي «حرشف» ملك الأرضين، وأمير الشواطئ، الإله الفرد الذي لا مثيل له. إني (رجل) مُوَالٍ مخلص لك (حرفيًّا: يمشي على مائك)، إني قد ملأت قلبي بك، والطريق الجميلة للذي يطيع جلالتك، فإنك جعلت قلبي يشرئب نحوها. وإن قلبي يبحث عن الخير في معبدك ...

(٣) **المباني في معبد «حرشف» وفي المعابد المجاورة:** ... (لقد عملت ...) (بوابة) في قاعة العمد لحرشف بصناعة ممتازة ليس لها نظير، فالعمد من الجرانيت، والرواق الأمامي من أرز «لبنان» الجميل، والزينات العدة من الذهب تقليد لأفق السماء، وجدرانها الجنوبية الشمالية من الحجر الجيري الأبيض الجميل، والباب الداخلي من الجرانيت المرصع بالذهب، والمصراعان من السام. ولقد أصلحت محراب الوجه القبلي ومحراب الجنوب ومحراب الشمال في هذا المكان، وكذلك معبد «نحيكاو» وأقمت جدارًا حول بحيرة «ماع»[٨١] وهدمت ... وجملت (جعلت فاخرًا) الردهة الأولى القريبة من «حبسبجت». وعملت حقًّا عملًا ممتازًا في بيت «حرشف» سيد الآلهة.

(٤) **أعطيات من الأرض والأشياء:** أعطيت هبة قطعتين من الأرض (كروم) الإله الروح العظيم الأزلي «حنب» (يحتمل أن ذلك اسم الإله) الكبش العائش (أو الروح العائشة) لرع؛ لأجل أن النبيذ الذي يأتي منه يقرب له يوميًّا، ولقد عوضت أصحابها (أراض) بوساطة متاع من بيتي. ودفعت لهم أجرًا (سر قلبهم)؛ لأني علمت أن السرقة ممقوتة من الله. وصنعت مائدتي قربان من حجر الكوارتسيت (؟) الأبيض لأجل أن تقرب القربات الإلهية عليها، واحدة منهما في «تبحت جبات» القبر الذي ينام فيه «آتوم القديم»، والآخر في «نررف» سماء (= مقصورة) ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وننفر» (= اسم من أسماء «حرشف»).

(٥) **نشاط منوع لصالح الآلهة:** ... الإله «حرشف» وتاسوعه لقد أصلحت ما كان قد محي في معبده، وقد أمرت بإخراج «حتحور» (العظيمة) في سفينتها في وقت عيدها الجميل في الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم الخامس حتى ... يوم؟

(٦) **الخاتمة:** لقد عملت هذه الأشياء بقلب فرح ... هناك. ليتك تفتح ذراعي لأجل أن أضم ... الذي كان في قلبي، عندما كنت أعمل أوقافًا في معبدك. ضع ذراعيك خلفي

(أي: احمني) بالحياة والصحة. لقد أنجزت ما كان في قلبي (أي: ما صممته) في معبدك.

ليتك تمنحني المكافأة على ما فعلت: حياة طويلة، راحة القلب مع بقائي في حظواتك أنت يا أمير الشواطئ. ليت اسمي يبقى ثابتًا في «أهناسيا» المدينة حتى تأتي الأبدية …

هذا وقد عثر الأثري «دارسي» على بقايا تمثال محفوظ بمتحف «الإسكندرية» قال عنه: إنه مرتبط بالتمثال الذي فحصناه هنا (راجع A. S. V, P. 127)، وقد دل الفحص على أنهما لشخص واحد على وجه التقريب، وبخاصة عند قرن النقوش في كل بعضها ببعض، فقد وجدت متحدة في كثير من الألفاظ. ويلحظ أن ما تبقى من تمثال «الإسكندرية» فيه إيضاح أكثر في بعض النقاط.

وهاك ما تبقى من تمثال «الإسكندرية»:

(١) مديح وألقاب المهدي: … (بنصيحة مفيدة بوساطة) كتاباته، والذي يدخل أولًا ويخرج آخرًا وملاذ المعدم، (والذي يحمي) الناس، ومن صحته مرتجاة عند كل الناس، ومن قلبه مفعم بولائم الإله، ومن يصلح كل ما وجد ناقصًا في المعبد، ومن يحيط أرواحهم المقدسة (أي: الحيوانات المقدسة) في الجبانة، والذي يقدم طعامًا (لموائدهم) … وهو واحد لا (خطيئة له)، وما يمقته هو هو الرجل الذي لا يعرف الدفع (أي: الذي يتجاهل دفع الأجر)، والذي يملك متاعها أكثر من مخزن الغلال الملكي (أي: الشونة المزدوجة للوجهين القبلي والبحري) والوفير الحصاد، من يعيش جم غفير (ملايين) في مدينته، وفيضان مدينته عندما يفتقد الماء، حاكم مقاطعة «بوزريس» (أو منديس) و«هليوبوليس»، و… الأمير الوراثي …

(٢) التضرع للإله وذكر المباني: (يقول: يا إلهي «حرشف» سيد) كل الآلهة إني (رجل) صادق القلب مُوالٍ لك، وخوفك في قلبي كل يوم، لقد عملت رواقًا عظيمًا في داخل قاعة العمد الخاصة بالإله «حرشف»، وقاعة العمد من الجرانيت والرواق (من الأرز).

(٣) العطاء (؟) والخاتمة: (من النبيذ) من بيتي نفسي؛ لأني أعرف أن الإله في حاجة لذلك (حرفيًّا: كانت حاجة الإله) والمكافأة منك يا سيد الآلهة (ستكون): «أن تعمل أن يكون الخوف مني في قلب الناس، وأن يسقط أعدائي بسيفك، وأنك ستجعل سني عديدة …»

تعليق

وضع هذا التمثال «برسند» في عهد الملك «بسمتيك»، ولكنه قال: إن هذا محض تخمين. وقد تناول بالبحث والموازنة الأثري «فركوتر» كلًّا من تمثال «الإسكندرية» وتمثال اللوفر، وخرج بالنتيجة التالية: يمكن إذن أن نصرح أن تمثال «اللوفر» يرجع إلى عهد الأسرة الثلاثين، أما تمثال «الإسكندرية»، فيمكن أن يكون أحدث منه بقليل فمن الجائز أنه نحت تقليدًا لتمثال «اللوفر» في أوائل العهد الإغريقي؛ أي بعد مضي عشرين عامًا على نحت التمثال الأول، وهذا يفسر الفرق البسيط من حيث الكتابة بين الأثرين، والتغير في مكانة الحاكم «حور». وبالاختصار فإن «حور» كان حاكمًا حربيًّا على «أهناسيا المدينة» في عهد أحد فراعنة الأسرة الثلاثين، ومن المحتمل جدًّا في حكم «نخت حورحب» (نقطانب الثاني) كان قد أخذ على كره منه — كما يحتمل — في حومة الفتح الفارسي الثاني والحرب مع الإسكندر الأكبر … إلخ.

وهكذا نرى أن هذا التمثال وضوء الذي عثر عليه في الإسكندرية ليس لهما علاقة بعهد «بسمتيك الأول» على حسب رأي «فركوتر»، ولكن الأثري «كيس» يضع هذا القائد في عهد الملك «نيكاو» (راجع A. Z., 85 P. 73)، في حين أن «ارمان» و«جرابو» يضعانه في

العهد الإغريقي (راجع W. b, 3. P. 326)، وهكذا نرى أن تاريخ هذا الأثر لا يزال حائرًا بين الشك واليقين، فإذا كان صاحبه قد عاش في عهد الملك بسمتيك، كما يظن «برستد» فنكون قد وضعناه في مكانه التاريخي الصحيح، أما إذا كان قد عاش صاحبه في عهد «نيكاو الثاني» كما يدعي «كيس»، فإنه لا يبعد كثيرًا عن رأي «برستد»، وأخيرًا إذا كان كما يدعي «فركوتر» قد عاش في أواخر العهد المصري، وبداية العصر الإغريقي، فإنه ينبغي أن يوضع في نهاية الحكم المصري لأرض الكنانة. وبعبارة أخرى في عهد «نقطانب الثاني».

(٣-٤) بابسا: المدير العظيم للمتعبدة الإلهية «نيتوكريس»

جاء ذكره وألقابه على تمثال فخم للإلهة «تواريت»، التي تمثل في صورة فرس البحر والتي تعد الإلهة الحامية للطفل الوليد، وقد عثر على هذا التمثال في الكرنك في الجهة الشمالية من المعبد الكبير، وقد كان محفوظًا داخل ناووس من الحجر الرملي، وقد نقش عليه تعبد لهذه الإلهة قدمته المتعبدة الإلهية «نيتوكريس»، كما ذكر عليه تعبد آخر قدمه «بابسا»، ومن ثم نفهم أنه هو الذي أهدى هذا التمثال على ما يظن، فيقول في تعبده: المديح للإلهة «تاورت» العظيمة سيدة الأفق ... من الأمير الوراثي والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري والسمير الوحيد في الحب وكاهن «آمون رع» ملك الآلهة، والمشرف على كهنة الأرض الجنوبية، والمشرف على الجنوب قاطبة والمشرف والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية «بابسا» بن الكاهن محبوب الإله «بدي باست» المرحوم. وقد كتب ابنه «ثاحور خبش» (حور قبض على السيف) على قاعدة هذا التمثال أيضًا، ومن ثم نفهم أنه هو المهدي لهذا التمثال.

ويحمل لقب: الذي في حجرة المتعبدة الإلهية وخادم «رع».

(راجع Daressy, Cat. Gen. Stat. Divinités P. 284.)

(٤) العقود في عهد «بسمتيك الأول»[٨٢]

لاحظنا في الجزء الحادي عشر أن آخر عقد بيع كان مؤرخًا بالسنة السادسة عشرة من حكم الملك «تهرقا»؛ أي قبل تمام الفتح الآشوري لمصر. وعندما ندخل في العقود التي دونت في عهد الأسرة السادسة والعشرين تصادفنا عقبة، وذلك أنه ليس لدينا في هذه العقود ما يميز عقود كل من ثلاثة الملوك الذين يحمل كل منهم اسم «بسمتيك»؛ ولذلك أصبح من الصعب معرفة لمن يكون العقد الذي عليه اسم «بسمتيك»، فهل هو للأول أو للثاني أو للثالث؟ والواقع أن الأول حكم أربعًا وخمسين سنة والثاني حكم خمس سنين ونصف سنة، والثالث حكم بضعة أشهر وحسب. ومن ثم نفهم أن كل التواريخ التي بعد السنة السادسة أو على الأكثر في السنة السابعة لا بد أن تنسب إلى أول ملك حمل اسم «بسمتيك». والتواريخ المعروفة لنا على الأوراق البردية، وتحمل اسم «بسمتيك» هي: ٢ سنة، ٤، ٥، ٦، و٢١، ٢١، ٢٩، ٣٠، (؟) ٣١، ٣٣–٤٢ (على ورقة واحدة)، ٤٥، ٤٧.

ويلحظ أنه في حين أن كل التواريخ التي في السطر الثاني هنا لا بد أن تكون للملك «بسمتيك الأول»، وهي تتبع بعضها بفجوات، وأكبر فترة هي مدة ثماني سنوات. ومن جهة أخرى نجد أنه بين السطرين فجوة لا تقل عن خمس عشرة سنة، وعلى ذلك نجد أنه من السنة ٢–٦ يكون مجموعة منفصلة تمامًا. والمفروض أن هذه التواريخ خاصة باسمي «بسمتيك الثاني والثالث». وقد يرجع السبب في ذلك إلى أنه كان من المحتمل أن «مصر العليا» لم تكن قد أفاقت من الاضطرابات التي انتهى بها عهد «تهرقا»، أو أنها من ناحية أخرى لم تكن في حالة تؤهلها للقيام بنشاط كبير من هذا النوع قبل السنة العشرين من حكم «بسمتيك الأول». ولا بد أن نضيف هنا إلى الأوراق البردية القانونية لوحة محفوظة الآن بمتحف «اللوفر»، سجل عليها بيت كما سنرى بعد، ومن المحتمل أن عقد البيع هذا قد حدث في السنة الخمسين من حكم «بسمتيك الأول»، غير أن قراءة التاريخ فيها شك؛ ولذلك قد يحتمل أنها من عهد «بسمتيك

الثاني» (راجع Catalogue of the Demotic Papyri in the John Rylands Library, Vol. III, P. 17).

وهاك ملخص العقود التي دونت على البردي في عهد «بسمتيك الأول» بالخط الهيراطيقي الشاذ، باستثناء العقدين اللذين عثر عليهما في «الحيبة» في مجموعة «ريلاندز»:

(٤-١) الاعتراف بحق المشاركة في وظيفة

(راجع Louvre E 2432, Deveria P. 207, Not., P. 279 Fascimile Taxtes. Arch.)

السنة التاسعة والعشرون في ٢١ أبيب. عين المرتل بنوفي Pnufi (المحنط) بلسان الصدق «س» (فلان) في وظيفة «سقاء» في مقابل ربع مكان الدفن، الذي باعه «س» (فلان) له من مدفن أسرته. يأتي بعد ذلك اليمين، والكاتب الشاهد وأربعة شهود ولاثنين منهم شهادتان طويلتان.

(٤-٢) بيع أرض وصك تسلم

(راجع Turin No. 246, Not., P. 281 Facsimile in Textes Arch.)

السنة الثلاثون، الخامس من شهر برمودة باع كل من «إسنخبي» Esenkhebi و«ني منخبر رع» Ne Menekhpre، وهما بنت وابن «خفنخنس» Khefenokhons عشرة أرورات من أرض أجدادهما في «أرمنت» التابعة لمعبد «آمون»، لشخص يدعى «حاروز» Harouz بثمن قدره ثلاثة قدات بالإضافة إلى جباية العشر (= ١٠/٢ قدات)، وهذا المبلغ يدفع إلى كاتب حسابات المعبد، وذلك إيفاء لاتفاق عمل مع «حاروز» بوساطة والدهما، وقد سلما صكًّا مقابل فضة، ولكن عقود

إثبات الملكية لم تكن في متناولهما لتسليمها. يأتي بعد ذلك صيغة اليمين، والكاتب وعشر شهادات بعضها كامل والشهادتان الأخيرتان هما لموظفين جاء فيهما بعض تفصيلات إضافية، وظهر فيهما أنه كان يوجد أحد عشر أرورا من بين عشرين أرورا قسمت بين الوالد وأخيه، وهذه الأخيرة كانت النصف من أربعين أرورا قسمت بين الجد وأخيه.

(٤-٣) عقد بيع عبد

(راجع Vatican Not. P. 288 Facsimile in Quelques Textes.)

مضمون العقد:

في السنة الواحدة والثلاثين في ١٢ من شهر بئونة باعت «شبنزي» Shpenesi ابنة «زيا منفعنخ» (؟) Zethutefe’nkh (؟) رجلًا من أهل الشمال (بمثابة عبد) إلى «س» (فلان) بمبلغ سبعة دبنات (؟) ويأتي في نهاية العقد اليمين واسم الكاتب وست شهادات. ومما يؤسف له جد الأسف أن هذه الوثيقة قد لحقها عطب كبير إذ كل سطر فيها قد ضاع نصفه. وهذا العقد هام من ناحية أن أهل الدلتا كانوا لا يزالون يباعون في «طيبة» في عهد هذا الملك. وقد لاحظنا في نقوش «تهرقا» من قبل بيع العبيد. هذا ويدل منطوق هذا العقد واثنان آخران (راجع Ryl. Ibid P. 50) على أنها عقود بيع كان فيها العبد يعتبر كالماشية. وهذه العقود تختلف جدًّا عن عقود العبودية الأخرى، التي كان يبيع العبد فيها نفسه، وعلى أية حال فإن الحالة الأخيرة فيها بعض الشك إذ لا نعلم حق العلم إذا كان المباع يؤجر نفسه أو كان يبيع نفسه لوفاء دين، ولكن الأرجح أن نعتبر الصنف الأخير هذا أنه بيع اختياري من رجل حر أو عبد في مقابل سداد دين؛ أو لأجل أن يحصل على ما يقيم أوده؛ أو لأجل أن ينعم بحياة رغدة نسبيًّا. ومثل

هذه الأحوال كانت منتشرة في «فلسطين» و«بابل». وقد كانت هذه الحالة موجودة في مصر إلى عهد قريب، ثم محيت تمامًا بعد تحريم بيع الرقيق.

(٤-٤) حسابات الصكوك

(راجع Turin No. 244, Not. P. 288 Facsimile in Textes Arch.)

في السنين ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢. لدينا ثماني قوائم حسابات سنوية عن ١٠ + ١ أرورات من الأرض ملك فرد يدعى «حاروز» (الذي مر ذكره)، وهذه الحسابات على ما يظهر توضح نصيب المعبد في الحصاد وتقوم مقام صكوك التسلم، وكل من هذه الصكوك قد وقع عليه كاتب حساب الغلة و(حتى عام ٣٦) شهد فيها كاتب أو أكثر.

(٤-٥) بيع بصك

(راجع Turin No. 247, Not. P. 290, Facsimile in Textes arch; Comp Brugsch Grammaire Demotique PI. I, (A & B).)

السنة الخامسة والأربعون، الخامس من شهر طوبة يبيع «آبي» Api بن «حاروز» Harouz عَشر الأرورات، التي اشتراها والده من «إسنخبي» Esenkhebi و«ني منخبرع» في السنة الثلاثين إلى «بتيزي» بن «ونأمون» Unamon بثمن قدره خمس دبنات من الفضة غير خراج العشر. هذا ويسلم وثيقة الملكية الخاصة بوالده، وكذلك يعطي صكًّا بالمبلغ، وفي الوثيقة حلف اليمين وإمضاء الكاتب وعشر شهادات.

(٤-٦) هبة

(راجع Turin No. 248, Not. P. 295; Facsimile in Textes Arch., better in Brugsch Grammaire Demotique Pl. II.)

السنة السابعة والأربعون في ١٨ من شهر أبيب أن «رر» ابنة «خنخنس» Khenkhons زوج الأمير الوراثي والكاهن «بتيزي» بن «ونأمون» هي وأولادها تتكلم أمام «أوزير خنتيأمنتي» (إله العرابة) والكاهن «بتيزي» بن «ونأمون» يمنحونه (الكلام موجه هنا لأوزير أو كاهنه) عشر الأرورات التي اشتراها نفس «بتيزي» هذا من «آبي» Api في السنة الخامسة والأربعين. ولقد قررت الأرض له تحت رعاية سقاء وخدم، وهؤلاء هم أولاد فرد يدعى «بفهريهازي» Pefhrihasie فالرحمة لمن أقر ذلك واللعنة على من ينقض ذلك، يأتي بعد ذلك اليمين وتسليم عقد الملكية القديم وعقد الملكية الجديد. وأحد الأولاد هو كاتب الوثيقة والآخر يوقع بالموافقة. (ويلحظ هنا أن «بتيزي» يقدم هبة الأرض التي اشتراها في «أرمنت» للإله «أوزير» رب «العرابة»، وكان بوصفه كاهن الإله هو الشخص المتسلم للهبة، وكان من الضروري لأسرته بوصفهم المستفيدين أن يعملوا الهبة).

(٤-٧) عقدان بالهيراطيقية

هذا ولدينا عقدان من طراز الكتابة الهيراطيقية العادية، عثر عليهما في «الحيبة»، ويحمل كل منهما تأريخ السنة الواحدة والعشرين من عهد «بسمتيك»، ولا بد أنهما يشيران إلى «بسمتيك الأول».

وهذان العقدان يعدان أقدم مثالين أكيدين من هذا النوع، وقد ميزا بأنهما من سلسلة العقود المعتادة، وهي كما قلنا تختلف عن سلسلة العقود الهيراطيقية الشاذة في كل من الكتابة والصيغ، وتقودنا مباشرة إلى طرز الوثائق الديموطيقية القانونية. والأوراق الهيراطيقية الشاذة عثر عليها

في «طيبة»، وتدل شواهد الأحوال على أن أسلوب كتابة الأسرة الخامسة والعشرين، كان متبعًا في (العصر الكوشي) بوجه عام في العاصمة الجنوبية، حتى منتصف حكم الملك «أحمس الثاني». وأوراق مجموعة «ريلاندز»، التي عثر عليها في بلدة «الحيبة» الواقعة في مصر الوسطى خالية من هذا الطراز القديم (أو الرجوع إلى القديم). ولدينا لوحة هيروغليفية ديموطيقية ترجع إلى السنة (الخمسين؟) من حكم «بسمتيك الأول»، وكذلك عقد عبودية مؤرخ بالسنة الرابعة من عهد «بسمتيك»، ويحتمل جدًّا أنه من عهد «بسمتيك الثاني»، وهذان هما أقرب كتابة للسلسلة المعتادة من حيث التأريخ للورقتين اللتين سنترجمهما هنا، ومن المحتمل أن اللوحة والعقد قد أتيا من مصر الوسطى أو مصر السفلى.

العقد الأول

بيع ثلاث وظائف إلى «إسمتو» Essemteu في معبد «توزوي» Teuzou، والمتن هو بيع وقع عليه البائع وابنه، ويأتي بعد ذلك خمس عشرة نسخة من نفس العقد تحت أسماء شهود مختلفين ثم توقيع آخر.

الترجمة:

> السنة الواحدة والعشرون شهر بئونة[٨٣] من عهد الفرعون[٨٤] «بسمتيك» له الحياة والفلاح والصحة. الكاهن والد الإله «حور» بن «بمو» Pemu قد اعترف للكاهن والد الإله «إسمتو» Essemteu[٨٥] بن «بتيسي»: لقد أعطيتك وظيفتي وهي كاهن «حرمخيس»، وكذلك نصيبي بوصفي وكيلًا[٨٦] (؟) ونصيبي بوصفي كاتب شونة الغلال، وهي الأشياء التي يملكها المشرف على مخازن الغلال (؟) وهي ملكك، وكذلك أرزاقها[٨٧] وسلعها[٨٨] والأشياء التي ستضاف لها من المعبد والحقل والبلد[٨٩] (أي: من كل مصادر دخل الكاهن)، وكل مكان خاص بها في بيت «آمون» طهنة»

و«توزوي» — كتان وبخور وزيت وخبز ولحم بقر ولحم أوز، ونبيذ[٩٠] وجعة ومصابيح، وأعشاب ولبن وكل نوع من الملكية في البلاد خاص بها.

لقد جعلت (٤) قلبي يوافق على الفضة (الثمن) لهذه (الأنصبة الثلاثة) أعلاه، ولن يكون في قدرة أطفالي أو إخوتي أو أي رجل في العالم، أو حتى نفسي أيضًا أن يرقبها بدونك، وذلك من أول السنة الواحدة والعشرين من عهد الفرعون «بسمتيك» — له الحياة والصحة والعافية — وما بعدها إلى أي سنة بما في ذلك الأطفال والإخوة أو أي رجل في العالم. والرجل الذي سيأتي إليك بسبب هذه الأنصبة المدونة أعلاه سأجعله يبعد عنك فيما يخص أية ملكية في البلاد، وكذلك الحال مع الأولاد والإخوة لطلب أي فضة (ثمن)، أو أي غلة أو أي شيء في كل الأرض مما سيسر قلبك. وهذه الأنصبة الثلاثة المدونة أعلاه لا تزال ملكك إلى الأبد. والرجل الذي سيأتي إليك ليأخذك إلى القضاء باسم هذه الأنصبة المدونة أعلاه (٧) لن يكون في قدرته أن يقول: أبرز شاهدًا بتوقيعه، إلا في البلد الذي فيه الشاهد.

بحياة «آمون» وبحياة فرعون (له الحياة والفلاح والصحة) لن يكون في مقدوري أن أقول «غشًّا» أية كلمة كتبت أعلاه، ولن يكون في مقدوري أن أسحب أية كلمة منها كتبها الكاهن والد الإله (؟) «أحو» (٨) بن «حور» بن «بمو» لنفسه شهد عليها الكاهن والد الإله «حور» بن «بمو» لنفسه،[٩١] يأتي بعد ذلك خمسة عشر شخصًا شهدوا البيع، وقد عمل كل واحد منهم صورة من صلب الوثيقة تطابق الأصل هكذا.

شهد بذلك الكاهن والد الإله «بسنكي» (؟) Psenki بن «بشنبتاح» Pshenptah، وهو شاهد في السنة الواحدة والعشرين من حكم الفرعون «بسمتيك» له الحياة والفلاح والصحة — على الاعتراف الذي عمله الكاهن والد الإله «حور» بن «بمو» للوالد

الإلهي «إسمتو» بن «بتيسي» — لقد أعطيتك وظيفتي (... إلخ) ولن يكون في مقدوري أن أقول غشًّا أية كلمة كتبت أعلاه. ولن يكون في مقدوري أن أسحب كلمة واحدة منها كتبه — كما سبق (؟).

أسماء الشهود هي:

(١) الكاهن والد الإله «بسنكي» بن «بشنبتاح».

(٢) الكاهن والد الإله «زتوتفعنخ» Zethutefénkh بن «حاروز» Harouz.

(٣) الكاهن والد الإله أحو (؟) Aho بن «آمون» (؟).

(٤) الكاهن والد الإله «زوبستفعنخ» بن «آمون» (؟).

(٥) الكاهن والد الإله «حور» بن «زوبستفعنخ».

(٦) الكاهن والد الإله «زوبستفعنخ» بن «حور».

(٧) الكاهن والد الإله «زوبستفعنخ» بن «عانخب» Ankheb.

(٨) الكاهن والد الإله «حور» بن «بفتوعوسبتي» Peftu’usopti.

(٩) الكاهن والد الإله «حاروز» بن «بفتوعوباستي» (؟) Peftu’ubasti.

(١٠) الكاهن والد الإله «حاروز» بن «أحو» (؟).

(١١) «حور» بن «ينحارو» Ienharou.

(١٢) الكاهن والد الإله «خبخرات» Khepekhart بن «أحو» (؟).

(١٣) الوالد الإلهي «حاروز» بن «بسنكي» (؟).

(١٤) «زوخنسفعنخ» Zekhensef’onkh بن «خبخرات».

(١٥) الكاهن والد الإله «بمو» بن «حور».

ويأتي أخيرًا بعد ذلك سطر بالهيروغليفية فيه شهادة فرد آخر وهي.

(١٦) شهد على ذلك الكاهن والد الإله «ينحارو» Ienharou بن «بفوت» Pfot، وشهادة الأخير هذه تجعل عدد شهود الوثيقة ستة عشر عدا توقيع كل من البائع وابنه، وهذا العدد من الشهود هو المعتاد في المعاملات الهامة. وعلى الرغم من أن نفس الأسماء كثيرًا ما كررت مما يدل على صلة قرابة، فإن ثلاثة شهود آخرين فقط قد ظهروا ثانية في الورقة الثانية التي سنتحدث عنها. ومن درس هاتين الورقتين نفهم أن الستة عشر شاهدًا الذين شهدوا في الوثيقة لا يمكن أن يكونوا هم الستة عشر المسئولين عن القربان أو المعاش للكهنة التابعين لمعبد «توزوي». ومع ذلك فإنه من كل ما نعرف من نقوش هذا العصر يجوز أن ستة عشر معاشًا كان العدد العادي في المعابد الأخرى، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يمكن أن نربط بها عدد ستة عشر شاهدًا الذين يشهدون في معظم المعاملات الكهانية الهامة.

العقد الثاني

«منح مكان» في المعبد لإسمتو ولأخويه.

(راجع John Rylands, III; From El Hibeh P. 47.)

الترجمة:

السنة الواحدة والعشرين شهر «هاتور» من حكم الفرعون «بسمتيك»، له الحياة والعافية والصحة.

إن الكهنة والكهنة خدام الإله والكهنة[92] آباء الإله التابعين لبيت «آمون» صاحب «طهنة» في «توزوي»، قد أعلنوا للكاهن والد الإله «إسمتو» بن «بتيسي»، وللكاهن والد الإله «يتورو» بن «بتيسي»، والكاهن والد الإله «بيبس» بن «بتيسي» ووالد الإله «اتوزوي» بن «بتيسي» ووالد الإله «بيبس» بن «بيبس» قائلين: لقد أعطيناك هذا المكان في المعبد (للسكن) الخاص ببيت «آمون» صاحب «طهنة»، حده الجنوبي بيت «موت» (أي: معبد الإلهة «موت» زوج «آمون»)، وحده الشمالي «خنت» وغربه «برج» (؟) كياهك (اسم الشهر، وربما سمي بعد ذلك بسبب حادث تاريخي)، وشرقيه حجرات المخزن التابعة لآمون صاحب «طهنة».

إنه مكانك (٤) وليس لأحد في البلاد أن يستولي عليه غيرك.

وإن الرجل الذي سيأتي إليك بسببه قائلًا: إنه ليس مكانك، وسيعطيك أي فضة وأي غلة ستسر قلوبكم، فإن مكانك (في المعبد) سيبقى ملكك إلى الأبد. والرجل الذي سيأتي إليك ليأخذك (٦) إلى (؟) القضاة باسم هذا المكان في المعبد المذكور أعلاه، فإنه لن يكون في استطاعته أن «يبرز أي شاهد موقع» إلا في المدينة التي فيها الشاهد.

(٧) وبحياة «آمون» وبحياة الفرعون له الحياة والفلاح والصحة لن نقول «غشًّا»! عن أية كلمة (مدونة) أعلاه: ولن نسحب أي كلمة منه كتبه الكاهن والد الإله «حاروز» بن «بسنكي».

وأسفل هذا النص نجد سطرًا من الكتابة الهيروغليفية، وهو عبارة عن مجرد توقيع شاهد: (٨) وقعت بوساطة الكاهن والد الإله «ينحارو» بن «بفوت»، ويأتي بعد ذلك إحدى عشرة نسخة تامة للشهود، ولما كانت نهاية البردية قد أتلفت فإنه على ما يظهر كان هناك خمسة عشر شاهدًا، كما هي الحال في العقد السالف؛ وذلك ليكون مجموع الشهود ستة عشر شاهدًا.

والصورة هي كما في الحالة السابقة بالضبط كالآتي:

شهد على ذلك فلان ابن فلان، وقد كان شاهدًا في السنة الواحدة والعشرين من عهد الفرعون «بسمتيك»، له الحياة والفلاح والصحة على الاعتراف الذي عمله الكهنة، والكهنة خدام الإله والكهنة آباء الآلهة التابعون لبيت «آمون» صاحب «طهنة» في «توزوي» للكاهن والد الإله «إسمتو» بن «بتيسي» … إلخ … إلخ. وقد أعطينا (… إلخ … إلخ) ولن نسحب كلمة واحدة منها. كتبه السابق ذكره أعلاه. وأسماء الشهود هي:

(١) الكاهن والد الإله «بمو» بن «حور».

(٢) الكاهن والد الإله «أحو» (؟) بن «حور».

(٣) الكاهن والد الإله «زتوتفنعنخ» بن «عنخ».

(٤) الكاهن والد الإله «زوبستفعنخ» بن «حور».

(٥) الكاهن والد الإله «حور» بن «زوبستفعنخ».

(٦) الكاهن والد الإله «بسنكي» بن «أحو» (؟).

(٧) الكاهن والد الإله «حور» بن «بسنكي».

(٨) الكاهن والد الإله «حور» بن «بفتوعوستي».

(٩) الكاهن الابن الذي يحبه «حارخسي» بن «حارسا أزيس».

(١٠) الكاهن والد الإله «حور» بن «حاروز».

(١١) الكاهن والد الإله «بشنبتاح» بن «بسنكي».

ومما تجدر ملاحظته هنا أن هاتين الورقتين قد كتبتا على ورق من صناعة واحدة وهما من طراز موحد، ويحتمل أنهما خاصتان بعمل واحد في أطوار مختلفة؛ أي إدخال أسرة ضمن كهنة «توزوي». والأولى كتبت في شهر بئونة، وهي خاصة ببيع وظيفة كاهن أو نقلها لشخص آخر، هذا بالإضافة إلى وظيفتين أخريين في معبد «آمون»، وكذلك نقل كل دخلهما من الكاهن «حور» إلى «إسمتو»، والعقد الثاني كتب في الشهر التالي وهو «هاتور»، وهو خاص بمنح «مكان» في المعبد بوساطة كل مؤسسة المعبد إلى «إسمتو» وأخويه. ولم يعرف مثل هاتين الوثيقتين من قبل، ويجب أن نلفت النظر إلى بعض برديات خاصة بملكية وظيفة، وكذلك رواتب خاصة لكهنة قربان في جبانة «طيبة».

(راجع Griffith, Rylands, III, Ibid. P. P. 17, 23, 30.)

(٥) أسرة بسمتيك الأول

(٥-١) زوجه «محيتنوسخت»

نعرف من أسرة الملك «بسمتيك الأول» اسم زوجه «محيتنوسخت»، وقد كان المعتقد قديمًا أنها أمه، غير أنه أصبح من المؤكد أنها أم ابنته «نيتوكريس» التي كانت دون أي شك ابنة «بسمتيك الأول». وقد تحدثنا عن هذه الملكة فيما سبق، وقد جاء ذكرها على عدة آثار نذكر منها ما يأتي:

(١) مقصورتها الجنازية القائمة بمدينة «هابو»: الأميرة الوراثية عظيمة الثناء، وسيدة الحظوة، وحلوة الحب، وسيدة الأرضين الوجه القبلي والوجه البحري، وزوج الملك وابنة الكاهن الرائي العظيم في «هليوبوليس» «حورسا أزيس» (راجع Rec. Trav. XIX P. 21).

هذا وقد جاء ذكر اسمها مع ابنتها «نيتوكريس» على آثار عدة نذكر منها:

(٢) «نيتوكريس» ابنة الملك «بسمتيك الأول»، وأمها الزوجة الملكية «محيتنوسخت» (راجع Rec. Trav. XX, P. 83).

(٣) الزوجة الملكية العظيمة «محيتنوسخت» (راجع Petit temple de Medinet-Habu. Champollion, Notice Descriptives I P. 330; L. D. Texte III, P. 157; Maspero, Mission Française du Caire T. I. P. 750).

(٤) جاء اسم هذه الملكة على تمثال «أبا» المدير العظيم للبيت: الزوجة المقدسة العظيمة «محيتنوسخت» (راجع A. S. V, P. 95-6).

(٥) وكذلك ذكرت مع ابنتها «نيتوكريس» على مائدة قربان وجدت بالكرنك جاء عليها: المتعبدة الإلهية ... إلخ، نيتوكريس، وأمها الزوجة الملكية العظيمة «محيتنوسخت» (راجع Ahmed Bey Kamal, Cat, Gen. Tables d'offrandes No. 23249, P. 167-168).

(٦) وجاء ذكرها على تابوت ابنتها «نيتوكريس» المحفوظ بالمُتْحَف المصري كما سيأتي بعد:

> ابنة الملك «بسمتيك الأول» «نيتوكريس»، التي ولدتها الزوجة الملكية العظيمة «محيتنوسخت» (راجع Rec. Trav. XX. P. 83).

(٧) ووجد لها بعض تماثيل جنازية من قبرها بطيبة، وهي محفوظة الآن بمتحف «برلين».

راجع L. D. III 265 d. = L. D. Texte I, P. 12; Maspero, Mission Française du Caire t. I, P. 748.

وقد جاء عليها: أوزير المتعبدة لآمون (موت مر محيتنوسخت) أبديًّا.

(٥-٢) ابن الملك بسمتيك المسمَّى «نيكاو الثاني»

جاء ذكر «نيكاو» هذا فيما رواه لنا هردوت (راجع Herod. II, 158).

(٥-٣) ابنة الملك بسمتيك نيتوكريس

تحدثنا عن الأميرة «نيتوكريس» في مواضع عدة، وبخاصة عند التحدث عن لوحتها وتنصيبها في وظيفة متعبدة إلهية وزوج الإله «آمون» ويد الآلهة، وما كان لها من سلطان ديني يفوق سلطان الكاهن الأول لآمون الذي حلت محله، وقد تركت لنا آثارًا عدة كما وجد اسمها على كثير من آثار رجال عصرها، وقد أشرنا فيما سبق إلى كثير منها، وسنذكر هنا جانبًا من آثارها الخالدة التي بقيت حتى الآن خلافًا لما ذكرنا:

(١) قطعة صغيرة من الحجر من معبد مدينة «هابو» الصغير جاء عليها «نيتوكريس» العائشة ابنة الملك رب الأرضين «بسمتيك» ... إلخ (راجع L. D Texte III, P. 157).

(٢) هذا ولدينا قطع أخرى من نفس المعبد جاء عليها: الزوجة الإلهية «نيتوكريس» المرحومة.

(٣) وجاء ذكر اسمها على تمثال للإله أوزير مصنوع من البازلت الرمادي، عثر عليه في مدينة «هابو» في الردهة التي أمام المعبد الكبير وارتفاعه متر ونصف متر، وقد مثل واقفًا ويلبس التاج الأبيض مزينًا بالصل، والذراعان مطويتان على صدره ويقبض بإحدى يديه على علامة الحياة وبالأخرى على درة، وعلى القاعدة أمام قدميه نقش: «أوزير» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، واهب كل الحياة والسلطة لزوج الإله «مري موت نيتوكريس»، ونقش على مقدمة القاعدة ثلاث طغراءات، جاء في الطغراء التي في الوسط: محبوب «أوزير» «ختني أمنتي»، وفي التي على اليمين المتعبدة الإلهية «نيتوكريس» العائشة، وفي التي على اليسار ابنة الملك «بسمتيك» معطى الحياة.

وجاء العمود الذي يرتكز عليه تمثال هذا الإله النقش التالي عموديًّا:

كلام! الابتهال إلى وجهك يا أوزير «خنتي أمنتي» (أول أهل الغرب) يا «وننفر» (الإله الكامل) رب الحياة وملك العالم السفلي، ورب الرهبة عند أعدائه (؟) عندما يظهر في تاجه الأبيض وصاحب التاج المزدوج وسيد «منف»، والعظيم في «ددت» (بوصير)، والكبش المقدس في «ابت» (الأقصر)، ورب الجلالة (صفة لأوزير بوصفه كبشًا مقدسًا) في «حت بنو» (معبد مخصص لعبادة الفنكس، ويظن أنه دفن فيه فخذ أوزير كما يرى بعضهم أنه موحد بالمعبد الرئيسي لمدينة «هليوبوليس» G. Dic.) (Geogr Tom. IV, P. 66 ff«أوزير» «خنتي أمنتي» في «هليوبوليس» بوساطة محبوبته الزوجة الإلهية (محبوبة الأم نيتوكريس) صادقة القول (راجع Rec. Trav. XVII, P. 118).

(٤) وجاء اسمها ولقبها على قطعة حجر من الكرنك: تعيش المتعبدة الإلهية «نيتوكريس» (راجع L. D., Texte III, P. 4).

(٥) نشاهد «نيتوكريس» في نقش بالعرابة، حيث نجدها مصاحبة والدها الملك، وقد جاء فيه: المتعبدة الإلهية «نيتوكريس» العائشة (راجع Mariette, Abydos I, PL. 2b.).

(٦) ومن أهم الآثار التي وجدت لهذه الأميرة تابوتها المصنوع من الجرانيت الوردي، وقد عثر عليه في عام ١٨٨٤ في «دير المدينة»، ويرجع الفضل لنقوش هذا التابوت في حل مسألة بنوة «نيتوكريس»، فقد أثبتت أن هذه الأميرة كانت ابنة «محيتنوسخت» التي ولدتها وأنها كانت ربيبة الأميرة «شبنوبت الثانية» المتعبدة الإلهية، فقد جاء فيها أنها الزوجة الإلهية «نيتوكريس» المرحومة ابنة الملك رب الأرضين «بسمتيك الأول» معطى الحياة أبدية، وأمها زوج الملك ويد الإله «شبنوبت» المرحومة ابنة الملك «بيعنخي»، وجاء فيها كذلك أنها يد الإله لآمون، والابنة الملكية رب الأرضين «بسمتيك» المتعبدة الإلهية «نيتوكريس» المرحومة، التي ولدتها الزوجة

الملكية والرئيسة العظيمة لجلالته «محيتنوسخت» (راجع Rec. Trav. XIII, P. 148; Maspero, Guide du Visiteur, edit. 1912 P. 3 No. 1; Wiedemann, Agyptische Geschicte P. 634 Note 13; & Supplement P. 69).

(٧) في عام ١٩٠٥ اشترى الأثري «لجران» لوحة لرجل يدعى «سني» كاهن الزوجة الإلهية والمتعبدة الإلهية «نيتوكريس»، واللوحة خاصة ببيع خمسة وأربعين أرورا من الأرض، وهذه اللوحة مصنوعة من الحجر الرملي ويبلغ ارتفاعها ٤٤ سنتيمترًا وعرضها ٣٠ سنتيمترًا وسمكها ٦ سنتيمترات، وقد عثر عليها السباخون في الكرنك أو مدينة «هابو»، وقد اشتراها «لجران» من «الأقصر». وهي مستديرة بعض الشيء في أعلاها ويشاهد في هذا الجزء قرص الشمس ناشرًا جناحيه على المنظر الآتي: على اليسار يشاهد الإله «آمون رع» ومعه النقش التالي:

«آمون رع» رب عروش الأرضين في الكرنك و«موت» ربة السماء وسيدة الآلهة.

وفي الوسط نشاهد مائدة قربان. وعلى اليمين يُشاهد رجل واقف رافع يديه في حالة تعبد، ويرتدي قميصًا فضفاضًا ومنتعلًا حذاءً، وقد نقش فوق هذا الرجل ستة أسطر جاء فيها:

> حامل الخاتم الإلهي وكاتم السر وكاهن الزوجة الإلهية والمتعبدة الإلهية «نيتوكريس» المرحومة (المسمَّى) «سني» ابن حامل الخاتم الإلهي وكاتم السر «أوف عوا»، وأمه ربة البيت «دبسن حات أزيس» المرحومة. ونقش تحت هذا المنظر أربعة أسطر أفقية تحتوي على مناداة الإله الأحد سيد الآلهة «آمون رع» ملك الآلهة بوساطة حامل الخاتم الإلهي «سني»، الذي يقول له إنه ثبت له قطعة أرض مساحتها ٤٥ أرورا … إلخ.

(٨) ووجد لهذه الأميرة كذلك خاتم من الطين اشتراه الأثري «نيوبري» في «الأقصر» (راجع A. S. VII P. 227; Proceeding S. B. A XXXVI (1914) P. 169 PL IX No. 12).

ومما يلفت النظر في نقوش هذا الخاتم أنه قد كتب عليه اللقب: الكاهنة الكبرى لآمون رع ملك الآلهة (المسماة) «نيتوكريس». ومن ثم نفهم أنه كانت أحيانًا تعلن نفسها كاهنة كبرى مع ما لهذه الوظيفة من سلطان.

(٩) وأخيرًا جاء ذكر هذه المتعبدة الإلهية على ثلاثة آثار، وهي عتبا باب من الحجر الرملي بالمُتْحَف المصري، وحق جزء منه بمتحف اللوفر والأخير بالمُتْحَف البريطاني، وقد كتب عن هذه الآثار الثلاثة الأثري كرستوف مقالًا في مجلة المعهد الفرنسي (راجع Bull. De l'Instit. Fr. D'arch. Orient. Tom. LV. P. 65 ff.).

---

[١] انظر شكل رقم ١.

[٢] راجع Petrie, Hist. III, PP. 317–319.

[٣] وهي التي تقابل الآلهة «لاتونة» عند اليونان Latone.

[٤] بولينوس كاتب بياني وحربي إغريقي، ولد في مقدونيا وكتب كتابًا سماه «خدع الحرب».

[٥] انظر شكل رقم ٢.

[٦] راجع Luckenbill, II 298, 326; 352–354.

الفرعون نيكاو ٦٠٩–٥٩٤ق.م

ني كاو

وحم أب رع

(١) مقدمة

نيكاو: ذكر «أونجار»[1] في كتابه عن تأريخ «مانيتون» ص٢٧١ أن هذا الملك هو نيكاو الثاني، أما «هردوت» (Herod. II, P. 158) فقد لفظه «نيكوس». وجاء ذكره في العهد القديم بلفظة «نخو»، وهو الملك «نخوس» الذي جاء اسمه في الورقة الإغريقية التي عثر عليها «صولت» في «طيبة»، وهو الاسم الذي وحده «فيدمان» بنيكاو الثاني (Geschichte Aegypten. P. 156)، والظاهر أنه في الواقع «نيكاو الأول» لا الثاني (راجع L. R. III P. 414). و«نيكاو» الثاني هو ابن «بسمتيك الأول» (راجع Herod. II 158)، وقد اختلف المؤرخون في مدة حكم هذا الملك فيقول «مانيتون»: إنه حكم ست أو تسع سنوات، وذلك حسب اختلاف روايات من نقل عن «مانيتون»، فيقول كل من «أفريكانوس» و«يوزيب»: إنه حكم ست سنوات. وجاء في «سنسيل» أنه حكم تسع سنوات Cf. Wiedemann, Ibid. P. 116، أما على الآثار فأعلى رقم لحكمه هو السنة السادسة عشرة. (راجع L. R. III P. 88).

(٢) الحالة العامة عند تولي «نيكاو» عرش الملك

تولى الملك بعد موت «بسمتيك» ابنه «نيكاو» في عام ٦٠٩ق.م، والواقع أنه ورث عن والده ملكًا ثابت الأركان قائمًا على أسس وطيدة، ولا أدل على ذلك من أن حادث توليه عرش الكنانة قد مر دون قيام أي معارضة أو شغب من قبل أي أمير من الأمراء الإقطاعيين الذين سلبهم

والده فيما مضى ملكهم. وقد كان أول ما وجه همه إليه «نيكاو» هو السياسة الخارجية، فبعد سقوط «نينوه» قام أمير آشوري يدعى «آشور باللبت» الثاني في مدينة «حران»، واستولى عليها ولقب نفسه ملكًا هناك عام ٦١١ق.م، وبقي فيها حتى حوالي عام ٦٠٦/٦٠٥ق.م، وقد نشبت بينه وبين «نابوبولصر» ملك بابل حرب ضروس في عام ٦١١ق.م، وفي عام ٦١٠ق.م استولى الميديون بمساعدة السكتيين على «حران»، وقد اضطر الملك «آشور-باللبت» إلى التقهقر مجتازًا نهر «الفرات». والواقع أن تغيير الجالس على عرش مصر لم يحدث أي تغير في السياسة الخارجية المصرية. وكل ما نعرفه في هذا الصدد أنه في باكورة عام ٦٠٩ق.م سار جيش مصري عظيم إلى بلاد آسيا، وانضم إلى الجيش الآشوري، غير أنه لا يمكننا أن نحكم إذا كان ذلك قد حدث في حياة الملك «بسمتيك الأول» أو بعدها بقليل. وعلى أية حال زحف جيش مصري، ومعه الجيش الآشوري في صيف عام ٦٠٩ق.م في شهر «دوز»، وعبر نهر الفرات وتغلب الجيشان على فرقة من الجيش البابلي، ولكن مع ذلك لم يظفر الجيشان بالغرض المقصود، وهو استعادة بلدة «حران». وعلى ذلك تحرك «نابوبولصر» بنفسه على رأس جيش لمساعدة حاميته.

ومما يؤسف له جد الأسف أن المصدر الوحيد الذي استقينا منه معلوماتنا عن هذه الحروب، قد وجد مهشَّمًا عند هذه النقطة، ولم يبقَ لنا منه إلا بعض قطع صغيرة لم نستخلص منها شيئًا يذكر (راجع Luckenbill, Ibid. § 1184/5).

أما حوادث السنين التالية لذلك فيحدثنا عنها كتاب العهد القديم (كتاب الملوك الثاني الإصحاح ٢٣ سطر ٢٩) حيث يقول: في أيامه صعد فرعون «نيكاو» ملك مصر على ملك آشور إلى نهر الفرات، فصعد الملك «يوشيا» للقائه فقتله في «مجدو» حين رآه.

ولكن نعلم اليوم من حوليات المؤرخ «جاد» أن الغرض من المشروع المصري في هذه السنة، كان على النقيض تمامًا مما جاء في الرواية اليهودية؛ أي إن «نيكاو» كان قد زحف بجيشه لمعاضدة «آشور باللييت»، ولكن قبل أن نتحدث عن دخول «نيكاو» في ساحة القتال في عام ٦٠٨ق.م لا بد أن نلقي نظرة خاطفة على الأحوال في بلاد «يهوذا» وقتئذ؛ لأجل أن نتفهم الموقف على الوجه الأكمل.

كانت مملكة «يهوذا» منذ عهد الملك «سنخرب» وحصاره لبلدة «أورشليم» عام ٧٠١ق.م تابعة لبلاد آشور، غير أنها في السنين العشرة الأخيرة قد أخذت في التألب على «آشور»، ورفضت القيام بما عليها من واجبات؛ وذلك لأن «يهوى» إلهها قد انتقم لها من «نينوه» بما أنزله بها من عقاب، فقد لاقت تلك المدينة العظيمة نهاية محزنة، وقد أثر ذلك الحادث تأثيرًا هائلًا في كل أنحاء العالم، وبخاصة بلاد «يهوذا»، إذ قد أصبحت الثقة بيهوى قوية جدًّا مما يبشر بمستقبل ذهبي لشعبه.

وقد كانت الكارثة التي لحقت بجيش آشور في «حران» عام ٦٠٩ق.م في نظر «نيكاو» فرصة سانحة لمضاعفة جهوده لمد سلطانه على البلاد المجاورة له، وذلك أنه كان ينظر إلى مملكة آشور على أنها دولة تقف حاجزًا منيعًا بينه وبين دول آسيا الصغرى العظيمة، التي كانت آخذة في الظهور حديثًا، وعلى ذلك رأى «نيكاو» أنه لا بد من الإبقاء على كيانها؛ ولهذا السبب زحف في باكورة عام ٦٠٨ق.م بجيش مصري تحت إمرته متجهًا نحو آسيا بمحاذاة الشاطئ شمالًا. والواقع أن هذا العمل لم يغضب «يهوذا»، ولكن خاف القوم في «أورشليم» من أن يجر ذلك إلى تسلط أجنبي من جديد على بلدهم، كما كانوا يريدون أن تزول بلاد آشور جملة من العالم[٢] في آنٍ واحد. وقد صحت عزيمة الملك «يوشيا» في المقاومة؛ وذلك لأنه رأى أنه لا يمكنه أن يصبر على تحمل سيادة جديدة، غير أنه بذلك العمل كان قد تجاهل حقيقة واقعة وقتئذ؛ وذلك أنه منذ أكثر من مائة سنة مضت قد قضى على استقلال الولايات الصغيرة، التي كانت

تتألف منها «سوريا» و«فلسطين»، وأصبح أمر البت في استقلال مثل هذه الدويلات في يد الدول العظمى؛ ومع ذلك وجدنا أن «يوشيا» قد زحف بجيشه، وقلبه مملوء بالاعتقاد المطلق في مساعدة ربه «يهوى». وقد تقابل جيشه بجيش «نيكاو» في سهل «مجدو» المشهور بالمواقع التاريخية العظيمة التي جرت فيه منذ عهد «تحتمس الثالث». وكتابا الأيام يقدمان لنا معلومات غاية في الأهمية عن هذه الحرب. (راجع أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٣٥ سطر ٢٠ ... إلخ) حيث يقول:

> بعد كل هذا حين هيأ «يوشيا» البيت صعد نحو ملك مصر إلى «كركميش»؛ ليحارب عند «الفرات» فخرج «يوشيا» للقائه (٢١)، فأرسل إليه رسولًا يقول: ما لي ولك يا ملك «يهوذا». لست عليك أنت اليوم ولكن على بيت حربي والله أمر بإسراعي. فكف عن الله الذي معي فلا يهلكك (٢٣) ولم يحول «يوشيا» وجهه عنه، بل تنكر لمقاتلته ولم يسمع لكلام «نيكاو» من فم الله، بل جاء ليحارب في بقعة «مجدو». وأصاب الرماة الملك «يوشيا» فقال الملك لعبيده: انقلوني لأني جرحت (٢٤) فنقله عبيده من المركبة، وأركبوه على المركبة الثانية التي له وساروا به إلى «أورشليم»، فمات ودفن في قبور آبائه، وكان يهوذا ينوحون على «يوشيا» ... إلخ.

ويدل ما جاء في كتاب الأخبار على أن «نيكاو» قد تبادل الحديث مع «يوشيا»، وقد بين له في حديثه أنه لا يريد منه أو من «يهوذا» أي شيء، غير أن مكان المقابلة هذا كان بعيدًا عن حدود ملك يهوذا الشمالية. وهذه كانت حقيقة في أنه لم يأتِ لإخضاع «فلسطين» و«سوريا»، ولكنه جاء لمعاضدة الآشوريين، ولكن «يوشيا» لم يؤمن بذلك ونازله، وكانت العاقبة أن هزم جيشه هزيمة نكراء، وسقط «يوشيا» نفسه في حومة الوغى صريعًا، ثم زحف الجيش المصري بعد ذلك شمالًا، ولكن مما يؤسف له أننا لم نعلم شيئًا عن ذلك الزحف ولا عما وصل إليه «نيكاو» في شمالي «مسوبوتاميا»، وكذلك لا نعلم ما آل إليه أمر الملك «آشور بالليت»، وما أصاب

البقية الباقية من ممتلكاته. وقد اضطر «نيكاو» بسبب زحف «يوشيا» أن يدخل بلاد يهوذا، (وقد جاء ذكر ذلك في كتاب الملوك الثاني الإصحاح ٢٣ الأسطر من ٣١–٣٥)، فاستمع لما جاء فيها:

> كان «يهوآحاز» ابن ثلاث وعشرين سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر في «أورشليم»، واسم أمه «حموطل» بنت «أرميا» من لبنة (٣٢) فعمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمله آباؤه (٣٣) وأسره فرعون «نيكاو» في «ربلة» في أرض «حماة»؛ لئلا يملك في «أورشليم»، وغرم الأرض بمائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب (٣٤) وملك فرعون «نيكاو» «الياقيم» بن «يوشيا» عوضًا عن «يوشيا» أبيه وغير اسمه إلى «يهوياقيم»، وأخذ «يهوآحاز» وجاء إلى مصر فمات هناك؛ (٣٥) ودفع «يهوياقيم» الفضة والذهب لفرعون إلا أنه قوم الأرض لدفع الفضة بأمر فرعون. كل واحد حسب تقويمه. فطالب شعب الأرض بالفضة والذهب ليدفع لفرعون «نيكاو» … وقد أخذ ابن الملك «يوشيا» المسمى «يهوآحاز» أسيرًا في «ربلة»، وهي على ما يظن كانت مقر معسكره، وذلك بعد أن حكم «يهوآحاز» ثلاثة أشهر، ونصب مكانه أخاه «يهوياقيم» وفرض عليه جزية.

والآن يتساءل الإنسان ما الذي كان منتظرًا أن يحدث بعد ذلك؟ لقد أصبحت «سوريا» و«فلسطين» في قبضة مصر، ولما كانت البقية الباقية من الدولة الآشورية لا تزال موجودة، فإن ذلك كان يحتم وجود الجيش المصري في هذه الأصقاع ليديرها، على أن احتلال كل من «سوريا» و«فلسطين» لم يكن إلا مجرد نتيجة للحرب السابقة، وليس بالغرض الأصلي منها.[٣]

ومن جهة أخرى يتساءل المرء هل كان تقهقر مصر من آسيا الصغرى على وجه عام أمرًا ممكنًا؟ فإذا حدث ذلك فإن معناه أن تتنزل مصر عن هذا الاقليم الاستراتيجي بالنسبة لبلادها في

حال لإحدى دول آسيا الصغرى القوية المنتصرة التي حاربت معها مصر منذ زمن بعيد. والواقع أن احتمال هذا الفرض كان أمرًا يصعب تصوره، إذ لا شك في أن مصر المجاورة لتلك الدول كانت قوية الجانب، وكانت جارتها دولة قوية تنتظر منها مصر الهجوم عليها في كل لحظة بما لديها من قوة وعتاد. وعلى ذلك لم يرَ «نيكاو» بدًّا من بسط سلطانه على «فلسطين» و«سوريا» بصورة فعالة. وقد عرفنا من قبل الخطة التي سلكها مع مملكة «يهوذا». هذا ونعرف من متن مهشم مقدار تسلط «نيكاو» على مدن «فنيقيا»، وخضوعها له وهذه الوثيقة عثر عليها في «صيدا» (راجع Griffith, P. S. B. A. XVI, P. 90-91)، وهي عبارة عن قطعة من لوحة صغيرة من البازلت منقوش عليها اسم «نيكاو».

وتدل شواهد الأحوال على أن نفوذ مصر العالمي في عهد الأسرة الثامنة عشرة، والذي كان قد امتد حتى نهر الفرات قد عاد لها الآن كرة أخرى دون أن يكون «بسمتيك» أو «نيكاو» قد قصدا ذلك فعلًا، كما يدعي بعض المؤرخين، ولا نعلم إذا كان ملك «بابل» المسن «نابوبولصر» الذي استولى على الجزء الجنوبي والجنوبي الغربي من دولة «آشور» قد قام بهجوم على «نيكاو» في سنة ٦٠٨ق.م–٦٠٦ق.م، ولكن من جهة أخرى نعلم أنه في عام ٦٠٥ق.م كان هذا العاهل وهو في شدة مرضه قد أرسل ابنه «نبوخد نصر» لمحاربة «نيكاو»، وقد دارت بينهما حرب في ربيع عام ٦٠٥ق.م عند «كركميش»[٤] الواقعة على نهر الفرات، وهزم فيها المصريون هزيمة منكرة حتى إنه كان في مقدور «نبوخد نصر» أن يزحف بجيشه حتى تخوم مصر، إذ لم يكن أمامه أية قوة تصده وقتئذ، وقد جاء ذكر ذلك في كتاب الملوك الثاني الإصحاح ٢٤ سطر ٧ فاستمع لما يقول:

> ولم يعد أيضًا ملك مصر يخرج من أرضه؛ لأن ملك بابل أخذ من مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر.

وقد كان ذلك فيما بعد هو ما آل إليه أمر «آشور-بالليت» الثاني آخر ملوك آشور، وقد اضطر «نبوخد نصر» إلى أن يكف عن غزو مصر بعد أن كان قد وقف على أبوابها، وذلك بسبب موت والده المفاجئ مما حتم عليه العودة أدراجه إلى بابل، وقد جاء في «أرميا» الإصحاح السادس والأربعين السطر ٣، ٤ ما يأتي من التهكم اللاذع بعد هزيمة مصر:

> أعدوا المجن والترس وتقدموا للحرب (٤) اسرجوا الخيل، واصعدوا أيها الفرسان وانتصبوا بالخوذ، اصقلوا الرماح، البسوا الدروع، (٥) لماذا أراهم مرتعبين ومدبرين إلى الوراء، وقد تحطمت أبطالهم وفروا هاربين ولم يلتفتوا. الخوف حواليهم يقول الرب: (٦) الخفيف لا ينوص والبطل لا ينجو. في الشمال بجانب نهر الفرات عثروا وسقطوا (٧) من هذا الصاعد كالنيل، وكأنهار تتلاطم المياه … إلخ.

والآن يتساءل المرء عما ستئول إليه حالة العلاقات المقبلة بين مصر ودولة «بابل» الجديدة. التي كانت قد زحفت بسرعة حتى تخوم أرض الكنانة، ولم تنجُ منها إلا بمعجزة؟

والواقع أن سياسة «نيكاو» — كما يقول بعض المؤرخين — كانت تسير على نهج سياسة والده «بسمتيك»؛ أي إنها كانت لا ترمي إلى الفتح، بل تنشد المحافظة على الموقف في آسيا الصغرى، وذلك بأن تجعل أي هجوم من هذه الناحية أمرًا مستحيلًا؛ ولذلك فإن «نيكاو» عندما رأى أن دولة آشور قد أصبحت غير قادرة على القيام بذلك وجد من الضروري؛ لتنفيذ سياسته الاستيلاء على «فلسطين» و«سوريا» عنوة، وهذه البلاد كانت وقتئذٍ ضمن أملاك «نبوخد نصر» ملك «بابل». والواقع أن هذا العاهل كان مثله كمثل الملك «نيكاو» قد أجبر على الدخول في حرب مع «آشور»، وقد كان غرض «نبوخد نصر» هو إصلاح ما أُفسد من مملكته التي كانت قد مُزِّقَتْ شر ممزق في المائة سنة الأخيرة، هذا فضلًا عن أنه لم يكن من الرجال الفاتحين. ولا غرابة في ذلك إذ نجد في نقوشه أنه كان يتكلم دائمًا عن مبانيه وورعه وتقاه؛ أما

عن حروبه العظيمة وانتصاراته، فإنه لم يكن يشير إليها مرة واحدة. وعندما عقد النية على الذهاب لفتح مصر لم يكن يفكر في أن الطريق التي سلكها من قبله «آشور-بنيبال» كانت طريقًا وعرة محفوفة بالمخاوف، ولكن فضلًا عن ذلك فإن دولة «كلدية» كانت تكتنفها بابل من الشرق ومن الشمال، وكانت وقتئذٍ معها على مصافاة، ولكن من حيث القوة كانت دولة «ميديا» الفتية تفوقها. وحتى في الحروب الطاحنة التي قامت مع «آشور بالليت» و«نيكاو» من قبل البابليين والسكتيين، فقد انتصروا فيها بوجه عام، وقد كان هذا الانتصار ضروريًّا لما هنالك من روابط بين مسوبوتاميا (= أرض «الجزيرة») و«سوريا»؛ لأن «حران» كانت من الأهمية بمكان، وذلك بسبب مشروع تقسيم أملاك آشور القديمة، إذ كان لا بد من أن ينزل عنها لبلاد «ميديا» هذا مع العلم أن صداقة «بابل» مع بلاد «ميديا» أساسها ما كان بينها وبين بلاد آشور من عداء مشترك، ولكن هذه العداوة كانت قد أصبحت من سنة لأخرى مجرد ذكريات تاريخية لا قيمة لها. وعلى ذلك وصل كل من «نيكاو» و«نبوخذ نصر» ملك «بابل» إلى اتفاق، وعقدا في هذا الوقت على ما يظهر محالفة رسمية فيما بينهما، كان من شروطها ألا يخرج ملك مصر عن نطاق حدود بلاده من بعد اليوم قط، وقد جاء ذكر هذه المحالفة في كتاب الملوك الإصحاح ٢٤ سطر ٧ فاستمع لما جاء فيه:

> ولم يعد كذلك ملك مصر يخرج من أرضه؛ لأن ملك بابل أخذ من نهر مصر (وادي العريش) إلى نهر «الفرات» كل ما كان لملك مصر.

أما أول تغيير في العلاقات بين مصر وبابل، فقد ظهر في عام ٥٧٩ق.م وذلك أن الملك «يواقيم» صاحب «يهوذا» قد انتقل على حسب مجريات الأمور من المعسكر المصري إلى المعسكر البابلي، ولكنه في هذه الآونة امتنع عن دفع الجزية؛ وذلك لأن اليهود كانوا يعتقدون كثيرًا في قدرة إلههم «يهوى» وقتئذ، وعلى الرغم من الدروس القاسية التي تلقوها في خلال السنين العشرة الأخيرة، فإن اعتقادهم هذا في إلههم لم يتزعزع؛ ولكن بجانب ذلك كانوا يأملون

في قوة حقيقية أعلى، فقد انتظروا أن تقوم مصر بثورة على «نبوخد نصر» فتكون لهم نجدة وعونًا، ولكن الملك «نيكاو» لم يفكر في ذلك؛ ومن أجل هذا لما لم يجد «نبوخد نصر» من يقف في وجهه حاصر «أورشليم» واستولى عليها. وكان مصير حلف «يهوياقيم» هو وابنه الذي كان يدعى «يهوياكين» أن أخذ الأخير أسيرًا، ولم يكن قد مضى عليه أكثر من ثلاثة أشهر في الحكم، وكذلك سيق معه ٨٠٠٠ أسير من عظماء القوم، هذا بالإضافة إلى صناع كثيرين، وقد سبق كل أولئك إلى «بابل». وقد نصب الملك «نبوخد نصر» مكان «يهوياكين» عمه «متنيا» وأسماه «صدقيا»، وقد جاء ذكر هذه القصة في كتاب الملوك الثاني الإصحاح ٢٤ الأسطر من ١–١٧.

> (١) في أيامه صعد «نبوخد نصر» ملك بابل، فكان له «يهوياقيم» عبدًا ثلاث سنين، ثم عاد فتمرد عليه (٢) فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الآراميين وغزاة الموابيين وغزاة بني عمون، وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبيده الأنبياء. (٣) إن ذلك كان حسب كلام الرب على «يهوذا»؛ لينزعهم من أمامه لأجل خطايا «منسي» حسب كل ما عمل؛ (٤) وكذلك لأجل الدم البريء الذي سفكه؛ لأنه ملأ «أورشليم» دمًا بريئًا، ولم يشأ الرب أن يغفر (٥) وبقية أمور «يهوياقيم»، وكل ما عمل أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك «يهوذا»، (٦) ثم اضطجع «يهوياقيم» مع آبائه وملك «يهوياكين» ابنه عوضًا عنه ... إلخ.

وتدل شواهد الأحوال على أن «نيكاو» ملك مصر لم يحرك ساكنًا في أثناء ذلك من هذه الناحية، غير أننا من ناحية أخرى نجد أنه قد سلك طريقًا أخرى في تعزيز قوة بلاده، إذ أخذ في إنشاء أسطول بحري عظيم لمصر. والواقع أن هذه كانت سياسة جديدة في تاريخ مصر المتأخر، وتدل الأحوال على أن «نيكاو» أراد أن ينشئ قوة بحرية في البحر الأبيض المتوسط، وكذلك في البحر الأحمر، وذلك ببناء سفن من التي لها ثلاثة[٥] صفوف من المجاديف، ثم نجد أنه في السنين

الأولى من حكمه قد بدأ بداية حسنة في هذه الناحية لدرجة أن الفنيقيين المعروفين وقتئذ بمهارتهم البحرية قد أصبحوا تحت سلطانه. وعلى ذلك نجد أن «نيكاو» قد عمل على إعادة الطريق المائية، التي يحتمل جدًّا أنها كانت موجودة في عهد الأسرة الثامنة عشرة، بل من عهد «سنوسرت» الأول وهي عبارة عن قناة تأخذ ماءها من فرع النيل البيلوزي بالقرب من مدينة «بوبسطة»، وتوصل ما بين البحرين الأبيض المتوسط والأحمر، ومع ذلك فإن المشروع لم ينفذ حتى نهايته، والظاهر أن عدم انجازه كان يرجع إلى صعوبات فنية، ويقول «هردوت» في ذلك (Herod. II, 158) ما يأتي: كان «نيكاو» بن «بسمتيك» قد أصبح ملكًا على مصر، وقد بدأ أولًا بالقناة التي توصل إلى البحر الأحمر، وهي التي أتمها الملك «دارا» الفارسي فيما بعد وطولها أربعة أيام ووسعها قد حفر؛ ليحمل سفينتين حربيتين جنبًا لجنب (من ذوات ثلاثة الصفوف من المجاديف الواحد منها فوق الآخر)، ويؤتى بالماء لها من النيل ويدخلها من فوق مدينة «بوبسطة» بقليل وتمر بالقرب من المدينة العربية «باتوموس» Patumos، وتصل إلى البحر الأحمر، وقد حفرت أجزاء السهل المصري الذي يقع نحو بلاد العرب أولًا، وفي أعلى هذا السهل يقع الجبل الذي يمتد نحو «منف» وفيه محجران، وعلى طول قاعدة هذا الجبل امتدت القناة طولًا من الغرب إلى الشرق، ثم امتدت إلى المضايق مارة من الجبل نحو السمت ونحو الجنوب في الداخل حتى خليج العرب (البحر الأحمر)، ولكن الجزء الذي يكون العبور فيه أقصر وأسهل ما يكون هو الذي من البحر الشمالي (= البحر الأبيض) إلى البحر الجنوبي، وهو الذي كان يسمى البحر الأحمر؛ أي من جبل «كاسيوس» الذي يفصل مصر عن «سوريا».

ومن هذه النقطة نجد أن المسافة كانت ألف استاد حتى الخليج العربي، وهذه إذن هي أقصر طريق، ولكن القناة كانت أطول من ذلك بكثير؛ لأنها كانت متعرجة، وقد مات في حفرها مائة وعشرون ألف مصري في عهد الملك «نيكاو». وقد أوقف «نيكاو» الحفر في وسط العمل؛

وذلك لأن الوحي الإلهي التالي قد كان عقبة؛ وهو أنه يعمل لأجل همجي، وذلك لأن المصريين كانوا يسمون كل الناس الذين لا يتكلمون لغتهم همجيين.[٦]

وعلى أية حال فإن «نيكاو» لم ينبذ مشاريعه الشاسعة لمستقبل بلاده، إذ استمر في تنمية أسطوله فأرسل سفنًا حربية يقودها فنيقيون ليقوموا بالرحلة المشهورة حول «لوبيا» (أي: أفريقيا)، وهي الرحلة التي قدم لنا «هردوت» عنها قصة مدهشة (Herod. IV, 42)، فقد أكد لنا هذا المؤرخ صحة هذه الرحلة عندما قال: كان «نيكاو» ملك مصر هو أول من عرفنا عنه البرهنة على صحة هذا الحادث، وذلك أنه بعد أن أوقف حفر القناة الموصلة من النيل إلى الخليج العربي أرسل بعض الفنيقيين في سفن بأمر منه؛ ليسبحوا عائدين مخترقين أعمدة «هركيل» إلى البحر الشمالي (البحر الأبيض المتوسط)، وبذلك يعودون إلى مصر. وعلى حسب ذلك قام الفنيقيون من البحر الأحمر وساحوا في البحر الجنوبي، وعندما دخل الخريف ذهبوا إلى الشاطئ وبذروا الأرض في أي جزء اتفق أنهم رسوا فيه، ثم انتظروا حتى زمن الحصاد، وبعد حصد الغلة أقلعوا ثانية، وبعد انتهاء سنتين على تلك الحال كانوا قد لفوا حول أعمدة «هركيل» في السنة الثالثة، ووصلوا إلى مصر وقصوا على ما يظهر لي ما هو غير معقول، ولكن يمكن أن يصدقه آخرون «وهو أنهم بلفهم حول «لوبيا» كانت الشمس على يمينهم. وهذه الملاحظة تبرهن لأهل عصرنا الحالي على صحة هذه الرحلة، ولكن كان لا بد من انتظار أحد عشر قرنًا حتى يتسنى للبرتغاليين بقيادة «فاسكودي جاما»؛ ليبدءوا من جهة مضادة اللف حول أفريقيا الذي تنسب المبادرة به إلى «نيكاو»، وهو الذي أغنى بدرجة عظيمة علم الجغرافيا والتجارة العالمية.

(٣) آثار «نيكاو» وعصره

وجد اسم الملك نيكاو الثاني على عدة آثار بعضها من عمله وبعضها لرجال عصره، نذكر منها ما يأتي:

(١) وجدت لوحتان مؤرختان بالسنة الأولى من عهد هذا الفرعون لكاهن يدعى «بسمتيك»، وهما الآن بمتحف «ليدز» وقد مات صاحبهما في عهد «أحمس الثاني»، وسنتحدث عنهما فيما بعد (راجع Br. A. R. IV § 1026).

(٢) وعثر له في محاجر «طرة» على لوحة مؤرخة بسنة ضم الأرضين. ويظن كل من «دارسي» و«جوتييه» أن عبارة ضم الأرضين تعني السنة الثانية من حكم هذا الفرعون (راجع L. R. IV, P. 87, Note 2). وكان أول من كتب عن هذه اللوحة هو الأثري «برنج» (راجع Perring-Vyse, Operations carried on at the Pyramids of Giza Vol. III P. 98)، ثم كتب عنها «ليبسيوس» (راجع L. D. III, 273 a)، وأخيرًا نقل نقوشها «دارسي» (راجع A. S. T. XI, P. 259–261).

وعندما وجدت هذه اللوحة كان سطحها مهشمًا، وقد أمكن «دارسي» قراءة كثير من نقوشها؛ وهاك وصفها: رسم في الجزء الأعلى من هذه اللوحة قرص الشمس المجنح، ويشاهد في هذا الجزء الأعلى كذلك منظر مزدوج. وقد نقش على اليمين الإله الطيب رب الأرضين (وحم أب رع) معطى الحياة مثل رع أبديًّا. ويقدم إناءين من النبيذ للإله «بتاح» الذي يشاهد واقفًا في ناووسه، وقد لقب «بتاح جميل» (كامل) الوجه ويقبض بيده على رموز الحكم والحياة والثبات. وعلى اليسار يشاهد الملك: ابن رع من ظهره «نيكاو» معطى الحياة مثل «رع» أبديًّا يقدم قربانًا للإلهة «نيت». ولم يبقَ من صورتها إلا جزء من التاج. ويحتوي الجزء السفلي من اللوحة على ستة أسطر مُحِي بعض كلماتها، وهاك ترجمة ما بقي حسب ما ذكره «دارسي»:

السنة التي جاءت بعد اتحاد الأرضين.

منشور جلالته له الحياة والصحة والعافية، الذي وضع أمام كل مشرف على المحاجر (؟) أو المشرف على أعمال البناء يصغي (؟) للملك. هذه اللوحة هي حدود محاجر «طرة» الجديدة، ولن يفتح أي شخص مدخل قطع أحجار في هذا الجبل في الجهة الشرقية من العمود الذي هناك المقابل للمرسوم، وجلالته قائم باستخراج أحجار من جبل عيان (؟) (لأجل أن يقيم معابد) لآبائه كل آلهة مصر، وللقصر المسمى «عظيم الآلهة العظيم للأبدية» (على عرش حور) سرمديًّا، وقد عمل ذلك معطى الحياة والثبات والقوة مثل رع أبديًّا.

ويلحظ هنا كما ذكرنا أن تاريخ هذه اللوحة قد دون بصورة غريبة في بابها. ومما يؤسف له أن «نيكاو» لم يضف إلينا في نقشه هذا أي سنة من حكمه تقابل السنة، التي وحد فيها الأرضين تحت صولجانه، ويتساءل الإنسان ما هي هذه السنة؟ ولا شك في أن «نيكاو» قد تسلم من والده «بسمتيك الأول» البلاد دون أن يكون فيها أية ثورة. ويقول «دارسي» تفسيرًا لعبارة توحيد الأرضين: إنه في الواقع منذ حكم الكوشيين كانت «طيبة» والأملاك الشاسعة، التي سيطر عليها كهنة آمون العظام في الوجه القبلي، تؤلف إقليمًا واحدًا يكاد يكون مستقلًّا على رأسه حكومة دينية تتشرف عليها زوج الإله «آمون» أو المتعبدة الإلهية. وقد نصب «بسمتيك الأول» بما أوتي من مهارة على رأس هذا الإقليم، أو بعبارة أخرى هذه الإمارة ابنته «نيتوكريس»، وذلك بجعل المتعبدة الإلهية «شبنوبت» الثانية أخت «تهرقا» تتبناها، ومن ثم أصبحت هذه اللإمارة تابعة له. وعندما تولى «نيكاو» عرش الملك يحتمل أن «نيتوكريس» قد نزلت لأخيها عن امتيازاتها في هذه الإمارة، وهي التي كانت تعد البقية الباقية من الاثنتي عشرة إمارة، التي انقسمت إليها البلاد قبل تولي «بسمتيك» عرش مصر. وبضم هذه الإمارة أصبحت البلاد موحدة، وهذا هو ما تشير إليه نقوش اللوحة وتسميه اتحاد الأرضين، ولكن يلحظ أن السلطة الدينية لأتباع آمون قد بقيت في يد «نيتوكريس»، كما استمرت بعد وفاتها في يد المتعبدة الإلهية

«عنخ نس نفر أب رع»، وهذا الرأي يعضده ما كان يحمله المدير العظيم للبيت من ألقاب تتصل بالملك مباشرة، كالألقاب التي كان يحملها مدير البيت العظيم «أبا». وعلى أية حال يجوز من جهة أخرى أن هذه الصيغة كانت لا تعني إلا تولية الملك عرش البلاد المزدوج، ولم يكن قد تولاه والده من قبل موحدًا، بل كان لا يزال منقسمًا قسمين.

رشيد

عثر للفرعون «نيكاو» على جعران قلب في مكان دفنه على ما يظن. (راجع Rosellini, Mon. Storici, II, P. 131).

سايس

عثر للفرعون «نيكاو» على جعران قلب في مكان دفنه «أدفينا» على ما يظن. وهذا الجعران كان فيما سبق في كلية «الجزويت» بباريس، ولكن يظهر أنه قد اختفى في عهد الثورة على ما يظن (راجع Petrie, Hist. III, P. 337).

أدفينا

وكذلك وجد لنيكاو خاتم من الجبس عليه اسمه (راجع Petrie, Tanis II, XXXV, 2).

ليتوبوليس (أوسيم)

وجد في آثار هذه البلدة الجزء الأسفل من تمثال من الجرانيت الوردي، وقد أقامه «بسمتيك الثاني» في معبد «سخم» على شرف الملك «نيكاو الثاني»، وقد مثله راكعًا متعبدًا ونقش عليه أن «بسمتيك» قد خلد اسم الملك الذي أنجبه ... وهو «نيكاو» المحبوب من سيد «سخم» (A. S. IV, P. 92).

متحف «فلورنس»

يوجد في متحف «فلورنس» لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة اليوم الأول من بئونة؟ من حكم جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وحم اب رع) بن رع «نيكاو» المبرأ.

ومن هذه اللوحة نفهم أن فردًا يدعى «بسمتيك» قد ولد في هذه السنة من حكم «نيكاو»، وتوفي في السنة الخامسة والثلاثين في السادس من شهر بئونة، وهو في الواحدة والسبعين وأربعة الأشهر وستة الأيام من عمره. وأهمية هذه اللوحة من الوجهة التاريخية عظيمة مثل لوحتي «ليدن» ولوحة «اللوفر»، اللتين تحدثنا عنهما فيما سبق (L. R. IV, P. 87) عند الكلام على «بسمتيك الأول»، وسنتحدث عن صاحب لوحة فلورنس وأهميتها كرة أخرى عند التحدث عن بسمتيك صاحبها في عهد أحمس الثاني (أمسيس).

متحف «جيميه»

يوجد بمتحف «جيميه» «بباريس» لوحة خاصة بمنح قطعة أرض للإله «أوزير» في ضواحي «بوبسطة»، وقد جاء عليها تأريخ للملك «نيكاو» غير مؤكد السنة ... ثم يأتي بعد ذلك أسماء الملك «نيكاو» الخمسة، وهي «حور» (المسمى) ذكي القلب، والسيدتان (المسمى) المنتصر، وحور الذهبي (المسمى) محبوب الآلهة، وملك الوجه القبلي والوجه البحري (وحم أب رع)، ابن رع المسمَّى «نيكاو» (راجع Moret, Revue de l’Histoire de Relig. I, LIV (1906), P. 147; Catal. De la. Galerie Egypt. Du Musée Guemet, P. 99–102 et PL. XLIII).

أدفينا

عثر على خاتم جرة من الجبس ومقبض جرة كتب على كل منهما طغراء الملك «نيكاو»: بن رع «نيكاو». وقد عثر على هذين الأثرين في «أدفينا» (راجع Petrie, Tanis, II, P. 71-

72, PL. XXVI No. 2; Hall, Catal. Of Egyptian Scarabs etc. in the .(British Museum, I, P. 291

وهما محفوظان الآن بالمُتْحَف البريطاني (No. 2783-2784).

متحف «القاهرة»

يوجد بمتحف القاهرة وزن يعادل دبنين عشر عليه في «سايس» (راجع Weigall, Catal. Gen. Weights and Balances, No. 31604, P. 22 & Pl. III)، وقد نقش على هذا الوزن الإله الطيب (وحم أب رع) رب الأرضين «نيكاو» عاش مخلدًا.

تل الفراعين

عثر الأثري «ادجار» على تمثال بولهول من الشست قيل: إنه باسم الملك «نيكاو»، غير أن النقوش التي عليه وجدت مهشمة، ولا يمكن التحقق من هذا الاسم.

قرية «طرينة» بالدلتا

شاهد الأثري «نافيل» قطعة من الحجر الرملي الأحمر في باب جامع قرية «طرينة» بمركز «المحلة الكبرى» غربية. وقد نقش عليها: «حور» صاحب القلب الذكي ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وحم أب رع) بن «نيكاو» (راجع Naville, The Mound of the Jews .(etc. P. 60-61, PL. XX, Note 4

مجموعة بتري

وفي مجموعة «بتري» توجد أسطوانة من الحجر الرملي، جاء عليها الإله الكامل (وحم أب رع) عاش أبديًّا (Petrie, Historical Scarabs No. 196)، وتوجد في المُتْحَف

البريطاني لوحة صغيرة من الخزف، نقش عليها في طغراءين ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وحم أب رع)، وابن رع «نيكاو». Hall, op. cit. I, No. 2805

المُتْحَف البريطاني

وكذلك توجد أقداح من الخزف محفوظة بالمُتْحَف البريطاني باسم هذا الفرعون (راجع B. M. No. 24238; Petrie, Historical Scarabs No. 1963). كما يوجد محراب صغير من البرونز في نفس هذا المُتْحَف. وقد نقش عليه ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وحم أب رع) بن رع «نيكاو» (راجع A guide to the 3rd and 4th Egyptian Romms 1904, P. 33).

هذا ويوجد عدد لا بأس به من الآثار الصغيرة التي عليها اسم «نيكاو» الثاني في المجاميع الخاصة والعامة في متاحف أوروبا وغيرها. وهذه الآثار هي أوانٍ من المرمر ولوحات من الزجاج، وقطعة موازين وتمثال من البرونز وتعاويذ ... إلخ. وقد عمل بها كل من «فيدمان» و«بتري» قائمة (راجع Petrie, Hist. III, P. 335; L. R. IV, P. 90-91).

منف

اشترى «بتري» تمثالًا من «منف» لرجل يدعى «وزحور». وتدل النقوش التي عليه على أن «وزحور» هذا كان مشرفًا في «أسوان» في أثناء إقامة المباني التي عملت في عهد «نيكاو»، وقد كان يحمل لقب حاكم الباب أو نقطة الحدود الخاصة بالبلاد الجنوبية، ومثله كمثل الموظفين القدامى الذين أقاموا في هذا المكان من عهد الأسرة السادسة، وحملوا نفس اللقب الذي يحمله، وهذا التقليد في الألقاب كان شائعًا في عهد النهضة، التي كانت ترمي لإحياء كل قديم يدل على مجد مصر. وهاك النص الذي جاء على هذا التمثال:

المقرب لدى ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وحم أب رع) «نيكاو» مثل رع.
الأمير الوراثي والحاكم وحاكم باب الممالك «وزحور» يقول: لقد كنت قائدًا لأعمال
على الجبل لعمل مسلات عظيمة من الجرانيت، وكل الآثار التي من الديوريت
والجرانيت لأجل … (راجع Petrie, A Season in Egypt, PL. XXI, No. 5; Br. A. R. IV, § 980).

متحف «القاهرة»

يوجد في متحف القاهرة الجزء الأسفل من تمثال للإله «أوزير»، وقد مثل جالسًا على قاعدة بسيطة وهو مصنوع من البازلت الأسود اشتُري من «الأقصر»، وقد جاء عليه النص التالي: (راجع Cat. Gen. Musée du Caire, Statues des Divinités P. 100 No. 38372).

النقش الذي أمام القدمين على القاعدة: «أوزير» الكائن الكامل المحمي والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية المسمى «بدي حورنسو». وعلى عارضة المقعد اليمنى وعلى يمين القدمين نقش: المقرب من «أوزير» الكائن الكامل الإلهي، المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية «نيتوكريس»، عاشت مخلدة (المسمى) «بدي حورنسو» (المرحوم).

ونقش على العارضة اليسرى من المقعد: المقرب لدى أوزير «خنتي أمنتي»، والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية الأخت الملكية للملك «نيكاو» عاش مخلدًا (المسمى) «بدي حورنسو» المرحوم.

ونقش على الجزء الذي أمام القاعدة وحولها المتن الثاني من اليمين: المدير العظيم لبيت الزوجة الإلهية (المسمَّى) «بدي حورنسو» المرحوم، وأمه هي ربة البيت «شبسن رنونت» المرحومة إن روحك في السماء وجسمك (في الأرض).

من اليسار: المدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية «بدي حورنس» المرحوم بن المشرف على الكتبة، والذي في حجرة المتعبدة الإلهية «أي: الخادم الخاص» المسمَّى «أخأمون دو» المرحوم. إنك تصل إلى بيتك للأبدية وإلى قبرك السرمدي …

(٤) مقبرة «نيكاو»

وقد دفن «نيكاو»[٧] في «سايس»، وعثر على قبره منذ زمن بعيد ولكن موميته وجدت مهشمة، ولم يبقَ سليمًا من قبره إلا الجعران الذي كان في كلية «الجزويت» بباريس كما ذكرنا من قبل (راجع Birch, History of Egypt P. 180).

(٥) أسرة «نيكاو»

لم يصل إلينا بعد اسم زوج الملك «نيكاو» الثاني. وقد ظن البعض أنها الملكة «تاخاوت»، وهي التي كانت والدة الأميرة «عنخنس نفر أب رع». راجع Lepsuis, Königsbuch Pl. XLVIII, No. 642d; Brugsch Bouriant Livre des Rois No. 706.

ويقال: إنها هي التي عثر على تابوتها في «بنها» حديثًا. وقد وجد فيه بعض حلي أنيقة، وظن البعض أن «نيتوكريس» قد تزوجت من أخيها «نيكاو الثاني» (راجع Budge, Book of the Kings II P. 81). غير أن هذا لا يرتكز على أي أثر يثبت النظرية الأخيرة حتى الآن (راجع Petrie, Hist. III P. 337).

هذا ونعلم أن الملكة «تاخاوت» كانت زوج «بسمتيك الثاني» (راجع Rec. Trav. XX, P. 83).

والولد الوحيد المعروف للملك «نيكاو» هو «بسمتيك الثاني»، الذي خلفه على عرش مصر، ويسميه «هردوت» «باميس» (راجع Herod. II 159)، غير أن اسم والدته مجهول لنا، ومن

المحتمل أن الملكة «تاخاوت»، كانت أخت زوجها «بسمتيك الثاني»، وعلى ذلك تكون بنت «نيكاو الثاني»، غير أنه ليس لدينا أي برهان قاطع يثبت هذه البنوة.

(٦) الأوراق البردية التي عثر عليها من عهد «نيكاو»

(راجع Rylands III P. 19) لم يعرف من عهد هذا الملك حتى الآن إلا بردية واحدة كتبت بالهيراطيقية الشاذة، وهذه الورقة تحتوي على هبة من الأرض، وهاك ملخص ما جاء فيها:

> السنة الثانية ٣٠ طوبة يؤكد «بتيسي» لامرأة ملكية ستة أرورات من الأرض في ضيعة «آمون» في «تشترس»، وكانت قد أعطيت زوجه، وكان أخوها قد صدق عليها (لبتيسي) بالقرب من قبر الملك «أوسرتون» (؟)[٨] ولم يذكر في الورقة يمين. وقد ذكر اسم كاتبها وجاء فيها أربع شهادات وصورة شهادة كاملة. وهذه الورقة قد أصابها التمزيق كثيرًا، وتعد أقدم بردية في المجموعة التي حصل عليها «أيزنلور» من «طيبة».

---

[١] راجع: Unger, Chronologie des Manetho P. 271.

[٢] راجع: Journal of Near Eastern Studies (1951) No. 2, P. 128.

[٣] هذا هو رأي بعض المؤرخين، ولكن دلائل الأحوال توحي بأن «نيكاو» كان يريد أن يجاري «تحتمس الثالث» في كل شيء فقد فتح فلسطين وسوريا ثانية، كما أعاد لمصر أسطولها البحري الذي كان في عهد «تحتمس الثالث»، وجعلها من أعظم دول العالم من حيث التجارة، ويؤكد ما زعمناه هنا أن «نيكاو» قد اتخذ لنفسه لقب تحتمس الثالث «منخبر رع»، وقد جاء هذا اللقب على جعران واحد حتى الآن (راجع: Scarabée du British Museum No. 45721

الملك «بسمتيك الثاني»



يقول «مانيتون»: إن هذا الملك حكم ست سنوات، وفي رواية أخرى سبع عشرة سنة (راجع Unger Chronologie des Manetho, P. 271).

والرقم ست سنوات جاء فيما رواه «أفريكانوس»، والرقم ١٧ جاء فيما رواه المؤرخون الآخرون الذين نقلوا عن تاريخ «مانيتون». أما «هردوت» فيقول: إنه حكم ست سنوات (راجع Herod. II chap. 161). والآثار التي عثر عليها حتى الآن تؤكد ما قاله «أفريكانوس» و«هردوت» (راجع Wiedemann, Aegypt. Gesch, P. 602 & 604; Maspero, Hist. III, P. 54, Note 3; L. R. IV P. 92). ويقول «جوتييه»: إن أعلى تاريخ لحكم الملك «بسمتيك الثاني» هو السنة السابعة (راجع Ibid. P. 92, Note 4)، وما كتب عنه في قصة «بتيسي».

(١) حالة البلاد في عهده وسياسته

مات الملك «نيكاو» عام ٥٩٤ق.م ما بين ٤ مايو و٢٣ نوفمبر، وتولى زمام الحكم بعده ابنه «بسمتيك الثاني»؛ وتدل الأحوال على أنه سار في أعقاب سياسة والده، وقد كان أهم ما وجه إليه عنايته هو بالمحافظة على حدود بلاده من جهة الشمال، ثم من جهة الجنوب، والظاهر أنه لم يكن إلا مدافعًا عن حدود مصر في هاتين الجهتين، كما يظهر ذلك مما بقي لنا من الآثار التي عثر عليها حتى الآن.

وقد تحدثنا عن رحلته إلى بلاد «سوريا»، ثم نفصل القول عن حروبه مع بلاد الكوش كل في موضعه.

(٢) آثار بسمتيك الثاني

(١) **رشيد:** وجدت قطعة حجر عليها اسم الملك «بسمتيك الثاني» في بلدة «رشيد» (راجع Wiedemann, Geschichte P. 634).

(٢) **دمنهور:** يقول «ماسبرو»: إنه في عام ١٨٨٣م وجد الأثري «بركش» تابوتًا في قرية بالقرب من «دمنهور»، وقد نقل إلى متحف «بولاق» (رقم ٦٠٢٩)، ويقول «ماسبرو»: إنه تابوت الملك «بسمتيك الثاني». وحوض هذا التابوت من الحجر الرملي، وقد صنع صنعًا خشنًا ويبلغ ارتفاعه ٧٥ سنتيمترًا، وطوله ١,٧٥ مترًا وعرضه ٧٨ سنتيمترًا، وقد لوحظ أن داخله قد حفر بسرعة؛ لأجل أن توضع فيه المومية، وليس عليه زينة أو أشكال عند القدمين والرأس. كما هي العادة. وقد رسم على الجانبين الطويلين للتابوت بعض مناظر جنازية باسم «بسمتيك الثاني» (راجع A. Z. Band, XXII P. 79).

والواقع أن هذا الأثر هو قاعدة مجوفة من حجر «الكوارتسيت» لفرس البحر المقدس، (؟) وليس بتابوت كما يقول «ماسبرو»، والمتن الذي نقش عليه جاء فيه اسم الملك «بسمتيك الثاني».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا التابوت لم يكن للملك «بسمتيك الثاني»، وذلك على الرغم من أنه يشمل صورة هذا الملك وطغراءاته. والاستنباطات التي أريد استخلاصها من صغر حجم هذا التابوت (وهي القائلة: إنه للملك «بسمتيك الثاني»؛ بسبب الادعاء بأن الملك «بسمتيك الثاني» كان قصير القامة، وأنه مات في غير أوانه) تعتبر غير مقبولة. (راجع Porter & Moss, IV P. 49: L. R. IV P. 97 Note 2)؛ لأنها ترتكز على أساس علمي واضح.

(٣) **الإسكندرية:** وجدت قطعة حجر في الإسكندرية، وهي جزء من تمثال جالس من حجر البروفير الأحمر (راجع Porter & Moss IV P. 270). وقد نقش عليها اسم هذا الملك.

(٤) **نقراش:** (راجع Petrie, Naukrates I PL. XXXVIII No. 184). وجد في «نقراش» (تل جعف) جعارين عليها لقب هذا الفرعون وهو «نفر أب رع».

(٥) **تانيس:** (راجع Petrie, Tanis I. P. XII No. 25). عثر «بنري» على جزء من قرص من الفخار المطلى عليه لقب هذا الفرعون في حفائر «تانيس».

(٦) **الأشمونين:** مفصلة باب من البرونز منقوش عليها اسم «بسمتيك الثاني» (راجع Brugsch, Recueil 1, X, 7).

(٧) **دفنه (أدفينا):** عثر «بتري» في «أدفينا» على خاتم مصنوع من الجبس، نقش عليه اسم «بسمتيك الثاني» (راجع Petrie, Tanis II, XXXVI, 3.)

(٨) **نهاية Naharieh:** على بعد بضعة أميال من جنوب «سايس» (صا الحجر)، تقع على الشاطئ الغربي من النيل قرية «نهارية»، وفيها عثر على أحجار أثرية كثيرة من معبد قديم، وعليها اسما الملك «بسمتيك الثاني» والفرعون «حفرة». (راجع L. D, Texte III. P. 4)، وقد عثر على هذه الأحجار الأثري «لبسيوس» في أكتوبر سنة ١٨٤٢.

(٩) **أتريب (بنها الحالية):** عثر في خرائب «أتريب» الحالية على خاتم كاهن، عليه اسم «بسمتيك الثاني» (راجع Brugsch, Recueil I, X 6).

(١٠) **هليوبوليس:** عثر في حفائر عملت في خرائب مدينة «بومبي» على مائدة قربان محفوظة الآن في متحف مدينة «نابولي». راجع A. Z. VI P. 85. وهذه المائدة مصنوعة من البازلت وقد جاء عليها النقش التالي:

إن حور (المسمَّى) رع ثابت القلب، وحور الذهبي (المسمَّى) مرقي مصر، ونفر أب رع (رع القلب) «بسمتيك» يأتي إليك يا «آتوم» يا سيد «هليوبوليس»، إنه يقدم لك عين حور ويمجد «بسمتيك» بن رع يا «آتوم» يا سيد «عين شمس»، ومعه إناءان «شست»، حاملًا إليك تمثالك في «هليوبوليس»، وإنه يمنحك أعيادًا ثلاثينية عديدة جدًّا على عرش حور مثل رع أبديًّا.

وكذلك عثر على قاعدة تمثال «بولهول» من الجرانيت الرمادي الأسود، ومن المحتمل أنها مستخرجة من مدينة «عين شمس» أو «سايس» عاصمة الأسرة السادسة والعشرين، وقد نقش عليها المتنان التاليان:

الجهة اليمنى للقاعدة: يعيش حور (المسمى) كامل القلب، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (المسمَّى) «نفر أب رع»، بن «رع» (المسمى) «بسمتيك»، مثل رع محبوب الأم الإلهية يحتمل أنه يقصد هنا الإلهة «نيت» معبودة «سايس» التي ذكرت على الجهة اليسرى …

الجهة اليسرى: يعيش «حور» (المسمى) سليم القلب، ملك الوجه القبلي (والوجه البحري) نفر أب رع، بن رع (المسمى) بسمتيك، مثل رع محبوب الإلهة «نيت» وهو الإله الكامل ضارب بلاد شثت (شسمث؟) ومخرب قوم «أونو» (؟) ومن خوفه يفنى قوم «بندوقدو»، معطي كل الحياة والثبات والقوة والسرور مثل رع أبديًّا.

ويلحظ أنه ليس أمامنا شيء كثير نستخلصه من المتن الذي على الجزء الأيمن من القاعدة؛ وذلك لأن التهشيم في هذا الجزء قد بدأ في الجزء الذي كان يمكن أن نستنبط منه أشياء. أما المتن الذي على الجزء الأيسر فقد حفظ لنا، ويمكن أن نستخلص منه بعض الحقائق الهامة، وذلك أن النعت «ضارب سثت (أو شسمت) يوحي بأنه كان هناك حملة حربية قام بها «بسمتيك الثاني» في فلسطين أو «سوريا» أو «فنيقيا». وكلمة «سثت» تعني قوم الآسيويين، والواقع أنه في العام الرابع من حكم الملك «بسمتيك الثاني». هذا (حوالي ٥٩١ق.م) زار هذا الفرعون بطريق البحر

على ما يظن محراب بلدة «ببلوص»، الذائع الصيت في رحلته إلى بلاد «خارو»، التي صحبه فيها كهنة «آمون»، وهذه الرحلة كما يقول المتن الذي ذكرت فيه وتحدثنا عنها فيما سبق في قصة بتيسي، توحي بأنها كانت بمثابة حج ديني لا حملة حربية، على أنه ليس لدينا ما يمنعنا على حسب ما جاء في المتن الذي نحن بصدده، من أن هذا الفرعون قد قام بحملة حربية فعلًا على هذه البلاد، وبخاصة عندما نعلم أن الملك «نبوخد نصر» البابلي كان يفكر في مشاريع عدوانية، تهدد مركز مصر في بلاد «فنيقيا»، وعلى ذلك فإن النعت «ضارب الآسيويين» قد يحملنا على الظن أن هذه الرحلة كانت دينية، وفي الوقت نفسه حربية وسياسية. يضاف إلى ذلك عبارة «بندوقدو» تدل على قول أفريقيين، ومن ثم نجد أن «بسمتيك الثاني» أراد أن يدون على قاعدة تمثاله هذا أنه هزم الآسيويين والسودانيين في مدة حكمه، وهذا ما يتفق مع الحقائق التاريخية التي ذكرناها في هذا المؤلف كما سيأتي بعد (راجع A. S. XXXIV P. 129 ff).

(١١) **لتوبوليس (أوسيم):** عثر الأثري «أحمد كمال» على قطعة حجر من تمثال في «أوسيم» مركز «إمبابه»، نقش عليها اسما ملكين أولهما «نيكاو» والثاني هو «بسمتيك الثاني»، والظاهر أن هذا التمثال كان قد أهداه «بسمتيك الثاني» لوالده نيكاو (راجع A. S. IV P. 92).

(١٢) **أبو صير (بالقرب من سقارة):** عثر على قطع من الحجر عليها اسم «بسمتيك الثاني» في «أبو صير» (راجع Porter & Moss, III P. 99).

(١٣) **تل بسطة:** عثر في «تل بسطة» على لوحة خاصة بهبة قطعة أرض في السنة الثانية من حكم الفرعون «بسمتيك الثاني». (راجع A. S. XI P. 192). وهذه اللوحة نحتت في الحجر الجيري، وارتفاعها ٥٨ سنتيمترًا، وعرضها ٣٢ سنتيمترًا، وهي مستديرة في جزئها الأعلى ونقشها ليس متقنًا. ويشاهد في الجزء الأعلى المستدير تحت قرص الشمس المجنح منظر، وقد سمي فيه «بسمتيك» بلقبه «نفر أب رع»، وقد مثل وهو يلبس التاج المزدوج، ويقدم رمز الحقل

للإلهة «باستت» التي مثلت واقفة وبيدها ساق بردية، ونقرأ تحت ذراع الملك: يعطي الحقل لأمه «باستت» العظيمة ربة «بوبسطة». ونقرأ أمام الإلهة: كلام يقال بوساطة «باستت» العظيمة ربة «بوسطة» معطاة الحياة مثل رع أبديًّا. وتحت ذلك يأتي المتن الخاص بهبة الأطيان والمتن ليس من السهل قراءته بسبب رداءة كتابة الإشارات.

(١٤) **المحلة الكبرى:** عثر على قطعة من الجرانيت الأحمر في «المحلة الكبرى»، عليها طغراءان للملك «بسمتيك الثاني» بنيت في صهريج (راجع Daressy, Rec. Trav. XXXIII P. 162; Kamal. A. S VII P. 238; Ibid. VIII P. 2).

ويدل ظاهر هذه القطعة على أنها كانت جزءًا من عمود باب ومنقوشة باسم الملك «بسمتيك الثاني»، ولكن بدلًا من كتابة أسماء هذا الفرعون على حسب الطريقة التي كانت متبعة وقتئذ؛ أي كتابة الألقاب مبتدئة بالاسم الحوري، ثم اسم السيدتين ثم اسم حور الذهبي واسم ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وأخيرًا اسم ابن رع «بسمتيك»، فإن أسماء هذا الفرعون قد نظمت على حسب الأسلوب القديم، فنجد أن صورة قصر الملك قد رسمت يعلوها الصقر، ويحتوي على اسم «الكا»، وكذلك على لقب الفرعون موزعًا توزيعًا متوازيًا، ولدينا مثل هذا التوزيع في آثار كل من الملكين «نيوسررع» و«بيبي الثاني». ويلحظ أن الآثار العتيقة تعطي الأولوية للقبي ملك الوجه القبلي والوجه البحري والسيدتين. وعلى أية حال فإنا نجد في مثل هذه الكتابة رجوع الساويين إلى تقليد العهود القديمة بدرجة ملحوظة، وكان هذا هو هدفهم الأسمى.

(١٥) **صا الحجر:** يوجد جزء من تمثال من البازلت الأسود محفوظ الآن في «كمبردج» بمتحف «فيتزوليم» (راجع Remarks on some Egyptian Monuments in England (Yorke and Leake), PL. XIII Fig. 38, Texts Budge, A

Catalogue of the Egyptian Collection in the Fitzwilliam Museum P. 112).

وقد وجد اسم «بسمتيك الثاني» في «صا الحجر» على قطعتين من الحجر، غير أنه لا يمكن بوساطتهما الحكم على أن هذا الملك قد أقام مباني في هذه العاصمة. (راجع A. S. XLI P. 406).

(١٦) **السويس:** رأس تمثال ضخم من الحجر الرملي لتمثال قاعدة للملك «بسمتيك الثاني» ووجد معه بقايا نقوش عرش، ويقال: إنه قد عثر عليه في الطرف الجنوبي من «قناة السويس» (راجع Brit. Mus. Guide to the Egyptian Collection (1909) Fig. P. 259, (1930) P. 386 Fig. 212; Guide Sculpture (1909) P. 222 (803)).

(١٧) **القاهرة:** قطعة حجر من الجانب الأسفل لعمود، وقد مثل عليها منظران يمثلان «بسمتيك الثاني» واقفًا أمام الإله «آتوم»، ويتبعه روحه ومعه علم. عثر على هذه القطعة في القلعة (راجع Porter & Moss, Vol. IV P. 71).

(١٨) **محاجر المعصرة:** وجدت طغراءات الملك «بسمتيك الثاني» في محاجر المعصرة (راجع Vyse. Op. cit. III P. 102. Porter & Moss IV P. 74).

(١٩) **أسوان:** يوجد متنان على صخر عند سفح المرسى ... إلخ (راجع L. R. IV P. 95). عليهما اسم الملك «بسمتيك الثاني».

(٢٠) **وادي حمامات:** نقش من السنة الثالثة من عهد الملك «بسمتيك الثاني» (راجع Les Inscriptions du Ouadi Hammamat P. 71 Pl. XXIV).

ويشاهد في هذا النقش صورة كبش جالس على قاعدة متجه بوجهه نحو اليمين ولابس تاجًا مركبًا، وأمامه طغراءات للفرعون «بسمتيك الثاني»، وأسفل من ذلك بقليل كتب كرة أخرى ولكن بصورة غير واضحة تمامًا طغراء هذا الفرعون؛ وأخيرًا نقرأ تحت صورة الكبش لقب الملك مرة ثالثة. وقد كتب اسم الملك هكذا: ابن الشمس (رب القوة بسمتيك) وملك الوجه القبلي والوجه البحري (مجمل الأرضين طيب القلب رع) (راجع كذلك L. D. III 275e).

(٢١) **روما:** مسلة «كامبنس» أو «منتوشيتوريو» Campense or Monte Citorio Oblisk.

باسم الملك «بسمتيك الثاني»، ويحتمل أنه أتى بها من «هليوبوليس» وأقيمت في «روما» عام ١٠ق.م أقامها «أغسطس» في «كامبس مرتيوس» Campus Martius بمثابة مزولة شمسية، وقد كشف عنها البابا «بندكت الرابع عشر» عام ١٧٤٩، وأقيمت من جديد في عام ١٧٩٢ ميلادية في بيازا دي منت شيتوريو Piazza di Monte Citorio، أقامها البابا «بيوس السادس» (راجع Porter & Moss, VII P. 411).

(٢٢) **متحف القاهرة:** ويوجد بمتحف القاهرة قطعتان من مسلة للملك «بسمتيك الثاني»، وهما من الجرانيت الأسود ويبلغ طولهما الحالي ١٥٢ سنتيمترًا و٢٠٨ سنتيمترات على التوالي، والجزء الأعلى منهما اشتُري من «الأقصر»، والجزء الأسفل وُجد في معبد الكرنك في الجنوب من البوابة الثامنة (راجع Catalogue General du Musée. Du cairè, Obelisques No. 17028 A et B. P. 57 et Pl. XV). وقد نقشت أوجهها الأربعة بأسماء «بسمتيك الثاني» الخمسة، وكذلك جاء عليها أن «بسمتيك» معطى الحياة قد عملها أثرًا له.

(٢٣) **تونس:** توجد بعض جعارين باسم «بسمتيك الثاني» في «تونس» في البرج الجديد (راجع Ibid P. 367).

(٢٤) **لوحة «السربيوم»:** هذه اللوحة محفوظة في متحف «اللوفر» الآن (راجع Chassinat, Rec. Trav. XXII, 1900 P. 169; Breasted A. R. IV § 984–988).

نفهم من الاستنباطات التي نستخلصها من مضمون هذه اللوحة معلومات ثمينة عن مدة حكمي الملكين «نيكاو» و«بسمتيك الثاني». وعجل «أبيس» الذي احتفل به قد مات في اليوم الثاني عشر من الشهر الثامن من السنة الثانية عشرة من حكم الملك «إبريز»، وكان عمره عند وفاته سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام. ومن ثم نعلم أن حياته بدأت قبل تولية «إبريز» بمدة خمس سنوات وعشرة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا. ولما كان هذا العجل قد وقع يوم ولادته في اليوم السابع من الشهر الثاني من العام السادس عشر من حكم «نيكاو»، فإن الفترة التي من أول تولية «نيكاو» عرش الملك حتى تولية الفرعون «إبريز» (أو بعبارة أخرى) حتى موت «بسمتيك الثاني» هي مجموع:

١٥ سنة	١ شهر	٧ أيام	= ٢١ سنة فقط
٥ سنة	١٠ شهر	٢٣ يوم	

وعلى ذلك يكون مجموع حكم كل من «نيكاو» و«بسمتيك الثاني» هو واحد وعشرون سنة بالضبط. وقد جاء مؤكدًا لهذه النتيجة الكشف عن لوحة أخرى خاصة بالتبني في الكرنك، وهي لوحة «عنخنس نفر أب رع» التي عثر عليها «لجران» في معبد الكرنك، وسنتحدث عنها فيما

بعد، وهذه اللوحة تضع أمامنا المقدمات التالية عن طول مدة حكم الملك «بسمتيك الثاني». ففي السنة الأولى من حكم «بسمتيك الثاني» في الشهر الحادي عشر في اليوم التاسع والعشرين، وصلت ابنته الأميرة «عنخنس نفر أب رع» إلى «طيبة»؛ لأجل أن تصبح ربيبة للزوجة الإلهية «نيتوكريس». وفي السنة السابعة من حكمه في الشهر الأول من نفس السنة في اليوم الثالث والعشرين مات الملك «بسمتيك الثاني»، وتذكر اللوحة كذلك أن ابنه «إبريز» تولى بعده الحكم. وكان موضوع التبني فكرة سياسية يقوم بعملها الفرعون دون أي تأخير، ومن ثم نكون في مأمن إذا استنبطنا أن «عنخنس نفر أب رع»، كانت قد وصلت إلى «طيبة» بعد فترة وجيزة من تولي «بسمتيك الثاني» الملك، وهو التاريخ الذي وقع متأخرًا في السنة التقويمية، وعلى ذلك تكون أولى سني حكمه لا تحتوي على أكثر من شهر أو شهرين. أما آخر سنة حكمها (وهي السنة السابعة)، فإنه لم يكن قد مر منها أكثر من ثلاثة وعشرين يومًا عندما توفي، وعلى ذلك يكون قد حكم فعلًا خمس سنوات وشهرين أو ثلاثة، ومن الواحد والعشرين عامًا التي حصلنا عليها فيما سبق بمثابة مجموع لمدة حكم الملكين «نيكاو» و«بسمتيك الثاني» على التوالي، يمكننا أن نستنبط أن حكم «بسمتيك الثاني» كان أكثر من خمس سنوات بقليل، ومن ثم يكون حكم «نيكاو» فعلًا ست عشرة سنة، وهذا يتفق مع الحقيقة القائلة: إن أعلى رقم لحكم «نيكاو» هو ست عشرة سنة (وذلك عندما كان العجل أبيس الخاص باللوحة قد ولد). وهذا يتفق مع ما جاء في «هردوت» الذي قال: إن حكم «نيكاو» هو ست عشرة سنة، وحكم «بسمتيك» ست سنوات.

(٢٥) **لوحة «عنخنس نفر أب رع»:** هذه اللوحة الهامة كشف عنها الأثري «لجران» في خبيئة الكرنك، وهي مصنوعة من المرمر ويبلغ ارتفاعها ٧٤ سنتيمترًا وعرضها ٤٢ سنتيمترًا وسمكها ١٣ سنتيمترًا، وهي محفوظة الآن بمتحف القاهرة وقد ترجمها وعلق على محتوياتها «ماسبرو» (راجع A. S. Tom. V P. 80–90). وكذلك ترجمها الأثري «برستد» (راجع

(BR. A. R. IV § 988 etc.). ويشاهد في الجزء الأعلى المستدير من اللوحة السماء ذات النجوم، وتحت السماء يرى قرص الشمس المجنح، ويدعى «بحديتي» الإله العظيم رب السماء صاحب الريش المبرقش الخارج من الأفق معطى الحياة. وأسفل من ذلك منظران أحدهما على اليسار والآخر على اليمين. والمنظر الذي على اليسار: نشاهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري (واح أب رع) معطى الحياة والثبات والحكم كلها مثل رع؛ ويرتدي على رأسه التاج المزدوج، ويقبض بيده اليسرى على المقمعة وعصا وضع الأساس، ويمد يده اليمنى نحو آمون: «آمون رع» رب عرش الأرضين ورب السماء يقبض في يده على علامات الثناء والمديح. ويشاهد الإله مادًّا يده ليسلم للفرعون السيف «خبش». ويرى أمامه سطران عموديان من النقوش جاء فيهما:

(١): كلام يقال: إني أعطيك كل الوجه القبلي والوجه البحري، وكل الأراضي الأجنبية أبديًّا (٢) كلام يقال: إني أعطيك ... وعيدسد (العيد الثلاثين).

وخلف آمون نشاهد الإلهة «موت» العظيمة. وفي المنظر الذي على اليمين نشاهد زوج الإله «عنخنس نفر أب رع» معطاة الحياة أبديًّا. لابسة ثوبًا فضفاضًا ومرتدية تاج «نمس» الذي يعلوه الريشتان، وهي تحرك في يديها صناجتين مختلفتين أمام «آمون رع» ملك الآلهة والإله العظيم، وأمام الإله «خنسو» في «طيبة» «نفر حتب» معطي كل الحياة والثبات والحكم. وتلبس حذاء ويتبعها المدير العظيم للبيت (المسمى) «شيشنق» برأس حليق، وفي قدميه حذاء، ويلبس قميصًا طويلًا وفي يده اليمنى مروحة. ويشغل الجزء الذي أسفل هذين المنظرين متن مؤلف من خمسة عشر سطرًا، وهاك ترجمتها:

السنة الأولى الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم التاسع والعشرين من الشهر في عهد جلالة حور (المسمى) سليم القلب، والسيدتان (المسمى) قوي الساعد، وحور الذهبي

(المسمى) مجمل الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (المسمى) (نفر أب رع) بن رع (المسمَّى) «بسمتيك» معطي الحياة.

في هذا اليوم وصلت ابنة الملك «عنخنس-نفر-أب-رع» إلى «طيبة». وقد خرجت أمها الزوجة الإلهية «نيتوكريس» العائشة لترى جمالها. وذهبا سويًّا إلى بيت «آمون»، وبعد ذلك قيدت الصورة المقدسة من بيت «آمون» إلى ... لأجل أن تعمل لقبها كما يأتي: العظيمة المديح (الكاهنة العظيمة) في بيت «آمون»، والتي تحمل الأزهار في القصر ... الخاص بـ ... «آمون»، وكاهن «آمون» الأول، وابنة الملك «عنخنس-نفر-أب-رع»، عندما كانت في حضرة والدها «آمون رع» سيد «طيبة» والمشرف على الكرنك.

موت «بسمتيك الثاني»: في السنة السابعة الشهر الأول من الفصل الأول في اليوم الثالث والعشرين صعدا هذا الإله الطيب، رب الأرضين، «بسمتيك الثاني» إلى السماء. وقد انضم إلى قرص الشمس، والأعضاء المقدسة مختلطة بمن سواه. وبعد ذلك توج ابنه في مكانه (وهو) «حور» (المسمَّى): مطمئن القلب، والسيدتان (المسماة) سيد القوة، و«حور الذهبي» (المسمى) مخضر القطرين، ملك الوجه القبلي والبحري (المسمَّى) خعع أب رع، وابن «رع» (المسمَّى) «واح أب رع» (= «إبريز») العائش.

موت «نيتوكريس» ودفنها: «السنة الرابعة الشهر الرابع من الفصل الثالث (فصل الصيف)، من عهد جلالة هذا الملك صعدت المتعبدة الإلهية «نيتوكريس» إلى السماء، وانضمت إلى رع والأعضاء المقدسة اختلطت بمن خلقها. وعملت لها ابنتها الكاهن الأكبر «عنخنس نفر أب رع» كل ما يعمل لكل ملك ممتاز. والآن بعد مضي اثني عشر يومًا على هذه الحوادث في الشهر الرابع من الفصل الثالث اليوم الخامس عشر، ذهبت ابنة الملك الكاهن الأكبر «عنخنس نفر أب رع» إلى بيت آمون ملك الآلهة، في

حين كان الكهنة خدام الإله والكهنة آباء الآلهة والكهنة المطهرون، والكهنة المرتلون وكهنة الساعة بمعبد آمون، خلفها، والسمار العظام كانوا أمامها، وقد أدى لها كل الشعائر العادية الخاصة بمصاحبة المتعبدة الإلهية لآمون إلى المعبد بوساطة الكاتب المقدس، وتسعة من الكهنة المطهرين من هذا البيت، وقد وضعت على نفسها كل التعاويذ والزينات الخاصة بالزوجة الإلهية، والمتعبدة الإلهية متوجة بريشتين، والتاج الذي على رأسها لأجل أن تكون ملكة لكل ما تحيط به الشمس.

ألقاب «عنخنس نفر أب رع»: وقد ألفت الألقاب كما يأتي: الأميرة الوراثية والحاكمة والعظيمة في ظرفها، والعظيمة الحظوة، سيدة الرقة، حلوة الحب ملكة كل النساء، الزوجة الإلهية، والمتعبدة الإلهية (حكنفروموت) ويد الإله «عنخنس نفر أب رع» العائشة، وابنة الملك سيد الأرضين «بسمتيك الثاني».

حكم «عنخنس نفر أب رع»: لقد عمل لها كل ما كان معتادًا عمله من شعائر، وكل الأحفال كما عمل للإلهة «تفنوت» في البداية. وقد أتى إليها الكهنة خدام الإله والكهنة آباء الإله، والكهنة الخارجون عن الهيئة المختصون بالمعبد في كل وقت، عندما كانت تذهب إلى بيت آمون في كل عيد ظهور له.

(٢-١) تعليق

وهذه الوثيقة الجديدة تمدنا بحقائق تاريخية غاية في الأهمية عن عهد الأسرة السادسة والعشرين، وبخاصة من حيث تأكيد بناء تأريخ هذه الأسرة، فهي تعد البرهان الفاصل في «بسمتيك الثاني» والد «عنخنس نفر أب رع»، كما تمدنا بتاريخ موت «بسمتيك الثاني»، ومن ثم نعلم مدة حكمه بوجه التأكيد، يضاف إلى ذلك أننا نعلم من متن هذه اللوحة أن «إبريز» هو ابن «بسمتيك الثاني»، كما نعرف من سياق النص تاريخ تبني «عنخنس نفر أب رع»، وتاريخ موت «نيتوكريس»، وأخيرًا عرفنا تاريخ تولي «عنخنس نفر أب رع» سلطتها الشرعية.

والواقع أن متن اللوحة يقص علينا وصول «عنخنس نفر أب رع» إلى «طيبة» في السنة الأولى من حكم والدها «بسمتيك الثاني»، وتبنيها هناك من «نيتوكريس»، كما حدث ذلك فيما سبق وتبنيت «نيتوكريس» من «شبنوبت الثانية» بوساطة المنشور، الذي أصدره «بسمتيك الأول» خاصًّا بذلك كما سبق شرحه. ومما يلفت النظر أنها عند الاحتفال بهذا التبني لقبت بالكاهن الأعظم لآمون. وبعد وصول «عنخنس نفر أب رع» بخمس سنين وتسعة وخمسين يومًا، مات والدها «بسمتيك الثاني»، وخلفه على عرش الملك «إبريز» ابنه، وفي السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون الأخير؛ أي بعد مضي ثماني سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام على تبني «عنخنس نفر أب رع» ماتت نيتوكريس. وبعد مضي اثني عشر يومًا على هذه الوفاة، خلفتها «عنخنس نفر أب رع» في وظيفتها، وقد بقيت فيها حتى عهد الملك «بسمتيك الثالث»، وكانت قد بلغت الثمانين من عمرها وقتئذ على أقل تقدير.

(٣) أسرة بسمتيك الثاني

(٣-١) زوجة «تخاوت»

تزوج الفرعون «بسمتيك الثاني» من امرأة تدعى «تخاوت»، وقد جاء ذكرها على تابوت ابنتها المتعبدة الإلهية «عنخنس نفر أب رع». ويقول جوتييه: الظاهر أنها ليست من دم كاهنات آمون «طيبة»؛ وذلك لأنه كان لا بد لابنتها أن تتبناها «نيتوكريس»؛ لأجل أن يكون لها حق الوراثة في ملك ولاية طيبة. (راجع L. R. IV P. 160)، غير أن هذا التبني ليس له علاقة بوراثة ملك طيبة في تلك الفترة.

وقد عثر أخيرًا على تابوت في بلدة بنها الحالية وهي «أتريب» القديمة، وجد عليه نقش كما وجد بداخله بعض حلي وتمائم جميلة الصنع، ويحتمل أنها نفس «تخاوت» زوج الملك بسمتيك الثاني، وهاك النقش الذي جاء على هذا التابوت:

قربان يقدمه الملك لأوزير أول أهل الغرب وللإله العظيم رب القوة؛ (؟) ليعطي قربانًا من البخور والعطور وكل شيء جميل، مما يعيش منه الإله إلى روح الأميرة الوراثية والسميرة الوحيدة سيدة اللطف والحلاوة والحب والزوجة الملكية «تخاوت» المرحومة.

(٣-٢) ابنته «عنخنس نفر أب رع»

تحدثنا عن لوحة تنصيب هذه الأميرة فيما سبق، وقد عثر لها على تابوت مستطيل الشكل من الحجر الجيري الأسود، وقد نقش على الجزء الخارجي من الغطاء صورة بارزة للملكة لابسة لباس الرأس الذي في صورة عقاب يعلوه قرص الشمس وقرنا الإلهة حتحور، ورشيتا الإله «آمون رع». وقد مثلت مرتدية ثوبًا فضفاضًا يصل إلى كعبيها، وتقبض في يدها على صولجان الحكم، وفي داخل الغطاء مثلت صورة الإلهة «نوت» في طول كل الغطاء، وفي قعر التابوت نفسه مثلت صورة «حتحور أمنتي». ويلحظ أن سطح رقعة التابوت كله في الخارج والداخل قد غطي بالنقوش المصرية القديمة، التي تحتوي على صلوات نقشت نقشًا بديعًا، وكذلك تحتوي على خطابات للمتوفاة، توجهها للآلهة المختلفين الخاصين بالأموات. وتدل شواهد الأحوال على أن جسم الأميرة قد نقل من التابوت في الأزمان القديمة جدًّا، ويحتمل أن ذلك قد حدث في عصر الملك «قمبيز» ثم حرق. وفيما بعد يظهر أن التابوت قد احتله كاتب ملك يدعى «امنحوتب بي منتو»، الذي حشر اسمه في طغراءات الملكة ومحا المقطع الدال على التأنيث في النقوش، ووضع مكانه ضمير المذكر؛ لأجل أن تعود الصلوات والدعوات التي على التابوت عليه هو. وقد عثر على التابوت في قعر حفرة تبلغ عمقها حوالي ١٢٥ قدمًا خلف معبد الرمسيوم في طيبة. وقد حمل هذا التابوت إلى «باريس»، ولكنه فيما بعد بيع للمتحف البريطاني، ويبلغ طوله ٦ أقدام و٥ بوصات وعرضه ٣ أقدام، و ـ بوصة وارتفاعه ثلاث أقدام وثماني بوصات، ويبلغ

وزنه ـ من الأطنان (راجع A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture P. 224-225 (1909). والآثار الأخرى التي وجدت لهذه الأميرة أو التي تشير إليها (راجع Gauthier L. R. IV P. 101–103) لا تضيف كثيرًا إلى تاريخها أو إلى وظيفتها، ويدخل في ذلك الصورة التي نقلها لبسيوس (L. D. III, 2740)، وهي الصورة التي استخلص البعض منها أنها كانت زوجة الملك «أمسيس» الثاني، وهذه الفكرة لا ترتكز على أي أساس علمي. ولا أدل على ذلك من أنها لم تحمل قط لقبًا يدل على أنها كانت زوجة هذا الملك، والواقع أن ما جاء في هذه الصورة يدل على أنها كانت محبوبة لدى «أمسيس»، وأنه هو الذي قلدها وظيفتها، وعلى ما يحتمل بقيت تشغلها حتى نهاية الأسرة. وليس ببعيد أن الحوادث التي وقعت في أواخر الأسرة قد أشير إليها في المتون السحرية التي جاءت على تابوتها، وهي التعاويذ الخاصة بطرد الأقوام الأجنبية، وهي التعاويذ التي تجد فيها ذكر طرد سكان جزائر البحر الأبيض (Z 446) وكذلك الآسيويين (Z. 461/2, Z. 452/3, Z 442).

ومما يلفت النظر في نقوش هذا التابوت أن لقب «عنخنس نفر أب رع» وهو «حق موت نفرو» لم يذكر على التابوت، وقد كان ذلك ضروريًّا لإظهار مكانتها، والواقع أن الألقاب العادية التي كانت تحملها زوج الإله في هذه النقوش، وهي زوج الإله والمتعبدة الإلهية، ويد الإله كانت توجد بكثرة، ولكن لم تجد اللقب الرئيسي على تابوتها.

(أ) قيمة النقوش التي على تابوت «المتعبدة الإلهية»

Die Religiosen Texte auf Dem Sarg der Anchnesneferibre, Von Sander Hansen P. 1 ff.

إن النقوش التي وجدت على تابوت[1] «عنخنس نفر أب رع» لا تقدم لنا في الواقع إلا معلومات قليلة جدًّا عن شخصية صاحبة هذا التابوت، كما هي العادة في مثل هذه المتون الدينية البحتة،

غير أن المعلومات الخاصة التي تقدمها لنا نقوش التابوت، سواء أكانت قصيرة أم طويلة تعد نسبيًّا ذات أهمية عظيمة، فنجدها أنها تذكر في الصيغ القصيرة التي على التابوت أنها تدعى زوج الإله «عنخنس نفر أب رع» المرحومة، وأمها المرحومة زوج الإله والمتعبدة الإلهية «نيتوكريس» أو يد الإله «عنخنس نفر أب رع» المرحومة ابنة الملك رب الأرضين «بسمتيك» المروحوم، وابنة الملك رب الأرضين «بسمتيك» المرحوم أوزير الزوجة الإلهية «عنخنس نفر أب رع» المرحومة، وأمها الزوجة الإلهية «نيتوكريس» المرحومة. وفي الصيغ الطويلة التي على التابوت تدعى ابنة الملك رب الأرضين أوزير، التي ولدتها الزوجة الإلهية العظيمة «تاخوت». وفي رواية أخرى «تخاوتي» فكانت «عنخنس نفر أب رع»، كما هو معلوم في النقوش التي على غير هذا التابوت تدعى: ابنة الملك بسمتيك الثاني من زوجه الأولى «تاخوت»، وهي التي على ما نعلم لم تذكر في وثيقة أخرى، وهذه البيانات بالإضافة إلى تسمية زوج الإله «نيتوكريس» بوصفها أمها، وذكر بسمتيك بوصفه والدها قد سبب في وقت ما سوء فهم كبير إلى أن وضع الأمور في نصابها الأثري العظيم «ارمان» في مقاله عن التبني، كما تحدثنا عن ذلك في الجزء العاشر.

وكما ذكرنا من قبل تولت «عنخنس نفر أب رع» مهام وظيفتها في السنة الرابعة من حكم «إبريز»، ولقبت الزوجة الإلهية والمتعبدة الإلهية «حق موت نفروت»، وهذا اللقب الأخير يشبه الاسم الذي كانت تحمله الزوجة الإلهية «أمنردس» وهو (خع موت نفرو) (راجع Rec. Trav. 22, 126)، ومما يلفت النظر هنا أن هذا الاسم لم ينقش على تابوت «عنخنس نفر أب رع».

(ب) تمثال الزوجة الإلهية «عنخنس نفر أب رع»

وجد لهذه الأميرة تمثال من البازلت الأخضر يبلغ ارتفاعه ٧١ سم، وكان قد عثر على الجسم والقدمين والقاعدة أولًا، ثم عثر على الرأس فيما بعد في نفس خبيئة الكرنك (راجع Cat. Gen. Statues des Rois et de Particuliers III P. 13 ff):

والنقوش التي تغطي السطح العلوي للقاعدة وهي ما يأتي: البيضة الإلهية (= حتحور) الخارجة من الروح العظيمة والزوجة الإلهية التي اختارها والدها لآمون «موو ور» (الماء الأزلي)، والزوجة الإلهية والأميرة الوراثية والحاكمة والوزيرة وابنة الإله «جب» …

ونقش حول القاعدة: … الزوجة الإلهية (موت حكا نفرو) ويد الإله «عنخنس نفر أب رع» حورة (مؤنث لفظ حور)، العظيمة محبوبة آمون التي تسر الروح العظيم بشعائرها التي تقيمها لحبها له، والزوجة الإلهية المنضمة لآمون في قوة، ويد الإله الجميلة العينين عند المشاهدة والمتعبدة الإلهية لآمون ملك الآلهة العظام ربة السماء.

ونقش على ظهر التمثال في سطر عمودي: الأميرة الوراثية العظيمة سيدة الحظوة الفاخرة حلوة الحب، وسيدة كل ما يحيط به قرص الشمس والزوجة الإلهية الطاهرة اليدين التي تحمل الصناجتين لتسر آمون بصوتها، ويد الإله «عنخنس نفر أب رع» محبوبة آمون رب عروش الأرضين، ويلفت النظر في هذا التمثال أن أجزاءه مستديرة وبدينة، وهذا شيء نادر في الفن المصري، وهو من هذه الناحية يذكرنا بتمثال السيدة «تاكوشيت»، والظاهر أن هذا التمثال كان قد نحت بمناسبة حمل «عنخنس نفر أب رع» لقبي الزوجة الإلهية والمتعبدة الإلهية، وقد حدث ذلك في ١٦ مسرى من السنة الرابعة من حكم الملك «إبريز» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع Journal d’entrée du Musée du Caire No. 36750).

وقد عاشت «عنخنس نفر أب رع»، حتى آخر عهد الأسرة السادسة والعشرين (راجع A. S. VI P. 131-132) أي في عهد «بسمتيك الثالث». وكان المدير العظيم للبيت المسمى

«شيشنق» معاصرًا لها (راجع Daressy, Cones 187, Tomb. Gardiner-weigall Topagraphical Cat, No. 27)، وكان والده من قبله يشغل نفس الوظيفة، واسمه «بدي نيت» (راجع Lady Meux, COll. No. 71). غير أن تاريخ تولية هذه الوظيفة ليس مؤكدًا؛ أي إننا لا نعرف في عهد مَنْ مِن عهود المتعبدات الإلهيات كان يشغل وظيفته (راجع Das Gottesweib des Amun P. 39)، وقبره معروف رقم ١٩٧ على الشاطئ الأيسر للنيل بطيبة الغربية.

وجاء اسم هذه الأميرة على جعران في مجموعة «بتري» (راجع Petrie, Hist. III P. 357 Fig. 148). راجع كذلك ما جاء عن هذه الأميرة في كتاب مس «بتلز» (راجع Miss Buttles, The Queens of Egypt P. 227-228; Guide British Museum (1909), Sculpture P. 225 No. 812)).

ووجد لها نقش من الحجر الرملي في المُتْحَف البريطاني، والنسخة التي نقلها الأثري «بدج» لا بد خاطئة، ولا بد أن نقرأ «عنخنس نفر أب رع» (ابنة) «نيتوكريس»، ويشاهد أن المتعبدة الإلهية هنا يصحبها «شيشنق» المدير العظيم للبيت. وكذلك وجدت قطعة من الحجر الرملي محفوظة بالمُتْحَف البريطاني، عثر عليها في طيبة (راجع Guide, 1909, Sculpture P. 225, No. 813). وذكر «بدج» في كتاب الملوك أن لها لوحة صغيرة محفوظة بالمُتْحَف البريطاني (Book of the Kings II, P. 84 No. 907)، ويحتوي المُتْحَف البريطاني كذلك على تمثال صغير للإله «حربوخرات»، جاء عليه الزوجة الإلهية «عنخنس نفر أب رع» العائشة المحظوظة بالمحبة.

وأخيرًا جاء اسم هذه الكاهنة الأولى على قاعدة تمثال أهداه أحد موظفيها للإله «آمون رع»، وهذا التمثال محفوظ بالمُتْحَف البريطاني (Wiedemann Gesch. P. 198).

(٣-٣) نيت مري تس

هي ابنة الملك «بسمتيك الثاني»، وقد جاء اسمها على تمثال «نفر نفر أب رع». وهذا التمثال من الجرانيت الأسود، وقد مثل راكعًا ويحمل ناووسًا على قاعدة مكعبة الشكل، وقد ضاع الجزء الأعلى من هذا الناووس، وكذلك الجزء العلوي من التمثال. وكان في المقصورة تمثال إلهة يحتمل أنها الإلهة «نيت» وعلى جانبي الناووس نقشت أسماء أبناء «بسمتيك الثاني» غير أنها وجدت مهشمة، ونقرأ من بينها اسم الأميرة «نيت مري تس». واسم صاحب التمثال الذي مثل تحت أقدام الأمراء هو السمير الوحيد المشرف على المستودعات «نفر نفر أب رع»، وهو نفس الاسم الذي صادفناه على تمثال أوزير فيما سبق.

(٣-٤) أست خب

ونقرأ على نفس التمثال اسم ابنة أخرى وهي «است خب».

(٣-٥) ابناه

ترك «بسمتيك الأول» وراءه ولدين وهما:

(١) إبريز: (راجع Herod. II, 161).

(٢) بسمتيك: وقد وجد اسمه على التمثال السالف الذكر: الابن الملكي من جسده محبوبه «بسمتيك» (راجع L. R. IV P. 100).

(٤) عظماء الرجال في عصر بسمتيك الثاني

(٤-١) نفر نفر أب رع

كان «نفر نفر أب رع» يعد من أعظم الشخصيات في عهد الملك «بسمتيك الثاني»، وقد حدثنا عن نفسه في نقوش على تمثال للإله «أوزير» عثر عليه في سقارة، وهو مصنوع من البازلت

الرمادي وقد وجد بدون رأس. ونقش على مقدمة قاعدته سطران جاء فيهما:

مربي ملك الوجه القبلي، مهذب ملك الوجه البحري سيد الأرضين «بسمتيك» عاش أبديًّا. المنشئ والمشرف على المستودع (المسمَّى) «حورارعا»، واسمه الجميل هو «نفر نفر أب رع» يقول: «يا أوزير أيها الإله العظيم بين الآلهة نجني من كل المتاعب التي أنا فيها؛ لأني طاهر الفم، ماهر، والناس يقولون لي: تعال تعال في سلام، بسبب ما يرى كل إنسان من أخلاق في، وإني أعرض بوجهي عن الذي لا قلب له، وإني حامٍ من يحمي المعوز من القوى. وإني أعرف أن الله منشرح من الذي يفعل ذلك.

وجاء على الجهة اليسرى من مقعد التمثال في أسطر من اليمين إلى الشمال ما يأتي

المشرف على المستودع «حورارعا»، واسمه الجميل «نفر نفر أب رع» يقول: يا أوزير يا أيها الإله العظيم بين الآلهة إني خادمك وإني أقتفي أثرك ولم أفعل قط ما تمقت. وإني أفرح بما تحبه ولقد أديت الاحترام لكل الناس. وإني آتي لك بدون خطيئة وبدون سيئة ولم أشهد زورًا، (؟) وعملت السعادة للناس والسرور للآلهة، وإني محمي بك يا سيدي. ولا يوجد تقرير ضدي أمام رب الرياسة، وإني ممدوح (إله مدينته) وخادمة الحقيقي الذي يمشي في أثره، والذي يدير احترام بلده وصلاح مقاطعته، مربي ملك الوجه القبلي ومنشئ ملك الوجه البحري رب الأرضين «بسمتيك»، حاضن بسمتيك، والمشرف على المستودعات «حور ارعا»، الذي اسمه الجميل «نفر نفر أب رع» مبسوط الراحة (الكريم) سخي العطايا، والذي يعمل الطيبات للناس دون أن يعوقه إنسان، ومن عزيمته تنفذ، ومن يعرفه كل شريف، ومن يعمل الخيرات للناس، ومن يستمر في العمل الذي يعمله، ومن جعله الإله فالحًا في الأرضين، ومن روحه وضاءة في الجبانة، ومن ذكراه حسنة في فم الأحياء.

وقد نقش حول القاعدة ما يأتي

كلام يقال: يا أوزير إن الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الوجه البحري والسمير الوحيد، ومنشئ ملك الوجه القبلي وحاضن ملك الوجه البحري رب الأرضين «بسمتيك» عاش أبديًّا، والمربي والمشرف على المستودع «حورارعا» الذي اسمه الجميل هو «نفر نفر أب رع» يأتي إلى جوارك يا سيده. وإنه قد عمل ما قاله الناس وما تبتهج له الآلهة وإنه قد أعطى خبزًا للجائع، وماءً للعطشان، وكساءً للعريان، فاجعل اسمه يفلح على الأرض مثل كل محظوظ عندك. المديح لوجهك يا أيها الإله العظيم رب العدالة. إن الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الوجه البحري والسمير الوحيد ومنشئ ملك الوجه القبلي، وحاضن ملك الوجه البحري رب الأرضين «بسمتيك» العائش أبديًّا، والمربي والمشرف على المستودعات «حورارعا» واسمه «الجميل» هو «نفر نفر أب رع» يأتي بجوارك وستقوده ليرى جمالك، وإنه يحضر لك العدالة وإنه يقصي عنك الشر، ولن يفعل ما يمقته الآلهة ولن ينهب القربات الخاصة بالمعابد، ولن يغتصب العبد من سيده.

تعليق

إن من ينظر بعين فاحصة في محتويات هذا المتن يمكنه أن يستنبط منه عدة حقائق غاية في الأهمية من الوجهات التاريخية والأثرية والاجتماعية. فالمتن أولًا يميط اللثام عن مكانة مربي الفرعون «بسمتيك الثاني» المسمى «حورارعا»، وما كان له من اتصال وثيق بالفرعون. فقد كان هذا العظيم يحمل لقب الإمارة كما كانت في يده مستودعات البلاد وخيراتها، هذا فضلًا عن أنه كان يقوم بحضانة الفرعون وتنشئته وتربيته، ولا يبعد إذن أنه كان بمثابة وصي على الفرعون، وبخاصة إذا صدقنا أنه تولى الملك وهو صغير السن. هذا من جهة ومن جهة أخرى

نجد أن كاتب هذا المتن قد اختار لنفسه التعابير، التي كانت تستعمل في أوائل عهد الإقطاع الأول حتى نهاية الدولة الوسطى، وهذا يؤكد لنا مرة أخرى حب عظماء عصر النهضة تقليد كتابات العصر الذهبي للغة المصرية، وانتحال ألقابهم. وأخيرًا نجد في عبارات هذا المتن ما يشير إلى اعترافات المتوفى في الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى أمام الإله «أوزير» رب الآخرة؛ ولذلك جاءت مناسبة للمقام، وقد نقشها على تمثال الإله المعني بذلك (راجع A. Z. 25, P. 120, Cat Gen. Musée du Caire Statues des Divinités P. 69-70 No. 38236).

(٤-٢) حور منخف-أب-نخت

يوجد جزء من تمثال «لأزيس» و«حور» مصنوع من البازلت الأسود، والجزء الباقي هو الجزء الأسفل، وتشاهد فيه أزيس تحمل «حور» في حجرها، ولم يبقَ من تمثال «حور» شيء. وقاعدة هذا التمثال مستطيلة وقد نقش حولها ما يأتي:

من اليسار

> قربان يقدمه الملك لأزيس العظيمة الأم المقدسة؛ لتعطي قربانًا من كل شيء جميل طاهر مما يعيش منه الإله، والذي يأتي به سيد الاحترام حور الذهبي (المسمى) مكمل الأرضين «بسمتيك» عاش مخلدًا، بمثابة حظوة لروح صادق القلب والماهر المرتل الأول لجلالته، وصاحب حور (المسمى) «حور منخف اب نخت» … إلخ.

(راجع Cat. Gen. Musée du Caire Statues de Divinités P. 319 No. 39275).

ويلحظ أن اسم هذا المرتل الأول قد ركب تركيبًا مزجيًّا مع الاسم الحوري للملك «بسمتيك الثاني»، يضاف إلى ذلك صاحب التمثال رقم ١١٢ بمتحف «الفاتيكان» (راجع Maruccbi II

.(Museo Egizio Vaticano P. 77–79

وكذلك يوجد تمثالان للإلهة «نيت» ربة «سايس» في متحف «ليدن» (A. 53,) (et D 121، وكلها تحمل اسم الملك «بسمتيك» (راجع Leemans, Monuments de Lyde .(I, Pl. II & XXI

(٤-٣) بدي امست

يوجد في مجموعة الأستاذ «ليشانشف» بروسيا الجزء الأعلى من تمثال، وقد نقش على ذراعيه اسم هذا الفرعون ولقبه، وكذلك نقش على العمود الذي يستند عليه التمثال: المبجل بجانب سيده الأمير الوراثي والحاكم والعظيم عند الإله المحلى المسمى «بدي است» …

(٤-٤) بف دي خنسو وحورسا إيزيس

ونجد في نفس المجموعة تمثالين مجيبين لرئيسي الخزانة من هذا العصر. الأول ويدعى المشرف على الخزانة «بف دي خنسو». والثاني يسمى المشرف على الخزانة «حورسا أزيس»، واسمه الجميل «بسمتيك أم أخت» بن «بتاح أرديس» الذي وضعته السيدة المحترمة «تاحورديس».

(٤-٥) نسوحور

وأخيرًا يوجد في مجموعة «نورايف» الجزء الأسفل من تمثال من الجرانيت الأسود، وهو يمثل رجلًا يخطو إلى الأمام وبين يديه صورة أوزير محنط دون ناووس. ويبلغ ارتفاعه ٣٠ سنتيمترًا، وقد نقش اسم «بسمتيك الثاني» ولقبه بين ذراعي التمثال ورأسه المهشم (١): ابن رع «بسمتيك» العائش أبديًّا (٢) نفر أب (رع) عاش أبديًّا.

وعلى اليسار بالقرب من رأس أوزير نقش: «المبجل بجوار الإله الكامل رب الأرضين.»

ونقش ثلاثة نصوص جميلة على العمود الذي يرتكز عليه التمثال وعلى جانبيه، غير أنها تحتوي على أغلاط. وقد بقيت الكتابة التي على الجانب الأيمن من التمثال سليمة تقريبًا جاء فيها:

(١) الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الوجه البحري والسمير الوحيد في الحب (٢) «نسوحور» ابن «أوفرر» يقول: «يا جميع الكهنة ويا كل عالم ويا جميع الذين يمرون بي إذا أردتم أن تكون أعضاؤكم سليمة مثل كل الأعضاء السليمة فقولوا قربانًا يقدمه الملك على حساب ما يريد القلب، وهو نفس الفم المفيد للمتوفى، وبه لن يتعب الإنسان (من قول ذلك)؛ ولأن ذلك ليس مستحيلًا ولن ينقص من متاعك (ثروتك)، وأن الذي يعمل على تخليد الأثر للمستقبل سيبقى اسمه بين الأحياء ... إلخ.

أما نقش العمود الذي يرتكز عليه ظهر التمثال، فقد هشم بعضه من أعلى ومن أسفل. وجاء فيه:

الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الوجه البحري، والعظيم في «نتر» والمشرف على بابي أراضي الأخضر العظيم (البحر الأبيض المتوسط) (المسمى) «نسوحور» بن «أوفرر» ... يقول: إن أوزير يعطيني من خير أوزير، ويحضر إليَّ من طعام آلهة «حت بيت» (معبد لأوزير بالقرب من سايس)، وهو مكانه المفضل وعلى ذلك فإني أصبحت إنسانًا منعمًا (؟).

ويلحظ هنا أن اسم «نسوحور» بن «أوفرر» يذكرنا باسم القائد المعروف الذي كان في «الفنتين» في عهد الملك «إبريز» كما سنرى بعد (راجع A. Z. 28, P. 160–163).

توجد عدة جعارين وخواتم باسم هذا الفرعون (راجع L. R. IV. P. 97 ff).

(٤-٦) القائدان «نفر نفر أب رع» و«أمسيس»

تحدثنا عند الكلام على الحرب الدفاعية التي قام بها «بسمتيك الثاني» على بلاد كوش، وعن الدور الذي قام به كل من قائديه «بدي سماتوى» وأحمس أو أمسيس على حسب النقوش الإغريفية التي خلفاها لنا على تمثال رعمسيس الثاني القائم في معبد أبو سمبل، وقد كانت الحملة كما ذكرنا من قبل تتألف من جنود مصريين، وكذلك من جنود مرتزقة معظمهم من الإغريق، ويحتمل كذلك من بعض اليهود. وتدلنا هذه النقوش الإغريقية على أن الجنود الإغريق كان يقودهم «بوتاسمتو» (بدي سماتوى)، كما كان يقود الجنود المصريين القائد «أمسيس» (أحمس). ولدينا في المُتْحَف المصري ثلاثة آثار خاصة بهذين القائدين بعينهما، وهي تابوت وآنية قربان ويحملان اسم «بدي سماتوى» (بوتاسمتو)، وتمثال صغير يحمل اسم القائد «أمسيس» (أعحمس). وسنورد هنا ملخصًا لحياة «بدي سماتوى» (بوتاسمتو على حسب ما جاء على آثاره السابقة الذكر (أي: التابوت وإناء الطعام)، ثم نشفع ذلك بشيء عن حياة أمسيس كما جاءت على تمثاله.

(أ) تابوت «بوتاسمتو»

عثر على هذا التابوت في «كوم أبويس» بالوجه البحري في عام ١٨٩٦، وهو مصنوع من الشست الرمادي (راجع A. S. 38 P. 158).

اسمه وألقابه

ومن النقوش التي على تابوت هذا القائد نعلم أنه كان يسمى بالمصرية «بدي-سماتوى»، وقد نطقه الإغريق بلفظة «بوتاسمتو». وكان اسمه الذي ينادى به هو «نفر أب رع نب فنت». ومن ثم نعلم أنه كان اسمًا مركبًا تركيبًا مزجيًّا مع لقب الفرعون بسمتيك الثاني. وكان يحمل الألقاب التالية: الأمير الوراثي وحاكم المقاطعة، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد

المحبوب، والمشرف على الحجرتين (أو المصنعين) والمشرف على البلاد الأجنبية، ومراقب الأجانب. والمشرف على الإغريق وقائد الجنود والمحارب العظيم وصاحب النصر.

حياته وأسرته ومسقط رأسه

وكان قد بلغ من العمر العاشرة بعد المائة عند وفاته (وهذه السن كانت تطلق في العادة على كل من مات في شيخوخة متقدمة، كما كان العمر المثالي عند قدماء المصريين). وبعد وفاته أودع في مكان التحنيط سبعين يومًا (أو المكان الجميل كما يسميه المصريون القدامى)، وكان والده يدعى «رع» ويحمل الألقاب التالية: المحارب العظيم، صاحب النصر، كاهن آمون والكاهن «سما»، والختص بأمر إدارة «حرموتي» رب «شدن» (أبو يسن الحالية القربة من هربيط). أما أمه فكانت تدعى «تادي ست»، وتلقب ربة البيت. وقد جاء في النقوش التي عند رأس التابوت الخاص بالقائد «بوتاسمتو»، ذكر اسم مكان يدعى «جحست»؛ أي بلدة الغزال (راجع Gauthier, D. G. V P. 220). وهذا المكان في الواقع مجهول لدينا، ولم يحقق موقعه بصورة أكيدة عندنا، وتدل شواهد الأحوال على أنه مكان خرافي، وقيل: إن «أوزير» قتل فيه بفعل أخيه «ست» (راجع Ibid). وجاء كذلك ذكر بلدة «شدن» في نقوش الإناء الذي باسم هذا القائد، ولا بد أن هذا الاسم كان موحدًا باسم «كوم أبو يسن» الواقعة على مسافة قريبة من بلدة «هربيط»، وقد ذكرنا من قبل أن التابوت والإناء قد عثر عليهما في نفس «تل أبو يسن» هذا.

(ب) تمثال «أمسيس» (أحمس)

اسم «أحمس» وألقابه

ننتقل بعد ذلك إلى ألقاب «أحمس» أو «أمسيس»، كما جاءت على تمثاله السالف الذكر، فقد كان يدعى «أعح مس» (أمسيس). وكان اسمه الذي ينادى به هو «نفر أب رع» (لقب بسمتيك

الثاني) «نخت». ويحمل الألقاب التالية: المشرف على الجنود؛ أي القائد، ومبعوث الملك، والذي يحارب من أجل الملك في كل الممالك الأجنبية، والذي يعمل ما يرغب فيه الملك في النوبة، والمشرف على القلعتين في البلاد الشمالية، وكاهن الإله «سوبد» رب الشرق. واسم والده هو «ني آتوم». واسم أمه هو «نا أزيس نفر»، وتلقب ربة البيت. وقد جاء على تمثال هذا القائد اسم جغرافي مهشم يظهر أنه جزء من بلدة «صفط الحناء»، وهي البلدة التي وجد فيها تمثاله، وكذلك أشير في نقوشه إلى قلعتين مصريتين على الحدود المصرية الفلسطينية والنوبية. ومما سبق يمكن أن نوحد القائد «بوتاسمتو» بالقائد «بدي سماتوى»، والقائد «أمسيس» بالقائد «أحمس» للأسباب الآتية:

أولًا: تشابه اسميهما في النقوش الإغريقية والمصرية.

ثانيًا: لأن «بوتاسيمتو» كان قائدًا للجنود الأجانب في حين أن «بدي سماتوى» كان المشرف على الأجانب.

ثالثًا: لأن «أمسيس» كان يقود المصريين في حين أن «أحمس» كان المشرف على الجنود المصريين؛ ولأنه حارب من أجل الملك في كل البلاد الأجنبية، وعمل كل ما رغب فيه الملك في بلاد النوبة.

رابعًا: كان كل من «بدي سماتوى» و«أحمس» قد استعمل لقب «بسمتيك» بوصفه جزءًا من الاسم الذي كان ينادى به، وهذا يدل بلا شك على أنهما عاشا في عهد الملك الذي نقشت فيه النقوش، التي على تمثال «رعمسيس» بأبو سمبل (راجع A. S. 38 P. 158).

وصف مختصر لتابوت «بدي سماتوى» (بوتاسمتو) وترجمة نقوشه

لما كان تابوت «بدي سماتوى» هذا يمثل طراز توابيت هذا العصر، فقد آثرنا أن نصفه بشيء من التفصيل ليكون نموذجًا لتوابيت عصر النهضة التي نحن بصددها.

غطاء التابوت

غطاء هذا التابوت على شكل مومية مرتدية شعرًا مستعارًا ولحية مستعارة أيضًا، وعلى صدرها صدرية من الخرز في نهايتها رأس صقر عليه قرص الشمس. ويلفت النظر بنوع خاص الرسم البارز الذي على جانبي الركبة، والجزء الأسفل من الساق للمومية نفسها، فيوجد سبعة آلهة ممثلة على الغطاء وهي: الإلهات «نفتيس» و«أزيس» (وقد ظهرتا مرتين) و«نوت» والإلهة «حبى» و«كبح سنوف» و«أمستي» و«دوا موت ف»، وهم الآلهة الأربعة الذين يحمون الأجزاء المختلفة التي تنتزع من باطن الجسم في أثناء التحنيط، والإله الأول رأسه في صورة قرد ويحمي الرئتين، والثاني رأسه في صورة صقر ويحرس الأمعاء، والثالث رأسه في صورة إنسان ويحرس الكبد، والرابع رأسه في صورة ابن آوى ويحرس المعدة. وهؤلاء الآلهة الأربعة لهم أجسام آدمية، ويتبع كل واحد منهم متن ديني مأخوذ من كتاب الموتى. وسنأتي هنا على ذكر المتون التي على التابوت مع ترجمتها:

المتن الذي على الغطاء

(١) **المتن الذي على قمة الرأس:** أولًا نشاهد صورة «نفتيس» ومعها المتن التالي:

> يا أوزير «بدي سماتوى» لقد أتت إليك نفتيس، وهي الأخت إلى «جحست»[٢] إنها ترفع لك رأسك. إنها تضم إليك عظامك، إنها تركب لك أعضاءك (التي فصل بعضها عن بعض).

(٢) **المتن الذي في الوسط:** نشاهد هنا صورة الإلهة «نوت»، ومعها المتن التالي:

> يا أوزير «بدي سماتوى» الصادق القول والذي وضعته «تادي-ست» إنك مولود السماء، وقد حملت فيك «نوت» (السماء) ووارث «جب» (إله الأرض) ومحبوبه.

وأن أمك «نوت» تنتشر عليك باسمها سر السماء، ولقد وهبت أنك ستبقى إلها بدون أعدائك بوصفك إلها، وأنها قد حمتك من كل شر باسمها حامية العظيم.

(راجع Chap. Cl XXVIII PP. 467-468 Book of the Dead).

(٣) **المتن الذي على القدمين:** يشاهد هنا صورة الإلهة «أزيس»، ومعها المتن التالي:

كلمات تتلى: يا أوزير «بدي سماتوى» إن أختك «أزيس» قد أتت إليك فرحة بحبها لك، إنها ترعاك، إنها تقترب من ساقيك، وإنها تحميك، وإنك لم تغرق.

ويلحظ هنا أن السطر الأول من هذا المتن هو صورة مشوهة للسطر ٦٣٢ من متون الأهرام.

(٤) **المتن الذي حافة القدم من جهة اليمين:**

يا سبع البوابات (التي تؤلف بوابة لأوزير) يا من تخبرون عن أحوالها أوزير من العيد! هل يعرفك أوزير «بدي سماتوى» لقد ولد (ثانية) في «رستاو».

(راجع كتاب الموتى Chap. CLIV P. 329).

(٥) **المتن الذي على اليسار:**

يا فاتحي الطرق. يا فاتحي الممرات للأرواح الممتازة في بيت أوزير افتحوا أنتم (الطرق لروح أوزير «بدي سماتوى»).

(٦) **المتن الذي على الجانب الأيسر:** يشاهد هنا صورة «أزيس»، ومعها المتن التالي:

كلمات تتلى على لسان «أزيس»: لقد أتيت لأكون حاميتك يا أوزير «بدي-سماتوى» لقد أعطيتك الهواء لخيشوميك (أي) ريح الشمال الذي يخرج من آتوم. ولقد جعلت زورك يتنفس، ولقد منحتك أن تحيا إلهًا، وأعداؤك تحت نعليك (Chap. CL. P. 382).

(٧) **المتن الذي في الوسط:** يشاهد فيه صورة الإله «أمستي» ومعه المتن التالي. كلام يتلى بوساطة «أمستي»:

يا أوزير «بدي سماتوى» أني «أمستي»، إني ابنك حور محبوبك، لقد أتيت لأضمك، وإني أحضر لك قلبك المخصص لمكانه (في جسمك)، وإني حي لأكون حماية لك (Chap. CLI P. 385).

(٨) **وفي الجزء الأسفل:** يشاهد صورة الإله «دوا موت ف» ومعه المتن التالي:

كلمات يتلوها الإله «دوا موت ف»: يا أوزير «بدي سماتوى» إني «دوا موت ف» إني ابنك حور محبوبك. لقد أتيت لحمايتك من الذي سيعمل لك سوءًا، ولقد جعلتك تقف على ساقيك إلى الأبد (راجع Chap. LXV P. 502, Chap. CL P. 213).

(٩) **المتن الذي على الغطاء من الجهة اليمنى من أعلى:** يشاهد فيه صورة الإلهة «نفتيس»، ومعها المتن التالي:

كلمات تتلوها «نفتيس» إني ألف حول أخي «أوزير» «بدي-سماتوى». إني عائشة حامية لك، وإني أحمي ظهرك أبد الآبدين، وإن رع يسمع نداءك، وإن صوتك صادق أمام تاسوع الآلهة، وإن الذي يعمل ضدك لن يعيش.

(١٠) **المتن الذي في الوسط:** يشاهد فيه صورة الإله «حبي»، ومعه المتن التالي:

كلمات يتلوها «حبي» يا أوزير «بدي سماتوى» لقد أتيت لأحميك في الحياة، وإني كائن بمثابة حماية لك، وإني أهزم لك أعداءك، وإنك قد رفعت ولذلك أمدح جمالك. ولقد مددت لك ذراعيك حتى الأفق الشرقي للسماء.

(١١) **الجزء الأسفل:** نشاهد فيه صورة الإله «كبح سنوف»، ومعه المتن التالي:

كلمات يلقيها «كبح سنوف» يا أوزير «بدي سماتوى» إني ابنك حور محبوبك، إني كائن بمثابة حماية لك تحفظك في يوم العيد، إن رع يرحب بك في أفقه، إن القمر يضيء لك بضوئه، وإن قرينك قوي وكذلك روحك.

(١٢) **الجزء الأسفل (القاعدة):** يشاهد فيه صورة «أزيس»، ومعها المتن التالي:

يا أوزير «بدي سماتوى» إني أنا أختك «أزيس».

(١٣) **صورة «نفتيس» معها المتن التالي:**

يا أوزير «بدي سماتوى» إني أنا أختك «نفتيس».

(١٤) **الجزء الأسفل من اليسار نقش في شريط أفقي ما يأتي:**

كلمات تتلى: يا أوزير المشرف على الحجرتين «بدي سماتوى» الذي وضعته ربة البيت «تادي ست»، إن وارث الأرض الغربية، وهو حور الذي وضعته «أزيس» يعطيك آباءك المتوفين وأذرعتهم خلفك يا أوزير «بدي سماتوى» (بمثابة حماية).

(١٥) **يشاهد صورة الإله «أمستي» ومعه المتن التالي:**

إن الحياة في الأرض المقدسة لك يا أوزير «بدي سماتوى»، وإن روحك ستبقى فيما بعد (في المستقبل) يا أوزير المشرف على الأجانب «بدي سماتوى».

(١٦) **صورة الإله (كبح سنوف) معه المتن التالي:**

لك السلام في الأرض الغربية يا أوزير «بدي سماتوى»، وإنك ترتاح بين أهل السلام يا أوزير «بدي سماتوى» (يقصد هنا بأهل السلام أصحاب النعيم في الآخرة).

(١٧) **صورة الإله «جب» ومعه المتن التالي:**

إن روحك ستكون مقدسة في «نوت» (= السماء) يا أوزير «بدي سماتوى». وقد قدم لك ما هو خاص بك بوصفك نجمًا في السماء يا أوزير «بدي سماتوى».

(١٨) صورة «أنوبيس» الذي على جبله ومعه المتن التالي:

إنك كنت تتعلم في مكانه (أي: مكان التعليم) في شبابك يا أوزير «بدي سماتوى»، وإنك ستعيش مع كائنات العالم الآخر يا أوزير «بدي سماتوى».

(١٩) صورة الإله «ماتف» (أي: الذي يرى والده) ومعها المتن التالي:

إن اسمك هو الثابت في الأفواه يا أوزير «بدي سماتوى»، وذكراك في كل المعابد يا أوزير «بدي سماتوى».

(٢٠) صورة الإله «خر باق ف» (= الذي تحت زيتونته، وهذا لقب يعطى عادة الآلهة «تحوت» و«بتاح» و«حور» و«ست»، والإشارة هنا للإله (تحوت)، وقد يدل أحيانًا على الإله «رع») ومعها المتن التالي:

لقد مكثت سبعين يومًا في البيت الجميل يا أوزير «بدي سماتوى». ولقد حنط «أنوبيس» جسمك يا أوزير «بدي سماتوى».

(٢١) الجزء الأسفل من جهة اليمين متن أفقي جاء فيه:

كلمات تتلى يا أوزير المشرف على الإغريق «بدي سماتوى» بن «رع»، صادق القول ارفع نفسك ارفع نفسك على الجانب الأيسر، ضع نفسك على الجانب الأيمن، إن ما تمقته هو النوم والخمول، وإنه لكريه لك أن تكون تعبًا، قف، لن يكون في وسعك أن تصير متعبًا.

(٢٢) من اليمين:

كلمات تتلى إن وجه أوزير «بدي سماتوى» قد فتح، وبذلك يمكنه أن يرى رب الأفق، إن «بدي سماتوى» يعبر السماء كل يوم، وإنه يظهر بمثابة إله سرمدي.

(٢٣) من اليسار:

كلمات تتلى: إن أبواب السماء قد فتحت، وقد فتحت أبواب الأقواس بوساطة جماعة الآلهة الذين في «ب»، وإنهم يأتون إلى «بدي سماتوى» في الجبانة بالقرب من المكان الذي ناحت عليه فيه «نفتيس».

(٢٤) صورة «حبي» ومعها المتن التالي:

سيبقى اسمك من فم لفم يا أوزير «بدي سماتوى»، وإن اسمك لن يمحى أبد الآبدين يا أوزير «بدي سماتوى».

(٢٥) صورة الإله «دوا موت ف» ومعها المتن التالي:

إن الملابس ستوجد من أجلك، هكذا تقول «الإلهة نيت»، يا أوزير «بدي سماتوى» الخارج من الحجرتين، وإنها تلف جسمك يا أوزير «بدي سماتوى».

(٢٦) صورة الإله «أنوبيس» الذي أمام الساحة المقدسة ومعها المتن التالي:

إنك قد عمرت عشرًا ومائة سنة على الأرض المقدسة الخاصة بسيدك (سيده يقصد الملك)، يا أوزير «بدي سماتوى»، ولقد مكثت في مكان التحنيط سبعين يومًا يا أوزير «بدي سماتوى».

(٢٧) صورة «حور» الحامي والده ومعها المتن التالي:

إن تماثيلك ستبقى مستمرة إلى الأبدية يا أوزير بدي سماتوى، إن اسمك ينطق به عليها يا أوزير «بدي سماتوى».

(٢٨) صورة «حرخنتي-ن-ادتي» «حور الذي في المقدمة دون عينيين»، ومعه المتن التالي:

إن جسمك سيبقى في الأرض الخفية (الجبانة) يا أوزير «بدي سماتوى»، وإن اسمك يستمر على أرض الأحياء يا أوزير «بدي سماتوى».

وهكذا نرى نموذجًا من نماذج التوابيت في العصر الصاوي، ويشاهد في متونه أنها تنزع أحيانًا إلى متون الأهرام، كما تقتبس الكثير من متون كتاب الموتى، وقد ذكر في هذا المتن بعض نقاط هامة عن حياة صاحب التابوت، كما ذكرت أمور هامة من الوجهة الدينية في هذا العهد عن الشعائر الدينية التي كانت تقام للمتوفى عند دفنه، وهي كلها تنزع إلى محاربة الموت ومغالبته ليعود المتوفى إلى الحياة بعد الموت.

متون الآنية التي عثر عليها باسم «بدي سما توى»

والمتون التي وجدت على هذه الآنية تقدم لنا ألقابه وشيئًا عن مكانته ومكانة والده.

وهاك هذه الألقاب: الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الوحيد، والمشرف على الحجرتين، والمراقب على الأجانب، والمشرف على الجنود والمحارب العظيم وسيد النصر «بدي سماتوى»، واسمه المنادى به هو «نفر أب رع نب قنت» ابن المحارب العظيم رب النصر، وكاهن آمون والكاهن «سما» المرتبط بأعمال الإله «حرموتي» صاحب «شدن» المسمى «رع» صادق القول.

وبلدة «شدن» كانت مركز عبادة الإله «حرموني». ومما لا شك فيه أنها هي التي قام على أنقاضها «كوم أبو يسن» الواقع في الجنوب الشرقي من «هربيط» الحالية.

متن تمثال «أمسيس»

أما تمثال «أمسيس» أو «أحمس» فقد جاءت عليه النقوش التالية:

المتن الذي على صدر التمثال: المشرف على الجنود «أحمس»، واسمه الذي ينادى به هو «نفر أب رع نخت».

والمتن الذي حول القاعدة جاء فيه: رسول الملك والذي يحارب من أجل سيده في كل البلاد الأجنبية، والذي يعمل ما يرغب فيه جلالته في بلاد النوبة، والمشرف على الحصنين في البلاد الشمالية وكاهن الإله «سبد» رب الشرق «أحمس» واسمه الذي ينادى به هو «نفر أب رع نخت» بن «نس آتوم»، والذي وضعته سيدة البيت «نارس نفر».

والمتن الذي على ظهر التمثال جاء فيه: (أنتم يا من في (؟) حت أو ايات) نبست أمام «سبد» رب الشرق، تذكروا أنتم روحي في مخدعها (؟) في … لأن نفس فمكم (صلاتكم) مفيد للمتوفى، وإنه ليس مشينًا أن تنطقوا بشيء ممتاز. وعندما يكون الإنسان قد عمل شعائره الصالحة، فإنه يفلح على أرضه، وإن مثل هذه الشعائر ستعمل له بالمثل في المستقبل (أي: بعد وفاته).

(راجع A. S. 38, P. 193; & Br. A. R IV P. 514).

(٤-٧) حور» بن «سمتاوى تفنخت»

كشف عن قبر هذا العظيم في حفائر سقارة (راجع A. S. XLI P. 391)، ويوجد قبر «حور» هذا في الجهة الجنوبية من هرم الملك «وسر كاف». والبئر الرئيسية طول فوهتها حوالي ٩٥٠ سنتيمترًا من الشرق إلى الغرب، ٨٠٠ سنتيمتر من الشمال إلى الجنوب. وقد حفرت البئر إلى عمق ١٢ مترًا، وحجرة الدفن الجانبية الواقعة في الجهة الغربية تبلغ ١٢٠ سنتيمترًا مربعًا، وحوالي ١٤ مترًا في العمق. وقد وجد في حجرة الدفن تابوت طوله ٣٢٠ سنتيمترًا من الشرق إلى الغرب، ١٨٠ سنتيمترًا من الشمال إلى الجنوب، وقد وجد سليمًا ونقش على غطاء التابوت سطر يحتوي على صيغة القربان المنفية الخاصة بالإله «نفر توم»، كما نقش متنان المنفية

آخران حول الحافة. ونعلم من النقوش أن صاحب هذا التابوت هو «حور» ابن «سماتوى تفنخت»، وأمه هي «ارت-أرو». وتدل النقوش كذلك على أنه كان يدعى باسم آخر. والواقع أننا نعلم من النقوش المحفورة أن الاسم الذي كان ينادى به هو «نفر أب رع أم أخت»، ولكن من جهة أخرى نجد رسمًا بالفرشة على أحد جانبي المقصورة الخاصة بهذا الرجل باسم آخر، وهو «واح أب رع أم أخت». والواقع أن توحيد الألقاب التي كان يحملها صاحب المقبرة لا يجعل مجالًا للشك في صاحب المقبرة، وعلى ذلك فإنه يحتم علينا أن نستنبط أن «حور» هذا قد غير اسمه الذي ينادى به في خلال إقامة قبره. فغير اسمه «واح أب رع أم أخت» الذي قد ركب تركيبًا مزجيًّا مع لقب «بسمتيك الأول» إلى اسم «نفر أب رع أم أخت»، الذي يحتوي على لقب «بسمتيك الثاني»، ومن المحتمل جدًّا إذن أنه مات في عهد الملك الأخير.

وكان «حور» هذا يحمل الألقاب التالية:

(١) السمير الوحيد.

(٢) المشرف على الحجرة.

(٣) الكاهن والد الإله.

(٤) قريب الملك.

(٥) رئيس أسرار «روستاو».

وقد وجد مع المومية جعارين قلب من اليشب الأخضر القاتم والهمتيت واللازورد، وكذلك تمائم في صورة عيون مقدسة واحدة منها من الأبسديون والأخرى من الهمتيت واليتسب والزبرجد. أما التعاويذ الأخرى المصنوعة من الحجر، فقد وجد منها قلب من الكرنالين (حجر الدم) ومخدة وعمود «داد» (علامة الثبات الخاصة بالإله أوزير) وتعاويذ في صورة الطائر «حور»،

وتعويذة في صورة تحوت وأعمدة وازي (تعاويذ). أما التعاويذ المصنوعة من الذهب فتحتوي على قلادة (وسخت) في صورة صدرية، وبعض آلهة وعلامة دد (الثبات) وعين مقدسة وثعبان، هذا بالإضافة إلى عشرين غطاء لأصابع اليدين والقدمين، وقد وجد في حجرة الدفن أربع كوات لأواني الاحتساء أيضًا.

ويلحظ أن صاحب المقبرة قد رسم على الواقع شرقي التابوت بالمداد الأسود وأمامه مائدة قربان. هذا وقد وجدت على جدران قبر هذا الكاهن نفس النقوش التي وجدت على جدران «آمون تفنخت»، التي تحدثنا عنها ومعظمها من متون الأهرام، غير أنه يلاحظ أن النقوش هنا قد وجدت غير كاملة؛ وذلك لأن المقبرة لم تكن قد تمت عند موت صاحبها على ما يظهر. وقد نقش خارج المقصورة ما يأتي: في الجانب الشرقي متن خاص بالإلهة «نوت»، وهو مأخوذ من متون الأهرام (راجع Pyr. §§ 506–51, 52-53, 56-57).

وعلى الجانب الجنوبي: صيغة قربان للإله أوزير، ومعها قائمة قربان مؤلفة من ١٤٠ مربعًا.

وعلى الجانب الشمالي: صيغة قربان للإلهة «أوبيس» مشروحة بمتن من متون الأهرام (راجع Pyr. §§ 364–366a). ويلحظ أن زينة هذا الجانب قد تركت ناقصة في حين أنه على الجانب الغربي لم توجد أية نقوش قط.

---

[١] انظر صورة هذا التابوت شكل رقم ٩.

[٢] المكان الذي قتل فيه «ست» أخاه «أوزير».

الملك إبريز[1] (واح أب رع)

«حفره» (كما يسميه العبرانيون)

حعع-أب-رع

واح-أب-رع

٥٨٨ـ٧٥٠ق.م

يقول «هردوت»: إن «إبريز» حكم خمسًا وعشرين سنة (Herod. II, Par. 160)، ويقول «مانيتون»: إنه حكم تسع عشرة سنة (راجع Unger, Chronologie des Manetho P. 271)، أما «ديدور الصقلي»، فيقول: إنه حكم اثنتين وعشرين سنة. (راجع Diodorus Siculus, I Par. 68).

وجاء على الآثار التي وجدت له حتى الآن أن أعلى تاريخ أرخ به في سني حكمه السابعة عشرة على لوحة برلين (Berlin, No. 15593). والواقع أنه توجد خلافات بالنسبة لمدة حكمه المنفرد، وحكمه المشترك المزعوم مع «أحمس الثاني» الذي يسميه اليونان «أمسيس».

(١) سياسة إبريز الخارجية وعلاقتها بفلسطين و«لوبيا»

تحدثنا الآثار أن الملك «بسمتيك الثاني» توفي في ٨ فبراير سنة ٥٨٨ق.م على أثر مرض لم يمهله طويلًا، وذلك بعد أن حكم حوالي ست سنوات سجل لنفسه فيها على حسب ما جاء في الآثار التي خلفها لنا انتصارات في الجنوب والشمال، وقد خلفه على العرش «واح اب رع» الذي سماه «العبرانيون» «حفرة». وقد حاول بعض المؤرخين أن يبرهن على أن «إبريز» لم

يكن ابن الملك «بسمتيك الثاني» (راجع F. W. Read, Ancient Egypt 1923 P. 57–59)، وذلك على الرغم من إثبات «هردوت» بنوته صراحة في كتابه الثاني عن مصر (راجع Herod. II, 161)، وفضلًا عن ذلك ما جاء في لوحة التبني الخاصة بابنة «بسمتيك الثاني» «عنخنس نفر أب رع» المتعبدة الإلهية، وقد تحدثنا عنها مليًّا فيما سبق. وقد ادعى «ربد» أن «إبريز» لم يكن الابن الشرعي للملك «بسمتيك»، بل هو على ما يظن كان الأخ الأصغر للملك «بسمتيك الثاني» أو ابن أخته (راجع Knietz P. 2624).

والواقع أن تولي «إبريز» مهام الحكم كان يعد نقطة تحول فاصلة في تاريخ مصر السياسي في الخارج. فقد ذكر لنا أولًا «هردوت» أنه سار بجيشه على «صيدا»، ودارت بينه وبين أهالي «صور» موقعة حربية (راجع Herod. II, Par. 161). وفي بداية حكمه اشتبك بقوته البحرية العظيمة التي وضع له أساسها الملك «نيكاو» الثاني مع الأساطيل الفنيقية التي كانت وقتئذ خاضعة لحكم «بابل». ولا نزاع في أن أول عمل حربي قام به «إبريز» كان تدخله في أمور «فلسطين»، ويرجع السبب في ذلك إلى إرسال «صدقيا» سفيره إلى مصر طالبًا من المصريين إعطاءه خيلًا وجنودًا لمساعدته على عدوه ملك بابل.

وقبل أن نتحدث عن ذلك يجب أن نفهم الغرض الذي كان يرمي إليه «إبريز» من محاربة ملك «بابل» «نبوخذ نصر» القوي.

وتدل شواهد الأحوال على أنه على الرغم من صرامة العقاب الذي أنزله «نبوخذ نصر» عام ٥٩٦ق.م باليهود، فإن نار الحقد كانت تتقد في صدورهم على البابليين للانتقام، ولم يلبثوا أن أخذوا يتأهبون في عام ٥٩٤ق.م طلبًا للثأر، وذلك عندما وجدنا رسلًا في «أورشليم» وافدين من «أدوم» و«موان» و«صور» و«صيدا» ومن «العموريين»، راغبين في عقد حلف أساسه التآمر مع «صدقيا» على حكومة «نبوخذ نصر» الغاشمة (راجع أرميا الإصحاح ٢٧ سطر ٢

… إلخ)، والواقع أن الشعور العام وقتئذ كان متجهًا نحو «مصر» بحماس وقوة لدرجة أن «صدقيا» نفسه الذي كان صنيعة «نبوخد نصر» لم يكن في استطاعته صده، وكان الأنبياء الذين يقفون في وجه كل إصلاح ديني يصرون على اعتقادهم في أن هزيمة بلادهم وخضوعها لم يكن إلا حادثًا وقتيًّا، وكان أولئك الذين بقوا منهم في «أورشليم» يرددون في كل وقت ما جاء في التوراة (أرميا الإصحاح ٢٧ سطر ٩، ١٦):

> فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحالميكم وعائفيكم، وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين: لا تخدموا ملك بابل … ها آنية بيت الرب سترد سريعًا من بابل.

وقد حاول «أرميا» أن يحارب قولهم هذا، ويكسر من حدة تأثيره، ولكن دون جدوى، بل كانت النتيجة أن القوم بدلًا من الإصغاء إلى قول النبي استشاط غضبهم عليه بازدياد مستمر، وألقوا بأنفسهم في أحضان خطاياهم السابقة، وكان البخور يحرق كل يوم على أسطح المنازل، وفي أركان الشوارع على شرف الإله «بعل»، كما كان النواح على «تاموز» يشق عنان السماء عند الاحتفال بعيده (راجع حزقيال الإصحاح الثامن ١٤، ١٥):

> فجاء بي إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال، وإذا هنا نسوة جالسات يبكين على «تاموز»، فقال لي: أرأيت هذا يا ابن آدم بعد تعود تنظر رجاسات أعظم من هذه».

هذا وكان المعبد يغزوه كهنة غير مختونين ومعهم أصنامهم، (راجع أرميا الإصحاح ٣٢ سطر ٣٤، حزقيال الإصحاح ٨ الأسطر من ٧–١٣، ١٦) وسمح الملك لكهنة «مولوخ» أن يبنوا المرتفعات في وادي «ابن هنوم» (أرميا الإصحاح ٣٢ سطر ٣٥، حزقيال الإصحاح ١٦ سطر ٣١، الإصحاح ٢٣ سطر ٣٧)، أما اليهود الذين كانوا قد أحيطوا من كل جانب بأقوام من عبدة الأوثان، فقد كانت حالتهم لا تقل خطورة عن إخوانهم الذين في بيت المقدس، فقد أنكر بعضهم

إله آبائهم (أرميا ٢٩: ٢١–٣٢) في حين أن آخرين قد عبدوا أصنامهم المختارة سرًّا (حزقيال ١٤: ١–٨)، وكان هؤلاء الذين لم يتقبلوا فعلًا في حزن على دينهم وكانوا يصغون للأنبياء الذين وعدوهم انتقامًا سريعًا أمثال «اهاب» و«صدقيا» وابن «ماسياه» Maasiah و«شماياه» Shemaiah، وكان بينهم رجل واحد وهو كاهن نشأ منذ صباه في المعبد، وأشربت نفسه بآراء الإصلاح، وأعني بذلك «حزقيال» بن «يوزى» الذي قادتهم كلماته إلى تقدير موقفهم، إذا هم كانوا قد أعرضوا عن التشويش عليه والسخرية به. والواقع أنه لما أزعجه تهديداتهم أحجم عن التكلم علنًا، بل جمع حوله فئة قليلة من أتباعه في بيته في «تل أبيب»، حيث ظهرت في بادئ الأمر روح السيد عليه في حضرتهم في حوالي عام ٥٩٢ق.م (حزقيال ١: ١-٢). وهذه الطائفة القليلة العدد من المنفيين كان أفرادها على اتصال دائم بوطنهم، وكان صدى المشاحنات الدينية والمجادلات التي كانت تحدث بين الأحزاب المختلفة؛ بسبب الحوادث السياسية العالمية تحمل إليهم في الحال إلى بابل بوساطة التجار والكتاب السائحين، أو بوساطة رسل الملك الذين كانوا يرسلون بانتظام حاملين الضرائب إلى بابل (راجع أرميا ٢٩: ٣).

وقد علموا حوالي عام ٥٩٠ق.م أنه كانت هناك حوادث خطيرة وشيكة الوقوع، وأن الوقت الذي ستشفى فيه يهوذا من جراحها أخيرًا قد حان، وأنها ستأخذ مكانتها تحت الشمس، وهي المكانة التي كان قد قدرها لها «يهوه». والواقع أن ملوك «مواب» و«عمون» و«أدوم» و«صور» و«صيدا» قد أرسلوا رسلًا إلى «أورشليم»، حيث اتفقوا على الخطط التي يجب اتباعها لإشعال نار فتنة على بلاد «كلديا»، وربما كان ذلك بتحريض عن عاهل مصر (أرميا ٢٧: ١-٢). وقد أحيا تقرير ما عزموا عليه الشجاعة في نفوس الحزب الوطني وأنبيائهم. وقد اخترق «حننيا» بن «عزور» شوارع المدينة معلنًا الخبر السار للجميع (أرميا الإصحاح ٢٧، ٢٨): «هكذا تكلم رب جنود إله إسرائيل قائلًا: قد كسرت نير ملك بابل في سنتين من الزمان. أرد إلى هذا الوضع كل آنية بيت الرب التي أخذها «نبوخد نصر»، ملك بابل من هذا الموضع وذهب بها إلى بابل.»

ولكن «أرميا» كان قد صنع أنيارًا من الخشب وأرسلها للأمراء المتحالفين مهددًا إياهم بعقاب إلهي إذا لم يحنوا رقابهم للملك «نبوخد نصر»، وقد حمل النبي نيرًا على رقبته واستعرض نفسه في الشوارع في كل المناسبات، وهو حامل نيره وذلك بمثابة رمز العبودية التي أراد أن يبقى شعبه فيها وذلك لمصلحتهم الروحية. وقد قابله «حننيا» صدفة وخلع النير عن عنقه وكسره، وصاح قائلًا: «هكذا قال الرب، هكذا كسر نير «نبوخد نصر» ملك بابل في سنتين من الزمان عن عنق كل الشعوب.» وقد أثار ذلك ضحك المارين، ولكن في اليوم التالي ظهر «أرميا» بنير من حديد قد وضعه «يهوه» على عنق كل هؤلاء الشعوب؛ ليخدموا «نبوخد نصر» ملك بابل، وفضلًا عن ذلك فإنه رغبة منه في أن يقضي على أي أمل عند المنفيين في خلاص سريع كتب لهم: لا تغشكم أنبياؤكم الذين في وسطكم وعرافوكم، ولا تسمعوا لأحلامكم التي تحلمونها؛ لأنهم إنما يتنبئون لكم باسمي بالكذب وأنا لم أرسلهم يقول الرب (أرميا ٢٩: ٨-٩). وقد حثهم النبي على أن يرضوا بنصيبهم على أية حال في تلك الآونة حتى يمكن أن تحفظ الأمة وحدتها، إلى أن يأتي الوقت الذي يرضى فيه «يهوه» لإعادتها لهم؛ ولذلك يقول لهم: ابنوا بيوتًا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها (٦)، خذوا نساء ولدوا بنين وبنات، وخذوا لبنيكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات، وأكثروا هناك ولا تقلوا واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب؛ لأنه بسلامها يكون لكم سلام (أرميا ٢٩: ٥–٧)، هكذا كانت الأحوال في «فلسطين» عندما توفي «بسمتيك الثاني»، وتولى مكانه ابنه «إبريز». وكان شابًّا طموحًا تتوق نفسه للشهرة والمجد الحربي، وكان مشتاقًا لامتشاق الحسام الذي امتشقه أسلافه من قبل رغبة منه في السيطرة على بلاد «فلسطين»، وطرد البابليين منها حتى يطمئن على حدود بلاده، وقد انتهز هذه الفرصة السانحة له في بلاد «يهوذا»، ومن أجل ذلك أرسل رسله إلى «أورشليم» في اللحظة التي كان فيها هياج الشعب على بابل قد بلغ أشده؛ ولذلك لم يجد صعوبة كبيرة في إغراء «صدقيا»، والتغلب على ما كان يختلج في صدره من شكوك وأوهام، وقد

كانت كل من «آدوم» و«موان» و«فلسطين»، وهي التي كانت قد اشتركت في محادثات الحزب الثائر قد ترددت في اللحظة الأخيرة في عزمها، ورفضت قطع علاقاتها ببابل، ولم يبقَ على ولائه لحزب الثورة إلا العاموريون و«صور»؛ ولذلك تحالفوا مع مصر بنفس الشروط التي عملت مع «يهوذا». ولما رأى «نبوخد نصر» أنه لا بد من مقاومة ثلاثة أعداء حار في أيها يهاجم أولًا. أما «حزقيال» الذي وضعه مكان نفيه في موقف حسن استطاع منه معرفة مجريات الأمور، فقد أظهره لنا وهو في مفترق الطرق كما تقول التوراة: لأن ملك بابل قد وقف على أم الطريق على رأس الطريقين ليعرف عرافة: صقل السهام سأل بالتراقيم نظر إلى الكبد (راجع حزقيال ٢١: ٢١).

وكانت بلاد «يهوذا» تعد قنطرة يمكن للمصريين أن يدخلوا بوساطتها في أمان إلى «سوريا»، وإذا أمكن للملك «نبوخد نصر» أن يستولي عليها قبل وصولهم، أمكنه أن يشتت شمل التحالف ثلاثة أجزاء منفصلة، فلا يمكنها أن تتجمع سويًّا وهي «عمون» في الصحراء من جهة الشرق و«صور» و«صيدا» على ساحل البحر، والفرعون خلف خليجه في الجنوب الغربي، ومن أجل ذلك عسكر ملك بابل بجنوده في موقع وسط عند مدينة «ربلة» الواقعة على نهر «الأرنت»، ومن ثم كان في إمكانه أن يشرف على سير العمليات الحربية التي يقوم بها الأعداء، ويكون في استطاعته أن يسرع بما لديه من جنود احتياطية إلى المكان المهدد في حالة وقوع حادث لم يكن في الحسبان. وبعد أن أتم ذلك أرسل فيلقَيْ جيشه على عدويه الرئيسيين، فاخترق أحدهما جبال لبنان، واستولى على الحصون تاركًا وراءه سجلًا لانتصاراته على صخور وادي «بريا»، متجهًا جنوبًا على الشاطئ لمحاصرة «صور».

أما الفيلق الآخر فإنه حمل على «صدقيا» وأصلاه نار حرب طاحنة أحرقت القرى وهدمت المدن، يضاف إلى ذلك أن المراكز الزراعية قد أصبحت فريسة للفلسطينيين والأدوميين، كما حاصر حصني «لاكش» و«ازكاه»، ولم يظهر بجيشه أمام جدران «أورشليم» إلا بعد أن

ضرب أقاليمها، وكانت «أورشليم» قد ضيق عليها الخناق عندما وصلت الأخبار «للكدانيين» أن الفرعون «إبريز» كان يقترب من «غزة»، وقد لجأ إليه «صدقيا» في محنته ليمد إليه يد المساعدة، ولم يمض طويل زمن حتى أتت النجدة الموعودة (راجع حزقيال ١٧: ١٥): «فتمرد عليه بإرساله رسله إلى مصر ليعطوه خيلًا وشعبًا كثيرين، فهل ينجح هل يفلت فاعل هذا أو ينقض عهدًا ويفلت.» وعندئذ رفع الكلدانيون الحصار في الحال عن أورشليم، وكان قصدهم من ذلك إعاقة العدو المنقض عليهم، وعند ذلك اتكل الحزب الموالي على أن الكلدانيين سيلحقون بهم الهزيمة، وأخذوا يصبون جام لعناتهم على أنبياء الشر، وعلى أية حال فإن «أرميا» لم يكن لديه أمل في إحراز نصر نهائي. وفي ذلك تقول التوراة (أرميا الإصحاح ٣٧: ٥–١٠): «وخرج جيش فرعون من مصر، فلما سمع «الكلدانيون» المحاصرون «أورشليم» بخبرهم صعدوا عن «أورشليم» (٦) فصارت كلمة الرب إلى «أرميا» النبي قائلة (٧) هكذا قال الرب إله إسرائيل هكذا تقولون لملك «يهوذا»، الذي أرسلكم إلي لتستشيروني. ها إن جيش فرعون الخارج إليكم لمساعدتكم يرجع إلى أرضه إلى مصر (٨) ويرجع الكلدانيون ويحاربون هذه المدينة، ويأخذونها ويحرقونها بالنار (٩) هكذا قال الرب. لا تخدعوا أنفسكم قائلين إن الكلدانيين سيذهبون عنا؛ لأنهم لا يذهبون (١٠) لأنكم وإن ضربتم كل جيش الكلدانيين الذين يحاربونكم، وبقي منهم رجال قد طعنوا فإنهم يقومون كل واحد في خيمته، ويحرقون هذه المدينة بالنار.» على أن ما حدث بالفعل غير معروف لدينا، غير أنه قد جاء في رواية أن «إبريز» قبل محاربة عدوه، ولكنه هزم وذلك على حسب ما جاء على لسان المؤرخ اليهودي «جوسيفس» (راجع Josephus, Jewish Antiquities X, 7 § 3). والظاهر أن هذا المؤرخ قد استنبط ذلك من كلام النبي «أرميا» السالف الذكر، وعلى حسب رواية أخرى امتنع عن منازلة عدوه في موقعه، وعاد بكبرياء إلى مصر وهذا ما يفهم من منطوق كلام «أرميا».

وعلى أية حال فإنا لا نجد أية إشارة في كلام «أرميا» إلى هزيمة أو نشوب معركة، ولكن من جهة أخرى نجد أن أسطوله البحري قد أحرز نجاحًا على ساحل «فنيقيا»، وإنه لمن اليسير علينا أن نصدق أن منظر معسكر الكلدانيين قد أوحى إليه بالحذر والتدبر، وأن يفكر مليًّا قبل أن يضيع نتائج حملته البحرية، ويخاطر بفقدان جيشه العظيم وهو الجيش الوحيد الذي كانت تملكه مصر آنذاك في معركة لم يكن لها دخل مباشر بسلامته هو أو بسلامة بلاده.

أما الملك «نبوخد نصر»، فإنه من جانبه لم يكن متحمسًا في مطاردة عدو صاحب عدة عظيمة وعتاد جبار، بل عد نفسه صاحب حظ في تجنب منازلة «إبريز»، ورجع إلى مكانه أمام جدران «أورشليم» لمحاصرتها. ولما لم تكن تصل إلى هذه المدينة أية إمدادات فإن سقوطها لم يكن إلا مسألة زمن قصير، وقد كانت مقاومة أهل المدينة سببًا في اشتداد حنق المحاصرين. وعلى أية حال فإن اليهود قد استمروا في الدفاع عنها بشجاعة باسلة، ولكن في الوقت نفسه كان الخلاف الطائش يدب بينهم. وفي الفترة التي حول «إبريز» فيها الحصار عن المدينة سعى «أرميا» للهرب من «أورشليم» والالتجاء إلى «بنيامين»، وهي القبيلة التي كان ينتمي إليها، ولكنه قبض عليه عند بوابة المدينة متهمًا بالخيانة العظمى، فضرب ضربًا مبرحًا وألقي به في غياهب السجن، ولم يجسر الملك الذي آمن بقوله أن يفك أسره، وكان قد حبس في ردهة القصر التي استعملت سجنًا، وسمح له برغيف واحد طعامًا له كل يوم (أرميا ٣٧: ١١–٢١). هذا وكانت الردهة بمثابة مكان عام في مقدور كل وافد أن يدخل فيها يتحدث للمساجين، وحتى في هذا المكان لم ينفك هذا النبي عن الوعظ، وحث الناس على التوبة ويقول:[٢] «هكذا قال الرب الذي يقيم في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء، أما الذي يخرج إلى الكلدانيين فإنه يحيا وتكون له نفسه غنيمة فيحيا هكذا قال الرب: هذه المدينة ستدفع دفعًا ليد جيش ملك بابل فيأخذها (٤)، فقال الرؤساء للملك: ليقتل هذا الرجل؛ لأنه بذلك يضعف أيادي رجال الحرب الباقين في هذه المدينة وأيادي كل الشعب إذ يكلمهم بمثل هذا الكلام؛ لأن هذا الرجل لا يطلب السلام لهذا

الشعب بل الشر (٥)، فقال الملك «صدقيا»: ها هو بيدكم؛ لأن الملك لا يقدر عليكم في شيء.» ولما أُعطي لمتهميه ألقوا به في جب موحل، ولكنه نجا بتغاضي خصي من بيت الملك، وعلى الرغم من ذلك أخذ في الاستمرار في تهديداته ووعيده أكثر من ذي قبل، فأرسل إليه الملك سرًّا وسأله النصيحة، ولكنه لم يحصل منه على شيء أكثر من التهديدات (راجع أرميا ٣٨).

فقال: إن كنت تخرج خروجًا إلى رؤساء ملك بابل تحيا نفسك، ولا تحرق هذه المدينة بالنار بل تحيا أنت وبيتك، ولكن إن كنت لا تخرج إلى رؤساء ملك بابل تدفع هذه المدينة ليد الكلدانيين فيحرقونها بالنار، وأنت لا تفلت من يدهم (أرميا ٣٨).

والواقع أن «صدقيا» لم يكن يرغب في أكثر من اتباع نصيحته، ولكنه ذهب في أعماله لمقاومة الكلدانيين لدرجة أنه لم يكن في مقدوره أن يتخلى عن المقاومة، ولم تكن المصائب التي حلت بالسكان قاصرة على ويلات الحرب، وما تجلبه من بؤس بل زاد الطين بلة الأمراض وفظائع الجوع، ومع ذلك فإن عزيمة المحاصرين لم تتزحزح. وعلى الرغم من قلة الخبز، فإن الأهالي لم يقبلوا سماع كلمة التسليم للعدو (أرميا ٣٨: ٢، ٩، ٢٤–٢٧؛ كتاب الملوك الثاني الإصحاح ٢٥: سطر ٣). وأخيرًا بعد عام ونصف عام تحملها المحاصرون بشجاعة في آلام مريرة سلم جزء من المدينة في السنة الحادية عشرة، الشهر الحادي عشر اليوم الرابع من حكم الملك «صدقيا» أمام هجمات وضربات المنجنيق، ودخل الجيش الكلدي من النقب الذي عمل في أسوار المدينة. وعندئذ جمع «صدقيا» ما بقي له من جنود وعقد مجلسًا للاستشارة ليرى إذا كان من الممكن شق طريق في قلب حشود العدو، والتوجه إلى ما وراء «نهر الأردن». وقد هرب فعلًا «صدقيا» ليلًا من البوابة المقابلة إلى بركة «سبلوام»، غير أنه أخذ أسيرًا بالقرب من «يريحة» وحمل إلى «ربلة»، حيث كان «نبوخد نصر» ينتظر بفارغ الصبر نتيجة الأعمال الحربية التي كانت دائرة حول «أورشليم».

وقد كان الكلدانيون معتادين تعذيب أسراهم بالطريقة التي نراها ممثلة على آثارهم في «نينوه»، وبخاصة القعود على الخوازيق وسلخ جلود العصاة أحياء وقطع ألسنة الرؤساء. ونشاهد في الحالة التي نحن بصددها أن «نبوخد نصر» الذي كان صبره قد نفد يأمر بذبح أولاد «صدقيا» على مرأى من والدهم، وكذلك كان مصير كل أولاد الأمراء. وبعد أن أطفأ نور عيني «صدقيا» نفسه أرسله إلى «بابل» في السلاسل والأغلال. أما مدينة «أورشليم» التي قاومته بعناد وصبر، فقد سلمها إلى «نبوزاردان» أحد عظماء ضباطه، وأصدر إليه كذلك الأوامر بهدمها وإحراقها إحراقًا شاملًا. ومن ثم جرد المعبد من كل ما فيه من زينة جميلة، وبخاصة الحلي التي كانت تغطي جدرانه، أما العمد والزينات النحاسية التي بقيت من عهد «سليمان»، فإنها كسرت وحملت قطعها في حقائب إلى كلديا. وكذلك أُلقي بالمباني من أعلى الجبل. أما ما بقي على قيد الحياة من الحامية وكذلك الكهنة والكتاب وأعضاء الطبقات العالية، فإنهم جميعًا سيقوا إلى المنفى، ولكن عدد الوفيات في أثناء الحصار كان عظيمًا جدًّا لدرجة أن ما أرسل إلى المنفى لم يكن يتعدى أكثر من ٨٣٢ نسمة. وقد سمح لبعض فقراء السكان أن يبقوا في ضواحي المدينة، وقسمت بينهم حقول وكروم الذين نفوا من الأرض (راجع كتاب الملوك الثاني الإصحاح ٢٥: ٤–٢١، أرميا ٥٢: ٦-٢٧، ٢٩، أرميا ٣٩: ٢–٩، كتاب أخبار الأيام الثاني ٣٦: ١٧–٢٠): «فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم. ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب، بل دفع الجميع ليده (١٨) وجمع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة، وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعًا إلى بابل (١٩) وأحرقوا بيت الله وهدموا سور «أورشليم» وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة (٢٠) وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل، فكانوا له ولبنيه عبيدًا إلى أن ملكت مملكة فارس.»

وبعد أن أتى الكلدانيون على «أورشليم» تمامًا تركوا حكومتها في يد «جدليا بن أخيفام»، وهو صاحب «أرميا» (راجع كتاب الملوك الثاني ٢٥: ٢٢، أرميا ٤٠: ٥–٧)، واتخذ «جدليا» مقر

حكمه في «المصفاة» حيث عمل على جمع البقية الباقية من الأمة اليهودية حوله، وقد أخذ الفارون من ويلات الحرب يفدون إليه من «مواب» و«بني عمون» و«أدوم». وتدل شواهد الأحوال على أنه على أثر ذلك أخذت تتألف إمارة يهودية من بقايا تلك المملكة التي أبيدت. وكان النبي «أرميا» هو ناصحها الأمين، غير أن نفوذه لم يستطع أن يخلق انسجامًا بين تلك النفوس الثائرة التي كانت لا تزال تتألم وتتوجع مما حل بها من مصائب، وكانت لا تزال جروحها تنزف دمًا (راجع كتاب الملوك ٢٥: ٢٢، أرميا ٤١: ٥–٧)، والواقع أن ضباط الجنود الذين كانوا يجولون في أنحاء البلاد بعد سقوط «أورشليم» قد رفضوا على أية حال أن يعملوا في ركاب «جدليا»، بل قام واحد منهم يدعى «إسماعيل» وهو من الأسرة المالكة وقتله، ولكن «يوحنان بن فاريح» هاجمه في «جيعون» واضطره إلى الهرب وحيدًا، والتجأ عند بني «عمون» (كتاب الملوك ٢٥: ٢٣–٢٥، أرميا ٤١: ٧-١٦، ٤١: ١–١٥). وقد كان من جراء أعمال العنف هذه أن أخذ الكلدانيون ينظرون إلى هذه الأمور بعين يقظة، فقد كان «يوحنان» يخاف الانتقام وفر إلى مصر مصطحبًا معه «أرميا» و«ياروخ» والسواد الأعظم من القوم (راجع كتاب الملوك الثاني ٢٥: ٢٦، أرميا ٤١: ١٦–١٨، أرميا ٤٣: ١–٧).

وقد رحب الملك «إبريز» باللاجئين وخصص لهم بعض قرى بالقرب من مستعمراته الحربية في «دافني» (أدفينا الحالية)، ومن ثم انتشروا في المقاطعات المجاورة حتى «المجدل» و«منف» وحتى الوجه القبلي (راجع أرميا الإصحاح ٤٤: ١). ومع كل هذه المصائب لم تكن آلام إسرائيل قد انتهت، بل استمرت في كفاحها كما أخذ ملك بابل في قهر البلاد الخارجة عليه خلافًا لأورشليم، غير أنه لم يكن في استطاعته أن يقهر «صور»، ومن الجائز أن ذلك يرجع سببه إلى قوة أسطول «إبريز» الذي ورثه عن آبائه، ففي عام ٥٨٥ق.م اضطر «نبوخد نصر» إلى أن يتجه بجيشه إلى «صور»، ولا نعلم السبب الذي من أجله قامت ثورة في وجه «نبوخد نصر»، ولا بد أن السبب في ذلك يرجع إلى ما أحرزه الأسطول المصري من انتصارات. وقد

مكث البابليون ثلاث عشرة سنة ضاربين الحصار (٥٨٥–٥٧٣ق.م) أمام مدينة «صور» الجزائرية، وتدل شواهد الأحوال على أن أسطول «نبوخد نصر» لم يكن لديه السفن الكافية للاستيلاء على هذه المدينة، وقد انتهى الأمر بأن بقيت «صور» مملكة مستقلة بذاتها. ولكن مع ذلك كان لا بد أن تعترف لبابل بسيادة اسمية، وذلك عندما اضطرت المدينة إلى التسليم على يد ملكها «اتبعل الثالث». ولقد بقيت العلاقة بين «مصر» و«بابل» متحرجة، وكان «إبريز» من هذه الناحية يقظًا؛ ولذلك نرى أنه بعد أن سلمت «صور» وخضعت لسلطان «بابل» الاسمى لاحت له فرصة التدخل في أمور الشرق. وتفسير ذلك أن الأسطول الفنيقي قد أصابته أضرار جسيمة طيلة مدة الحصار، الذي فرضته «بابل» على «صور»، وبذلك أصبح أسطول «إبريز» الذي كان وقتئذ قد نظم على يد بحارة من بلاد «اليونان» العريقة في البحرية لا يضارع، وعلى ذلك لم يتأخر لحظة في مهاجمة بلاد ساحل «فنيقيا» مباشرة. وقد وقف في وجهه الملك «نبوخد نصر» بالأسطول الذي كان في متناول أهل «صور»، وكانوا قد خضعوا له حديثًا، وبخاصة عندما نعلم أن العلاقات القوية التي كانت بين «صور» و«مصر» قد أخذت تفتر من جانب أهل «صور»، عندما رأوا أن الفرعون قد أظهر ميولًا كبيرة، وحظوة عظيمة «للهيلانيين»؛ ولذلك نراهم قد طلبوا إلى أتباعهم القبارصة المساعدة على صد الهجوم المصري.

وعلى الرغم من ذلك كانت النتيجة أن الأسطول المصري قد شتت شمل الأسطولين معًا، واستولى على «صيدا» التي أباحها للسلب والنهب. أما المدن الساحلية الأخرى فقد سلمت عن طيب خاطر واحتلتها حامية مصرية، وقد أقام الضباط المصريون فيها معبدًا لآلهة هذا المكان، وهي التي وحدها المصريون بالإلهة «حتحور». وهكذا نرى أن ما كانت تصبو إليه نفس كل من الملك «نيكاو» والملك «بسمتيك الثاني»، منذ خمسة عشر عامًا قد تحقق على يد الفرعون «إبريز». غير أنه لم يتمتع بثمرات انتصاره طويلًا. وذلك أن الإغريق كانوا يفدون على بلاد «لوبيا»، منذ أن أصبحت بلاد مصر مفتوحة للتجارة مع سكان «بحر إيجة». وكان قد كشف

بحارتهم أن أسهل طريق إلى «لوبيا» هو الإقلاع مباشرة إلى «كريت»، وبعد ذلك اخترقوا البحر بين هذه الجزيرة ورءوس هضبة «لوبيا»، وهنا صادفهم تيار قوي متجه نحو الشرق حملهم بسرعة وبسهولة حتى «رقوتيس» (أو رقودة مكانها الإسكندرية الحالية) و«كانوب» على امتداد الشاطئ «المرمريقي». (أي: اللوبي)، وفي خلال تلك السفرات تعلموا كيف يقدرون قيمة هذه البلاد، وحوالي عام ٦٣١ق.م نزل الدوديون من «ترا» Thera وهم في طريقهم للبحث عن موطن جديد لهم على حسب وحي نزل عليهم في «دلفى»، في جزيرة صحراوية صغيرة في «بلاتا» Platea، حيث أقاموا مستعمرة قوية حصينة. ولم يمضِ طويل زمن حتى عبر قائدهم المسمى «باتوس» إلى اليابسة، ووصل إلى الهضبة العالية وأسس مدينة «سيريني» Cyrene على أطراف إقليم خصب جدًّا ترويه عيون غزيرة.

ومن المعلوم أن سكان هذه الجهات هم من قبائل «اللوبيين»، الذين كان لهم اتصال وثيق بالمصريين منذ أقدم العهود، فكانوا يخضعون لمصر تارة، ويحاربونها تارة أخرى كما تحدثنا عن ذلك في الأجزاء السالفة من هذه الموسوعة (راجع الجزء السابع). وقد كانوا في الوقت الذي نحن بصدده يؤلفون اتحادًا مفكك العرا، وكانت بلادهم تمتد عبر الصحراء من الحدود المصرية حتى شواطئ «سيرتس» Cyrtes. وكان رئيس الاتحاد وقتئذ يحمل لقب ملك، كما كانت الحال في أيام فراعنة الأسرة التاسعة عشرة، وبخاصة في عهدي «مرنبتاح» و«رعمسيس الثالث» (راجع الجزء السابع). وكان أعظم هذه القبائل تمدينًا أولئك الذين يسكنون بمحاذاة ساحل البحر، وأولها أفراد قبيلة «أدريماخيد» Adrymakhides الذين استوطنوا خلف «ماريا» Marea، وكانوا شبه متمصرين وذلك بتعاملهم المستمر مع سكان الدلتا، ويأتي بعد ذلك قبيلة «جيليجامس» Giligammes، ويسكن أهلها بين «ميناء بلينوس» Plynus و«جزيرة أوفرودزياس» Aphrodisias، وخلف هؤلاء يأتي ثانية قبيلة «أسبيستس» Asbystes، وقد اشتهر أهلها بركوب العربات وقيادتها، ثم قبيلتا «كابالس» cabales و«أوسيسس»

Auscyises. وكانت الواحات الداخلة في الصحراء وقتئذ في يد قبيلة تدعى «ناسامونس» Nassamones، وقبيلة «المشوش» وهم الذين يسميهم الإغريق «مكسيس»، وقد اضطرت القبيلة الأخيرة أن ترحل عن موطنها القريب من النيل إلى إقليم يقع بعيدًا في الغرب على نهر يُدعى «تريتون» Triton. ويرجع السبب في ذلك إلى ثورة من الثورات التي تستعر نارها بين قبائل الصحراء، وقد استوطنوا هناك بصفة دائمة، وبنوا لأنفسهم بيوتًا من الحجر وعكفوا على زراعة الأرض.

وقد استمروا يحافظون في موطنهم الجديد على بعض عاداتهم القديمة، مثل صبغ أجسامهم باللون القرمزي وحلق شعر رءوسهم إلا خصلة واحدة كانت تنزل مرسلة على الأذن اليمنى. ونحن نعلم من جانبنا أن الفراعنة كانوا قد أقاموا حاميات في أهم اللوحات وبنوا معابد لإلههم «آمون» وغيره. وكان أحد هذه المعابد قد أقيم بجوار عين ماء جارية ينبثق منها بالتوالي ماء دافئ وماء بارد، وقد أخذت شهرة عظيمة، وكان وحي «آمون» قبلة يحج إليها القوم من كل حدب وصوب (راجع Herod. IV, 181; A. Z., 1877 P. 8)، وأول لوبيين اتصلوا بالإغريق هم قبيلتا «اسبستس» و«جيليجمس»، وقد استقبلوا الوافدين من «الإغريق» بشفقة وزوجوهم من بناتهم، وقد كان من جراء اختلاط دم السلالتين أن نشأت أولًا في عهد ملكهم «ماتوس»، ثم في عهد ابنه «أركسيلاس الأول» Arkisilas سلالة عاملة شجاعة، وقد كان الجزء الرئيسي من دخلهم ناتجًا من التجارة في نبات سلفيوم Silphium،[٣] الذي كان يستعمل بمثابة بهار أو عقاقير، وكذلك من المصنوعات الصوفية، ولم يكن الملوك يعتقدون أنه مما يحط من قدرهم أن يجلسوا بأنفسهم عند وزن محصولهم، وتخزين حزمه في مخازنهم،[٤] وقد كان من جراء ازدياد ثروة مدينتهم أن قامت المنازعات بينهم؛ مما أدى إلى وجود ثغرة في العلاقات الودية التي كانت حتى الآن بين «لوبيا» وجيرانها. وقد أرسل الملك «باتوس» المحظوظ ابن «أركسيلاس الأول»؛ لإحضار مستعمرتين من بلاد الإغريق، وقد لبى نداءه عدد عظيم، وذلك

على حسب وحي أوحى به؛ ولكن لأجل أن يمدهم الملك «باتوس» بالأرض اللازمة لم يتردد في نزع ملكية أراضٍ من مواطنيه الموالين له، غير أن هؤلاء الذين نزعت منهم أراضيهم وضعوا ظلامتهم أمام كل الاتحاد المسمى «اديكران»، ولكن لما رأى هذا الملك أن جنوده لا يقوون على مقاومة الجنود الإغريق، لجأ بدوره إلى مساعدة فرعون مصر «إبريز» (راجع Herod. IV 150–159; Busolt, Grieschische Geschichte Vol. 1 PP. 342349).

وقد كان «إبريز» على استعداد للقيام بهذه المساعدة، وبخاصة لما سمعه عن ثروة هذه البلاد وما سيناله من مغانم هناك. وقد كانت الأخبار عن ذلك ترد إليه على لسان اللوبيين أنفسهم والإغريق. والواقع أن شره «إبريز» كان حافزًا له على القيام بهذا العمل، غير أن ما كان يعلمه من تفوق الأسطول الإغريقي ووعورة الطريق وطولها إلى بلاد صحراوية تقريبًا كان يقعده عن عزمه، فضلًا عن أنها كانت بلادًا مسكونة بقبائل متناحرة ثائرة. ولكنه لما علم أنه يمكنه أن يعتمد على مساعدة اللوبيين أنفسهم، فإنه لم يتردد في تحمل كل مخاطر هذه الغزوة، ولكنه على ما يظهر كان قد وطد سلطانه في الواحات أكثر من أسلافه، ولا أدل على ذلك من آثاره الباقية هناك، كما سنرى بعد، وقد رأى «إبريز» بثاقب فكره ألا تستعمل جنود من الإغريق لمحاربة إخوانهم الإغريق الذين كانوا يحتلون بلاد «لوبيا»؛ ولذلك فإنه ألف جيشًا من احتياطيه من المصريين وحدهم، وقد سار جنوده وهم على ثقة تامة من الظفر بالعدو محتقرين قوته. والواقع أن الجنود المصريين كانوا فرحين بتلك الفرصة السانحة؛ ليقنعوا ملوكهم بأنهم كانوا مخطئين في استخدامهم أجانب، وتفضيلهم عن الجيش الوطني. غير أنه مما يؤسف له أن الدائرة دارت على الجيش المصري في هذه الحرب، وبذلك أسفر كل تفاخرهم بقوتهم عن لا شيء. والواقع أن المصريين قد هزموا هزيمة منكرة في أول معركة عند «أراسا» القريبة من «عين تستي» Theste، التي توجد مجاورة للمكان حيث الهضاب العالية لسيريني نفسها التي تنتهي بصخور

«مرمريقا» المنخفضة. ومما زاد الطين بله أن جيش «إبريز» في تقهقره قد هلك منه خلق كثيرون، حتى إنه لم يصل إلى حدود الدلتا سالمًا منه إلا عدد ضئيل.

وقد كان من جراء هذه الكارثة التي لم تكن في الحسبان أن اندلعت نار ثورة كانت تتكون في الخفاء منذ سنين عدة، وتضرب بأعراقها إلى عهد «الملك بسمتيك الأول». وذلك أن هجرة بعض الفرق المصرية إلى بلاد «كوش» من طائفة الأجناد قد أضعفت مؤقتًا الأحزاب المعادية للنفوذ الأجنبي، وهؤلاء الأحزاب قد وجدوا أنفسهم لا حول ولا قوة لهم في عهد «الملك بسمتيك الأول»، بفضل ما كان لديه من الجنود الأجانب الذين يفوقونهم عدة ونظامًا؛ ولذلك خضعوا لإرادته ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يجهزون أنفسهم؛ ليحتلوا مكانتهم في القمة عندما تسنح الفرصة. وقد وافتهم هذه الفرصة عندما نظمت صفوف الجيش الوطني، وعلى الرغم من أن الفرعون كان يغدق الهبات على جنوده من «الهرموتبي» و«الكالازيري»، فإنه لم يستأصل بذلك أسباب التذمر الذي كان يقصي شيئًا فشيئًا جنود المشوش عن الفرعون، على أن الفرعون لو أراد تنفيذ رغبتهم لكان عليه أن يسرح جنود حرسه من الأيونيين الذين كانوا سبب الغيرة والحقد، وعلى أية حال لم يرضَ «بسمتيك الأول» ولا أخلافه في أن يخطوا هذه الخطوة.

وتدل الأحوال على أن الكره الذي كان يكنه الجنود الوطنيون لهؤلاء المرتزقين، وكذلك الثورة التي كانت في نفوسهم على أولئك الملوك، الذين كانوا يستخدمونهم قد أخذت في الازدياد بوحشيه من عهد إلى عهد، وقد كانت الآن في حاجة إلى أن تجد سببًا لتنفجر علنًا. وقد واتى الجنود الوطنيين السبب الذي يبحثون عنه في هزيمة «أراسا». وذلك أنه عندما وصل الفارون إلى معسكر «ماريا» Marea،[٥] ونار الهزيمة مشتعلة في نفوسهم، ادعوا بطبيعة الحال أن سببها كانت الخيانة، وقد وجدوا من يشاطرهم في مزاعمهم، فادعوا أن الفرعون قد أرسل إلى «سيريني» الجنود المصريين بقصد أن يتخلص منهم في ميدان القتال؛ لأنه كان يشك في ولائهم له، ولم يكن من الصعب بعد ذلك أن يثور أولئك الجنود علانية على الفرعون (Herod. IV,

(161 على أنه لم تكن هذه أول مرة ثار فيها الجنود على «إبريز» وهددوا عرشه، إذ في فترة من الزمن قبل ذلك قام الجنود الذين كانوا معسكرين في «الفنتين» — وهم الذين كانوا يتألفون من مصريين وآسيويين وإغريق مرتزقين — بعصيان؛ بسبب عدم دفع أجورهم، ومن المحتمل أن هؤلاء الأجناد هم نفس الأجناد الذين حاربوا في جيش «بسمتيك الثاني» في بلاد «كوش». وبعد أن خربوا إقليم «طيبة» ساروا في طريقهم عبر الصحراء إلى ميناء «شاشيرت»، مؤملين أن يستولوا على سفن تمكنهم من الوصول إلى ميناء «أدوما» أو ميناء «نباتا» Nabataea، وقد تمكن «نسيحور» حاكم «الفنتين» في بادئ الأمر من كبح جماح الثوار بوعده إياهم بالوعود الخلابة، ولكنه عندما علم أن الملك «إبريز» يقترب منه بنجدات هاجمهم بكل جسارة، وساقهم أمامه وحاصرهم بين جنوده وجنود الفرعون، وذبحهم عن آخرهم. وقد ترك لنا «نسيحور» هذا تمثالًا لنفسه دون عليه قصة هذا العصيان. وكان أول من فهم المتن الذي جاء على هذا التمثال هو الأثري «شيفر» (راجع Schaefer, Beitrage Zur Alter Geschiechte IV, 152–163, Pls. I-II; & Br. A. R. IV § 989–995) والواقع أن ما جاء من نقوش على هذا التمثال يؤكد ما جاء في كتاب «هردوت» عن هذا العصيان.

وسنتحدث أولًا عما جاء على هذا التمثال، ثم نورد ما ذكره «هردوت» في هذا الصدد، وبعد ذلك نستخلص نتيجة بقدر ما تسمح به المعلومات التي لدينا. وفي الحق أن القصة التي ذكرها لنا «نسيحور» لم تكن قد فهمت في بادئ الأمر على حقيقتها، وذلك أن «نسيحور» هذا كما جاء في نقوش تمثاله كان قائد حامية «الفنتين»، وقد أخذ على عاتقه القيام بعدة أعمال خيرية للآلهة المحليين تمشيًا مع الروح الديني الذي ساد في العصر «الساوي». وقد حدث أن الجنود المرتزقين الأجانب ثاروا وعزموا — كما حدث من قبل مع الجنود «الأوتومولیين»، الذين ذكرهم «هردوت» — على أن يهاجروا إلى بلاد «كوش»؛ ليقطنوا إقليمًا يدعى «شاس حرت»، وقد أفلح كما ذكرنا من قبل «نسيحور» في إقناعهم بالعدول عن عزمهم، ولكنه في

النهاية سلمهم للفرعون «إبريز» الذي عاقبهم على ذلك. ولما كان «نسيحور» قد اعتقد أن اللآلهة الذين كان يقوم لهم بالأعمال الصالحة، قد أنجوه من الورطة الخطيرة التي كان على شفا الوقوع فيها بين قوم من الجنود الأجانب الثائرين، فإنه لم يرَ بدًّا من قص هذه الحادثة على تمثاله الذي نحن بصدده بمثابة باعث على أعماله الطيبة لآلهة الشلال الأول، ومن ثم نجد أن هذا النص يقدم لنا برهانًا قاطعًا معاصرًا عن حالة عدم الاستقرار بين القوات الحربية، التي كان يتألف منها جيش مصر الذي كان يعتمد عليه الملوك «الساويون» وقتئذ، وسنرى بعد سرد نقوش هذا التمثال هنا، أنه قد حدثت ثورة عسكرية أخرى بين الجنود امتد خطرها، وانتهت بخلع الملك إبريز نفسه. وهاك النص الذي جاء على تمثال «نسيحور»:

... بمثابة سيده، مماثل له، والذي نصبه جلالته في وظيفة عظيمة جدًّا، وهي وظيفة أكبر أولاده (كانت بلاد الجنوب في عهد الإمبراطورية يحكمها نائب ملك كان في الأصل أكبر أولاد الملك. «راجع عن ذلك الجزء العاشر»)، وحاكم باب الأقاليم الجنوبية ليصد البلاد التي تثور عليه. وعندما نشر الخوف منه في البلاد الجنوبية، فروا إلى واديهم خوفًا منه، والذي لم تفتر يقظته في البحث عن الفوائد لسيده المكرم من ملك الوجه القبلي والوجه البحري «إبريز» (حعع-أب-رع) المفضل عند ابن رع (واح-أب-رع) «نسيحور» واسمه الذي ينادى به هو «منخ-أب بسمتيك» (قلب بسمتيك ممتاز) وابن «أوفرر»، والذي وضعته سيدة البيت «تسنتحور» (تاش. ت حور) المرحوم. يقول: يا رب القوة وخالق الآلهة والناس! «خنوم» سيد الشلال «وساتت» و«عنقت» إلهتا «الفنتين»! إني أنعم بأسمائكم وإني أمدح جمالكم، وإني خلو من التراخي في عمل ما ترغبون فيه، وإني أملأ قلبي بحضرتكم (روحكم) في كل تصميم أعمله. فليت روحي تذكر بسبب ما أنجزته في بيتكم. لقد أمددت معابدكم ببهاء بأوانٍ من الفضة وماشية عديدة، وبط وأوز، وقربانهم (دخلهم) بوقف من الأرض،

وكذلك لحراستها أبد الآبدين وأقمت حظائرها في مدينتكم، وأعطيت نبيذًا جميلًا جدًّا من الواحة الجنوبية، وشعيرًا وشهدًا في مخازنكم التي بنيتها من جديد بالاسم العظيم لجلالته، ومنحت زيتًا مضيئًا لإشعال مصابيح معبدكم. وعينت نساجين وخادمات وغسالين؛ لأجل خزانة ملابس الإله العظيم الفاخرة وتاسوعه المقدس، وبنيت محلاتهم في معبده متينة أبديًّا بمرسوم من الإله الكامل رب الأرضين «إبريز» العائش أبديًّا.

جزاء الأعمال الصالحة

تذكروا من كان في قلبه تجميل بيتكم وهو «نسيحور»، الذي بقي اسمه في أفواه المواطنين مكافأة على هذا. دعوا اسمي يبقى في بيتكم ودعوا روحي تذكر بعد حياتي، ودعوا تمثالي يبقى واسمي يستمر عليه دون أن يفنى في معبدكم.

نجاة «نسيحور»

لأنكم نجيتموني من حالة سيئة، من الجنود المرتزقة (الرماة اللوبيين)، والإغريق والآسيويين والأجانب الذين صمموا في قلوبهم على أن … والذين كان في ضمائرهم أن يذهبوا إلى «شاس حرت» (مكان في بلاد كوش؟) وقد خاف جلالته بسبب الشر الذي فعلوه. وقد أعدت الطمأنينة إلى قلوبهم بالبرهان ناصحًا، فلم أسمح لهم بالذهاب إلى بلاد النوبة، بل أحضرتهم إلى المكان الذي كان فيه جلالته، وقد أوقع جلالته بهم العقاب.

يأتي بعد ذلك صلاة جنازية تحتوي على ألقاب «نسيحور» وهي «الأمير الوراثي»، والحاكم، وحامل خاتم الملك، السمير الوحيد المحبوب، العظيم في وظيفته، العظيم في رتبته، الموظف على رأس القوم وحاكم باب الأقاليم الجنوبية.

ولم يكن هذا التمثال هو الأثر الوحيد الذي تركه لنا «نسيحور»، بل خلف لنا لوحة تلقي بعض الضوء عن الحياة الدينية والاجتماعية في هذا العهد، وهي محفوظة الآن في متحف «كوبنهاجن» Kopenhagen, Glyptothek Ny Carlsbeng No. 795; A. Z. 72, P. 40–52.

وتقدم لنا البرهان المحس على الهبات التي قدمها للآلهة والمعابد.

وهذه اللوحة كما يقول الأثري «كيس» هي كمعظم اللوحات التي من هذا العصر يحتوي متنها على الأوقاف، التي حبست على المعبد وسنحاول أولًا ترجمتها على الرغم مما أصابها من تهشيم في جزء كبير من نقوشها. وهاك الترجمة:

> (١) السنة الرابعة الشهر الأول من فصل القبضان (اليوم الأول) في عهد جلالة حور (المسمى) الطيع القلب، ملك الوجه القبلي والبحري، السيدتان (المسمَّى) رب السيف، حور الذهبي (المسمى) الذي يجعل الأرضين تينعان، والذي يفرح قلب رع، ابن رع (المسمى) (واح-أب-رع) عاش مخلدًا المحبوب من الكبش سيد «منديس»، الإله العظيم العائش (٢) أمر جلالته أن تمنح قرية مؤسسة الكبش سيد «منديس» «لنسيحور»، الواقعة في مركز «نابوات» التي في مقاطعة «ثبو» (وهي المقاطعة العاشرة. راجع أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ص٥–١٥) ألف وستمائة أرورا (الأرورا = ـ فدان) في دائرتها بكل أناسها، وكل قطعانها وكل ممتلكاتها الأخرى من حقول وقرية وأوزتين (رمح) يوميًّا، على أن يضاف لها ٢٤٠ إوزة (سرت)، ودخلها الذي يحصل عليه من هذه القرية وهو ١٢ مكيالًا (خاخا) من الشعير سنويًّا، وهن واحد من النبيذ يوميًّا من الذي يجلب من الواحة الخارجة من الذي ينمو في حديقة «نسيحور»، التي هناك (أي: الواحة الخارجة) (كل ذلك يمنح) قربانًا للإله والده الكبش رب

«منديس» الإله العظيم العائش زيادة عما كان له من قبل؛ وذلك لأنه أراد أن يعمل قربات مقدسة لوالده الكبش سيد «منديس» الإله العظيم العائش إلى أبد الآبدين. وأمر جلالته بمنح ٢٠٠ رغيف ودن يوميًّا ... جرة نبيذ يوميًّا، و... للإله أوزير (٩) (وفضلًا عن ذلك) إوزة (رمح) في كل يوم من أيام النسيء (؟) ... ٨ ... لتكون قربات إلهية للإله «أوزير-حعبي» الذي في المعبد على حامله (؟) (...) من كل، الذي «نسيحور» الذي اسمه الجميل «منخ-أب-بسمتيك» ابن «أوفرر» بمثابة قربان (تحضر) هناك وعلى ذلك فإنه يمنح الحياة.

(١-١) تعليق

إن الواقف الحقيقي لهذه الأشياء هو «نسيحور» بن «أوفرر»، وكان يحمل في هذا العصر الساوي على حسب تقليد يرجع إلى الدولة القديمة اسمًا آخر، ينادى به في البلاط وهو «منخ-أب-بسمتيك»، وهذا الاسم كان في ذلك العصر هو الاسم الجميل لا الاسم الرسمي، كما كانت الحال في الدولة القديمة. وعلى الرغم من أن «نسيحور» هذا، وقد ظهر على لوحته هذه بدون ألقاب، فإنه معروف لدينا من أثر آخر تركه لنا، والنقوش التي على تمثال «اللوفر» (A. 90) تشهد أن الملك «إبريز» قد عينه ابنه الأكبر المشرف على البلاد الأجنبية، وهي الوظيفة القديمة التي كان يطلق عليها «ابن الملك صاحب كوش»، ولكن كان مقر حكمه الآن بلدة «الفنتين»، وبذلك منع قيام ثورة مدبرة قد تحدثنا عنها فيما سبق.

Schaefer, Klio IV (1904) Taf. 1-2; Cf. Pierret, Inscrip. Du Louvrel, P.) .(22; Maspero, A. Z. 22 P. 88

وفضلًا عن ذلك تتحدث هذه النقوش عن نشاط «نسيحور» في الأعمال التي قام بها في معبد آلهة «الفنتين»، وبخاصة «خنوم» و«ساتت» و«عنقت»، وهذا يقدم لنا بعض مجال حياة

صاحب الوقف الذي نعلم من لوحة «كوبنهاجن» أنه كان كذلك في عهد «إبريز» صاحب ممتلكات شاسعة في إقليم «طيبة» و«الواحات». ويلحظ أن تمثال «اللوفر» (A. 90)[٦] قد ذكر اسم «أوفرر» فقط دون أن يشفعه بأي لقب (راجع A. Z. 44 P. 44).

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الاسم كان قد ظهر نادرًا جدًّا. والحالة التي ظهر فيها كانت على تمثال من الجرانيت في مجموعة الأثري «تورايف»، بنفس الألقاب التي كان يحملها «نسيحور» الذي نحن بصدده. ولا شك في أن هذا التمثال الذي يحمل صاحبه صورة الإله «أوزير»، والذي من نقوشه نفهم أنه كان منصوبًا في معبد «أوزير» في سايس يرجع عهده إلى حكم الملك «بسمتيك الثاني» القصير، ويدعى صاحب «نسيحور» وكان يحمل على حسب رأي الأثري «تورايف» لقب المشرف على فتحات فمي النيل. ومن ذلك نفهم أن «نسيحور» كان فيما سبق معينًا في الطرف الآخر من حدود البلاد؛ أي في شمالي مصر في حين أنه كان في عهد «إبريز» معينًا في الطرف الجنوبي من البلاد. ولدينا لقب يشبه ذلك يحمله موظف في العصور المتأخرة، وهو حاكم أراضي البحر الواقعة في إقليم «الفيوم» (هوارة)، ويعني بذلك رئيس فتحات (بحيرة موريس)، وهي التي تسمى بشيء من المبالغة بلفظة المحيط، ومن المحتمل أن «نسيحور» كان يحمل هذا اللقب أيضًا، وهذا التمثال يسمى في نقوش الإلهة «تورايت» العظيم في «أزيوم» (بهبيت)، وهذا اللقب كما أكد لنا «تورايف» بحق كان يمنح لأكبر موظف في العصر «الساوي»، ويحتمل أن حامله كان ضمن أقرب المقربين للملك. ومما سبق نفهم أن «نسيحور» لم يكن من العظماء الذين ينتمون إلى أسرة إقطاعية؛ أي من الذين كانوا فيما مضى يرجع أصلهم إلى إقطاع دائرة إمارة إقليم «طيبة» الروحية، بل كان ضمن هؤلاء العظماء الجدد الذين كانوا على ولاء تام للملك، وكان أصلهم من الجنوب وكان مثله في ذلك كالأفراد الذين تناولهم «رانكة» عند التحدث عن عظماء رجال «بسمتيك الأول».

وهذا أمر أساسي عند فحص حالة أرض وقف، كالتي في المقاطعة العاشرة من الوجه القبلي. وإذا كان «نسيحور» بالنسبة لمدة حكم «بسمتيك الثاني» القصير الذي يبلغ حوالي ست سنوات قد سُمي باسمه الجميل فعلًا في عهد «بسمتيك الأول»، فإنه في السنة الرابعة من عهد «إبريز» وهو تاريخ اللوحة التي نحن بصددها كان قد بلغ على أقل تقدير نحو خمس وعشرين سنة في خدمته، ويحتمل أكثر من ذلك؛ وذلك لأنه كان وقتئذ يحمل لقب الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الوجه البحري، وهذه هي أعظم الألقاب في التاريخ المصري القديم. ومن ثم نجده وقتئذ متقدمًا في السن، وعلى ذلك أخذ في وضع أساس لأعمال صالحة له في أهم معبد في موطنه وهو بلدة «منديس».

وقد ظن «إبريز» أن العصيان الذي حدث عند «ماريا» Maraea ستكون نتيجته كالعصيان الذي تحدثنا عنه هنا، وهو الذي قضى عليه «نسيحور» بحسن تصرفه؛ ولذلك فإنه أرسل إليهم «أمسيس» وهو أحد قواده لتهدئة الأحوال. ويظهر أنه كان من أسرة كريمة كما سنشرح ذلك بعد. على أن ما حدث في معسكر هؤلاء الأجناد غير واضح لنا تمامًا؛ وذلك لأن مجرى الحوادث الحقيقية قد شوه على لسان الرواة لها، حتى أصبحت وكأنها أسطورة من الأساطير. فقد رُوي أن «أمسيس» هذا قد ولد من أبوين وضيعين في قرية تدعى «سبيوفي» على مقربة «سايس» (وهي قرية «الصفة» الحالية). (راجع Herod. II, 172)، وقد كان كما يقال مغرمًا بالشراب وملاذ المائدة والنساء، كما كان يجمع المال لنفسه من إخوانه وجيرانه بالسرقة، فكان دائمًا يصرف أوقاته في اللهو والانغماس في اللذات وبالاختصار كان بعيدًا عن الفضيلة سليطَ اللسان يسخر من إخوانه. وقد رُوي عنه كذلك أنه قد كسب حظوة «إبريز» بما كان يبدو على محياه من بسمة دائمة الإشراق، ونكتة حلوة (راجع Herod. II 179)، وفي رواية أخرى كسب ثقة الفرعون باهدائه إياه تاجًا من الزهر في يوم عيد ميلاده (Hillanicus of Lesbos, Frag. 151, in Muller-Didot. Frag. Hist. Graec. Vol. 1 P. 66).

غير أنه هنا يلحظ أن الملك الذي أعطاه «أمسيس» هذا التاج كان يدعى «باتارميس» Patarmis، وربما كان تحريفًا لكلمة «إبريز». وتستمر القصة فتقول لنا: إنه عندما كان يخطب في الثوار الذين قاموا في وجه «إبريز» انزلق واحد منهم خلف «أمسيس»، ووضع على حين غفلة منه على رأسه تاج فرعون المستدير، ولم يسع المتفرجين عند ذلك إلا أن اعترفوا به ملكًا على مصر، وبعد أن تظاهر قليلًا بعدم قبول هذا التاج خضع لإرادتهم وقبل هذا الشرف. وعندما وصلت هذه الأخبار إلى «سايس» أرسل الملك «إبريز» أحد ضباطه المسمى «باتاربميس» Patarbemis مزودًا بالأوامر لإحضار هذا الخارج على سيده على قيد الحياة، وكان «أمسيس» وقت وصول الرسول ممتطيًا صهوة جهواده، وعلى أهبة حل معسكره والذهاب لمحاربة سيده السابق.

وعندما علم «أمسيس» بالرسالة التي كان يحملها الرسول كلفه بأن يحمل جوابه لسيده، وهو: أنه كان يعمل الاستعدادات للخضوع ورجا الفرعون أن يمنحه بضعة أيام حتى يمكنه في خلالها أن يحضر كل الرعايا المصريين الخارجين معه أمام الفرعون. وتضيف التقارير التي وصلت إلينا أن «إبريز»، عندما وصل إليه هذا الجواب الواقع أخذته نوبة غضب وحنق، وأمر بجدع أنف «باتاربميس» وصلم أذنيه، وقد قيل: إن القوم الذين أخذتهم حمى الغضب من أجل ذلك انفضوا من حوله، وانضموا إلى جانب «أمسيس»، ولكن الجنود المرتزقين على أية حال قد حافظوا على ما كان قد وضعه أسيادهم المصريون فيهم من ثقة وإخلاص. وعلى الرغم من أن عددهم كان لا يزيد على ثلاثين ألف مقاتل مقابل شعب بأسره، فإنهم انتظروا الهجوم عليهم بعزم وقوة بأس عند مدينة «مومنفس» (كوم الحصن)، التي تبعد حوالي ثلاثين كيلومترًا من «دمنهور الحالية» (راجع أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ص٧٠) حوالي عام ٥٦٩ق.م، وقد كان الجيش المصري ضخمًا فلم يقوَ على مقاومته «الكاريون» و«الإغريق»، فانهزموا أمامه وولوا هاربين بعد معركة استمرت يومًا واحدًا (راجع Herod. 161, 162,

169). هذا ويلحظ أن «ديدور الصقلي» قد جعل مكان الموقعة التي وقعت بين الجيشين في بلدة «ماريا» نفسها (راجع Diodorus Siculus, I, 68)[٧] وقد كان من نتائج هذه الموقعة أن أخذ «إبريز» أسيرًا، وقد عامله «أمسيس» معاملة حسنة، بل تدل شواهد الأحوال على أنه بقي يحمل مظاهر العظمة الملكية لمدة أو بعبارة أخرى اشترك مع «أمسيس» في الملك، ولكن سكان «سايس» ألحوا في طلب إعدامه، مما اضطر «أمسيس» إلى أن يسلمه إليهم لينتقموا منه، فشنقه الشعب الهائج، ومع ذلك فإنه كما يقال دفن باحتفال مهيب بين القصر الملكي ومعبد الإلهة «نيت»؛ أي على مقربة من المكان الذي ثوى فيه أسلافه بفخار. وبعد ذلك أصبح «أمسيس» المغتصب الحاكم المفرد لمصر. هذا ملخص ما ورد إلينا فيما تركه لنا الكتاب الإغريق، غير أنه لا يتفق تمامًا مع ما جاء في النقوش الأثرية التي عثر عليها، وبخاصة في لوحة «الفنتين».

(٢) لوحة الفنتين

وهذه اللوحة على الرغم من أنها وصلت إلينا مشوهة، فإنها تعد أهم وثيقة على ما يظهر وقعت في أيدينا حتى الآن من العهد الساوي. وهي من الجرانيت الوردي، ويبلغ طولها ١,٧٥ متر وعرضها ٠,٩٥ متر، وقد وجدت مستعملة جزءًا من أسكفة باب القصر الذي كان يسكنه القائد «كليبر» بالقرب من «جنينة الأزبكية»، وهي الآن بالمُتْحَف المصري. وقد نشرها أولًا الأثري «دارسي» (Rec. Trav. XXII 2, 3)، ومما يؤسف له أن هذه اللوحة قد تآكلت بدرجة عظيمة، حتى إن الإنسان لا يكاد يصادف فيها أسطرًا سليمةً تقريبًا. ويلفت النظر هنا أن الترجمة التي أوردها «دارسي» لهذه اللوحة تكاد تكون في غالبيتها تخمينًا، وقد حاول الأستاذ «برستد» أن يلخصها أولًا، ثم ترجم ما بقي من النقش، وأخيرًا أورد الأثري «كنيتز» ملخصًا لها لا يخرج عما أورده «برستد».

(Br. A. r. vol. iv. §§ 996–1007: Friedrich karl knietz. Die Politische Geschichte Agyptens Vom. 7. Bis Zum 4. Jahrhundert vor der Zeitwende P. 161–165).

وسنورد هذا أولًا ما أمكن فهمه على الوجه الصحيح، من حيث الترجمة على حسب رأي الأستاذ «برستد». وسير الحقائق التاريخية التي تقدمها لنا هذه الوثيقة في جملتها واضح، على الرغم من الإبهامات وعدم التأكد من التفاصيل بسبب تشويه المتن. ففي السنة الثالثة من حكم الملك «أحمس الثاني»، نجد أن الملك «إبريز» المخلوع يسير على رأس جيش لمنازلته من جهة الشمال، وهذا الجيش كان يتألف من قوة من الأجناد الإغريق، وكذلك من أسطول بحري، وقد كان «إبريز» هو الذي بدأ الهجوم وتقدم في زحفه حتى مشارق مدينة «سايس»، حيث كان «أمسيس» قد استعد بجيشه لملاقاته، وقد وقعت الواقعة، وأسفرت نتيجتها عن هزيمة «إبريز» هزيمة منكرة إذ قد شتت شمل جيشه، غير أن الملك المخلوع وجنوده قد استمروا يجوسون خلال الديار المصرية في شماليها قاطعين الطرق، وعائشين على السلب والنهب بطبيعة الحال، وفي الوقت نفسه فر «إبريز» هاربًا مع بعض السفن الإغريقية (؟) ولما انقضى أربعة أو خمسة أشهر على هذه الحال اضطر «أمسيس» أن يرسل إليه جنوده للقضاء على البقية الباقية من جيشه، وخلال تلك العملية كان «إبريز» قد ذبح.

هذا ملخص ما جاء في لوحة «الفنتين»، أما البيان الذي أورده لنا «هردوت» فإنه يبتدئ عند نقطة مبكرة عن ذلك في موضوع اغتصاب «أمسيس» لعرش البلاد؛ أي بعد عودة الجيش المصري مهزومًا من بلاد «لوبيا»، وإعلان جنوده العصيان على الملك (راجع Herod. II 162-3)، فيقول «هردوت» في ذلك: وعندما سمع «إبريز» بذلك أرسل «أمسيس» لتهدئة خواطرهم بالإقناع، ولكنه عندما وصل إليهم عمل جهده لكبح جماحهم، وعندما كان يدفعهم إلى التخلي عن القيام بمشروعهم قام أحد المصريين الذين كانوا واقفين خلفه بوضع قبعة على رأسه،

وعند وضعها قال: إنه وضعها على رأسه ليجعله ملكًا. وهذا العمل لم يكن قط مكروهًا لدى «أمسيس»، كما أظهر ذلك في الحال؛ وذلك لأن الثوار عندما نصبوه ملكًا على المصريين استعد لقيادة جيش على «إبريز»، ولكن عندما أعلن «إبريز» بذلك أرسل إلى «أمسيس» رجلًا ذا وزن من المصريين الموالين له، وكان اسمه «باتاربميس» ومعه الأوامر لإحضار «أمسيس» حيًّا إلى حضرته.

وعندما وصل «باتاربميس» وأمر «أمسيس» بالمثول أمام الفرعون لم يسع «أمسيس»، إلا أن رفع ساقه (إذ اتفق أنه كان وقتئذ ممتطيًا جوادًا)، وأرسل ريحًا وأمره أن يحمل ذلك إلى «إبريز»، ومع ذلك فإن «باتاربميس» رجاه؛ لأن الملك قد أرسله ليذهب إليه، ولكنه أجاب: إنه كان منذ بعض الوقت يستعد لعمل ذلك، وإنه ليس لدى «إبريز» سبب للشكوى، وإنه لن يظهر أمامه وحده فقط ولكن سيحضر معه آخرين، وعندما فطن «باتاربميس» لما كان يضمره وشاهد التجهيزات تعمل عاد في سرعة؛ لأنه أراد أن يعلم الملك على وجه السرعة بقدر المستطاع بما هو جار.

وعلى أية حال عندما عاد إلى «إبريز» دون أن يحضر معه «أمسيس»، فإن «إبريز» دون أي تدبر وفي ثورة غضب أمر بأن تجدع أنفه، وتصلم أذناه (يقصد «باتاربميس»)، ولكن عندما رأى سائر المصريين الذين كانوا لا يزالون منحازين إلى جانبه أنه قد عامل بتلك الصورة المزرية واحدًا من أعظم المشهورين بينهم لم يتوانوا لحظة واحدة في الانحياز في الحال إلى الجانب الآخر، وسلموا أنفسهم «لأمسيس» (١٦٣) وعندما سمع «إبريز» بذلك سلح جنوده وسار لمقابلة المصريين، ولكنه كان معه كاريون وأونيون يبلغ عددهم ثلاثين ألفًا، وكان له قصر في «سايس» شاسع المساحة فخم. وزحف حزب «إبريز» على المصريين كما زحف حزب «أمسيس» على الأجانب، وتقابلوا بالقرب من «مومنفس» واستعدوا للقتال. (١٦٩) وعندما كان «إبريز» يقود أجناده (الأجانب)، و«أمسيس» يقود كل المصريين، وتقابلوا سويًّا

عند «مومنفس» ووقعت الواقعة بينهم حارب الأجانب بشجاعة، ولكنهم كانوا أقل عددًا فحاقت بهم الهزيمة.

وكان «إبريز» يعتقد أنه لا يستطيع أحد حتى ولا الإله أن ينزع منه مملكته، فقد كان يظن بصورة مؤكدة أنه ثابت في مكانه. ولكنه عندما خاض غمار المعركة هزم وأخذ أسيرًا، وحمل ثانية إلى «سايس» إلى القصر الذي كان يملكه فيما سبق، وأصبح الآن في قبضة «أمسيس»، وقد استُبقي هناك لمدة في القصر الملكي، وقد عامله «أمسيس» معاملة حسنة ولكن في نهاية الأمر شكا المصريون من أنه لم يكن على حق في المحافظة على رجل كان ألد عدو لهم وله، وعلى ذلك سلم «إبريز» للمصريين، فشنقوه ثم دفنوه في ضريح أجداده، وكان هذا المكان المقدس للآلهة مترفًا بالقرب جدًّا من المعبد الذي على اليد اليمنى عندما تدخل ... إلخ.

ومن رواية «هردوت» نعلم أن اغتصاب «أمسيس» للملك كان قد بدأ في وقت مبكر عن الوقت الذي جاء في متن اللوحة. وتدل شواهد الأحوال على أنه بعد هزيمة «إبريز» وخلعه من عرش الملك على يد «أمسيس»، كما جاء في «هردوت»، استغل «إبريز» شفقة «أمسيس» ورأفته به حتى إنه أفلح بعد ثلاث سنوات في الهرب، وجمع جيشًا من الأجناد الإغريق لمحاربته، ولكنه هزم معهم ثانية كما جاء في اللوحة. وإذا كان هذا الترتيب في الحوادث صحيحًا كانت الموقعة الثانية كما جاء ذكرها على اللوحة تشبه كثيرًا الأولى، مما حدا بهردوت إلى عدم تمييزها؛ لأنه لم يقل عنها شيئًا، وهذا قول أرجح من أن نوحد الواقعة التي جاءت في اللوحة، مع الواقعة التي ذكرها «هردوت»، وفي هذه الحالة كان «أمسيس» قد حكم أكثر من سنتين على الأقل قبل أن يهاجمه «إبريز»، وعلى ذلك لم يكن هناك مجال لبقاء «إبريز» في حبس «أمسيس»، كما قص علينا ذلك «هردوت» بوجه خاص اللهم إلا إذا فرضنا أن «إبريز» كان قد أسر في الواقعة التي جاءت على اللوحة (وهذه الحقيقة لم تذكر فيها)، وبقي مع «أمسيس» لمدة أربعة أو خمسة أشهر ثم هرب بعدها إلى السفن الإغريقية ليذبح هناك. وقصة موت «إبريز» كما رواها «هردوت»

من الصعب جعلها تنسجم مع القصة التي جاءت على اللوحة بأي فرض كان، ولكن المصدرين يتفقان في أن «أمسيس» قد احتفل احتفالًا كريمًا بدفن «إبريز»، على حسب ما جاء في «هردوت» بين أجداده في «سايس».

وهاك ما جاء على اللوحة:

> السنة الثالثة الشهر الثاني من الفصل الثالث (الشهر العاشر من السنة) في عهد جلالة «حور رع» مثبت العدالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، السيدتان (المسمى) ابن «نيت» موطد الأرضين، حور الذهبي (المسمى) منتخب الإله «خنوم أب رع» ابن رع من صلبه (المسمى) «أحمس» بن «نيت»، محبوب «خنوم»، سيد «الشلال» و«حتحور» القاطنة في «زاموت» معطي كل الحياة والثبات والرضا مثل رع أبديًّا (٢) الإله الكامل العامل بساعده العظيم البطش ... ويأتي بعد ذلك بيان يقول: إن جلالته كان في قاعة القصر يتدبر أحوال البلاد عندما أتى واحد ليقول لجلالته: إن «إبريز» (حعع-أب-رع) (٣) قد أقلع جنوبًا ... سفن الـ... في حين كان إغريق لا عدد لهم يحيون خلال الأرض الشمالية (...؟ ...) والآن قد تذكر مكانهم (٤) في «بح عن» (وهو جزء من مقاطعة انذروبوليت في الدلتا الغربية غير أن قراءة اسم المكان غير مؤكد)، وكانوا يخربون كل مصر وقد وصلوا إلى حقل الزبرجد (يحتمل أنه مكان بالقرب من «سايس» و«بوتو»)، وهؤلاء الذين من حزبك قد هربوا بسببهم. وبعد ذلك جعل جلالته السمار الملكيين و(...) ينادي عليهم وأعلمهم بما حدث. وقد خاطبهم بنصائح مطمئنة (٥–٧)، وقد أجابوا بالثناء على «أمسيس» معلنين أن «إبريز» قد عمل ما يعمله كلب في جيفة (٧–١٠)، وقال جلالته: ستحاربونه في الباكر! فكل رجل إلى الأمام! وقد جمع جلالته رجالته وفرسانه (لا بد أن الإغريق كان لديهم فرسان وقتئذ) ... وقد ركب جلالته عربته وأخذ أقواسًا ونشاشيب في يده، وقدم إلى ...

ووصل إلى «أندروبوليس» (عاصمة المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحري)، وكان الجيش متهللًا فرحًا على الطريق. يأتي بعد ذلك المتن الخاص ببداية الموقعة غير أنه في غاية الغموض. ثم يتبع (سطر ١٢). حارب جلالته كالأسد، وعمل مذبحة بينهم وكان عددهم لا يعرف. وأخذتهم سفن عديدة، ساقطين في الماء ورأوهم يغطسون في الماء كما يعمل السمك.

«أمسيس» انتصر على عدوه

السنة الثالثة الشهر الثالث من الفصل الأول (الشهر الثالث) اليوم الثامن، أتى إنسان ليقول لجلالته: إن العدو يهدد الطرق وهناك آلاف يغزون البلاد، وهم يغطون (يحتلون) كل طريق أما أولئك الذين في السفن، فإنهم يحملون لك الكره في صدورهم دون انقطاع.

بعد ذلك أصدر «أمسيس» التعليمات لجنوده؛ ليعيثوا فسادًا في كل طريق دون أن يدعوا يومًا يمر لا يضغطون فيه على العدو (١٥، ١٦)، وعلى ذلك فرح الجيش كثيرًا وبدءوا في عملهم (١٦) وقد استولى على سفن العدو، ومن المحتمل أن «إبريز» أخذ على غرة وذبح عندما كان يأخذ قسطًا من الراحة على إحدى السفن. وقد رأى (أمسيس) صديقًا له سقط في ... الذي عمله (١٨) أمام الماء وقد أمر «أمسيس» بدفنه، كما يليق بملك ونسي لعنات الآلهة التي جلبها لنفسه، وقد أوقف (أمسيس) قربات مقدسة بمقدار عظيم لإقامة الشعائر الخاصة بإبريز الذي خر صريعًا.

(٢-١) الخلاصة والتحليل للحوادث التي جرت بين «إبريز» و«أمسيس»، على حسب ما جاء في لوحة «الفنتين»

استعرضنا فيما سبق الأقوال والروايات عن الخلاف الذي دب بين «إبريز» وقائده «أمسيس» بشيء من التطويل، ووصلنا إلى النهاية التي أدى إليها هذا الخلاف، وهو قتل «إبريز» وتولي «أمسيس» الحكم بعد حروب طاحنة، ويمكن تلخيص كل هذا الموضوع فيما يأتي:

حدث على حسب ما جاء في «هردوت» أنه وقعت بين «أمسيس» وجنوده المصريين، وبين «إبريز» الذي كان يحمي ظهره الجنود الكاريون والإغريق الذين يبلغ عددهم حوالي ثلاثين ألف مقاتل، موقعة في المكان المسمى «مومنفيس» وهو «كوم الحصن» الحالي الواقع في الشمال الغربي من الدلتا، وقد كان النصر في جانب الجنود المصريين لتفوقهم في العدد على الإغريق. وقد وقع «إبريز» نتيجة لهذه الموقعة في قبضة «أمسيس». غير أنه على الرغم من ذلك عامله معاملة حسنة، ولكن فيما بعد سلم «أمسيس» غريمه «إبريز» للمصريين الذين اشتد حنقهم عليه لسوء تصرفه، فقتلوه، ومع ذلك فإن جثمانه قد احتفل بدفنه في مقابر أسرته في «سايس». وعلى أساس هذا البيان وبسبب أن «إبريز» حكم خمسًا وعشرين سنة (بدلًا من تسع عشرة سنة)، كما ذكر «هردوت» فإن مدة حكمه الصحيحة هي أربع وأربعون سنة (راجع Herod. III, 10)، وعلى ذلك يكون قد اشترك «إبريز» و«أمسيس» معًا قبل موت الأول عدة سنين في الحكم. يضاف إلى ذلك أن عددًا كبيرًا من الآثار المصرية يمكن اقتباسها تأكيدًا لذلك، ومنها نرى ظاهرًا أن الملكين كانا يحكمان معًا. ولكن هذه الآثار قد فحصها الأثري «بيل» بالتفصيل (راجع A. Z., 28 PP. 9–15, Comp. Gardiner, J. E. A. 31, P. 20, Note 3)، ومنها خرج بنتيجة غير التي وصل إليها الأثريون الذين سبقوه، وهي أن هذه الآثار لا تدل قط على أي اشتراك في الملك لهذين الفرعونين، وأن السبب في هذه الغلطة قد نشأ من قراءة طغراء هذا الملك الذي نقله «شمبليون» خطأ، وقد قرأه الأثري «ينج» قراءة صحيحة (راجع Porter & Moss, IV P. 72)، وبذلك تسقط هذه النظرية تمامًا.

وقد ألقت أضواء جديدة على تاريخ كل من «إبريز» و«أحمس» اللوحة التي عثر عليها في «الفنتين»، على الرغم مما أصابها من عطب شديد، وهي التي تحدثنا عنها فيما سبق، وتؤرخ بالسنة الثالثة من حكم «أمسيس»، ومنها نجد أنه لا بد من إدخال بعض تعديلات، ولكنها مع ذلك تتفق مع ما جاء في المصادر الإغريقية في النقط الأساسية، فنجد أن متن اللوحة يبتدئ في السطر الأول بتاريخ السنة الثالثة الشهر العاشر من حكم الملك «أمسيس» «ويأتي بعد ذلك الأسماء الرسمية للملك»، وبعد ذلك يجيء الخبر للملك «أمسيس» أن «إبريز» قد أقلع بأسطول إلى أعالي النيل، وفي الوقت نفسه يوجد جيش قوي من الإغريق يخترق الدلتا، وأنه خرب كل البلاد. وهؤلاء الإغريق كانوا قد وصلوا فعلًا إلى بلدة «حقل الزبرجد» (الواقعة بين بلدتي بوتو و«سايس»)، وأن جنود «أمسيس» قد تقهقروا وعند ذلك سار «أمسيس» بنفسه على رأس جيش عظيم يصحبه أسطول لملاقاة «إبريز»، والظاهر أن «أمسيس» خاض غمار موقعة عظيمة في «أندرو-بوليس» الواقعة في غربي الدلتا، وكان نصره فيها ساحقًا في البحر والبر.

ويأتي بعد ذلك في السطر الرابع عشر من متن هذه اللوحة تاريخ آخر، وهو السنة الثالثة الشهر الثالث اليوم الثامن من حكم الملك «أمسيس». وفي هذا الوقت أتى إنسان ليخبر الفرعون «أمسيس» أن القلاقل في البلاد مستمرة، وأن العصابات تجعل الأمن في البلاد غير مستقر، وعندئذ أمر «أمسيس» جيشه بتطهير البلاد من كل القلاقل والاضطرابات وقد تم له ما أراد. وفي خلال ذلك قتل «إبريز» على ظهر سفينته، والظاهر أن ذلك قد حدث بيد أتباع «إبريز» نفسه. والمتن هنا غامض تمامًا (السطر ١٧) وفي نهاية المتن ذكر أن «أمسيس» قد احتفل بدفن «إبريز» بكل حفاوة تليق بملك. ومتن اللوحة يضع أمامنا أولًا مسألة تأريخية، وهذه تنحصر في التاريخين اللذين ذكرا في اللوحة نفسها، الأول في السطر الأول، والثاني في السطر الرابع عشر، فالأول على حسب نظام التأريخ المتقدم يقع في ٩ أكتوبر أو ٩ نوفمبر سنة ٥٦٧ق.م، والثاني يقع في ٢٠ مارس سنة ٥٦٧ق.م، وهنا نجد أن التاريخ الثاني يأتي تأريخًا قبل الأول،

وقد استنبط البعض من ذلك أن «أحمس» لم يجعل سن حكمه من أول السنة التقويمية، بل من أول يوم توليه عرش الملك، ويلحظ هنا أن «مسبرو» يفضل قراءة السنة الأولى بدلًا من السنة الثالثة. (راجع Maspero. Guide du visiteur au Musée du caire, (1915), P. 206 No. 849).

ولكن حساب سني الحكم على حسب سنة الحكم الحقيقية يكون أمرًا فريدًا في بابه، وفضلًا عن ذلك يضع أمامنا مسألة شاذة غامضة التفسير. وعلى ذلك فإنه لا بد من إيجاد حل آخر لهذه المعضلة. والواقع أنه لا يمكن القول بأية حال أن التاريخ الأول في اللوحة متعلق بالحادث الأول الذي ذكر فيها، وفضلًا عن ذلك فإنه يمكن اعتباره التاريخ الذي أقيمت فيه اللوحة.

(راجع مثالًا لذلك لوحة «بيعنخي» Br. A. R. III, P. 418)، ومن ذلك نفهم أن التأريخ الذي جاء في السطر الأول ليس بتأريخ متقدم يحدد الحادثة التي ذكرت في السطر الرابع عشر، بل هو تأريخ جاء متقدمًا لنهاية الحوادث التي جاء ذكرها من أول السطر الرابع عشر حتى نهاية المتن. وهذا الاستنباط هام للإجابة عن السؤال فيما إذا كانت الواقعة التي ذكرت في المتن بالقرب من «أندروبوليس» موحدة بواقعة «مومنفيس»، التي ذكرها «هردوت». والواقع أنه يوجد اعتراض على توحيد هاتين الواقعتين (راجع Br. A. R. IV, P. 509-510 § 997-998; Petrie, et Gauthier etc.)، وذلك أن «هردوت» وضع موقعة «مومنفيس» في بداية حكم «أمسيس» في حين أن الموقعة التي جاء ذكرها في اللوحة، ذكرت أولًا في السنة الثالثة من حكم «أمسيس»، هذا ونجد أن الأثري «هول» (Hall, The Oldest Civilisation of Greece, P. 323-324). يقول: إن الموقعتين هما موقعة واحدة وقعت في السنة الثالثة من عهد «أمسيس» (٥٦٧ق.م) والواقع أن هذا الرأي يسقط عندما نأخذ بالرأي القائل: إن التاريخ الأول هو تاريخ إقامة اللوحة، وإن التاريخ الثاني هو الذي بدأت فيه الحوادث، وعلى ذلك تكون الواقعة قد وقعت في سنة ٥٦٩ أو سنة ٥٦٨ق.م، والبرهان القاطع على أن

الواقعتين موحدتان أنه على حسب ما جاء في اللوحة، وكذلك على حسب ما جاء في «هردوت» قد دارت المعركة في مكان موحد (راجع kees. Pauly-wissowa. Real Encykolopade der klassische Alter-tumswissenschaft, XVI, I, 1933, S. 40-40, Momenphis).

يضاف إلى ذلك أننا نجد في كلا المصدرين أن «إبريز» كان في جانبه الإغريق، ولكن من جهة أخرى نجد أنه من الصعب أن نوفق بين ما جاء في اللوحة وفي «هردوت» عن موت «إبريز». فنجد قبل كل شيء أن متن اللوحة لم ينوه لا من بعيد ولا من قريب عن أن «إبريز» قد سقط في الموقعة الفاصلة في يد «أمسيس»، كما يحدثنا بذلك «هردوت». فمن المحتمل إذن أن «إبريز» قد سقط في الموقعة الفاصلة في يد «أمسيس»، كما يحدثنا بذلك «هردوت». فيجوز إذن أن «إبريز» كان قد أخذ أسيرًا في الموقعة، ثم هرب ثانية إلى السفن الإغريقية كما ذكر ذلك «هردوت»، ومن جهة أخرى نجد أن «إبريز» لم يذكر الحوادث التي وقعت على حقيقتها، كما ذكرها «هردوت»، ولا غرابة في ذلك؛ لأن قتل ملك شرعي وبخاصة في العهود المتأخرة من التاريخ المصري كان يعد من أبشع الأخطاء الدينية. وقد ظهر اسم «إبريز» على لوحة «أمسيس» في طغراء ملكية — ولكن بدون ألقاب ملكية بعد — هذا فضلًا عن أن «أمسيس» قد وصف «إبريز» بأنه صديقه (سطر ١٧ في اللوحة)، وهذه الأمور وكذلك الاحتفال بدفن «إبريز» بكل تجلة واحترام يدل على أن «أمسيس» أراد أن يتخلص من وصمة العار التي لصقت به، وهي قتل «إبريز»، وعلى ذلك يحتمل جدًّا أن ما جاء في اللوحة عن موت «إبريز» لا يخرج عن كونه بلاغًا رسميًّا أراد «أمسيس» أن يطمس به الحقائق، كما يحدث في أيامنا، وعلى ذلك فإنه بعيد عن الحقيقة (راجع Hall, Ancient Hist. P. 548; Cambridge Ancient Hist. III. P. 303).

(٣) «آثار» إبريز

قد ترك لنا «إبريز» آثارًا عدة في أنحاء القطر.

يوجد في متحف «اللوفر» بطاقة من خشب الجميز كانت في الأصل ضمن مجموعة «كلوت بك»، ويبلغ طولها ٦٥ مليمترًا وعرضها ٤ سنتيمترات وأحد طرفيها مستدير وبه لقب لتعلق منه، وهذه البطاقة خاصة بمومية وقد كتب على البطاقة بالخط الهيراطيقي ما ترجمته:

> زيت جميل من الجزية الخاصة بكل الزيوت، مقداره ٢٤ «منو» من السنة الأولى شهر أمشير من عهد الفرعون «إبريز» (حفره) العائش أبديًّا. (راجع Bull. Instit, Fr. Tom. 10 P. 163).

صا الحجر: من الآثار التي عثر عليها للملك «إبريز» في صا الحجر[٨] عمود من البازلت الأسود، وجده الأثري «دارسي» في وسط القرية، ويبلغ طوله ١٫١٥ متر وقطره ٤١ سنتيمترًا ومنقوش عليه سطران عموديان:

> (١) حور (المسمى) واح اب، واح أب رع المحبوب من الإلهة «نيت» ربة «سايس» معطى الحياة. (٢) حور (المسمى) واح اب. واح أب رع محبوب الإلهة «نيت» المشرفة على بيت النملة معطى الحياة أبديًّا.

هذا وقد وجد عمود مماثل لهذا في «جامع الغمري» بالقاهرة، وكذلك يوجد في المُتْحَف المصري عمود ثالث تاجه على هيئة رأس البقرة «حتحور»، ومقطوع من نفس الحجر (راجع A. S. II P. 239)، وكذلك عثر «دارسي» في الحفائر التي قام بها في «صا الحجر» على تمثال محبب للملك «إبريز»، وهو مصنوع من الخزف المطلي الأخضر، ولكن صناعته رديئة وليس فيه ما يدل على أنه من صنع ملكي. وقد نقش عليه مختصر للفصل السادس من كتاب الموتى، وهو الذي يطلب فيه إلى هذا التمثال أن يقوم بكل عمل يكلف به الملك المتوفى من أعمال الآخرة، التي كان يجب تأديتها للإله «أوزير».

نهارية: وجد في هذه القرية قطعة حجر عليها اسم الملك «إبريز» (L. D. III, 274, h, i).

هليوبوليس: يوجد لهذا الفرعون مسلات نقلت إلى «روما»، ويحتمل أنها كانت في الأصل في «عين شمس» (راجع Parker, Twelve Obelisks in Rome III, Rome, Piazza Minerva).

ميت رهينة: لوحة الملك «إبريز» (راجع A. S. Tom. XXVII, P. 211–237).

من أهم الآثار الظاهرة في دمن مدينة «منف» لوحة مستديرة مسورة بالقرب من تمثال «رعمسيس» الصغير، الذي نقل حديثًا لميدان محطة القاهرة. وقد ادعى «بروكش» أنه هو الذي كشف عنها ونقل متنها (راجع Brugsch, Histoire de l'Egypte 1, P. 257).

ويحتوي متن هذه اللوحة على أمر من الملك «إبريز» بإقامة لوحة في «منف» في وسط البحيرات، كما يقول لتكون تذكارًا للهبات التي قدمها للإله «بتاح» رب «منف» ... إلخ. وقد تناول هذه اللوحة بالبحث أثريون آخرون نذكر منهم «مريت» و«مسبرو» و«كارل بيل» (راجع A. Z. 28 PP. 28)، وأخيرًا درسها درسًا مستفيضًا عميقًا الأثري «جن»، وقرن محتوياتها بما يماثلها من المنشورات المصرية في عهد الدولة القديمة، وبخاصة عندما نعلم أن ملوك الأسرة السادسة والعشرين كانوا يقلدون أجدادهم في عهد الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة. والواقع أن محتويات هذه اللوحة كانت تعد من الأهمية بمكان في الوقت الذي كشفت فيه، ولكن أصبحت أهميتها قليلة عندما كشف عن نظائرها حديثًا من عهد الدولة القديمة. ولا نزاع في أن هذه النظائر هي التي سهلت للأستاذ «جن» درس هذه اللوحة بالموازنة. ولوحة «إبريز» هذه عبارة عن منشور عام يتعلق بإهداء بعض الأراضي، وما يتبعها من عبيد وكل منتجاتها. واللوحة كما هي الآن منصوبة على قاعدة مثبتة بالأسمنت. وهي منحوتة من الحجر الرملي الأبيض المائل للسمرة، وهي مستديرة في أعلاها، وقد تآكل سطحها في كثير من

المواضع ويبلغ طولها ٣١٤ سنتيمترًا، وعرضها حوالي ١٥٧ سنتيمترًا وسمكها ٧٧ سنتيمترًا، والصور التي عليها والكتابة متقنة الصنع.

وتدل شواهد الأحوال من موقع اللوحة على أنها كانت منصوبة عند مدخل معبد الإله «بتاح». ويشاهد في الجزء الأعلى المستدير علامة السماء، وتحتها قرص الشمس المجنح وبين الجناحين اسم الإله «بحدتي» = صاحب: إدفو «ويتدلَّى صلان من قرص الشمس وتحت كل صل علامة ◡ وتحت ذلك طغراء الملك «واح أب رع» على علامة اتحاد الأرضين، وفي الجهة اليمنى من هذا الجزء الأعلى صورة الإله «سوكاريس» باسمه «سكر» فوقه، ويشاهد من طرف صولجانه أنه يقدم «الحياة» للطائر حور على واجهة قصره، ومعه النقش التالي: «إنه «سوكاريس» يُعطى كل الحياة والفرح والصحة أبديًّا.»

وعلى الجهة اليسرى من هذا الجزء الأعلى صورة «بتاح» «منف» في ناووس، وبين هذا واسم «حور» الذي على الجهة اليسرى سطر عمودي من النقوش معظمه مهشم. والفكرة التي يعبر عنها الجزء الأعلى من اللوحة يظهر أنها كالآتي: مثل الملك «إبريز» باسمه «ابن رع» واسمه الحوري محمي تحت القبة الزرقاء بالإله «حور» صاحب «إدفو»، ويقدم له الحياة والنعم الأخرى الإلهان المحليان «بتاح» و«سوكاريس» (سكر).

وهاك ترجمة المتن الذي نقش على الجزء الأسفل من هذه اللوحة:

(١) الواحد الحي، «حور» «واح اب» (= صاحب القلب المثبت) ملك الوجه القبلي والوجه البحري، صاحب السيدتين (المسمى) «نت خبش» (رب القوة بالساعد)، «حع عا أب رع» (= قلب رع فرح)؛ حور الذهبي (المسمى) «وسواز تاوى» (الذي يجعل الأرضين تفلح)، ابن «بتاح» المحبوب، «واح أب رع» (= قلب رع مثبت) معطى الحياة أبديًّا.

(٢) الملك نفسه يقول: إن جلالتي قررت أن الإقليم القريب من «منف» في وسط القنوات العظيمة (؟) نهدي بمثابة دخل إلهي لوالدي «بتاح جنوبي جداره»، سيد «عنخ تاوي»، مع كل عبيده، وكل ماشيته كبيرة وصغيرة، وكل شيء يخرج منها في (الريف) أو في المدينة، هذا بالإضافة للأرض الزراعية الخاصة بالآلهة والإلهات التي هناك.

(٣) وقد قررت جلالتي فضلًا عن ذلك أن توهب كل الأراضي المستنقعة، وكل الأراضي الزراعية المجاورة لهذا الإقليم لوالدي «بتاح جنوبي جداره» ورب «عنخ تاوى» (= منف).

(٤) وقد قررت جلالتي بالإضافة إلى ذلك أن يحبس هذا الاقليم، ويحمى لأجل والدي «بتاح جنوبي جداره»، ورب «عنخ تاوى»، من فعل أي عمل في الري (؟) ولن أسمح لأي شخص يؤتى به هناك بوساطة أي موظف محلي أو أي رسول للملك. وقد عملت جلالتي لهذا بقصد أن دخل هذا الإله وهو والدي «بتاح القاطن جنوبي جداره» ورب «عنخ تاوى» يبقى سليمًا في كل الأبدية.

(٥) وقد قررت جلالتي فضلًا عن ذلك أن يستمر ما فعله الأجداد في معبد «بتاح جنوبي جداره»، (يقصد أن ما فعلته يمكن أن يستمر بوساطة الخلف لأي عمر من السنين).

(٦) وقد وجه أمر لمفتشي الكهنة خدمة الإله لهذا الاقليم ألا تكون هناك عقبة في سبيل هذا الدخل الإلهي.

(٧) وأي موظف إداري محلي أو أي رسول ملكي يعطي متن هذا المنشور أو من يمكنه أن (؟) ... بسببها (؟) سيعاقبه البيت العظيم (المحكمة) من أجل السوء (الذي ارتكبه).

(٨) ختم في حضرة الملك نفسه واقفًا بين الرجال الخاصين (؟) ... سنة الحكم الثالثة عشرة الشهر الرابع من فصل الزرع (اليوم) التاسع أو السادس عشر أو السادس والعشرون.

يلحظ أن هذا المتن غاية في الاختصار في ألفاظه؛ ولذلك يحتاج إلى بعض الشرح فمما يلفت النظر في الفقرة الثانية ضم الأرض الزراعية الخاصة بالآلهة والإلهات في ضيعة «بتاح»؛ لأن

ذلك يشمل على ما يظهر حرمان الآلهة المعينين من دخلهم المقدس. ومن المحتمل أنه كان ينتظر بعض المقاومة لاتخاذ هذه الخطوة، وربما كان ذلك هو السبب في أن رجال الدين أصحاب النفوذ في الإقليم، وأعني بذلك المفتشين على الكهنة هم الذين أمروا (٦) ألا يضعوا أية عراقيل في سبيل الدخل المقدس للإله «بتاح»؛ ولكن ضم كل الأراضي المستنقعة والأراضي الخصبة الصالحة للزراعة المجاورة لهذا الإقليم في نظرنا أمر مبهم تمامًا، ولكن لا بد أن المقصود كان بدهيًّا للذين عاصروا ذلك.

وما جاء في الفقرة الخامسة لا بد أن له علاقة بباقي المتن أكثر مما هو في ظاهره، وربما كان المقصود منها هو أن الملك «إبريز» قد ضمن في المنشور الذي هو موضوع هذا المتن تجديد (منشور) قديم له نفس الغرض. وعلى ذلك فإن الإشارة إلى معبد «بتاح» تعني أن اللوحة تعلن نشر منشور يخلد ما عمل بوساطة الأجداد، وإقامته في المعبد. وعلى أية حال فإن الوثيقة التي تركها لنا «إبريز» لا تعد في حد ذاتها منشورًا، بل هي في الواقع إعلان عام سجل فيه مواد منشور عمل قديمًا، وذلك ظاهر من ألفاظ الوثيقة نفسها. وهذا يوحي بأن الكهنة في هذا العهد كانوا يريدون إحياء كل الأوقاف القديمة التي كانت للآلهة مما يدل على نفوذهم.

قصر «إبريز» في ميت رهينة: (راجع Petrie, The Palace of Apries, Memphis II, P. 17-18).

لا غرابة في أن نرى «إبريز» يقيم لوحة في هذه الجهة؛ ليحيي الأوقاف التي كانت لإله هذه الجهة، فقد اتخذ مقره على ما يظهر هناك. ولا أدل على ذلك من أن الأثري «بتري» قد كشف عن قصر له يظهر مما بقي منه أنه كان غاية في العظمة والفخامة، وقد اتخذه الملوك الذين أتوا من بعد «إبريز» مقرًّا لهم، كما يدل على ذلك ما تركوه لنا من آثار في «دمنة». ويقع قصر الملك «إبريز» الذي كشف عنه الأثري «فلندرز بتري» في النهاية الشمالية من مدينة «منف» القديمة، وتبلغ مساحة هذا القصر حوالي فدانين، وجدرانه مقامة كما هي العادة في المباني

الدنيوية المصرية القديمة من اللبنات السوداء، وجدران هذه المباني مكسوة بالأحجار الجيرية في جزئها الأسفل، وكذلك كسيت رقعة القصر بالأحجار الجيرية، ويبلغ سمك الجدران في المتوسط حوالي ١٤ قدمًا. وتدل شواهد الأحوال على أن عمر هذه الجدران يختلف من حيث زمن إقامتها؛ وذلك لأن بعضها يرجع إلى عهد «إبريز» وبعضها الآخر أقيم بعد عهده، إذ قد استعمل هذا القصر، كما يظهر من الآثار التي وجدت في طبقات المباني التي عثر عليها في العهود التي أعقبت عهد الملك «إبريز».

والتصميم العام لهذا القصر كما عثر عليه جاء مرتبكًا بعض الشيء، وهو يحتل الركن الشمالي الغربي من المعسكر الكبير الحصين الذي تبلغ مساحته حوالي عشرين فدانًا أو أكثر في النهاية الشمالية من خرائب «منف». وكان يوجد على الجانب الغربي للمعسكر ثلاثة أسوار عظيمة. والقصر المحصن الذي نحن بصدده يقع على ربوة، والأسوار التي في الجنوب قد خربت وبُني على أنقاضها، والسور أو الحوش الذي يلي القصر قد أزال أتربته السباخون، ولم يبقَ منه إلا مربع ذو جدران سميكة يبلغ ارتفاعها حوالي أربعين قدمًا وكل ما بداخله قد أزيل، وكان يوجد في داخل هذا المربع العظيم طريق لها بوابة واسعة في الجنوب، وأخرى مقابلة لها في الشمال (انظر تصميم القصر Ibid, Pl. I.)، وهذه البوابة كانت تؤدي إلى أخرى في الواجهة الجنوبية للقصر، وهي التي تؤدي منها «الطريق الواسعة القديمة» إلى الردهة العظمة. ويلحظ هنا أنه عند عمل تصميم قصر «إبريز» من جديد، كما كان عليه في أول مرة وقد وضعت طريقة جديدة للدخول إلى القصر بوساطة كتلة من المباني تقع أكثرها في الشرق، فيشاهد في الجدار عند نهاية التصميم طريق مقابلة بالضبط لنهاية «الطريق العريض الجديد»، وبينهما توجد حفرة تتصل بالقصر.

وعندما يتقدم الإنسان نحو «الطريق الواسع الجديد»، توجد قاعة بابها في الغرب ولها مقعد في امتداد الجانبين الغربي والشمالي. وهذه القاعة كانت كما يقول «بتري» بموقعها تؤدي إلى

حجرة الحراسة، ويأتي خلف ذلك المطبخ بموقده المصنوع من اللبنات، وهو لا يزال قائمًا مرتكزًا على الجدار الشمالي. ويلي ذلك باب واسع (D) من اليمين، ويؤدي إلى القاعة المكسوة بالحجر الجيري. وكان يوجد جنوبي باب المدخل باب من الحجر E, C لا يزال باقيًا منه الأسكفة والعتب. وهذا الباب يؤدي من قاعة إلى أخرى في الجنوب، وهي أكثر القاعات حفظًا في القصر (رقم XIII في التصميم)، وقد بنيت الرقعة منحدرة إلى مصرف له صهريج من القصدير في رأسه، وهذا الصهريج كبير الحجم ٢٩٠ × ٣٤,٤ بوصة وعمقه من ٧ إلى ـ بوصات، وقد نقل إلى المُتْحَف المصري، وفي الجهة الشرقية من ذلك بقايا قاعة أخرى لا تزال دمنها ظاهرة.

ولا بد أنه كان يوجد على امتداد الجانب الشرقي للقصر ممر ينفذ إلى ثلاث حجرات في وسط الجانب الشرقي، غير أنه اختفى ولم يبقَ منه إلا آثاره. وخلف هذه القاعات نجد أن «الطريق الواسع» قد سد. والظاهر أن هذا السد قد قطع الطريق المباشر المؤدي إلى المنظرة، ولكن يمكن الوصول إليها بوساطة الردهة العظيمة، أو بعض ممر قد خرب الآن. ونعود الآن إلى القاعة العظمى، فنجد أن الدخول إليها قد عمل في الجنوب الشرقي وجدرانها من كل الجوانب يرجع عهدها إلى ما قبل عصر «إبريز». وفي وسط الردهة نجد بناء على شكل علبة من الحجر مدفونة في الردهة، والغرض منها لم يعرف بعد فلم تكن للماء، وهي قطعة واحدة ليس بها منافذ ومن المحتمل أنها كانت خاصة بالعرش، ويوجد كذلك علبة أخرى في الجنوب الشرقي منها مستديرة الشكل.

وفي منتصف الردهة العظمى تقريبًا يشاهد على الأرض ملفات وتيجان أعمدة من الحجر الجيري، منقوشة باسم الملك «حور واح اب» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، والسيدتان رب السيف، «حور» المتغلب على «ست» مسعد الأرضين «حعع أب رع» ابن «بتاح». وهذه القطع وجدت ملقاة على عمق يتراوح بين ١٢، ١٦ قدمًا في الجنوب من العلبة المتوسطة، غير

أنه لم توجد رقعة مبلطة أو قواعد تدل على أماكن هذه العمد الأصلية، وكانت توجد على وجه التأكيد ثلاثة منها، ولكن يحتمل أنه كان يوجد عدد كبير غيرها. ومن المحتمل أن ارتفاع العمود كان حوالي ـ قدمًا، إذا ما قرن بالعمد التي وجدت في «أهناسيا المدينة». وتدل شواهد الأحوال على أن هذه العمد كانت مقامة في قاعة عمر مفروشة يبلغ عدد عمدها ٤ × ٤ أي ستة عشر عمودًا تشغل الردهة الوسطى. وبعد الردهة العظمى نجد بوابة عظيمة من الحجر تؤدي إلى قاعة تبلغ مساحتها ٣٥ × ٢٩ قدمًا، وعلى كل من جانبي هذه الحجرة توجد قاعة ضيقة، فالتي على اليمين معلمة بأنها كانت مصنعًا، ولها دكة أو مصطبة على امتداد كل جوانبها، ولا بد أن هذه الدكة كانت للعمال للجلوس عليها، وفي وسطها كان يوجد صندوق ساذج الصنع من الأحجار الخشنة، ويحتمل أنه كان صهريج ماء. وقد وجدت حول هذه الحجرة قطع عدة من البرنز وبعض أشياء من الفضة والذهب، كل ذلك يدل على وجود مصنع في هذه البقعة. وفي شمالي كل المباني الأخرى كانت توجد مساحة واسعة تحيط بها جدران من جوانبها الثلاثة، وهذه المساحة المفتوحة يظهر أنها كانت تقابل الردهة الواسعة ذات العمد، التي عثر عليها في بلدة «اللاهون». والواقع أنها كانت تقابل ما نسميه في عهدنا الحديث المنظرة، أو حجرة الاستقبال في الأرياف في منازل العمد الأغنياء. وتدل الظواهر على أن تصميم كل القصر يشبه تمامًا منازل الأسرة الثانية عشرة، فقد كان المدخل من الجنوب ثم ممر طويل يخترق المنظرة في الشمال، وكان مسكن الخدم والمطبخ في الجهة الغربية، وخلفها كانت توجد الردهة العظيمة، وكانت أحسن الحجرات توجد في خدر النساء الذي في الشرق.

تل الناقوس: عثر على ناووس جميل باسم الملك «إبريز» في بلدة «البقلية»، أهداه هذا الملك للإله «تحوت» معبود هذه الجهة، ويبلغ ارتفاعه ١٫٥٥ متر وعرضه ٦٢ سنتيمترًا وعمقه ٨٦ سنتيمترًا، وهذا الناووس جميل الصنع نقشت عليه طغراء الملك «إبريز». ويلحظ أن الإله «تحوت» معبود هذه البلدة الذي وجد ممثلًا في هذا الناووس قد مثل في كل أشكاله المختلفة، كما

مثل معه شركاؤه من دائرة «أوزير». وقد أقيمت صناجة «حتحور» في داخل كوة الناووس. ونعلم من ذلك أنها كانت الإلهة المرافقة للإله تحوت في هذه الجهة (راجع Maspero, Guide (1915) P. 198; Porter & Moss, IV P. 39).

تل أدفينا: عثر في السور الشرقي للمعسكر القديم في هذه الجهة على لوح القاشاني، عليه اسم الملك «إبريز»، وهو من ودائع أساس في حجرة، وهذا اللوح موجود الآن في المُتْحَف البريطاني (راجع Hall, Catalogue of Egyptian Scarabs P. 295).

«صا الحجر» تانيس: وجد في ردهة المعبد الكبير في الرقعة التي من عهد «رعمسيس الثاني»، والملك «سيأمون» بالتوالي أن الملك «إبريز» قد نقش اسمه عليها (راجع Porter & Moss, IV P. 24) منتحلها بذلك لنفسه.

هربيط: عثر في بلدة «هربيط» على مزلاج باب نَاووس في صورة أسد، وعليه متن جاء فيه ذكر الملك «إبريز». وهو محفوظ الآن بالمُتْحَف المصري (راجع Maspero Guide, (1915) P. 512 Fig. 149)، وهذا الأسد الفاخر الذي يمثل الملك «إبريز» يحمل بين مخلبيه الأماميين حلقة سلسلة، لم يبقَ منها لدينا الآن إلا قطعة لا بأس بها. ويلحظ أنه قد عمل في الجزء الأمامي الذي على هيئة صندوق مستطيل، وهو الذي يظهر منه أن الأسد قد وضع فيه. وعلى حسب رأي «ماريت» تمثل قفلًا ضخمًا أو مزلاجًا، ويلحظ أنه في أحد طرفي السلسلة قد ثبتت آلة وضعت في فتحة ذات زوايا أربع موجودة في الطرف الآخر، وعندما تكون هذه الفتحة في مكانها يكون القفل مغلقًا.

تل الربع: عثر في «تل الربع» على تمثال ملكي لم يكن قد تم صنعه بعد، وقد استعمله الإمبراطور «كاركالا» لنفسه، وقد وجد الاسم الحواري للملك «إبريز» على قاعدة هذا التمثال، ومن المحتمل أنها خاصة به، وقد عثر عليه بجوار ناووس الملك «أمسيس»، وهو محفوظ بالمُتْحَف المصري. (راجع Milne, A. History of Egypt 1898 P. 72, Fig. 63).

المحلة الكبرى: وجد في هذه البلدة قطعة حجر باسم الملك «إبريز» مستعملة أسكفة باب، كما وجد جزء من مسلة مستعملة عقب باب في جامع هناك. (راجع Porter & Moss IV P. 54).

صا الحجر سايس: شاهد الأثري «أحمد كمال» في الحفائر التي قام بها في «صا الحجر»، وفي «القواض» عام ١٨٩٩ قطعة من عمود مصنوع من البازلت في مباني إحدى البيوت، وقد نقش عليها سطران في كل منهما لقب الملك «إبريز». وقد شاهد الأثري «دارسي» عمودًا مشابهًا للسابق في «جامع الغمري» بالقاهرة هذا بالإضافة إلى عمود مماثل للسابقين في متحف القاهرة، وقد نقل «دارسي» القطعتين السالفتي الذكر للمتحف أيضًا (راجع A. S. II P. 239). ومن ثم نشاهد أمامنا ثلاثة عمد متشابهة، وتيجانها الثلاثة على هيئة رأس الإلهة «حتحور» ولا نزاع في أن هذه العمد من مبنى واحد. وقد فحص الأثري «جوتييه» هذه الأعمدة وما عليها من نقوش. ووصل إلى النتيجة التالية، وهي أن هذه الأعمدة السابقة لا بد كان يوجد منها عدد كبير منزوع من مبنى كان قد أقامه الملك «إبريز» في «صا الحجر» على شرف الإلهة حتحور، التي كانت تعد في زمنه صورة أخرى من الإلهة «نيت» حامية مدينة «سايس» والأسرة السادسة والعشرين. وهذا المبنى هو عبارة عن مقصورة قد أقيمت عمدها على هيئة العمد الحتحورية الصورة، وقد هدمت تمامًا وبعثرت أجزاؤها. ولم يمكن معرفة موقعها بالضبط في هذه الجهة وربما كان ذلك إلى الأبد، ولكن على أية حال يمكن اعتبارها ضمن الآثار التي كانت مقامة في مدينة «سايس» العظيمة يومًا ما (راجع A. S. 22, P. 199 ff).

وادي طميلات: عثر في «وادي طميلات» على قطعة من إناء نقش عليها اسم الملك «إبريز» (Porter & Moss, IV P. 54).

هليوبوليس: يوجد في متحف «جلاسجو» قطعة من الحجر عليها اسم «إبريز»، عثر عليها مع قطع أخرى لملوك أخرى (راجع Ibid. P. 61).

تل أتريب: عثر في «تل أتريب» على عمود من الحجر الجيري الأبيض من عهد الملك «إبريز»، وقد جاء على هذا العمود ذكر اسم «سربيوم» هذه المقاطعة ويدعى «بيب حنو» (De Rouge Geogr. P. 64)، وكذلك ذكر اسم الإله «أوزير خنتي خاتي»، والظاهر أنه كان يعبد هناك مع إله المقاطعة الأصلي «حور خنتي خاني» (راجع A. S. XIII P. 280-281).

القاهرة: مسلة من الجرانيت باسم الملك «إبريز» يحتمل أنه أتى بها من «هليوبوليس»، وقد عثر عليها في المكان الذي كان يسمى فيما سبق «كوبري القنطرة الجديدة» (راجع Porter & Moss, Ibid. P. 71).

مدينة «سايس» (صا الحجر الحالية): وقد كتب الأستاذ «لبيب حبشي» مقالًا ممتعًا عن آثار «سايس» جمع فيه معلومات شيقة تنير الطريق للباحث عن نقط كانت مجهولة (راجع A. S. XLII P. 370).

كانت «سايس» هذه عاصمة المقاطعة الخامسة من مقاطعات الوجه البحري، وتدعى «نيت محيت»؛ أي مقاطعة الإلهة «نيت» الشمالية. وتدعى هذه العاصمة بالمصرية «ساو» ونطقها الإغريق «سايس»، وبقيت في المصرية الحديثة باسم «صا الحجر». وكانت من أهم المدن التي لعبت دورًا هامًّا في التاريخ المصري من حيث الدين والسياسة. فقد كانت منذ نشأتها مركزًا لعبادة الإلهة «نيت» التي كانت تعبد في أماكن عدة، وبخاصة في عاصمة المقاطعة الرابعة من مقاطعات الوجه البحري، والتي كانت تدعى «نيت شمع» أو «نيت الجنوبية» وعاصمتها «بر زتع»، التي تشتغل الآن مكان «زاوية رزين» مركز «منوف». وسام المقاطعة عند اليونان Psosopis. وقد أخذت مدينة «سايس» تظهر بصفة خاصة في عهد الأسرة الخامسة والعشرين، عندما تألق نجم الأمير «تفنخت» في سماء السياسة المصرية، كما تحدثنا عن ذلك من قبل (راجع الجزء ١١). وفي عهد الأسرة السادسة والعشرين أصبحت عاصمة الملك،

وصار ملوكها حكام مصر وسيطروا على «سوريا» مدة من الزمن، وفي خلال تلك المدة وصلت مصر إلى درجة عظيمة من المدنية، ونمت تجارتها وأُحيي فنها القديم. وقد اقتضت الظروف أن تتصل مصر بالممالك المجاورة لها، وبخاصة بلاد الإغريق التي تأثرت لدرجة عظيمة بالحضارة المصرية، ومن ثم أصبحت «سايس» ذات شهرة واسعة، وقد أخذ ملوكها يقيمون فيها المباني العظيمة التي أكسبتها رونقًا وبهجةً. وقد وضع أمامنا «هردوت» الذي زار مصر في منتصف القرن الخامس ق.م؛ أي بعد نهاية الأسرة السادسة والعشرين بقليل وصفًا مسهبًا لمبانيها، فقد تحدث عن قصورها التي وصفها بأنها شاسعة الأرجاء تستحق الإعجاب.

أما عن مقابر ملوكها، فإنه يقول: إن ضريح «إبريز» يقع في داخل حرم جدار الإلهة «نيت» وهذا الجدار يوجد في داخله قبر «أمسيس»، وكذلك قبر «إبريز» وأسرته (راجع Herod. II 169 §)، وفي داخله كذلك قبر «أوزير» الذي يوجد خلف المعبد، وكذلك مسلات كبيرة من الحجر وبحيرة مقامة بالحجر يمثل المصريون عليها مأساة «أوزير» (Ibid, 170-171)، أما عن معبد هذه المدينة فيقول: إن «أمسيس» قد أضاف له بوابة أمامية تعد عملًا مدهشًا يفوق كل المباني الأخرى من نفس النوع من حيث السعة والارتفاع، كما أضاف عددًا من التماثيل الضخمة وتماثيل «بولهول» عدة. ومن الآثار التي أعجب بها غاية الإعجاب حجرة ضخمة من حجر واحد، ولا بد أنه يقصد بذلك ناووسًا، وتمثالًا يمثل شخصًا مضطجعًا على سرير، ويحتمل جدًّا أن المقصود بذلك هنا هو الإله «أوزير». وعلى أساس هذا الوصف وضع «شمبليون» تصميمًا للمباني العظيمة التي في داخل سور المعبد، وهي تساعد على إعطاء فكرة عن المنظر الذي كان يحتمل أن يكون عليه حرم المعبد (راجع Lettres Ecrites d’Egypte et de Nubie (1868) P. 1. II)، والدمن الضخمة التي كانت ترى بالقرب من قرية «صا الحجر» مركز «كفر الزيات» «مديرية الغربية»، قد اجتذبت أنظار السياح الذين يتفق مرورهم بها، غير أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر أخذ العلماء يتعرفون عليها بأنها بقايا العاصمة الساوية

العظيمة. وقد كان أول من تعرف على خرائب هذه البلدة القديمة رجال حملة «نابليون»، وقد شاهدوا هناك ثلاث جبانات أهمها التي كان من المحتمل أن تحتوي على مدافن ملوك الأسرة السادسة والعشرين. وهذه الجبانة كانت محاطة بسور كان فيه معبد الإلهة «نيت» ومبانٍ أخرى مقدسة من نفس الأسرة.

(٤) عظماء عصر الملك «إبريز»

تدل شواهد الأحوال على أن معظم الآثار التي كشفت عنها عندما حلت رموز اللغة المصرية القديمة في أوائل القرن التاسع عشر، كانت من العصور المتأخرة في التاريخ المصري؛ ولذلك نجد أن المجاميع الفنية التي في متاحف العالم معظمها من هذه العصور، ولم يكشف النقاب عن آثار الدولة القديمة إلا فيما بعد، وبخاصة أن آثارها تكاد تكون محصورة في أماكن معينة أهمها منطقة «الجيزة» و«سقارة» والعرابة، ولا غرابة إذن أن نجد أن علماء الآثار كان معظم اهتمامهم في بادئ الأمر موجهًا لآثار هذا العصر المتأخر، وذلك على حسب مقتضيات الأحوال. ومن أهم المدن القديمة التي عثر على آثار هامة بها مدينة «سايس» القديمة، التي تقوم على أنقاضها «صا الحجر» الحالية، وكانت «سايس» هذه كما نعلم عاصمة الملك في عهد الأسرة السادسة والعشرين، التي ظلت في الحكم ما يقرب من قرن ونصف قرن من الزمان. وآثارها لا يزال بعضه ظاهر على الشاطئ الأيمن من الفرع الكانوبي للنيل. وقد أخذت أنقاض هذه المدينة العظيمة تختفي[٩] بسرعة عندما أخذ المصريون الأحداث يقيمون بلدتهم «صا الحجر»، وكذلك منذ أن أخذت القرى المجاورة تستخرج السماد من هذا البلد العتيق. ولما كانت هذه المدينة على مقربة من فرع النيل، فإن معظم آثارها قد غمرته المياه؛ ولذلك فإن الأماكن البعيدة بعض الشيء عن رشح مياه النهر هي التي كان ولا يزال يؤمل أن يوجد فيها بعض الآثار. وقد دلت البحوث

على أن قرية «قواضي»؟ القريبة من «صا الحجر» كانت على ما يظن مكان الجبانة الرئيسية لسايس.

(٤-١) واح-اب-رع

وقد قام الأثري «أحمد كمال» بحفائر عام ١٨٩٩ في هذه الجهة على مساحة واسعة، ولحسن الحظ كانت هذه البقعة بعيدة عن أيدي السباخين؛ لأن تربتها لا تصلح للتسميد وقد عثر على ثلاثة تماثيل جميلة، كما عثر على جزء من تابوت أيضًا، وقد دلت البحوث على أن هذه الآثار لرجل من عظماء القوم في عهد الملك «إبريز»، وقد قام بجمع آثاره والكتابة عنها الأثري «جوتييه» (راجع A. S. 22,P. 6 ff.)، وهذا الرجل يدعى «واح اب رع» وهو اسم يطلق على الملك «إبريز» نفسه.

والظاهر أن هذا الرجل كان قد ولد في عهده. وقد كان أهم ما عثر عليه «جوتييه» أولًا هو جزء من تابوت «واح اب رع» هذا؛ وذلك لأن ما جاء عليه من نقوش يقدم لنا ألقابًا عدة كان يحملها صاحبه، ويلحظ أننا لم نجد إلا جزءًا من اسم والدته على بقايا هذا التابوت، أما اسم والده فلم يذكر عليه، ولكن عرفنا من الآثار الأخرى اسمي والديه وألقابهما، وبخاصة من تمثال عثر عليه بالقرب من «بحيرة مريوط»، وهو محفوظ الآن بالمُتْحَف البريطاني.

(راجع Guide to the Egyptian Galleries (1909 P. 261 Pi Xlv; Ibid sculpture P. 227, Budge, Egyptian sculpture in the british. museum. 1913, P. 21 & Pl. xlvii)

وقد مثل هذا التمثال راكعًا ويحمل أمامه ناووسًا.

وتنحصر النقوش التي على هذا التمثال فيما يأتي:

أولًا: نشاهد شريطًا من النقوش حول القاعدة جاء فيه:

(١) قربان يقدمه الملك للإله «ايون ور» (العمود العظيم، وهو لقب للإله «شو») القاطن في «حت بيتي»؛[١٠] ليعطي كل ما يظهر على مائدته يوميًّا والنسيم العليل الموكل بتوزيع الأرزاق (المسمى) «واح اب رع» الذي أنجبه مدير المعابد المسمَّى «بف ثو دي نيت». (٢) قربان يقدمه الملك لأوزير القاطن في «سايس»؛ لأجل أن يمنح خروج الصوت من خبز وجعة ونبيذ وثيران وأوز ونسيج وقربان ومأكولات يومية لروح المشرف على خاتم ملك الوجه البحري السمير الوحيد، ومدير المعابد «واح اب رع» الذي وضعته «تاشيسن نيت». ومع ذلك نفهم أنه على الرغم من وجود تمثال هذا العظيم على مسافة بعيدة من خرائب «سايس»، فإنه يمثل الرجل الذي دفن في جبانة هذه العاصمة.

أما المتن الذي نقش على ظهر هذا التمثال فقد جاء فيه:

قربان يقدمه الملك للإله «أوزير» الإله العظيم القاطن في داخل «حت بيتي» قربان من الخبز والجعة والخمر والنسيج والبقر والإوز والفطير المنوع، وكل شيء طيب وطاهر مما يعيش منه الإله لروح الأمير الوراثي والحاكم، وحامل خاتم الوجه البحري والسمير الوحيد، وموزع الأرزاق والمشرف على باب البلاد الأجنبية، وقائد جند كل الوجه القبلي والوجه البحري والمحارب الأول لدى سيده في كل البلاد الأجنبية، ومن يبحث عن الحق لآلهة ملك الوجه القبلي، والمقرب لدى ربه ولدى والده ووالداته ولدى كل الناس، مدير المعابد، وكاهن حور وعظيم الجنوب والشمال «واح-اب-رع».

وأخيرًا نجد على الناووس الذي يحمله «واح اب رع» بين يديه متنًا عاديًّا لا يضيف لمعلوماتنا عنه أكثر مما سبق. ونقوش هذا التمثال المحفوظ الآن بالمُتْحَف البريطاني تؤكد لنا شخصية

صاحبه وصاحب التابوت الذي وجد في «قواضي» هذا فضلًا عن أنها ذكرت لنا اسم والد هذا العظيم وهو «بف ثاونيت» (= نفسه هدية من الإلهة نيت). غير أن معلوماتنا عن هذا العظيم لا تنحصر في هذين الأثرين، بل يوجد له عدة تماثيل عثر عليها في إقليم «صا الحجر»، تؤكد لنا المعلومات الجغرافية السالفة الذكر. فمن بين هذه التماثيل واحد عثر عليه «أحمد بك كمال» في عام ١٨٨٩ (راجع Journal d'Entrée No. 34043)، وقد كشف عنه في «القواضي». وقد نقش على مقدمته سطر عمودي جاء فيه:

> الأمير الوراثي والحاكم والسمير الوحيد ومراقب البلاد الأجنبية الجنوبية ومراقب المعابد، ورئيس توزيع الأرزاق «واح-اب-رع» بن كاهن الإلهة «نيت» (البقرة) (المسمى) «بف-ثاو دي-نيت».

وعلى مؤخرته النقش التالي:

> المقرب من «نيت» سيدة «سايس» الأمير الوراثي والحاكم، ومدير البلاد الأجنبية الجنوبية والمشرف على الجنود، ومدير المعابد ورئيس توزيع الأرزاق (المسمَّى) «واح اب رع» بن مدير المعابد وكاهن «نيت» البقرة (المسمى) «بف ثاو نيت»، الذي وضعته قريبة الملك وكاهنه الساعة في «حت سلكت» (معبد الإلهة «سلكت» غير معروف) (المسماة) «تاشبسن نيت» صادق القول.

وكذلك لدينا تمثالان آخران أتى بهما «أحمد بك كمال» من «القواضي» عام ١٨٩٩، وهما بالمُتْحَف المصري (راجع Journal d'Entrée No. 34044 & 34045).

والتمثال الأول: (No. 34044): وقد مثل على طراز رقم ٣٤٠٤٣، وقد صور جالسًا القرفصاء، ولما كان رأسه قد اختفى فإن طوله هو ٨٥ سنتيمترًا بدلًا من متر وتسع سنتيمترات، وهو مصنوع من الجرانيت الرمادي ككل تماثيل هذا العظيم. ونقش على سطحه النقوش التالية:

الأمير الوراثي والحاكم والمشرف على أرض الجنوب ورئيس توزيع الأرزاق ومدير المعابد، والمقرب من الإلهة «نيت» (المسمى) «واح-اب-رع».

وقد نقش على ظهر هذا التمثال سطران عموديان غير أن بدايتهما هشمت. وهاك ما تبقى:

... كل ... المشرف على باب الجنوب ورئيس توزيع الأرزاق والمشرف على باب البلاد الأجنبية «واح-اب-رع» ... إلخ.

أما التمثال رقم ٣٤٠٤٥، فإنه قد مثل واقفًا ومرتديًا قميصًا وقد فقد رأسه وساقاه ويبلغ طوله حوالي ٩٩ سنتميترًا، وتدل أبعاده على أنه كان ممثلًا بالحجم الطبيعي. ويقول «جوتييه»: أنه لم ينجح في العثور على هذا التمثال في المُتْحَف، بل جاء بهذا الوصف على حسب ما جاء في السجل المصري للآثار. ومن جهة أخرى فإنه يوجد تمثال آخر في المُتْحَف المصري مثل جالسًا القرفصاء بدون رأس لنفس هذا العظيم، وهو موجود مع التمثال رقم ٣٤٠٤٤ وهو مثله من حيث الهيئة وتوزيع النقوش. ونقرأ على مقدمته ثلاثة أسطر أفقية موحدة مع نقوش التمثال رقم ٣٤٠٤٤ وهي:

الأمير الوراثي والحاكم والمشرف على إقليم الوجه القبلي ورئيس توزيع الأرزاق، ومدير المعابد، والمقرب من الإلهة «نيت» «واح اب رع». ونقش على الكرسي سطران عموديان قد اختفى أولهما مع رأس التمثال ... مدير معابد الإلهة «نيت»، والمشرف على باب الجنوب ورئيس توزيع الأرزاق، والمشرف على إقليم البلاد الأجنبية «واح اب رع» ...

ويحتوي المُتْحَف المصري خلافًا لذلك على ثلاثة تماثيل لهذا العظيم نحتت في حجر الشيست، وقد عثر عليها في نفس المنطقة الساوية، ولكنها من طراز آخر غير طراز التماثيل التي تحمل من رقم ٣٤٠٤٣ إلى ٣٤٠٤٥ في سجل المُتْحَف. فقد مثل فيها «واح اب رع»، كما مثل في

تمثال المُتْحَف البريطاني؛ أي قاعدًا على ركبتيه على قاعدة مستطيلة وقابضًا بين يديه الممتدتين إلى الأمام على ناووس صغير في داخله نشاهد بقايا تمثال. والتماثيل الثلاثة مفقودة الرأس، وما بقي منها في حالة سيئة من الحفظ. وقد دون «بورخارت» هذه التماثيل في كتابه عن التماثيل (راجع Cat. Gen. Borchardt, No. 677)، وقد أشار «بروكش» إلى التمثال الأول منذ ١٨٩١ (Thesaurus, V, P. 1067-1068) بأنه كان موجودًا في «الإسكندرية» في مصلحة الصحة، ويبلغ ارتفاعه ٧٦ سنتيمترًا، وقد اختفت بعض نقوشه بسبب التهشيم الذي أصابه. وهاك ما بقي على العمود الذي يستند عليه التمثال:

> ... للجنوب، والرئيس على توزيع الأرزاق، والمشرف على إقليم البلاد الأجنبية «واح اب رع» ... إلخ.

وعلى مقدمة الناووس سطر قصير عمودي نقش على جانبه بعض نقوش بقي منها:

اسم والد صاحب التمثال واسم والدته.

> على اليمين ... بن «بف ثاو دي نيت».
>
> على اليسار ... «تاشبن نيت».

وقد دل البحث على أن بقايا هذا التمثال قد لا يكون هو المقابل للجزء الأسفل، الذي رآه «بروكش» في «الإسكندرية» أو بعبارة أخرى أدق أصبح من المشكوك فيه أن الجزء الأسفل من التمثال، الذي عثر عليه «بروكش» ليس مكملًا للجزء الأعلى الذي يدعى أنه مكمل له، بل هو من تمثال آخر، وعلى ذلك فإنه يمكن القول: بأن هذا الجزء الأعلى هو من تمثال آخر لنفس «واح اب رع» هذا؛ وذلك لأن كل الألقاب التي أتت عليه مطابقة لألقابه التي جاءت على التماثيل الأخرى، وبخاصة التي على تمثال المُتْحَف البريطاني، وعلى أية حال فإن هذه القطعة العلوية ليست موجودة في المُتْحَف البريطاني.

التمثال الثاني: (Borchardt, Ibid. No. 679; Journ. 31888): عثر عليه في قرية «القضابة» على مسافة قريبة من جنوبي «صا الحجر»، ويبلغ ارتفاعه ٧٠ سنتيمترًا، ويلبس قميصًا وناووسه مهشم تمامًا. وقد نقش على العمود الذي يرتكز عليه التمثال ما يأتي:

> ... المشرف على كل أعمال الملك، والساكن في قلب سيده، والذي يعمل كل ما يحبه سيده يوميًّا، ورئيس توزيع مؤمن القربان ... في كل البلاد الأجنبية وحاكم الوجه القبلي ومدير البلاد الأجنبية الجنوبية، ومدير معابد التاج الأحمر (الوجه البحري) ورئيس أسرار السماء «واح اب رع».

قطعة من تمثال أمامه ناووس: وقد مثل راكعًا وقد ضاع ظهره ورأسه ولا يعرف المكان الذي عثر عليه فيه، ويبلغ ارتفاعه حوالي ٧٠ سنتيمترًا. والنقوش التي بقيت عليه قليلة إذ قد هشم معظمه:

> ... إقليم البلاد الأجنبية الجنوبية والسمير الوحيد ومدير القصر (؟) إلخ ... وقد بقي جزء من اسم كل من والده ووالدته على عارضتي الناووس فعلى اليمين نجد ... ثاو دي نيت. وعلى الشمال (تا) شبن نيت.

هذا وقد عثر له «جوتييه» على تمثالين آخرين أحدهما في «إنجلترا»، والآخر في متحف «اللوفر» «بباريس» هذا خلافًا للتماثيل السبع التي بالمُتْحَف المصري وتمثال المُتْحَف البريطاني، وبذلك تكون آثار هذا العظيم عشرة بما في ذلك تابوته. والتمثال الذي في «إنجلترا» يحتمل أنه لا يزال مختفيًا في إحدى المجموعات الخاصة أو العامة، وقد كان فيما مضى محفوظًا في «كرستال بالاس» لصاحبها «سيدنهام»، وقد نشرت نقوشه عام ١٨٨٥ ميلادية نشرها «شارب».

(Egyptian Inscriptions from the British Museums & others pi. 65. 2n series.)

وتدل شواهد الأحوال على أنه على هيئة التمثال رقم ٣٤٠٤٤ الموجود بالمُتْحَف المصري؛ أي إنه قد مثل راكعًا وأمامه ناووس. والنقش الذي على مقدمته هو:

الأمير الوراثي والحاكم والمشرف على إقليم الجنوب، والرئيس على توزيع القربات الغذائية، ومدير معابد التاج الأحمر؛ أي الوجه البحري المقرب لدى الإلهة «نيت» ونقش على ظهره ... الإله المحلي لمدير معابد التاج الأحمر، وكاهن الإله حور عظيم الجنوب والشمال والمشرف على إقليم الجنوب، ورئيس توزيع القربات الغذائية والمشرف على بوابة البلاد الأجنبية «واح اب رع» ... إلخ.

وأخيرًا يوجد له تمثال باللوفر وهو من الجرانيت الرمادي، وقد مثل متربعًا باسم المشرف على بلاد الجنوب (أو الحاكم الوراثي والرئيس المكلف ببلاد الجنوب)، والمشرف على القصر الملكي والمقرب من الإلهة «نيت». وقد نشر الأثري «بيل» جزءًا من نقوش هذا التمثال.

(Piehl. Inscrip. Hierogl. 1er partie Pl. XII D; Pierret Tom. II P. 8 de son Recueil d’Inscriptions Egyptienne du Musée du Louvre.)

كما نقل «بيريه» الألقاب التي على الجزء الأمامي، وكذلك نشر الألقاب التي على ظهر التمثال، وهي لا تختلف في شيء عن الألقاب المعروفة لهذا العظيم، والتي ذكرناها فيما سبق. ولا نزاع في أن هذه الآثار التي ذكرناها فيما سبق ليست كل آثار هذا العظيم، إذ لا بد أنه كان يوجد في قبره أواني الأحشاء الخاصة به، وكذلك التماثيل المجيبة وكمية عظيمة من الأشياء الجنازية، التي تكون عادة مع المتوفى في قبره، غير أننا لم نعثر على شيء منها حتى الآن، وربما تكشف عنها الأيام في بعض متاحف العالم أو في المجموعات الخاصة. وبعد درس آثار هذا العظيم

المختلفة أمكننا أن نجمع منها ألقابه التالية، التي توضح لنا مركزه الاجتماعي والديني والسياسي والحربي في البلاد. والظاهر أن بعض هذه الألقاب لم تكن إلا ألقاب شرف وحسب.

(١) الأمير الوراثي. (٢) الأمير الإقطاعي. (٣) حامل خاتم الوجه البحري. (٤) السمير الوحيد. (٥) والذي في قلب سيده (= ثقته). (٦) والذي يفعل لسيده ما يحبه في كل أرض أجنبية. (٧) والذي يفعل ما يحبه دائمًا إلهه كل يوم (يقصد الملك). (٨) والذي يبحث عن الحقيقة لآلهة ملك الجنوب. (٩) المقرب لدى الإلهة «نيت» ربة «سايس». (١٠) المقرب لدى الإله ولدى والده، ولدى أمه ولدى كل إنسان. (١١) مدير معابد حرم الإلهة «نيت». (١٢) مدير القصر. (١٣) المشرف على باب الجنوب (عند الفنتين). (١٤) المشرف على الإقليم الجنوبي. (١٥) المشرف على باب البلاد الأجنبية. (١٦) المشرف على باب إقليم البلاد الأجنبية (وهذا اللقب مرادف لما سبقه). (١٧) المشرف على البلاد الأجنبية. (١٨) المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية. (١٩) المشرف (؟) على كل بلاد أجنبية. (٢٠) المدير للأراضي الأجنبية الجنوبية (وهو مثل اللقب ١٨ ولكن بمعنى أقوى). (٢١) ورئيس توزيع أعطية الملك (J. E. A. 24, P. 86 ff.). (٢٢) رئيس أعطية الملك. (٢٣) المشرف على كل أعمال الملك (= مبانيه). (٢٤) القائد الأعلى لكل جنود المشاة في الوجهين القبلي والبحري. (٢٥) المحارب الأول لسيده في كل البلاد الأجنبية. (٢٦) رئيس أسرار معبد الإلهة «نيت». (٢٧) وشريف الجنوب. (٢٨) كاهن حور العظيم في الجنوب والشمال.

تلك هي الألقاب التي كان يحملها هذا الشريف العظيم، ومنها نفهم أنه كان يشغل مكانة عظيمة في البلاط الفرعوني في تلك الفترة، غير أن هذه الألقاب كانت متأثرة في تأليفها بالألقاب التي كانت تمنح في عهد الدولة القديمة في كثير من الأحوال، وعلى أية حال فإنه لا غرابة في ذلك؛ لأن هذا كان عصر النهضة، وتقليد القديم كان مستحسنًا ومستطابًا.

والدا «واح اب رع»

تحدثنا فيما سبق عن ألقاب «واح اب رع» ومكانته، وبقي علينا أن نذكر كلمة عن والديه. فالتمثال رقم ٣٤٠٤٣ المحفوظ بالمُتْحَف المصري تحدثنا نقوشه أن والده المسمى «بف ثاودي نيت» كان يلقب كاهن «نيت» البقرة، وهي الإلهة المحلية لبلدة «سايس»، ويحتمل أنها من أصل لوبي وقد كانت الإلهة «نيت» وقتئذ قد وحدت بالإلهة المصرية «أزيس حتحور» التي كانت تمثل في صورة بقرة بلباس رأس خاص بهذه الإلهة بقرنين بينهما قرص الشمس، وقد عثر في «سايس» نفسها على أعمدة حتحورية التيجان خاصة بمعبد أقيم للإلهة «نيت». هذا وتوحيد الإلهتين أشير إليه بصورة أكيدة. وقد ذكر على تمثال المُتْحَف البريطاني أن والد «واح اب رع» كان يحمل لقب مدير المعابد. أما والدة «واح اب رع» التي تسمى «تاشبن-نيت»، فإنه اسم مركب تركيبًا مزجيًّا مع الإلهة «نيت» إلهة مدينة «سايس» المحلية، وقد جاء اسمها على تمثال المُتْحَف البريطاني وتابوت «واح اب رع»، وكذلك على تمثاله رقم ٣٤٠٤٣ الموجود بالمُتْحَف المصري. وقد ذكرت على التمثال الأخير بوصفها قريبة الملك وكاهنة الساعة لمعبد «سلكت» (ويحتمل أن هذا نعت قديم لمدينة «سايس»). ومن المحتمل أن قطعة من الحجر عثر عليها في «رشيد»، ونقش عليها جزء من التعويذة ٢١٣ من متون الأهرام (A. S. XLII P. 389-390).

ويقول السيد لبيب حبشي في بحثه عن آثار «سايس»: إن قطعتين من الحجر من «رشيد» وثلاث قطع من بلدة «النحارية»، وقطعة من قرية «برما» قد أتي بها جميعًا من مبنى أقامه «إبريز» في بلدة «سايس». ومن المحتمل أنها كانت من قاعة عظيمة مصنوعة من حجر «الكورتسيت» أقيمت احتفالًا بالعيد الثلاثيني. (راجع A. S. XLII P. 396).

(٤-٢) آمون تفنخت

«آمون تفنخت»: المشرف على حرس الملك وكشف عن قبره في حفائر «سقارة» (راجع A. S. XLI P. 382) … إلخ.

ومن أبرز الشخصيات التي عاشت في عهد الملك «إبريز» جندي عظيم يدعى «آمون تفنخت»، عثر على قبره في جبانة «سقارة»، وقد دفن في بئر ذات حجرة جانبية يبلغ عمقها حوالي ٢٢ مترًا، وقد كانت حجرة دفنه مقامة من الحجر الجيري مغطاة بنقوش محفورة حفرًا متقنًا. وقد لوحظ أن التابوت الذي كان يثوي فيه المتوفى يملأ الغرفة، ويبلغ طولها ٤٢٠ سنتيمترًا من الشرق إلى الغرب و٢٦٠ سنتيمترًا من الشمال إلى الجنوب، أما ارتفاع الغطاء فهو ١٠٠ سنتيمتر. وقد نقش على سطح غطاء التابوت عمود من النقوش من الغرب إلى الشرق، ويشمل اسم المتوفى وألقابه وصيغة دينية خاصة بالبعث ذكر فيها اسم الإله «نفر توم» أحد أعضاء ثالوث «طيبة»، مما يضفي عليها صيغة منفية وهي:

> قم يا أوزير «آمون تفنخت» في صورة «نفر توم» زهرة البشنين، ومن عند رؤيته يفرح الإله رع ويظهر التاسوع يوميًّا.

واسم المتوفَّى هو كما ذكرنا «آمون تفنخت»، وكان كذلك يحمل لقب «واح اب رع مري بتاح». وهذا الاسم الذي كان يستعمل في البلاط يخول لنا أن نضع اسمه بين عظماء الرجال الذين عاشوا في عهد الملك «إبريز»، وأمه كانت تدعى «ادت ارو» وكان يحمل الألقاب الآتية: (١) المشرف على الحرس. (٢) كاهن الملك المطهر. (٣) قائد المجندين.

ولخصت ألقابه الحربية في أنه كان قائد المجندين الخاصين بالحرس الملكي.

والنقوش الدينية التي حفرت في المقبرة قد عملت بدقة، ووزعت على حسب الترتيب المنطقي للتصميم الداخلي للمقبرة:

الجانب الشرقي: يشمل هذا الجانب الباب الذي يؤدي إلى حفرة الدفن، وقد خصص للإلهة «أزيس» التي تمد المتوفى بنفس الحياة، وهو الذي يدخل بوساطة الباب وهي التي تحفظه من أعدائه الآتين من الخارج. والجزء الأعلى من هذا الجانب يحتوي على النقش التالي: يا أوزير أيها الكاهن الملكي المطهر والمشرف على الحرس الملكي «آمون تفنخت» إن أختك «أزيس» تأتي إليك فرحة بحبك. إنها تبصرك، إنها تحفظك وتدفع قدميك حتى لا تغرق، وإنها تعطيك الهواء لأنفك حتى تعيش، وتجعل زورك يتنفس حتى لا تموت قط يا أوزير «آمون تفنخت». وهذا المتن الذي يصف خلاص جسم «أوزير» وإحيائه بوساطة «أزيس»، قد أخذ بلا شك من مصدر قديم، أو بعبارة أخرى من متون الأهرام وفيه نجد الدور الذي تقوم به «أزيس» من أجل حماية زوجها وأخيها «أوزير»، وقد جاء بعده متن مؤلف من تعويذات عدة نظمت على جانبي الباب، وهذه النقوش منقولة عن متون الأهرام: ٢٤٦، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١–٤٣، ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٢٥-٢٢٦، ٢٤٤، ٢٤٥.

الجانب الغربي: خصص هذا الجانب للإلهة «نوت» التي تؤله المتوفى، وقد نقش في أعلى الباب سطران مأخوذان من متون الأهرام ويحتويان على الصيغة المعروفة في هذه المتون (Pyr. §§ 638 a 6 & 1607).

وهاك الترجمة:

> يا أوزير «آمون تفنخت» الذي ولدته السماء والذي حملت فيه «نوت»، ووارث «جب» الذي يحبه، إن والدتك «نوت» قد نشرت نفسها عليك باسمك «سر السماء». ولقد جعلتك إلها بدون أي عدو، يا أيها المبجل من الإله العظيم «آمون تفنخت». وقد نقش تحت هذا المتن متون خاصة بالشعائر التي تؤله المتوفى بتطهيره بالنطرون (Pyr. 27)، وتقديم قربان من العطور (Pyr. 506–51)، والملابس (Pyr. 56-57).

الجانب الجنوبي: خصصت نقوش هذا الجانب من المقبرة لإطعام المتوفى في الحياة الآخرة، ويحتوي على صيغة القربان العادية والأعياد المصرية الرئيسية، وفي أسفل من هذا تأتي قائمة القربان الشهيرة (راجع Excavations at Giza, The Offering List. In the Old Kingdom; Pyr. § 214-215, 17-18 & 22-23). يتبع ذلك صيغ القربان المأخوذة من متون الأهرام.

الجانب الشمالي: خصص هذا الجانب لذكر صيغ القربان العادية للإله «أنوبيس»؛ لأجل دفن المتوفى في الجبانة واستعمال الطرق الجميلة التي لا يسير عليها إلا المقربون. والشرح الهام جدًّا لأجل فهم هذه الصيغة يوجد في المتون الأسطورية المذكورة في متون الأهرام (راجع Pyr. 364–369 & 376–387).

وأخيرًا نجد متنين نقشا على التابوت مأخوذين من متون أخرى غير متون الأهرام، وكان على المتوفى أن ينطق بهما، وأحدهما خاص بسياحة قارب الشمس، وهو سابق للفصل ٤٧ من كتاب الموتى (راجع A. S. I. P. 255 L. 488–493). وفي الشمال نجد صيغة لأجل الحصول على طعام (Ibid. P. 256 L. 495–8)، ويدل بناء حجرة الدفن على مهارة عظيمة. والتابوت الذي يتألف من قطعة واحدة من الحجر الجيري الصلب، لا بد أنه كان قد أنزل إلى قعر البئر وبنيت حوله الحجرة، ومن المؤكد أن غطاء التابوت كان قد أنزل قبل بناء الحجرة، وكان قد حمل على أربعة أعمدة من الحجر إلى أن انتهى البناء تمامًا.

وبعد رفع الغطاء وجد أن التابوت يحتوي على تابوت من الاردواز برأس إنسان، وقد حفر حفرًا جميلًا، وزين تزيينًا نظيفًا بحروف وبرموز محفورة، وقد صورت ملامح الوجه بوضوح، أما الصدرية واللحية الشعيرية والإلهة «نوت»، فقد مثلت على الغطء بتفاصيل مدهشة. والمتن الذي نقش في ستة أسطر مغطية وجه التابوت، صورة تطابق فقرة من متون الأهرام (Pyr. 64–643a)، هذا وقد رسم على كل جانب من جوانب التابوت ثلاثة آلهة في صورة محنطة في

ثلاثة صفوف. ففي الجهة الجنوبية «امستي» و«دواموتف» و«أنوب على جبله»، وفي الجهة الشمالية «حبي» و«كبح سنوف» و«خنتي ننرسح». وكل واحد منهم يصحبه متن بعينه منقوش عموديًّا أمامه: «هذا هو حمايتك.» وقد وجدت الجثة سليمة في التابوت ملفوفة في نسيج تفحم، وطغت عليه مواد التحنيط. وكانت الجثة لرجل مسن ويبلغ طولها ١٨٠ سنتيمترًا، وقد كانت اليد اليسرى موضوعة على الصدر واليمنى ممتدة على الفخذ اليمنى. ومن المدهش أنه بعد فك اللفائف لم توجد مع المتوفى تعويذة واحدة، أو أي شيء مدفون معه على الرغم من أنه كان يشغل وظائف عالية. ومن المحتمل إذن أن الجثة كانت قد دفنت بعد الموت مباشرة دون أن تجري عليها عمليات التحنيط المتبعة.

---

[١] انظر شكل رقم ١٠.

[٢] أرميا الإصحاح ٣٨ سطر ٢–٥.

[٣] انظر شكل رقم ١١، وشكل رقم ١٢.

[٤] راجع Flora of Ancient Egypt. Vol. III, P. 277.

[٥] بلدة في إقليم بحيرة مريوط على جزيرة في هذه البحيرة (راجع Gauthier D. G. III P. 53-54).

[٦] راجع Boreaux, Antiquités Egyptiennes, Guide Catalogue Sommaire 1, P. 192.

الملك أحمس الثاني[١]

(= أمسيس) ٥٧٠–٥٢٦ق.م

أحمس سانيت

خنم-اب-رع

لم تختلف الآراء على المدة التي حكمها أحمس الثاني، أو كما يسميه اليونان أمسيس على حسب ما جاء في روايات الكتاب الأقدمين أمثال «هردوت» و«مانيتون»، فقد أجمع الكل على أنه حكم أربعًا وأربعين سنة (راجع Herod. III, 10)، ولم يشذ عن هذا الرأي من المحدثين إلا الأثري «فيدمان» فقد قال: إنه حكم ثمانية وثلاثين سنة وحده، وحكم ست سنوات بالاشتراك مع الفرعون «إبريز»، غير أننا قد برهنا فيما سبق على أن هذا الاشتراك في الحكم، جاء نتيجة خطأ في قراءة الاسم ومن ثم يقول «جوتييه»: يجب أن تحدد بداية حكمه بنهاية عام ٥٧٠ق.م وتاريخ وفاته يمنتصف عام ٥٢٦ق.م.

والواقع أن ما جاء على الآثار يؤكد لنا أن «أحمس» لم يحكم أكثر من أربع وأربعين سنة، كما يدل على ذلك نقش في وادي حمامات (L. R. IV, P. 120 No. 2).

(١) أصل أحمس الثاني

تحدثنا فيما سبق أن الثورات التي قامت في مصر، تلك الثورات التي كان سببها النزاع الذي كان قائمًا بين «إبريز» وقائده «أحمس»، الذي أصبح فيما بعد ملكًا على مصر ويدعى أحمس الثاني، وذلك بعد أن خلع إبريز عن عرش الملك بمساعدة جنوده من المشوش. والواقع أنه بتولي أحمس هذا عرش الملك قد تغيرت الأسرة الحاكمة؛ لأنه لم يكن من دمها ولا من دم ملكي

قط. ويحدثنا هردوت عن أمسيس فيقول: وبعد أن أنزل «إبريز» عن عرش الملك بهذه الصورة حكم مكانه «أمسيس»، الذي ينسب إلى إقليم سايس (صا الحجر)، واسم البلدة التي أتى منها هي «سيوف» (وهي قرية قريبة من «سايس»، ويحتمل أنها قرية «الصفة» الحالية التي تقع على مسافة ستة أميال من «سايس» (صا الحجر)). وقد أظهر له المصريون في بادئ الأمر الكره، ولم يشعروا من ناحيته باحترام كبير؛ لأنه كان فيما مضى شخصًا عاديًّا ولم يكن من أسرة لامعة، ولكنه فيما بعد أرضاهم بمخاطبته إياهم دون كبرياء.

فقد كان يملك كنوزًا يخطئها العد، هذا بالإضافة إلى أنه كان لديه آنية صيغت من الذهب يستعملها لغسل القدم، وكان قد اعتاد أمسيس أن يغتسل فيها هو وجميع ضيفانه الذين اعتادوا غسل أرجلهم عنده. وقد كسر هذا الإناء قطعًا وصنع منه تمثال إله ووضعه في أنسب مكان في المدينة، وقد احتشد المصريون حول هذا التمثال، وقدموا له أعظم الإجلال. غير أن أمسيس لما علم بمسلكهم هذا جمع المصريين سويًّا، وفسر لهم الأمر قائلًا: إن هذا التمثال الذي يُعبد كان مصنوعًا من إناء لغسل القدم وكان القوم يقيئون ويتبولون ويغسلون أقدامهم فيه، ومع ذلك فهم الآن يبجلونه أعظم تبجيل، وبعد ذلك استمر يقول: إن ما حدث لإناء القدم قد حدث له، فإنه على الرغم من أنه كان قبل شخصًا عاديًّا[٢] قد أصبح ملكهم، فهو يطلب إليهم أن يحترموه ويبجلوه، وبهذه الكيفية كسب حب المصريين له، وبعد ذلك فكروا أنه من الأصوب لهم أن يطيعوه. وكان قد اتخذ الطريقة الآتية في إنجاز أعماله: فمن الصباح المبكر حتى نهاية وقت العشاء كان يعمل جاهدًا في تصريف الأعمال التي كانت تحضر أمامه، وبعد ذلك كان يعاقر بنت ألحان، ويلهو مع أصحابه ويتجاذب الأحاديث معهم دون تحرج ويمرح، غير أن ذلك قد أساء أصدقاءه ونصحوه له قائلين: أنت أيها الملك لا تسيطر على نفسك كما يجب إذ إنك تنزل نفسك منزلة السوقة أكثر مما هو مألوف، إذ إنه مما يليق بك وأنت الجالس على عرش ملك محترم أن تقضي اليوم في تصريف الأمور العامة، وبذلك يتوفر للمصريين أن يعرفوا أنهم محكومون برجل عظيم، ويمكن

بذلك أن يتحدث عنك بصورة أحسن، ولكنك الآن تعمل بطريقة لا تناسب ملكًا قط؛ ولكنه أجابهم بما يأتي: إن أولئك الذين يملكون أقواسًا عندما يريدون استعمالها يثنونها، ولكن عندما ينتهون من استعمالها فإنهم يتركونها فتنبسط؛ وذلك لأنها لو بقيت دائمًا مثنية كسرت، ومن ثم فإنه لا يمكن استعمالها عندما تدعو الحاجة إليها، وهكذا هي حالة الإنسان، فإنه إذا استمر في مزاولة الأشياء الجدية ولم يسمح لنفسه أحيانًا بشيء من الرياضة، فإنه يصبح على حين غفلة منه مجنونًا بليدًا.

وعلى الرغم من أن ما ذكرنا هنا عن «أمسيس» كما ذكره لنا هردوت لا يتعدى كونه أسطورة، فإنه ينطوي على شيء من الأمور التي كانت تجري في الحياة المصرية الحقيقية، فنحن نعلم من جهة أن المصري في كل عهوده لا يؤمن بتولي فرد من أبناء الشعب لم يكن من الأسرة المالكة عرش الملك، فكان لا بد للفرعون أن يكون ممن يجري الدم الملكي في عروقهم، وقد كان الأنسب أن يكون ابن ملك وملكة، وأنه عندما يكون الملك ليس من دم ملكي خالص، فإنه كان عليه أن يتزوج من الأسرة المالكة؛ أي ابنة ملك، وقد فصلنا القول في ذلك وضربنا له الأمثال[٣] عند الكلام على الملكة «خنتكاوس»، غير أن الحالة التي أمامنا فيما يخص «أمسيس» تعد أمرًا شاذًّا. إذ قد نال الملك اغتصابًا، ومن ثم أراد أن يقنع الشعب بطريقة أخرى في أحقيته للملك بضربه المثل بإناء غسل القدم الذي تحول بعد كسره إلى تمثال إله … يضاف إلى ذلك أنه لما كان هو من عامة الشعب، وتربى في أحضان الشعب ونشأ على عاداته وأخلاقه، فإنه لم يكن في مقدوره التخلص مما فطر عليه من عادات وطباع نشأ عليها؛ ولذلك فإن غرائزه قد قادته للاختلاط بالشعب الذي تربى فيه، فأصبح يلهو معهم وقت فراغه طلبًا في تجديد نشاطه، ولكن ذلك لم يرقَ في نظر المصريين الذين كانوا يرون أنه ليس من شرف الفرعون، ومكانته أن ينزل إلى مخالطة السوقة بهذه الصورة المزرية في نظرهم، وقد ضرب لهم مثلًا بالقوس كما ذكرنا، وعلى أية حال فإن ما ذكره لنا هردوت هنا يميط اللثام عن أحوال الشعب المصري في

تلك الفترة التي عاش فيها، وذلك يدل على أن المصريين كانوا لا يزالون متمسكين بالعادات والتقاليد القديمة الموروثة. وقد كان أول عمل قام به أحمس، عندما أصبح يحكم البلاد بمفرده هو إرضاء الحزب المصري القديم على حساب الإغريق، الذين هزمهم ثلاث مرات كما سبق الكلام على ذلك.

وكان الإغريق الدخلاء على مصر قد استوطنوا داخل البلاد في الغرب حتى طرانة، وفي الشرق حتى أدفينا حيث كان لهم أحواض وسفن، هذا غير أماكن أخرى صغيرة للتجارة. وقد منح الفرعون أمسيس مدينة نقراش (كوم جعيف الحالية) برمتها للإغريق، وقد حدثنا هردوت عن ذلك قائلًا (Herod. II, 179): كانت «نقراش» قديمًا المكان الوحيد للتجارة، ولم يكن غيرها في مصر، وإذا وصل الإنسان إلى أي مصب آخر من مصبات النيل، فإنه كان يضطر إلى أن يقسم يمينًا «أنه قد أتى هناك على غير إرادته»، وكان عندما يؤدي مثل هذا القسم يضطر إلى أن يسافر في نفس السفينة التي جاء فيها إلى المصب الكانوبي، وعلى العكس إذا منع بسبب الرياح المعاكسة من الذهاب هكذا، فإنه كان يضطر إلى تفريغ حمولته ثم يحملها على سفن نقل حول الدلتا حتى يصل إلى «نقراش». وقد كانت الامتيازات التي تتمتع بها مدينة نقراش عظيمة جدًّا وقتئذ.

ولا نزاع في أن «أمسيس» كان أول من وضع هذا النظام التجاري، ولم يكن معمولًا به قبل، ولا أدل على ذلك من أن المستعمرات الإغريقية المبكرة مثل «أدفينا»، قضي عليها في عهد أمسيس كما ذكر لنا ذلك هردوت (Herod. II, 154)، وقد كان من جراء منح «أمسيس» بلدة «نقراش» هذا الامتياز أنه كان ينظر إليه فيها على أنه حاميها، غير أن عمله هذا كان في الواقع يُعد تضييقًا للحصار على نفوذ الإغريق، وذلك بجعلهم لا يدخلون إلا ميناء واحدة بمعاهدة بينه وبينهم، وقد جاء ذكرها على أثر هزيمة المصريين للجنود الإغريق المرتزقة، وسنتناول هذا الموضوع كرة أخرى فيما بعد.

(٢) الحالة السياسية والخارجية

لا نزاع في أن حالة البلاد الداخلية وما تفشى فيها من ثورات، وانشقاق بين أفراد الشعب من جهة، وما حدث من انقسام في الجيش من جهة أخرى قد أنهك قواها، وبث فيها روح الفوضى. وكانت هذه الفوضى قد عمت البلاد منذ باكورة عام ٥٦٩ق.م حتى عام ٥٧٦ق.م، بل يحتمل أنها كانت قد سبقت هذه السنة على أقل تقدير. وفي هذه الفترة العصيبة الحرجة من تاريخ البلاد تدخلت دولة أجنبية في شئون مصر، قاصدة الاستيلاء عليها، وقد كانت مصر وقتئذ في حالة ضعف وانحلال خطيرين.

وآية ذلك أنه في العام السابع والثلاثين من حكم العاهل «نبوخد نصر» ملك بابل هوجمت مصر بجيوش هذا العاهل، وذلك عندما كانت الحرب الداخلية بين «إبريز» و«أمسيس» على أشد ما تكون من عنف وقوة. ومما يؤسف له أن معلوماتنا التاريخية عن هذه الحملة البابلية قليلة جدًّا، إذ ليس في متناولنا عنها إلا قطعة من نقش بالخط المسماري محفوظة الآن بالمُتْحَف البريطاني.

(راجع: Wiedemann, A. Z., 16 (1878) PP. 81–89; E. Schradier, A. Z. 17, (1879) P. 45–47; K. B. III, 2, P. 140-141; Th. G. Pinches, T. S. B. A. 7 (1882) P. 210–217; H. Winckler, Altorientalische Forachungen I, P. 511-12;).

وتوجد كذلك ترجمة لهذه القطعة وضعها الأستاذ هول (راجع: H. R. Hall, Cambridge Ancient History III, P. 304).

وتكملة اسم الملك المصري الذي حاربه «نبوخد نصر» (أما) سو = (أم) سيس، وهذا مؤكد فعلًا من سير الحوادث التاريخية الخاصة بهذا العصر. ومن جهة أخرى نجد النظرية التي أيدها الأستاذ «فنكلر» (Ibid. P. 512–515) في القطع الأخرى من النقش نفسه، وهي أن بتاكوس

Pittakos صاحب «متيلين» كان حليفًا للملك «أمسيس»، وعلى ذلك تكون تكملة للقطعة هكذا ... كوالي «بتاكو» أو «بتكو». وعلى أية حال فإن هذه مجرد نظريات وحسب. وقصارى القول أنا لا نعلم خلاف هذا المصدر شيئًا قط عن هذه الحروب، كما لا نعلم إلى أي حد زحف «نبوخد نصر» في داخل البلاد المصرية.

وعلى الرغم من قلة الوثائق الخاصة بهذه الحروب، فإنه من المستطاع تصوير الموقف. وذلك أن العاهل «نبوخد نصر» قد انتهز فرصة قيام الفوضى في مصر؛ ليقوم بحملة حربية عظيمة على مصر، وبخاصة أن علاقته بها كانت على أسوأ ما يكون منذ عهد الملك «إبريز». وكان غرضه على ما يظهر أن يستعرض أمام المصريين بشيء من الأبهة والعظمة قوته الحربية الجبارة، محذرًا بذلك مصر ألا تفكر من جديد في القيام بأي تعدٍّ على أملاكه، ومن ثم نفهم أنه لم يكن في عزمه فتح مصر، كما كانت الحال في عام ٦٠٥ق.م وذلك في عام ٥٨٠ق.م كما سبق شرحه.

والواقع أن «نبوخد نصر» كان موفقًا في سياسته هذه كل التوفيق؛ وذلك لأن «أمسيس» الذي كان يدين إلى حد بعيد بعرشه للثورة التي قامت تناهض سياسة التوسع الفاشلة، وهي السياسة التي كان قد اختطها لنفسه «إبريز» في الشرق والغرب، فإنه عاد ثانية إلى السياسة القديمة التي كان قد انتهجها كل من بسمتيك الأول ونيكاو وبسمتيك الثاني، وهي السياسة التي تنطوي على المهادنة والدفاع عن النفس وحسب. وعلى ذلك لم تقم حرب بين الدولة الكلدية والأسرة الساوية، حتى نهاية كل من الدولتين؛ وكذلك ظلت الحال في سلام مع أخلاف «نبوخد نصر» الضعفاء، وهم أمل-مردوك Amel-Marduk (من ٥٥٦–٥٣٩) ونرجال-شاروصور Nergal-Scharusur (٥٦٠–٥٥٧ق.م) ولاباشي-مردوك Labaschi-Marduk (٥٥٦ق.م) ونابوتيد Nabonid (٥٥٦–٥٣٩ق.م)؛ وذلك لأن فكرة إعادة فتح فلسطين وسوريا على يد أمسيس لم تكن في دائرة الأمر الممكن.

وتدل شواهد الأحوال على أنه قد قامت علاقات لا بأس به بين مصر وبابل، هذا ونجد أن «أمسيس» كان قد عقد في الغرب معاهدة صداقة مع سيريني (راجع Herod II, 181)، وسنورد هنا قصة هذه المعاهدة على الرغم مما تحتويه من عبارات قد تدل على أنها حديث خرافة بالنسبة لنا:

> عقد «أمسيس» معاهدة صداقة وتحالف مع السيرينيين، وعزم على اتخاذ زوجه من هذه البلاد وذلك إما شهوةً في التزوج من امرأة إغريقية، وإما من أجل حب خاص يضمره للسيرينيين، وعلى ذلك تزوج على حسب قول البعض ابنة الملك باتوس Battus ويقول آخرون: ابنة الملك «أرسسيلاوس» Arcesilaus، وإن كان آخرون يقولون: إنها ابنة كريتوبولوس Critobulus، وهو رجل من علية المدنيين. وكان اسمها «لاديس» Ladice. ولم يستطع «أمسيس» إتيانها ولم تكن هذه هي حاله مع نسوة أخر، واستمر على هذه الحال طويلًا، فلما أعيته الحيلة ورأى أنه عاجز قال لهذه المرأة: يا أيتها المرأة لقد استعملت السحر معي، وليس أمامي إلا أن أميتك أشنع ميتة ماتتها امرأة، وعندما وجدت «لاديس» أن أمسيس لم يقتنع بإنكارها، ولم يهدأ نذرت نذرًا «لفينوس»، وهو أنه إذا أمكن «أمسيس» أن يطأ هذه الليلة (لأن ذلك كان هو العلاج الوحيد) أرسلت تمثالًا للإلهة في «سيريسي». وبعد هذا النذر مباشرة أتاها أمسيس، ومن هذا الوقت كان يجد عنده القدرة على أن يطأها، فأصبح مغرمًا بها إغرامًا يفوق الحد. ولكن «لاديس» أوفت بنذرها للإلهة، فأمرت بعمل تمثال أرسلته إلى سيريني، وكان لا يزال محفوظًا في زمني (هردوت)، ويواجه خارج مدينة سيريني، وعندما فتح «قمبيز» مصر علم من هي «لاديس» هذه، فأرسلها في أمان غير مضارة إلى «سيريني».

هذه بطبيعة الحال قصة سمعها هردوت حيكت حول المعاهدة التي عقدها مع بلاد سيريني، ولسنا في حاجة إلى التعليق عليها؛ لأنها تتحدث عن نفسها. والظاهر أن أمسيس نفسه قد تأثر عن طريق زوجه، هذا إذا كانت القصة صحيحة بالنسبة لزواجه من إغريقية، إذ نجد أنه قد أهدى قربانًا في بلاد اليونان (للإلهة)، فنجد أولًا أنه أهدى تمثالًا مذهبًا للإلهة منرفا Minerva في سيريني، كما أهدى صورته ملونة، ثانيًا أهدى لمنرفا في «لندوس» تمثالين من الحجر ودرعًا من الكتان تسترعي النظر، وثالثًا أهدى «جوتو»[٤] في ساموس صورتين لنفسه محفورتين في الخشب، وقد أقيمتا في المعبد الكبير وكانتا لا تزالان في زمني خلف الأبواب، والآن عمل هذه القربات في «ساموس» بسبب الصداقة التي كانت بينه وبين بوليكراتس بن أسس Aeaces، ولكن تلك التي كانت في «لندوس» لم تكن بسبب الصداقة، بل كان سببها على ما قيل أن بنات «داناوس» قد أسس المعبد[٥] منرفا في لندوس، عندما وصلوا إلى هناك عند فرارهن من أولاد اجبتوس؛[٦] وهذه كانت القرابين التي قدمها أمسيس. وكان أول من فتح قبرص وجعلها خاضعة لدفع الضرائب.

وعلى أية حال نجد هنا أن أمسيس قد تحول تمامًا عن سياسة «إبريز» الهجومية، وقد قدم مساعدته للوبيين أهل برقا على الإغريق، ولم يتحول أمسيس عن هذا المبدأ، ويلحظ ذلك عندما قامت الثورة في الفيقة في برقا، واستمرت حتى العهد الفارسي.

وقد حدثنا عن ذلك أخو الملك «أرسيسلاوس» الثاني ملك «سيريني» عن هذا المصير، وتأسيس مدينة برقة، وقد كانت هذه الحروب الداخلية في صالح اللوبيين؛ لأنهم أفلحوا في هزيمة جيش «سيريني» في موقعة قتل سبعة آلاف جندي هوبليتي، وقد حدثنا عن ذلك هردوت (Herod. II, 160 ff). وكان «لباتوس» هذا نجل يدعى «أرسسيلاوس»، وهو الذي كان أول عمل له بعد اعتلائه العرش هو الشجار مع إخوته حتى إنهم تركوه وذهبوا إلى أجزاء أخرى من لوبيا، وبعد مشاورة فيما بينهم أسسوا المدينة التي لا تزال تسمى «برقة»، وفي أثناء إقامتها أغروا

اللوبيين بالقيام بثورة على السيرينيين، ولكن فيما بعد قاد أرسسيلاوس جيشًا على هؤلاء اللوبيين الذين استقبلوهم وعلى الثائرين أنفسهم، ولكن اللوبيين خوفًا منه فروا إلى اللوبيين الشرقيين، وقد اقتفى أرسسيلاس أثرهم في حربه حتى لحق بهم عند «لوكون» Leucon في لوبيا وعندئذ صمم اللوبيون على مهاجمته. وبعد أن اشتبكوا معه في موقعة هزموا السيرنيين تمامًا، حتى إن سبعة آلاف جندي ممن قد سلحوا بأسلحة ثقيلة من السيرنيين قد سقطوا في الموقعة. وبعد هذه الضربة شنق «لارخوس» Learchus أخاه أرسسيلاوس الذي كان مريضًا وتحت تأثير بعض العقاقير. أما زوج «أرسسيلاوس» التي كانت تدعى أريكسو Eryxo، فإنها قتلت لارخوس بحيلة.

وفي تلك الفترة قهر «أمسيس» مدن قبرص، وجعلها تدفع الجزية لمصر (راجع Herod. II, 182)، وقد ذكر لنا ديدور هذا الحادث عند قوله: (راجع Diodorus, I, 68 L. 6)، وقد أخضع (أمسيس) مدن قبرص وزين كثيرًا من المعابد بقرابين ذات قيمة عظيمة. ومن المحتمل أن ذلك كان قد حدث فعلًا في عام ٥٦٠ق.م، وسبب ذلك على ما يظن أنه لم يكن أمام الأسطول المصري في هذا الموقف ما يقاومه، إذ لم تكن قبرص على اتصال مباشر بدولة عظيمة يمكن بتفوقها أن تدخل مع «أمسيس» في حرب، يضاف إلى ذلك أن مصر كانت في تلك الآونة تنعم في الداخل برخاء وفير وثروة جمة، ففي تلك الفترة لم يكن فيها أقل من عشرين ألف مدينة على حسب ما جاء في «هردوت»، ولا شك في أن ذلك العدد مبالغ فيه (راجع Herod. II, 177). وفي عهد «أمسيس» قيل: إن مصر كانت تتمتع بأعظم رخاء من حيث الفوائد التي كانت تأتي من النهر إلى الأرض، ومن الأرض إلى الناس وقيل: إنها كانت تحتوي في ذلك الوقت على عشرين ألف مدينة معمورة. وكان أمسيس هو الذي سن القوانين للمصريين، وبمقتضاها كان على كل مصري أن يعلن لحاكم إقليمه الطريقة التي عاش بها، وإذا قصر إنسان في إعلان ذلك، ولم يظهر أنه قد عاش عيشة شريفة عوقب بالموت، وقد حمل صولون الأثيني هذا القانون من

مصر ونفذه في «أثينا»، وإن الناس لا يزالون يتبعونه بوصفه نظامًا لا غبار عليه (أي: في أثينا).

وقد حدثنا كذلك «ديدور» الصقلي عن تشريعات أمسيس، وذلك عند الحديث عن عظماء المشرعين من ملوك مصر وعددهم ستة (راجع Diod I, 93–95)، وقد جاء ذكر أمسيس بعد ذكر الملك «بوكوريس» الذي تحدثنا عنه فيما سبق فيقول عنه «ديدور» بعد «بوركوريس» يقولون (أي: المصريين): إن ملكهم أمسيس قد وجه عنايته للقوانين وهي التي على هداها وضع القواعد التي تحكم بمقتضاها حكام المقاطعات، وتسير على نهجها كل الإدارة المصرية. وتحدثنا عنه التقاليد أنه كان غاية في الفطنة راقيًا في عواطفه وعادلًا؛ ولهذه الأسباب نصبه المصريون ملكًا على الرغم من أنه لم يكن من دم ملكي. ويقال كذلك إن أهالي «أليس» Elis عندما كانوا مهتمين بأمر الألعاب الأولمبية أرسلوا رسولًا يسألونه: كيف يمكن أن يرشدوا في طريقهم إلى أعظم عدالة واستقامة؟ وقد كان جوابه عن ذلك: يشترط ألا يشترك رجل من أليس Elis (في هذه الألعاب). وعلى الرغم من أن بوليكراتس Polycrates حاكم «ساموس» كان على ود ومصافاة معه، فإنه عندما أخذ يظلم المواطنين والأجانب في «ساموس» قيل: إن «أمسيس» أرسل إليه في بادئ الأمر خطابًا قطع فيه أواصر الصداقة التي بينهما؛ وذلك لأنه لم يرد كما قال أن ينغمس في الحزن بعد زمن وجيز لعلمه تمامًا أن المصيبة كانت وشيكة أن تحل بالحاكم الذي يصر على الظلم بمثل هذه الطريقة. وقد كان موضع الإعجاب، كما قيل عند الإغريق بسبب أخلاقه الفاضلة، وبسبب كلماته للحاكم بوليكراتس التي تحققت بسرعة.

(٢-١) سقوط «مديا» ونتائجه

وفي عام ٥٥٣ق.م قامت ثورة في مملكة ميديا انتهت بأن ملك الفرس «كورش الثاني»، أسر ملك ميديا الذي كان يدعى «أستياجس» Astyages فسقط من عليائه؛ وقد كان من جراء

سقوط دولة «ميديا» أن أزيح نير ثقيل عن عوائق كل ممالك آسيا الصغرى، غير أنه لم يمضِ طويل زمن، حتى تطورت الأحوال بصورة أخرى مختلفة لم تكن في الحسبان لدى «بابل» و«ساريس» و«سايس»، وذلك أنه في عام ٥٥٠–٥٤٩ق.م مات الملك «أستياجس» ملك ميديا في سجن كورش. فانتقل الملك لأسرة الفرس الأخمينية، وبذلك لم تتمزق مملكة إيران العظيمة، كما أن أجزاءها لم تتناحر. ولا نزاع في أن هذا التغير كان يعني انقلابًا ثوريًّا في الموقف العالمي؛ إذ كانت مملكة ميديا بما لها من قوة جبارة تعد خطراص خفيًّا على جيرانها، ولكن يرجع الفضل في منع هذا الخطر إلى سياسة الملك نبوخد نصر العظيمة التي حفظت التوازن الدولي وقتئذ مؤقتًا. فقد كانت المعاهدة التي بين كورش وأستيجاس لا تُعد شيئًا يذكر، بل كانت في الواقع تعد قصاصة ورق، ولا تحتوي على أية روابط أسرية من جهة بابل وميديا. وقد كان المنتظر في كل لحظة في هذه الفترة من الزمن أن تقبض مملكة فارس على السيادة العالمية، وتنشر سلطانها على العالم المتمدين.

وقد وجد الملك أمسيس نفسه في تلك الآونة في الموقف الذي كان فيه الملك بسمتيك الأول منذ سبعين عامًا مضت، وذلك عندما كان نجم آشور ينذر بالأفول، وقد كان نفس السبيل الذي سلكه سلفه، فقد كانت بابل في نفس الموقف الضعيف الذي كانت تقف فيه آشور في عهد بسمتيك الأول؛ أي إنها كانت دولة معادية لها، ولكنها كانت بالنسبة لمصر جارة لا خطر منها، بل كانت مهددة بالفناء من دولة جديدة لا تعرف مقاصدها على وجه التأكيد. وفي هذا الوقت عمل أمسيس على أن تستمر سياسة مصر على ما هي عليه، وبعبارة أخرى لم يتخذ سياسة هجوم؛ ففي عام ٥٤٧ق.م عقد معاهدة دفاعية مع عاهل بابل «نبونبد»، ومع كروسوس ملك ليبيا، كما أشار إلى ذلك «هردوت» (Herod, I, 77)، فيقول في ذلك في حديثه عن حروب كروسوس مع كورش: ولكن «كروسوس» قد ألقى اللوم على جيشه بسبب قلة عدده؛ وذلك لأن قواته التي اشتركت في الحرب كانت أقل من قوات كورش، وفي اليوم التالي لم يحاول كورش مهاجمته، بل

عاد إلى «سارديس» وفي نيته أن يطلب من المصريين تنفيذ ما بينهما من معاهدة؛ لأنه كان قد عقد معاهدة مع أمسيس ملك مصر قبل أن يعقد معاهدة مع لسديمونيا ... إلخ. هذا وقد أنهى كروسوس الهجوم المنتظر من قبل «كورش» بإعلان حرب وقائية. ففي مستهل عام ٥٤٧ق.م عبر نهر هاليس الذي يقع عند الحدود بين البلدين، ولكن وجدنا في فصل الخريف من نفس السنة أن «كورش» قد انتصر على الليديين انتصارًا ساحقًا، واستولى على «ساردس» عاصمة ملكه، ووقع كروسوس أسيرًا في يد كورش. هذا ولم يجد «نبونبد» ملك بابل فرصة لمهاجمة كورش من الجناحين والقلب، كما لم يكن في استطاعة أمسيس وحلفائه الأسبرتيين إرسال مساعدة له، إذ في الوقت الذي عزمت فيه أسبرتا على إرسال المساعدة كان كروسوس قد وقع أسيرًا، ودخل كورش ساردس عاصمة ملكه (راجع Herod, I, 83)، وقد كانت النتيجة المحتمة أن وضع كورش ذلك الفاتح العظيم كل آسيا الصغرى تحت قدميه. ومما تجدر ملاحظته هنا أن «كليكيا» التي كانت تعد قوة لا يستهان بها في آسيا الصغرى، والتي كانت تتمتع باستقلالها تمامًا قد خضعت عن طيب خاطر للعاهل الفارسي متمشية في ذلك مع سير الأحوال، وأصبحت تدين لسلطانه (راجع Xenophon, Cyropade VIII 6,8)، وقد كان من نتائج هذه الأحداث الجسام أن تهدمت السياسة المصرية.

ومما يلفت النظر هنا أن دولة بابل قد استمرت بعد ذلك لعدة سنين على قيد الحياة، والأسباب الداعية لذلك تعوزنا. وعلى أية حال فإنه منذ عام ٥٤٦ق.م كان أمر سقوطها متوقعًا الحين بعد الحين، وتدل الأحوال على أن «أمسيس» أمام هذه الحوادث الضخمة كان قد قطع متن الرجاء من أية مساعدة من ناحية «بابل» التي كانت تحتضر وقتئذ. ولا غرابة في ذلك فإن دولة «نبوخد نصر» العظيمة قد سقطت بعد موته بعشرين عامًا دون قتال تقريبًا، وذلك أنه في خريف عام ٥٣٩ق.م زحف كورش عاهل فارس على بابل فدخلها ظافرًا، كما سقطت المعاقل السورية والفلسطينية على أثر ذلك. وقد أشار «هردوت» إلى تسليم الفنيقيين من تلقاء أنفسهم.

(راجع Herod. III, 19)، أما من جهة مصر فقد كان الموقف جليًّا الآن؛ وذلك لأن سياسة تجنب أية حروب كانت هي السياسة التي اختطتها لأنفسهم الملوك الساويون منذ مائة سنة مضت، غير أن هجوم دولة فارس الجبارة على مصر كان متوقعًا في كل لحظة، ولم يمنع زحف كورش على مصر إلا اضطراره لمحاربة بدو التورانيين، وفوق ذلك فإنه قد حضرته الوفاة في عام ٥٢٩ق.م فكان ذلك سببًا مباشرًا لتأخير الهجوم على مصر حتى عام ٥٢٥ق.م في عهد ابنه وخليفته قمبيز ٥٢٥–٥٢١ق.م ولم يكن في استطاعة أمسيس اتخاذ إجراءات فعالة مضادة لدرء هذا الخطر الجارف الذي كانت تتوقعه بلاده.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن العالم الإغريقي الذي كانت علاقته مع مصر قوية في مدة المائة والخمسين سنة الأخيرة من تاريخها كان بمعزل عن الممالك العظيمة، التي كانت تسيطر على العالم المتمدين في القرن السادس قبل الميلاد، ولم يكن هم أمسيس في هذه الآونة إلا عقد تحالف مع حكومة إغريقية قوية، وقد اتجه إلى بوليكراتس التيراني صاحب جزيرة ساموس غير أن ذلك لم يُجْدِ نفعًا؛ وذلك لأنه في اللحظة التي كان يرغب فيها «أمسيس» عقد محالفة مع بوليكراتس كان الأخير، ومعه جزيرة قبرص قد انحازا إلى جانب «قمبيز» عاهل الفرس لمحاربة مصر (Herod. III, 44, 45). وفي نوفمبر (أو ديسمبر) سنة ٥٢٦ مات «أمسيس» بعد حكم طويل حافل بجلائل الأعمال. وسنحاول فيما يلي أن نتحدث عن الآثار التي خلفها في مصر، وفي أنحاء العالم المتمدين وقتئذ.

(٣) آثار أحمس الثاني في مصر

لا نزاع في أن معظم نشاط الملك «أمسيس» طوال مدة حياته في داخل البلاد كان منحصرًا في إقامة المباني العظيمة، والآثار الخالدة التي خلفها في طول البلاد وعرضها، فآثاره تمتد من أول

الشمال الغربي للدلتا حتى جزيرة «سهيل» بأسوان هذا فضلًا عما أهداه من آثار لبلاد الإغريق، وهاك بعض هذه الآثار على حسب ترتيبها الجغرافي بقدر المستطاع.

(٣-١) لوحة من الجرانيت

مؤرخة بالسنة الأولى شهر برمودة من عهد الملك «خنم اب رع» بن رع أحمس عاش مخلدًا. وقد نقش على هذه اللوحة صورة عقد هبة من فرد للإله أوزير. وهذه اللوحة صغيرة الحجم إذ يبلغ ارتفاعها ٢٥ سنتيمترًا، وعرضها ١٩ سنتيمترًا وهي مربعة وليس عليها أشكال مصورة، وتحتوي على ثمانية أسطر منقوشة نقشًا خشنًا. وأهمية هذه اللوحة تنحصر أولًا في تأريخها بالسنة الأولى من حكم أحمس الثاني، وثانيًا في اسم الضيعة المهداة لأوزير وتدعى «احني»، وقد يجوز أن هذا الاسم هو الإقليم الذي كانت توجد فيه بلدة الرئيس. ويلحظ هنا أننا نجهل أين كان يقع هذا المكان، ويرجع السبب في ذلك إلى أننا لا نعرف المكان الذي وجدت فيه هذه اللوحة. ويطيب لي أن أذكر بهذه المناسبة أنه كم من آثار قد ضاعت قيمتها العلمية الحقيقية بهذه الصورة. وسبب ذلك أن هذه الآثار لم يكشف عنها بالطرق العلمية السليمة، بل أخذت خلسة أو سرقت من أماكنها، وضلل بائعوها المشترين والعلماء بعدم ذكر المكان الذي عثر فيه عليها (راجع Rec. Trav. XV. P. 87).

وقد وجدت لوحة أخرى مؤرخة كذلك بالسنة الأولى من حكم «أمسيس الثاني»، وهي مصنوعة من الحجر الجيري، وجزؤها الأعلى مستدير ويشاهد فيه هذا الفرعون يقدم حفلًا للإله رع أو «حور» وأزيس. ويبلغ طول هذه اللوحة قدمًا وعشر بوصات ونصف البوصة (راجع Guide to the Egyptian Galleries, (Sculpture) P. 224).

(٣-٢) كوم أفرين

عثر في كوم أفرين على تمثال صغير من البرنز لصقر، وهو محفوظ الآن بالمُتْحَف البريطاني. وهذا الصقر كان يستعمل بمثابة ناطور لقارب مقدس للإله «رع»، وقد صنع من البرنز الصلد ورصع بشرائط من الذهب عميقة، أما وجه الصقر وقرص الشمس الذي على رأسه فهما من البرنز الخالص، ويلفت النظر أن الصل الذي على رأس الصقر، وكذلك كل الشعر المستعار والقلادة التي حول الكتفين مرصعة، ونقش على صدر الصقر طغراء أحمس: رب الأرضين «خنم اب رع»، وهو لقبه (راجع Petrie, Naukratis I, XII).

(٣-٣) أدفينا

وجد في أدفينا خاتم من الجبس على إناء، وكذلك خاتم من البرنز وقد نقش على الأول: «أحمس» بن الإلهة نيت وعلى الآخر الإله الكامل أحمس بن «نيت» (راجع Petrie, Tanis, II, Pl. 12; Ibid. Pl. XLI).

(٣-٤) نبيشة

وجد للملك أحمس الثاني آثار عدة في أنقاض بلدة نبيشة، نخص بالذكر منها ما يأتي:

(١) المعبد الصغير الذي أقامه أحمس الأول، غير أنه لم تبقَ من آثاره في مكانها الأصلي إلا أجزاء كثيفة من رقعة مزدوجة في أساس الحرم بالقرب من واجهة المعبد، هذا بالإضافة إلى الجزء الخلفي للناووس الكبير، الذي ظل باقيًا منتصبًا في مكانه الأصلي على قطعة حجر رملي كوارتسيتي ترتكز بدورها على قطع أخرى من رقعة المعبد، وتدل الظواهر على أن هذا الملك قد استعمل في بناء هذا المعبد أحجارًا أخرى من المعبد الكبير المجاور له.

والظاهر أن مساحة هذا المعبد كانت أكثر من ٦٦ × ٣٧ قدمًا من الخارج. وقد وجد في رقعة هذا المعبد عدة قطع من الجرانيت الأحمر، نقش عليها مناظر قرابين وطغراءات، غير أنها لسوء

الحظ قد محيت تمامًا. وقد وجد كذلك الجزء الأسفل من تمثال الإلهة «وازيت»، وهو مصنوع من الحجر السنيتي المصقول صقلًا جميلًا وعلى ظهر التمثال تقديم قربان يقوم به الملك رعمسيس الثاني. ومن حجم هذه القطعة يحتمل أن التمثال كان يبلغ في الأصل حوالي ٧٥٠ بوصة، وهذه القطعة بالإضافة لتاج الإلهة «وازيت» تلائم على ما يظهر الناووس الكبير المصنوع من الجرانيت، ويبلغ طوله حوالي ٩٠ بوصة، وعلى ذلك فإنه من المحتمل أن هذا التمثال كان في الأصل موضوعًا في المعبد الكبير، الذي أقامه رعمسيس الثاني، ويقع في هذه الجهة، ثم أخذ من مكانه، واستعمله أحمس الثاني من جديد بكتابة اسمه عليه.

وأخيرًا نجد في الجهة الشمالية ناووسًا من الجرانيت عظيمًا منتصبًا، يبلغ طوله أكثر من خمس عشرة قدمًا وأربع بوصات، وعرضه ثماني أقدام وسبع بوصات عند القاعدة، ويبلغ وزنه ثمانية وخمسين طنًّا. وتدل الظواهر على أن «أحمس الثاني» كان قد صنعه للإلهة «وازيت» عندما أراد إعادة عبادتها في هذه الجهة (راجع Nebesheh P. 12 & Pl. IV) هذا وقد وُجِدت في المعبد وخارجه آثار أخرى (Ibid. P. 14)، وأهم الآثار الصغيرة التي وجدت في المعبد، وتؤكد لنا أن «أحمس الثاني» هو الذي رفع بنيانه الودائع الصغيرة التي وجدت في أركان المعبد، وقد نقش عليها اسمه وقد صنعت من القاشاني والذهب والفضة والقصدير والنحاس واللازورد والكورنالين، هذا بالإضافة إلى عدة أنواع من الفخار يدل شكلها على أنها كانت جنازية الصبغة (راجع Ibid. P. 14-15).

(٣-٥) تمي الأمديد (تل الربع الحالية مركز السنبلاوين)

عثر للملك أحمس في «تمي الأمديد» على محراب ضخم من الجرانيت يبلغ ارتفاعه ثمان عشرة قدمًا، وقد عملت قمته على هيئة هرم (راجع Petrie, Hist. III, P. 247, Description de l'Egypte T. V. P. 29; Naville, Ahnas el Medineh P. 17).

(٣-٦) سايس (صا الحجر)

حدثنا هردوت عن المباني التي أقامها أحمس الثاني في «سايس» (راجع Herod. II, 175, 176)، فيقول: وفضلًا عن ذلك أقام (أحمس) رواقًا يستحق الإعجاب في معبد «منرفا» (وهي موحدة بالإلهة أثينا أو بلاس ابنة «جبتر»، وهي إلهة الذكاء والحكمة والفنون) في سايس، وهذا المعبد يفوق كل المعابد الأخرى في ارتفاعه وحجمه، وكذلك في أبعاده وفي كمية الأحجار، وكذلك أهدى تماثيل كبيرة وتماثيل ضخمة تمثل بولهول، وأحضر أحجارًا أخرى ذات حجم هائل لإصلاح المباني، وقد جلبت بعض هذه الأحجار من المحاجر القريبة من منف، ولكن الأحجار ذات الحجم الكبير جدًّا قد أحضرها من مدينة الفنتين، التي تبعد مسيرة عشرين يومًا من سايس، ولكن الأمر الذي أعجب به أكثر من أي شيء هو ما يأتي: «لقد أحضر مبنى من حجر واحد من مدينة الفنتين، وقد خصص لنقله ألف رجل لمدة عامين كاملين، وكل هؤلاء الرجال كانوا بحارة. وطول هذه الحجرة من الخارج إحدى وعشرون ذراعًا، وعرضها أربع عشرة ذراعًا وارتفاعها ثماني أذرع. وهذه هي الأبعاد الخارجية للحجرة التي تتكون من حجر واحد، ولكن في الداخل كان طولها ١٨ ذراعًا وعشرون أصبعًا وعرضها ١٢ ذراعًا، وارتفاعها خمس أذرع. وكانت هذه الحجرة موضوعة على مقربة من مدخل الحرم المقدس، ولم يقمها في داخل الحرم للسبب الآتي كما يقولون: ذلك أن مهندس العمارة عندما كانت الحجرة تجر تنهد تنهيدة عميقة لما لحقه من تعب العمل الذي صرف فيه وقتًا طويلًا، وعندئذ ساورت الملك «أمسيس» شكوك دينية من جراء ذلك، فلم يسمح بجرها إلى أبعد من ذلك. وعلى أية حال يقول بعض الناس: إن أحد الرجال الذين كانوا يعملون في الجر قد هرس حتى الموت بالحجر؛ ولهذا السبب لم يجر حتى داخل حرم المعبد.»

والمطلع على الآثار المصرية لا يدهش مما ورد في هذه القصة، فإن هذه الحجرة لا تخرج عن كونها محرابًا (ناووسًا) ضخمًا مكونًا من حجر واحد قطعه أمسيس من الفنتين؛ ليضع فيه تمثال

الإلهة نيت على ما يظن، وبخاصة أن هذا العصر كان مشهورًا بالمحاريب (النواويس) الكبيرة للآلهة بدلًا من المعابد الضخمة. أما السبب الذي حدا به إلى عدم جر هذا الحجر إلى داخل المعبد، فهو الشفقة والرحمة برعاياه في كلتا الحالتين، فقد أشفق على مهندسه من الإعياء كما يجوز أنه في الحالة الثانية قد خاف من تكرار مأساة هرس فرد أو أفراد آخرين في أثناء جر هذا الحجر إلى داخل المعبد.

وبعد ذلك يستمر «هردوت» في ذكر أعمال «أمسيس»، فيقول: وقد أهدى «أمسيس» في كل من أهم المعابد آثارًا تستحق الإعجاب بسبب ضخامتها، ومن بينها تمثال بولهول ضخم رابض أمام معبد «فولكان»[٧] ويبلغ طوله ٧٥ قدمًا، وقد نصب على نفس القاعدة تمثالان من الحجر النوبي ارتفاع كل واحد منهما عشرون قدمًا، وكان كل واحد منهما على إحدى جانبي المعبد.

هذا ويوجد كذلك في سايس تمثال آخر مماثل للسابق بنفس الوضع الذي عليه تمثال منف. وكان أمسيس كذلك هو الذي بنى معبد أزيس في منف، وهو فسيح الأرجاء ويستحق الذكر.

وعثر لهذا الفرعون على مائدة قربان من الجرانيت الأسود، ويلحظ هنا أن أسماء هذا الفرعون وألقابه قد كشطت وآثار الإشارات في الطغراء الأولى، توحي بأنها كانت «خنم اب رع»، وهذا هو اسم التتويج لأحمس. وقد نقش على المائدة صور وأواني قربان وجرار خمر، وأواني عطور وفطائر وحول حواف المائدة نقش الصيغة المعروفة لطلب ألف من الخبز وألف من الثيران، وألف من الإوز وآلاف من جرار الجعة والعطور والبخور والخمر، وآلاف من نسيج، والكتان … إلخ. وطول هذه المائدة قدمان وثماني بوصات وعرضها قدمان وخمس بوصات. وكانت في مجموعة «صولت»، وهي الآن بالمُتْحَف البريطاني (راجع A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture P. 223). وكذلك توجد مائدة قربان أخرى ضخمة بالمُتْحَف البريطاني للملك «أحمس الثاني» ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خنم اب رع بن

رع أحمس بن نيت»، وقد نقش على حوافها متن يحتوي على اسم هذا الفرعون وألقابه، وعلى وجه المائدة صورة الأشياء العادية التي كانت تقدم للمتوفى، وفي ظهر المائدة حفر حوض عمقه ست بوصات. وطول المائدة قدم وسبع بوصات، وعرضها قدم وعشر بوصات ونصف البوصة، وعمقها قدم وبوصة واحدة.

وتوجد لوحة من الحجر الجيري عثر عليها في «سايس»، جزؤها الأعلى مستدير وهي مؤرخة بالسنة الثامنة من عهد الملك «أحمس الثاني»، وقد نقش عليها متن يقرر إهداء ردهة وأرض للإلهة «نيت» صاحبة «سايس»، وحور صاحب رسنت (الجنوب) وحور صاحب محنت (الشمال). وقد صور على الجزء الأعلى من هذه اللوحة منظر يمثل الملك يقدم إناءين من النبيذ للإلهة نيت، ويقف خلفها الإله حور صاحب رسنت والإله حور محنت، وفوق هذا المنظر قرص الشمس المجنح يتدلى منه صلان (راجع Ibid. P. 224).

(٣-٧) طنطا

عثر في مدينة طنطا على قطعة من الجرانيت الأحمر عليها طغراءات للملك أمسيس الثاني، وقد وجدت مدفونة في الأرض بالقرب من جامع السيد البدوي، وهي محفوظة الآن بمتحف طنطا المحلي (راجع A. S. XXIII, 71).

وعلى الرغم من أنه حتى الآن لم يكشف عن أشياء من العصر الفرعوني في هذه البلدة، فإن من المؤكد أن طنطا مثلها مثل مدن أخرى كسمنود وبلبيس، وكثير غيرها من مدن الدلتا مبنية على أكوام قديمة.

والواقع أن كل الجزء الأوسط من هذه المدينة ما بين موقع الساعة، وخط سكة الحديد الذاهب إلى المنصورة، وبخاصة الجزء المجاور لضريح السيد البدوي مرتفع بصورة تلفت النظر بالنسبة لسائر المدينة. وحقيقة الأمر أنه في هذا الحي قد عثر أحد الملاك، عندما كان يحفر رقعة

الأرض التي أمام بيته في عام ١٩٢٢ على قطعة حجر من الجرانيت الأحمر، عليها نقوش هامة ويبلغ ارتفاعها ٢,٦٣ متر، وعرضها ٠,٢٣ متر، وسمكها ٠,٦٥ متر، ومنقوش عليها سطران باللغة المصرية القديمة، غير أنهما بكل أسف في حالة سيئة من الحفظ. ولكن لا تزال تشاهد في السطر الأول بكل وضوح طغراءان للملك «أحمس الثاني»: ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خنم اب رع بن رع» أحمس بن نيت. وهذا الأثر محفوظ الآن بمتحف البلدية بطنطا برقم ٩٨١. هذا وقد استعرض الأثري «دارسي» في مقال ممتع الأسباب التي دعته لاعتبار طنطا موقعًا قديمًا (راجع A. S. XXII, P. 188–195)، فقد برهن على أن اسمها الحالي لم يظهر في القوائم العربية القديمة، أو على الأقل أن اسمها قد ظهر محرفًا في كلمة «طوى» أو «طوا» أو «طوه». وقد وجد ما يقابله في قوائم الإبراشيات القبطية وباللاتينية Tava. أما اسم «طنطا» فإنه لا بد أن يكون حديثًا نسبيًّا، وذلك على حسب تطور هذه المدينة بوصفها مدينة إسلامية منذ القرن الثالث عشر الميلادي، والاسم القديم «طاوة» لا يزال موجودًا إلى يومنا هذا في حوض الأرض رقم ٢٨ الواقع في قرية «محلة مرحوم»، وتقع على بعد ثلاثة كيلومترات من الشمال الغربي من طنطا، حيث يسكن فيها عدد كبير من الأقباط، وتقع على تل قديم. يضاف إلى ذلك أنه قد استعملت قطعة أخرى من الجرانيت، نقش عليها بوابة اسم الملك أمسيس الثاني، وقد استعملها الأهالي بمثابة أسكفه باب لجامع «محلة مرحوم»، وقد جاء عليها: يعيش حور سمن ماعت (= أي: «مسبب العدالة» وهو لقب للملك أمسيس الثاني) ملك الوجه القبلي والبحري، وعلى ذلك فإنه يجوز أن هذه القطعة الأخيرة قد نقلت من مكانها من الكوم الأثري الذي تقع عليه طنطا، ولكن من الممكن كذلك أنها كانت قد نقلت من مكان قريب، وأنه كان يوجد مبنى أقامه الملك أحمس الثاني في المكان الذي يحتله الكوم الذي يتألف منه حوض الأرض، المسمى حوض طاوة الواقع في مدينة محلة مرحوم على الموقع القديم لمدينة طنطا.

(٣-٨) المحلة الكبرى

وجد في بيت على مقربة من جامع الغمري بالمحلة الكبرى حجر من الجرانيت عليه نقوش، يقول عنها «دارسي»: إنها تحتوي على اسم أم الملك أحمس الثاني وهو تاشرن-ن است، غير أن برستد لم يقبل هذه النظرية، وعلى ذلك لم تكن «ثن موت» التي جاء ذكرها على هذا النقش جدته (راجع Rec. Trav. 22 f; Br A. R. IV, 511 N. a)، وسنتحدث عن ذلك عند الكلام على أسرة أحمس الثاني.

(٣-٩) تل بسطة

عثر في تل بسطة على لوحة صغيرة غريبة الشكل ونقوشها صعبة الحل. وأهم ما فيها أنها مؤرخة بالسنة الثالثة من عهد الملك أحمس الثاني، وهي محفوظة الآن بالمُتْحَف المصري (راجع A. Z. XXIII, P. 11)، وكذلك عثر على لوحة أخرى في نفس الجهة، وهي محفوظة بمتحف برلين وتؤرخ بالسنة الثانية والثلاثين من عهد الملك أحمس الثاني على حسب رأي كل من الأثري فيدمان و«رفييو» و«جوتيه». وهذه اللوحة خاصة بوقف معبد صغير كان قد أقام بنيانه أحمس الثاني للإلهة باست ربة بوسطة، غير أن هذا المعبد لم يبقَ منه شيء الآن، وقد جاء ذكر هذا المعبد وفخامته في هردوت، حيث أسهب في وصفه (راجع Herod. II, 137-138)، وتوجد في مجموعة المهندس أمبرويز بودري Ambroise Baudry قطعة مقبض صناجة من القاشاني الأخضر نقش على أحد وجهيها المتن التالي: رب الأرضين خنم-اب-رع بن رع «أحمس بن نيت». ونقش على الوجه الآخر ... «خنم اب رع» بن «رع» «أحمس» محبوب ... وهذه القطعة عثر عليها في تل بسطة (A. Z. XIX P. 116)، وأخيرًا وجد لهذا الفرعون خاتم من الشمع (؟) محفوظ الآن بالمُتْحَف المصري (راجع Guide Boulaq P. 99).

(٣-١٠) تل أتريب

يوجد الآن بمتحف اللوفر «ناووس»[٨] يبلغ ارتفاعه ٩٦ سنتيمترًا، وعمقه مترًا وخمسة عشر سنتيمترًا وهو قطعة واحدة عثر عليه في البحر بالقرب من الإسكندرية. وقد مثل عليه صورة الإله الذي يرأس تمساح ويدعى حورخنتي-خت في الصف الثاني من النقوش التي على الجدار الأمامي، مما يوحي بأن هذا الناووس كان مقامًا في مدينة تل أتريب (بنها الحالية)، وكان هذا الإله يعتبر حاميها. ونفهم من النقوش التي على الأفريز أن الناووس كان مُهْدى من قبل الملك أمسيس للإله أوزير. (وطغراءات هذا الملك قد هشمت). والواقع أن كثيرًا من النقوش التي حفرت على جوانبه تنسب إما للإله أوزير وأسطورته، أو تشير إلى هذا الإله أو ابنه «حور»، فمن ذلك نجد أنه في الصف الثالث من الجدار الأمامي للناووس رمز «أوزير زد» = الثبات. وهذا الرمز عبارة عن شجرة ذات أغصان مقلمة. والظاهر أن هذا الرمز كان أقدم صورة للإله أوزير، وكذلك نشاهد مومية هذا الإله على سرير جنازي تحرسه الإلهتان «أزيس» و«نفتيس»؛ وكذلك نشاهد الإله حور مصورًا في صور عدة. فقد صور بوصفه «حور الشجاع (حورتما) وحور المحب لوالده» (حور مرتف) و«حور الموحد للأرضين» (حورسماتاوي)،[٩] ولكن من جهة أخرى نجد كذلك على عارضة الباب: الإله «تحوت» والإله «أنوبيس»، وكذلك نشاهد الإلهين «حابي» و«نخبيت».

وعلى الجدار الذي على اليمين نشاهد «رع حرمخيس»، وأتوم وشو وتفنوت وجب ونوت (على الصف الأول آ). ونشاهد على الصف الثالث الآلهة «بتاح» و«ماعت»، وتحوت وأربع إلهات في صورة حتحور.

ونشاهد على الجدار الأيسر: الإله بتاح (في الصف الأول)، والإلهين «آمون» و«خنسو» في (الصف الثاني) ثم الآلهة «نيت» و«وازيت»، و«الأسد محوس» (في الصف الثالث).

ونشاهد على الجدار الأمامي ثمانية الآلهة الأزلية في أربع مجاميع، وكل مجموعة تؤلف من ذكر برأس ضفدع ومن أنثى برأس ثعبان (في الصف الأول)، ويوجد في الصف الثاني الإلهان «ماعت» و«آمون».

والظاهر أنه إذا كان أوزير هو الإله الذي نذر له هذا الناووس، فإن القدر الأعظم من الآلهة المصريين يجب أن يكونوا مشتركين في الشعائر التي كان يحتفل بها الكهنة على شرفة أمام هذا الناووس، وانتهى هذا التابوت في جزئه العلوي برقعة مدورة يعلوها كرنيش مؤلف من أصلال، ويرتكز على سقف مقبب (راجع Musée National du Louvre Guide-Catalogue Sommaire I P. 129).

ناووس آخر للملك «أمسيس» من «تل أتريب»: وعثر كذلك على ناووس آخر صنعه الملك «أمسيس» للإله «قم ور»[١٠] رب أتريب، وذلك في عام ١٩٠٧. وهذا الناووس مصنوع من الجرانيت المحبب الدقيق الحبات، ويبلغ عرض قاعدته ٨٨ سنتيمترًا وصناعته متقنة وحفره في منتهى الدقة والنظافة. غير أنه لم يبقَ لنا من إلا السقف، ويلحظ أن اسم الملك «أمسيس» في النقوش الباقية قد كشط، وهو يتألف من قطعة واحدة، ولم يبق من أسفله إلا الجزء العلوي، وقد نقش على الجزء الأمامي من عضادتي الباب، وعلى جوانب جدرانه الأمامية وعلى الجدار الخلفي متون، هذا وقد زين جزؤه الأعلى بصور.

ونقش على الجدار الخارجي من اليمين سطر أفقي جاء فيه:

> يعيش حور (سمنت ماعت = مثبت العدالة) (ملك الوجه القبلي والوجه البحري) خنم اب رع، عمله بمثابة أثر لوالده فم ور (أي: الأسود العظيم = لقب لثور تل أتريب) الإله العظيم المشرف على حقل الطعام، وهو ناووس فاخر من حجر بخن عمله …

وقد زين الجزء الأسفل من سقف هذا الناووس بنماذج من ريش، ثم باسم الملك ولقبه والجزء الأعلى من السقف مزين بأصلال.

ويشاهد الملك مصورًا على الجدار الأيمن يتعبد أمام الآلهة. كما تشاهد مجموعة من أشخاص جالسين على سرير. وتتألف من رجل قاعد بين امرأتين على سرير في صورة أسد.

وكذلك نشاهد إلهة على عرشها، وقد نقش فوق ذلك في سطر أفقي عند فاخر، ثم يأتي على أثر ذلك ثلاثة آلهة على عروشهم، وقد نقش فوقهم خط أفقي جاء فيه: الآلهة الذين في البيت العظيم (القصر). وعلى الجدار الخلفي للناووس يشاهد الملك أمسيس يأتي بالنبيذ أمام الآلهة متعبدًا.

وكذلك يوجد لهذا الفرعون ناووس آخر محفوظ بمتحف ليدن (راجع Lecmans, Monuments de Lyde, T. I, P. 25-26)، وهذا الناووس قطعة فنية بديعة، ونقش عليه أساطير كثيرة غير أنه ليس من بينها ما له قيمة تاريخية.

وقد عثر كذلك في تل أتريب على مائدة قربان من الجرانيت، عليها اسم هذا الفرعون (راجع Wiedemann, Gesch. P. 655).

وأخيرًا وجد له خاتم باسمه وهو محفوظ الآن بمتحف أشموليان (Ibid. P. 655) بإنجلترة.

(٣-١١) هليوبوليس

وجد لهذا الفرعون تمثال راكع من البرونز، وفي يده إناء ونقش عليه اسمه.

(٣-١٢) السربيوم

يوجد بسرابيوم مدينة منف تابوت من الجرانيت الأسواني أهداه الملك أمسيس لأحد عجول أبيس. وقد وجد أن كلًّا من الصندوق والغطاء مفصول الواحد عن الآخر، فالصندوق وجد في حجرته الأصلية، أما الغطاء فقد وجد ملقى عند مدخل السربيوم، ويلحظ أن صناعة التابوت جميلة جدًّا،

وقد زينت جوانب الصندوق الخارجية برسوم، وقد نشرت نقوش التابوت من قبل (راجع Brugasch, Thesaurus P. 966-7)، وكذلك ترجمت غير أن ترجمتها خاطئة. وهاك تصحيح الترجمة:

> حور سمن ماعت (أي: مثبت العدالة) ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خنم-اب-رع»، لقد أهدى أثره لأبيس الحي (= تابوتًا من الجرانيت)، والآن لقد وجد (جلالته) أنه لم يكن يعمل من حجر ثمين لأي ملك، وفي أي زمن؛ لأجل أن يعطى الحياة مخلدًا.

هذا ولدينا وثيقة أخرى من عهد أمسيس نقشت على لوحة، عثر عليها كذلك في السربيوم وهي محفوظة الآن بمتحف اللوفر (راجع Piehl, Inscr. Hierog. I, 20; Chassinat, Rec. Trav. 22, 2; A. S. 26 P. 92)، وهاك ما جاء عليها:

> والآن فإن جلالته كان بره مثل البر الذي عمله حور لوالده أوزير، فقد صنع له (أي: لأبيس) تابوتًا عظيمًا من الجرانيت. والآن فإن جلالته وجد أنه (أي: التابوت) لم يكن قد صنع من حجر ثمين لأي ملك في أي زمن مضى.

وعلى ذلك يتضح لنا من التراجم التي سبقت الترجمة التي أوردناها هنا أن «أمسيس» كان متمشيًا مع من سبقه في عمل توابيت للعجل أبيس من الحجر الثمين، غير أنه أعلن في الوثيقتين السابقتين اللتين أوردناهما هنا، أن مثل هذا العمل لم يكن قد عمل قبل زمنه لأي ملك. هذا ولا يخفى أن عبارة حجر ثمين قد تشمل في هذه المناسبة الجرانيت والبازلت، والديوريت والحجر الكلسي. ومن المفهوم أن التوابيت الخاصة بعجول أبيس السابقة لعصر «أمسيس»، كانت من الحجر الجيري وحسب، وعلى ذلك فإن البيان هنا يعد دليلًا على أن التابوت الذي أهداه أمسيس يعتبر أقدم تابوت نشاهدها في السربيوم مصنوع من الجرانيت؛ وذلك لأن كل التوابيت التي

نشاهدها باقية في السربيوم كانت مصنوعة من الحجر الجيري، ومؤرخة قبل عهده (راجع A. S., Ibid, P. 94).

هذا ويدل الفحص الذي قام به الأثري «مريت» عن الأجزاء القديمة للسربيوم على صدق هذا البيان، إذ يقول: إن تابوت أمسيس الذي صنعه للعجل أبيس هو في الواقع أكبر تابوت في مدفن «السربيوم»، وعلى قدر ما وصل إليه علمي، فإنه يعد فاتحة عصر صناعة الآثار التي من الجرانيت؛ وذلك لأن الموميات لم تكن تدفن إلا في توابيت من الخشب (راجع Mariette-Maspero, Le Serapeum de Memphis Compte rendu des Fouilles, P. 54).

هذا وقد نقش حول التابوت السالف الذكر من جوانبه الأربعة المتن التالي، المأخوذ من متون الأهرام (راجع Pyr. Utterance 674).

> كلام يتلى يا أبيس «أوزير خنتي أمنتي». إني موجود بجوارك نفسك، وإني آتي إليك، وإني ابنك، لقد أتيت إليك، إني «حور»، (L. 1994) وإني أعطيك صولجانك مدو، أمام الأرواح، والصولجان نحبت أمام النجوم التي لا تفنى (L. 1995) لقد وجدتك مجتمعًا[١١] ووجهك مثل وجه ابن آوى، ومقعدك مثل مقعد «قبحوت»، وإنها تنعش قلبك في جسمك في بيت والدها «أنوبيس». كن طاهرًا واجلس على رأس أولئك الذين هم أعظم منك. وإنك قاعد ثابت على عرشك، على عرش أول أهل الغرب (L. 1996)، وستيشوك (؟) إنهم صغار وسمننت (اسم إلهة) تسلم عليك مثل «أزيس» و«هننت» تهلل لك مثل «نفتيس». وإنك تقف على رأس معبد سنوت للقصر المزدوج مثل «مين»، وإنك تقف أمام المصريين مثل «حابي». وإنك تقف عند بحيرة «بروشا»

مثل الإله «سكر». وإنك تقف عند بحيرة «ردور» ومعك صولجانك عبا، وسلكك وأظافرك التي على أطراف أصابعك.

والذين أمام تحوت قد ذبحوا بالسكين الآتية من «الإله ست». وإنك تعطي ساعدك للموتى، وللأرواح التي ستأخذ ساعدك إلى أول الغرب (= أوزير).

(أ) لوحة للعجل أبيس بالسربيوم من عهد «أمسيس»

يوجد بمتحف اللوفر لوحة لعجل أبيس عاش في عهد الملك «أمسيس» (راجع Piehl, Inscription I XX. H.; Chassinat, Rec. Trav. 22, 20; Br. A. R. IV §§ 1008–1012). وتحدثنا هذه اللوحة عن حياة عجل أبيس عاش، وتوفي في خلال عهد الملك أمسيس ومن ثم فإنها لا تقدم لنا معلومات جديدة عن حياة هذا الفرعون، وهاك ما جاء عليها:

السنة الثالثة والعشرون الشهر الأول من الفصل الثالث (الشهر التاسع من السنة) اليوم الخامس عشر في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري خنم اب رع (أمسيس) معطى الحياة أبديًّا.

دفن العجل

إن الإله قد اقتيد في سلام إلى الغرب الجميل؛ لأجل أن يأخذ مكانه في الجبانة في المكان الذي عمله له جلالته الذي لم يعمل مثيله من قبل، وذلك بعد أن عمل له ما يعمل في البيت الطاهر (مكان التحنيط).

تأمل لقد كان في ذاكرة جلالته كيف فعل «حور» لوالده «أوزير»؛ ولذلك عمل تابوتًا عظيمًا من الجرانيت. تأمل لقد وجد جلالته أنه من الخير أن يعمله من حجر ثمين لم يعمل منه كل الملوك في كل زمان. وقد عمل كفنًا من كتان رستت ومحتت السري

(مكانان يؤلفان جزءًا من بلده سايس المقدسة)، ووضع معه تعاويذ وكل حلي من الذهب، وكل حجر فاخر ثمين وكانت أجمل مما عمل من قبل (على يد ملوك آخرين)؛ لأن جلالته أحب أبيس الابن الحي العائش أكثر من أي ملك (آخر).

حياة أبيس

إن جلالة هذا الإله قد ذهب إلى السماء في السنة الثالثة والعشرين الشهر الثالث من الفصل الثاني (الشهر الرابع) اليوم السادس، وكان قد ولد في السنة الخامسة الشهر الأول من (الفصل الأول) اليوم السابع، وقد وضع في بيت «بتاح» في الشهر الثاني من الفصل الثالث (الشهر العاشر) اليوم الثامن عشر، ومدة الحياة الجميلة (التي عاشها) هذا الإله الكامل كانت ثماني عشرة سنة وشهرًا وستة أيام «أحمس بن نيت» معطى الحياة الرضية أبديًّا قد عملها (أي: اللوحة) له.

(٣-١٣) منف معبد الإله «بتاح»

وجد في معبد «بتاح» الكبير محراب للملك أمسيس مصنوع من حجر الكوراتسيت أو الحجر الرملي، وكذلك من الجرانيت الأحمر. غير أنه وجد مهشمًا ولم يبقَ منه إلا بعض قطع من حجر الكوراتسيت (راجع Petrie, Meydum and Memphis III, P. 39, Pl. XXXII, 4, 5, 6 & Pl. XXIX 4)، وقد نقش على هذه القطع اسم الفرعون أحمس، هذا ونجد صورته بشكل واضح في اللوحة الأخيرة؛ والواقع أن صورة الملك «أحمس الثاني» نادرة جدًّا، ويحتمل أن الصورة المشار إليها هنا[١٢] تعد أحسن صورة محفوظة له؛ وذلك لأنها ليست صورة تقليدية كصور الملوك الآخرين، إذ نلحظ أن شكل الجانب الأسفل للأنف، وكذلك هيئة الشفتين والذقن المدببة كل هذه المميزات تعد من التفاصيل الشخصية الخاصة بصورته، وقد اعتنى بإبرازها عند رسم صورته هذه. وهذه القطعة محفوظة الآن بمتحف أدنبره باقوسيا.

وقد عثر في غرب البحيرة المقدسة لهذا المعبد على عارضة باب عليها صورة «أمسيس»، وقد وجدت العارضة الثانية للباب في عام ١٩١٤، وهي محفوظة الآن في مدينة منفيس في مقاطعة «تنيسي» بالولايات المتحدة، وهي مصنوعة من الحجر الرملي المستخرج من الجبل الأحمر، أو من حجر الكوراتسيت. ويشاهد على هذه العارضة الملك «أمسيس» واقفًا ملتفتًا نحو اليمين، وبيده اليسرى عصا ومقمعة ويده الأخرى ممتدة نحو الأمام كأنه يخطب في الناس. وقد وجد لقبه وهو «سمن ماعت» (مثبت العدالة)، أما اسمه العلم فلم يبقَ منه إلا مقطع واحد. ومن ثم نفهم أنه هو الملك أحمس الثاني. هذا ونعرف من جهة أخرى على حسب ما ورد في هردوت (Herod. II, 176) أن أحمس الثاني هذا كان قد أقام معبدًا فسيح الأرجاء للإلهة «أزيس» إذ يقول: لقد أتى «أمسيس» في كل من أهم المعابد الشهيرة أعمالًا تستحق الإعجاب لضخامتها، ومن بينها التمثال الضخم الرابض أمام معبد «فلكان» في منفيس، وهو الذي يبلغ طوله خمسًا وسبعين قدمًا، وعلى نفس القاعدة نصب تمثالان من الحجر الأثيوبي، وكل واحد منهما يبلغ ارتفاعه عشرين قدمًا، وهما على جانبي التمثال الضخم. وكذلك يوجد في «سايس» تمثال ضخم مماثل للسابق، ورابض بنفس الهيئة التي عليها تمثال «منفيس»، وقد كان «أمسيس» كذلك الذي أقام معبد «أزيس» في «منفيس»، وهو ضخم ويستحق الذكر.

هذا وقد وجد بمعبد «بتاح» الذي نحن بصدده الجزء الأعلى من لوحة للملك «أمسيس الثاني»، مؤرخة بالسنة التاسعة والعشرين، وهذه اللوحة موجودة بالمُتْحَف المصري منذ عام ١٩٠٣، وهي مصنوعة من الحجر الرملي المائل للاصفرار، عثر عليها في «ميت رهينة»، ويبلغ طولها ٨٨ سنتيمترًا وسمكها ١٥ سنتيمترًا، ولم يبقَ من ارتفاعها إلا ٥٦ سنتيمترًا بسبب كسرها (راجع A. S. T. XXIII, P. 48)، وهذه اللوحة للملك أمسيس الثاني، غير أن الجمل التي ذكر فيها اسمه قد محيت، ويشاهد في الجزء الأعلى المستدير علامة كبيرة ترمز للسماء مرتكزة على صولجانين، وفي أسفل نجد أن اللوحة قد قسمت قسمين. ويشاهد في وسطها من اليسار صورة

صغيرة للإله «سكر» برأس صقر ماشيًا، وفي يده الصولجان واس وقد نقش فوق رأسه اسمه ولقب «رب شت»، ويشاهد في أسفل اسم «الكا» (الروح) للملك أمسيس، وهو: سمن ماعث = مثبت العدالة. وبعد ذلك يشاهد لقب الفرعون مهشمًا، وهو: «خنم اب رع». والجزء الذي على يمين اللوحة مشابه للذي على اليسار عدا أن الإله الذي ظهر هنا هو الإله «بتاح» في صورته العادية؛ أي على هيئة مومية مزملة، وفي يده علامات الثبات والحياة والحكم مجتمعة. هذا ويشاهد هذا الإله واقفًا في ناووس مفتوح، وقد وصف بأنه بتاح القاطن جنوبي جداره. ويلحظ أن أسماء الملك وألقابه هي نفس التي على الجهة اليسرى والأسطر التي بقيت من هذه اللوحة، وهي الموجودة في أسفل المنظر الأعلى الذي وصفناه جاء فيها:

> السنة التاسعة والعشرون في عهد جلالة حورمثبت العدالة الإلهتان (المسمى) ابن نيت الذي يدير الأرضين والمختار من الآلهة، حور الذهبي، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خنم اب رع»، وابن رع أحمس بن نيت معطى الحياة والثبات والقوة أبديًّا.
>
> إن النيل الغزير قد أتى إلى جلالته وقد غطى ثانية الشاطئين، وقد أتى من قال لجلالته: إن السد الجنوبي الذي خلف «منف» قد كسر بالماء، والموقف حرج بالنسبة للسد الشمالي، وعندئذ قال جلالته: إني أنا الإله الكامل …

ومما يؤسف له جد الأسف أن هذا المتن قد كسر وضاع عند هذه النقطة، فلم يحدثنا عما فعله الملك وما هي الأوامر التي أصدرها لتلافي وقوع الكارثة العظمى التي كانت وشيكة الوقوع في البلاد وإحداث الخراب فيها، ثم لم نعلم بالضبط أين كان يقع السد الشمالي، الذي أشار إليه في المتن. والمعلوم أن آخر فيضانات عظيمة حدثت على حسب ما جاء على مرسى الكرنك، هي التي وقعت في عهد الملك بسمتيك الأول (راجع Legrains, Les Crues du Nil, dans

A. Z. 1896, P. 118; La Famine dans l’Egypte Ancienne (J. Vandier) .P. 125-126

وعثر في منف في جهة ما على ناووس للإلهة «نيت» نقش عليه اسم أمسيس الثاني (راجع (Roeder, Naos (Cat. Gen. Pl. 80)، وهذا الناووس مصنوع من الجرانيت المبرقش، ويبلغ ارتفاعه حوالي ١,٦٢ مترًا، والواقع أنه لم يعرف المكان الذي عثر عليه فيه، ومن النقوش التي عليه نعرف أنه كان في الأصل في منف وهو في حالة سليمة إلا قطعة من الجهة اليمنى من سقفه. وهو كالمعتاد قطعة واحدة من الحجر، وقد نقش على عتبه صورة السماء وتحتها قرص الشمس المجنح، وعند طرفيه نقشت كلمة «بحدتي»، ونقش على عضادتي باب الناووس المتن التالي:

حور سمن ماعت (مثبت العدالة) ملك الوجه القبلي والوجه البحري (أحمس بن نيت) محبوب نيت نزيلة حت كابتاح = (منف) معطى الحياة.

(٣-١٤) القاهرة

(١) عثر في القاهرة على قطعة حجر من معبد للملك أمسيس الثاني، ويحتمل أنها من منف وقد استعملها الأهلون أسكفة مدخل لردهة في حي بولاق، وهي من الحجر الجيري الصلب، ويبلغ طولها مترين وخمسة وسبعين سنتيمترًا، وعرضها أربعين سنتيمترًا، وقد مثل عليها رجال واقفون يقدمون علامة القربان المتدلى منها علامة الحياة باليد اليمنى، وفي اليد اليسرى إناء قربان، وقد فصل كل منهم عن الآخر بسطر من النقوش، وقد ظهر في واحد منها اسم الكا للملك أمسيس ولقبه: حور مثبت العدالة «خنوم اب رع». والجزء الأعلى من نقوش هذا الحجر قد ضاع (راجع A. S. Tom III, P. 93).

(٢) ووجدت قطعة من الجرانيت مستعملة أسكفة باب في جامع السلطان حسن، وتدل شواهد الأحوال على أنها من معبد الملك أمسيس الثاني، وقد بقي من صورته على هذا الحجر الجزء الأعلى لابسًا الكوفية الملكية، والظاهر مما تبقى من النقش أنه كان يقوم بتقديم قربان في حفل تطهير، وطغراء هذا الملك قد بقي منها ما يسمح لنا بالقول: إنه «أحمس بن نيت» معطى الحياة أبديًّا (راجع Rec. Trav. XXXV, P. 45-6).

(٣) ووجدت قطعة من الحجر عليها منظر للملك أمسيس، وناووس يتبعه روحه غير أن كلًّا من شمبوليون وروزوليني قد نقلا الطغراء الملكية، وجعلها لإبريز بدلًا من أمسيس خطأ. وهذه القطعة كانت في الأصل من منف، وقد وجدت حديثًا في القلعة (راجع Porter & Moss, Vol, IV, P. 72)، وقد كتب الأثري جوتييه عن هذه القطعة في قاموسه الجغرافي ما يأتي (راجع L. R. IV P. 122 N. 2) لقد نقل كل من شمبليون وروزوليني «واح اب رع»، وهي طغراء الملك «إبريز»، وقد راق في أعين كل المؤرخين أن يتعرفوا فيه على طغراء الملك إبريز الذي تبعته روح خلفه الملك أمسيس، وقد كان من جراء وجود هذين الملكين جنبًا لجنب على نفس الأثر، وفي منظر واحد أن نظروا إلى ذلك باهتمام بالغ (والمنظر كان عبارة عن تأسيس معبد)، وذلك أن هذين الملكين لا بد كانا قد حكما في وقت واحد مدة من الزمن، ولكن كما ذكرنا من قبل قد دحض الأثري بيل هذا القول (راجع Petrie, Hirst. III P. 351 Fig. 145).

(٤) تمثال بولهول بالقرب من الدير القبطي بجهة مصر القديمة، عثر على تمثال عظيم مصنوع من الحجر الرملي المائل للاحمرار من عهد الملك أمسيس، وطول هذا التمثال نحو ٣,٥ أمتار، ويبلغ ارتفاعه حوالي متر وقد ضاع رأسه، وقد نقش حول القاعدة متن مهشم يدل ما بقي منه على أنه يحتوي على الألقاب الفرعونية، التي كان يحملها هذا الملك كما جاء فيه أنه محبوب

الآلهة أحمس بن نيت معطى الحياة والثبات والقوة، كلها مثل رع أبديًّا (راجع Rec. Trav. XI, P. 98).

(٥) درع من البرنز عليها اسم الملك أمسيس الثاني محفوظة بالمُتْحَف المصري (راجع Maspero, Guide of the Cairo Museum in English P. 267).

(٣-١٥) العرابة

(أ) معبد خنتي أمنتي بالعرابة

ومن أهم الأعمال التي أنجزها أحمس الثاني، هي الإصلاحات التي عملها في المعبد الذي أقامه ملوك الأسرة الثامنة عشرة في هذه الجهة. وتدل شواهد الأحوال على أنه أخذ ما بقي من هذا المعبد، ووضعه على أساس معبده الجديد، وقد أظهرت ذلك الحفائر التي قام بها «بتري» في هذه الجهة، فقد وجدت أحجار عدة في الأساس من عهد تحتمس الثالث وغيره من ملوك الأسرة الثامنة عشرة، يضاف إلى ذلك أنه عثر على بقايا ناووس من الجرانيت الأحمر غاية في دقة الصنع عليه اسم الفرعون أحمس الثاني.[١٣] (راجع Petrie, Abydos I, PI, LXIII-LXX)، وأهم ما يلفت النظر هنا أن الاهتمام في هذا العصر المتأخر بصنع النواويس الضخمة بدا واضحًا؛ وذلك لتقوم مقام قدس الأقداس برمته، ولتكون حماية قوية لتماثيل الآلهة توضع فيها، وسنتحدث عن الإصلاحات التي قام بها أحمس الثاني في معبد العرابة الكبير عند الكلام على أعمال أحد عظماء رجاله وهو بف-نف-دي-نيت، وهو الذي قام بتنفيذ إصلاح هذا المعبد.

ومن الآثار التي وجدت في هذا المعبد مائدة قربان من الجرانيت الأحمر، أهداها أحمس الثاني للإله أوزير حنتي أمنتي رب العرابة.

ويلفت النظر النقوش التي جاءت حول حافة هذه المائدة فقد جاء في صيغتين موحدتين:

يعيش «حور» مثبت العدالة، السيدتان (المسمى) ابن نيت منظم الأرضين حور الذهبي (المسمى) المختار من الآلهة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (المسمى) خنم اب رع، ابن رع المسمى (أحمس نيت) محبوب أوزير خنتي أمنتي الإله العظيم رب «العرابة المدفونة» معطى الحياة مثل رع أبديًّا.

وقد قسمت رقعة المائدة قسمين الجزء الأعلى مثلت عليه القرابين المختلفة، والجزء الأسفل هو الحوض (راجع Petrie, Ibid. Pl. LXIX)، وبهذه المناسبة وجدت لهذا الفرعون مائدتا قربان أخريان محفوظتان بالمُتْحَف المصري (راجع Cat. Gen. du Musée du Caire Tables d’Offrandes. Par Ahmed Bey Kamal, P. 88, Pl. XXIII, & P. 91 & Pl. XXV).

(١) المائدة الأولى من الجرانيت الرمادي، وطولها ٥٢ سنتيمترًا وعرضها ٦٢ سنتيمترًا، وهي على هيئة الرمز الدال على مائدة بالمصرية القديمة. وقد نقش على إطارها السفلي الصيغة التالية: الإله الكامل رب الأرضين خنم-اب-رع (أحمس الثاني) محبوب آتوم يقدم كل قربان لأجل أن يعطى الحياة والثبات والقوة مثل رع أبديًّا، ورقعة المائدة مزينة بعلامة 𓊵 التي نشاهد عليها من كلا جانبيها مجموعة من القربات تحوي أنواعًا مختلفة من المشروبات والمأكولات. واللوحات محفوظة حفظًا جيدًا ومعتنى بحفرها، غير أن النقوش الهيروغليفية قد نقشت معكوسة (راجع Journal d’entrée du Musée No. 40608).

(٢) والمائدة الأخرى قد وجد جزء منها فقط، وهي من الحجر الرملي الصلب وطولها ٦٧ سنتيمترًا، وعرضها حوالي ٦٠ سنتيمترًا. ويشاهد في أسفلها من الجزء المكسور بقية علامة حتب، والظاهر أنه كان قد رسم عليها إناءان ورغيفان مستديران، وقد نقش على جانبها الطويل من وجهها العلوي متن لم يتبقَ منه إلا ما يأتي. ملك الوجه القبلي والوجه البحري خنم اب رع

عمله (أي: هذا الأثر) بمثابة أثره لوالده حابي (النيل) والد الآلهة لأجل أن يعمل له … هذا ونجد على جسمه علامة، وبقية متن وهو: يعيش حور مثبت العدالة الإله الكامل خنم اب رع (محبوب) حابي والد الآلهة (راجع Journal d’entrée du Musée No. 4051).

وأخيرًا قد وجد في ودائع الأساس نصف قرص نقش عليه «خنم اب رع» = (أحمس الثاني) (Ibid, Pl. LXX No. 7).

(٣-١٦) وادي حمامات

وعثر لهذا الملك على نقش في وادي حمامات مؤرخ السنة الرابعة والأربعين من حكمه، وهذا أعلى تاريخ له وسنتحدث عن هذا النقش عند الكلام على الحكم الفارسي في مصر.

(٣-١٧) قفط

كشف الأثري «بتري» عن مقصورة في معبد «قفط» أقامها الملك «أحمس الثاني» على شرف الإله أوزير، وتقع في حرم المعبد في الجهة الجنوبية من البوابة الثالثة بمحاذاة الجدار الجنوبي، غير أنه لم يبقَ منها إلا المجدال الأسفل، وقد رسمت عليه سيقان بردي، ولكن وجد في المقصورة لوح من الحجر عليه صورة الإله «أوزير»، والظاهر أن هذا اللوح كان قد أعيد وضع طبقة من الملاط عليه، ثم رسم وذلك بعد حفره بمدة طويلة ومن ثم يحتمل جدًّا أنه كان خاصًّا بقصورة ثانية للإله أوزير، ولم يكن مكان عبادة لملك بعينه (راجع Petrie, Koptos, P. 17).

(٣-١٨) الدير الأبيض القريب من سوهاج

وجدت في هذا الدير قطع كثيرة جدًّا من الأحجار التي يرجع عهدها إلى عصر الفراعنة، والظاهر أنه كان في موقع شاو أونشو القديم (راجع Porter & Moss, V P. 31; Dic.

Géographique Tom. III P. 104)، ومن أهم القطع الأثرية التي تنسب إلى عهد الفرعون أحمس الثاني قطع من الجرانيت، مثبتة في الجدران نقش عليها اسم أحمس الثاني، وفي مقصورة خربة من هذا الدير وجدت قطعة ضخمة من الجرانيت الوردي على أحد وجهيها جزء من منظر جميل يحوطه إطار يشتمل على سطرين عموديين من النقوش جاء في الأول: كلام يرتل: يأتي إلى ابن رع محبوب الآلهة أحمس بن نيت ... وفي السطر الثاني: كلام يرتل يأتي إلى ملك الوجه القبلي والوجه البحري سيد الشعائر خنم اب رع ... (راجع Rec. Trav. XXXVI, P. 97-8).

(٣-١٩) المنشأة الواقعة بين أسيوط والعرابة

عثر على الجزء الأسفل من مسلة مصنوعة من الجرانيت عليها اسم الفرعون أحمس الثاني (راجع Kuentz, Oblisques, PI. XV P. P. 59-60).

(٣-٢٠) وفي العرابة المدفونة

عثر على أجزاء لوحة للملك أحمس الثاني، كشف عنها الأثري «أملينو» (راجع Amelineau, Nouvelles Fouilles, P. 165).

(٣-٢١) الكرنك

في معبد الكرنك الصغير، منظر مثل فيه الملك أحمس الثاني يقدم قربانًا من الخمر (؟) للإلهين آمون وزوجه موت، في حين نشاهد في الصورة التي على اليمين من نفس المنظر المتعبدة الإلهية «عنخنس نفر اب رع» ابنة بسمتيك الثاني تقدم صناجتين للإلهين آمون وابنه خنسو، وقد جاء على المنظر:

ملك الوجه القبلي والوجه البحري (خنم-اب-رع) بن رع (أحمس سانيت) معطى الحياة أبديًّا مثل رع وقرينه (أو الروح) حور سمنت ماعت (مثبت العدالة) (راجع Champ., Mon. IV Pl. CCCIII No. 4, L. D III, 274, Gauth., L. R. IV, P. 121).

هذا ويوجد منظر آخر في معبد الكرنك الصغير (H) جاء فيه:

الإله الكامل أحمس بن نيت وخلف الملك نقش: الروح الحية رب الأرضين حور (مثبت العدالة)، ابن رع رب الأرضين (أحمس سانيت) معطى الحياة (راجع L. D. III, 274 No. 2; L. R. IV, P. 21).

(٣-٢٢) تل إدفو

عثر على ثلاثة نماذج وهي أمسيس يقدم قربانًا، وأمسيس على عرشه وحور سماتوى قاعدًا بين صلين مجنحين (راجع Alliot, Tell Edfu; P. 26).

(٣-٢٣) معبد أزيس في الفيلة

وجدت طغراءات باسم الملك «أمسيس الثاني» على قطع من الحجر بنيت في أعمدة القاعة الصغيرة، التي تأتي بعد الردهة العظيمة للمعبد (راجع A. Z. XXIII, P. 13).

(٣-٢٤) أسوان

(١) وجد على الصخور القريبة من النهر الاسم الحوري للملك أمسيس الثاني ... حور سمن ماعت (مثبت العدالة) ملك الوجه القبلي والوجه البحري (خنم اب رع) ابن «رع» «أحمس سانيت»، محبوب الآلهة عنقت (وهي معبودة الفنتين) (راجع L. D. Texte IV, P. 124).

(٢) وكذلك وجد على الصخور التي بين أسوان والفيلة طغراءات هذا الملك، وقد جاء فيها حور مثبت العدالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خنم اب رع» بن «رع» أحمس سانيت محبوب (ثالوث أسوان) خنمو وساتت وعنقت (راجع Morgan, Mon. et Inscr. Tom. I, P. 84).

(٣) وفي جزيرة بجة وجد نقش على الصخر جاء فيه حور مثبت الأرضين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري خنم اب رع بن الشمس أحمس سانيت محبوب خنم رب سنموت (= جزيرة بجة).

(٤) آثار الملك أحمس الثاني في خارج مصر

(١) **تونس:** توجد آنية من القاشاني في تونس في متحف آلاوي دي باردو (راجع Merlin and Drappier, La Necropole Punique d’ard el Kheraib à Carthage P. 43 (42); Porter & Moss, VII, P. 367).

(٢) **سوريا:** يوجد الآن في متحف «بيروت» الأهلي اللبناني آنية من البرنز، عليها اسم الملك أمسيس الثاني، وقد عثر عليها في مقبرة تقع في الجنوب الشرقي من مدينة سعيدة (راجع Dunand, note sur quelques objets provenant de Saida in Syria VII Pl. XXXII, (1) cf P. 123).

وكذلك عثر على قطعة من مقبض صناجة عليها اسم الملك أحمس الثاني في نفس المكان (راجع Ibid. P. 124).

(٣) **بلاد الإغريق:** كشف عن أسدين من القاشاني باسم أحمس الثاني في نفس المكان في مقبرة بجبانة ديبيلون Dipylon، وهما الآن في المُتْحَف الأهلي بأثينا (راجع: P. & M. VII, P.

402; Athens National Mus. 780-1; Pendlebury Aegyptiaca P. 78 (159-8); Bulletin de Correspondance Hellenique XVII (1893) P. 189)).

(٤) **قبرص:** آنية من الخزف المطلي يحتمل أنها للملك أمسيس (أو إبريز) عثر عليها في مريون Marion، وهي الآن في متحف نيقوسيا بقبرص (راجع: Porter & Moss, VII, P. 204).

(٥) تماثيل أحمس الثاني

(١) يوجد جذع تمثال للملك أحمس الثاني في «فلا الباني» بإيطاليا (راجع Rosselini, Mon. IV P. 204).

(٢) تمثال صغير للملك أحمس الثاني في مجموعة سابتييه، وقد مثل الملك قاعدًا يلبس على رأسه التاج المزدوج، وبيده علامة الحياة وهو مصنوع من الحجر الجيري، ويبلغ ارتفاعه ٢٣ سنتيمترًا وقد كتب على ظهره النقش التالي: الإله الكامل ورب الشعائر ملك الوجه القبلي والوجه البحري (خنم اب رع) بن رع أحمس سانيت العائش، مثل رع عاش أبديًّا (راجع Rec. Trav. XIV, P. 55).

(٣) تمثال مجيب للملك أمسيس من الفخار المطلي باللون الأزرق المائل للخضرة موجود بمتحف كستنر في «لاهي» (راجع Kestner-Museum, V, C. 25). وقد نقش عليه صيغة الفصل السادس من كتاب الموتى الخاص بعمل مثل هذه التماثيل، بدلًا من المتوفى في عالم الآخرة (راجع Rec. Trav. XVII, P. 14)، وتوجد تماثيل مجيبة أخرى لهذا الملك بمتحف برلين (راجع Ausfuhrliches Verzeichniss 1899, No. 7483, P. 277).

هذا ويجد القارئ قائمة بتماثيل أحمس الثاني في تاريخ مصر للأثري فيدمان (راجع .Gesch Aegypt, P. 193-194; & Aegypt. Gesch, P. 656).

(٦) جعارين وأختام أحمس

توجد جعارين وألواح عدة مختلفة في متاحف العالم، وبخاصة في متحف القاهرة والمُتْحَف البريطاني ومجموعة فريزر Frazer (راجع: Mariette, Monuments Divers Pl. 32 = Newberry, Scarabs P. 188 & Pl. XXXVIII No. 18; A Catalogue of Scarabs belonging to G. Frazer P. 46 No. 376 & Pl. XIII etc.; cf Petrie, Historical Scarabs No. 1993: & Hall, Catalogue of Egyptian Scarabs etc. in the British Museum I, P. 292 No. 2790-1).

وهاك بعض هذه الألواح والجعارين التي تنسب إليه:

(١) لوحة من الخزف المطلي محفوظة بالمُتْحَف البريطاني (No. 4119) جاء عليها الإله الكامل «خنم-اب-رع».

(٢) جعران بالمُتْحَف البريطاني جاء عليه «خنم نفرت اب (؟)».

(٣) لوحة على هيئة طغراء من الخزف المطلي بالمُتْحَف البريطاني، جاء عليها خنم-اب-رع و«أحمس سانيت» (راجع: Petrie, Historical Scarabs No. 1994; & Hall Cat of Egypt, Scarabs I, P. 295, No. 2811).

ويوجد كذلك خاتم من الطين وجد في «نقراش» (راجع Petrie Naukratis I, Pl. XX, No. 5).

وعثر في «نبيشة» على جعرانين أحدهما في المُتْحَف البريطاني، والآخر في متحف تورين (راجع Petrie, Historical Scarabs No. 1991 & 1996).

وقد جاء على كل منهما أحمس سانيت رب الأرضين.

هذا ونجد طغراء الملك أحمس على كثير من حلي الأبواب المصنوعة من البرنز (راجع Brugsch, Rec. de Mon. I, Pl X No. 8).

وهذه محفوظة في متاحف برلين وتورين ومصر.

وخلافًا لذلك توجد تعاويذ من الفخار المطلي باللون الأزرق في المُتْحَف المصري، جاء عليها: «خنم-اب-رع» معطى الحياة مثل «رع» أبديًا «أحمس سانيت» (راجع Reisner, Cat. Gen. Amulets, No. 12193, 12104, P. 117, & Pl. IX).

وفي مجموعة «فلندرز بتري» توجد تعويذة منات نقش عليها ما يأتي: الإله الكامل واح اب رع بن رع أحمس سانيت عاش مخلدًا (راجع Petrie, Hist. III, P. 356 Fig. 147).

وهذه التعويذة خاصة بالإلهة حتحور وشعائرها.

هذا ويوجد عدد لا يستهان به من الموازين منتشرة في المجاميع المختلفة للعالم، نقش عليها لقب «أحمس الأول» واسمه (راجع: Wiedemann, Gesch. Aegypt. P. 193; & Aegypt. Gesch P. 657; Guide British Museum (1909) P. 260).

وهكذا نشاهد أن آثار أحمس الثاني كانت منتشرة في داخل البلاد وخارجها بصورة بارزة.

(٧) الوثائق الديموطيقية والحياة الاجتماعية في عهد أحمس الثاني[١٤]

إن ما لدينا من أوراق بردية كتبت بالخط الديموطيقي من عهد الملك أمسيس الثاني، تدل بلا نزاع على أن عصره كان عصر رخاء كما ذكر لنا هردوت ذلك في كتابه الثاني (راجع Herod. II, 117). والواقع أنه لدينا ما يقرب من أربعين بردية كلها من عهده، بعضها قد نشر والبعض الآخر لم ينشر بعد بصورة مرضية، وهذه الأوراق لحسن الحظ جاءت تواريخها موزعة من أول السنة الثانية من حكمه، حتى السنة الثامنة والثلاثين، وبذلك لا يوجد لدينا في السنين الست الأخيرة من حكمه حتى الآن أية بردية. وهذه البرديات كلها خاصة بالحياة الاجتماعية والمعاملات بين طبقات الشعب، مما يكشف لنا فعلًا عن كثير من نواحي حياة أفراد الشعب والمعاملات التي كانت قائمة بينهم، وسنورد هنا ترجمة بعض هذه الأوراق، وملخص البعض الآخر ويلحظ أن برديتين من التي نشرت قد دونت بالخط الهيراطيقي غير العادي، وهذا النوع من الكتابة يظهر أنه قد اختفى حتى من طيبة منذ حوالي منتصف حكم هذا الفرعون، وهاتان البرديتان هما:

(٧-١) عقد إبراء ذمة بين فردين (راجع: Louvre E. 7861 Not. P. 322; Facsimile in Corpus Louvre Pl. XVIII No. 17)

السنة الثالثة شهر طوبة (؟) ١٩ ... إن وسررتايس Usererertais قد أبرأ ذمة «زخي» Zekhe ابن تسمونت Tesmont من دين قدره سبعة دبنات ذهبًا (؟) كان قد استدانها من أجل سلع، والأخير قد أقسم يمينًا أمام «خنسموسنفر حتب» اليمين ... (آخر البردية ممزق).

وهذه الوثيقة غامضة في بعض نواحيها. ويقول الأثري «رفييو»: إن إمضاءات أربعة شهود يمكن رؤيتها على ظهر البردية. ومن المحتمل أن هذا هو المثال الوحيد بين البرديات التي كتبت بالخط الهيراطيقي غير العادي، جاءت فيه الشهادات مكتوبة على ظهر البردية.

(٧-٢) عقد زواج (راجع Louvre E. 7846. Not. 332; Facsimile in Corpus Louvre Pl. XX No. 19)

السنة الثانية والعشرون ٥ أبيب. أن السقا «يتورو» Ieturou ابن بتيس يدخل بيت السقا «زحو» بن أمنرتايس Amnertais؛ ليعلن الزواج من ابنته تشنخنوم (؟) Tschenkhnum المهر له شروط في حالة الطلاق — اليمين؛ وهذا العقد كان قد عمل ليحل محل عقد أتلف في السنة الخامسة عشرة. كاتب وثلاثة شهود.

(٧-٣) العقود التي كتبت بالخط الديموطيقي العادي

في سلسلة العقود التي كتبت بهذا الخط تشاهد عادة الشهود يضعون إمضاءاتهم في عمود على ظهر الوثيقة، هذا ويلحظ أن يوم الشهر الذي كتبت فيه الوثيقة لا يذكر، كما أننا لا نجد ذكر قسم قط، وأوضح أمثلة من هذا النوع من الوثائق أتى إلينا من الحيبة. ومعظم هذه الوثائق عن العبودية.

(أ) وثيقة بالاعتراف بالعبودية (الورقة الثالثة)

(١) السنة الثانية شهر ... للفرعون له الحياة والفلاح والصحة (أحمس) له الحياة والفلاح والصحة أن ب ابن حريوباستي Heriubasti وأمه هي كاوسنسي Kausensi قد أعلن لمهدي قلب الوالد (الكاهن والد الإله)، والكاهن الأول (٢) كاتب الكتاب المقدس (المسمى) (زوبستفعنخ) Zeubestef’onkh بن حور: إني عبدك (خادمك) إلى الأبد، ولن يكون في استطاعتي بعد أن أعمل بوصفي نمح (مواطن حر) بالنسبة لك، وبالنسبة لأي فضة أو غلة (ربما يقصد هنا أن كل ما يملك هو ملك سيده) وبالنسبة لأي نوع من الملكية في الأرض. وكذلك أولادي الذين ولدوا والذين سيولدون لنا[١٥] (أي: هو وأولاده) وكذلك كل ما هو ملكنا، وكل الأشياء التي سنكسبها والملابس التي على ظهورنا.

ولن يكون في استطاعة أي رجل أن يفرض سلطانه علينا في الأرض غيرك من السنة الثانية الشهر الخامس (٥) من ... وما بعد إلى أية سنة أبديًّا.

كتبه مهدئ قلب الوالد. وسيأمون Uesiamon بن بشنوباستي Pshenubasti. وقد كتب على ظهر الوثيقة أسماء خمسة عشر شاهدًا، وقد مزقت ولا يكاد الإنسان يستخلص منها شيئًا، غير أنه في السطر الأخير يمكن قراءة اسم ينحارو بن …

(ب) نزول عن عقد (الورقة الرابعة)

(١) (السنة الثانية (؟) … للفرعون له الحياة والفلاح والصحة «أحمس»، له الحياة والفلاح والصحة) أعلن مهدئ قلب الوالد، والكاهن الأول، وكاتب الكتاب المقدس «زوبستفعنخ» بن «حور» إلى مهدئ قلب (الوالد) (٣) أسمتو بن بتيسي (؟).

لقد نزلت (؟) لك عن بردية العبودية، وهي التي عملها لي (٣) بفتوعوخنس Peftu'ukhons (في السنة الثانية (؟)).

إنه عبدك (؟) ولن يكون في استطاعتي أن أفرض سلطانًا عليه (؟) ولن أستطيع أن آتي (البردية قديمة)[١٦] أو بردية (٤) (جديدة) قائلًا: إنه ليس عبدك (؟) وإنه سيعطيك عشرين إردبًّا (؟) من القمح (؟) وأنا (هكذا ورد في الأصل) لا زلت ملكك بمثابة عبد إلى الأبد.

كتبه مهدئ قلب الوالد «حور» بن زوبستفعنخ لنفسه.

(٧) كتبه مهدئ قلب الوالد الكاهن الأول، وكاتب الكتاب المقدس زوبستفعنخ بن حور لنفسه.

وكتب في عمود واحد على ظهر الورقة أسماء الشهود:

(١) اسحارثوت بن بشنبتاح.

(٢) ينحارو بن بمي.

(٣) بفتوعو آمون بن حاروز.

(٤) احتفناختي بن حور.

(٥) وسرناخت بن بشنوباستي.

(٦) امرتايس بن حور.

(٧) امرتايس بن بسنكي.

(٨) زويستفعنخ بن حور.

(٩) أحو (؟) بن بسنكي.

(١٠) أحتفناختي بن.

(١١) زحو بن ينحارو.

(١٢) ين ... رو بن أنتفنختي.

(١٣) ز ... افعنخ بن ... حور.

(١٤) حور بن زوبستفعنخ.

(١٥) زوبستفعنخ بن حار ... (؟).

ويفهم من هذا العقد أنه كتب في السنة الثانية من حكم الملك أحمس الثاني، ويتضمن أن الكاهن الأكبر «زوبستفنخ بن» قد نزل عن وثيقة عبودية أعطيها من فرد يدعى بفتوعوخنس بن حريوباستي إلى أسمتو بن بتيسي، وقد ذيل بإمضاء الكاتب وهو وارث الكاهن الأكبر، وقد دون على ظهر الورقة خمسة عشر شاهدًا.

(جـ) اعتراف بالعبودية: عقد عبودية (البردية الخامسة)

النص:

(١) السنة الثانية شهر بئونة (هذا الشهر يبتدئ في ٩ أكتوبر سنة ٥٦٨ق.م) من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة أحمس له الحياة والفلاح والصحة.

لقد اعترف المزارع «بفتوعوخنس» بن «حريوباستي»، وأمه هي «كاوسنسي» لمهدئ قلب الوالد «أسمتو» (٢) بن بتيسي: إني عبدك إلى الأبد بسبب هذا (؟) الطبيب، ويورد (؟) ما عملت (؟) من أجلي في السنة الثانية عندما كنت مشرفًا على الموت.

ولن يكون في استطاعتي قط أن أعمل بوصفي مواطنًا (رجلًا حرًّا) بالنسبة لك، وإلى أي من فضتك أو غلتك وإلى أي نوع من عقار أرض، وكذلك مع أولادي الذين ولدوا والذين سيولدون لي و(٤) كل ما أملك، وكذلك هذه الأشياء التي سأكسبها والملابس التي على ظهري، وذلك من السنة الثانية من شهر بئونة، وما بعده إلى أية سنة (٥) إلى الأبد.

والرجل الذي سيأتي إليك بخصوصنا قائلًا: إنه ليس عبدك بما في ذلك أي إنسان في البلاد، فإنه سيعطيك أية فضة (٦) وأية غلة سترضي قلبك، فإني لا أزال ملكك بمثابة عبد إلى الأبد.

كتبه مهدئ قلب الولد (المسمى) سوفخنس (؟) بن «ينحارو».

وكتب على ظهر الورقة في عمود واحد أسماء الشهود وهي:

(١) حور بن زوبستفعنخ.

(٢) أحو (؟) بن ... بمو (؟).

(٣) أحو (١) بن بسنكي.

(٤) زحو بن بسنكي.

(٥) وسيبتاح بن بشنوباست.

(٦) بمو بن ينحارو.

(٧) زوبستفعنخ بن حاروز.

(٨) ينحارو بن بمو.

(٩) ينحارو بن زوبستفعنخ.

(١٠) يورو بن منتومحات.

(١١) ششنكعنخ (؟) بن بكيون.

(١٢) منتومحات بن ينحارو.

(١٣) ينحارو بن بشنبتاح.

(١٤) اهرتياس بن حور.

(١٥) بدي آمون (؟) بن زوبستفعنخ.

(١٦) أحو (؟) بن حاروز.

(١٧) حور بن زوبستفعنخ.

(١٨) حور بن زحو.

(١٩) عنخ بفحراي بن زحو.

(٢٠) زحو بن حور.

(٢١) زوبستفعنخ بن حور.

ومن هذه الوثيقة نفهم أنه في السنة الثانية من حكم أحمس الثاني في شهر بئونة قد اعترف بفتوعوغنس بالعبودية لأسمتو، وذلك في مقابل أشياء وردت له (؟) وغير ذلك، وكان قد أعطيها وهو على حافة الموت.

(د) عقد عبودية (الورقة رقم ٦)

يلحظ هنا أن متن هذه الورقة يحتوي أولًا على عقد البيع، ثم يأتي بعده إمضاء وخمس نسخ بأسماء شهود مختلفين وهاك المتن:

(١) السنة الثالثة شهر توت (هذه السنة ابتدأت في ١٢ يناير سنة ٥٦٧ق.م) من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة أحمس له الحياة والفلاح والصحة.

لقد اعترف «بفتوعوخنس» بن حريو باستي التي أمه تدعى «كاوسنسي» إلى مهدئ قلب الوالد «أسمتو» بن بتيسي، والتي أمه هي تشنترنع Tshenterna’ (٢) لقد جعلت قلبي يتفق على فضتي (وهي الثمن) الذي أعمل به بوصفي عبدًا لك.

وإني عبدك إلى الأبد ولن يكون في استطاعتي أن أعمل بوصفي مواطنًا (حرًّا) بالنسبة إلي ولأية فضة ولأية غلة، ولأي نوع من عقار أرض، وكذلك معي أولادي الذين ولدوا والذين سيولدون لنا، وكذلك الملابس التي على ظهري، وكل ما نملك وتلك الأشياء التي سنكسبها ثانية من السنة الثالثة (٤) شهر توت وما بعده إلى أية سنة إلى الأبد. كتبه مهدئ قلب الوالد احتفنختي بن «ينحارو».

يأتي بعد ذلك على ما يظهر مجرد إمضاء الكاهن الأول «زوبستفعنخ» بن «حور»، ثم خمس نسخ شهود. وصورة هذه النسخ هي بالضبط نفس الصورة التي جاءت في الورقتين ١ و٢ اللتين مر ذكرهما، عدا أن اسم الملك وألقابه قد حذفت في حين أن ذكر الشهر قد بقي.

شهد على ذلك فلان بن فلان وهو شاهد في السنة الثالثة شهر توت على الاعتراف الذي عمله بفتوخنس ... إلخ. لقد جعلت قلبي يتق على ... إلخ من السنة الثالثة شهر توت، وما بعد إلى أية سنة إلى الأبد. كتبه كما سبق (؟).

وأسماء الشهود في هذه النسخ هي:

(١) مهدئ قلب الوالد بمو بن حور.

(٢) مهدئ قلب الوالد حور بن زحو.

(٣) مهدئ قلب الوالد الكاهن الأول كاتب الإضمامات المقدسة حور بن زوبستفعنخ.

(٤) مهدئ قلب الوالد حور بن بكررنف (بوكاريس).

(٥) فاتح محراب آمون توزوي تفنخت بن ...

هذا ونجد أن القائمة الكاملة للشهود قد كتبت على عمود واحد على ظهر البردية، وعددهم تسعة عشر شاهدًا.

ويلاحظ أن هذا البيع الرسمي للعبودية للمالك الجديد قد تم على ذلك في بداية السنة بعد أن حدث النزول.

(هـ) تجديد اعتراف بالعبودية (الورقة رقم ٧) (John Ryland VII)

السنة الثامنة شهر كيهك (ابتدأ هذا الشهر في ١١ أبريل سنة ٥٦٢ق.م) من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة «أحمس» له الحياة والفلاح والصحة.

اعترف العبد «بفتوعوخنس» بن «حريوباستي»، وأمه هي «كاوسنسى»، لمهدئ قلب الوالد (٢) «أسمتو» بن بتيسي، وأمه هي «تشنترنع» لقد كنت معك (؟) بعد السنة الثامنة الخامس من توت حتى السنة التاسعة اليوم الخامس من شهر توت، ملابسي (؟) حنطة ١٠٠ ... غلة (؟) (٣) توزوي (؟) وشعير (؟) ... ١٥٠، وإني ملكك إلى الأبد ولن يكون في استطاعتي ثانية أن أعمل بوصفي مزارعًا (؟) لك من أجل أية فضة، وأية غلة وأي نوع من عقار أرض، وكذلك أولادي الذين ولدوا وأولئك الذين سيولدون لنا، والملابس التي على ظهورنا من السنة الثامنة شهر توت (٥) وما بعده إلى أية سنة وإني ملكك حتى الأبد.

كتبه مهدئ قلب الوالد «بمو» بن «أحو» (؟).

وكتب على ظهر البردية في عمود واحد أسماء الشهود:

(١) «بمو» بن «حور».

(٢) زوبستفعنخ بن «حاروز».

(٣) احتفنخت بن «ينحارو».

(٤) ينحارو بن منتموسي (؟).

(٥) زحو بن اشارتوت (؟).

(٦) حور بن «احو» (؟).

(٧) امرتايس بن حور.

(٨) حور بن بكررينف.

(٩) امرتايس بن حور.

(١٠) احتفنخي بن حور.

(١١) ينحارو بن بشنبتاح.

ومما يلفت النظر في هذه الوثائق الخاصة بالعبودية أن الوثيقة رقم ٤، وهي الخاصة بالنزول عن عقد بهذه الكيفية يعد نسيج وحده. وذلك أنه عندما نجد أرضًا قد بيعت أو منحت، فإن كل ما يتبعها من حقوق خاصة تنقل إليها في الوقت نفسه في نفس العملية، كما شاهدنا ذلك في الوثائق التي ذكرناها من قبل في عهد الملك بسمتيك الأول، وكما سنرى في عهد أحمس الثاني، غير أن الوثيقة الحالية التي نحن بصددها تعد المثال الوحيد عن نقل عقد بجزء منفصل (عن العملية كلها)، وهذا الأمر على ما يظهر يوضح لنا أنه لا بد من اتخاذ احتياطات خاصة عند النزول عن عقود عبودية.

وكذلك في العقد رقم ٦ السالف الذكر، وهو الخاص ببيع رجل نفسه للعبودية لدينا نظير له في تاريخ مبكر عنه بعض الشيء، وقد ذكرناه فيما سبق في عهد الملك بسمتيك الثاني وهو لامرأة. وعلى أية حال فإن الوثيقة التي نتحدث عنها هي أحدث وثيقة في متناولنا عن هذا العبد، والآن يتساءل المرء هل كانت مدة خمس السنوات في خدمة السيد كافية لأن يكون بعدها العبد حرًّا طليقًا، فلا تكون العبودية بذلك مطلقة؟

تعليق على عقود العبودية

إذا نظرنا بعين فاحصة وجدنا أن العقود الخمسة السالفة الذكر هنا كانت خاصة بالعبودية، وتعتبر كلها — بغض النظر عن واحد منها — خاصة بعبد واحد بعينه. وتواريخ آخر ثلاثة

منها تامة وهي السنة الثانية شهر بئونة، والسنة الثالثة شهر توت، والسنة الثامنة شهر كيهك. وفي أقدم هذه العقود نجد أن «بفتوعوخنس» يعترف بنفسه بأنه عبد لأسمتو إلى الأبد، وذلك في مقابل أشياء مادية تسلمها منه، وفي شهر توت (أي: في بداية السنة التالية) نجده يقوم بعمل عقد أكثر رسمية؛ وفي السنة الثامنة يجدد العقد بعبوديته، وهذا التجديد قد يحتمل أنه كان ضروريًّا على حسب القانون بعد مضي كذا من السنين. ومما يؤسف له جد الأسف أن العقدين الثاني والثالث هما مجرد قطع صغيرة من أصليهما، ولكن هناك خيط علاقة يربط بينهما وبين العقود الأخرى يمكن التعرف عليه. فعن تاريخ العقد الثاني يمكن القول: إنه كان في السنة الثانية، وفي الشهر الثاني من فصل ما، ومن الجائز أن يكون شهر بابة أو أمشير أو بئونة ثانية، وبمقتضاه نفهم أن أخا «بفتوعوخنس» هذا إذا لم يكن بفتوعوخنس نفسه يعترف أنه هو عبد رئيس الكهنة «زوبستفعنخ» بن «حور». وفي العقد الرابع لا نجد أثرًا لذكر تاريخ؛ ولكن نجد أن «زوبستفعنخ» ابن حور ينزل لفرد فقد اسمه في البردية عن استعباده لـ بفتوعوخنس، ولما كانت الأوراق الباقية خاصة بأسمتو الذي يظهر فيها بأنه هو صاحب العبد، فإنه يمكن أن نؤكد أن هذه البردية كانت كذلك له، وفضلًا عن ذلك يمكن أن نخمن أن الورقة رقم ٣ كانت الورقة التي أشير لها، ولو أن اسم العبد كان مختلفًا بعض الشيء في هذه الوثيقة. والواقع أن تنوع الاسم لنفس الفرد كان كثير الحدوث في الوثائق القانونية، وعلى ذلك قد يجوز أن «أسمتو» قد استولى على عبد كان من جهة قد باع نفسه له (أي: لأسمتو) وذلك بسبب سلفية عملها عندما كان على حافة الموت، ومن جهة أخرى قد نزل عنه له (أي: لأسمتو) بوساطة الكاهن الأكبر. على أن تاريخ العملية الأخيرة كذلك يظهر أنه ينم عن تحديد دقيق جدًّا فلا بد أن يكون تاريخ العملية قد جاء بعد الوثيقة رقم ٣ في السنة الثانية، ولكن قبل شهر توت من السنة الثالثة، وذلك عندما كان حور بن زوبستفعنخ يشغل وظيفه والده بوصفه كاهنًا أكبر، وعلى ذلك فإن «أسمتو» قد استولى على عبده في السنة الثانية من عهد أحمس الثاني، وعلى ذلك لا نكاد نكون قد أخطأنا في ربط

هذا الحادث بالحرب الداخلية التي وقعت بين «إبريز» وأحمس الثاني، وهي التي قاربت وقتئذ على نهايتها، إذ لا بد أن حالة الاضطراب التي سادت البلاد في تلك الفترة قد جرت على كثير من أفراد البلاد الخراب والدمار، كما أدت إلى ذبح وجرح، وأسر عدد كبير من الوطنيين والجنود المرتزقة، وفي مثل هذه الأحوال كانت الفرص كثيرة للاستيلاء على عبيد، ويميل الإنسان إلى توحيد تاريخ البردية الثالثة (وهو السنة الثانية الشهر الثاني من) بتاريخ الورقة الخامسة (وهو السنة الثانية الشهر الثاني من فصل الحصاد؛ أي بئونه)، وفي هذه الحالة تكون الوثيقة الرابعة كذلك هي بنفس التاريخ.

وتدل شواهد الأحوال على أن استرقاق مصري أو رهن جسمه من أجل دين كان على ما يظن تعترضه صعوبات قانونية، ومن الممكن أنه كان هناك بعض إجراءات مصطنعة لتأكيدها،[١٧] وعلى حسب هذا التفسير نجد أنه في نفس التاريخ الذي سلم «بفتوعوخنس» إلى أسمتو؛ ليكون عبده من أجل دين اعترف بأنه عبد للكاهن الأكبر، وقد نزل الكاهن الأكبر عن حقه إلى أسمتو. ومن المحتمل أن نقل ملكية عبد من سيد لآخر يعطي حقًّا أحسن وأقوى من أي اعتراف سابق بالعبودية.[١٨] هذا ويلفت النظر كثرة عدد الشهود المنقطعة النظير في الوثيقتين الخامسة والسادسة بصورة بارزة، غير أنه لا ينبغي أن يغيب عن ذهننا أن المقدمات لهذا الاستنباط غير كافية جدًّا حتى الآن؛ ولذلك فإن ما ذكرناه مجرد فرض. نعود بعد ذلك إلى فحص الوثائق الباقية من عهد أحمس على حسب ترتيبها التاريخي، ثم نناقشها فيما بعد.

(و) عقد ببيع بقرة (الوثيقة الثامنة)

(١) السنة الثامنة شهر بشنس (هذا الشهر ابتدأ في ٨ سبتمبر سنة ٥٦٢ق.م).

(٢) أعلن زبتفعنخ بن «بديبتاح»، وأمه هي «تبايايت» (٢) لمهدئ قلب الوالد بتيسي بن «أسمتو»، وأمه هي شبنيسي (الظاهر أنه بتيسي الثالث كاتب الظلامة المشهورة، التي تحدثنا

عنها قبل).

لقد جعلت قلبي يتفق على الفضة الخاصة ببقرة المحراث الحمراء هذه المسماة.

(٣) وزبوكي (؟).

إنها متاعي وإنها بقرتك بالإضافة لكل عجل ستنتجه من السنة الثامنة شهر بشنس، وما بعد إلى الأبد.

(٤) وليس من حق إنسان في البلاد أن يستعمل سلطته عليها بما في ذلك أي رجل في البلاد وكذلك أنا نفسي.

(٥) وأن من يأتي إليك بسببها ليأخذها منك قائلًا: إنها ليست «بقرتك»، فإني أنا الذي سأخلصها (٦) لك وإذا لم أخلصها لك، فإني سأعطيك بقرة من نوعها (؟) وإذا لم أعطك بقرة من نوعها فإني أعطيك (٧) إردبًا (؟) من القمح (؟) مقابلها، وكذلك عن كل عجل ستلده، ورجلك؛ أي وكيلك له الحق في أن يطلبها، وإني سأعطيك إياها (٨) وإذا أخذت وعملت (؟) ثورًا صغيرًا منها، فإني سأعطيك ثورًا من نوعه (؟) وإذا أخذت وعملت منها عجلة (٩)، فإني سأعطيك عجلة من نوعها (؟) وإذا أخذت وعملت منها ثورًا، فإني سأعطيك ثورًا من نوعه (؟).

(١٠) بدون أن أذكر أية براءة (رخصة) في الأرض ضدك.

كتبه كمينفحاربوك Kemienefharbok بن ببايو.

وكتب على ظهر الورقة في عمود واحد (الشهود).

(١) احتفنختي بن بسمتيك. (٢) أحمس بن احتفنختي. (٣) «جررو» بن زديتا حفعنخ. (٤) … بن زدحرفعنخ. (٥) خنس (؟) ارتابس بن بفتوعوبستي. (٦) «بمو» بن ينحارو. (٧) امرتايس بن أمنو. (٨) بتيسي بن «زدوسرفعنخ». (٩) «بوخنس» (؟) بن «بدوسيري». (١٠) سمتاوى

تفنخت بن «حريس». (١١) «زحو» بن «بسمتيك». (١٢) خنستفخنت بن كمينفحربوك. (١٣) احتفنختي بن خاأمون (؟).

ومن عقد بيع هذه البقرة نفهم مقدار الاحتياطات التي كانت تتخذ، حتى لا تحدث ملابسات في وثيقة البيع هذا فضلًا عن العناية التامة التي كان يظهرها المصري بالبقرة الولود، إذ كان يذهب إلى أن يطلق عليها اسمًا علمًا تنادى به. هذا ولدينا مثلان آخران في الأوراق البردية التي من هذا العصر ذكر فيهما اسم البقرة (Ryl III P. 59, No. 3)، وقد جرت العادة في عقود بيع بقرات الحرث ألا يذكر معها نتاج؛ لأنها تكون في العادة للحرث. هذا ولدينا مثال عن بقرة عقمت حتى لا تلد بنزع رحمها. وعلى أية حال فإن جعل البقرة لا تلد يكون أفيد لتسمينها أكثر من تخصيصها لجر المحراث، ويدل على أن مثل هذه البقرة كانت تستعمل للمائدة، وذلك على الرغم من أن هردوت قال: إن المصري يحجم عن أكل لحم البقرة (راجع Ryl. III Ibid. & Herod. II, 18, 41).

(٧-٤) خطابان مؤرخان بالسنة الثانية عشرة (راجع Louvre E. 7855; Corpus Louvre Pl. XVII No. 6; Ryl III P. 21 No. 25)

والخطاب الأول من فرد يدعى زفمين لسيدة تدعى «مترتياس»، يخبرها فيه بإرسال ثلاث رسالات من المؤن، ويطلب إليها أن تخبره بوصولها. كما يخبرها أن ما تحتاج إليه سيقوم به رجل يدعى «زخي» Zekhe.

والخطاب الثاني كذلك من «زفمين» إلى «زخي» السابق الذكر، ويذكره فيه بأنه لم يكتب إليه منذ أن رحل إلى الجنوب، ويأمره بأن يعتني بشئون «مترتياس» وطفلها، وتاريخ الخطاب الثاني هو السنة الثانية عشرة الثامن من شهر هاتور (والعنوان كتب على ظهر الورقة).

وهذان الخطابان قد كتبا معًا في عمود واحد. ويلحظ أن «زخي» المذكور هنا هو ابن فرد يدعى ديخنس، وقد جاء ذكره في وثائق لم تنشر بعد.

(٧-٥) منحة أرض (راجع Corpus Louvre face. 4, P. 2 facsimle Ibid Pl. XXV No. 25, Ryl. III, P. 22 No. 26)

السنة الخامسة عشرة شهر هاتور يعطي بسمتي-منخ ١٠ + ١ أرورات من أرض آمون في «قفط» اسمون، وهو سقاء في جبانة طيبة بصفة وقف لقبر والدته «تستنحور»، وكانت (هذه الأرض) جزءًا من اثنين وعشرين أرورا اشتراها من «سن» في شهر بئونة من السنة الرابعة عشرة، وكان «سن» قد اشتراها في بشنس من نفس السنة من «وننفر» الذي كان والده «حاروز» قد اشتراها في السنة الثالثة من عهد «واح اب رع» من «اسخنس». واسخنس هذا كان قد تزوج نيتوكريس، وتسلم الأرض بمثابة مهر من والدها «بدوزير» بن ونأمون في برمودة من السنة السابعة والثلاثين من عهد «بسمتيك الأول»، والواهب يسلم أربع وثائق ملكية؛ أي اثنتين قديمتين أعطيتا «سن» بوساطة «وننفر» والبيع كان بوساطة «وننفر» إلى «سن» والبيع بوساطة «سن» إلى «بسمتيك منخ». إمضاء الكاتب وإمضاءات «بسمتيك منخ» ووارثه.

وقد كتب على ظهر الوثيقة ست عشرة شهادة يتبعها إمضاء الكاتب لإقليم «قفط».

(٧-٦) ورقة حسابات (راجع Louvre, F 784 bis, Ryl III, P. 22)

السنة التاسعة والعشرون (؟) شهر توت وتواريخ أخرى لسنة ٣٣.

(٧-٧) ورقة بيع شخص لنفسه بوصفه ابنًا (راجع Louvre, F 7832; Facsimile in Revue Egyptologique Vol. III, Corpus Louvre Pl. IX No. Ryl. III, P. 22 & 57.)

الترجمة:

السنة الثانية والثلاثون شهر هاتور من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة أحمس له الحياة والفلاح الصحة.

أعلن حور بن «بتيسي» الذي تدعى أمه توعو سقاء الوادي (المسمى) «يتوروز» بن «زخي» الذي تدعى أمه «يتورو»: لقد جعلت قلبي يتفق على فضتي لأجل أن يقوم لك مقام الابن. وإني ابنك وكذلك أولادي الذين سيولدون لي مع كل ما هو ملكي، وتلك الأشياء التي سأكسبها.

وليس هناك رجل في الأرض سيكون في قدرته أن يجري سلطانه على غيرك، بما في ذلك الوالد والأم والأخ والأخت والبنت والسيدة، أو أي فرد يدعى توميضًا (؟) وكذلك أنا نفسي.

وإن أولادي هم أولاد أولادك إلى الأبد وسرمديًّا.

وإن من سيأتي إليك بسببي ليأخذني منك قائلًا: إنه ليس ابنك من أي رجل في الأرض بما في ذلك الوالد والأم والأخ والأخت والابن والبنت والسيد والسيدة، أو أي فرد يدعى تعويضًا (؟) وكذلك أنا نفسي فإنه سيعطيك أي فضة وأي غلة ترضي قلبك. وإني لا زلت ابنك مع أولادي إلى الأبد.

الكاتب الشاهد نحمسخنس بن ينحارو.

وهذه الوثيقة شهد عليها اثنا عشر شاهدًا على ظهر البردية.

(٧-٨) إيصال ضرائب أجرة أرض أو باكورة حصاد (؟) (راجع Louvre E. 7835 (Facsimlie in Corpus Louvre Pl. IV No. 13, Ryl III, P. 22

السنة الرابعة شهر بامنحتب: من أجل أرض في ضيعة آمون في حقل باحي، الواقعة في الغرب في إقليم خفط دفع بوساطة يتوروز لكتاب معبد آمون عن السنة ٣٣-٣٤ إمضاءات كاتب الغلة وكاتب آمون قفط وأربعة آخرين.

(ويلحظ أن هذه الصكوك تُمضى دائمًا على وجه الوثيقة.)

(٧-٩) صك كالسابق (راجع Louvre E 7838; Facsimile in Corpus Louvre Pl. XII No. 11, RYl. III, P. 22)

السنة ٣٥ شهر طوبة: وهو كالسابق عن سنة ٣٤-٣٥. وقد أضيف إليه إمضاء واحد أكثر من السابق.

(٧-١٠) صك كالسابق (راجع Louvre E. 7834, Ryl. III, P. 22)

السنة الخامسة والثلاثون شهر طوبة: وهو كالسابق من راعٍ يدعى «يتورو»، وأخوه «بدمونت» ومعه يتوروز عن السنة ٣٤-٣٥. الإمضاءات كالسابق.

(٧-١١) اتفاق عن زراعة (راجع Louvre E. 7836; Ryl. III, P. 23)

السنة الخامسة والثلاثون أبيب بخصوص راعي «منتو» المسمى «برمنتو»؛ لأجل زراعة مزرعة وقف ليتوروز في السنة ٣٦. على أن يقسم المحصول بالتساوي بين صاحب الملك والمزارع.

(٧-١٢) عقد اشتراك في عمل (راجع Louvre El. 7843; Facsimile in Corpus Louvre Pl. XXVI, No. 23; Ryl. III, P. 23)

السنة الخامسة والثلاثون شهر مسرى. يعترف «كاوسنموت» بأن «يتوروز» شريك له في واجباته، وفي كل فوائد (بوصفه سقاء) في المقابر الخاصة «ببدمنستو» و«زدمنتفعنخ».

(٧-١٣) عقد اتفاق على زراعة (راجع Louvre E. 7833, Ryl. III, P. 23)

السنة السادسة والثلاثون شهر بشنس: أقرض السقاء «وزحور» زوج ثيران للراعي «بدمنتو»؛ لأجل حرث أرض (الدخل يكون لأخيه المتوفى (؟)) من أول سنة ٣٦-٣٧ على أن يعطى ثلث المحصول وزحور من الأرض بمثابة حق أخيه، وسيدفع منه أجر كتاب آمون وكذلك ثلاثة الأرباع، مما ينبغي لوزحور مقابل أجر زوج الثيران، ويكون الربع لأجل «بدمنتو» مقابل زراعة الأرض.

(٧-١٤) عقد اتفاق على زراعة (راجع Louvre E. 7833, Ryl. III 23)

السنة السادسة والثلاثون شهر بشنس. أعار «وزحور» ثورا، وكذلك الراعي «بدمنتو» وشركاؤه خمسة ثيران، فيكون الكل ثلاثة أزواج ثيران لأجل حرث أراضي «وزحور» في سنة ٣٦-٣٧. وكان وزحور يأخذ ثلث محصول الأرض بعد (؟) دفع الكتبة سدس الباقي، ويأخذ «بدمنتو» وصحبه خمسة الأسداس الباقية؛ وإذا سحب «وزحور» نفسه من هذا الاتفاق، فإنه يدفع دبنًا من الفضة (غرامة).

(٧-١٥) عقد اتفاق على زراعة (راجع Louvre E. 7839, Ryl. III 23)

السنة السابعة والثلاثون شهر بئونة كلف «بد آتوم»، حارس النحل في معبد الإله «منتو» بزراعة الأرض التي تؤلف وقف قبر «زخي» من قبل السقاء «يتوروز» ابن «زخي» عن سنة ٣٧-٣٨، وسيدفع كتبة آمون ويعطي باقي المحصول يتوروز ثم يرحل.

(ومن منطوق هذا الاتفاق نفهم أنه لم يأخذ أجرًا على هذا العمل، وعلى ذلك يحتمل أنه كان عليه أن يؤدي التزامًا سابقًا فرض عليه.)

(٧-١٦) رسالة أعمال (راجع Louvre E. 7540, Ryl. III, 23)

(رسالة) من بد آمون ملاحظ الجبانة لسيده الكاهن والد الإله «زخي»، يعترف بتسلم ثور مستحق للأوقاف الإلهية لآمون من «بميتي»، بصفة أجر للمصاريف الجنازية الخاصة بـ «بد حارب بك» السنة الثامنة والثلاثون شهر مسرى.

(٧-١٧) رسالة أعمال (راجع Louvre E. 7854, Ryl. III, P. 23)

من «زدخنسفعنخ» إلى «بدمنستو» كاهن آمون ابن ابني «زخي» ... مين و«يتورزو» قد دفعا ضريبة غلتهم، وأنه يطلب أن يجري الإيصال بذلك لهما.

(هذه الرسالة ليست مؤرخة، ولكنها من هذه المجموعة.)

(٧-١٨) وثيقة بالاعتراف بحقوق (راجع Vienna, Munzkabinette; Krall Studien zur Geschichte II, 19 (Sitzungsberichte der Kais. Akad. (Wien. 1844, P. 345). Ryl. III, P. 24.

السنة ... شهر طوبة: يعترف «رر» (؟) بن «حريرم» و«انتوتهتس» وهو سقاء وادي طيبة، أن نصف ممتلكاته وهو نصف ممتلكات والديه هو ملك أخيه «بشنيسي» (هذه الوثيقة ممزقة والتاريخ مفقود، ولكن اسم الملك قد حفظ فيها). وهي وثيقة هامة؛ لأنه يوجد عدد من الوثائق لهذه الأسرة لا تزال محفوظة في متاحف مختلفة، وترجع إلى عهد الملك «دارا».

(٧-١٩) تعليق

إن هذه الوثائق الديموطيقية التي يرجع تاريخها لعهد الملك أحمس الثاني، وهو الذي عمر طويلًا في الحكم تقدم لنا صفحة جديدة في صميم تاريخ الحياة الاجتماعية، التي كان يحياها الشعب في تلك الفترة من تاريخ مصر الحافل بالذكريات الخالدة.

والطريف في هذه الوثائق أنها كتبت بلغة الشعب وبأفراد من صميم الشعب، وقد تناولت شتى الموضوعات التي لا نجدها في أي فترة من فترات العصور، التي سبقت ذلك العهد بهذه الصورة الوضاءة المبينة، فقد كشفت لنا هذه الوثائق عن علاقات طبقات الشعب بعضها ببعض، فحدثتنا عن الاستعباد ومداه، وأنه لم يكن بمعنى الاستعباد الذي لم ينقرض من العالم الحديث إلا منذ زمن قليل جدًّا، والواضح أنه لم يظهر في مصر في تلك الفترة إلا على أثر الفوضى والحروب الداخلية التي حدثت في البلاد، ومع ذلك لم يكن هذا الاستعباد إلا لفترة من الزمن يصبح الفرد بعدها حرًّا؛ لأن كل فرد في مصر كان ملك الدولة في السلم والحرب. هذا ويلحظ في عقود العبودية أن الفرد كان يدفع بنفسه وأولاده إلى العبودية لمن يشتريه بمبلغ من المال وسلفيه. والظاهر أن زوج العبد كانت لا تدخل ضمن العقد، بل كان هو وأولاده فقط عبيدًا إلى الأبد كما جاء في الوثائق. وتدل الأحوال على أن الرجل الذي كان يبيع نفسه قد يكون مزارعًا، ثم قضت عليه أحوال قاسية أن يكون عبدًا، وذلك بسبب دين اقترضه ليدفع منه أجر الطبيب لمرض قاتل ألم به، ولم يكن له سبيل للحصول عليه بغير ذلك، ومن ثم كان يخرج مثل هذا الفرد من عداد المواطنين أصحاب الحقوق في البلاد. ومن الطريف أننا نجد في وثائق العبودية أن مالك العبد كان له الحق في أن يبيعه لغيره كأنه سلعة. وقد كان ثمن العبد في تلك الفترة عشرين إردبًّا من القمح أو بعض دبنات من الفضة، وقد كان هناك نوع آخر من العبودية عن طريق التبني، فكان الفرد يبيع نفسه لآخر مقابل مبلغ من المال، على الرغم من أن والديه على قيد الحياة، ويعترف الفرد المتبنى في العقد الذي أبرم بينه وبين والده الجديد، أنه إذا أراد أحد أفراد الأسرة استرداده، فإنه كان عليه أن يدفع المبلغ الذي يرضيه من الفضة والقمح.

ولدينا من جهة أخرى وثائق بيع أخرى للماشية، وبخاصة البقرات فكان هناك تمييز بين البقرة التي تجر المحراث والبقرة الولود، ثم البقرة التي لا تلد وتفاصيل شروط البيع شيقة ممتعة، فقد كانت البقرة تباع هي ونتاجها من الذكور والإناث الكبير منها والصغير، وكان البائع ملزمًا برد

ثمن أي ولد من أولادها، إذا ادعى ملكيته آخر وزيادة في تحديد صفة البقرة المباعة كانت تذكر باسمها الذي كانت تسمى به. ويلحظ هنا أن قدر الغرامة في تلك الفترة كان يقدر بالأشياء العينية لا بالعملة التي لم تكن قد استعملت في تلك الفترة، فقد جاء في عقد بيع بقرة أن البائع قد تعهد للمشتري بدفع إردب من القمح إذا ادعى آخر ملكيتها وثبت ذلك. هذا فضلًا عن أنه كان يدفع مثل هذا التعويض عن كل عجل أو عجلة من نتاجها. وعلى أية حال فإن الغرامة كانت تدفع أحيانًا ناقصة، ولكنها لم تكن من عيار محدد. ومن الطريف أن البائع كان يشترط أنه إذا أخذت البقرة من مالكها الجديد، فإنه كان على البائع أن يدفع الثمن، وفضلًا عن ذلك يعوضه عن كل نتاج من نتاجها بمثله.

ويلفت النظر في هذه العقود كذلك الاتفاقات الزراعية. والواقع أنها تشبه في كثير من الأحوال ما يجري في مصرنا الآن، فما أشبه اليوم بالأمس فلدينا من هذا العهد اتفاق عقد بين راعٍ ومشرف على أرض أوقاف على أن يأخذ الراعي النصف من المحصول، ويترك النصف للوقف فما أعدل هذه القسمة، وليتها كانت جارية في أيامنا على هذا الوضع.

ولدينا اتفاق آخر من نوع جديد هو أن تقوم جماعة من الذين يملكون الماشية بحرث أرض، بوساطة ثلاثة أزواج من الماشية لصاحب الأرض منها ثور واحد. وذلك على أن يأخذ صاحب الأرض ثلث المحصول، وذلك بعد دفع أجر الكتبة وهو سدس الباقي، أما أصحاب الماشية الآخرون، فيأخذون الباقي وهو خمسة أسداس وإذا نقض صاحب الملك هذا الشرط، فكان عليه أن يدفع غرامة قدرها دبن من الفضة. وهذا نفس ما نجده في أيامنا هذه في كثير من جهات القطر، وبخاصة الأفراد الذين يحرثون الأرض، ويروونها في مقابل جزء من المحصول.

ولدينا اتفاق آخر من هذا النوع مع نفس صاحب الملك السابق، ولكن بشروط مختلفة بعض الشيء. وأخيرًا نجد في هذه الوثائق اتفاقًا غريبًا في بابه يكلف شخصًا بعينه القيام بزرع قطعة

أرض وقف على أن يدفع من المحصول أجر كتاب «آمون»، ثم يعطي الباقي للمشرف على الوقف ثم يغادر الأرض. والظاهر هنا أنه كان هناك اتفاق خاص يحتم على المزارع القيام بمثل هذا العمل. فقد يجوز أنه كان مدينًا لصاحب الوقف. ويلفت النظر في مثل هذه الاتفاقات أن الكتبة كان لهم مرتب خاص من محصول هذه الأراضي، سواء كانت أوقافًا أم ملكًا خاصًّا، ولا غرابة في ذلك فإن الكتبة كانوا في كل عصور التاريخ المصري لهم مكانة عظيمة، فهم الذين يقومون بعمل الحسابات الخاصة بكل الأطنان ودخلها، وكانت هذه حرفتهم التي يمتازون بها.

ننتقل بعد ذلك إلى الأعمال الحسابية والصكوك التي كانت تحرر عن المخالصات المالية، وهنا كان يلعب الكتاب دورًا عظيمًا. فلدينا صكوك يعترف فيها بدفع الضرائب من الأطيان أو المحاصيل الأولى أو الإيجارات، ممضاة من الكاتب الذي كان يتسلم الضريبة، وهو ما يقابل الصراف في عهدنا الحاضر.

وقد وجدنا بين هذه الوثائق التي نحن بصددها بعض رسائل أعمال منها رسالة يعترف فيها مرسلها بأنه تسلم ثورًا كان مستحقًّا لأوقاف آمون، وذلك بصفة أجر لمصاريف جنازية لفرد معين. وأخرى من كاهن لآخر يذكر فيها أن ابني فرد يدعى «زخي»، قد دفعا ما عليهما من ضرائب من الغلة، ويطلب أن يعطيا إيصالًا بذلك. هذا ولدينا وثيقة بدفع دين مقداره سبعة دبنات من الذهب مقابل بضائع سلمت، وقد تحدثنا فيما سبق عن عقود الزواج في مكان آخر، ولدينا عقد من هذا النوع لا يختلف كثيرًا عن العقود السابقة.

(٨) أحمس الثاني وأسرته

لم تسعفنا المصادر التي في أيدينا حتى الآن للوصول إلى نتيجة حاسمة عن أصل أسرة الملك «أحمس الثاني»، وبخاصة عندما نعلم أن الكتاب الإغريق لم يذكروا لنا شيئًا معينًا عنها. وسنحاول أن نستعرض هنا ما لدينا من معلومات أثرية، وكذلك ما وصل إلينا من أقاصيص

أسطورية إغريقية، ثم نستنبط من كل ذلك نتيجة على حسب ما تسمح به الأحوال والملابسات، وبخاصة عندما نعلم أن المؤرخين والأثريين قد اختلفت آراؤهم اختلافًا بينًا في أصل أحمس الثاني، فمن قائل: إنه من أصل نبيل، ومن قائل: إنه من أصل وضيع. وقد استند كل فريق على أسانيد أثرية أو غير أثرية مما ذكره الكتاب الإغريق ونقل عنهم.

(٨-١) المصادر الأثرية

جاء ذكر موظف كبير يدعى «أحمس سانيت» (أي: أحمس بن الإلهة نيت) على تابوت والدته التي تدعى «تابرت»، وكذلك جاء ذكر «أحمس سانيت» مع أمه هذه على حوض قربان من الجرانيت محفوظ الآن بمتحف «اللوفر» (راجع Piehl, A. Z. XXVIII, P. 10–12).

ونجد أولًا في نقوش تابوت والدته المتن التالي: المقربة من زوجها المعروفة لدى الملك «واح-اب-رع» (= إبريز) «تابرت». وعمرها سبعون سنة وأربعة أشهر وخمسة عشر عامًا. واسم أمها هو «مربتاح ساحابي»؛ وأنه ابنها الذي أنجبه لها حامل الخاتم الملكي للوجه البحري والسمير الوحيد، ورئيس القصر وكاهن «أزيس»، والمشرف على قاعة المحاكمة «أحمس سانيت». ومن ثم نشاهد أن نقوش هذا التابوت تقدم لنا اسم والدة «تابرت»، وهي «مربتاح ساحابي» واسم زوجها وهو «واح اب رع».

هذا ولدينا حوض القربان السالف الذكر. جاء عليه النقش التالي: الأمير الوراثي والسمير الوحيد ورئيس القصر، والمشرف على العرش ورئيس المعابد ورئيس الأشياء السرية لكل أمور الملك، ومحبوب سيده والمسيطر على عقله؛ أي موضع ثقته، ورئيس قاعات الاستشارة الملكية والمشرف على قاعة العدالة (= المحكمة) «أحمس سانيت» بن «واح اب رع» والذي وضعته «تابرت».

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كلمة ابن التي جاءت بعد كلمة «نيت»، قد استعملت مرتين إحداهما في اسم أحمس سانيت والأخرى في نسبة «أحمس» لأبيه؛ أي «أحمس سانيت» بن «واح اب رع». وقد ظن الأثري «رفييو» أن «أحمس سانيت» بن «واح اب رع» والسيدة «تابرت» هو الرجل الذي صار فيما بعد الملك «أحمس الثاني»، وذلك على الرغم من معارضة الأثري «بيل» في ذلك، وقد عاضده الأستاذ «برستد» (راجع Br. A. R. IV, §§ 999–1001)، فقد استنبط من النقوش السالفة الذكر قوله: كانت أمه (أي: أم أحمس) لها صلة بالملك، ويحتمل أنها كانت ذات صلة رحم «بإبريز»، وعلى ذلك فإن هذه العلاقات القوية قد ساعدت «أحمس» على اغتصاب الملك، وبذلك تكون قصة «هردوت» عن أن «أحمس» كان من أصل وضيع لا أساس لها من الصحة، ولكن يحدثنا الأثري «بتري» (Petrie, Hist. III, P. 350) مقترحًا أنه إذا كان اسم «أحمس» قد وضع في طغراء، فإن ذلك يدل على وجود اسم ملك قبله، وعلى ذلك فإن «أحمس بن نيت» كان ملكًا عاش بعد الملك «أحمس». وقد عارض هذا الرأي كل من الأثري «فيدمان» (راجع Agyp. Gesch. P. 645, Gesch. Agypt P. 176) كما عارضه الأثري «بيل» (راجع A. Z. 28 P. 10–12)، والأثري «دارسي» (راجع Rec. Trav. 22, P. 142-3 Nr. CLXXV; Comp. Gauthier, L. R. IV, P. 128-9 No. 2).

والواقع أنه لا يمكننا أن نستنبط بوساطة ما جاء في النقوش التي على حوض ماء القربان المحفوظ باللوفر، وما جاء على التابوت المحفوظ في متحف في «استكهولم» أن الموظف العظيم «أحمس سانيت» بن «واح اب رع»، والسيدة «تابرت» هو نفس الملك «أحمس الثاني» فيما بعد. وإلى أن تأتينا معلومات أوفى، فإنه يستحسن أن نعتبر كلًّا من الشخصين منفصلًا عن الآخر. وعلى أية حال فإن ما ذكره «هردوت» عن «أحمس» يتعارض مع ما ذكره «برستد» في أنه كان شخصية عظيمة ذات مكانة علية في القصر الملكي، بل كان جنديًّا من أصل وضيع،

وتلك هي الرواية الإغريقية. وعلى الرغم مما جاء في هذه الرواية من مبالغة، وما يحتمل أن يكون فيها من بعض عناصر إغريقية دخيلة، فإنها رواية مصرية في أصلها، يعزز ذلك ما جاء في القصة الخاصة بأحمس والملاح، ويرجع تاريخ هذه القصة إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وقد كتبت بالديموطيقية (راجع ما جاء على ظهر ورقة الحوليات الديموطيقية Demotischen Chronick, Spiegelberg, Demotische Chronick P. P. 26–28; Comp. Edward Meyer, Kleine Schriften II, P. 93).

ففي هذه القصة وصف «أحمس» بأنه رجل يصرف وقته في الملاذ ومعاقرة بنت الحان؛ وهاك ما جاء في هذا المتن الذي وصل إلينا ناقصًا، ولكن يرمي ضوءًا على حياة «أحمس الثاني» من الوجهة المصرية:

> (١) يحكى ذات مرة في عهد الفرعون «أحمس» أن الفرعون قال لعظماء بلاطه: سأشرب نبيذ «كولوبي» (٢) وعندئذ قالوا: يا مليكنا العظيم إنه من الصعب شرب نبيذ «كولوبي»، وعندئذ قال لهم: لا تعارضوا ما أقول. فقالوا: يا سيدنا العظيم ليت الفرعون يفعل ما يريد. فقال الفرعون: فليذهب رجل إلى البحر لينفذ ما أمر به الفرعون، وهناك أكل الفرعون مع نسوته، حيث لم يكن هناك أي نبيذ في العالم أمامهم إلا نبيذ «كولوبي»، وبذلك كان الفرعون فرحًا مع نسوته، وشرب كمية عظيمة من النبيذ بقدر ما اشتهت نفس الفرعون من نبيذ «كولوبي».
>
> ثم نام الفرعون طلبًا للراحة على البحر في نفس الليلة، وذهب تحت كرمة في الجهة الشمالية (حيث النسيم العليل)، وعندما انبلج الصباح لم يكن في مقدور الفرعون أن يقف بسبب انحراف مزاجه (من السكر)، وعندما اقترب الوقت (الذي كان يجب على الفرعون أن يستيقظ فيه) لم يكن في استطاعته أن يستيقظ، وعندئذ حزن رجال

الحاشية، وعلى ذلك قالوا: هل شيء مثل هذا ممكن؟ فقد حدث أن الفرعون قد ألم به انحراف كبير، ولم يكن في استطاعة أي رجل في العالم أن يذهب ويتحدث إلى الفرعون. وعندئذ ذهب رجال الحاشية إلى المكان الذي كان فيه الفرعون وقالوا: يا سيدنا العظيم ما الذي ألم بالفرعون؟ وعندئذ قال الفرعون: إني أشعر بانحراف عظيم (وحسب)، ولا يمكنني أن أقوم بأي عمل في العالم، ولكن انظروا: هل يوجد بينكم رجل يقص علي قصة يمكن أن يسري بها عني؟ وكان هناك كاهن فقط للإلهة «نيت» بين رجال الحاشية يدعى «بدسوتم» (؟) وكان رجلًا فطنًا فانبرى أمام الفرعون وقال: يا سيدي قد يجوز أن الفرعون لم يكن قد سمع بعد قصة البحار الذي يسمى «حوروس» بن «سيوزيريس» بن «أوزير» ... يدعى. وكان يعيش في زمن الفرعون ... وكانت زوجته تدعى «شبت مرت»، وكانت تنادى باسمها «عنخت» وكان اسم البحار الذي ينادى به هو «بتيسي»، وكانت تحبه ويحبها أيضًا. وقد اتفق ذات يوم أن الفرعون أرسله إلى «دفني» (أدفينا)، فاستيقظ في اليوم التالي وفي قلبه هم أليم بسبب ما أمره به الفرعون لقد كان عبئًا عليه أن يذهب إلى «دفني»، ويعود في نفس اليوم. ومن ثم وقع في هم جسيم، إذ لم يكن في مقدوره أن يعارض الأمر الذي أمره به الفرعون ...

وهنا ينقطع المتن ...

ومن هذه القصة المبتورة نفهم أن ما جاء على لسان «هردوت» وغيره، مما ذكرناه آنفًا عن «أحمس الثاني» وما اتصف به من لهو ولعب قد يتفق بعض الشيء مع ما جاء في هذه القصة التي ترجع إلى أصل مصري صميم، وتشعر بأنه لم يكن يسير سيرة الفراعنة الذين هم من دم ملكي.

(٨-٢) أزواج «أحمس»

(أ) تنت-ختا

جاء ذكر زوج «أحمس الثاني» التي تدعى «تنت-ختا»، على لوحة عثر عليها في «السربيوم»، وهي أم الفرعون «بسمتيك الثالث» (راجع Stele du serapeum au Musée du Louvre (No. 309); Chassinat Rec. Trav. XXI, P. 63; Brugsch, A. Z. XIII, P. 163; Haig A. Z. XVII, P. 195-196; Revillout, Rev. Egyptologique II, P. 96).

ويدل ما جاء على هذه اللوحة أنها كانت زوج «أحمس الثاني» وأم «بسمتيك الثالث» بن «أحمس الثاني». وكانت هذه الملكة ابنة كاهن بتاح المسمى «بدنيت» (راجع ما كتبته مس «بتلز» في هذا الصدد Miss buttles, The Queens of Egypt P. 224-225).

(ب) نخت سباستت رو (؟)

لدينا لوحة من آثار «سربيوم» منف محفوظة الآن بمتحف «اللوفر»، جاء عليها اسم ملكة تدعى «نخت سباستت رو» (راجع Chassinat, Rec. Trav. XXII, P. 171) وكانت تلقب بزوج الفرعون «خنم-اب-رع»، وهو لقب الفرعون «أحمس الثاني»، ولدينا كذلك مقبرة في الجيزة تحمل رقم ٨٣، وكذلك تابوتان يحملان رقمي ٧٦٦ و٧٦٧، وكلها بمتحف «ارميتاج» في «بتروجراد». والتابوتان ينسبان إلى فرد يدعى «أحمس» وأمه تدعى «نخت سباستت رو» (راجع L. D. III, 274 f-h; L. D. Texte I, P. 98; Golenischeff, Inventaire de la Collection de L'Ermitage P. 94–97).

ويلحظ أنه في نقوش هذا القبر قد هشمت ألقاب وأسماء هذين الشخصين، ويحتمل أن ذلك كان قد وقع بعد الفتح الفارسي. ومع ذلك لا يمكن أن نجزم أن اسم الملكة الذي جاء على لوحة اللوفر

هو اسم نفس الشخص الذي جاء في نقوش المقبرة والتابوتين السالفة الذكر. والواقع أنه إذا أمكن توحيد ما جاء على هذه الآثار بصفة قاطعة، فإنه يمكننا أن نضيف اسمًا جديدًا لأولاد «أحمس الثاني»، ويدعى بدوره «أحمس» ويكون قد أنجبه عن الملكة «نخت سباستت-رو». وقد أشار الأثري «بتري» (راجع Petrie, Hist. III. 349)، وكذلك مس «بتلز» في كتابها عن ملكات مصر إلى «نخت سباستت رو» و«أحمس ابنها» (راجع Miss Buttles, Ibid. P. 225).

(٨-٣) أبناء أحمس الثاني

(أ) بسمتيك

جاء اسم هذا الأمير على لوحة السربيوم السالفة الذكر، وقد سمي ابن الملك «خنم اب رع» العائش أبديًّا «بسمتيك»، وهو الذي أصبح فيما بعد «بسمتيك الثالث».

(ب) أحمس

جاء ذكر هذا الابن في نقوش مقبرة «الجيزة» السالفة الذكر: «أحمس» المرحوم سيد الاحترام.

(ج) باش خنس

جاء ذكره على لوحة السربيوم السالفة الذكر في النص التالي: الابن الملكي محبوبه والسمير الوحيد لملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «خنم اب رع» المسمى باش خنس.

(٨-٤) بنات أحمس الثاني

لم تعرف «لأحمس الثاني» بنات على وجه التأكيد، وكل ما وصل إلينا في هذا الصدد أنه قد ذكرت أميرة تدعى «تاخرد است» على الجزء الأعلى من تمثال مصنوع من الجرانيت

الرمادي، ويقول عنها كل من «بدج» و«بتري»: إنها ابنة الملك «أحمس الثاني» (راجع Egypian Galleries Sculpture, P. 225 No. 814).

هذا وقد ذكر لنا كل من «لبسيوس» و«رفييو» و«بركش» و«بوريان» و«بدج» الأميرة «تاخرد است»، بوصفها ابنة «أحمس الثاني» دون ذكر المصادر التي أخذوا منها معلوماتهم (راجع L. R. IV, P. 131 b).

هذا ومما يطيب ذكره هنا أن الأثري «بدج» لم يفرق بين ابنة «أحمس» هذه وبين جدتها، التي كانت تحمل نفس الاسم، إذ نجده قد نسب كل ما وجد من آثار بهذا الاسم إلى أم «أحمس» وقد حذف اسم ابنته كلية (راجع Budge, Book of the Kings II, P. 288).

(٨-٥) أخت «أحمس الثاني»: سا است

وتلقب الزوجة الملكية، وجد اسم الأميرة على جعران في متحف تورين (No. 325) (راجع: Petrie, Historical Scarabs, No. 1998).

ويقول «بتري»: إن هذه الزوجة الملكية كانت أخت «أحمس الثاني»، غير أنه على حسب ما لدينا من آثار لا نعرف شيئًا أكيدًا عنها، فقد يجوز أنها كانت ابنة «أحمس الثاني» وزوج «بسمتيك الثالث»؛ وعلى أية حال فإن الابنة الملكية «تاخرد-ن-است» لم تكن أخت «أحمس»، كما اقترح ذلك كل من «بركش» و«بوريات»؛ لأنها في الواقع كانت من دم ملكي كما يدل على ذلك لقبها. ونحن نعلم من جهتنا أن «أحمس» لم يكن ابن ملك ولا من دم ملكي، وعلى ذلك فإنه غير محتمل أن تكون أخته من دم ملكي (راجع L. R. IV, P. 131).

وهكذا كما ذكرنا آنفًا تحوم الشكوك حول معظم الأفراد، الذين نسبوا إلى «أحمس الثاني»، والقول الأرجح أنه لم يكن من دم ملكي قط.

(٩) عظماء الرجال في عهد «أحمس الثاني»

(٩-١) «بفنفدينيت» كبير الأطباء

خلف لنا هذا العظيم عدة آثار هامة تكشف لنا النقاب عن سابق خدمته في عهد الملك «إبريز» بوصفه رئيس أطبائه، كما كان يشغل مكانة علية في إدارة المالية. وتدل شواهد الأحوال على أن «أحمس» قد كسبه إلى جانبه خلال المشاحنات التي قامت بينه وبين «إبريز»، وقد شغل نفس الوظائف التي كان يشغلها في عهد سيده الأول إبريز، فكان يعمل طبيبًا أول في عهده.

(١) وأهم آثار هذا العظيم تمثال غاية في الجمال يمثله واقفًا ممسكًا أمامه محرابًا صغيرًا موضوعًا على قاعدة، وفي المحراب صورة الإله أوزير (راجع Louvre A 93; Pierret, Recueil d’Inscriptions du Louvre II, 39 = Brugsch, Thesaurus VI, 1251–54 (Incomplete); Piehl, A. Z. 32, P. P. 118–22; Baillet, A. Z. 1895, P. 127 ff; Boreux, Guide-Catalogue Sommaire I, P. 57 f; Br. A. R. IV, §§ 1015–1025).

وتدل شواهد الأحوال على أن تمثال «اللوفر» هذا كان قد أقيم في «العرابة»، وقد نقش عليه متن يقص علينا جلائل الأعمال التي أنجزها «بفنفدينيت»؛ لإعلاء شأن الإله «أوزير» ومعبده، وقد ادعى لنفسه احترام هذا الإله وكهانته؛ وذلك لأنه كان دائمًا يقدم كل ما تحتاج إليه بلدة «العرابة المدفونة» المقدسة أمام الملك «أحمس»؛ وقد حقق لمعبد العرابة ثروة ومباني كثيرة. وقد كان يقوم بنفسه بالإشراف على إنجاز بعض هذه الأعمال، كما شارك في تمثيل مسرحية الإله «أوزير» في «العرابة» نفسها (راجع ما كتبناه عن هذه المسرحية في الجزء الثالث مصر القديمة).

وقد كان نشاطه المستمر متجهًا لإنماء عبادة الإله «أوزير»، على الرغم من أنه لم يكن عضوًا من الأسرة المالكة، حتى إنه كان مثالًا يلفت النظر إلى ما كان عليه القوم من حماس ديني وغيره في هذا العهد، وقد وصف لنا «هردوت» هذا الحماس الديني في كتابه عن مصر.

وفضلًا عن ذلك قام هذا العظيم بعمل جليل للإله أوزير يلفت النظر بصورة بارزة، وذلك أن أحد أخلاف أسرة طينة القديمة التي كان حكامها لا يزالون على قيد الحياة في عهد الأسرة الثامنة عشرة، قد جرد من دخله من الواحة الكبرى، كما جرد من دخل المعبر المحلي (المعدية المحلية) الذي كان يملكه وقد استولى «بفنفدينيت» عليه، وأضاف دخله إلى دخل خزانة الإله «أوزير»، وعلى ذلك أصبح الدخل الذي يأتي من الواحة مخصصًا لسد المصاريف الجنازية الخاصة بأهل العرابة. ولا غرابة في ذلك فإنا نجد أن عبدة الإله «أوزير» في الواحات، وبخاصة الواحة البحرية منتشرون بصورة بارزة. والواقع أن قصة المحاكمة أمام الإله «أوزير» قد رسمت على جدران كل المقابر الهامة، التي كشفت في هذه الواحة بصورة تلفت النظر مما لا نجده في كثير من مقابر عظماء القوم في وادي النيل نفسه بهذه الصورة، وهذا أمر طبيعي يرجع سببه لوجود طريق مباشرة بين الواحات والعرابة، ولما كان لإلهها الأكبر من مكانة علية. وسنرى ذلك عند التحدث عن علاقات مصر بالواحات في عهد الأسرة السادسة والعشرين، وبخاصة في عهد كل من حكم الملكين «إبريز» و«أحمس الثاني».

نعود الآن إلى ترجمة نقوش هذا التمثال:

ألقاب «بفنفدينيت»: الأمير الوراثي، والحاكم والسمير الوحيد ورئيس القصر والطبيب الأول والمشرف على الخزانة المزدوجة، والعظيم في القاعة، والعظيم المقرب في بيت الملك، والمدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» الذي أنجبه رئيس المعاقل، والحاكم المحلي في «دب»، وكاهن حور صاحب «ب» «ساسبك» يقول: يا كل كاهن مطهر سيقوم بعمل شعائر، إن أول أهل الغرب (أوزير) سيحييكم عندما تتلون لي صلاة لأجل

القربات الجنازية مع السجود لأول أهل الغرب؛ وعلى ذلك فإنكم سترون النعيم أمام إلهكم؛ لأني كنت أكثر تبجيلًا من جلالة سيدي من أي شريف لديه، ولقد كنت إنسانًا مميزًا بسبب ما قد فعله، فقد كنت صانعًا ممتازًا مثبتًا بيته.

عنايته بالعرابة: ولقد نقلت أمور «العرابة» إلى القصر لأجل أن يسمعها جلالته؛ وقد أمر جلالته أن أقوم بالعمل في العرابة لأجل أن تجهز العرابة، ولقد عملت بقوة لتحسين العرابة، ونظمت كل أشياء العرابة (سواء) أكنت نائمًا أم يقظانًا قاصدًا صالح العرابة بذلك. ورجوت الإحسان من سيدي كل يوم لأجل أن تجهز «العرابة».

المعبد والمعدات: وبنيت معبد أول أهل الغرب بعمل ممتاز أبدي، كما أمرني به جلالته. ولقد رأى الفلاح في أحوال مقاطعة «العرابة» بما فعلته، فقد أحطتها بجدران من اللبنات وأحطت الجبانة بالجرانيت، وكان المحراب الفاخر من السام والزينات والتعاويذ المقدسة، وكل من موائد القربان الإلهية من الذهب والفضة وكل حجر ثمين، وأقمت وبج (المكان المقدس الذي دفن فيه أوزير)، ونصبت موائد قربانه وحفرت بحيرته وزرعت أشجاره.

دخل المعبد: وموَّنت معبد «أول أهل الغرب» مكثِرًا ما كان يدخل فيه له، وجعلته باقيًا بوصفه دخلًا يوميًّا. وقد استوطن في مستودعه عبيد وإماء، ومنحته ألف ستاد من الأراضي والحقول من مقاطعة «العرابة» مجهزة بأناس وكل الماشية الصغيرة، ووضع اسمها: «مؤسسة أوزير» لأجل أن تورد منها القربات الإلهية حتى الأبدية. وجددت له القربات الإلهية بغزارة أكثر مما كانت عليه سابقًا هناك، وعملت له خمائل مغروسة بكل أشجار النخيل والكروم، وفيها الأهلون من البلاد الأجنبية قد جلبوا بوصفهم أسرى أحياء منتجين ثلاثين «هنا» من النبيذ كل يوم على مائدة «أول أهل الغرب»، وستجلب القربات من هناك في كل الأبدية.

ولقد أصلحت دار الوثائق المقدسة عندما خربت، ودونت قربان أوزير ونظمت كل عقوده.

تمثيلية أوزير: وقد صنعت من الأرز القارب المقدس، الذي وجدته مصنوعًا من السنط. ورددت رئيس المخربين (في التمثيل الدراماتيكي لحوادث أسطورة أوزير) عن العرابة، وحميت «العرابة» لربها وكافأت كل أهلها.

مصادرة أموال الحاكم: وقد أعطيت المعابد الأشياء التي جاءت من صحراء العرابة،[١٩] وهي التي وجدتها في حيازة الحاكم لأجل أن يدفن منها أهل العرابة. ومنحت المعبد قارب العبور الخاص بالعرابة وهو الذي أخذته من الحاكم؛ وذلك لأن أوزير رغب في أن تجهز مدينته. وقد أثنى على جلالته بسبب ما قد فعلته.

صلاة للملك: ليته (أوزير) يمنح الحياة لابنه «أحمس سانيت» ليته يمنح الحظوة أمام جلالته والشرف أمام الإله العظيم. يا أيها الكاهن أثن على الإله من أجلي، ويا كل إنسان خارج، صلوا أنتم في المعبد، اذكروا اسمي: مدير البيت العظيم «بفنفدينيت» الذي وضعته نعنسباست …

(٢) وعثر لهذا الطبيب على مائدة قربان موضوعة في جامع السلطان «بيبرس»، وكان أول من نقل نقوشها، وهي في مكانها الأثري «فيدمان» (راجع Recueil de Paris; Sharpe, Egyptian Inscriptions I Pl III; A. Z. 31, P. 86–88).

وهاك ما جاء عليها:

«أوزير» المدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» المرحوم الذي وضعته «نعنسباست» المرحومة. أقدم لك ماءك البارد الخارج من ثديي أمك «نوت»، فتحيا منه وتقوى به وتصح بوساطته. وإنك تكون في صحة عندما تكون بجوارها، وإنك تذهب لمقابلة والدك «جب» الذي يمد زراعيه لك. والموت هو عدوك وعضلاتك قوية، وإنك

ضممت قلبك إلى مكانك في القبر، وإنك تتسلم عين حور (أي: القربان)، وإنك تحصل على السائل الذي فيها، وإن الذي يحييني سيكون مرتاحًا ومحبوبًا.

(٣) والأثر الثالث لهذا العظيم هو قطعة من تمثال محفوظة بالمُتْحَف البريطاني (راجع A. Z. 31 P. 88). وهذه القطعة الباقية هي الجذع، وقد جاء عليها النقش التالي:

ملك الوجه القبلي والوجه البحري «حعع اب-رع» محبوب أرواح عين شمس المقرب، والمشرف على بيتي المال والطبيب الأول ورئيس الإدارة والمدير العظيم للبيت «بفنفدينيت». والذي جعله الفرعون ينتقل من وظيفة لوظيفة، والذي يملأ قلب حور (الملك) بمشاريعه، والرابض الجأش الذي يضع قلبه في كل أمر يحدث، والذي يفعل ما يحبه سيده، والذي ينجز ما تحبه الآلهة ... في معابدهم، والذي يوصل متاعهم إلى داخل القصر، وكبير الأطباء للوجهين القبلي والبحري، والمشرف على الخزانة، والمدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» بن كاهن «آمون طيبة» الوجه البحري وكاهن «حور» صاحب «ب» (المسمى) ساسبك، الذي وضعته كاهنة «نيت» سيدة «سايس» نعنسباست مدير البيت العظيم «بفنفدينيت»: يقول: إني كنت محبوبًا من سيدي، ومتجرًا في الأدب وسامعًا لشكوى كل إنسان. ولقد أسست أوقافًا لـ ... أنتم يا ... الأشياء الطيبة لهذا المعبد، قولوا: ليت الملك يكون رحيمًا ويقدم قربانًا: ألفًا من الخبز والجعة ومن كل شيء جميل لروح المدير العظيم للبيت «بفنفدينيت». وإن الله هنا ليكافئ أعمال أي إنسان ولا ينام ولا يفرق.

المدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» يقول: يا كل كاهن مطهر يدخل محراب «أتوم» رب عين شمس احم هذا التمثال وأعطه كل الأشياء الطيبة، بعد أن يستكفى الإله منها، وعليه أن يقول: ليت الملك يكون رحيمًا ويقدم ألفًا من الخبز والجعة وكل شيء جميل

لروح المدير العظيم للبيت؛ لأنه قد وصل إلى الشيخوخة في بلدته وكان مبجلًا في مقاطعته. وإني كنت شريفًا وقد فعلت ما هو شريف وجعلت فوائد هذا البلد تصل إلى داخل القصر.

(أ) تعليق

لا نزاع في أن المتون التي خلفها لنا «بفنفدينيت» على الآثار الثلاثة التي عثر عليها له تكشف لنا عن عدة أمور هامة في هذه الفترة المزدهرة من تاريخ هذا الفرعون. وأعجب ما في ذلك أنه قد جمع بين التخصص في العلوم البحتة، كما برز في أمور الإدارة وبخاصة الإدارة المالية، والظاهر أن ذلك لم يكن بالأمر المستغرب في هذا العصر، فسنرى أنه في عصره وجد من جمع بين العلوم البحتة وغيرها من أمور الدولة. فقد كان «بفنفدينيت» يحمل لقب كبير الأطباء للوجهين القبلي والبحري، كما كان يحمل لقب مدير الخزانة العامة للبلاد قاطبة، فقد لقب مدير خزانتي الفضة وخزانتي الذهب؛ هذا فضلًا عن أنه كان يحمل لقب المدير العظيم للبيت، ويقصد بذلك أنه كان المشرف على الأملاك الخاصة ببيت الفرعون؛ وهذه الوظيفة الأخيرة كان لها خطرها منذ الأسرة الثامنة عشرة (وقد تحدثنا عنها بإسهاب في الجزء الخامس من مصر القديمة).

وعلى أية حال فإن هذا العظيم قد وضع أمامنا صورة واضحة عن سبب انتشار عبادة أوزير في الواحات بصورة بارزة، كما أبرز لنا مقدار ما كانت عليه البلاد في تلك الفترة من الرخاء والثروة بما عمله لمعبد الإله أوزير في العرابة المدفونة. وهذا يذكرنا بعصور مصر القديمة وفراعنتها العظام، واهتمامهم بقبر أوزير ومعبده في تلك البلد المقدسة، وبخاصة في عهد سيتي الأول وسنوسرت الثالث (راجع مصر القديمة الجزء السادس والجزء الثالث).

(٩-٢) الكاهن بسمتيك

وجد لهذا الكاهن بعض لوحات صغيرة محفوظة الآن بمتحف «ليدن»، (Leyden V, 18 & 19)، وقد كتبت بالمداد غير أن كتابتها أخذت في التلاشي (راجع Piehl, Inscriptions III, XXVIII, G & H)، وقد نقلها وترجمها وعلق عليها الأستاذ برستد (راجع Br. A. R. IV, 1026). والواقع أن قيمة هذه اللوحات تنحصر فيما تقدمه لنا من معلومات تختص بتأريخ هذا العصر. ومن تواريخ هذه اللوحات أصبح في الاستطاعة تحديد مدة حكم الأسرة السادسة والعشرين، وكذلك طول مدة حكم الملك «إبريز» التي لم تكن مؤكدة.

والحسبة كما يأتي: كان عمر «بسمتيك» هذا عند وفاته خمسًا وستين سنة وعشرة أشهر ويومين، في السنة السابعة والعشرين من حكم الملك «أحمس الثاني» في اليوم الثامن والعشرين من الشهر الثامن، وعلى ذلك يكون قد ولد قبل تولية «أحمس» بمدة تسع وثلاثين سنة وشهرين وأربعة أيام.

والآن فإن يوم ولادته هو اليوم الأول من الشهر من السنة الأولى من حكم الملك «نيكاو». ومن ثم يكون يوم تولي «نيكاو» عرش الملك يقدر بأربعين سنة قبل تولي أحمس. وعلى ذلك يكون طول مدة حكم الأسرة هو مجموع الأعداد التالية:

بسمتيك الأول	٥٤ سنة
«نيكاو» و«بسمتيك الثاني» و«إبريز»	٤٠ سنة
أحمس الثاني	٤٤ سنة
المجموع	١٣٨ سنة

ولما كان سقوط هذه الأسرة قد حدث في عام ٥٢٥ق.م، فإن تاريخ توليها عرش الملك قد وقع في (٥٢٥ + ١٣٨) ٦٦٣ق.م.

ويمكن تحديد مدة حكم «إبريز» من نفس التواريخ التي جاءت على هذه اللوحات، فمجموع كل العهود الأخرى هي كما يأتي:

بسمتيك الأول	٥٤ سنة
نيكاو وبسمتيك الثاني	٢١ سنة
إبريز (حذف)	
أحمس الثاني	٤٤ سنة
المجموع	١١٩ سنة

وإذا طرح هذا المجموع من ١٣٨ سنة وهو طول حكم الأسرة كلها، فإنه يبقى لنا تسع عشرة سنة، وهو مدة حكم «إبريز». هذا ونعلم من لوحة عثر عليها في الفنتين للملك «أحمس الثاني» أن «إبريز» عاش أكثر من سنتين (فقد عاش بعض الوقت في السنة الثالثة) بعد تولي «أحمس» عرش الملك، غير أن هاتين السنتين تقعان في عهد «أحمس»، ولم تحسبا في مدة التسع عشرة سنة من حكم «إبريز» المنفرد.

وهاك المتن الذي جاء على هذه اللوحات:

> السنة الأولى الشهر الثالث من الفصل الثالث اليوم الأول في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري وحم اب رع بن «رع» «نيكاو».

في هذا اليوم ولد الكاهن والد الإله بسمتيك الذي أنجبه «اعح وبن» والذي وضعته «عنختس»، وقد كانت حياته الطيبة خمسًا وستين سنة وعشرة أشهر ويومين. السنة السابعة والعشرون الشهر الرابع من الفصل الثاني اليوم الثامن والعشرون كان يوم رحيله من الحياة، وقد أدخل في البيت الجميل (هذا هو مكان المحنطين حيث أمضى اثنين وأربعين يومًا في عملية التحنيط. وكما هو ظاهر من مضمون المتن كان الإله «أنوبيس» هو المحنط)، وقد أمضى ٤٢ يومًا تحت يد «أنوبيس» رب الأرض المقدسة، ثم اقتِيدَ في سلام إلى الغرب الجميل في الشهر الأول من الفصل الثالث (الشهر التاسع اليوم (…)) وحياته في الجبانة إلى الأبد سرمديًّا.

---

[١] انظر شكل رقم ١٤.

[٢] ولكن نجد أن «مسبرو» يقول: إن «أمسيس» قد تزوج من أميرة من نسل الأسرة الساوية، وبذلك أصبح له الحق في تولي الملك. والواقع أن زوج أحمس، وهي أم الملك بسمتيك الثالث هي ابنة كاهن الإله بتاح، ولا تعرف له صلة أكيدة بالبيت المالك (راجع Maspero, the Passing of Empires P. 558 Note 2).

[٣] راجع Excavations at Giza vol. 4 P. 3 ff.

[٤] إلهة لاتينية موحدة بالإلهة هيرا اليونانية، وهي ملكة السماء والظواهر السماوية والزواج وهي زوجة الإله جبتر.

[٥] «منرفا» إلهة لاتينية موحدة بالإلهة أثينا الإغريقية، أو بالاس وهي ابنة جبتر وتعد إلهة الذكاء والحكمة والفنون.

الملك «بسمتيك الثالث» [١]



حكم هذا الفرعون ستة أشهر على حسب رأي «مانيتون».

أما على الآثار فقد ذكر على بردية اسم هذا الفرعون في صك، سنتحدث عنه فيما بعد مؤرخ بالسنة الثانية شهر طوبة (راجع Griffith, Catalogue of the Demotic Papyri in the J. Rylands Library, Vol. III, P. 24).

وهذه البردية هي الأثر الوحيد الذي أرخ بعهد الملك «بسمتيك الثالث»؛ ولأجل أن نوفق بين هذا التاريخ؛ أي السنة الثانية مع ما جاء في «مانيتون» وهو الذي بمقتضاه نعلم أن «بسمتيك الثالث» لم يحكم إلا ستة أشهر، فقد فرض الأثري «سبيجليرج» أن «أحمس الثاني» قد مات في نهاية السنة المدنية؛ أي على حسب التقويم الرسمي، وأن ابنه قد حسب الشهر الأخير، أو حتى الأيام الأخيرة من الشهر الأخير من هذه السنة بمقدار سنة (راجع Spiegelberg. Die demotische Papyrus der Strassbourg Bibliothek, P. 15-16; Ed. Meyer, Gesch. des Altertuma I, P. 40 § 35.).

أما عن السنين التي حكمها هذا الفرعون على وجه التأكيد، فقد اختلفت فيها الآراء فقد ذكر كل من «فيدمان» و«أونجار» و«بتري» أنه حكم ما بين ٥٢٦ و٥٢٥ق.م، في حين أن كل من الأثريين «كرام»، وسبيجلبرج يفضل أنه حكم ما بين السنتين ٥٢٨ و٥٢٧ق.م.

أما تاريخ السنة الرابعة من حكم ملك يدعى بسمتيك، وهو تاريخ وجد على عقد كتب بالديموطيقية على طبق من الفخار ومحفوظ الآن بمتحف اللوفر (E 706)، وقد نسبه الأثري «رفييو» إلى بسمتيك الثالث، فيجب أن ينسب إلى بسمتيك الثاني (راجع L. R. IV, P. 94, No. VI)، وعلى العكس من ذلك نجد أن ورقة «ستراسبرج» يجب أن تنسب إلى عهد بسمتيك الثالث؛ وذلك لأن أحد الأشخاص المتعاقدين في هذه الوثيقة كان لا يزال على قيد الحياة في السنة الخامسة والثلاثين من عهد الملك «دارا» الأول.

حالة البلاد عند تولي بسمتيك الثالث عشر الملك

مقدمة

ذكرنا فيما سبق أن «أحمس الثاني» عاجلته المنية في شهر نوفمبر أو ديسمبر من عام ٥٢٦ق.م، ودفن في الحي المقدس للإلهة «نيت» بمدينة «سايس». وحوالي هذا الوقت بعينه انقض العاهل العظيم «قمبيز» ملك الفرس بجيش عرمرم على مصر، وقد كان يؤازر مشروع هذا الغزو البري أسطول فينيقي قوي، جهز بسفن في جزيرة «قبرص» التي كانت قد انضمت إلى جانب عاهل الفرس. وتدل شواهد الأحوال على أنه لم تحدث أية مقاومة، اللهم إلا ما جاء على لسان بوليبيوس (راجع Polybious, XVI, 40) إذ يقول: كانت مدينة غزة هي المدينة الوحيدة التي وقفت في وجه الفرس دفاعًا عن مصر. وكذلك نجد أن «هردوت» (Herod. III, 5) قد ذكر مدينة «غزة» بمناسبة حملة «قمبيز» دون أن يذكر أي شيء، وهذا يتنافى مع ما جاء في «بوليبيوس» وعلاقته بعصر «قمبيز»؛ على أن ما جاء في «بوليبيوس» من ذكر كلمة «الفرس» فقط، يمكن أن يفهمها الإنسان عند الضرورة في عهد الملك «ارتكز كزيس» الثالث المعروف بالملك أخوس؟ كما سنرى بعد.

وقد ساعد «قمبيز» على شق طريقه الوعرة في صحراء شبه جزيرة «سينا» العرب القاطنون هناك (راجع Herod. III, 7, 9)، وقد أمكن الفرس بوساطة أحد معاصري أحمس من قواد جيشه من الجنود المرتزقين، وكان قد فر إلى معسكر الأعداء، وهو «فانس» من أهل «هليركارناس»، أن يتعرفوا على كل المواصلات الحربية الخاصة بعدوهم، وبخاصة معرفة الحصون والمسالك التي في شرقي الدلتا. وقد حاول «بسمتيك الثالث» أن يحمي معاقل شرقي الدلتا، ثم وقعت واقعة فاصلة بين الجيشين الفارسي والمصري انتصر فيها الفرس، وذلك حوالي مايو سنة ٥٢٥ق.م عند بلدة «بلوزيوم». وقد حطم فيها جيش الفرعون، ومن ثم كان في مقدور الجيش الفارسي أن يشق طريقه إلى «منف»، فسقطت أمام هجومه وأخذ «بسمتيك» أسيرًا حوالي يونيه سنة ٥٢٥ق.م، وقد تلاشت بعد ذلك كل مقاومة. وعلى أثر ذلك خضع «اللوبيون» و«السيريون» وأهل «برقا»، وسلموا من تلقاء أنفسهم للفرس، وبذلك قضى قضاءً مبرمًا على دولة بسمتيك. ومن ثم أصبحت دنيا الشرق كلها يسيطر عليها سيد واحد هو ملك الفرس العظيم «قمبيز».

هذا موجز تاريخ الفتح، ولكن قص لنا هردوت وغير القصص الخيالية عن فتح الفرس لمصر، وما جرى فيها من أحداث تدل على أنها من أقاصيص الشعب، غير أنها مع ذلك تحتوي على نواة من الحقائق التاريخية. وسنورد بعضها هنا؛ لأنها لا تخلو من فائدة تاريخية وبخاصة ما أظهره المصريون من نبل وشجاعة (راجع Herod. III, 1–15) هذا إلى ما انتحلوه من أسباب تبرر تولي «قمبيز» ملكًا عليهم. ومن جهة أخرى، ما رواه الفرس من جانبهم عن سبب فتح مليكهم للديار المصرية. فمما لا جدال فيه أن «قمبيز» بعد أن تخلص من أعدائه في الداخل، وبخاصة من أخيه الذي كان يناهضه في عرش الملك، وكذلك بعد أن تم له إخضاع السيثيين، وجه قوته للاستيلاء على مصر التي كان والده ينوي فتحها والتسلط عليها.

وقد كان موقف «أحمس» غاية في الحرج بعد أن تخلى عنه حلفاؤه، وكان لا بد من القتال، وقد كان كل سكان الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط يتوقعون هذه الحرب. وكان رائد «قمبيز» في هذه الحروب هو تنفيذ سياسة موضوعة من قبل؛ غير أن الخيال الشعبي قد تصور أسبابًا أخرى لقيام الحرب بين هاتين الدولتين اللتين كانتا تعدان أقدم وأعظم دولتين في العالم في تلك الفترة؛ وقد اخترعت الأسباب الابتداعية؛ لتكون سببًا لهذه المأساة العظيمة التي مثلت، وقد كانت التفاصيل التي انتحلت لذلك تختلف اختلافًا كثيرًا على حسب الروايات التي كانت منتشرة في آسيا وفي أفريقيا. وقد قص علينا «هردوت» هذه الروايات، فقد روى أن «أمسيس» كان قد أرسل طبيب عيون على غير رغبة منه للملك «كورش» الفارسي ليعالجه من مرض في عينيه، وكان هذا الطبيب هو السبب في كل ما حل بالبلاد المصرية من شر. وفي ذلك يقول «هردوت» (Herod. III, 1): «أعلن «قمبيز» بن «كورش» على «أمسيس» هذا حربًا، وأخذ معه جنوده هو والإغريق والمؤذيين الليبيين. وكان سبب الحرب ما يأتي: أرسل «قمبيز» رسولًا إلى مصر وطلب بنت أمسيس (لتكون زوجه)، وكان قد قام بهذا الطلب على حسب اقتراح طبيب العيون المصري الذي عمل ذلك كراهية في «أمسيس»؛ وذلك لأنه كان قد انتخبه من بين كل الأطباء في مصر، وانتزعه بذلك من أحضان زوجه وأولاده، وأرسله هدية للفرس، وذلك عندما أرسل «كورش» إلى «أمسيس» طالبًا منه أحسن طبيب للعيون في مصر، وعلى ذلك فإن المصري لضغينته حرض «قمبيز» على أن يطلب ابنة «أمسيس» حتى إذا وافق، أحزنه ذلك، وإذا رفض جلب على نفسه كراهية «قمبيز». ولكن لما كان «أمسيس» يخشى قوة الفرس، فقد استولى عليه الذعر ولم يعرف أيذعن أو يرفض؛ لأنه كان على علم تام بأن «قمبيز» قصد أن يأخذها حظية لا زوجة. وبعد أن تدبر في هذه الأشياء عمل كما يأتي: كان «لإبريز» الملك السابق ابنة طويلة القامة جميلة، وهي الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة من الأسرة، وكان اسمها «نيتيتيس» Nitetic، وقد زين «أمسيس» هذه العذراء بملابس من ذهب وأرسلها إلى

فارس بوصفها ابنته؛ وبعد مدة عندما كان «قمبيز» يحييها مخاطبًا إياها باسم والدها أجابته العذراء: يا أيها الملك إنك لم تفطن أنك قد خدعت من «أمسيس» الذي قد ألبسني ملابس فاخرة، وأرسلني إليك وقدمني لك بوصفي ابنته في حين أن الحقيقة هي أني ابنة الملك «إبريز»، الذي قتله على الرغم من أنه كان سيده، وذلك بعد أن حرض المصريين على الثورة عليه. وقد حرضت هذه الكلمات وهذا الاتهام «قمبيز» ابن «كورش» الذي غضب غضبًا شديدًا، على غزو مصر. وهذه هي القصة التي قدمها الفرس.»

وقد رُوي سبب هذه الحرب بصورة أخرى في البلاد المصرية فقد قيل: إن «كورش» نفسه هو الذي تزوج من «نيتيتيس» وإنها وضعت له «قمبيز»؛ وعلى ذلك كان فتح مصر مجرد انتقام للوارثين الشرعيين لبسمتيك الغاصب، وقد تولى قمبيز الملك على ذلك بوصفه فرعونًا من نسل «إبريز» أكثر منه فاتحًا. وفي ذلك يقول هردوت: (Herod. III, 1–3) غير أن المصريين يدعون أن قمبيز هو ملكهم، وأنه كان قد وضعته ابنة «إبريز»، وذلك أنه «كورش» وليس «قمبيز» الذي أرسل لأمسيس من أجل ابنته، غير أنهم يخطئون بقولهم هذا ولن تفوت ملاحظتهم؛ (لأنه لو كان هناك أي قوم على معرفة تامة بالعادات الفارسية فإنهم المصريون) أنه لم يكن من عاداتهم قبل كل شيء أن يحكم ابن غير شرعي، عندما يكون هناك ابن شرعي على قيد الحياة؛ وثانيًا لأن «قمبيز» كان ابن «كاساندان» Cassandane بنة «فارناسيس» Pharnaspes أحد الأخمينيين وليس من امرأة مصرية، غير أنهم غيروا الحقيقة مدعين أنه منتسب إلى أسرة «كورش»، وهذه هي حقيقة الأمر. وهذه قصة أخرى قد قصت وهي في نظري لا تصدق. فقد زارت سيدة فارسية امرأة «كورش»، وعندما رأت أولاد «كاساندان» بجمالهم وطول قامتهم واقفين بجانبها أثنت عليهم كثيرًا؛ وذلك لأنها أخذت بهم لدرجة فوق العادة؛ ولكن «كاساندان» زوج «كورش» قالت: على الرغم من أني أم لمثل هؤلاء الأطفال فإن «كورش» يحتقرني، ويحترم التي حصل عليها من مصر ... وقد قالت ذلك حسدًا على نيتيتيس،

ولكن أحد أنجالها وهو «قمبيز» قال: «على ذلك يا والدتي عندما أبلغ سن الرجولة سأقلب كل مصر رأسًا على عقب». وقد قال ذلك وهو في حوالي العاشرة من عمره، وقد دهشت النساء من ذلك، ولكنه كان يحمل ذلك في ذهنه حتى إنه عندما نما واستولى على المملكة غزا مصر على حسب ذلك.

والواقع أن المقصود من قصة زواج الأميرة المصرية بالملك «كورش»، هو أن الطفل الذي نتج عن هذا الزواج «هو قمبيز» الذي فتح مصر فيما بعد وأصبح فرعونًا عليها، وقد أرضى ذلك كبرياء المصريين الذين كانوا دائمًا يفخرون بشجاعتهم القديمة، التي لم يكن في مقدورهم الآن أن يقلدوها أو يبرهنوا على أنهم جديرون بأجدادهم الشجعان، ومع ذلك فإنهم في هذا الموقف لم يعترفوا بأنه يمكن هزيمتهم، أو يمكن أن يسيطر عليهم إلا واحد منهم، وعلى ذلك فإن قصة الأميرة «نيتيتيس» قد قدمت لهم مادة دسمة لإشباع غرورهم. فإذا كان «قمبيز» قد أنجبته حقًّا أميرة من الدم الملكي المصري، فإن ذلك يعني أن الفرس لم تفرض عليهم أحدًا ليكون ملكًا على مصر، بل على العكس قد نصبت فرعونًا من دم مصري على بلاد الفرس، وعلى نصف العالم بوساطة الفرس أنفسهم؛ لأنهم كانوا وقتئذ أصحاب ملك شاسع.

ولدينا عقبة أخرى كانت تفصل بين العدوين المتحاربين، وأعني بذلك الصحراء ومستنقعات الدلتا، وقد تحدث عنها هردوت (Herod. III,)، والواقع أن المسافة بين مشارف «بلوز» وحصن انبيوس (خان يونس الحالي) الواقع على الحدود السورية لا تكاد تبعد أكثر من خمسين ميلًا، وكان يمكن قطعها بوساطة الجيش في أقل من عشرة أيام. وقد كان عرض هذه القطعة من الصحراء فيما مضى أقل من ذلك، غير أن «الآشوريين» ومن بعدهم «الكلدانيين» قد تباريا سويًّا في جعلها بلادًا جرداء قحلاء؛ وقد كان انعدام وجود السكان فيها الآن سببًا في جعل الانتقال بوساطتها غاية في الصعوبة.

وقد كان معسكر «قمبيز» عند مدينة «غزة»؛ أي عند النهاية القصوى لممتلكاته من جهة مصر، غير أنه كان في حيرة في كيفية مجابهة هذا الأقليم القاحل دون أن يحسب حساب فقدان نصف جيشه تحت رمال الصحراء، وقد كان عازمًا على تأخير الحملة، غير أن الحظ المفاجئ قد خلصه من هذه الصعوبة الخطيرة، فاستمع لما جاء في «هردوت» عن ذلك (راجع Herod. III, 4, 5).

والحادث التالي الآخر قد وقع لتمهيد هذه الغزوة، فقد كان من بين جنود «أمسيس» رجل مسقط رأسه «هليكارناس» يدعى «فانس»، وكان يحمل بعض الضغن لأمسيس، وقد هرب في سفينة من مصر بقصد التواطؤ مع «قمبيز»، ولما كان رجلًا صاحب مكانة بين الجنود وعلى معرفة دقيقة بأحوال مصر، فإن «أمسيس» أرسل لمطاردته باذلًا كل جهد للقبض عليه؛ وقد أرسل أشد الناس إخلاصًا من خصيانه للحاق به بسفينة، فقبض عليه في «ليسيا» (بالقرب من «مسينا»)، ولكنه لما قبض عليه لم يحضره ثانية إلى مصر؛ لأن «فانس» تغلب عليه بحيلة، فقد أسكر حراسه وفر إلى جانب الفرس، وعندما وصل إلى «قمبيز» وجد أنه كان ممتنعًا من السير نحو مصر إذ كان في شك من الطريق التي يجب أن يسلكها، وكيف يمكنه أن يجتاز الصحراء القاحلة؛ فأخبره عن أمور خاصة بأمسيس، وفسر له الطريق ناصحًا إياه هكذا: أن يرسل إلى ملك العرب يسأله أن يمنحه سلامة المرور في أقطاره، وبذا تصبح الطريق مفتوحة إلى مصر؛ وذلك لأنه من فنيقيا إلى حدود بلده كاديتيس Cadytis (غزة) وهي التي كانت تابعة لأولئك الذين يسمون سوريي فلسطين، ومن أول «كاديتيس»، وهي مدينة ليست أقل في نظري من «سادريس» Sardes،[٢] كانت المواني البحرية حتى مدينة «خان يونس» تابعة لملك العرب، وكذلك من «خان يونس» حتى «سربونيس» Serbonis، وهي التي يمتد بجوارها جبل «كاسيوس» حتى البحر كانت تابعة للسوريين، ومن بحيرة «سربونيس»، وهي التي قيل: أن «تيفون» إله الشر قد اختبأ فيها تبدأ مصر.

والآن فإن الإقليم الذي بين مدينة «خان يونس» وجبل «كاسيوس» وبحيرة «سربونيس» ليس بالإقليم الصغير، وقد كان خاليًا من المياه كلية على مسيرة ثلاثة أيام. وقد وصف لنا «هردوت» بعد ذلك وصول الماء إلى هذه القفار بما أرشده إليه «فانس»، واستخدام عرب الصحراء الذين كانوا يرعون العهود في ذلك، كما وصف لنا مهارتهم في الحصول عليه (راجع Herod. III, 6–9)، فاستمع لما يقول:

وقد لاحظ قليل من الناس الذين يقومون بسياحات إلى مصر واقعة حال سآخذ الآن في ذكرها. كانت أواني الفخار المملوءة بالنبيذ تجلب من بلاد الإغريق، وكذلك من «فنيقيا» إلى مصر مرتين كل عام، ومع ذلك كما يقال لم تُرَ واحدة من أواني النبيذ هذه فيما بعد، وقد يتساءل الإنسان كيف كان يتصرف فيها؟ وإني سأقص ذلك أيضًا. فقد كان كل حاكم مجبرًا أن يجمع كل هذه الأواني من مدينته، ويرسلها إلى «منف»، غير أن أهل هذه المدينة كانوا بعد ملئها بالماء يحملونها إلى الأماكن القاحلة في «سوريا»؛ وهكذا كانت الأواني الفخارية التي كانت تورد إلى مصر تضاف إلى تلك التي كانت فعلًا في «سوريا». وعلى ذلك فإن الفرس عندما أصبحوا المسيطرين على مصر سهلوا المرور إلى البلاد بمدها بالماء بالطريقة التي ذكرت فيما سبق؛ ولكن لما كان الماء ليس حاضرًا فإن «قمبيز» أرسل بنصيحة الهليكارناسي الأجنبي سفراء إلى العرب وسألهم سلامة المرور، وقد حصل على ذلك، وقد أعطاهم مواثيق الأمان كما حصل منهم عليها.

ينتقل بعد ذلك «هردوت» إلى وصف مراعاة العرب للعهود والمواثيق التي كانوا يأخذونها على أنفسهم، وهي غاية في الطرافة والغرابة فيقول (Herod. III, 8): كان العرب يرعون المواثيق بتدين كأي قوم، وكانوا يوثقونها بالصورة الآتية: فعندما يريد أي فريق أن يعقد ميثاق شرف مع الآخر كان يقف شخص ثالث بين الفريقين، ويحدث خدشًا بحجر حاد في راحة اليد بالقرب من أطول الأصابع. لكل من المتعاقدين، ثم يأخذ بعض الخيوط من لباس كل منهما، ويدهن سبعة

أحجار تكون موضوعة بينهما بالدم، وكان وهو يعمل ذلك يدعو كلًّا من «بكوس» (إله الخمر) و«أورانيا» Urania وبعد انتهاء الاحتفال يربط الشخص الذي يأخذ على نفسه الميثاق أصدقاءه ضمانًا للأجنبي أو المواطن، إذا كان الميثاق مع مواطن وكان الأصدقاء كذلك يعتبرون أنفسهم مرتبطين بميثاقهم. ولا يعترفون بأي آلهة آخرين غير «بكوس» و«أورانيا»[٣] ويقولون: إن شعرهم كان يقص على طريقة قص شعر «بكوس»، ولكنهم كانوا يقصونه بصورة مستديرة جانبية عند الصدغين وكانوا يسمون «بكوس» أوروتال، ويسمون أورانيا «اللات».

وعلى ذلك عندما تبادل العربي المواثيق مع السفراء الذين أتوا من قبل «قمبيز» اتبع الحيلة التالية (في توصيل الماء للفرس)، فبعد أن ملأ جلود الجمال بالماء حمله على جماله الحية كلها، ثم ساقها إلى الإقليم القاحل وهناك انتظر جيش «قمبيز»، وهذه أصدق الروايات التي رويت، غير أنه من الصواب أن نذكر رواية أخرى، وإن كانت أقل صدقًا إلا أنها قد أكدت أيضًا: كان يوجد نهر كبير في بلاد العرب يدعى «كوريس» Corys يصب في ذلك الذي يسمى البحر الأحمر. وقد قيل: إن ملك العرب وقتئذ قد خاط أنبوبة من جلود الثيران وجلود أخرى، بحيث كان طولها يصل ما بين هذا النهر وبين الإقليم القاحل، ثم حمل الماء بواسطتها، وفي وسط الإقليم القاحل حفر صهريجًا عظيمًا وحفظ الماء فيه، وبذلك حمل الماء بوساطة ثلاثة أنابيب إلى ثلاثة أماكن مختلفة.

وهكذا تمكن قمبيز من اجتياز الصحراء بوساطة الماء الذي كان يجلب إلى جيشه عبر الصحراء، حتى وصل إلى أبواب مصر، ولو قطعت هذه الأنابيب لانقطعت الأسباب أمامه، ولأخفق في فتح مصر والاستيلاء عليها.

وما أشبه اليوم بالبارحة فقد وقف قطع أنابيب البترول التي تمر عبر البلاد السورية والأردنية حجر عثرة في وجه الغزاة المجرمين، الذين أرادوا احتلال بلاد الشرق الأوسط، والسيطرة عليه

بعد أن تحرر من ظلمهم. وفي تلك اللحظة التي كان يسير فيها جيش «قمبيز» عبر الصحراء للإغارة على مصر، كانت الأمور قد تغيرت، فقد علم «قمبيز» عند وصوله إلى بلوز أن عدوه الجبار «أمسيس» قد مات بعد مرض لم يمهله طويلًا، وخلفه على عرش الملك ابنه «بسمتيك الثالث»، وهذا التغير في قيادة الجيش في تلك اللحظة التي تعد أقصى ما يكون من الحرج والخطورة في مستقبل البلاد كان في حد ذاته كارثة عظمى، إذ إن «أمسيس» بتجاربه الفائقة في أحوال الرجال والأمور الدقيقة، ومعرفته التامة بموارد ثروة مصر وإمكانياتها ومواهبه العسكرية في حسن القيادة، ونفوذ شخصيته على من حوله، وضربه بسهم صائب في العلوم الهيلانية، كل هذه الصفات قد جعلت رجاله يذعنون له بالطاعة، كما جعلت الأجانب يبجلونه ويقدرونه حق قدره، والآن ما عساه أن يقال عن خلفه «بسمتيك» الذي ورث عرشه؟

لقد كان في الواقع لقصر مدة حكمه يعد نكرة في نظر المؤرخين، لدرجة أن بعضهم قد تجاهل وجوده وزعم أن فتح الفرس لمصر قد وقع في عهد «أمسيس»، وبخاصة كتاب الإغريق (راجع Aristotle, Rhetoric II, 8; John of Antioch, Fragm. 27; in Muller-Didot, Fragm. Hist. Graec. Vol. IV, P. 552; Wiedemann, Geschichte, P. P. 660, 661).

ويجوز أن سبب ذلك كان قصر مدة حكمه. ويجوز أن «بسمتيك» كان الرجل الذي يمكنه أن يقابل هذا العاهل الجبار بما لديه من موارد محدودة، غير أنه لم تكن لديه الخبرة الكافية للتصرف في استعمالها بما يضمن له النصر. هذا فضلًا عن الجو السياسي في العالم الذي كان ينذر بسوء المنقلب لمصر، كما كانت الحال في القرن المنصرم عندما كانت مصر مهددة بأمم نهر دجلة والفرات، بل كانت الآن في خطر ينذر بشن الخراب عليها من كل آسيا من أول نهر السند حتى الدردنيل، وبعبارة أخرى كل بلاد الإمبراطورية الفارسية. وقد زاد الطين بلة أن مصر في تلك الفترة لم يكن لديها أي حليف من البشر، بل لم ترحمها الآلهة فكأنما قد تخلوا عنها

في وسط تلك المحنة، وقد بدت علامات ذلك فيما أظهره الفلاح المصري من التشاؤم بما ظهر من سقوط المطر في إقليم مصري، قل أن تنهمر فيه السحاب الثقال، وذلك أن المطر قل أن يسقط في إقليم «طيبة» دون أن تحدث فيه عواصف إلا مرتين أو ثلاث مرات في كل قرن من الزمان، غير أنه بعد تولي «بسمتيك الثالث» عرش الملك نزل مطر خفيف في «طيبة»، وقد حملت أنباء ذلك إلى أنحاء البلاد بالمبالغة التي يحملها رواة السوء، وتدل شواهد الأحوال على أن سقوط المطر في منطقة «طيبة» كان يعد نذير سوء حتى أيامنا، فمن ذلك ما روي أن أهل الصعيد في بداية القرن التاسع عشر عندما كانوا يتحدثون عن حملة «نابليون» كانوا يقولون: نحن نعلم أن مصيبة تهددنا وذلك بسبب أن السماء أمطرت في «الأقصر» قبل الحملة بقليل. والواقع أن الأمطار قليلة جدًّا في هذه الجهة، وعلى أية حال تشاءم القوم، وظنوا أن كارثة لا بد أن تحل بمصر على يد الفرس الغزاة.

هذا وقد أسرع «بسمتيك» لمقابلة عدوه بما لديه من جنود وعربات ورماة من الأهلين، وذلك بالإضافة غلى ما كان معه من جنود من اللوبيين والسيريين والنونيين والكاريين، وإغريق الجزائر واليابسة.

ولندع الآن «هردوت» يحدثنا عن ذلك، فاستمع لما يقول: عسكر «بسمتيك» بن «أمسيس» عندما يسمى مصب النيل البلوزي منتظرًا «قمبيز»؛ وذلك لأن «قمبيز» لم يجد «أمسيس» حيًّا عندما زحف على مصر، بل مات بعد أن حكم أربعًا وأربعين سنة لم تحدث في خلالها أية مصيبة عظمى، ولكنه بعد أن مات وحنط دفن في الضريح الذي في المنطقة المقدسة التي بناها هو …

وفي خلال مدة حكم «بسمتيك» بن «أمسيس» حدثت أكبر أعجوبة للمصريين، وذلك أن المطر سقط في «طيبة» المصرية مما لم يحدث من قبل ولا في زمني، كما يؤكد ذلك الطيبيون أنفسهم؛

وذلك لأنه لم يسقط قط مطر في أقاليم مصر العليا، ولكن كان يسقط المطر أحيانًا قطرات في طيبة. وبعد أن قطع الفرس الإقليم القاحل عسكروا بالقرب من المصريين، كأنما كانوا مصممين على الاشتباك معهم. وهناك انتقم جنود المصريين الذين كانوا يتألفون من إغريق وكاريين من «فانس»؛ لأنه قد قاد جيشًا أجنبيًّا على مصر، وقد اتخذوا الطريقة الآتية ضده: فقد ترك «فانس» أولاده خلفه في مصر، فأحضروهم إلى المعسكر على مرأى من والدهم، ووضعوا وعاء في وسط الطريق التي بين الجيشين ثم جروا الأطفال واحدًا فواحدًا، وذبحوهم فوق الوعاء وعندما ذبحوا كل الأطفال صبوا نبيذًا وماءً في الوعاء، وبعد أن شرب كل الجنود من الدم انضموا في الحال إلى المعركة وقد دار قتال شديد، وعندما سقطت أعداد كبيرة من كلا الجانبين اضطر المصريون إلى الفرار.

وعلى أية حال لم يكن قد ضاع كل أمل في إنقاذ البلاد، إذ كان «بسمتيك» قد حمى بجنوده المنافذ المؤدية إلى قنوات النيل وفروعه المختلفة، محاربًا الفرس في كل شبر من الأرض كما فعل من قبله تهراقا (راجع مصر القديمة الجزء العاشر)، وبذلك كان يكسب الوقت ليجمع فيه جيشًا جديدًا لمحاربة العدو، غير أن «بسمتيك» قد فقد صوابه، وأسرع ليحتمي في داخل جدران «منف» دون أن يحاول جمع شتات جيشه المهزوم. وقد مكث «قمبيز» بضعة أيام لإخضاع «بلوز». ويقال: إن «قمبيز» قد أراد أن يشل حركة المقاومة في تلك البلدة المحاصرة بحيلة ذكرها «بوليانوس» (راجع Polyaenus Stratigma VIII, 9)؛ وذلك أنه أمر بأن توضع قطط وكلاب وحيوانات أخرى مقدسة على رأس القوة المهاجمة، وعلى ذلك لن يجسر المصريون على أن يستعملوا أسلحتهم خوفًا من جرح أو قتل بعض آلهتهم.

هذا وفي الوقت نفسه الذي كانت تحاصر فيه «بلوز» أرسل «قمبيز» سفينة ميليتي يطلب من «منف» السليم، غير أن الشعب الثائر عندما سمع بهذه الرسالة قتلوا الرسول والبحارة، وجروا جثثهم الدامية في شوارع المدينة، وقد مكثت «منف» تقاوم مدة طويلة، إلى أن اضطرت في

النهاية لفتح أبوابها، هذا بالإضافة إلى أن أهل الصعيد الذين كانوا لا يزالون يقاومون سلموا، ومن ثم أصبحت كل مصر حتى «أسوان» شطربية فارسية. أما اللوبيون فلم ينتظروا أن يطلب إليهم التسليم، بل أتوا خاضعين مقدمين الجزية، وقد حذا حذوهم بلاد «سيريني» و«برقا»، غير أن هداياهم كانت ضئيلة لدرجة أنها أثارت حنق «قمبيز»، واعتبر أنه قد أهين بذلك، فأرخى لغضبه العنان، حتى إنه بدلًا من قبولها ألقى بها إلى جنوده بيده …

وقد وصف لنا «هردوت» استمرار القتال بعد فرار الجيش إلى «منف»، فاستمع لما يقول (Herod. III, 13): «وعندما هزم المصريون هربوا في غير نظام كلية من ساحة القتال، وعندما حصنوا أنفسهم في «منف» أرسل إليهم سفينة ميليتينية صاعدة في النيل على ظهرها رسول فارسي لدعوة المصريين للتسليم، غير أنهم عندما رأوا السفينة تدخل «منف» هجموا في كتلة واحدة من الجدار، وحطموا السفينة وبعد أن مزقوا الملاحين إربًا إربًا حملوا إلى القلعة. وبعد ذلك حوصر المصريون وأخيرًا سلموا. ولما خاف اللوبيون المجاورون لهم مما أصاب مصر سلموا أنفسهم دون مقاومة، وخضعوا لدفع جزية وهدايا، وكذلك السيرينيون والبرقيون فقد استولى عليهم الذعر مع اللوبيين ففعلوا مثل ما فعلوا. وقد تسلم «قمبيز» عن طيب خاطر الهدايا التي أتت من اللوبيين، ولكنه تألم من التي قدمها «السيرينيون» كما أظن؛ لأنها كانت قليلة؛ وذلك لأن «السيرينيين» أرسلوا خمسمائة «مبنا» من الفضة وقد قبضها بيده ووزعها بنفسه على الجنود.»

وقد وقع الفرعون «بسمتيك الثالث» أسيرًا في يد الفرس. وقد كان لانهيار مصر المفاجئ وتدهورها السريع — بعد أن كانت تحتل مكانة علية بين ممالك العالم قرونًا عدة قاومت خلالها كل مهاجم يريد الاستيلاء عليها — رنة أسى وحزن في نفوس المصريين، وبخاصة نهاية ملكها الفتى الذي لم يكد يعتلي عرش الملك حتى انتزع منه، لدرجة أنه قد حيكت حول سقوطه ومعاملة «قمبيز» له الأقاصيص التي لا بد قد نقلها «هردوت» عن أفواه العامة، الذين كانوا لا يزالون

يذكرون أيام بؤس مصر وشقائها. فاستمع لما قاله والد التاريخ في ذلك (راجع Herod. III, 14): «في اليوم العاشر بعد استيلاء «قمبيز» على قلعة «منف» أجلس بسمتيك ملك المصريين الذي كان قد حكم ستة أشهر فقط عند مدخل المدينة احتقارًا له، وكان قد أجلسه مع مصريين آخرين، وقد عمل امتحانًا لشجاعته بالطريقة الآتية: فقد ألبس ابنته ملابس أَمَة وأرسلها ومعها جرة لتحضر ماء، وأرسل معها عذارى أخريات انتخبت من بنات رؤساء الأسر، وألبسهن بنفس الطريقة التي ألبست بها ابنة الملك، وعندما أتت العذارى يولولن في حضرة آبائهم أجاب الآباء عليهن بالبكاء، عندما رأوا بناتهم ذليلات بهذه الكيفية، ولكن «بسمتيك» وحده من بينهم عندما رأى وعرف ما كان جاريًا، فإنه نظر بعينيه إلى الأرض وحسب. وعندما مرت حاملات المياه هؤلاء، أرسل الملك ثانية ابنه ومعه ألفان من المصريين من نفس سِنِّه وحول رقابهم أرسان ولجم في أفواههم، وقد اقتيدوا ليوقع عليهم الانتقام من أجل أولئك الميلتيين الذين ماتوا في «منف» مع السفينة، وقد قضى القضاة المليكون بالحكم على عشرة رجال من رؤساء المصريين بالإعدام، ومع ذلك فإنه عندما رآهم مارين به، وعلم أن ابنه كان يقاد إلى الموت لم يفعل غير ما فعله عندما مرت به ابنته، على الرغم من أن سائر المصريين الذين جلسوا حوله بكوا وأعولوا. ولكن بعد أن مر به هؤلاء، اتفق أن واحدًا من رفاقه الطيبين، وكان متقدمًا في السن بعض الشيء قد فقد كل ما يملك، ولم يكن لديه إلا ما يملكه شحاذ، وكان يسأل إحسانًا من الجنود، وقد مر «ببسمتيك» بن «أمسيس» والمصريون جالسون في الضواحي، ولكن «بسمتيك» عندما رآه يبكي بمرارة مناديًا أصدقاءه بالاسم، لطم «بسمتيك» من أجل ذلك. وعلى أية حال كان هناك جواسيس أوصلوا إلى «قمبيز» كل شيء قد حدث منه في كل موكب؛ غير أن «قمبيز» قد دهش من هذا الملك، وأرسل رسولًا مستعلمًا منه عما يأتي: يا «بسميتوس» إن سيدك «قمبيز» يسأل لماذا عندما رأيت ابنتك قد ذلت وابنك أرسل إلى الإعدام لم تنح أو تتوجع، وكنت جد مهموم من أجل شحاذ ليس له بك صلة نسب كما أخبر بذلك؟ وبعد ذلك سأل هذا

السؤال، ولكن بسمتوس جاوب كالآتي: يا ابن «كورش» إن مصائب أسرتي أكبر من أن يعبر عنها بالعويل، ولكن أحزان صديقي كانت جديرة بدموعي، فهو الذي قد هوى من الثراء والسعادة وأصبح يتكفف وهو على شفا الهرم. وعندما عاد الرسول بهذا الجواب ظهر لقمبيز أنه قد أحسن القول، وقد بكى كما يقول المصريون «كروسوس»؛ لأنه كان قد وافق «قمبيز» إلى مصر، وقد بكى كذلك الفرس الذين كانوا حاضرين، وكذلك قد تأثر «قمبيز» نفسه وأخذته الشفقة، وأعطى الأوامر في الحال بنجاة ابنه من بين أولئك الذين سيعدمون، وأن ينقلوه ويحضروه من الضواحي إلى حضرته. غير أن الذين كانوا قد أرسلوا من أجل ابنه وجدوا أنه لم يعد بعد على قيد الحياة. وقد اقتيد «بسميتوس» نفسه إلى «قمبيز»، وقد عاش فيما بعد معه دون أن يلاقي أي عنف، ولو لم يكن قد اتهم بأنه يتآمر كان من المحتمل أن تعاد إليه مصر، ويوكل إليه أمر حكومتها؛ وذلك لأن الفرس كانوا قد اعتادوا احترام أولاد الملوك، وحتى لو شقوا عليهم عصا الطاعة، فإنهم مع ذلك كانوا يقلدون أولادهم مهام الحكم … ولكن كان «بسميتوس» يدبر السوء؛ ولذلك نال جزاءه، فقد كشف أنه يحرض المصريين على الثورة، وعندما كشفه «قمبيز» أجبره أن يشرب دم ثور، ومات على الأثر وهكذا كانت نهايته.»

هذه هي رواية «هردوت» عن الملك «بسمتيك الثالث» ونهايته، غير أن لدينا رواية أخرى رواها مؤرخ يوناني آخر كان طبيبًا لملك الفرس «ارتكزر كزيس»، يدعى «كتزياس» Ctesias؛ وقد كتب كتابًا عن الفرس. وعلى حسب ما ذكره هذا المؤرخ نجد أن «بسمتيك» قد ترك دون أن يلحق به أي سوء؛ وأرسله «قمبيز» مع ستة آلاف من الناس إلى سوسا (راجع Fragm. 29 § 9 in Muller Didot, ctesiae Cnidii Fragmenta, P. 47.).

ولا نزاع في أن هناك فرقًا عظيمًا بين رواية «هردوت» ورواية «كتزياس» طبيب ملك الفرس. والظاهر أن «هردوت» سمع قصته من المصريين، وهي مشرفة لهم وتنم عن روح مصرية عالية ووطنية صادقة، أما الرواية الثانية فتدل على روح فارسية كتبها هذا المؤرخ

ليدافع عن ملوك الفرس، ويظهر أنهم كانوا أهل تسامح وكرم، ولكنها في الواقع قصة لا أساس لها من الصحة.[٤]

وهكذا كانت نهاية الدولة الفرعونية التي مكثت آلاف السنين تحمل شعلة المعرفة والثقافة، تضيء بها على شعوب العالم من أول عهد «مينا» حتى عهد «بسمتيك الثالث»، الذي أسلم روحه على ما أعتقد في سبيل تحرير مصر، وتخليصها من يد الغاصب الفارسي.

الآثار التي خلفها بسمتيك الثالث

لم يترك لنا هذا الفرعون آثارًا كثيرة، وذلك لقصر مدة حكمه مصر، ومع ذلك فقد ترك لنا بعض آثار تدل على نشاطه العظيم أهمها:

(١) الكرنك: وجد له منظر في معبد الكرنك يشاهد فيه، وهو يقدم قربانًا للإله آمون (راجع L. D. III, 275 f. Mariette. Karnak, 56 b.). وقد جاء عليه: ملك الوجه القبلي والوجه البحري «كا عنخ ني رع» بن «رع» بسمتيك معطى الحياة أبديًّا.

(٢) وقد مثل في منظر آخر في الكرنك كذلك وهو يتعبد للإله «حور» (راجع: L. D. III, 275. g).

(٣) متحف «اللوفر»: يوجد في متحف اللوفر رأس لهذا الفرعون تدل صناعتها على أنها من طراز جميل، وكانت قد أهدتها سيدة إلى متحف اللوفر ونشرها الأثري بنديت (راجع G. Benedite, Une tête de Statue Royale in the Gazette des Beaux-Arts Vol. XVIII, P. P. 35–42; The Passing of Empires (English Ed.) P. 659).

(٤) صناجة وقطعة عليهما اسم هذا الملك موجودتان في مجموعة «بركش» و«مير» (راجع Wiedemann, Gesch, P. 661).

(٥) وثيقة: توجد وثيقة بالديموطيقية مؤرخة بالسنة الثانية من عهد الملك «بسمتيك الثالث» (راجع Spiegelberg, Demot. Pap. Strass. P. 15, facsimile Ibid. Pl. 1).

وهاك النص:

> السنة الثانية شهر طوبة. مستند بواحدة وعشرين إوزة (؟) وريشة إوزة (؟) من «بدمنستو» بن «بوحور» حارس الإوز (؟) لمعبد آمون، وهي مستحقة للوقف الإلهي الخاص بآمون، والمكلف بها ثلاثة حراس أوز معبد آمون. خمسة إمضاءات.

وقد نسب الأستاذ «سبيلجبرج» هذه الوثيقة الطيبية للملك «بسمتيك الثالث»؛ بسبب أن «بدمنستو» يظهر ثانية في صك مشابه لذلك مؤرخ بالسنة الخامسة والثلاثين من عهد «دارا» في نفس المجموعة من الأوراق البردية، وقد أظهر أن تاريخ طوبة من السنة الثانية ممكن وقوعه في المدة القصيرة التي حكمها، كما أوضحنا ذلك فيما سبق.

(٦) ويوجد في معبد «أوزير بامريس» بالكرنك منظر مثل فيه الملك «بسمتيك الثالث» على الواجهة، مقابل صورة ابنة الملك بسمتيك الثاني زوج الإلهة «عنخنس نفر اب رع» الذائعة الصيت. والظاهر أن هذه الزوجة الإلهية التي كانت تلقب كذلك بالكاهن الأكبر قد جاوزت حياتها عهد ملوك الأسرة السادسة والعشرين (راجع A. S. VI (1905) P. 131).

(٧) وأخيرًا وجد اسم هذا الفرعون على تمثال صغير للمشرف على الأسطول المسمى وزحور رسنت، وسنتحدث عنه مليًّا في عهد الملك قمبيز والفتح الفارسي (راجع L. R. P. 132).

المديرون العظام للمتعبدة الإلهية في أواخر عهد الأسرة السادسة والعشرين

تحدثنا في الجزء العاشر[1] عن المتعبدات الإلهيات وعن المديرين العظام الذين كانوا يقومون بتدبير شئون ملكهن في طيبة، وقد فصلنا القول عن بعض هؤلاء المديرين، وبخاصة في العهد الكوشي واختصرنا الحديث عن بعضهم، وبخاصة أولئك الذين جاءوا في عصر الأسرة الساوية في عهد كل من المتعبدة الإلهية «نيتوكريس»، ومن بعدها الزوجة الإلهية «عنخنس نفر اب رع»، التي على ما يظهر ظلت على قيد الحياة بعد سقوط الأسرة السادسة والعشرين (راجع الجزء العاشر).

وسنحاول هنا أن نأتي بكل ما نعرفه عن ثلاثة المديرين العظام، الذين تولوا هذا المنصب في أواخر العهد الساوي، وبخاصة ترتيب هؤلاء المديرين من الوجهة التأريخية، إذ قد ظل ترتيبهم غامضًا بعض الشيء حتى الآن.

(١) المدير العظيم شيشنق بن «بدينيت»

(١-١) الآثار التي وجدت له

(١) في معبد أوزير المسمى «بامريس» بالكرنك. جاء ذكر هذا المدير على عتب باب في منظر ظهر فيه في الجهة اليمنى «شيشنق» هذا واقفًا خلف المتعبدة الإلهية «عنخنس نفر اب رع»، وقد ذكر معه المتن التالي: المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية المسمى «شيشنق» بن المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية المسمى «بدينيت». هذا ويلحظ أن الملك الذي جاء ذكره في هذا المنظر هو الفرعون بسمتيك الثالث (راجع Legrain A. S. T. VI, P. 131).

(٢) وجاء ذكر هذا المدير العظيم للبيت على المقصورة الثانية للمتعبدة الإلهية «عنخنس نفر اب رع» في الكرنك، وتؤرخ بعهد الملك أحمس الثاني، وقد جاء ذكر الملك بسمتيك الثالث على

البوابة العظيمة التي تؤدي إلى الدهليز.

وقد نقش على الممر الداخلي للبوابة الكبيرة من الجهة الجنوبية رسم المدير العظيم للبيت يتبع المتعبدة الإلهية والمتن التالي (راجع Birch Revue Archeologique (1848) IV Année, P. 626 No. 626; L. D. III, 274 C; Mariette Karnak Pl. 56, a).

(أ) المدير العظيم ... «بدينيت».

(ب) ونقش على عتب باب المقصورة في الصورة التي على اليمين صورة «عنخنس نفر اب رع» يصحبها المدير العظيم للبيت ومعه المتن التالي: «الأمير الوراثي والحاكم المدير العظيم للبيت الخاص بالمتعبدة الإلهية، «شيشنق» بن المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية «بدينيت».»

(٣) وعثر له على قطعة حجر محفوظة بالمُتْحَف المصري، ولا بد أنها أتت من الكرنك (راجع Lieblein, Dic. Nom. P. 879, No. 2334)، وجاء عليها: الأمير الوراثي والحاكم ومدير البيت العظيم لزوجة الإله «شيشنق» بن المدير العظيم لزوج الإله والمتعبدة الإلهية «بدينيت».

(١-٢) آثار المدير العظيم للبيت المسمى «بدينيت»

يوجد قبر هذا المدير العظيم للبيت في «طيبة»؛ والمدهش في أمر هذا القبر أن الأثريين الأحداث قد أرخوه بعهد ثلاثة ملوك مختلفين، فقد أرخه كل من «جاردنر» و«ويجل» بعهد الملك «بسمتيك الثاني» (راجع Gardiner-Weigall, Topographical Catalogue of Private Tombs, P. 34).

وهذا خطأ بين؛ وذلك لأنه في قبر نفس هذا المدير قد لقب هو بأنه المدير العظيم للمتعبدة الإلهية «عنخنس نفر اب رع»، وذلك في حين أن «عنخنس نفر اب رع» لم تكن قد نصبت متعبدة

إلهية إلا في السنة الرابعة من عهد الملك «إبريز».

ومن جهة أخرى نجد أن الأثرية «لختهين» قد اتبعت هذا الرأي على حسب نظرية لها، اعتبرت فيها أن المدير العظيم للبيت الذي مثل على لوحة تتويج «عنخنس نفر اب رع» في السنة الرابعة من عهد «إبريز» هو «شيشنق» بن «بدنيت».

وأخيرًا نجد أن الأستاذ «جرفت» (J. E. A. III, P. 196) قد أرخه بعهد أحمس الثاني وقد نسي وجود لوحة التبني، معتقدًا أنه لم توجد آثار لهذه المتعبدة الإلهية قبل عهد الملك أحمس الثاني. وعلى أية حال يظهر أن نظريته هي الأوفق.

وأهم آثار هذا المدير ما يأتي:

(١) وجد في قبره المتن الرئيسي التالي (راجع Champollion, Notices Desc. I, P. 552, B & C): «أوزير الأمير الوراثي والحاكم والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية «عنخنس نفر اب رع» (ليتها تحيا أبديًّا!) «بدنيت» بن بسمتيك والسيدة تادي بستت.» ومما تجدر ملاحظته هنا أن هذا القبر لا تمكن زيارته الآن؛ لأنه مردوم.

(٢) وقد عثر له على مخروط جنازي (راجع Daressy, Recueil de Concs Funéraires, Miss. Arch. Française I, 8, No. 159 P. 287). نقش عليه ما يأتي: الأمير الوراثي والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية، «بدينيت» بن «محبوب الإله بسمتيك» والسيدة تادي بستت.

(٣) مخروط جنازي جاء عليه: الأمير الوراثي والأمير والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية بدينيت ابن محبوب الإله بسمتيك (راجع Pelligrini, 1 coni funebri del Muses Archeologico di Firenze No. 48 P. 11).

(٢) مدير البيت العظيم «شيشنق» بن «حورسا أزيس»

وجد لهذا المدير عدة آثار نذكر منها ما يأتي:

(١) قرص من البرنز من مجموعة السيدة «مو» (راجع Budge, Egyptian Antiquities in the possession of Lady Meux at Theobald's Park, P. 115-116 No. 198.).

وقد جاء عليه المتن التالي:

(١) الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الملك، والسمير الوحيد المحبوب كثيرًا، والمعروف لدى الملك حقًّا والذي يحبه، المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية، «شيشنق» بن رئيس التشريفاتية للمتعبدة الإلهية، «حورسا أزيس»، وأمه هي السيدة «تا-نت-هبي».

(٢) المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية (المسمى) «شيشنق»، وابنته التي يحبها هي مغنية قصر آمون (المسماة) «نيتوكريس»، ولا بد أن نلحظ هنا أن شيشنق قد أسمى ابنته باسم المتعبدة الإلهية «نيتوكريس».

(٢) مخروط جنازي (Pelligrini. Ibid. P. 22 No. 123) وقد جاء عليه:

الأمير الوراثي والحاكم والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية، شيشنق، وأمه هي السيدة «تانت هبي».

(٣) مخروط جنازي (Dassay, Ibid. No. 188) جاء عليه:

الأمير الوراثي والحاكم والمدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية شيشنق، وابنه الذي يحبه هو تشريفاتي (المتعبدة الإلهية) (المسمى) «حورسا أزيس». ولا نزاع في أن هذا

المخروط هو ملك شيشنق بن حورسا أزيس، فقد جرت العادة في الدولة الحديثة أحيانًا أن يعطي المدير العظيم للبيت اسم والده هو لابنه (راجع B. I. F. A. O. t. LIII, P. 42, Leclant, Enquête sur les sacerdoces et sanctuaires égyptiens à l'époque dite ethiopienne (XXV Dy) P. 25 y).

(٤) مخروط جنازي (Daressy Ibid. No. 186) جاء عليه:

المشرف على التشريفاتية للمتعبدة الإلهية، ورئيس أسرار الأفق (= قصر المتعبدة الإلهية؟) وكاتب مقصورة الزوجة الإلهية المعروف لدى الملك «حورسا أزيس» ابن السيدة ...

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الأثر، ربما كان خاصًّا بوالد «شيشنق»، وقد حال دون التأكد من ذلك كسر المتن.

والآن بعد هذا العرض يجب أن نبحث عن مكان «شيشنق» بن «حورسا أزيس» بين المديرين العظام للبيت في عهد الأسرة السادسة والعشرين.

والواقع أن الأثرية لحتهيم (J. N. E. S. VII, P. 165 No. 18) تذهب إلى أن شيشنق هذا نصب مديرًا عظيمًا لبيت المتعبدة الإلهية «نيتوكريس» بوصفه سلفًا للمدير العظيم للبيت المسمى «أبا»، ولكنها لم تجزم بذلك؛ والآن لدينا ثلاثة آثار تسمح لنا أن نحدد العصر الذي كان يشغل فيه «شيشنق» بن «حورسا أزيس» وظيفة المدير العظيم للبيت (راجع A. Sè LIV, P. 88-89)، والواضح من هذه الآثار أن «شيشنق» بن «حورسا أزيس»، يجب أن يعتبر آخر مدير عظيم لبيت المتعبدة الإلهية «نيتوكريس»، وأول مدير عظيم لبيت المتعبدة الإلهية «عنخنس نفر اب رع». ومكانه هو بين المدير العظيم «بدي حور رسنت» والمدير العظيم للبيت «بدي نيت».

هذا ومما تطيب ملاحظته هنا أن موت متعبدة إلهية كان لا يحتم في الحال تغييرًا في الموظفين الذين كانوا في خدمتها عند تولية خلف لها، وبخاصة عندما نعلم أن «عنخنس نفر اب رع» عند توليها عرش «طيبة» لم تكن إلا فتاة حديثة السن لا تجارب لها تقريبًا. وتدل شواهد الأحوال على أنها قد تركت الحال مع ما كانت عليه قبل توليها الملك، وبخاصة الموظفين العظام الذين كانوا في خدمة نيتوكريس، وبصفة خاصة المدير العظيم للبيت. ولا بد أن الملك الحاكم كان له يد في مثل هذه الحالة، وبخاصة عندما نعلم أن ملوك الأسرة السادسة والعشرين كانوا قابضين على زمام الأمور في كل من الوجهين القبلي والبحري.

ومن ثم نفهم أن «شيشنق» بن «حورسا أزيس» كان قد بقي ثابتًا في وظيفته بوصفه مديرًا عظيمًا للبيت عند موت «نيتوكريس». غير أن لدينا ملاحظة هامة لا بد من الإشارة إليها وهي: كان كل من شيشنق بن «حورسا أزيس» وشيشنق بن «بدينيت» يشغل وظيفة المدير العظيم للبيت في عهد «عنخنس نفر اب رع». ولا بد من التفرقة بينهما في النقوش التي وصلت إلينا. والواقع أن «شيشنق» بن «بدينيت» الذي جاء بعد سميه «شيشنق» بن «حورسا أزيس» كان دائمًا يميز على الآثار بأن يتبع اسمه باسم والده، ومن جهة أخرى كان «شيشنق» بن «حورسا أزيس» لا يتبع هذه الطريقة. هذا ولا بد أن نعزو إلى «شيشنق» بن «حورسا أزيس» كل الآثار التي جاء فيها لقب المدير العظيم للبيت مصحوبًا باسمه وحسب، دون ذكر والده أو والدته (راجع عن هذه المتون A. S. LIV, P. 90–92).

(٣) الخلاصة

(٣-١) ترتيب تولي المديرين العظام في عهد الأسرة السادسة والعشرين

لقد اتضح لنا الآن على وجه التقريب الترتيب التاريخي للمديرين العظام، الذين شغلوا هذا المنصب في عهد «نيتوكريس»، وإذا أخذنا بعين الاعتبار العنصرين الأساسيين، وهما الكشف

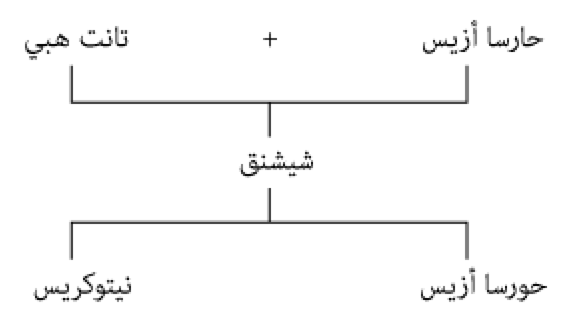
عن تمثال الإلهة تواريس ومن محرابها، وهما اللذان نذرهما «بابسا» للإله في مقصورة أقامتها شبنوبت الثانية،[٢] وكذلك إقامة «نيتوكريس» مقصورة للإله «أوزير» يحتمل أن يكون ذلك في مستهل حكمها، عندما كان «بابسا» وقتئذ المدير العظيم لبيتها، فإنه يجب أن نضع «بابسا» من حيث الترتيب التاريخي قبل «أبا».

وقد كان «أبا» هذا المدير العظيم للبيت في السنة السادسة والعشرين من عهد الملك «بسمتيك الأول»، وقد شغل هذه الوظيفة بدينيت في عهد الملك «نيكاو».

وقد حكم «نيكاو» خمس عشرة سنة وحكم ابنه «بسمتيك الثاني» ست سنوات تقريبًا. ونحن نعلم أن نيتوكريس لم تمت إلا في السنة الرابعة من عهد الملك «إبريز». وعلى ذلك فإن من المحتمل أنه في نهاية حكم بسمتيك الثاني، أو في بداية حكم «إبريز» قد حل شيشنق بن «حورسا أزيس» محل «بدي حور رسنت».

وقد خدم «شيشنق» بن «حورسا أزيس» المتعبدتين الإلهتين «نيتوكريس» و«عنخنس نفر اب رع» في خلال حكم «إبريز»، والجزء الأول من عهد «أحمس الثاني»، هذا إذا كان صحيحًا ما يعتقده الأثري كرستوف من أن شيشنق بن حورسا أزيس هو الذي مثل في المقصورة الأولى الخاصة بالمتعبدة الإلهية «عنخنس نفر-اب-رع» (A. S. LIV, P. 92 No. 5,)، وهذه المدة تعادل تقريبًا نحو ربع قرن من الزمان.

ويمكن من المعلومات التي توفرت لدينا من الآثار التي جمعت من هذا العهد أن نضع شجرة النسب التالية:



هذا وكان المدير العظيم للبيت شيشنق بن «حورسا أزيس» يحمل الألقاب التالية:

(١) الأمير الوراثي والحاكم.

(٢) حامل خاتم الملك.

(٣) السمير الوحيد المحبوب كثيرًا.

(٤) المعروف حقًّا من الملك الذي يحبه.

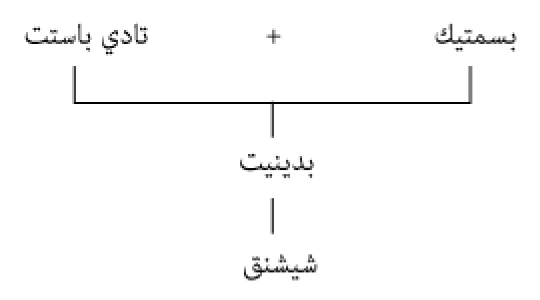
(٥) الذي يتبع سبيل سيدته.

(٦) المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية.

المدير العظيم للبيت «بدينيت»

وعلى ذلك نفهم أن «بدينيت» كان يقوم بأعباء وظيفته هذه فقط في حوالي منتصف حكم الملك «أحمس الثاني». والآثار التي تركها لنا هذا العظيم كلها ذات صيغة جنازية، وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يمكث طويلًا في وظيفته، والظاهر أن كل همه في أثناء ذلك كان ينحصر في إعداد ابنه «شيشنق»، ويمهد له الطريق ليخلفه في هذه الوظيفة العظيمة.

وهاك شجرة نسبه:



هذا، ولم يحمل «بدينيت» ألقابًا منوعة مثل ألقاب «شيشنق» بن «حورسا أزيس» وهاك ألقابه:

(١) الأمير الوراثي والحاكم.

(٢) المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية «عنخنس نفر-اب-رع».

المدير العظيم للبيت «شيشنق» بن «بدينيت»

شغل شيشنق هذا وظيفته في خلال الجزء الأخير من عهد الملك «أحمس الثاني»، وخلال عهد حكم «بسمتيك الثالث» الذي حكم أقل من سنتين، وعلى ذلك لم يكن قد مكث مدة طويلة في وظيفته هذه كما يظن بعض الأثريين.

والآن يتساءل المرء ماذا كان مصير المتعبدة الإلهية «عنخنس نفر اب رع»، وأعضاء بيتها بعد احتلال البلاد على يد «قمبيز» الفارسي، والاستيلاء على طيبة مقر حكمها؟ ومما لا نزاع فيه أن هذه المتعبدة الإلهية التي كان عمرها نحو تسع وستين سنة، بعد أن تبنتها «نيتوكريس» قد تقدمت في السن. فهل يا ترى تركها الفرس تقضي بقية عمرها في سلام؟ ونحن لا نعلم شيئًا عن ذلك بوجه التأكيد، ولكن قد يجوز أنها قد أكرمت؛ وذلك لأننا وجدنا لها تابوتًا فخمًا عثر عليه في عهد البطالمة، وكان قد اغتصبه أحد رجال هذا العهد يحمل لقب الكاتب الملكي كما سبق الحديث عن ذلك.

ونتساءل كذلك عن مصير «شيشنق» بن «بدينيت»؟ ولكننا نجهل كل شيء عنه. ولما كنا نظن أن القبر رقم ٢٧ بجبانة «طيبة»، هو قبر «شيشنق» بن «حورسا أزيس» سميه، فإنا لا نعلم أين دفن آخر مدير عظيم للبيت في عهد الأسرة السادسة والعشرين، ونعني بذلك «شيشنق بن بدينيت».

وألقاب شيشنق هذا عادية جدًّا وهي:

(١) الأمير الوراثي والحاكم.

(٢) المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية (والزوجة الإلهية).

والآن بعد هذا البحث الطويل نجد لزامًا علينا أن نبحث من أي وسط نشأ المديرون العظام لبيت المتعبدة الإلهية في عهد الأسرة السادسة والعشرين، وبوجه خاص بالنسبة للقب «محبوب الإله» الذي كان يحمله الكثير منهم، وهو لقب كاهن على ما يظن أو لقب يحمل في البلاط. كما سنرى هنا.

وإذا فحصنا الألقاب التي كان يحملها والد كل عظيم للبيت من أولئك المديرين، الذين عاشوا في عهد الأسرة السادسة والعشرين نخرج بالنتيجة الآتية:

كان والد «بابسا» يحمل لقب «محبوب الإله»، وكان والد «أبا» يحمل نفس اللقب أما بدي «حور رسنت»، فكان والده يحمل لقب الكاتب الأول وتشريفاتي المتعبدة الإلهية؛ على حين أن والد «شيشنق» بن «حورسا أزيس» كان يلقب رئيس تشريفاتية المتعبدة الإلهية. وكان والد المدير «بدينيت» يحمل لقب محبوب الإله؛ وأخيرًا كان والد «شيشنق» بن «بدينيت» يلقب المدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية.

ومما سبق نجد من بين ستة من المديرين العظام للبيت أن اثنين منهما وهما «بدي حور رسنت» و«شيشنق» بن «حورسا أزيس» كان والد كل منهما موظفًا كبيرًا في قصر المتعبدة الإلهية. أما الأربعة الآخرون وهم «بابسا» و«أبا» و«بدينيت» وشيشنق بن بدينيت، فكان والد كل واحد منهم يحمل لقب «محبوب الإله». وقد فسر هذا اللقب بأنه كان على وجه التقريب يتبع لقب «الكاهن والد الإله» في اللقب المركب «والد الإله ومحبوبه»؛ غير أن الفحص الدقيق أظهر أن لقب «محبوب الإله» قد أصبح مستقلًّا عن اللقب: الكاهن والد الإله. وأن اللقب محبوب الإله كان لقبًا ذا مكانة عالية في البلاط الملكي، وبخاصة عندما نعلم أن المديرين العظام للبيت «بابسا» و«أبا» وبدينيت قد حمل والد كل منهم لقب محبوب الإله، وهو لقب غاية في السمو. وتظهر أهمية هذا اللقب عندما نلحظ أنه في خلال قرن من الزمان لم يتحلَّ به إلا ثلاثة من المديرين العظام للبيت من خمسة كانوا مديرين للمتعبدة الإلهية، وقد يكون هناك مجال في ذلك لمجرد الصدفة، ولكنها تكون صدفة عجيبة.

ومع ذلك فإننا لم نصادف أفرادًا من كهنة طيبة يحملون هذا اللقب من الذين كانوا يشتركون في الأحفال، التي كانت تظهر فيها المتعبدة الإلهية، إذ نجد أن المتون لا تذكر إلا الكهنة المطهرين والكهنة المرتلين، وكهنة الساعة الخاصين بمعبد آمون بجوار المدير العظيم للبيت، وكاتب المخطوطات المقدسة والأصدقاء العظام، كما يلاحظ ذلك في لوحة «عنخنس نفر-اب-رع».

والواقع أن هذه الحقائق تسمح لنا على ما يظهر بأن نفرض أن آباء «بابسا» و«أبا» وبدينيت كانوا غرباء تمامًا عن طيبة، وأنهم كانوا يسكنون «سايس»؛ وأنهم بوصفهم ضمن حاشية الملوك المباشرة كانوا من رجال البلاط، ومن المقربين وبعبارة مختصرة كانوا ينعتون بلقب المحبوبين من الإله؛ أي من الملك. وبذلك يخرج لقب محبوب الإله عن دائرته الدينية تمامًا.

والواقع أن «بابسا» و«أبا» كانا أولًا مديريْنِ عظيمين للمتعبدة الإلهية «نيتوكريس». وقد كان «بسمتيك الأول» الذي نعرف عنه قوة شخصيته العظيمة يعمل بكل ما أوتي من قوة على مراقبة إدارة الوجه القبلي، وكان يبذل جهده للأخذ بزمام الأمور من ناحية كهنة آمون، الذين كانت ثروتهم لا تزال كبيرة (راجع Kees Zu Innepolitik der Saiten Dyn. P. 95–106)، كما كانوا يميلون كل الميل إلى ملوك كوش المشجعين لعبادة آمون والحامين لها؛ ولذلك فإنه عندما خلفت ابنته «نيتوكريس» المتعبدة الإلهية «شبنوبت الثانية»، قد نصب بالقرب منها رجالًا كانوا موضع ثقته. فقد عين «بسمتيك» الأول اثنين من أبناء رجال حاشيته المقربين على التوالي في وظيفة المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية، وهما «بابسا» و«أبا».

وقد مات كل من «بسمتيك الأول» و«أبا» على ما ظهر في وقت واحد تقريبًا. وقد كان في مقدور نيتوكريس أن تعمل بحرية في أواخر أيام والدها، وهو في شيخوخته، وكذلك في عهد أخيها «نيكاو» وابن أخيها «بسمتيك الثاني»، وكذلك في عهد «إبريز» ومن ثم فإنها قد اختارت مديري بيتها وهما «بدي حور رسنت» و«شيشنق» بن «حورسا أزيس» من بين عظماء بيتها.

وعندما مات «شيشنق» بن «حورسا أزيس» أرسل الملك الحاكم وقتئذ، وهو «أحمس الثاني» بدينيت؛ ليكون مديرًا عظيمًا لبيت «عنخنس نفر-اب-رع».

على أن انتخاب بدينيت لشغل هذا المنصب لم يكن قد جاء عفو الخاطر، إذ الواقع أن المدير العظيم للبيت هذا ينسب إلى أسرة كان أفرادها خدامًا مخلصين محبين للأسرة المالكة؛ فقد كان والده أحد الذين يحملون لقب «محبوب الإله»؛ أي الفرعون كما كان يحمل اسم «بسمتيك» مؤسس الأسرة السادسة والعشرين. ومن جهة أخرى كان «لبدينيت» ابن يعرفه الملك أحمس ويقدره فعلًا، ومن ثم كان في استطاعة «شيشنق» بن «بدينيت» أن يقدم إلى بلاط «طيبة»،

وينشأ على يدي والده هناك. ولما كانت «عنخنس نفر اب رع» طوع إرادة «أحمس»، فإنها قبلت أن يعين الابن خلفًا لوالده في وظيفة المدير العظيم للبيت.

وخلاصة القول: إنه يمكننا أن نقرر هنا بشيء من التأكيد أن المديرين العظام لبيت المتعبدات الإلهيات على ما يظهر، كانوا في غالب الأحيان ينتخبون بوساطة ملوك الأسرة الساوية في نفس سايس من بين أبناء رجال الحاشية، الذين كانوا يحملون لقب محبوب الإله أو محبوب الملك، وعلى ذلك لا ينبغي أن نتحدث عن وراثة الوظائف عندما نأخذ في اعتبارنا أن «بدينيت» قد خلفه ابنه «شيشنق»؛ وذلك لأن «شيشنق» قد خلف والده بدينيت؛ لأن «أحمس» قد قرر ذلك خدمة لمصالح البلاد وفائدتها لا من أجل وراثة هذه الوظيفة.

وهكذا نرى أن هذه السياسة هي التي كان قد وضعها مؤسس الأسرة الساوية، وهي التي كانت ترمي إلى توحيد السلطة في يد الفرعون في الوجهين القبلي والبحري، بعد أن كان جزء منها في يد كهنة طيبة العظام في الوجه القبلي والجزء الآخر في يد الملوك الذين كانوا يسكنون الدلتا.

---

[١] راجع مصر القديمة الجزء العاشر.

[٢] راجع: Roeder, Naos, Catalog. Gen. P. 106–109 et Pl. 37, et 56, Daressy, Statues de Divinités, Cat. Gen. P. 284 et Pl. LV.

المدنية المصرية في العهد الساوي

أحوال الجيش المصري وطلائع الجاليات الإغريقية في مصر

تدل كل الظواهر على أن مصر قد لبست ثوبًا جديدًا في عهد الأسرة السادسة والعشرين يوحي بقيام نهضة عارمة، سارت بالبلاد قدمًا نحو فجر جديد يعيد لها ماضيها التليد، وحضارتها العريقة في القدم وثقافتها المتشعبة النواحي، وذلك عندما تولى عرش ملكها فرعونها الفتى «بسمتيك الأول»، وأخذ بثاقب فكره يرى ضرورة اختلاط بلاده بالشعب الإغريقي، وما انطوت عليه بلاده من حضارة فنية وثقافية أصيلة لم تكن مصر تعرفهما من قبل، وبخاصة ما امتاز به أهل الشعب الإغريقي من النبوغ في الفنون الحربية الحديثة، التي كان يعرفها المصريون على الرغم من عراقتهم في ضروب الطعن والنزال.

ويرجع الفضل الأكبر في اتصال القطرين بعضهما ببعض إلى الملك «بسمتيك الأول»، الذي يعتبر الدعامة الأولى في تأسيس دولة «سايس» في مصر، فقد انتهز بما أوتي من حذق ومهارة وذكاء فذ الموقف السياسي المناسب وقتئذ لبلاده في العالم لتحسين حالة مصر والنهوض بها، وقد بدأ أولًا لمدة فترة وجيزة بتطهير داخل بلاده مما كانت تواجهه من الصعاب، وقد كان أول ما بدأ به هو التغلب على أولئك الأمراء الإقطاعيين الذين أبوا الخضوع له طوعًا؛ وعلى أية حال لم يستمر النضال لإخضاعهم طويلًا، إذ بعد انقضاء سنين قلائل خضعوا له جميعًا عن طيب خاطر، وإن كان بعضهم لم يسلم إلا بعد هزيمة نكراء. وقد رأى بسمتيك ألا يضع الفريق الأخير من هؤلاء الأمراء، الذين كان لا يزال يخاف شرهم إلا في مناصب كبيرة اسمية لا تمكنهم من القيام عليه كرة أخرى. فمن هؤلاء مثلًا الأمير «منتومحات» الطيبي، فإنه لم يكن يتمتع في عهد بسمتيك بأي استقلال سياسي كما كانت الحال فيما مضى، ولكنه مع ذلك كان يحمل الألقاب التي كانت تؤهله لذلك؛ أي إنها كانت قد أصبحت ألقاب شرف وحسب، وكذلك

نلحظ فيما ذكرناه آنفًا أنه حتى أسرة أمراء رؤساء السفن الذين كان مقرهم في أهناسيا المدينة قد فقدوا، على الرغم من مصادقة عظمائها القديمة للفرعون «بسمتيك»، كل ما كان لهم من سلطان ونفوذ إقطاعي؛ وذلك لأن الفرعون «بسمتيك» كان قد أخذ في اتباع تنصيب الأمراء القدامى في وظائف حكومية إدارية بعيدة عن موطنهم الأصلي بقدر الإمكان، وذلك بعد سلبهم كل سلطتهم الإقطاعية. ومن ثم يلحظ أنه بعد نهاية العام الرابع والثلاثين من حكم «بسمتيك»؛ أي حوالي عام ٦٣٠ق.م قد اختفت عن الأعين وظيفة رياسة السفن الوراثية التي كانت تتمتع بها أسرة واحدة بعينها؛ وذلك لأنه لم يكن هناك مجال لوجود مثل هذه الوظيفة المستقلة أو شبه المستقلة، وهي الوظيفة التي كان يتمتع بها صاحبها كما شاهدنا من قبل بنفوذ عظيم في كل من مصر الوسطى ومصر العليا في مملكة جديدة موحدة. وبسبب اختفاء هذه الوظيفة الوراثية نصادف في «أهناسيا المدينة» قائدًا حربيًّا يدعى «حور» تحت سلطان الفرعون مباشرة، وقد قام ببناء عمائر غاية في الجمال، كما قام بعمل إصلاحات في معبد الإله «حرسفيس» (حرشف معبود أهناسيا المدينة)، وقد كانت أهناسيا هي مسقط رأسه، ولكنه كان قبل ذلك قد عين قائدًا في الوجه البحري في مقاطعة «بوصير»، وهي المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه البحري (راجع أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني للمؤلف ص٧٨). وكان والده يدعى «بسمتيك»، ومن ثم نجد هنا في «أهناسيا المدينة» رجلًا من المقربين جدًّا للأسرة الساوية، ومع ذلك سنرى أن نسل أمراء «أهناسيا المدينة» قد استمر حتى عهد «الإسكندر الأكبر»، كما يلحظ ذلك في أسرة الأمير «سمتاوى تفنخت» الذي بقيت أسرته قائمة في أهناسيا حتى عهد «الإسكندر الأكبر»، ولكن لم يكن لها النفوذ الإقطاعي العظيم الذي كانت تتمتع به من قبل.

والواقع أن هؤلاء الأمراء وكذلك الملك «بسمتيك» نفسه وأسرته لم يكونوا من أصل مصري، وذلك أنه منذ عهد الدولة الحديثة كان السواد الأعظم من أفراد جيش فرعون من أصل أجنبي لوبي بوجه خاص؛ فمنذ عهد «رعمسيس الثالث» كان الجيش المصري يحتوي على جنود

لوبيين بصورة متزايدة على مر الأيام، حتى أصبح كل رجال الجيش فيما بعد يتألفون من هذا العنصر بوجه عام، أما المواطنون المصريون الأصليون في المدن والقرى، فقد أبعدوا عن حمل السلاح بصورة مستمرة، حتى انتهى بهم الأمر إلى أن أغلق في وجوههم باب الجندية والخدمة في الجيش العامل.

وقد تحدثنا من قبل عن الجيش اللوبي وتأليفه (راجع مصر القديمة الجزء التاسع). والواقع أنه منذ بداية الألف الأولى كان كل جندي من أصل لوبي يشغل وظيفة متوارثة، وكان يسمى «مي» وهي كما ذكرنا من قبل مختصر اسم القبيلة اللوبية المعروفة باسم «مشوش»، وهذا الاسم الأخير حرفه اليونان إلى كلمة ماشيموي Machimoi. وكان هؤلاء الجنود ينقسمون فرقتين إحداهما تدعى «هرمونيير»، والأخرى تدعى «كلازيري»، وكان جنودهم يسكنون في مستعمرات حربية مغلقة؛ أي قائمة بذاتها في مقاطعات الدلتا. وقد كان كل جندي يملك قطعة من الأرض معفاة من الضرائب تبلغ مساحتها اثني عشر أرورا (= ١٢ هكتارًا من الأرض).

وقد كان كل جندي من هؤلاء لا يستمر مدة طويلة في وظيفته دون أن يرقى؛ وذلك لأن قائدهم الأعلى كان دائمًا يرعاهم ويرقيهم إلى وظائف أعلى بحسب الكفاية، وقد انتهى الأمر بهؤلاء الجنود اللوبيين في عام ٩٥٠ق.م أن اعتلى أحد كبارهم العظام وهو شيشنق الذي كان من أسرة عريقة في الجندية عرش الفراعنة. وفي خلال القرنين ونصف القرن التي تلت توليه عرش الملك، أخذت البلاد في النهاية إلى التمزيق، وأصبحت تتألف من عدة مقاطعات صغيرة كان يحكمها أخلاف شيشنق الأول وقواد المشوش الذين كانوا منتشرين في البلاد بوصفهم ملوكًا، وأمراء مستقلين تقريبًا.

وقد قام أحد هؤلاء الأمراء في النهاية، وهو «بسمتيك» وأخضع سائر المقاطعات لسلطانه؛ وكان ذلك إما بالحرب وإما بالطرق السلمية كما ذكرنا ذلك من قبل، وبذلك سلبهم كل استقلالهم

وسلطانهم. وقد كان الأساس في نجاح «بسمتيك» في أعماله الحربية والسلمية يرجع إلى قوة شخصيته وإخلاص جيشه الذي ألفه، والذي كان تحت إمرته مباشرة. وقد كان في استطاعة بسمتيك أن يعتمد على جزء من جنود المشوش، وبخاصة الذين كانوا معه في مقاطعته الأصلية أهناسيا، غير أنه كان من المستحيل على بسمتيك أن يقيم دعائم مملكته على أسس متينة ثابتة، وهي كما هي تتألف من أمراء المشوش، ومن جنود المشوش أنفسهم وحسب، يضاف إلى ذلك أنه لم يكن لديه أي أمل في تجنيد المصريين؛ ليناهض بهم هؤلاء الأمراء أبناء جلدته، وعلى أية حال فإنه لم يفكر أي ملك من ملوك العصر المتأخر قط في إقامة جيش من المصريين الوطنيين، الذين لم يتعودوا الجندية منذ زمن بعيد، وذلك بإبعادهم عنها، ومن ثم لم يبقَ أمام بسمتيك وسيلة أخرى للنهوض بالجيش، إلا أن يؤلف جيشًا من الجنود الذين كانوا يفدون عليه من مصر من البلاد المجاورة، وبخاصة بلاد الإغريق. وقد كانت الأحوال السياسية الخارجية مواتية لمساعدة بسمتيك على عزمه هذا بصورة مدهشة تدعو إلى الأمل والفلاح. وذلك أن حركة الاستعمار التي قام بها الإغريق خارج بلادهم كانت قد بلغت في عهده درجة عظيمة جدًّا من التوسع. وقد كان سبب ذلك ازدحام بلاد الإغريق نفسها بالسكان في تلك الفترة، مما جعل من المستحيل اتساع رقعة بلادهم لإطعام أهلها وإيوائهم؛ ومن ثم كان الجم الغفير من الإغريق يغادرون بلادهم بصورة مستمرة في جماعات. ولم يقتصر ذلك على بلاد الإغريق نفسها، بل امتد ذلك إلى بلاد شاطئ آسيا الصغرى التي كان يسكنها إغريق؛ وقد كان الكل يبحثون عن وطن جديد في أي مكان في العالم لضيق بلادهم وازدحامها بالسكان، ومن ثم نشأت على سواحل البحر الأبيض المتوسط، والبحار المجاورة له مستعمرات إغريقية جديدة من أول «تانايس» Tanais الواقعة على بحر «ازوف» حتى سواحل «إسبانيا».

ويلحظ أنه لم تكن التجارة هي المقصد الأول الذي كان يسعى إليه الإغريقي، كما كان يفعل الفنيقيون في كل عهودهم بل كان غرضهم الاستيطان قبل كل شيء. وتدل شواهد الأحوال على

أن بحارة الإغريق قد ولوا وجوههم شطر مصر، ولكن في الواقع نجد أنه في بلاد ثقافية كمصر حتى في أسوأ أوقاتها لم تكن نظرتها خالية من الأمور السياسية؛ ولذلك لم تكن هناك فرصة للإغريق للقيام بإنشاء مستعمرة لهم هناك بسبب كره المصريين للأجانب. وكان كل ما وصلوا إليه في هذا المضمار أن قراصنتهم كانوا يأتون إلى دلتا النيل، وهناك كانوا يتصلون بالمصريين عرضًا دون أن يجرءوا على طلب الاستيطان هناك. وقد أوحى ذلك إلى الفرعون بسمتيك نفسه أن يسهل للإغريق أمر الاستيطان في مصر عندما فطن لغرضهم، وذلك بسبب مهارة الإغريق الحربية، هذا بالإضافة إلى الكاريين الذين يذكرون معهم، وهم سكان سواحل آسيا الصغرى، فقد شجعهم على الهجرة لمهارتهم في الحروب؛ ويمكن للإنسان أن يلحظ مهارة هؤلاء القوم من الوجهة الحربية في قرصنتهم الجريئة؛ ومن ثم بدأ بسمتيك استخدام القرصان الذين كانوا يفدون على الدلتا من هذه الجهات (راجع Herod II, 152)، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق.

وفي عام ٦٥٥ق.م أرسل «جبجيز» ملك «ليديا» (وهي بلاد قديمة في آسيا الصغرى، وتقع بين بلاد «ميزيا» و«فريجيا» و«كاريا» وبحر «ايجه» وعاصمتها «ساردس») جنودًا من الأونيين والكاريين لمساعدة «بسمتيك». ولا نزاع في أن الرواية الإغريقية القديمة كانت على حق عندما تذكر أن مساعدة هؤلاء الأجانب كانت العامل الفاصل في نجاح «بسمتيك» في حروبه الداخلية مع أمراء الإقطاع الذين ثاروا عليه في أول حكمه، وبعد انتهاء هذه الحروب الداخلية بسرعة لم يترك «بسمتيك» الإغريق والكاريين الذين كانوا في خدمته يعودون إلى أوطانهم، وقد فضل هؤلاء من جانبهم أن يسكنوا في مستعمرات خاصة بهم مثل جنود المشوش، وقد رأى «بسمتيك» بما أوتيه من بعد نظر أن يوزع الجزء الأكبر من خيرة جنوده هؤلاء على الثغور الخطرة من بلاده، وأعني بذلك الحدود الشمالية الشرقية التي كانت عرضة للغزو، ومن ثم أسس ما دعي «معسكر الجيش» عند فرع النيل البلوزي في أسفل مدينة «بوبسطة»، ثم بدأ يعلم المواطنين المصريين اللغة الإغريقية؛ وذلك ليكونوا تراجمة لهؤلاء الوافدين الجدد من

الإغريق. ولم يكن قصد هؤلاء الإغريق والكاريين أن يكونوا جنودًا مرتزقين أو سياحًا، بل جاءوا ليحصلوا من الأرض التي يستعمرونها أن تكون ضمانًا لإقامتهم بعد أن تغربوا عن بلادهم، وذلك في مقابل ما يقدمونه من الالتزامات التي تعهدوا بها في خدمة الجيش المصري.

والواقع أن هؤلاء المستعمرين الجدد ما لبثوا أن مهدوا على وجه السرعة العلاقات التجارية بين مصر والبلاد التي وفدوا منها، وبخاصة ما نجده من وفود التجار من «آسيا الصغرى» وجزر بحر «ايجه»، وهي الأماكن التي كان يجب منها الجنود المستعمرون، وقد كان لأهالي بلده مبليه القدح المعلى في ذلك، فقد وفدوا بنحو ثلاثين سفينة إلى فرع النيل «البولبيتي»، وأسسوا لهم مستودعًا هناك. ويحتمل أن ذلك كان قد حدث ما بين ٦٢٥–٦٠٩ق.م، ولا نزاع في أن سياسة الفرعون «نيكاو» البحرية قد ضاعفت هذه العلاقات التجارية بصورة محسة، وبخاصة عندما نعلم أنه في عهده كان لمصر أكبر أسطول في البحار، ولا نزاع في أن تبادل التجارة بين مصر وبلاد الإغريق قد استمر منسجمًا، فكانت مصر ترسل الحبوب وكان الإغريق يدفعون ثمنها فضة (راجع Grafton Milne, The Trade Between Greece and Egypt before Alexander The Great J. E. A., 25 P. 177 ff).

وكذلك كانت مصر صاحبة علاقة مع الدول الإغريقية نفسها، ولا أدل على ذلك من أن ابن أخ «بريندر» Periander[١] التيراني صاحب «كورنثه» وخليفته، وهو الذي كان يعد أقوى شخصية في العالم الإغريقي في القرن السابع قبل الميلاد كان قد تسمى باسم بسمتيك تيمنًا به، وفي ذلك دليل كافٍ على ما كان بين البلدين من ود ومصافاة. يضاف إلى ذلك أن الفرعون كان يجري وراء إيجاد علاقات دينية تربطه بالعالم الإغريقي، فمن ذلك أن الفرعون «نيكاو» قد قدم درعه الحربية، التي كان يرتديها في حملته على «سوريا» للإله «أبولون» صاحب معبد «ميلوس»، وفيما بعد نجد أن «أحمس الثاني» قد قدم قربانًا لآلهة سيريني وأسبرتا «وساموس» و«لندوس»، كما أسهم هذا الفرعون كذلك في بناء معبد «دلفي» الذي كان أحرق بمبلغ ٥٤٨

تلنتا،[٢] وقد كان هذا العمل يُعد دليلًا عظيمًا على ما للجنود الإغريق القاطنين في مصر من أهمية بالغة.

وقد كان السبب الأساسي لكل هذه المظاهر التي أبدتها مصر نحو بلاد الإغريق هو حاجة بسمتيك الملحة لكسب ثقة الرجال المهرة المدربين من الأجانب؛ لينخرطوا في صفوف جيشه. ومما يطيب ذكره في هذا المقام أن العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الإغريق كان لا يمكن أن تنقطع، كما كان الفرعون يرغب في الوقت نفسه في تنميتها وتعضيدها كثيرًا، وإن كانت في الأصل ليست ذات موضوع لدى بسمتيك. أما من حيث سياسة القوة، فإنها لم تقم بأي دور هام في إيجاد العلاقات بين الساوية وبلاد الإغريق، منذ عهد بسمتيك حتى عام ٥٤٦ق.م بوجه عام؛ أي إن مصر لم تعتمد على جيش إغريقي ليساعدها في حروبها، على أنه من الخطأ أن يقال: إن جيش الفرعون «بسمتيك» كان مؤلفًا من جنود إغريق وكاريين وحسب، كما نجد ذلك مذكورًا بشيء من التحيز من الجانب الإغريقي.

والواقع أن الإغريق والكاريين قد لعبوا دورًا ممتازًا من حيث القدرة والكفاية، وكذلك من حيث العدد بوصفهم جنودًا مرتزقة، ولكن لا يفوتنا أنه كان يوجد بجانبهم في ساحة القتال جنود من اليهود والفنيقيين والسوريين واللوبيين والنوبيين. فنعلم من الأوراق البردية التي عثر عليها في «الفنتين» أنه كانت توجد مستعمرة يهودية في العهد الفارسي تحتوي على جنود من اليهود، غير أن هؤلاء اليهود كانوا يقيمون هناك قبل العهد الفارسي بزمن طويل. وقد كانت الحكومة المصرية قد سمحت ليهود «الفنتين» بإقامة معبد في حاميتهم هناك. وليس لدينا من برهان مبين لتوضيح ميزة المستعمرة اليهودية الحربية أكثر من أنها كانت ثابتة في مكانها المعين، ولكن الإنسان يتساءل متى أسست هذه الحامية اليهودية في الفنتين؟

الواقع أنه في كتاب التثنية يقول ملك اليهود في الإصحاح ١٧ سطر ١٦ ما يأتي: ولكن لا يكثر له الخيل ولا يرد الشعب إلى مصر؛ لكي يكثر له الخيل والرب قال لكم: لا تعودوا ترجعون في هذه الطريق أيضًا. وقد فهم المؤرخ «إدوردمير» (راجع Ed. Meyer, Kleine Schriften Bd I, P. 77; Anm. I, Comp. Papyrusfund Von Elephantine (Leipzig 1912), P. 34; Ed. Meyer, Geschichte des Altertums, III, 2, P. 146, Anm. 2) من ذلك وجود تجارة نشطة تدور حول إرسال جنود من اليهود إلى مصر في مقابل خيل. وقد حدث ذلك منذ عهد الفرعون «بسمتيك الأول». ولا بد أن حامية الجنود الإغريق كانت قائمة في «الفنتين»؛ ولا غرابة في أن نعرف أن هذا الفرعون قد وضع حامية من الجنود اليهود عند حدود بلاده الجنوبية، إذ لا شك في أن ذلك كان من جانبه إجراء غاية في الحزم وبُعد النظر. هذا وقد أخذت القوات اليهودية تصل إلى البلاد بعد ذلك في عهد أخلاف «بسمتيك». فقد ذكر لنا «أريستياس» Aristeas (راجع Ad. Philokr, 13) أنه في عهد «بسمتيك الثاني» قد جاء إلى مصر يهود بمناسبة حملته على بلاد كوش؛ ليلتحقوا بالجيش المصري، ثم مكنوا هناك بعد انتهاء الحرب. ولا نزاع في أن هذه المذكرة قد أثبتت حقيقة أنه في كل من الحالتين التي أصيب فيها اليهود بأذى في السنين العشر الأولى من القرن السادس، زادت هجرتهم إلى مصر؛ وبخاصة لأن الأمور كانت تجري على غير ما يرغبون، وقد كانوا يخافون العقاب كما حدث لهم بعد هدم أورشليم، وقتل «جوليا» حاكم المدينة الذي ولاه «نبوخد نصر».

وهكذا نما المجتمع اليهودي القاطن في «الفنتين» بما كان يفد إليه من جنود مهاجرين؛ على أن الحامية لم تكن تحتوي على يهود وحسب، بل كان يوجد بينهم جنود آخرون من الآسيويين واليهود، بل ويحتمل كذلك من اللوبيين. هذا ونجد عدا ذلك لوبيين في الجيش الساوي، هذا بالإضافة إلى نوبيين وسوريين وفنيقيين.

وقد أوجد «بسمتيك» في هذا الجيش قوة من الأجانب دون أن يغير شيئًا في نظام المستعمرات الحربية. وهذه القوة كانت تقف في وجه المشوش القدامى الذين كانوا سببًا في خلق مصاعب لقائدهم بالخروج عليه عندما رأوا أنهم قد اضطهدوا. فقد ذكر «هردوت» أن ٢٤٠٠٠٠ مقاتل من المشوش بقوا في حامياتهم التي كانت في «الفنتين» و«دفنى» و«ماريا» مدة ثلاث سنوات في حراسة حدود البلاد دون أن يسرحوا في إجازة؛ ومن أجل ذلك انتقضوا على «بسمتيك الأول» وذهبوا إلى بلاد كوش، وقد أسكنهم ملك هذه البلاد في جنوب مملكته، وقد أسرع بسمتيك خلفهم لإعادتهم، ولكنهم لم يسمعوا رجاءه ليعودوا إلى بلادهم، وعلى الرغم مما تحتويه قصة هذه الهجرة من حديث خرافة كما أوضحنا ذلك فيما سبق، فإنها تنطوي على نواة تاريخية، إذ لا بد أن جزءًا من جنود المشوش القدامى قد هاجروا إلى بلاد كوش رافضين الانضمام إلى فرقة «بسمتيك» القوية، ومن الجائز أن ذكرى التسلط الكوشي المنحل على مصر، وهو العهد الذي كان يترك لهم فيه الحبل على الغارب، والذي كانوا يتمتعون فيه بقوانين خاصة، كان له يد في ذلك؛ وبخاصة أن «بسمتيك» قد أخذ يقبض على ناصية الأمور بعزيمة ماضية. وعلى أية حال لا بد أن بسمتيك كان قد سر من هذا العمل أكثر من أن يغضب، إذ قد تخلص من العناصر الجامحة في جيشه (راجع H. Schafer, Klio 4 (1904), P. 152 ff)، ويتساءل الإنسان كيف كان في مقدور بسمتيك الأول أن يؤلف وحدة متماسكة بصورة مقبولة من هؤلاء الجنود، الذين كانوا من قوميات متعددة متباينة حتى يصبح بذلك جيشًا صالحًا للقتال؟ والواقع أن الفرعون قد توصل إلى ذلك بوساطة جماعة من الضباط الذين كانوا ينحصرون في دائرة ضيقة حول فراعنة الأسرة الساوية، وهؤلاء الضباط كانوا بحكم التقاليد من طائفة جنود المشوش، الذين كانوا مرتبطين به وملتفين حوله بحكم الدم.

وعلى الرغم من أن المادة التاريخية التي تؤكد لنا ذلك قليلة، فإن ذلك يمكن فحصه على أحسن وجه لما لدينا من معلومات من عهد الملك «بسمتيك الثاني»، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا بد أن

يثق المرء في النتائج التي توصلنا إليها من درس عهد بسمتيك الأول؛ وذلك لأن ما نعلمه فيما بعد عن نظام الجيش في عهد الأسرة الساوية كان لا بد قد أخذ عن الأنظمة التي وضعها مؤسس الدولة، سواء أكان ذلك في الأمور الدينية أم فيما يتعلق بنظام الجيش وإعداده.

والواقع أنه قد جاء في نقش باللغة الإغريقية تركه لنا جندي إغريقي من جنود بسمتيك الثاني على تمثال من تماثيل رعمسيس الثاني الضخمة، التي أقامها في واجهة معبد «أبو سمبل» ببلاد النوبة ما يأتي: «عندما أتى الملك بسمتيك إلى الفنتين كتب ذلك أولئك الذين كانوا مسافرين مع «بسمتيك» بن «تيوكلس» Theokles، ولقد وصلوا إلى «كركيس» Kerkis بقدر ما سمح به النهر؛ والأجانب الذين كان يقودهم القائد «بوتاسيمتو»، والقائد المصري «أحمس» وقد كتبناه نحن «أرخون» Archon بن «أموييبيكوس» Amoibichos و«بلكوس» Pelkos بن «أوداموس» Udamos.»

ومن الواضح هنا تمام الوضوح أن قائد الإغريق كان والده يدعى «تيوكلس»، ويحمل اسمًا إغريقيًّا أصيلًا، وكان الاسم الذي يدعى به هذا القائد (وهو ما يسمى بالاسم الجميل)، هو اسم بسمتيك؛ أي باسم الفرعون، ومن ثم نفهم أنه كان قد ولد في مصر. وإذا سلمنا أنه كان قد تولى قيادة الجنود الإغريق في الحملة التي قام بها بسمتيك الثاني، وهو في الأربعين من عمره، فإنه يكون قد ولد في عام ٦٣٠ق.م، وعلى ذلك فإن والده كان في خدمة الجيش المصري في النصف الأول من حكم بسمتيك الأول، هذا وكانت توجد بين هذه الأسرة والبيت الساوي علاقة وطيدة (راجع Hall, Cambridge Ancient History III, P. 301).

ومن نقوش تمثال أبو سمبل السالفة الذكر قد استنبط أن جيش «بسمتيك الثاني»، الذي ذهب في حملة على بلاد النوبة كان مؤلفًا من ثلاث فرق تسير جنبًا لجنب وهي:

(١) فرقة من المصريين بقيادة «أحمس».

(٢) فرقة من الإغريق بقيادة «بسمتيك» بن «تيوكلس».

(٣) فرقة من باقي الأجانب بقيادة «بوتاسيمتو».

على أنه توجد هنا صعوبة حقيقية لا بد من التغلب عليها، وهي ما ذكره «هردوت» من أن المؤتيين والكاريين كانوا أول أجانب سمح لهم بالدخول في مصر. ولكن الموضوع هنا يتوقف على عبارة أجانب، إذ إنها تعني كل ما ليس بمصري بما في ذلك الإغريق. والآن يتساءل الإنسان كيف تكون الحال عندما نقرن مكانة الإغريقي «بسمتيك» بمكانة بوتاسيمتو؟ فهل كانا في مكانة متساوية؟ والواقع أنه لدينا تابوت وآنية قربان لقائد مصري يدعى «بوتاسيمتو = بدي سماتوى»، وتمثال القائد يدعى أحمس (أمسيس)، وقد كان كل من هذين القائدين يمزج في اسمه اللقب الذي كان يلقب به بسمتيك الثاني، وهو «نفر-اب-رع» بوصفه الاسم الذي كان ينادى به كل منهما، وهو ما يطلق عليه عند المصريين «الاسم الجميل» فكان القائد الأول يسمى: «(نفر-اب-رع) نب كنت»، والقائد الآخر يدعى «(نفر-اب-رع) نخت» ومن ثم يمكن القول: إنهما كانا معاصرين لهذا الفرعون. والبيانات التي وردت على الآثار تدل دلالة واضحة دقيقة، على أنهما هما الشخصان اللذان ذكرا على تمثال «أبو سمبل». وبذلك لا يوجد أي شيء في شخصيتهما، وقد تحدثنا عنهما بإسهاب عند الكلام على آثارهما فيما سبق.

وكان أول ما نشاهده في ألقابهما هو أن «بوتاسيمتو» كان قائد الجنود الإغريق، في حين أن «أحمس» كان لا يحمل هذا اللقب، وعلى ذلك كانت العلاقة بينهما في الحملة النوبية واضحة، فقد كان أحمس يقود الفرقة المصرية المؤلفة من جنود المشوش، في حين أن «بوتاسيمتو» كان يقود كل الجنود الأجانب. وكان «بسمتيك» بن «تيوكلس» بوصفه ضابطًا للجنود الإغريق في جيش «بوتاسيمتو» مرءوسًا للأخير.

هذا وكانت الحاميات التي سبق ذكرها معسكرة في حصون الحدود الجنوبية في الفنتين، وتحتوي على إغريق ويهود، وذلك على ما يظهر غير ما كانت تحتويه من جنود آسيويين ولوبيين. وقد كان القائد لحصن الفنتين معروفًا لنا في عهد الملك «إبريز» بالاسم، وهو «حور» وتمثاله لا يزال محفوظًا، وقد تحدثنا عنه فيما سبق، وقد كان مصريًّا من أهل الدلتا كما كانت الحال مع سائر قواد هذه الفترة (راجع Kees, Nachrichten der Ges. der Wissinsch. Zu Gottingen (1935) P. 95 (zur Innenpolitik der Saitendynastie; Comp. A. Z. 72, P. 43-44; A. Z. 48, P. P. 160–163).

هذا ولدينا أمير بحر للأسطول يدعى «حور» من عهد بسمتيك الثاني، وكان يحمل في وقت واحد لقب أمير ورئيس خزانة ملك الوجه البحري، وكذلك قائد الأجانب والإغريق (راجع Petrie, Hyksos and Israelites Cities, P. 18, Pl. XV and XX, L. R. IV, P. 99 No. 33).

وقد ذكر لنا كل من المؤرخين «أدوردمير» و«فيدمان» قائدًا آخر يحمل هذا اللقب من عهد الملك بسمتيك الثاني (راجع Gesch. Ag. P. 364, Anm 3 bez. Ag. Gesch. P. 636 with No. 13, suppl. P. 70; K. Piehl. Rec. Trav. 3, P. 70 f, and Wiedemann Rec. Trav. 6, P. 117).

هذا وبفحص التماثيل وغيرها من الآثار التي من العصر الساوي يمكن مضاعفة هذه الأمثلة. وهكذا نرى أن الجنود الأجانب كانوا مقسمين على حسب قومياتهم إغريقًا ويهودًا ولوبيين … إلخ، وكان كل قسم بإمرة ضابطه، ولكن هذه الأقسام كلها كانت تحت إمرة القائد الأعلى المصري، وهذا ينطبق حتى على القواد المدربين القدامى في خدمة الساويين، كما يلحظ ذلك في حالة بسمتيك الأفريقي الذي تحدثنا عنه.

ولم تحفظ لنا التقاليد المكتوبة التي وصلت إلينا أسماء رجال تدل على المركز الثانوي الذي كان يشغله القواد الإغريق، والمثال الوحيد الشاذ الذي وصل إلينا من هذا القبيل هو «فانس الهلكرناسي»، الذي ذكره «هردوت» في آخر العهد الساوي، وقد تحدثنا عنه فيما سبق. على أن هذا المثل ليس حاسمًا، إذ لم يقم هذا القائد بدور رئيسي في قيادة جيش في مصر، بل كانت شهرته تنحصر في دور الخائن الذي لعبه بانضمامه إلى الفرس، وقد لقي جزاء خيانته. وتدل شواهد الأحوال على أن «فانس» هذا لم يشغل مكانة عالية مثل المكانة التي كان يشغلها بسمتيك بن «تيوكلس» بأية حال من الأحوال. وذلك على الرغم من مهارته وذكائه، ومما لا شك فيه أن إسناد القيادة العليا إلى ضابط مصري كبير بمفرده لم يكن كافيًا لإدارة جيش متعدد القوميات والنزعات، كما لم يكن كافيًا لإيجاد نظام حقيقي بين صفوفه، وعلى ذلك لم يكن هذا الجيش المؤلف بهذه الكيفية أداة حرب من الطراز الأول بأية صورة. وحقيقة الأمر أن حامية مثل حامية الفنتين التي كان جنودها معسكرين في حصن واحد باستمرار، كان مثلهم كمثل معسكر جنود المشوش يعملون فقط في مناسبات، وكان محرمًا على جنودها في الأصل أن يعملوا في صناعات أخرى خارجة عن أعمال الجيش. وعندما قرن «أرميا» في الإصحاح ٤٦ سطر ٢١ مرة جنود مصر بعجول الحظائر، التي تفر أمام العدو بقوله: «أيضًا مستأجروها في وسطها كعجول صغيرة؛ لأنهم هم أيضًا يرتدون ويهربون معًا. لم يقفوا؛ لأن يوم هلاكهم أتى عليهم وقت عقابهم.» فإن ذلك كان في الواقع خبثًا منه، ولكنه لم يخطئ كل الخطأ في تصويره هذا.

وعلى أية حال فإن ذلك لا يغير حقيقة أن المشاة الإغريق كانوا يفوقون كل الجنود الشرقيين بما في ذلك الفرس، كما برهنت الحوادث على ذلك مدة جيل بعد نهاية دولة الأسرة الساوية. فقد وجدنا في جيوش ولايات آسيا الصغرى، التي كان لزامًا على مصر أن تحاربها للمرة الأولى في جيش «قمبيز» فرقًا كبيرة من الجنود الإغريق (راجع Herod. III, I; III, 139)، وقد خدم في جيش الملك «نبوخد نصر» بعض المغامرين من الإغريق مثل «أنتيمنيدس»

Antemenidas الذي تحدث عنه الجغرافي سترابو (Strabo XIII, 2-3)، وفضلًا عن ذلك فإن جيش «نبوخد نصر»، على الرغم من انتصاراته العظيمة على الجيش الساوي، فإنه لا يكاد يختلف عنه في كثير من الوجوه، إذ كان مثل الجيش الساوي مؤلفًا من جنود يقومون على نظام المستعمرات الحربية، كما أنه كان من حيث النوع تنقصه أشياء كثيرة (راجع Meissner, Babylonian und Assyrian Bd. I, P. 87–89)، وقد كانت الانتصارات التي أحرزها الجيش البابلي على أية حال ترجع إلى عبقرية «نبوخد نصر» نفسه.

ولا نزاع في أن فراعنة مصر كانوا على معرفة تامة مثل «نبوخد نصر» بهذه النقائص، يدل على ذلك دلالة لا لبس فيها ولا إبهام سياستهم الخارجية التي كانت متخذة خطة الدفاع لا الهجوم. على أن تجاهل الفرعون «إبريز» ما كان عليه جيشه من ضعف في قوته ونظامه قد كلفه في نهاية الأمر فقدان عرشه ثم هلاكه هو؛ وقد ظلت مصر من جراء ذلك حوالي عشرين عامًا تتعثر في أذيال الاضطرابات والثورات التي انتشرت في أنحائها، فلم يكن من باب الصدف ما علمناه من قيام عصيانين كبيرين في عهد «إبريز»؛ فقد قام لسبب غير معلوم عصيان في حامية الفنتين، وقرر جنودها الذهاب إلى «بلاد كوش»، وهذا القرار يذكرنا بالقرار الذي اتخذه جنود المشوش قبل ذلك بجيلين، ولكن على الرغم من ذلك وصل قائد الحامية «نسحور» المصري، وهدأ العصيان كما يقول بإغداق العطايا على الثائرين، ومن ثم سيطر على الموقف وأعاد النظام إلى نصابه، وبالنسبة لهذه الحالة فإن هذه النتيجة المرضية قد ترجع إلى كبرياء «نسحور».

وقد حلت بجيش «إبريز» في آخر أيام حكمه كارثة في حرب مع بلاد «سيريني» (لوبيا) كما ذكرنا من قبل. ومن ثم اندلع لهيب عصيان كانت نهايته سقوط الفرعون وموته. وفي هذه المرة كان هناك سبب آخر أدى إلى هذه النتيجة المحزنة؛ فقد كانت توجد بين المصريين واللوبيين من قبيلة «المشوش»، الذين في خدمة الأسرة الساوية وبين الجنود الأجانب منافسة مستمرة. ومن

المحتمل أن «إبريز» بما أظهره من مجاملة ومحاباة للإغريق قد زاد في إذكاء الأحقاد التي كانت بين الفريقين. وقد كان لهزيمة المصريين على يد الإغريق «سيريني» أثر سيئ في نفوس المصريين، أدى إلى كرههم الإغريق الذين كانوا في مصر مما جعلهم يكنون لهم أشد العداء، ويتمنون مغادرتهم الديار المصرية. يضاف إلى ذلك أن اغتصاب «أحمس» قائد الجنود المشوش للعرش والحروب التي شنها على «إبريز» من عام ٥٦٩ق.م حتى عام ٥٦٧ق.م، وهي الحروب التي انضم فيها المصريون إلى جانب «أحمس» المغتصب، في حين كان الإغريق والكاريون في جانب «إبريز»، مما زاد في شقة الخلاف بين شطري الجيش وانتشار الفوضى في داخل البلاد. ومع ذلك فإن أحمس بعد انتصاره على خصمه مباشرة قد أظهر أنه لا يمكنه أن يستغني عن الجنود الإغريق.

ويشهد بذكائه الذي أصبح فيما بعد مضرب الأمثال أنه لم يفكر قط في الشروع في العمل بدونهم، غير أنه كان يرى أنه لا بد من عمل نظام جديد لإقامة الإغريق في مصر دون إغضاب الأهلين بقدر المستطاع، وقد سارع أحمس بتنفيذ النظام الذي كان قد صمم عليه في الحال، وذلك أنه عمل على إزالة الحامية الإغريقية والكارية، التي كانت تقع على فرع النيل «البلوزي»، وذلك بنقل جنودها إلى «منف» (راجع Herod. II, 154, Diod. I, 67 i)، وجعلهم يخدمونه بوصفهم حرسه الخاص. وقد حدث مثل ذلك من قبل في عهد «بسمتيك الأول». ومن ثم لم تكن مهمة الجنود الأجانب حماية مصر من أعدائها في الخارج وحسب، بل كان من واجباتهم أن يكونوا الساعد الأيمن للفرعون في داخل البلاد. هذا وقد اتخذ «أحمس» في الوقت نفسه إجراءات تقضي بوضع حاميات عسكرية في الأماكن الاستراتيجية الجغرافية الرئيسية في مصر؛ وبذلك كان في مقدوره أن يستعملها في أي ناحية يهاجم منها وللقضاء بسرعة خاطفة على أي عصيان أو فتنة. هذا ويلحظ أنه في عهد «أحمس» كان يوجد جنود إغريق كذلك في «الفنتين»، ومن المحتمل كذلك في بعض أماكن أخرى خلافًا للمعسكرات التي

كانت تقع على الحدود الشمالية الشرقية، وقد كانت حامية «الفنتين» لا تزال قائمة في عهد الحكم الفارسي لمصر؛ غير الأوراق الأرامية العدة التي وجدت في الفنتين، والمؤرخة بالقرن الخامس قبل الميلاد ليس فيها أية إشارة تدل على وجود إغريق في هذه البلدة، فهل يا ترى أن ذلك يعني أن «أحمس» لم يكتفِ فقط بنقل الجنود الإغريق من المعسكرات وحسب، بل كذلك أجلاهم عن أماكنهم الباقية إلى منف؟ والواقع أنه ليس لدينا ما يؤكد هذا الزعم. ولم يكن «أحمس» يميل إلى إغضاب جنود المشوش الذين عززوه، وناصروه على الجنود الإغريق في محنته التي انتهت بانتصاره، واعتلائه عرش الملك بعد أن قضى على خصمه «إبريز»؛ والواقع أنه لم يكن من مصلحة «أحمس»، ولا من مصلحة مصر بلاده أن يفعل غير ما فعل.

وقد قام «أحمس» باتخاذ إجراء جريء يدل على أنه كان يعلم تمام العلم بالورطة التي وقع فيها، وذلك أن غرضه الذي كان يرمي إليه هو أن يجعل وجود الإغريق في البلاد المصرية غير محس من قبل المصريين، إذ كان يشعر أن وجودهم كان حملًا ثقيلًا على كواهلهم، وكان في الوقت نفسه لا يريد جرح شعور الإغريق، وبخاصة أن تجارهم كانوا قد وسعوا تجارتهم في خلال المائة سنة الأخيرة، ومن جهة أخرى كانت تجارة الإغريق هامة ومربحة للدولة المصرية؛ هذا على الرغم من أن منافساتهم التجارية كانت مكروهة لدى المصريين، وأن مجرد وجود أجانب في مصر كان يبعث في نفس كل فرد مصري أشد الكره وعدم الانسجام. على أن كل ذلك لم يثنِ عزم أمسيس عن إسعاد البلاد، كانت أول خطوة خطاها هي تشجيع التجارة الحرة للإغريق في مصر، ولكنه إرضاء للمصريين أزال مستودعاتهم من كل أنحاء البلاد، وبخاصة في كل كل من «منف» و«سايس» اللتين تدعيان العاصمتين الرئيستين في البلاد، وفي مقابل ذلك منحهم مدينة نقراش الواقعة على الفرع الكانوبي في أحسن مكان وقتئذ على البحر الأبيض المتوسط، وقد أصبحت فيما بعد ذات شهرة عظيمة في العالم المتمدين. وقد أسست كمستعمرة منذ بداية القرن السادس تقريبًا، ولكنها أخذت في النمو بسرعة عظيمة، وكانت تعتبر

مدينة إغريقية على الأراضي المصرية،[٣] وقد حرم بذلك على أي تاجر إغريقي أن يرسو بسفن تجارته في أي جهة أخرى من البلاد، وإذا حدث أن سفينة قد رست في مكان آخر اضطرارًا؛ بسبب معاكسة الريح فإن تجارته كانت تحمل بوساطة سفن إلى «نقراش». وقد سهل هذا الإجراء الذي اتخذه «أحمس» مراقبة الحكومة الواردات، ودفع الضرائب على السلع الإغريقية. هذا ومن النقط التي تحتاج إلى بحث في موضوع الضرائب ما زعمه الأستاذ «كيس»، من أن الضرائب كانت تدفع على حسب ما جاء في لوحة «نقراش» التي يرجع تاريخها إلى عام ٣٨٠ق.م وهو ما يساوي عشرة في المائة على الواردات، ومثلها على المنتجات منذ عهد «أحمس» (راجع Naukratis, R. E. XVI, 2 (1935), P. 1960—Die stele von 380, s. Anlage 10, Naukratis I, Nr. 2.).

وعلى الرغم من كل هذه القيود التي وضعت على حرية الاقتصاديات، فإن السياسة التي اتبعها «أحمس» في «نقراش» مع الإغريق تعد امتيازًا لا يقدر بقيمة؛ إذ الواقع أن ثراء هذه المدينة الإغريقية لم يلبث أن أصبح ذا شهرة عظيمة بسرعة. وقد كان لأهالي «ميلوس» و«ساموس» و«أجنتا» معابد خاصة في «نقراش»؛ يضاف إلى ذلك أن السكان فيها من أهل «خيوس» Chios، و«تيوس» Teos و«فوسيا» و«كالزمينيا» Kalzomenai و«رودس» و«كنيدوس» Knidos و«هليكرناس» و«فاسبليس» Phaselis و«ميلوس»، كان لهم معابد عامة هيلانية.

وقد أحس إغريق مصر الآن أن الإجراءات التي قام بها «أحمس»، كانت عملًا كريمًا بالنسبة لهم. هذا وقد أصبح ميل أحمس للإغريق أكثر من الميل الذي أظهره لهم «بسمتيك الأول» من قبل، كما حدثتنا الأخبار عن ذلك.[٤] ولا غرابة في ذلك فقد كان له اتصالات شخصية بأعظم كبار الشخصيات الذين كانوا معاصرين له أمثال «صولون» Solon[٥] وتالس Thales[٦] وكليوبولوس Kliobulos[٧] و«بياس» Bias[٨] وبتتاكوس Pittakos[٩] ومع ذلك فإن عمل

أمسيس كما فهمه «هردوت» ومواطنوه من الإغريق لم يكن ليدل على الصداقة للإغريق، بل كان أولًا وقبل كل شيء براءة منه، بسبب تذمر المصريين من الإغريق، ولا نزاع في أن عمل «أمسيس» هذا لا يزال في نظرنا عملًا سياسيًّا يدل على العبقرية وبعد النظر.

هذا ولما كانت مصر بعد عام ٥٢٥ق.م قد أصبحت جزءًا من الإمبراطورية الفارسية، فإن هذه التحفظات التي كانت في صالح الإغريق قد أخذت تتلاشى، ومن ثم بدأ نجم نقراش يأفل من ناحية أنها مدينة ذات ثقافة إغريقية، كما أخذت تجارتها الرابحة تكسد بسرعة، ولا نعلم إذا كانت هذه المدينة بعد زوال الحكم الفارسي عن مصر قد أخذت ثانية في استعادة احتكارها، وازدهارها كرة أخرى أم لا. وقد رأينا أن هذه المدينة قد اشتركت في عام ٣٦٠ق.م في الاكتتاب الهيلاني العام لإعادة بناء معبد «أبولو» في دلفي (راجع Dittenberger, Sylloge, 13 P. 346 and P. 349; H. Prinz, Funde aus Nautkratis, Klio Beiheft 7 (1908), P. 114-115. Comp. Homolle, Bulletin de Correspondence Hellénique 20 (1896), P. 594, Note 2).

غير أن تأسيس الإسكندرية في عام ٣٣١ق.م كان فيه القضاء المبرم على هذه المستعمرة العظيمة، وقد ظلت قائمة قبل سقوطها قرنين من الزمان. ولا نزاع في أن سبب ازدهار «نقراش» كان يرجع إلى مركزها الاحتكاري، وهذا كان نتيجة تُعد من أكبر وأغرب حوادث التاريخ، فقد كان الإغريق المساعدون لفراعنة البيت الساوي لا يمكن الاستغناء عن خدماتهم، وفي الوقت نفسه كان المصريون في جميع أنحاء بلادهم يمقتونهم مقتًا شديدًا، ويعملون على إخراجهم من بلادهم بكل وسيلة.

المعابد والديانة في عهد الأسرة الساوية

لعب رجال الدين دورًا هامًّا في حياة الشعب المصري في العهد الساوي بدرجة لا تقل أهميتها عن الدور الذي لعبه رجال الجيش وأجنادهم من المشوش والإغريق، وغيرهم من الطوائف التي كان يتألف منها الجيش المصري آنئذ. والواقع أن الكهنة في تلك الحقبة من الزمن كانت لهم قوة تضارع تلك التي كانوا يتمتعون بها في عهد الدولة الحديثة، وبخاصة كهنة آمون العظام في طيبة، وقد تناولنا الحديث عن دولة طيبة الإلهية في غير هذا المكان، ولا شك في أننا نعلم ما كانت عليه هذه الدولة بصورة تدعو إلى الرضا، وسنضع هنا منذ البداية الآراء المختارة عن أحسن مظاهر قامت عليها، وما كانت تنطوي عليه من آراء ومقاصد بعيدة المدى.

وتدل الأحوال على أن مملكة الإله آمون التي قامت في طيبة منذ الأسرة الواحدة والعشرين لم تكن قط هيئة سياسية قائمة بذاتها، إذ نعلم أنها كانت فعلًا قبل نهاية الألف الثانية قبل الميلاد تابعة للأسرة الواحدة والعشرين، التي ينسب ملوكها إلى أسرة «تانيس» (من حوالي ١٠٨٥–٩٥٠ق.م) وعندما تولى أمير المشوش «شيشنق الأول» عرش مصر عام ٩٥٠ق.م قضى على كيان هذه المملكة الإلهية من الوجهة السياسية بتعيين الكاهن الأكبر في «طيبة» من أسرته. حقًّا ظلت مكانة هذه الأسرة الدينية ملحوظة مرعية، غير أنها قد خسرت مع ذلك الجزء الأعظم من نفوذها الذي كانت تتمتع به من قبل. ولا نزاع في أن «شيشنق الأول» وأخلاقه من أسرته لم يهاجموا مملكة آمون بوصفها مملكة دينية، بل إن كل ما فعلوه كان التقليل من نفوذها السياسي، وكان ذلك كما قلنا من قبل أنهم نصبوا أعضاء أسرتهم في منصب الكاهن الأول لآمون؛ وقد ظلت هذه الوظيفة الواسعة النفوذ في العهد المتأخر وراثية، كما كانت وظيفة رئيس المشوش الحربية في طيبة — وكذلك في سائر جهات القطر — تحت سلطان الفراعنة اللوبيين ونفوذهم.

غير أن فكرة الحكومة الإلهية؛ أي الحكومة التي كان يديرها الإله آمون نفسه، والتي حملها معه الفراعنة الكوشيون من «نباتا» قد أحدثت هزة عنيفة في البلاد، إذ لم يقتصر مداها على الفكرة الدينية النظرية البحتة وحسب، بل تخطت ذلك إلى الفكرة العملية السياسية، ومن المحتمل جدًّا أن فراعنة كوش هؤلاء كانوا من أجداد شيشنق، وكانوا عونًا وسندًا للكهنة العظام في طيبة؛ فقد كانوا يعتقدون أنهم وسيلة صالحة لنشر إرادة الإله آمون الذي كان يعد إلههم الأعظم، وكان لا بد من سيطرته في نظرهم ونشر نفوذه بكل وسيلة؛ وقد كان تعصبهم لمذهبه يفوق حد الوصف، ولسنا مبالغين إذا قلنا: إنهم في ذلك كانوا يشبهون طائفة الوهابين إلى حد كبير في عهودنا الحديثة؛ على أنه كان من سياسة هؤلاء الملوك عدم الحط من الآلهة المصريين الآخرين، بل كانوا يحترمونهم ويعظمونهم، ويقدمون لهم القربان بوصفهم أتباعًا لإلههم العظيم «آمون».

ومما تجدر ملاحظته هنا أن تمسك هؤلاء الملوك الكوشيين بديانة آمون والمغالاة في نشرها، قد قادت كهنتهم في نهاية القرن الأخير من عهد المملكة الكوشية إلى أن جعلوا وحي «آمون» هو الذي كان يفصل في تعيين الملوك، كما كان هو الذي يصدر لهم الأمر بعزل الملك، وبالذهاب إلى الموت.[1] ويقول في ذلك ديدور: إن أغرب ما في عاداتهم هي العادة التي كان يحصل عليها بمناسبة موت ملكهم، وذلك أن كهنة «مروى» الذين يصرفون وقتهم في عبادة آلهتهم والشعائر التي تكسبهم الشرف هم أعظم وأقوى طائفة، إذ كانوا يرسلون رسولًا لملكهم يأمره بالموت عندما تعنُّ لهم هذه الفكرة؛ وذلك لأنهم يقولون: إن الآلهة قد كشفوا لهم عن ذلك. وكان لزامًا عليهم ألا يهملوا أمر المخلدين من قبل فرد من البشر (راجع Diod, III, 6, t. 3).

هذا وقد حفظ الكاهن المصري عن الكوشي التقي الورع فكرة حسنة باستمرار، كما حدثنا بذلك هردوت (راجع Herod. II, 137, 139)، وكذلك ديدور الصقلي (راجع Diod. III, 2, 2 & III, 5)، فقد نقلا لنا هذه الآراء بصورة واضحة.

والواقع أن الحكومة الإلهية لآمون صاحب «طيبة» تعد أقدم وأبسط، وصاحبة أمتن إجراء لحكومة إلهية عرفها التاريخ، وقد وجدت حسن التعبير عنها، وكذلك عن الأحاسيس العالمية التي كان كهنة هذا العصر المتأخر يقومون بتطبيقها. ولم يكن هنا مجال لآراء سياسية خاصة، وكذلك كانت حياة الدولة تحددها الديانة وحدها. حقًّا كانت الأوضاع المتطرفة لحكومة آمون الإلهية قد نشأت في بادئ الأمر تحت تأثير الكوشيين المتعصبين، غير أن المصري كان ينظر إليها على حسب ما يريد هو. ولا نزاع في أن الفكرة الأساسية في هذه الديانة لم تكن غير مصرية، ولم تكن وليدة فكر الكوشيين وحدهم، بل كانت فضلًا عن ذلك وهذه الأمور الهامة الفاصلة في مصر قاصرة على طيبة.

وقد أظهر الأستاذ «كيس» في كتابه عن الاعتقادات في الآلهة (راجع Der Gotterglauben in Altenagypten P. 339–401) أن الأفكار التي كان يتمسك بها كهنة آمون في مصر في تلك الفترة كان مصدرها يبتدئ أولًا منذ السيادة الكوشية على مصر، ولكنه من جهة أخرى ينكر أن الصورة المثالية التي أوردها الكتاب الإغريق عن المملكة الإلهية، التي كان يحكمها آمون لم تأتِ من الوجه البحري، بل إنها كانت كوشية محضة، وعلى ذلك يجب على الإنسان أن يفصل بين هذه الفكرة وبين الصورة المتطرفة لهذه الحكومة. ويرى الأستاذ «كيس» أن «هكاتة الأبدري» هو الذي نقل عنه «ديدور» فكرة السيادة المثالية للكهنة أنها قد أتت من «نباتا»، ولم تأتِ عن طريق الكهنة المصريين.

ويطيب لنا أن نذكر هنا أن «كيس» قد تجاهل الظرف الذي كتب فيه «هكاتة الأبدري» رأيه؛ إذ الواقع أن «هكاتة» هذا قد عاش في عهد الملك «بطليموس الأول»، ولم يمتد أجله حتى عهد «بطليموس الثاني» (راجع F. Jakoby, Real-Encyk. der Klassischen Altertumwissenschaft VII, 2, 1912, P. 2751, Hekataios 4)، وذلك في وقت لم يكن الإغريق يكادون يعرفون فيه شيئًا عن الكوشيين. هذا ونجد كذلك أن «ديدور» (Diod

(E. Schwartz, «هكاتة» الذي استقى معظم معلوماته عن مصر من مؤلفات «هكاتة» (1, 37, 5
R. E. V, 1903 P. 670, Diodoros 37) قد برهن على أن أول معلومات صحيحة عرفها الإغريق عن بلاد كوش، كانت في الجزء الأول من حكم بطليموس الثاني. والبيانات التي أوردها بالنسبة لما نعرفه عن العلاقات بين مصر وبلاد كوش في المدة ما بين ٦٥٠ق.م حتى بداية القرن الثالث قبل الميلاد مقبولة تمامًا. ومما له أهمية بالغة فضلًا عن ذلك أن المثل الأعلى لواضع الحوليات الديموطيقية، وهو من طبقة الكهنة ومسقط رأسه الوجه البحري كان «الحاكم الذي لا يهمل هذا القانون». وهذا يبرهن على أن ذيوع مثل هذه الأفكار بوساطة الكهنة المصريين في العصر المتأخر كان لا يقتصر على طيبة مقر عبادة آمون.

وعلى أية حال فإن الأحوال في البلاد وقتئذ قد سمحت بإمكان تطبيقها بصورة متطرفة لما اتصف به الحكام الكوشيون من تعصب ديني. وكثيرًا ما يمكننا أن نصل إلى هذه الصورة المثالية، التي مثلها لنا كهنة العهد المتأخر عن حكومة مصر الإلهية، وذلك مما نقله لنا الإغريق أو مما وصل إلينا بطريقة مباشرة من الحوليات الديموطيقية، التي ألفت في الوجه البحري في القرن الثالث قبل الميلاد، وذلك من البيانات التي جاءت في كتابات «أفلاطون» و«هكاتة الأبدري»؛ وقد أظهر المؤرخ أدوردمير (Ed. Meyer, G. D. A. II, 2, P. 42–45) أن ما ذكره هذان المؤلفان لم يكن من تأليف الإغريق، بل نقل عن آراء مصرية بحتة. ويقول «أفلاطون» في هذا الصدد: لا ينبغي لأي ملك مصري أن يحكم بدون كهنته، ولكن إذا حدث أن واحدًا من طائفة أخرى قد نجح في ذلك بالقوة، فإنه يجب عليه بعد ذلك أن يدخل في هذه الطائفة بالتضحية (راجع .Politikos, 290 d, e).

وقد قدم لنا «هكاتة الأبدري» صورة موجزة عن المملكة الإلهية المصرية (راجع Diodoros I, 70-71)، فاستمع لما يقول: ومن ثم كانت أولًا حياة الملوك المصريين التي يعيشونها ليست مثل حياة الناس الآخرين، الذين يتمتعون بسلطان أرستقراطي فيفعلون في كل الأمور ما

يرغبون فيه تمامًا دون أن يحاسبوا عما يفعلون، بل كانت كل أعمالهم مرتبة حسب تعاليم وضعت في قوانين، ولم يكن ذلك قاصرًا على أعمالهم الإدارية وحسب، بل كذلك الأعمال الخاصة بالسبل التي يصرفون فيها وقتهم من يوم ليوم، وكذلك بالطعام الذي يأكلونه. أما فيما يتعلق بمسألة خدمهم مثلًا، فلم يكن واحد منهم يعتبر خادمًا كالذين حصل عليهم بالشراء، أو ولدوا هكذا في البيت، بل كانوا كلهم من أولاد أعظم الكهنة شهرة، وكان عمر الواحد منهم يتجاوز الواحدة والعشرين سنة، كما كانوا من أحسن أقرانهم المواطنين تعلمًا؛ وهذا لأجل أن يستحوذ الملك على أشرف الناس للعناية بشخصه؛ وليرافقوه نهارًا وليلًا، وبذلك لا يزاول أعمالًا خسيسة؛ وذلك لأن أي حاكم كان لا يسير قدمًا على طريق الشر إلا إذا كان حوله هؤلاء الذين يخدمون شهواته. وكانت ساعات كل من النهار والليل قد وضعت على حسب برنامج. وفي ساعات معينة كان لزامًا على الملك أن يفعل ما سنه القانون، وما كان يعتقد أنه أحسن شيء، فمثلًا في الصباح بمجرد استيقاظه من النوم كان عليه أن يتسلم أولًا الرسائل التي أرسلت من كل النواحي، والغرض من ذلك أن يكون قادرًا على أن ينهي كل الأعمال الإدارية ويتمم كل عمل بعناية، وبذلك يكون قد أخبر بدقة عن كل شيء يعمل في كل أنحاء مملكته، ثم بعد أن يكون قد استحم وارتدى الملابس الفاخرة، وتحلى بشارة وظيفته (أي: شارة الملك) كان عليه أن يضحي قربانًا للآلهة.

وعندما كانت الضحايا تحضر إلى المذبح كانت العادة أن يقف الكاهن الأكبر بجوار الملك، وتحيط به عامة الشعب، ويصلون بصوت عالٍ ليمنح الملك والصحة وكل الأشياء الطيبة الأخرى، هذا إذا كان يحافظ على العدالة نحو رعاياه، وكذلك كان يعترف علنًا بكل فضيلة يتحلى بها الملك، فكان الكاهن يقول: إنه كان يتصرف بتقوى نحو الآلهة وبمنتهى الشفقة نحو الناس؛ وذلك لأنه كان ضابطًا لنفسه وعادلًا وكريمًا وصادقًا وجوادًا بأملاكه؛ وبالاختصار كان

مسيطرًا على كل رغبة في نفسه، وأنه عاقب الجرائم بأقل شدة مما تستحق، وقدم للمحسنين إليه اعترافًا بالجميل أكثر من إحسانهم إليه.

وبعد أن يتلو أكثر من ذلك بكثير بنفس النغمة كان ينهي صلاته بلعنة على الأشياء، التي ارتكبت خطأ معفيًا الملك من كل لوم بالنسبة لها، وسائلًا أن تقع كل العواقب السيئة والعقاب على الذين خدموه وعلموه أشياء آثمة. وكان يفعل كل ذلك ليرشد الملك إلى مخافة الآلهة، ويعيش عيشة رضية من جهة، ومن جهة أخرى ليعوده على سلوك صراط مستقيم، لا بالتحذيرات بل بوساطة المدائح اللطيفة، والتي تكون أحسن معين على الفضيلة.

وبعد ذلك عندما يكون الملك قد أدى العيافة من أحشاء عجل ووجد أن الفأل حسن، كان الكاتب المقدس يقرأ بعض النصائح التهذيبية وأعمال أشهر رجالهم، وذلك ليتأمل الذي كان يقبض على القيادة العليا في عقله أميز المبادئ العامة، ثم يتجه نحو الإدارة التي وضعت للوظائف الشتى؛ وذلك لأنه كان هناك وقت معين لا لعقد المجالس والنطق بالأحكام وحسب، بل كذلك للقيام بالنزهة وبالاستحمام وبالنوم مع زوجه، وبالاختصار للقيام بكل عمل من أعمال حياته.

وقد كانت عادة الملوك أن يتناولوا طعامًا خفيفًا، فلم يكن يأكل لحمًا إلا لحم البقر والبط، ولا يشرب إلا مقدارًا معينًا من النبيذ يقصر عن أن يجعلهم مكتظين أكثر من اللازم أو في حالة سكر. وبوجه عام كان الطعام يطلب بدرجة من التقشف، حتى ليبدو أنه كان قد عين لا بوساطة مشرع، بل بوساطة أمهر الأطباء مراعين في ذلك فقط صحتهم، وقد يظهر غريبًا أن الملك لم يكن في يده كل زمام طعامه اليومي، غير أنه مما يلفت النظر أكثر من ذلك هو أن الملوك لم يكن مسموحًا لهم أن يعطوا أي قرار قضائي أو يتمموا أي عمل خبط عشواء، أو يعاقبوا أي شخص لحقد في نفسهم أو وهم في حالة غضب، أو لأي سبب غير عادل، بل فقط على حسب القوانين الموضوعة بالنسبة لكل جريمة، وذلك باتباع ما تمليه العادة في هذه الأمور، ما داموا

بعيدين عن الغضب أو لا يحملون ضغينة في نفوسهم، فإنهم على العكس كانوا فعلًا يظهرون بأنهم متمسكين بالسير في طريق أسعد حياة؛ وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن كل الناس الآخرين بسيرهم دون روية وبشهواتهم الطبعية كانوا يرتبكون أعمالًا كثيرة تجلب عليهم الأضرار والأخطار، وفي كثير من الأوقات نجد أن بعض الذين يدركون أنهم على شفا ارتكاب جريمة كانوا يقومون بأعمال دنيئة، عندما يتغلب عليهم الحب أو الكره أو أية عاطفة أخرى، في حين أنهم من جهة أخرى — بفضل ما اكتسبوه من طريقة حياه انتخبوها لأنفسهم دون غيرها جميعًا بوساطة احترام الناس — كانوا يسقطون في أقل الأخطاء. ولما كان الملك يتبع مثل هذه الطريقة الحقة في معاملة رعاياه، فإن الشعب كان يظهر حسن نية نحو حكامه كانت تفوق حتى حبهم لأقاربهم؛ وذلك لأنه لم تكن طائفة الكهنة بل كل سكان مصر أقل اهتمامًا بسلامة ملوكهم عن اهتمامهم بسلامة أزواجهم وأطفالهم، وكل ما لديهم من متاع عزيز.

وعلى ذلك فإنه في خلال معظم الوقت الذي أمضاه الملوك الذين نعرفهم في الحكم، نجد أنهم قد حافظوا على حكم مدني منظم، واستمروا يتمتعون بأرغد حياة سعيدة ما دام نظام القوانين الذي وصفناه كان متبعًا، وأكثر من ذلك فإنهم فتحوا شعوبًا أكثر وجمعوا ثروة أعظم من أي شعب آخر، وزينوا أراضيهم بالآثار والمباني التي لا يمكن أن تضارع، وكذلك زينوا مدنهم بهبات غالية من كل نوع.

فالواقع أن الملوك باتباعهم نصوص القانون بإخلاص قد أصبحوا محبوبين بين رعاياهم أكثر من أي صاحب سلطان في العالم، وفي ذلك يقول واضع الحوليات الديموطيقية: «افرح بالحاكم الذي سيأتي فإنه لن يحيد عن القانون.»

ومن ثم نجد أن طبقة الكهنة كانوا يرغبون في تلك الفترة التي آلت فيها البلاد إلى التدهور أن يحافظوا على كنوز التقاليد المصرية القديمة. على أن الكوشيين وإن كانوا يقطنون في مصر في

هذه الفترة من التاريخ المصري بوصفهم حكامًا أجانب، فإنهم لم يكونوا في نظر الكهنة المصريين يعدون لهذا السبب أجانب، كما أنهم لم يكونوا يشعرون من جهتهم بشيء من العداء، إذ لم تكن وطنيتهم في أصولها سياسية، بل كانت على حسب فكرة حاملها وشعوره سحرية دينية؛ وذلك لأن الأجانب الحقيقيين كانوا يعدون في نظرهم أنجاسًا مثل الخنازير ورعاتها ورعاة الغنم أيضًا. (راجع ما جاء في هردوت وفي التوراة (Herod. II, 47,)[٢] سفر التكوين الإصحاح ٤٦ سطر ٣٤)[٣] هذا ونعلم كذلك أن الملك «بيعنخي» الكوشي لم يسمح لبعض حكام مقاطعات الدلتا، الذين أرادوا تقديم فروض الطاعة والخضوع لحكمه، بالدخول عليه في بيته؛ لأنهم كانوا أنجاسًا من أَكَلَةِ السمك. هذا ونجد أن عددًا متزايدًا من الأجانب كانوا يختلطون بالمصريين من الذين كانوا في بادئ الأمر يحفظون تعاليم الشعائر المصرية، التي ذكر لنا منها «هردوت» جزءًا كبيرًا (راجع Herod. II, 37)،[٤] هذا وكان المصري يعاملهم بنفس الشعور المعادي، فمن ذلك ما جاء في التوراة (راجع سفر التكوين الإصحاح ٤٣ سطر ٣٢).[٥]

ومما يسترعي النظر في هذه الفترة من تاريخ البلاد المتأخر أن التزمُّت قد أخذ يظهر بصورة شديدة مستمرة، إذ نجد أن الآلهة الأجانب الذين أدخلوا في البلاد بالقوة قد اختفوا جملة، بل فضلًا عن ذلك نجد أن الإله المصري القديم «ست»، الذي ترجع عبادته لأقدم العصور قد عد إلها مجرمًا، وحذف اسمه من طائفة الآلهة (راجع Ed. Meyer, Gesch. Ag. P. 372, Erman, Die Religion der Agypter. P. 317-18; H. Kees, Der Gotterglauben im alten Agypten. P. 410–14).

على أن هذا الحذف لم يكن لأن «ست» كان قاتل أخيه الإله «أوزير» وحسب، بل كان قبل كل شيء؛ لأنه كان يعد من الآلهة الأجنبية.

ومن جهة أخرى نجد أنه في الميادين الثقافية قد عاد المصري ومن قبله الكوشي إلى إحياء التقاليد القديمة، التي كانت سائدة في عهد الدولتين القديمة والوسطى. والواقع أن هذه النهضة الجديدة التي بدأت في العهد الكوشي، كان الغرض منها إعادة المجد الزاهر لهذه الأزمان الغابرة إلى الحياة ثانية كما كانت تتمثل في نظره؛ فمنذ العهد الكوشي بدأت العودة إلى إحياء الفنون القديمة (راجع Scharff, Handbuch der Archeologie I, P. 612 ff)، وكذلك اللغة ونقوش اللغة المصرية القديمة وتقليدها، كما كانت عليه في أقدم نماذجها.

هذا وقد أخذ القوم في تعلم الصيغ الدينية والأدبية القديمة، وكذلك الألقاب العتيقة ونقلها برمتها واستعمالها حتى في غير موضعها أحيانًا، وبجانب ذلك شجعت عبادة الحكام العظام الذين قاموا بأدوار بارزة في عهد الدولة القديمة؛ ومما يلفت النظر أنه بجانب ذلك كان يجد الإنسان باستثناء أوائل الأسرة الثامنة عشرة، التي كانت مخلفاتها الفنية تُعد نموذجًا معترفًا به في شتى نواحي الثقافة، أن عهد الدولة الحديثة الذي كانت فيه مصر مخالفة لما كانت عليه في عهد الدولتين القديمة والوسطى على اتصال متبادل مع البلاد الأجنبية، ولم تدخل ثقافتها وفنونها في حساب عصر النهضة الذي نحن بصدده. وقد أراد بذلك رجال تلك النهضة تجاهل تطورات ألف السنة التي عاشتها الدولة الحديثة، على أن يجعلوا بداية نماذج نهضتهم ما كان سائدًا في البلاد من علوم وفنون قبل غزوة الهكسوس لمصر ونتائجها البعيدة على مصر؛ بسبب اتصالهم القوي بأهل هذه البلاد الأجنبية النجسين في نظرهم. على أنه قبل عهد النهضة هذا ببضع مئات السنين كان «رعمسيس» الثاني قد أصبح المثل اللامع للثقافة لمدة طويلة.

ولا نزاع في أن كل هذه الآراء جميعًا لم تكن في أصلها من وحي الكهنة وحدهم، إذ نجد في الحياة العامة نفسها أن سائر المصريين كذلك كانوا في مجموعهم روحانيين في العهد المتأخر، وتتغلب عليهم النزعة الدينية، وتتغلغل عقائدها في نفوسهم في تلك الأزمان المتأخرة. والأمثلة على ذلك كثيرة، وبخاصة عند عامة الشعب، فمن ذلك ما كان معروفًا عن الفلاحين في مصر

في العهد الروماني من تعصب ديني شديد مما كان يدعو إلى قيام مقاطعة على أخرى من أجل مسائل متعلقة بعقائدهم الدينية، التي نشئوا على اعتناقها، فكانت تراق بسببها الدماء وتشج من أجلها الرءوس (راجع cassius. Dio. 42. 34. 2. Plutarch. De Iside et Osiride. 72. Comp. Juvenal. Sat. XV. 33/38.).

ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى أن سلطان الكاهن الروحي وحده على الشعب في تلك الفترة، كان لا حد له تقريبًا، ولكن نجد كذلك من الوجهة المادية المحضة أن المعابد، وما كان لها من ممتلكات ضخمة من عقار ورجال وحيوان ومعادن ثمينة وغير ذلك من عرض الدنيا، تمثل قوة لا يستهان بها بجانب السلطة الروحية.

وقد كان الملك «بسمتيك الأول» وأخلافه من ملوك الأسرة الساوية مضطرين الخضوع للإجراءات التي كانت تتنافى مع سياستهم، ولكنها تعتبر في رأي الكهنة المثل العليا، فنجد أن ملوك «سايس» مثلًا كانوا على علاقات ود ومصافاة في سياساتهم الاقتصادية مع الدول العظمى الأجنبية؛ يضاف إلى ذلك أن فراعنة مصر وقتئذ، كانوا يجلبون الأجانب المبغضين بأنفسهم إلى البلاد على الرغم من أن الشعب كان يمقتهم جملة. والواقع أن ذلك لم يكن عنادًا من جانب فراعنة مصر؛ بل لأن الأحوال السياسية كانت تقتضي ذلك، غير أن الكهنة المتعصبين على الأجانب، وكل ما هو أجنبي لم يكن في مقدورهم أن يفهموا مرامي هذه السياسة، وبخاصة الحربية منها التي كان لا بد من اتباعها لصون البلاد، وحفظ كيانها بالنسبة للعالم الخارجي. وقد كان الملوك الساويون مضطرين في معظم الأحيان إلى التزام الصمت والصبر محافظة على مركزهم الذي يهدده الكهنة الذين يؤازرهم الشعب بوجه عام.

ومن أجل ذلك عمل الفراعنة في تلك الفترة كل ما في وسعهم لاكتساب رضى الكهنة، ومؤازرتهم لهم في إجراءاتهم التي كان لا بد منها لحفظ كيان البلاد؛ فكانت طلبات الكهنة من

أجل ذلك موضع عناية تامة، كما كانت كل أوامرهم تعضد عندما لم يكن في تنفيذها شيء يمس كيان الدولة، أو يسبب لها خطرًا، فلم يكن هناك مثلًا معارضة من جانب الحكومة في الرجوع إلى تقليد وإحياء الأوضاع القديمة، من حيث الكتابة المصرية القديمة والأعمال الفنية الرفيعة، والتحلي بالألقاب العتيقة وإحياؤها من جديد. والواقع أن مثل هذه الطلبات التي كانت تطلب من الحكومة لا تعد إلا ظواهر ليس لها فائدة مباشرة.

على أن أول عمل محس تمثل لنا في سياسة الملوك الساويين هو ما أقاموه من معابد، وما نفذوه من إصلاحات عدة فيما تهدم من مباني أسلافهم التي أصبحت أثرًا بعد عين، وبخاصة ما قاموا به من إصلاحات في أهرامات ومقابر الملوك القدامى، ولا يفوتنا من هذه الناحية أن نذكر ما قام به «بسمتيك» الأول بالنسبة للحكومة الإلهية في طيبة التي كانت مستقلة تقريبًا، فقد كان لما قام به من تفاهم سياسي مع كوش والأمير «منتومحات» أمير طيبة أهمية بعيدة المدى، إذ الواقع أن ذلك قد أدى إلى حل مسألة عويصة كانت تقف في سبيل وحدة البلاد، فقد ضم بما أوتي من حكمة وسياسة عالية حكومة مملكة آمون، التي كانت تتمثل في إقليم «طيبة» إلى مملكته في الوجه البحري، وقد تم ذلك دون أن يعتدى على استقلال حكومة آمون أو بعبارة أخرى حكومة الكهنة. وقد أسهبنا القول في ذلك عند التحدث عن «بسمتيك الأول» وسياسته.

وقد اقتفى أخلاف الفرعون سياسته في هذا الصدد. فعندما بلغت «نيتوكريس» من العمر أرذله بعث «بسمتيك الثاني» في السنة الأولى من حكمه؛ أي في ١٣ ديسمبر سنة ٥٩٤ق.م صغرى بناته المسماة «عنخنس نفر اب رع»، وهي التي تبنتها نيتوكريس؛ لتكون في منصب زوج الإله، وكاهنة كبرى في طيبة بعد موت الأخيرة؛ وقد أرسلها فعلًا إلى طيبة استعدادًا لتولي هذا المنصب. ولما توفيت «نيتوكريس» في ١٥ ديسمبر سنة ٥٨٥ تسلمت زمام الحكم، وبذلك نرى أن إحدى أميرات البيت الساوي قد أخذت من جديد أعلى وظيفة روحية في طيبة، يضاف إلى ذلك إلى أن أحمس الثاني الذي كان يعد مغتصبًا للملك قد أنزلها مكانة سامية جدًّا لدرجة القول

بأنه تزوجها ليجعل شرعيته لحكم مصر مقبولة. والواقع أن هذا الزعم مكذوب من أساسه، وليس في المصادر التي في متناولنا ما يثبت ذلك أبدًا. وقد تحدثنا عن ذلك من قبل (راجع كذلك Gauthier, L. R. IV. P. 102 Note 2; Sander-Hansen, Die religiosen Texte Aus dem Sarg der Anch-nes-neferib-Re, Kopenhagen 1937 P. 2).

ومما يلفت النظر أنه في منظر بمعبد الكرنك قد ظهر الفرعون، ومعه زوج الإله آمون بحجم واحد جنبًا لجنب، مما يدل على مكانة هذه المتعبدة الإلهية أو زوج الإله. وقد كان هذا المنظر هو الأساس في القول: إن «أحمس الثاني» قد تزوج من عنخنس-نفر-اب-رع. وقد عاشت هذه الزوجة الإلهية حتى عهد بسمتيك الثالث، يدل على ذلك أنه في معبد «أوزير بامرس» بالكرنك نجد طغراءَيْ كل من بسمتيك الثالث والزوجة الإلهية عنخنس-نفر-اب-رع جنبًا غلى جنب. وعلى الرغم من أن بسمتيك الثالث لم يحكم أكثر من ستة أشهر، فإنه قد وجد الوقت قبل دخول الغزاة الفرس في البلاد المصرية كافيًا لإقامة مبان تخلد ذكراه (راجع A. S. 6 (1905) P. 130–133) هذا وإذا وازنا معابد الوجه البحري بمعابد الوجه القبلي، وجدنا أن الأولى تفوق الثانية وتحتل مكانة بارزة عالية (راجع Kees, zur Innepolitik der Saiten, Nachrichten der Ges. der Wissensch. zu Gottingen (1935) P. 102; Kees, Kulturgeschichte P. 258.)، وذلك لأن الأسرة الساوية قد نشأت في الوجه البحري، ولا بد أن نفهم قبل كل شيء أن الدلتا كانت المهد الرئيسي للسياسة الخارجية والداخلية في مصر، فقد كان فيها مقر الملك كما كانت تعسكر فيها الحاميات الرئيسية، وإليها كان يفد كذلك الأجانب من كل حَدَب وصَوْب.

أما الوجه القبلي فكان في نظر ملوك سايس بمثابة إقليم إضافي لموطنهم الأصلي الوجه البحري، ولم يكن الصعيد يحتوي إلا على بعض بلاد ذات أهمية كبيرة مثل «طيبة» و«العرابة المدفونة»

المقدسة عند المصريين منذ أقدم العهود التاريخية.

هذا وكانت المعابد والعناية بها تعد من الأمور السياسية الداخلية، ومن ثم كان الاهتمام بها من الموضوعات الهامة الجديدة التي عُنيت بها الحكومة بصورة جدية. والواقع أن الأمر لم يكن قاصرًا على إقامة المعابد التي كانت تكلف الدولة مبالغ باهظة بل الأمر تخطى ذلك بكثير، وذلك أن الحكومة كانت في الوقت الذي تقوم فيه ببناء معابد جديدة ملزمة بإصلاح المعابد التي أصابها البلى، وأكثر من كل ذلك ما كان يجب أن يحبس على هذه المعابد من أراضٍ ورجال وحيوان ومحاصيل زراعية، وغير ذلك من خيرات البلاد التي كانت لازمة لها لتجعلها صالحة لإقامة الشعائر فيها. وقد ضربنا الأمثلة لذلك فيما سبق. حقًا كان الملوك الساويون في كثير من الأحوال يتعدون الحدود القانونية، ويستولون من الأهالي على عقارات ويقدمونها للمعابد. فمن ذلك ما حدث مع «نسحور» قائد قلعة الفنتين الذي جاء ذكره كثيرًا فيما سبق، فقد أهدى هذا القائد في العام الرابع من حكم الفرعون «إبريز» ٥٨٥ق.م ضيعة عظيمة من أرض المقاطعة العاشرة من مقاطعات الوجه القبلي، وكان الفرعون قد وهبها إياه من قبل، لمعبد كبش منديس، وكانت هذه الهبة قد جاءت على حسب اقتراح من الفرعون نفسه، ومن ثم نفهم أن «نسحور» كان له معاش يعيش منه في شيخوخته، وكانت هذه عادة أو سنة يسير على مقتضاها الضباط والموظفون (راجع H. Kees, zur Innepolitik der Saitendynastie NGGW 1935, P. 95-96 and, P. 101-102; A. Z. 72, 1936 P. 40–52) في تلك الفترة من حكم البلاد.

هذا وقد تحدثنا فيما سبق عن الموظف الإداري العظيم المسمى «بفنفدنيت»، الذي كان مديرًا للخزانة والطبيب الأول للفرعون، فقد انتزع كذلك إيرادات دخل إحدى الإقطاعيات التي كانت تأتي إليه من الصحراء، أو بعبارة أخرى كانت ضريبة تدفع على تجارة القوافل والواحات، وكذلك ضريبة أخرى كانت تدفع على عبور النهر عند «طينة»، وقد أوقف كل ذلك على معبد

«أوزير». ولكن على الرغم من وقوع مثل هذه الحالات الفردية فإن الأوقاف التي كانت تحبس على المعابد قد وصلت قيمتها إلى مبالغ باهظة.

والواقع أننا في موقف سعيد من هذه الناحية من حيث المصادر إذ لدينا بيان حسابي يفسر لنا هذا الموقف. فقد جاء في بردية الحوليات الديموطيقية[٦] الشهيرة التي يرجع تاريخها للعهد الفارسي، ما كانت تورده الحكومة من فضة وماشية وطيور وغلال وغير ذلك، مما كانت تحتاج إليه المعابد في عهد الملك أحمس الثاني. وقد اشتمل هذا البيان مجموعًا ختاميًّا بقيمة هذه الواردات من الذهب، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن قراءته غير مؤكدة بصورة قاطعة. ويرى المؤرخ «أدوردمير» أن هذا المبلغ يساوي ما قيمته حوالي سبعة ملايين من المركات (المارك يساوي ثمانية قروش). ويلفت النظر هنا بصورة خاصة أن الدولة الفارسية في هذه الفترة كانت تتقاضى من كل شطربنيها (المديرية) السادسة؛ أي مصر منضمًّا إليها الواحات اللوبية و«سيريني» (هذا بصرف النظر عن دخل مصايد الأسماك في بحيرة «موريس» والغلال التي كانت تورد للجنود)، ما يعادل سبعمائة «تلنتا» بصفة ضرائب. وهذا يساوي خمسة ملايين من المركات (راجع Herod. III, 91, Ed. Meyer, G. D. A. IV, I, P. 150)، ولا نزاع في أن هذه الموازنة تظهر لنا بصورة واضحة ما كان يقدمه الملوك الساويون للمعابد المصرية في زمنهم. والواقع أن ما كان يقدمه فراعنة هذا العصر كان ضروريًّا ولا بد منه. وسنتحدث عن ذلك كثيرًا فيما بعد وكذلك عن النتائج التي أحدثتها هذه الهبات في الحكومات التي جاءت بعد، وهي بلا نزاع لها أهمية مادية مرتبطة بالمعابد.

وأخيرًا يجوز لنا أن نذكر مع شيء من الحيطة والحذر أمرًا آخر يستحق الالتفات، وهو: أننا إذا قرنا المباني التي أقامها كل فرعون ساوي على حدة بالتي لا تزال آثارها باقية حتى الآن أعطانا ذلك الصورة التالية: نجد أولًا أن بسمتيك الأول و«نيكاو» الثاني بالنسبة لمدة حكميهما، وهي على التوالي ٥٤ سنة للأول و١٦ سنة للثاني لم يبقَ منها إلا القليل، ولكن نجد من جهة أخرى

أنه في النصف الثاني من عهد الملوك الساويين، أن الآثار التي ظلت باقية حتى الآن أكثر مما بقي في النصف الأول من حكم هذه الأسرة، وبخاصة منذ عهد «بسمتيك الثاني»، على الرغم من أنه لم يحكم أكثر من ست سنوات. حقًّا كانت توجد مبانٍ عديدة أقيمت في هذه الفترة ذات أهمية خاصة في الدلتا كانت حالتها السيئة تتطلب سرعة إصلاحها، وهذه قد زالت من الوجود ولم يبقَ منها شيء يذكر مثل المباني التي أقامها بسمتيك الأول في «منف»، وهي التي قد تحدث عنها «هردوت» (راجع Herod, II, 153)، وعلى أية حال فإن هذا الوضع ينطبق على كل العصر الساوي، إذ نجد كذلك أن مباني أحمس الثاني في عاصمتي الملك «سايس» و«منف» (راجع Herod. II, 1751, 176) قد حاق بهما نفس المصير. وقد كانت «سايس» البلدة الملكية التي أقيم فيها مدافن الأسرة المالكة، ومع ذلك ظهرت «منف»[٧] أنها كانت صاحبة المكانة الأولى في إدارة البلاد (راجع Griffith, Dem. Pap. Rylands Libr. III, P. 7, 79, A. 4, 97 A. 2, 184).

فهل مما سبق يا ترى يفهم الإنسان من تلك الظاهرة أنها مجرد صدفة؟ أو أنه من الممكن أن الكهنة في الجزء الأخير من العهد الساوي قد حصلوا على امتيازات، وتنازلات كبيرة من الملوك لمد نفوذهم؟ وبهذه المناسبة لا بد أن نذكر مرة أخرى السياحة التي قام بها «بسمتيك الثاني» إلى بلاد فنيقيا، وهي في الواقع غريبة في بابها إذا لم يكن سببها حربيًّا، فإنها يمكن أن تشير هنا إلى أنها كانت بوجه خاص قد حدثت بتأثير قوي من الكهنة وعظم نفوذهم في داخل البلاد وخارجها. ولا ريب في أن حصر «أحمس الثاني» الإغريق الأجانب في بلد «نقراش»، وعدم السماح لهم بالسكنى في أي بقعة أخرى من الأراضي المصرية كان سببه مراعاة شعور رجال الدين الذين كانوا يمقتون الأجانب من أعماق قلوبهم، على الرغم من أنهم قد أفادوا مصر من الناحية الحربية والتجارية … وفي نهاية حكم «أحمس الثاني» انقطع أمامنا حبل تطورات الأحوال؛ بسبب الفتح الفارسي الذي داهم البلاد عام ٥٢٥ق.م، وبذلك ختم عهد النهضة المصرية الأخيرة،

التي كانت ولا تزال تعد من أمجد عصور مصر وأكثرها ازدهارًا في كل ميادين الثقافة والفن والحرب.

---

[١] راجع: Agatharchides (E. Schwartz, Diodoros, R. E. V. I, 1903, P. 673); Diodor. III, 6 t. 3; Comp. Stele der Konigswahl Urk. III, P. 81–100 etc.

[٢] عد المصري الخنزير حيوانًا نجسًا، وعلى ذلك إذا لمسه إنسان أثناء مروره حتى بملابسه، فإن عليه أن يذهب إلى النهر ويغطس فيه، ومن جهة أخرى فإن رعاة الخنازير على الرغم من أنهم مواطنون مصريون كانوا هم الصنف الوحيد من الناس، الذين لا يسمح له أن يدخل أي معبد من معابدهم، كما أنه محرم على أي رجل أن يزوج ابنته لواحد منهم أو يأخذ لنفسه زوجة منهم، بل كان رعاة الخنازير يتزوجون فيما بينهم، وعلى ذلك كان يظن المصري أنه ليس من الصواب تضحية خنزير لأي من آلهتهم ... إلخ.

[٣] أن تقولوا: عبيدك أهل مواشٍ منذ صبانا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعًا؛ لكي تسكنوا في أرض جاسان؛ لأن كل راعي غنم رجس للمصريين.

[٤] كان المصريون من بين كل العالم، أكثر الناس انتباهًا بدرجة فائقة لعبادة الآلهة، وكانوا يحافظون على مراعاة الشعائر التالية، وكانوا يشربون من كئوس من نحاس أصفر يجلونها كل يوم، على أن هذه العادة لم تكن متبعة عند بعض الناس، ومهملة عند آخرين، بل كان الكل يمارسها، وكانوا يلبسون ملابس كتان تغسل دائمًا من جديد، وكانوا يهتمون بذلك اهتمامًا خاصًّا، وكانوا يختتنون من أجل النظافة إذ كانوا يظنون أن الأفضل لهم أن يكونوا نظيفين، وأن

علاقات مصر بالبلاد المجاورة

علاقة مصر بالواحات في الأسرة السادسة والعشرين

كانت الواحات ضمن أملاك الدولة المصرية في عهد الأسرة الثانية والعشرين، كما أوضحنا ذلك في الجزء التاسع من هذه الموسوعة. غير أن سلطانها كان قد ضعف بسبب ما حل بمصر من تفكك وانحلال في عهد أواخر الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين، وأوائل الخامسة والعشرين، وكانت هذه الأسرات كلها تحكم سويًّا في مصر في آن واحد، ولا غرابة في ذلك فقد كانت البلاد في الواقع في هذه الفترة مقسمة عدة دويلات صغيرة وصلت في خلالها إلى أكثر من ثماني عشرة دويلة، وبخاصة في الدلتا.

ولقد كشف لنا عن هذه الحالة المفزعة من الانقسام ما جاء على لوحة الملك «بيعنخي» الكوشي.[١] حقًّا ورد في نقوش الأسرة الخامسة والعشرين ما يدل على نفوذ ملوك كوش على هذه الواحات، بعد استقرار سلطانهم على البلاد ولَمِّ شملها، غير أنه لم تصل إلينا نقوش بارزة في هذا الصدد،[٢] وكل ما عثر عليه من عهد الأسرة الخامسة والعشرين بعض قطع من مقصورة أقامها الملك «تهرقا» في الواحة، وقد استعمل الأهالي هذه الأحجار في مبانيهم الحديثة، ولا يبعد أن هناك آثارًا كثيرة له لم يكشف عنها بعد، وبخاصة أن «تهرقا» قد أشار إلى ثراء الواحات في نقوشه التي تركها لنا.

أما في عهد الأسرة السادسة والعشرين، فقد كان هناك اتصال وثيق بين مصر والواحات، وبخاصة في الواحتين البحرية وسيوة. وترجع هذه العلاقات إلى أزمان سحيقة في القدم في عهد الملكين «إبريز» و«أحمس الثاني»؛ وقد كان عهد الأخير يعد عصرًا ذهبيًّا بالنسبة للواحات.[٣]

وقد تحدثنا فيما سبق عن الحروب التي قامت بين «إبريز» بقيادة «أحمس»، الذي اغتصب الملك منه فيما بعد وبين المستعمرة الإغريقية التي كانت قائمة في عهده في بلاد لوبيا

(سيريني)، وقد كان من جراء ذلك أن هزم الجيش المصري للأسباب التي ذكرناها فيما سبق، وتولى بعد ذلك «أحمس» عرش الملك بعد أن خلع سيده «إبريز». وقد كانت الواحات آخذة في التقدم فعلًا في عهد الملك «إبريز»، إذ كانت العلاقات بينها وبين مصر آخذة في الظهور بصورة محسة، فقد أقيم في عهده معبد[٤] لا تزال بقاياه موجودة.

وقد كان «أحمس» الثاني بعد توليه الملك على تمام الأهبة، والحيطة في أن تكون علاقته مع الواحات وطيدة سليمة، وأن يكون هو المسيطر عليها؛ لأنها كانت المفتاح الخارجي لمصر، وبخاصة طرق القوافل المؤدية إلى بلاد النوبة والسودان، ومن أجل ذلك عمل على أن تكون هذه النقط الاستراتيجية والتجارية في الصحراء تابعة له، وسعى في أن يوليها عنايته، ويعمل على بث الأمن والثراء في أرجائها، وعلى إقامة المعاقل لصد أي عدوان من جيرانه الذين كانوا في غربيها. وسنحاول فيما يلي أن نظهر إلى أي حد حقق كل هذه الأغراض.

ففي واحة «سيوة» التي تعد أقرب محط خارجي لبلاد «لوبيا» أقام «أحمس الثاني» حصنًا على صخرة كان من الصعب مهاجمته، كما أقام في داخل هذا المعقل معبدًا، غير أنه لم توجد فيه نقوش إلا في حجرة واحدة، وقد وجد فيه طغراء مهشمة بعض الشيء نسبها الأستاذ «ستيندروف» إلى الملك «أكوريس» أحد ملوك الأسرة الثلاثين، غير أن الأستاذ «أحمد فخري» يقول: إنها للملك «أحمس».[٥] وهذا المعبد قد أقامه مدير البلاد الأجنبية المسمى «ستخارديس»، الذي مثل على أحد جدران هذا المعبد، وهو يضع ريشة في شعره وهي العلامة المميزة للوبيين. وعلى مدى الأيام أصبح كهنة معبد «سيوة» على شهرة عظيمة بسبب وحي الإله «آمون» المعروف.

وكذلك نالت كل من الواحة الداخلة والخارجة قسطًا من عناية الملك «أحمس»، غير أن آثارهما لم تفحص بعد بصورة تمكننا من إثبات الأعمال التي قام بها هذا الفرعون في هاتين الجهتين،

وعلى أية حال فإن معبد «هيبيس» الكبير الواقع في الواحة الخارجة قد بدئ العمل فيه في عهد الأسرة السادسة والعشرين، ومن المحتمل أن ذلك كان في عهد «أحمس الثاني»، ومهما يكن من أمر فإن نقوش هذا المعبد لم يكن قد تم العمل فيها قبل العهد الفارسي؛ وذلك لأن اسم الملك «دارا» يشاهد على جدرانه.[٦]

هذا ونجد أن الواحات الأخرى قد أخذت في أسباب الثراء، ولا أدل على ذلك من أن بعض السكان أخذوا في إقامة مقابر فيها تضارع التي كانت تقام في مدن وادي النيل نفسه، ففي «الواحة البحرية» عثر على أربع مقابر يرجع عهدها إلى الأسرة السادسة والعشرين كان أصحابها من الذين يشغلون مكانةً عليا في الواحة، ونعلم أنه كان منهما اثنان يشغلان وظيفة كاهن وهم: (١) «بدعشتر» الكاهن الأكبر للإلهين «خنسو» و«حور»، (٢) «باتي»، وهو كاهن «خنسو» وحاجب «آمون»، وقد كان حفيد الكاهن «بدعشتر» و(٣) «زد أمنوف عنخ»، وقبره بالقرب من «قعرت قصر سليم» شرقي «البويطي»، وأخيرًا (٤) قبر «بانانتيو» ويقع غربي الأخير.

هذا وتدل النقوش المكشوفة في هذه الجهة على أن الكاهن الثاني المسمى «زدخنسوف عنخ» قد أصبح كاهن معابد الواحة البحرية وحاكمها؛ وقد أقام فيها معبدين عظيمين باسم «أحمس الثاني»، وكان هذا الحاكم من الثراء بحيث أقام لنفسه هناك تماثيل كبيرة من المرمر، وقد عثر على اثنين منهما، وكذلك أقام عدة مقاصير في الواحة البحرية على مقربة من عين «المفتلا». وقد كشف عن أربع منها. وقد أقيمت هذه المقاصير من الحجر واللبنات ونقشت جدرانها وزينت بالألوان، ويشاهد عليها مناظر كثيرة يرى فيها «أحمس» يتبعه حاكم الواحة البحرية الموالي له، كما تشاهد عدة آلهة من الذين كانوا يعبدون هناك، ومما يؤسف له جد الأسف أن قبر هذا الحاكم العظيم لم يعثر عليه بعد، ولكن من جهة أخرى كشف عن مقابر ثلاثة من أقربائه عثر عليهم الدكتور «أحمد فخري».

وهذه المقابر تدل على ما كانت تتمتع به هذه الأسرة من ثروة عظيمة حتى قبل عهد الملك «أحمس الثاني»، إذ في الواقع يرجع إقامة بعضها إلى عهد الملك «إبريز».

(١) المباني الدينية التي أقيمت في عهد «أحمس الثاني»

(١-١) مقاصير «عين المفتلا»

من أهم المباني الدينية التي يرجع عهد إقامتها إلى عصر الملك «أحمس الثاني» المقاصير التي كشف عنها في «عين المفتلا». وهذا الكشل يبشر في الواقع بوجود آثار كثيرة في تلك الجهة في المستقبل، فقد كشف الأثري «ستيندورف» عن جدار منقوش في عام ١٩٠٠م، ثم كشف بعده الأثري «أحمد فخري» عن بقية جدران المبنى وهي مقصورة، ثم تابع أعمال الحفر حتى كشف عن ثلاث مقاصير أخرى بالقرب من الأولى، وكل هذه المقاصير يرجع عهدها إلى الأسرة السادسة والعشرين. وكان قد أقامها كلها الكاهن الثاني «لآمون» المسمى «زدخنسوف عنخ» وأسرته. ويتضح من فحص تصميم هذه المقاصير أنها كانت جزءًا من مبنى واحد عظيم لا يزال مدفونًا تحت الأرض. وتدل شواهد الأحوال على أن جوار «عين المفتلا» كان مركز العاصمة أو جزءًا منها.

وتقع المقاصير على مسافة قريبة من قرية «القصر» الحالية، ويلحظ هنا أن كل المقاصير الأربعة مقامة من قطع من الحجر واللبنات. والمقاصير الثلاث الأُوَل مبنية جدرانها بالحجر، وكانت نقوشها الغائرة ملونة، أما الرابعة فمبنية باللبنات. ومما يؤسف له أن أحجار هذه المقاصير قد نزعت منها، واستعملت في أغراض أخرى على يد الأهالي:

المقصورة الأولى: هذه المقصورة أكبر المقاصير الأربع حجمًا، وتحتوي على قاعتين وحجرتين صغيرتين خاليتين من النقوش، ويلاحظ أن الفرعون «أمسيس» قد مثل على واجهة المقصورة

في حضرة الإله «حرسفيس» (حرشف)، وفي الجهة الأخرى من الواجهة مثل الملك يقدم قربانًا لحور الذي مثل برأس صقر.

وفي القاعة الأولى يشاهد الحاكم «شن خنسو» يتبع سيده «أحمس»، وكلاهما يقدمان قربانًا لثلاثة عشر إلهًا، ممثلة على الجدار الشمالي، ويشاهد الملك في أقصى الجدار الغربي يقدم للآلهة، ويحمل على يده طبقًا عليه أربعة رغفان، كما يوجد أمامه مائدة قربان محملة بالمواد الغذائية. والآلهة الذين يقدم لهم هم: (١) الإله «ماحسا» برأس أسد. (٢) الإلهة «باست». (٣) الإله «آمون». (٤) الإلهة «موت» (وتُسمى عين رع). (٥) الإله «خنسو». (٦) الإله «حرسفيس» برأس كبش عليه قرص الشمس. (٧) الإلهة «حتحور» سيدة الأرضين. (٨) الإله «تحوت» نزيل الواحة البحرية. (٩) الإلهة «نحم عاوا»، وهي زوج «تحوت». (١٠) الإله «آمون» الذي ينير «طيبة» والإله العظيم نزيل الواحة البحرية. (١١) الإلهة «موت» سيدة الأرضين. (١٢) الإله «أنوبيس» المشرف على مقصورته ورب السماء. (١٣) الإلهة «أزيس» الأم العظيمة المقدسة.

وأهم منظر في القاعة الثانية يشاهد على الجدار الغربي، وقد مثل فيه الملك يقدم القربان لثمانية آلهة وهم: «أوزير». (٢) «أزيس»، (٣) «نفتيس»، (٤) «حور»، (٥) الإلهة «سشات» إلهة الكتابة، وقد لقبت هنا سيدة الأرضين، (٦) الإلهة «تحوت» نزيل الواحة البحرية، (٧) الإلهة «نحم عاوا» زوج «تحوت»، (٨) الإله «حا» صاحب الغرب (إله الصحراء وهو خاص بهذه الجهة).

المقصورة الثانية: وتعتبر أصغر المقاصير الأربع. ويشاهد على واجهتها الملك «أمسيس» يقدم قربانًا لإله في صورة إنسان وبرأس صقر. هذا ويشاهد في الصف الأسفل من الواجهة الإله «أوزير» قاعدًا، وأمامه باني المقصورة وهو «زدخنسوف-عنخ» يصلي، وقد نقش أمامه وفوقه ثمانية أسطر عمودية جاء فيها ألقابه، وهي: إن الخادم الممتاز لدى سيده، والأمير الوراثي،

وحاكم الواحة، ومثبت العين السليمة، والكاهن الثاني، والكاهن الثالث، وكاهن الإلهة «موت»، وكاهن «خنسو»، وكاهن «خنسو الطفل» (؟) وكاهن «منتو»، ومربي «خنسو الطفل»، وكاتب المعبد الكبير في نوبته الشهرية، وكاهن «أوزير»، وكاهن الإله «سكر فكا»، وكاهن «أزيس»، وكاهن «حور» وكاهن «مين»، مربي «حوربوخراد»، وكاهن «أوزير» وكاهن «أوزير حب»، وكاهن «آمون» ملك الأرضين نزيل الواحة، وكاهن «حتحور»، قد أحضر إلى المحصول: «زدخنسوف عنخ» ابن الأمير الوراثي حاكم الواحات مثبت (العين السليمه) «بديسي» بن «بد آمون» بن «حور حب خنو» بن «ون حر عنخ وننفر» بن «ون حر» المشرف على خزانة بيت «آمون»، والأمير الوراثي حاكم الواحة «شبن خنسو».

وكذلك يشاهد في الصف الأعلى من الجدار الشرقي مناظر دينية متعلقة بالمناظر، التي على هذا الجدار من الخلف، وأهم ما يلفت النظر فيها هو ما نشاهده على الجدار الخلفي، وهو صورة كبيرة للإله «أوزير» محنطًا ونائمًا على أفعى. وفي الصف الأسفل من هذا الجدار من الداخل يشاهد الأمير «زدخنسوف عنخ»، يتعبد لصور عدة آلهة كان هو كاهنها، وقد ذكرناها فيما سبق. هذا ويشاهد على الجدار الخلفي مناظر دينية ظهر فيها الإله «أوزير» تنعاه زوجه وأخته «أزيس»، ثم يلي ذلك منظر يمثل حمل «أزيس» في ابنها «حور»، ثم إعادة «أوزير» للحياة ثم ذهابه إلى عالم الآخرة؛ ليكون حاكمها.

المقصورة الثالثة: تقع قبالة الأولى على مسافة أمتار منها، ومعظم مبانيها قد انتزع واستعمل في أماكن أخرى، وتحتوي على حجرة واحدة لها مدخن، وما بقي من زينتها ونقوشها قليل جدًّا، غير أن ما بقي منها يوحي بأنها كانت مخصصة لعبادة الإله «بس»، وهذا الإله كان يعبد منذ عهد الدولة الحديثة، ويقوم بدور هام في حياة الموسيقاريين.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الإله كان من الآلهة المحليين في بلاد «كوش»، وقد وجدت في معبد «جبل برقان» أعمدة عليها صور هذا الإله،[٧] وترجع إلى عهد الأسرة الخامسة والعشرين، وهذا الإله هو رمز للفرح والسرور عند المصريين. ويطيب لنا أن نذكر هنا أنه لم

يكن مشوه الخلق كما يظهر في الصور، بل هو في الواقع يمثل إلها قزمًا وحسب. وهذا يذكرنا بالأقزام الذين كانوا يقومون منذ الدولة القديمة برقصة خاصة دينية، كما كان ملوك مصر في الدولة يأمرون بإحضارهم من أواسط أفريقيا للتسلية،[٨] ولا نزاع في أن هذه المقصورة ترجع إلى عهد الأسرة السادسة والعشرين، ولا نعلم لأي غرض خاص أقيمت، ولكن تدل شواهد الأحوال على أنها كانت للإله «بس». هذا وقد وجد على الجزء الجنوبي من الجدار الشرقي في الصف الأسفل ستة من أسماء ممالك الأقواس التسعة، وقد تحدثت عن هذه الأقوام ببعض التفصيل في غير هذا المكان.[٩]

إلا أبوابهما فقد بنيت بالحجر، ويرجع عهدها إلى عصر الملك «أحمس الثاني»، وقد أقامها الكاهن «زدخنسوف عنخ». وقد نقش جانبا البوابة بمتون في أربعة صفوف ضاع الصف الأول منها. ويشاهد في الصف الأعلى الملك «أحمس» واقفًا على اليمين مقدمًا إناء لإله في صورة آدمي، وفي الصف الثاني نشاهد «أحمس» في حضرة.

المقصورة الرابعة: هذه المقصورة تحتوي بأقل تقدير على حجرتين أقيمتا باللبنات الإله «خنوم»، وقد نقش أمام الملك لقبه واسمه ونقش أمام الإله «خنوم»: الإله «خنوم» رب السماء، ضيف «الفنتين».

وفي الصف الثالث مثل الملك في حضرة الإله «حرشف»، الذي مثل برأس كبش ومعه النقش: «حرشف» الإله العظيم، ويلفت النظر أن هذين الإلهين كانا خاصين بالماء مما يتفق وطبيعة الواحة. فالأول هو إله الشلال، والثاني وهو «حرشف» يعني «الذي على بحيرته»، وهو إله جهة «الفيوم»، حيث توجد «بحيرة موريس» ويعبد بوجه خاص في «أهناسيا المدينة».

ونقوش الجانب الأيسر ممزقة ولم يبقَ منها كثير، ويشاهد في الصف الأسفل «زدخنسوف عنخ» يقدم قربانًا إلى إله قد هشمت صورته، وقد نقش فوق صورة «زدخنسوف عنخ» أربعة أسطر

جاء فيها: «الأمير الوراثي»، وحاكم المدينة ... والكاهن الثاني للإلهة «نخبيت»، وكاهن «أوزير» «زدخنسوف عنخ» بن مثيله «بديسي» والذي أنجبته «نعس».

وكذلك نجد أن البوابتين المصنوعتين من الحجر، وهما المؤديتان إلى الحجرة الثانية قد نقشتا بحروف غائرة. وهنا كذلك يشاهد الملك يقدم قربانًا، ولكن النقش مهشم. وفي الصف الأسفل نشاهد الإله «تحوت» على اليمين، والإله «حور» على اليسار وهما يقومان بعملية التطهير، ونقش أمام «تحوت»: «تحوت»، المزدوج العظمة رب «الأشمونين» والإله العظيم رب السماء ... إنك تطهر، إنك تطهر، إنك تطهر. ونقش أمام «حور»: «بحدتي» الإله العظيم رب السماء صاحب الريش ذي الألوان المختلفة، والذي يخرج من الأفق مثل «رع» معطى الحياة.

ومما سبق يتضح لنا أن هذه المقاصير الأربع قد بنيت في عهد الفرعون «أحمس الثاني»، غير أنها لم تُبْنَ في وقت واحد. وأقدمها هي الأولى التي كشف عن جزء منها الأستاذ «ستيندورف»، حيث نجد الأمير «زدخنسوف عنخ» يلعب دورًا ثانويًّا في نقوشها، وكانت الأولوية لأخيه «شبن خنسو»، الذي كان يقوم بوظيفة الحاكم للواحة البحرية. ولم تسمح لنا النقوش القليلة التي بقيت لنا على جدران المقصورة الثالثة بتحديد وقت إقامتها على وجه التأكيد. ومن نقوش المقصورة الرابعة والأخيرة نفهم أن «زدخنسوف عنخ» كان حاكم الواحة عند إقامتها، كما كان يحمل لقب الكاهن الثاني. وتدل نقوش المقصورة الثانية على أن «زدخنسوف عنخ» قد أقامها وهو في قمة مجده، فقد ذكر لنا على جدرانها سلسلة من ألقابه التي لم نجدها في المقاصير الأخرى، والواقع أنه كان وقتئذ حاكم الواحة البحرية، وكاهن الآلهة كلها التي ذكرت على جدران هذه المقاصير، سواء أكانوا وافدين زوارًا على الواحة البحرية، أم كانوا آلهة أصليين يعبدون فيها، وليس هناك من شك — إذا صدقنا ما تركه لنا من نقوش — في أنه كان رئيس كل الكهنة هناك. وتدل شواهد الأحوال على أنه كان في يده سلطة كبيرة ومال وفير لإقامة هذه المقاصير، وكذلك لإقامة معبد «البويطي» وغيره من الآثار التي تحمل اسمه، وعلى أية حال

فإن الواحة البحرية قد شهدت أمجد عصر لها في عهد الملك «أحمس الثاني» وحاكمها «زدخنسوف عنخ».

وقد كان أعظم لقب يتحلى به هذا الحاكم هو الكاهن الثاني، وهذا اللقب بالنسبة للواحات يعد لقبًا غامضًا. والواقع أن هذا اللقب المجرد على التعريف كان يعتبر لقب الكاهن الثاني «لآمون»، كما جرت العادة بالنسبة لهذا العصر. فقد كان الكاهن الأكبر لهذا الإله يسكن «طيبة». ويلحظ كذلك أن «زدخنسوف عنخ» قد لقب نفسه كذلك الكاهن الثالث، دون أن يذكر الإله الذي هو كاهنه. ولا نزاع في أن لقب كاهن من أي درجة، سواء أكانت الدرجة الأولى أم الثانية أم الثالثة أم الرابعة دون ذكر اسم الإله كان يعود على «آمون»، الذي كانت عبادته هي العبادة السائدة في هذا العهد، وبخاصة بعد أن بث الكوشيون عبادته بصورة بارزة، وأصبح لسلطان طائفته نفوذ عظيم كان لا بد أن تخضع له ملوك الأسرة الساوية على الرغم من مقاومتهم الفاشلة في إطفاء جذوتها، التي كانت متأججة في كل البلاد. ومما يؤكد أن المقصود هنا هو الإله «آمون» أنه بعد ذكر الكاهن الثاني والكاهن الثالث، جاء أنه كاهن الإلهة «موت»، ثم كاهن الإله «خنسو» وهما المتممان لثالوث «آمون» الذي كان مقر عبادته «طيبة». هذا وينطبق هذا الوضع كذلك عند ذكر مدينة «طيبة»، فإنها أحيانًا تذكر بلفظة «المدينة» وحسب، ويعني ذلك مدينة «طيبة». والأمر الذي يلفت النظر هنا أن الآلهة الذين كانوا يعبدون في هذه الواحة قد بلغ عددهم العشرات، وقد كان صاحبنا «زدخنسوف عنخ» يقوم بوظيفة الكاهن لمعظم هؤلاء الآلهة.

ونظرة فاحصة في أسماء هؤلاء الآلهة تكشف لنا عن أمرين هامين؛ الأمر الأول: أن الرياسة العظمى كانت في «طيبة»، وليست في «سايس»، وبخاصة عندما نعلم أن الإلهة «نيت» لم تذكر إلا مرة واحدة في نقوش المقاصير والمعابد، وذلك على الرغم من أن الملك الذي أقيمت في

عهده كان يدعى «أحمس» بن «نيت»، وهذا برهان على تغلب عبادة «آمون» وسيادتها في هذا العهد.

هذا بغض النظر عن عبادة «أوزير» الذي كان يعد إله الآخرة في كل زمان ومكان، وقد جاء اسمه في هذه المقاصير بصور مختلفة. ولا ننسى أن اسم حاكم البحرية كان مركبًا تركيبًا مزجيًّا مع «خنسو» بن «آمون»، كما كان «بدعشتر» ابن عمه كاهنًا «لخنسو»؛ أي لابن «آمون». أما الآلهة الآخرون فإن عبادتهم كانت مشتركة في كل البلاد طولًا وعرضًا. والظاهر أن عبادتهم في الواحات كان القصد منها التقرب إليهم بصلاة خاصة بطبيعة الواحات، ولإظهار نفوذ وعظمة باقي هذه المقاصير، وبخاصة أنه كان الحاكم هناك. والواقع أنه كانت هناك آلهة خاصة تتفق وطبيعة الواحات، فمثلًا كانت هناك عبادة الإله «حا» إله الغرب وهو خاص بالصحراء، كما كانت هناك عبادة الآلهة المائية مثل الإله «خنوم» والإله «حرشف»، والأول هو إله «الشلال» والثاني إله «الفيوم» و«أهناسيا المدينة» ومعناه المشرف على بحيرته؛ أي «بحيرة قارون» كما كانت هناك عبادة الإلهتين «مرتي»؛ أي النيل الجنوبي والنيل الشمالي، ومنهما تأخذ الواحات مياهها الأرضية التي تتفجر عيونها نهرًا.

أما عبادة الإله «أوزير» وانتشارها في المقابر بصورة بارزة فيرجع إلى اتصال الواحات منذ الأسرة الثامنة عشرة «بالعرابة المدفونة»، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.[١٠]

(١-٢) معبد القصر

تدل البحوث التي عملت حتى الآن على أن المعبد الكبير في الواحة البحرية، كان قائمًا تحت قرية «القصر» الحالية. والواقع أنه لا تزال بعض جدران قليلة من هذا المعبد قائمة بالقرب من منزل عمدة القرية؛ ولا نزاع في أن المقصورة التي وجدت هناك تنسب إلى عهد «إبريز» الذي

يعد أول من بدأ عهد النهضة في الواحات، ولا نزاع في أن «أحمس» قد أضاف إليها بعض المباني كما هي عادة ملوك مصر.[١١]

(١-٣) معبد البويطي

هذا ويوجد المعبد الذي أقامه الملك «أحمس الثاني» في وسط المنازل التي في قرية «البويطي»، وهو تحت المنازل الحالية للقرية ولم يتبقَ منه إلا القليل، غير أنه يمكن مما بقي منه أن نتعرف على تصميمه، وأجزاء مبانيه السفلية لا تزال تحتفظ بنقوشها.

(١-٤) المقابر التي من عهد «أحمس الثاني» في الواحة البحرية (قرية البويطي)

عثر على بعض مقابر هامة تحت منازل قرية «البويطي» من عهد «أحمس الثاني»، وقد وجدت عليها نقوش وعددها ثلاث وهي: (١) مقبرة ثاتي، (٢) ومقبرة «بدعشتر»، (٣) ومقبرة «تانفرت باست». وهذه المقابر وجدت متجاورة، وقد قطعت في نفس التل القريب من «الشيخ الصوبي»، وكلها مقطوعة في الصخر وتحتوي كل واحدة منها على عدة حجرات عليها نقوش على ملاط ملون. ومناظرها ذات صبغة دينية في معظمها، وبعض هذه النقوش له أهمية عظيمة لدراسة ديانة هذا العصر، ويلحظ أن ملابس السيدات اللاتي مثلهن هناك لها طابع خاص، وتختلف عن الملابس المصرية العادية، ويظهر فيها التأثير الأجنبي وبخاصة الإغريقي، ولا غرابة في ذلك؛ لأن مصر بخاصة في عهد الأسرة السادسة والعشرين كان اختلاطها بالإغريق قد ازداد بدرجة محسة تمشيًا مع السياسة المصرية وقتئذ. انظر شكل رقم …

وتدل شواهد الأحوال على أن «بدعشتر» لا بد كان عائشًا في عهد الملك «إبريز» أو قبله. أما «ثاتي» فهو حفيده، وعلى ذلك فإن القبرين يؤرخان بالأسرة السادسة والعشرين. وسنحاول هنا أن نتحدث عن هذه المقابر بشيء من الإيجاز مع ملاحظة ما فيها من مميزات بارزة.

مقبرة «بدعشتر»

تحتوي هذه المقبرة على أربع قاعات ذات عمد وثلاث حجرات. ويلاحظ أن نقوش هذه المقبرة قد عملت على يد مفتنين مهرة، غير أن معظم نقوشها قد أبيد. وتابوتها منحوت نحتًا جميلًا، ونقش عليه ساعات الليل وساعات النهار، كما رسم عليه الاثنان والأربعون قاضيًا لقاعة المحاكمة. والمناظر التي على كل جدران المقبرة ذات صبغة دينية.

ويدل اسم صاحب المقبرة المركب تركيبًا مزجيًّا على أنه كان فيه عنصر أجنبي، ومعنى «بدعشتر» هو «هدية الإلهة عشتار»، وهي إلهة سورية وقد أدخلت عبادتها مصر منذ الأسرة الثامنة عشرة، وتمثل بشكل امرأة لها رأس لبؤة. وتوحد أحيانًا بالإلهة «سخمت» إلهة القوة كما توحد أحيانًا بالإلهة «حتحور».

وكان «بدعشتر» يحمل لقبي الكاهن الأول للإله «خنسو» وكاهن الإله «حور»، وكان والده المسمى «حورخب» يحمل نفس اللقبين، وكانت أمه تدعى «تاأرو»، وقد تزوج «بدعشتر» من سيدة تدعى «تانفرت باست»، وأنجب منها ذكرًا وأنثى وهما على التوالي «بديسي» و«نعس»، وقد تزوج أحدهما من الآخر، وهذا مثل من الأمثلة القليلة التي لدينا في مصر القديمة التي يتزوج الأخ من أخته من عامة الشعب. وعند فحص شجرة نسب هذه الأسرة اتضح لنا أن «بدعشتر» لا بد كان على قيد الحياة في عهد الملك «إبريز».[١٢] ونحن نعلم من شجرة النسب أن «زدخنسوف عنخ» الكاهن الثاني للإله «آمون»، والكاهن لمعظم آلهة الواحة البحرية وحاكمها في الوقت نفسه هو ابن عم «بديسي» عم «بدعشتر». ومما ذكره آنفًا أن «زدخنسوف عنخ» قد بدأ مجال حياته في عهد الملك «إبريز»، ولكنه وصل إلى قمة مجده في عهد الملك «أمسيس».[١٣] والظاهر أن مقبرة «بدعشتر» هي أقدم مقبرة بعد مقبرة «أمنحوتب»، التي ترجع إلى عهد أواخر الأسرة الثامنة عشرة تقريبًا، وهي مقامة في «قعرت حلوه».

ومن سلسلة النسب يمكن القول: إن «زدخنسوف عنخ» قد عاش في عهد كل من «إبريز» و«أحمس الثاني»، ومن ثم يمكن نسبة كل مقابر أسرته إلى الأسرة السادسة والعشرين. ومناظر مقبرة «بدعشتر» كلها دينية، ولكنها على مستوى عالٍ، فقد استعمل في تزيينها المناظر التي كانت لا تستعمل إلا للملوك، مثال ذلك نشاهد الإلهين «حور» و«تحوت» يطهرانه، ولا شك في أن ذلك قد حدث بعد أن انتشرت الديموقراطية في الديانة المصرية، وهي أقدم ديموقراطية ظهرت في العالم. وكذلك نجد أن أرواح «با» و«نخن»، التي كانت تنتحب وتنعي إخوتها من الآلهة أصبحت تنتحب، وتنعي أفراد الشعب كأنهم إخوتها.

ومن المشاهدات الغريبة كذلك في هذا القبر أنه بدلًا من قيام الإلهتين «أزيس» و«نفتيس» بالحزن على أخيهما المتوفى، نجد أنه قد حل محلهما الإلهتان «مرت شمع»؛ أي إلهة النيل الجنوبي والإلهة «مرت محيت»؛ أي إلهة النيل الشمالي، وهما توحدان في بعض المتون بالإلهتين «نخبيت» و«وازيت»؛ أي فيضان النيل الجنوبي وفيضان النيل الشمالي. ونحن نعلم من جهتنا أن «أزيس» عندما بكت على أخيها «أوزير»، فاض النيل وهو ما يعرف عند العامة حتى الآن «بليلة النقطة» التي تحدث في حوالي ١٩ يونيه من كل سنة، ويقول الفلاحون المصريون: إن في هذه الليلة تنزل الحلاوة في الفاكهة، ويبدأ ارتفاع النيل تدريجًا. هذا فضلًا عن أن أوزير كان يوحد بالنيل.

هذا ومن المناظر المألوفة التي نجدها في مقابر هذا العهد في الواحة البحرية، وتشاهد في مقبرة «بدعشتر» منظر محاكمة المتوفى أمام الإله «أوزير» بكل حذافيره. ومن المناظر التي ألفنا وجودها كذلك في المعابد، ويقوم بها الملك للإله وانتقلت إلى المقابر ما نشاهده في الحجرة الثانية من مقبرة «بدعشتر»،[١٤] إذ نرى على الجانب الأيمن للباب منظر «بدعشتر» يقدم صورة الإلهة «ماعت» (العدالة) للإله «أوزير»؛ لتكون غذاءً له ماديًّا وروحيًّا، ونشاهد تحت صورة

«ماعت» متنًا نعرف منه أن «بدعشتر» كان الكاهن الأكبر للإله «خنسو» وكاهن «حور»، وأن والده يدعى «حورخب» وأمه تدعى «تا أرو».

ومما يلفت النظر في نقوش مقبرة «بدعشتر» المنظر الذي مثل فيه صاحب المقبرة، يؤدي حسابه في الآخرة أمام الإله «رع» وتقدمه الإلهة «ماعت»، وهذا المنظر يعود بنا إلى الفكرة الأولى القائلة بأن حساب المتوفى في الآخرة كان يجري أمام الإله «رع»، ثم حل محله بعد ذلك الإله «أوزير» عندما أصبح إله الآخرة.[١٥]

مقبرة «ثاتي»

تمتاز مقبرة هذا السيد بأن مناظرها ذات أهمية من الوجهة الأثرية، وذلك على الرغم من أن رسمها غير دقيق. ويفتح بابها نحو الجنوب وتحتوي على قاعة ذات عمد. وتقع مقبرة «بدعشتر» خلف مقبرة هذا السيد، هذا وتحتوي المقبرة خلافًا لقاعة العمد هذه على حجرتين، وتدل شواهد الأحوال على أن الأخيرة كانت هي حجرة الدفن. والظاهر أنها نهبت في العهد المتأخر، وقد استعملت للدفن كرة أخرى، وقد ولد فيها أربعة توابيت لم يبقَ سليمًا منها إلا واحد وفيه جسم رجل محنط، ولم يكن معه بطبيعة الحال شيء يذكر من الحلي الفاخرة.

والمناظر التي صورت على جدران قاعة العمد تحتوي على منظر محاكمة المتوفى أمام «أوزير» ووزن قلبه، كما نشاهد فيها الإلهين «حور» و«تحوت» يقومان بعملية التطهير، التي كانت لا تعمل قديمًا بوساطة هذين الإلهين إلا للملك، كما سبقت الإشارة لذلك، يضاف إلى هذا أننا نشاهد في نفس الحجرة صورتي أرواح بلدة «نخن» وبلدة «ب» الأولى ممثلة بأربعة صقور، والأخرى بأربعة من أولاد آوى، وهؤلاء في الواقع كانوا يمثلون أرواح الملوك الذين غيروا، وقد مثلت هنا لتكون في خدمة المتوفى، وكانت من قبل في خدمة الملوك والآلهة فقط.

وفي هذه القاعة ذات العمد يشاهد منظر غاية في الأهمية يمثل زوج صاحب المقبرة، وتدعى «تانفرت باست» — وقبرها على ما يقرب من مائة متر من قبر زوجها — ومعها ابنتها وتقدمان قربانًا. وأهم ما يلفت النظر في منظرهما أنهما لا ترتديان ملابس[١٦] مصرية، بل تنم ملابسهما عن أصل أجنبي، وتدل الظواهر على أنها من أصل فنيقي أو إغريقي على ما يظن. وكذلك يشاهد على نفس العمود الذي رسمتا عليه والد «ثاتي»، الذي كان يدعى «بديسي»، ويشاهد كذلك «بدعشتر» ابنه يمشي أمامه وهو أخو صاحب المقبرة، ويجب ألا نخلط بينه وبين صاحب المقبرة السابقة الذي يعتبر جد «ثاتي». وكذلك يشاهد في هذه القاعة بعض مناظر من التي كانت لا ترسم إلا في مقابر الملوك، وبوجه خاص منظر سفينة الشمس تجرها أولاد آوى في العالم السفلي لخلوه من الريح، وذلك في أثناء سير سفينة «رع» ليلًا في عالم الآخرة.

وفي الحجرة الثانية من هذا القبر نجد كل مناظرها ذات طابع ديني تمثل مناظر من عالم الآخرة، وعددًا من الآلهة من الذين يوجدون في كتاب الموتى وعلى توابيت الدولة الحديثة.

أما حجرة الدفن فقد مثل عليها منظر ظهر فيه «أوزير» على نعش تكنفه كل من الإلهتين «نفتيس» و«أزيس» الأولى عن يمينه، والأخرى عن يساره.

مقبرة «تانفرت باست» زوج ثاتي

تقع هذه المقبرة على مسافة قريبة جدًّا خلف مقبرة زوجها، وتدل حالة المقبرة على أنه لم يكن قد تم نحتها، ولم يلون من القبر إلا جزء صغير، ويشاهد في الحجرة الداخلية صاحبة المقبرة تقودها الإلهة «أزيس»، ومعها أختها «نفتيس» إلى الإله «أوزير»، وتدل شواهد الأحوال على أن القبر لم يكن قد تم عند موت صاحبته.

مقابر «قعرت سليم» المنحوتة في الحافة الشرقية لجبل «البويطي»

يوجد في هذه الجهة مقبرتان من عهد الملك «أحمس الثاني» وهما:

مقبرة «زدأموتف عنخ»: ويلحظ أنه لم يوجد أثر مقصورة لهذه المقبرة، وتحتوي على قاعة ذات أربعة عمد، وقد نهبت المقبرة في العهد الروماني، واستعملت للدفن ثانية، غير أنه من حسن الحظ لم تشوه نقوشها كثيرًا، وقد نهبت من جديد في عصرنا الحديث، وأخيرًا نظفها من جديد «الدكتور أحمد فخري» ونشر نقوشها. وتحتوي حجرة الدفن على غرفة مربعة تقريبًا يصل إليها الإنسان بوساطة بئر عمقها حوالي خمسة أمتار. وقد حفظت لنا كل نقوشها إلا ما كان في الجزء الذي قطع فيه المدخل للدفنة المتأخرة، فقد هشم، ولا تزال هذه النقوش حافظة لرونقها. ومما تجدر ملاحظته في نقوش هذه المقبرة أن اسم صاحبها «زدأموتف عنخ»، قد ذكر مرات عدة دون أن يذكر معه أي لقب أو وظيفة من الوظائف التي كان يحملها في حياته الدنيا، كما هي العادة تقريبًا في كل المقابر التي عثر عليها في كل أنحاء وادي النيل، ولعل السبب في ذلك هو أن «زدأموتف عنخ» هذا كان تاجرًا من أصحاب اليسار من الذين كانوا يتجرون بين وادي النيل والواحات وغيرها من البلدان المجاورة؛ ولذلك لم يكن موظفًا في الحكومة ولم يحمل من أجل ذلك لقبًا معينًا. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا هو على أغلب الظن السبب الحقيقي لهذه الظاهرة، إذ سنجد أن ابنه الذي يدعى «بان ننتي» الذي يوجد قبره بجوار قبر والده لم يحمل أي لقب كذلك في النقوش التي تركها لنا على قبره، وهذا يعني أنه كان كوالده تاجرًا حرًّا ولم يكن قط موظفًا.

ومما تجدر ملاحظته في نقوش هذا القبر أن مدخله قد زُيِّن بنقوش ومناظر كالتي الإله «حور» على اليسار وصورة الإله «تحوت» على اليمين، وكل منهما يصب ماء الطهور كأن صاحب المقبرة كان ملكًا، وهذه الظاهرة كما ذكرنا من قبل أن دلت على شيء، فإنما تدل على منتهى الديموقراطية في عالم الآخرة التي قامت في مصر على أعقاب الثورة الاجتماعية بعد سقوط الأسرة السادسة.

والمناظر التي في الحجرة الداخلية مأخوذة من كتاب الموتى، الذي كان غالبًا ما يكتب معظمه أو بعضه، ويوضع مع المتوفى على إضمامة من البردي، والظاهر هنا أن المتوفى كان يحرص على أن تكون معه فصول بعض هذا الكتاب في قبره بصورة ثابتة، فنقشها على الجدران يضمن بقاءها أكثر من كتابتها على البردي، الذي كان قابلًا للتلف بسرعة، وبخاصة أن عبادة الإله «أوزير» إله الآخرة كانت منتشرة بصورة بارزة في الواحات لقربها من مقر عبادته وهو «العرابة المدفونة». وقد خلت المقبرة من المناظر الدنيوية التي كنا نراها في مقابر الدولة الحديثة، واقتصر الأمر على المناظر الدينية البحتة.

وفي مدخل المقبرة نشاهد كاهنين يحملان آنيتين، كما نشاهد متونًا تحدثنا عن القرابين التي تقدم للمتوفى، ثم نشاهد بعد ذلك ثماني نائحات صورن على مدخل الحجرة أربعًا على كل من الجانبين، ويرتدين ملابس بيض، وهي لباس الحزن عند المصريين القدامى. ونشاهد بعد ذلك على الجدار الشرقي للحجرة أولاد «حور» الأربعة، وهم «دواموتف» و«كبحسنوف» و«أمستي»، ثم «حابي»، وهم الآلهة والذين كان يوكل إليهم حفظ أحشاء المتوفى منذ ظهورهم بصورة واضحة في عهد الدولة الوسطى، وقد كانوا يرسمون بوصفهم ذكورًا، غير أنه قد رسم هنا منهم اثنتان في صورة أنثيين وهما «حابي» و«أمستي»، وتحملان آنيتين، أما الاثنان الآخران وهما «دواموتف» و«كبحسنوف»، فقد مثلا في هيئة رجلين يهرولان وفي يد كل منهما سكين، كأنهما يَدْرَآنِ الخطر عن المتوفى، وهذه ظاهرة جديدة في وظائف أولاد «حور». [١٧] والمناظر الباقية على جدران هذه المقبرة ليس فيها ما يلفت النظر، بل كلها مناظر دينية عادية.

مقبرة «بان ننتي» أو «بناتي» بن «زدأموتف عنخ»: توجد مقبرة «بناتي» بالقرب من مقبرة والده «زدأموتف عنخ» وبئرها على مسافة خمسة عشر مترًا من بئر «زدأموتف عنخ» من جهة الغرب، وليس هناك أي أثر لوجود مقصورة لهذه المقبرة، وتبلغ عمق البئر ستة أمتار،

وفي نهاية البئر فتحتان أهمهما هي التي في الشمال، وتؤدي إلى حجرة الدفن التي تحتوي على قاعة ذات عمد وثلاث كوات مسدودة، واحدة منها منقوشة جدرانها. وعلى الرغم من أن المقبرة قد نهبت في العهد الروماني، واستعملت ثانية فإن نقوشها قد حفظت حفظًا جيدًا، هذا بالإضافة إلى إتقان نقوشها. وعندما أعاد فتحها الدكتور «أحمد فخري» لم يجد فيها أية آثار.

وأهم المناظر التي صورت على جدران هذه المقبرة في القاعة ذات العمد ما يأتي: منظر يرى فيه صاحب المقبرة يقوده «أيونموتف» (عمود أمه) والإله «أنوبيس» إلى الآلهة «أوزير» و«أزيس» و«حور»، ثم يشاهد المتوفى على الجدار الغربي واقفًا وأمامه مائدة قربان يحملها المتوفى راكعًا كأنه نفسه مائدة أمام الإلهين «حور أختي» والإلهة «عبعأست» على رأسها قنفذ، وقد كتب أمامها «عبعأست» الإلهه العظيمة سيدة السماء وسيدة الآلهة. وقد كان القنفذ في مصر القديمة يعد حيوانًا مقدسًا، وقد استعملت صورته تعاويذ سحرية.

وعلى الجدار الشرقي الذي يقابل المنظر السالف الذكر منظر آخر مثل فيه المتوفى يقوده «أيونموتف» و«أنوبيس» إلى الإلهين «آمون» و«حورسا أزيس». وقد نقش أمام «أنوبيس»: «أنوبيس» رب الأرض العالية (أي: المقدسة)، والإله العظيم صاحب «حزت». ولا بد أن «حزت» هذه تعني المكان العالي الذي فيه الجبانة في هذه الجهة، ولدينا نظير يشبه هذا التعبير في مقبرة «دبحني» بالجيزة، وذلك عندما كان يتحدث عن هرم الملكة «خنتكاوس».[١٨]

هذا ويشاهد على نفس الجدار ستة رموز لآلهة كل منها على حامل وهي الآلهة: نجدها في المعابد ومقابر الملوك، فنجد مثلًا أنه قد زين عارضتي باب القبر بصورة «وبوات» (فاتح الطريق)، (٢) «حور»، (٣) «أبيس»، (٤) «نفرتوم»، (٥) «رع حور أختي»، (٦) الإله «خنسو»؛ كما يشاهد على الجهة اليسرى ستة آلهة على حوامل أيضًا، وهي كالسابقة عدا رمز الإله «نفرتوم»، وكذلك نرى رمز الإله «نفرتوم» على حامل، وتقف كل من «أزيس»

و«نفتيس» على الجانبين ناشرتين أجنحتهما حامية لهذا الرمز، وهذا المنظر غريب في بابه في مناظر مقابر أفراد الشعب.

هذا ويرى على نفس الجدار في الصف الأعلى الإله «أنوبيس» يحنط مومية المتوفى على مغسلة على جانبيها إلهتان، وفي الصف الأسفل نشاهد المومية تتعبد إليها كل من «أزيس» و«نفتيس» في حضرة كل من «أوزير وننفر» و«حورسا أزيس». ويلفت النظر هنا أن «أوزير وننفر» لم يمثل في هيئة مومية، بل في هيئة إله يخطو إلى الأمام. وعلى الجدار الشمالي نشاهد سفينة الشمس تجرها آلهة في صورة أبناء آوى، ويحملها الإله «شو» (إله الهواء) وأربعة آلهة آخرين، ويتعبد إليها آلهة وثامون بلدة «الأشمونين» وهم آلهة مثلوا في صورة قردة. وقد صور على عمد القاعة الإله «جب» إله الأرض والإلهة «نوت» إلهة السماء، والإله «منديس بانبددو» في صورة كبش (إله تمي الأمديد الحالية) والإلهة «عبعأست» و«أوزير وننفر» و«أزيس»، وروح الإله «شو» إله الفضاء ثم الإلهة «تفنوت» إلهة الرطوبة.

حجرة الدفن: يشاهد في مدخل هذه الحجرة على العتب الخارجي الشمس المجنحة، ومعها متن يخاطب الإله «أوزير»، وعلى عارضتي الباب يشاهد الإله «تحوت» على اليسار والإله «حور» على اليمين يطهران المتوفى. ويشاهد قبالة المدخل في وسط الجدار سطر من النقوش، وعلى يمين ويسار الجدار منظر قاعة محاكمة «أوزير» للمتوفى ووزن قلبه، وعلى اليسار يوجد منظر آخر يمثل فيه «أوزير» جالسًا على عرشه، كما يشاهد صاحب المقبرة يتبعه عدد من الآلهة يقدمون له القربان. هذا ويلحظ أنه على كلا جانبي الجدار الجنوبي على اليسار وعلى اليمين من المدخل مناظر ملونة، فعلى اليمين منظر تحنيط في الصف الأعلى، وفي الصف الأسفل نشاهد الإلهة «نيت» قابضة على قوسها، وقد لقبت «نيت العظيمة»، ويتبعها الإلهان «أنوبيس» و«تحوت»، وفي الجانب الآخر يشاهد الإله «حا» يقبض على حربته، ويلحظ أن كلًّا من الإلهين «حا» و«نيت» كان مستعدًّا لمهاجمة الأعداء الذين يريدون شرًّا بمومية المتوفى، وبذلك كانا يحميانها من كل خطر يتهددها.

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن الإلهة «نيت» لم يأتِ ذكرها في النقوش التي كشف عنها في الواحات حتى الآن، إلا في هذا المتن الديني الخاص بالعالم السفلي، وكنا ننتظر انتشار عبادة هذه الإلهة في الواحات التي قام بتعميرها «أحمس» الثاني، الذي يعد نفسه أبًا لها إذ يدعى «أحمس سانيت»؛ أي «أحمس بن نيت». ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ضعف نفوذ كهنة صا الحجر وقتئذ، وطغيان سلطان كهنة آمون في هذا العهد، وسنرى بعد أن ملوك الأسرة السادسة والعشرين كانوا يخشون بأس كهنة آمون الذين كانوا قد تسلطوا على البلاد بدرجة عظيمة في عهد الأسرة الخامسة والعشرين، وهي التي كان ملوكها متمسكين بعقائد آمون وتعاليمه بدرجة التعصب الذي ما بعده تعصب.

---

[١] راجع: الجزء الحادي عشر.

[٢] راجع: مصر القديمة الجزء الحادي عشر، وراجع كذلك: Fakhry, Bahria Oasis, II, P. 73–80 with Fig. 53–64 & Pls. XL VIII.

[٣] راجع: Porter & Moss, VII, P. 299–311.

[٤] راجع: Ahmed Fakhry, Die Kapelle aus der Zeit des Apries in der Oase Bahria in Archiv Fur Aegypt, Arch I (April, 1, 1938) P. 97 ff.

[٥] راجع: The Necropolis of Gabal el Mota, A. S., XL, P. 786.

[٦] راجع: Bahria Oasis, Ibid, P. 21.

[٧] راجع مصر القديمة الجزء الحادي عشر.

علاقة مصر ببلاد كوش منذ العهد الساوي حتى الفتح الفارسي

(١) مقدمة

كانت بلاد النوبة منذ أقدم العهود مرتبطة بمصر ارتباطًا وثيقًا في معظم العصور، غير أن هذا الارتباط كانت تتحل عراه بعض الشيء في عهد الثورات التي كانت تشب في مصر من وقت إلى آخر، وقد ظلت الحال كذلك حتى عهد الأسرة الخامسة والعشرين، حين غزا الكوشيون مصر واستولوا عليها جملة، وظلوا يحكمونها حوالي قرن من الزمان إلى أن أجلاهم «بسمتيك الأول» عنها تمامًا حوالي عام ٦٥٥ق.م، وذلك حينما استولى على إقليم طيبة، وطرد آخر كوشي منها؛ ومنذ ذلك العهد بقيت دولة الفراعنة في «سايس» وفي «نباتا» منفصلتين بعضهما عن بعض. ويتساءل المرء الآن كيف يمكن تصوير العلاقات التي كانت بين الدولتين؟

وتدل شواهد الأحوال على أن الكوشيين لم يحاولوا الاستيلاء على مصر كرة أخرى، بل وجهوا كل اهتمامهم إلى الجنوب؛ إذ الواقع أن آمالهم كانت تتجه إلى الأرض السودانية الخصبة؛ ولا غرابة في ذلك فقد كانت المستعمرة المصرية القديمة لفراعنة مصر التي طالما أغدقت عليهم الخيرات العميمة، وذلك على عكس الأراضي القاحلة التي كانت تخترقها الشلالات في أعلى «وادي حلفا»، والشريط الطويل الضيق من الأرض المعروف باسم بلاد «النوبة السفلى»، التي تفصل مصر عن السودان. ولا بد أن نتعرف أولًا على الذكريات التاريخية التي ربطت مصر ببلاد كوش، والواقع أن الهزائم المستمرة التي تحملها القوم في مصر تساعدنا في الوصول إلى ذلك.

ومن جهة أخرى نعرف أنه لا «بسمتيك الأول» ولا ابنه وخليفته «نيكاو» قد تعدى سلطانهما حصن الحدود الجنوبية عند الفنتين؛ أي جهة الشلال الأول. على أن قيام حملة مصرية على بلاد الجنوب كان يقف في وجهها الضغط الكامن، الذي كان يتهددها من الشمال الشرقي، ويمنع

ملوكها الساويين من أي عمل حربي في الجنوب؛ وذلك لأن الأحوال في آسيا الصغرى كانت دائمًا تدعو إلى الخوف والقلق، إذ كان يتوقع في كل لحظة أن يقوم جيش بلاد الشمال الشرقي كله بهجوم على مصر كما رأينا من قبل.

ومن جهة أخرى لا بد أن نعترف بوجود علاقات حربية أو اقتصادية بين المملكتين، يدل على ذلك أنه قد عثر في «ميت رهينه» (منف) على قطعة من مائدة قربان باسم الفرعون الكوسي «سن كا امن سكن» (حوالي ٦٤٣–٦٢٣ق.م) (راجع Cairo Museum, J. D. E. Nr. 41293; Daressy, A. S. 109, P. 183-4, Gauthier, L. R. IV, P. 53 Nr. 2).

ولا شك في أن مصر كانت قبل كل شيء في حاجة إلى المحاصيل السودانية، وبخاصة ذهب جبال بلاد النوبة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت بلاد النوبة الفقيرة في المحاصيل الزراعية في حاجة إلى استيرادها، ولو بكمية قليلة من مصر بعد أن استقلت عنها. وقد كانت تقف في وجه العلاقات التجارية على أية حال بين البلدين الشلالات التي كان لا يمكن اختراقها إلا في زمن الفيضان. وقد كان يزيد في هذه الصعوبات الطبيعية قبائل بلاد النوبة السفلى، الذين جبلوا على السلب والنهب، هذا وكانت السياسة الساوية متجهة نحو الشمال في حين كانت سياسة مملكة «نباتا» من جهة أخرى متجهة نحو الجنوب باستمرار، ومن ثم أصبحت العلاقات بين المملكتين تتناقص شيئًا فشيئًا، غير أنه حدث تغير في الموقف في عهد «بسمتيك الثاني»، كما سنرى بعد.

أما الأثر الثاني الذي نجد فيه علاقات بين مصر وبلاد كوش، فقد جاء في ورقة ديموطيقية مؤرخة بالشهر الرابع من عام ٤١ من حكم الملك «أحمس» (أبريل ٥٢٩)، عثر عليها في الفنتين ومحفوظة الآن بمتحف برلين (راجع Museum Berlin Nr. 13615. W. Ericksen, Klio. 34 (1942), P. 56–61)، وهذه الورقة خاصة على ما يظهر بسجل

لأمير عن أناس ذاهبين إلى بلاد كوش، وقد جاء عليها البيانات التالية «كاتب ... مشاة (؟): ١٣٠ رجلًا، مجدفون: ٣٠ رجلًا، محارب: ٥٠ رجلًا، مشاة (؟) ١٣٠ رجلًا، «نوبي»: س رجلًا، فلسطينيون: ٦٠ رجلًا، سوري: ١٥ رجلًا.

ويفهم من هذه الأعداد أن الجنود الذين ذكرتهم كانوا ذاهبين لمحاربة بلاد كوش، أو لإخضاع بعض القبائل في بلاد النوبة السفلى، غير أن هذا العدد كان قليلًا لا يكفي لذلك. وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء الجنود كانوا في حراسة قافلة تجارية، وبخاصة لأنه كان معهم كتاب. على أن وجود مثل هذا الحرس من الجنود يدل على أن هذه القوافل كان من الضروري حمايتها من اللصوص، حتى تصل إلى مملكة «نباتا».

وهكذا نرى أنه من أول عهد الملك «بسمتيك الأول» إلى عهد «أحمس الثاني» كانت معلوماتنا لا تزال قليلة، من حيث المتون التي في متناولنا الدالة على العلاقات التي بين مصر وبلاد كوش. ولا نزاع في أن العلاقات السياسية بين المملكتين لم تقم بأي دور قط، ومن ثم بقيت الأحوال كذلك حتى ظهر «قمبيز» الفارسي في مصر عام ٥٢٥ق.م.

وسنحاول فيما يأتي أن نتحدث عن الملوك الذين حكموا بلاد كوش، من بداية الأسرة السادسة والعشرين؛ أي منذ خروج الكوشيين من مصر نهائيًّا على يد الملك «بسمتيك الأول»، وانزواء ملوكهم في نباتا عاصمة ملكهم في الجنوب، إلى أن جاء «قمبيز»، واستولى على الديار المصرية ثم غزا بلاد كوش وأخضعها لسلطانه أيضًا. وسنحاول جاهدين في هذا الباب ذكر كل ما وصل إلينا عن هؤلاء الملوك وما تركوه من آثار باقية في بلادهم.

وعلى الرغم من أن ملوك كوش قد قصروا همهم على تنمية موارد بلادهم والانزواء فيها، وبعدهم عن العالم الخارجي حتى الفتح الفارسي، فإنهم كانوا يلقبون أنفسهم بالألقاب الفرعونية، ويدعون ملك مصر حتى نهاية دولتهم، وحتى بعد أن هزمهم بسمتيك الثاني كما سنرى بعد.

ويرجع الفضل في كشف النقاب عن أسماء ملوك كوش، وترتيبها من أول عهد بسمتيك حتى نهاية الدولة الكوشية إلى البحوث التي قام بها الدكتور ريزنر، ونشرها في عدة كتب قيمة أماطت اللثام عن حقائق بقيت مجهولة حتى عهد قريب (راجع هذه المصادر في The Harvard-Boston Archeological Expedition in the Sudan. A Progress Report on Publication by Down Dunham, in Kush, Journal of the Sudan Antiquities Service Vol. III, P. 70 ff).

يضاف إلى ذلك ما قام به كل من الأثريين «جارستانج» و«جرفث» و«ماكا دم» من حفائر كانت نتائجها مثمرة عن كشف النقاب عن تاريخ بلاد كوش (راجع The Temples of Kawa by M. F. Laming Macadam in 4 vol. Oxford University Press London 1949 ff).

وعلى الرغم من أن قائمة الملوك التي وضعها الأستاذ ريزنر، هي الأساس الذي يسير عليه علماء الآثار عند التحدث عن ملوك كوش، فإنه توجد نقاط يكنفها الغموض والإبهام، ولا أدل على ذلك من أن الملك الذي حاربه الملك بسمتيك الثاني وصده عن بلاده هو الملك «اسبالتا»، على حسب التاريخ الذي وضعه «ريزنر» لم يذكر لنا أي شيء عن هذه الحروب التي نشبت بينه وبين مصر، وكان الفوز فيها للجانب المصري كما حدثتنا النقوش المصرية التي عثر عليها حديثًا. يضاف إلى ذلك أن بسمتيك الثاني لم يذكر لنا اسم الملك الكوشي الذي حاربه، ومن أجل ذلك أفردنا فصلًا خاصًّا لهذه الحروب، وتناولنا فيه العلاقات بين الدولتين بشيء من التفصيل بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا. ثم أتبعناه بفصل آخر عن ملوك كوش حتى بداية العهد الفارسي.

(٢) محاولة ملوك كوش غزو مصر في عهد بسمتيك الثاني

لقد ظلت معلوماتنا عن العلاقات بين ملوك كوش ومصر بعد ارتدادهم إلى «نباتا» في عهد الملك «تانوت آمون» غامضة مبهمة إلى عهد قريب جدًّا، ويرجع السبب في ذلك بوجه عام إلى قلة المصادر، وقد ظلت الحال كذلك إلى أن جادت علينا الكشوف الحديثة ببعض الوثائق التي تكشف عن شيء قليل في علاقة البلدين الواحدة مع الأخرى، وأهم الوثائق التي وصلت إلينا في هذا الصدد اللوحات، التي تحدثنا بعض الشيء عن الحملة التي قام بها «بسمتيك الثاني» حوالي عام ٥٩١ق.م لدرء الخطر الذي كان يهدد البلاد المصرية من ناحية ملوك «نباتا»؛ وعلى الرغم من أن هذه الوثائق قد وصلت إلينا مهشمة، فإن درسها وتحليل ما جاء فيها يضع أمامنا صورة لا بأس بها عن الروابط التي كانت بين البلدين في كثير من الوجوه. وسنتحدث هنا عن هذه الحملة بشيء من التفصيل.

(٢-١) الملك «بسمتيك الثاني»

ذكر لنا «هردوت» بصورة موجزة[١] أن «بساميس» والد الملك «إبريز» لم يمتد حكمه على أرض الكنانة إلا ست سنوات (٥٩٤–٥٨٨ق.م) وقد قام في خلالها بحملة على بلاد كوش، ثم مات بعدها مباشرة. وقد فسر بعض المؤرخين تسمية «هردوت» للملك «بسمتيك الثاني» بلفظة «بساميس» بصورة مختلفة.[٢] وبعد حكم هذا الفرعون فترة مبهمة إلى درجة ما تقع بين حكم الملك «نيكاو الثاني» (٦٠٩–٥٩٤ق.م) الذي قهر «أشعيا» وحث على القيام بالطوفان حول «أفريقيا»، وبين حكم الملك «إبريز» الذي كان لا يقل عن سابقه شهرة (٥٨٨–٥٦٨ق.م) فقد خف لمساعدة اليهود، وهو الذي أنزله «أحمس الثاني» عن عرشه بصورة رائعة، وقد ذهب بعضهم إلى حد القول: إن حكم «بسمتيك الثاني» كان لا يعد شيئًا مذكورًا.[٣] وهذا الحكم على «بسمتيك الثاني» يعد حكمًا جائرًا بعيدًا عن الدقة، إذ الواقع أنه على الرغم من قصر مدة توليه العرش، فإنه قد خلف لنا عددًا عظيمًا من الآثار الخاصة به هو، كما وصل إلينا عدد لا بأس به

من آثار موظفيه العظماء،[٤] وهي في عددها تفوق ما عثر عليه من الآثار لسابقيه من الملوك. وتدل شواهد الأحوال على أن عهده يقع في اللحظة التي كانت فيها الأسرة الساوية، قد أخذت تدخل في طور تقدم مادي عظيم.[٥]

هذا ونجد الآن من جهة أخرى أنه يحق لنا أن نسأل إذا كانت الحقيقة الوحيدة من التاريخ المصري، التي رأى «هردوت» من الفائدة أن يقرنها بذكرى «بسمتيك الثاني»، وهي الحملة التي قام بها على بلاد النوبة، لم تكن في الواقع إلا عملية جغرافية محدودة، وأنه ليس لها أية أهمية سياسية كما يقال عنها عادة؟ والواقع أننا نرى عددًا عظيمًا من المؤرخين قد مثلوا حملة «بسمتيك الثاني» على بلاد النوبة بأنها جولة حربية دون شهرة، وأنها لم تتجاوز الشلال الثاني؛[٦] وعلى أية حال نجد أن بعض المؤرخين فيما سبق قد أرادوا أن يضفوا على هذه الحملة شيئًا من الأهمية، ونخص بالذكر منهم الأثري «بروكش»[٧] والمؤرخ «فيدمان»،[٨] وقد قال الأخير في هذا الصدد: «إن هذه الحرب كانت ذات أهمية عظيمة، إذ نرى فيها أنه بعد سنين طوال سادها السلم بين أثيوبيا (كوش) ومصر، وكان في خلالها تاج البلاد مقسمًا بين «تانو تآمون» «وبسمتيك الأول»، قد عادت ثانية فترة نشبت فيها الحرب بين البلدين.»

وقد ظلت الأحوال غامضة بالنسبة لهذه الحرب إلى أوائل القرن الحالي، حين أخذت المعلومات عنها تتجمع لدينا شيئًا فشيئًا حتى أصبح في متناولنا عدة وثائق هامة، تكشف لنا عن مدى العلاقات بين البلدين من وجوه عدة. ففي عام ١٩٠٥م نقل الأثري «ماكس مولر» بالقرب من البوابة الثانية لمعبد الكرنك نقوش قطع من لوحة تاريخية، بقي عليها بقايا قصة حملة «بسمتيك الثاني» على بلاد كوش.[٩] وبعد ذلك بمدة قرر لنا الأثري «لفبر» خلال جمعه عدة آثار عن القائدين «أحمس» و«بوتاسمتو»، جاءت في النقوش الإغريقية الشهيرة التي وجدت في «أبو سمبل»، بصورة أكيدة أن النقوش الصخرية المنقوشة بالإغريقية والكارية والفنيقية على تمثالي «رعمسيس الثاني»، ليست إلا ذكريات لمرور جنود «بسمتيك الثاني» صوب بلاد النوبة.[١٠]

هذا فضلًا عما وجد من آثار مصرية عن هذين القائدين «أحمس» و«يوتاسمتو»، توحدهما بالقائديْنِ اللذين ذكرا في النقوش الإغريقية كما سبق ذكره.

وأخيرًا في عام ١٩٣٧ عثر الأثري «مونتيه» في خبيئة معبد «آمون» في «تانيس» على الجزء الأعظم من لوحة تاريخية، قدمت لنا بيانًا جديدًا عن نفس هذه الحملة، وتؤرخ بوضوح هذه الحرب بالسنة الثالثة من عهد الملك «بسمتيك الثاني» (٥٩١ق.م).[١١]

ومما سبق يتضح أن هذه الحملة لم تكن ذات صبغة رسمية وحسب، بل كان لها أهمية خاصة في أعين الشعب المعاصر لها. ولا نزاع في أن ما ذكره كل من «بروكش» و«فيدمان» من أهمية لهذه الحملة له ما يعضده، إذ الواقع أننا نجد أن «بسمتيك الثاني» قد اضطهد ذكريات تسلط الكوشيين على مصر، وذلك بتهشيم أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، وهذه بلا شك ظاهرة لها علاقتها بالحوادث الحربية التي وقعت في السنة الثالثة من حكم هذا الفرعون.[١٢] وفي الحق أنه عند فحص الوثائق الخاصة بهذه الحملة، وجد أنها لم تكن قليلة الأهمية قط، بل تمثل على أغلب الظن طورًا دقيقًا في المعارك التي نشبت منذ منتصف القرن الثامن قبل الميلاد بين مملكة «نباتا» ومملكة «سايس»، ويمكن القول مع كل التحفظات عن الجيوش المصرية أنها قد أوغلت وقتئذ في قلب السودان. ومهما يكن من أمر فإن هذه الحرب قد صحبتها عدة مظاهر كان من نتائجها الإشادة بالظفر الذي نالته مصر على الكوشيين. وهذه التحفظات التي ذكرناها من جانبنا ترجع إلى أن المصادر التي وصلت إلينا كانت من الجانب المصري وحسب، وهذا يذكرنا بما جاء على لوحة «بيعنخي» وانتصاراته على المصريين، فقد جاءت إلينا من جانب واحد وهو الجانب الكوشي وحده؛ ولذلك فإن الحكم بوساطتها يكون ناقصًا ومتحيزًا.

(أ) لوحة الكرنك

أول لوحة عثر عليها خاصة بانتصار المصريين على الكوشيين في حملة عام ٥٩١ق.م هي لوحة الكرنك كما ذكرنا آنفًا، وقد وصلت إلينا في حالة سيئة جدًّا. وتبتدئ اللوحة بذكر ألقاب «بسمتيك الثاني» كاملة، ومن المحتمل أنها كانت مسبوقة بتاريخ كتابتها، ويأتي بعد ذلك النعت «محبوب» «آمون رع» رب عروش الأرضين المسيطر على «أبت-سوت» (الكرنك)، و«منتو» سيد «طيبة»، يلي ذلك مديح قصير: ... الإله الكامل ... وأخيرًا نجد عبارة خاصة بالأقواس التسعة. والجملة التي تلي ذلك تقدم لنا شيئًا عن نشاط الفرعون عند بداية البيان عن الحملة: «وهكذا كان جلالته قائمًا بالتنزه على بحيرة ... «نفر اب رع» (بسمتيك الثاني) عندما ...»

والجمل الباقية من العمود الرابع تقدم لنا على ما يظهر بعض تفاصيل عن الأعمال التي كان يقوم بها حينذاك «بسمتيك»، فتحدثنا عن: «شجرات الجميز الشرقية، وكان يسلي قلبه وهو داخل للتأمل.» وهذه العبارات على الرغم من عدم تماسكها؛ بسبب تهشيم المتن ربما كانت تشير إلى شجر الجميز الذي كان يزين حافة البحيرة التي كان يتنزه فيها. ومن المحتمل أنه لما كان «بسمتيك الثاني» مشغول البال بمصير جيشه الذي سيره نحو الجنوب، وبقي هو في مصر كما ستحدثنا عن ذلك لوحة «تانيس» ونقوش «أبو سمبل» الكبيرة كان في حاجة إلى أن يرفه عن نفسه بنزهة خلوية (؟) وفي أثناء ذلك على ما يظهر وصل الرسول مبشرًا جلالته بظفر جيشه، كما تشير إلى ذلك نهاية السطر الرابع من المتن، ومن السطر الخامس يعلم (في الواقع) الملك النتيجة السارة عن عمليات جيشه الحربية؛ لأن ما تبقى من المتن يقول: إن جيش جلالتك الذي أرسلته على بلاد النوبة، قد وصل إلى إقليم «بنوبس» (سليمًا) (؟) وبدون خسارة (؟) وهذه الفقرة في متن الكرنك، وهي التي بوساطتها نعلم أن «بنوبس» تعد مرحلة هامة في العمليات الحربية التي قام بها جيش «بسمتيك». وهذه المدينة المخصصة لعبادة إله الدولة «آمون» ولعبادة الإله «أوزير»، وهو الإله الآخر العظيم في بلاد كوش تظهر في الواقع في

الوثائق الخاصة بملوك «نباتا»، بوصفها أقصى بلدة في الشمال بالنسبة للعواصم الكوشية الأربع العظيمة. على أن مجرد العلم بأن الجيش المصري قد وصل في زحفه إلى ضواحي هذه المدينة، يقرر بوضوح أن حرب عام ٥٩١ق.م كان قد وجه إلى المملكة الفرعونية السودانية، وكان هدفها الأقاليم الخاضعة لسلطان ملك السودان. وتدل الوثائق التي فحصت في هذا الصدد على أن «بنوبس»، تقع في إقليم «الشلال الثالث» وتقع على ما يظهر مكان جزيرة «أرجو». وعلى ذلك يكون الجيش المصري قد وصل إلى البلاد الثرية جدًّا التي تؤلف الجزء الشمالي من مديرية «دنقلة»، وذلك بعد أن اجتاز بنجاح العقبات الطبيعية، التي صادفته منذ دخوله الشلال الثاني حتى الخروج من الشلال الثالث.

ولا نعلم مما بقي من السطر السادس من هذا المتن، إذا كان ما جاء فيه هو استمرار للأخبار التي حملت لجلالته، أو أنه يقدم لنا بيانًا مستقلًّا عن العمليات الحربية، فقد جاء فيه: «كل بلدة أجنبية نحوه (= ضده) وقلوبهم كانت مفعمة بالشجاعة. وعندما علم أنه قد هزم (؟) ...» والظاهر هنا على أية حال أن المتن يشير إلى الجنود المرتزقة من إغريق وكاريين وساميين، وهم الذين كانوا مشتركين في الحملة بقيادة «بوتاسمتو». وقد نقش بعضهم أسماءهم على تمثالي معبد «أبو سمبل».

ومما تبقى من السطر السابع وهو: «يجعل الأعداء ... دون أن يشد واحد منهم عن قوسه عليهم لأجل ...» قد يجوز أنه يعني أن المصريين قد داهموا عدوهم قبل أن يستعد لمحاربتهم، وعلى ذلك يمكن أن نكمل المتن بما يأتي: «هزم العدو دون أن يكون في مقدور واحد منهم أن يركب سهمه ليفوقه.»

وما بقي من المتن في الأسطر الباقية نفهم منه بصورة مبهمة أن العدو قد أسر، وبعد ذلك ينتهي البيان عن الحملة، ثم يأتي تقديم القربان شكرًا للإله على نجاح الحملة. هذا ما أمكن استخلاصه

من هذه اللوحة مع كل تحفظ.

(ب) لوحة «تانيس»

هذه اللوحة محفوظة أحسن من السابقة نسبيًّا، وتقدم لنا بعض تفاصيل تخول لنا أن نستنبط منها أن الحملة التي أرسلت إلى بلاد النوبة في السنة الثالثة من حكم «بسمتيك الثاني»، كانت موجهة فعلًا إلى مملكة «نباتا»، وأنها أوغلت على ما يحتمل إلى مسافة بعيدة في الجنوب.

وصف اللوحة

نشاهد في المنظر الذي يزين أعلى اللوحة الملك ممثلًا وهو يقدم قربانًا سائلًا لثالوث «طيبة»، الذي كان يعبد في «تانيس» وهو «آمون» و«موت سيدة أشرو» و«خنسو»، هذا إلى إله طيبة الحربي «منتو»، وخلف هذا الإله الأخير نقرأ صيغة حماية خاصة بالملك: «حماية حوله،[١٣] مثل «رع» أبديًّا». وفي الجزء الأسفل من اللوحة ثلاثة عشر سطرًا تحتوي على أسماء «بسمتيك الثاني»، ومقدمة ذكر فيها على حسب المعتاد الأعمال الخيرية التي أنجزها الفرعون، وأخيرًا يذكر لنا بيانًا مفصلًا عن الحرب، وهو خارج عن حد المعتاد قليلًا، ويشتمل على حقائق تاريخية أكثر من متن لوحة الكرنك السابقة.

الترجمة

ألقاب الملك: حور ممتاز القلب (منخ اب) سيد التاجين (وسر رع). حور الذهبي (سنفر تاوي الملك «نفر اب رع») ابن رع بسمتيك عائشًا أبديًّا وسرمديًّا (؟) (٢) محبوب «آمون، (رع)» سيد (عروش الأرضين) (؟) سيد الـ … «لموت» و«خنسو» و«منتو» سيد «طيبة»، («حتحور» القاطنة في) إقليم «رع نفر»، والتاسوع الموجود في مروج (٣) (سايس معطى) الحياة والثبات والقوة مثبت في مكان حور الأحياء.

المقدمة: وهكذا فإن جلالته الذي يحب الإله أكثر من الكل (٣)، أمضى وقته في عمل ما هو مفيد (٤) للآلهة بتجديد معابدهم التي آلت للخراب، وتموين موائد قربانهم وإمداد أدواتهم، وقد عمل له مكافأة على ذلك وهي الشجاعة والقوة.

حملة السنة الثالثة: ذهب إنسان ليقول لجلالته في السنة الثالثة من تتويجه: إن بلاد النوبيين … تفكر في محاربتك (؟) (٦) وقد جعل جلالته جيشًا يسير تجاه بلاد «شاس»، وإشراف القصر معه. وهاك فإنهم قد وصلوا إلى … وكانت هذه مقر الكور (= الملك) الذي كان فيها، وكذلك إلى مدينة تدعى «تادهن». وعندئذ ذبحهم جيش جلالته ووقعت مذبحة عظيمة بينهم. وهاك فإنهم … الكور (= الملك) الذي كان في … في المقر (؟) التابع لـ … وقد ذهب معه … (٩) … هم (يحارب) مع جيش جلالته. وعلى ذلك قتل (١٠) … هم وهاك فقد وجه الكور … الذين عملوا هناك، وقد استولى على أشجارهم (١٢) … صورة (؟) من … (١٣) «بسمتيك» عائشًا أبديًّا معطى الحياة مثل «رع» أبديًّا.

وهذا المتن على ما به من فجوات يمكن أن نتتبع فيه سير الحوادث، دون كبير عناء من السطر الخامس إلى السطر السادس؛ وذلك أن مقاصد النوبيين العدائية قد حتمت على «بسمتيك الثاني» أن يسير عليهم جيشًا بقيادة كبار رجال أشرافه. وأهم النقوش الصخرية التي وجدت على صخور «أبو سمبل»، تؤكد أن الملك لم يتعدَّ في سيره مع الجيش حدود «الفنتين»، بل بقي في الأراضي المصرية، ووكل أمر توجيه الأعمال الحربية للقائدين «أحمس» و«بدي سمتاوى» (بوتاسمتو)، وبعد ذكر أول انتصار ناله الجيش المصري على ملك كوش الذي أشير إليه بكلمة «كور» في … ر-با» و«تادهن»، تبتدئ مرحلة جديدة في الحرب ذكرت في فقرة مهشمة، جاء فيها ذكر مكان جديد … وشخصية جديدة يظهر أن لها علاقة بالكور (= ملك). ونهاية المتن ممزق جدًّا، وأكثر من نصف الأسطر من ٩ إلى ١٣ ناقص. هذا ونفهم من بين السطور أن الجيش المصري قد تقابل كرة أخرى مع الكور (سطر ١٠) وخرب بساتين الكوشيين، وهذه كانت عادة متبعة عند الجيوش المصرية في كل الأزمان.[١٤] ونفهم تمامًا أن الجيش في اقتفائه

أثر العدو قد نال انتصارات جديدة، وأنه من حقنا أن نفرض أنه قد وصل فعلًا حتى بلاد «شاس»، أما إذا كان الأمر على العكس من ذلك، فإن ذكر هذا الإقليم هنا بوصفه هدف الحملة (كما جاء في السطر السادس) يعد تضليلًا مشينًا!

ولما كانت لوحة الكرنك قد ذكرت «بنوبس» بوصفها إحدى مراحل الحملة، فإنه يتحتم علينا أن نضع بلاد «شاس» على مسافة من جنوبي الشلال الثالث، وهي الهدف الذي كان يرمي إليه الملك وجنوده، كما أنه ينبغي أن تكون مركزًا هامًّا لبلاد النوبة. وأغلب الظن أنها إقليم شاسع يحتوي على عاصمة الأمير المعادي. وتدل البحوث على أن هذا الإقليم يمكن أن يكون إقليم «صنم»، الذي وجد فيه هذا الاسم أو الإقليم الشاسع الممتد حول العاصمة الملكية بما فيه «صنم» نفسها و«نباتا» وجبانتي «نوري» و«الكورو» اللتين دفن فيهما ملوك كوش.[١٥] ومن الجائز أن «تاشاس» (بلاد «شاس»)، التي كانت هدف الجيش «الساوي» عام ٥٩١ق.م كانت تمثل العاصمة نفسها لمملكة كوش، وتقع قبل الشلال الرابع بقليل.

هذا ونعرف من لوحة «تانيس» فضلًا عن ذلك أن أول تصادم وقع بين المصريين والأثيوبيين بالقرب من مدينة هامة، ورد اسمها مهشمًا بعض الشيء، وكذلك بالقرب من بلدة تدعى «تادهن» (ومعناه المرتفع)، وهذا الاسم قد أطلق على أماكن كثيرة في مصر، قد ثبت أنه اسم مدينة سودانية، وتقع بين «نباتا» و«جمأتون»، ويحتمل كثيرًا أنها كانت تحتل مكان «دنقلة العجوز» الحالية، وقد كان على الجيش المصري لأجل أن يهدد العواصم الكبيرة الكوشية، وهي «بريميس» (عمارة شرق) و«بنوبس» و«جمأتون» (الكوة) و«مراوى» (مروى؟) و«نباتا» أن يسير على الشاطئ الأيمن. والواقع أن «دنقلة» هي المدينة الوحيدة الواقعة في الشرق بين الشلال الثالث والرابع، وتقع على مرتفع كبير صخري، وترجع أهميتها إلى دورها القديم الذي لعبته بوصفها عاصمة المديرية، وهذه نظرية مقبولة.

هذا ونعلم أن كلمة «كور» التي نجدها مركبة مع كلمات كثيرة كوشية، تقابل كلمة «ملك» في المصرية القديمة.[١٦]

(ج) أهمية الحملة

تدل شواهد الأحوال على أن السبب الذي حدا بمعظم المؤرخين، ألا ينظروا إلى هذه الحملة إلا أنها حركة استراتيجية، وأن أهميتها السياسية محدودة جدًّا، هو الموقع الجغرافي للنقوش الصخرية التي خلفها لنا كثير من جنود «بسمتيك الثاني» المرتزقة في «أبو سمبل». فعلى ساقي تمثالي «رعمسيس الثاني» الضخمين، نجد أن جنودًا كاريين قد نقشوا ستة متون سيكشف النقاب في البحوث الأناضولية عن معناها في القريب العاجل على ما نعتقد.[١٧] ولا بد أن نذكر هنا وجود نقوش كارية في مقبرة «منتومحات».[١٨] وبجانب هذه النقوش توجد أسماء كثيرين من الفنيقيين كانوا قد جندوا من مستعمرة مؤسسة منذ زمن معين في مصر. وأخيرًا يوجد نقش صغير إغريقي مؤلف من خمسة أسطر، يذكر لنا كيف يميز عدد كبير من الأجناد من أصل «أيوني» و«دوري». وقد كتبت إمضاءاتهم حول النقش التالي:[١٩] الملك «بسمتيك» قد أتى حتى «الفنتين»، وهؤلاء الذين ساحوا مع «بساما بسمتيكوس» بن «تيوكليس»، وصعدوا منحدرين إلى «كركيس» بقدر ما يسمح النهر قد كتبوا هنا وكان «بوتاسمتو» يقود الفرقة الأجنبية «وأحمس» يقود المصريين[٢٠] … وتدل الترجمة التقليدية على أن العلاقات الإغريقية الدالة على أقصى نقطة وصل إليها أصحاب الإمضاءات لهذا المتن، لا يمكن أن تشير إلا إلى الشلال الثاني. وهذه الترجمة أصبح لهذا من الصعب الأخذ بها؛ لأن وصول الجنود الساويين إلى إقليم «بنوبس» يدل على أنهم قد اجتازوا الشلال الثالث. ويستحسن إذن أن يبحث في الجنوب عن هذه البلدة الأخيرة في المنطقة الصعبة، التي عاقت رجال «بسمتيكوس» (= بسمتيك) أي: على الأرجح عند الشلال الرابع.

وهذا يحتم على ما يظهر أن الجنود الذين أرسلوا إلى بلاد «شاس» السالفة الذكر قد وصلوا فعلًا إلى إقليم «نباتا»، وعلى ذلك تكون «كركيس» واقعة بعد هذه العاصمة على ما يظن، وهي المكان الذي فاخر بعض الإغريق أنهم تعدوه خلال الحملة. واسم هذا المكان على أية حال ليس معروفًا لنا بالإغريقية في هذه الصورة، ولكنه يمكن أن يكون مقابلًا صوتيًّا لاسم من الأسماء العدة القديمة أو الحديثة في السودان، فقد يمكن تقريبه من جبل كولكيلي، وهو محطة صخرية تشرف على النهر عند مدخل سهل «دنقلة»، وكذلك من الجائز أن تكون في موقع المكان القديم «كوركوس» Korkos، حيث كانت توجد قلعة تحمي المرور في عهد الدولة الحديثة بعد الشلال الرابع، وإذا أخذنا بالنظرية الأخيرة، فلا بد أن نعترف أن جيش «بسمتيك الثاني» قد أوغل حتى الشلال الخامس، وعلى أية حال فإنه ليس لدينا حجج يمكن أن نبرهن بها على أن «كركيس»، يجب أن توحد ببلدة «كولكيلي» أو «كوركوس» (= حجر المروا). وعلى أية حال فإن البلاد المركبة أسماؤها مع كلمة «كرك» أو «كلك» تقع جنوبي الشلال الثالث بعد بلدة «بنوبس»؛ ولذلك فإنه يجوز تمامًا الأخذ بالنظرية القائلة: إن حملة عام ٥٩١ق.م قد وصلت خلالها الجيوش المصرية حتى مرتفع «دنقلة». وعلى أية حال فإنه مما يمكن تصوره أن الجود المصريين بعد احتلال إقليم العواصم (شاس)، قد تابعوا سيرهم في اقتفاء العدو حتى الشلال الرابع، وأن جماعة منهم قاموا بالاستطلاع شاقين طريقهم حتى شلالات «السليمانية».

وإذا أردنا أن نستخلص نتيجة قصوى من الإيضاحات والتفسيرات، التي أوردناها هنا من متون الكرنك و«تانيس» و«أبو سمبل»، فقد يجوز لنا أن نكيف الحوادث التي وقعت في السنة الثالثة من عهد «بسمتيك الثاني» في الصورة التالية، ولكن مع كل تحفظ ممكن، إذ إن ذلك لا يخرج عن نطاق النظريات البحتة:

تدل شواهد الأحوال على أن ملك «كوش» كان يتأهب لمهاجمة «بسمتيك الثاني»، وأن الأخير قد بادره مباشرة بجيش لمهاجمته، وصاحبه بنفسه حتى «الفنتين». وقد تعدت الفرق الحربية

التي كان يتألف منها جيش «بسمتيك»، وهي التي كانت تحت إشراف عظماء بلاطه الفنتين، ثم اجتازت الشلال الثاني ثم تابعت السير حتى وصلت إلى إقليم «أرجو»، وذلك إما بعد أن قام الجيش بالسير الشاق إلى بطن الحجر، أو اخترقوا على الأقدام الإقليم المقفر الذي يحاذي النهر في هذا الجزء من مجراه. والظاهر أنه كان قد نال نصرًا مبينًا على ملك كوش في سهل «دنقلة»، ثم واصل سيره نحو «نباتا». ومن المحتمل أن هذا الجيش قد اجتاز هذه العاصمة بمسافة، وخرب بلاد العدو ثم عاد إلى مصر حاملًا الغنائم الكثيرة وسائقًا أمامه الأسرى. ومن المحتمل أن بعض الجنود الإغريق قد أوغلوا في سيرهم إلى أعالي النهر حتى الشلال الخامس، وعند عودتهم تركوا في طريقهم ذكرياتهم على آثار «أبو سمبل».

وعلى الرغم من المقارنات التي أمكننا أن نقررها هنا في موضوع الأماكن «شاس» و«تادهن» و«كركبس»، تظهر لنا أنها تتفق كتابة مع فكرة حملة قام بها المصريون على السودان، ولكن لا يمكن أن نخفي أن تحديدنا لمواقع هذه الأماكن لا يزال غير مؤكد، وعلى ذلك يجب أن نكون على حذر من الصورة التي اقترحناها هنا. ولكن على أية حال يمكن قبول هذه النظرية بوصفها مادة للعمل بها وحسب. ومهما يكن من أمر فإنه بقدر ما تسمح به نقوش لوحة الكرنك، نرى أن قراءة اسم «بنوبس» وموقعها يظهر مؤكدًا، وعلى ذلك يمكننا على ما يظهر أن نعترف أن جنود «بسمتيك الثاني» قد وصلوا على أقل تقدير إلى «دنقلة». وعلى أية حال فإن التاريخ الذي اتخذ لبداية تهشيم أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، وكذلك استعمال لفظة «كور» للدلالة على زعيم الأعداء في متن «تانيس»، وأخيرًا ذكر المدينتين التابعتين لمملكة كوش في لوحتي النصر (وهما «بنوبس» و«تادهن»)، يحتم علينا تقريبًا قبول النتيجة التالية: كانت حملة عام ٥٩١ق.م عملًا حربيًّا على مملكة «نباتا» التي غزت ممتلكاتها الجيش المصري.

وتدل الأحوال في مصر نفسها على أن المظاهر التي صحبت هذه الأعمال الحربية، أو جاءت بعدها كانت تنطبق مع خطورة مثل هذا الحادث، ومع الانتصارات التي أحرزها الجيش

المصري بالنسبة لملوك كوش وعلاقتهم مع مصر، فنجد:

أولًا: أن ملوك «نباتا» الذين حكموا مصر سابقًا، أخذوا يعملون على استرجاع ما فقدوه من اسم. والواقع أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الذين كانوا يعدون أنفسهم ملوكًا شرعيين كانوا يعتبرون في مصر مغتصبين، وأنهم أفراد ارتكبوا جريمة التعدي على سلطان البلاد المصرية، وعلى ذلك فإن ملوك الأسرة الساوية قد محوا ذكرياتهم — وهذا أمر كان لا بد منه لبقائهم في عالم الآخرة — وقد أنكروا في الوقت نفسه حقوق أمراء كوش في شرعيتهم، التي اكتسبوها على عرش مصر، هذا بالإضافة إلى أن المصريين قد هشموا المظاهر الخارجية، التي يمكن أن تذكر أتباعهم في مصر بهذه الحقوق. فهشمت طغراءات «بيعنخي» وأخلافه على آثارهم وآثار المتعبدات الإلهية.[٢١] ومن ثم نجد في المعابد أن أسماء ملوك كوش كانت لا تحترم قط، وتهشم كلها إلا أسماء الآلهة، ولم تفلت من يد المهشمين إلا في حالات شاذة.[٢٢] وقد كانت الآثار الجنازية والآثار الخاصة، وكذلك الآثار الصغيرة وبصفة عامة كل الآثار التي كانت لا تقع تحت نظر المهشم، مثل النقوش الصخرية وشواهد قبور الحيوان المقدس ولوحات الهبات، كانت كلها في العادة لا تمسها يد المضطهدين، وذلك بسبب أنها كانت محجوبة عن الأنظار بتماثيل قريبة منها أو موضوعة تجاه الجدار، وبذلك فإن الطغراءات التي كانت عليها لا ترى. هذا ونجد أن ألقاب «بسمتيك الثاني»، كانت في كثير من الأحوال تحل محل اسم مهشم من ملوك كوش اللهم إلا في سلسلات النسب كما هو مفهوم.[٢٣]

ثانيًا: لوحظ أن على جدران عدة مباني «طيبية» من التي يكون عليها اسم ملوك النوبة مهشمًا أن الصل المزدوج، الذي كان يعد الميزة الخاصة بلباس الرأس عند ملوك كوش كان يكشط أو يصلح ليصير صلًّا واحدًا؛ وذلك ليتحول بهذه الكيفية من صورة ملك كوشى إلى صورة ملك مصري تقليدي، إذ كان ملك مصر لا يلبس إلا صلًّا واحدًا. وهذا التغيير لم ينحصر فقط في الصور التي في المناظر، بل قد شوهد كذلك في لباس رأس تمثال اللك «شبكا» الضخم.[٢٤] وأفظع من ذلك ما نجده في كثير من تماثيل الملوك، وعلى بعض المناظر إذ نشاهد أن الصلين قد محيا محوًا تامًّا. وكل هذه الحالات تدل تمامًا على ما كان يرغب فيه «بسمتيك الثاني» من

القضاء نهائيًّا على الصفة النوبية لهذه الصور، وكذلك شغفه بأن يمحو في الوقت نفسه أي رمز ظاهر لادعاءات الكوشيين بالملكية المزدوجة؛ أي على مصر والسودان.

ثالثًا: نجد في الوقت نفسه أنه قد نشأت التقاليد الشعبية التي جعلت من «الكور» (أي: الملك) العدو الأول لمصر ومن كوش شيئًا مستهجنًا، كما كان الإله «ست» إله الشر يوحد بكلمة نوبي.

وهذه الظواهر السلبية كانت قد تضاعفت بدعاية إيجابية تميل إلى إبراز عظمة الانتصار الذي أحرزه «بسمتيك الثاني». وهذا النوع من المظاهر بوساطة النقوش الدالة على الانتصارات والنقوش الخاصة بالمديح، واغتصاب انتصارات أحرزها السلف، وغيرها لم تكن تشاهد إلا قليلًا في عهود الملوك الساويين السالفين؛ ولذلك فإنه يصعب علينا ألا ينسب كثرتها وتنوعها إلى شيء هام. ولا نزاع في أن حربًا على ورثة الأسرة الخامسة والعشرين قد أثارت أمورًا سياسية داخلية بقدر ما أثارت أمورًا سياسية خارجية؛ فقد كان فرعون «سايس» يريد أن يكسب أمام شعبه مكانة من النفوذ الخلقي، الذي نتج عن هذه الانتصارات.

ومن أجل ذلك نجده قد أقام لوحات مبينًا فيها العلاقات المختلفة للحملة، فمنها لوحتا «تانيس» والكرنك، ويحتمل كذلك لوحة الشلال، التي بقي جزؤها الأعلى محفوظًا، وتشبه في توزيع نقوشها توزيع نقوش الآثار الطيبية، فنجد على لوحة الكرنك أن الملك يلقب «محبوب آمون» سيد عروش الأرضين و«مين منتو» سيد «طيبة»، وعلى لوحة «تانيس» نجد أن الإله الأخير يصحب ثالوث «طيبة» في المنظر كما في المتن. ويمكن الإنسان أن يتساءل فيما إذا لم يكن المقصود في هذين الأثرين هو أن يربط «بسمتيك» المظفر بإله «طيبة» الحربي؟

ونجد مواجهًا لبلاد النوبة على الصخور المحيطة بالشلال الأول، وفي «الفنتين» و«كونوسو» و«بيجه» عددًا عظيمًا من الطغراءات وأسماء الأعلام منقوشة باسم الملك «بسمتيك الثاني» مما يشهد — مع عدم وجود طغراءات مماثلة لأسلافه — على أنها كانت قد نقشت في أثناء إقامة

هذا الملك في «الفنتين»، أو في أثناء عودة جيشه مظفرًا، وعلى أن عزيمة فاتح بلاد كوش كانت ترمي إلى توطيد سلطانه على الحدود الجنوبية لمصر.

هذا وقد بالغ «بسمتيك الثاني» في تأكيد انتصاره على بلاد النوبة بأنه اغتصب آثار ملك آخر، ممن قهروا بلاد كوش، فنجد في منظر بالكرنك يمثل «شيشنق الأول» أمام الإله «آمون» أن «بسمتيك الثاني» قد وضع أسماءه مكان أسماء الملك «شيشنق» العظيم مع أنه لم يكن بينهما عداوة. والمتن الذي يتبع المنظر بانتصارات «شيشنق» وبوجه خاص إخضاعه لبلاد النوبة.[٢٥] وعلى ذلك فإننا في حل من أن نتساءل فيما إذا كان هذا الاغتصاب الشاذ كان سببه الرغبة الشديدة من جانب «بسمتيك» في أن يكون فاتحًا لبلاد كوش بطريقة اقتصادية لا تكلفه حفر نقوش جديدة، بل اقتصرت على وضع اسمه بدل اسم ملك عظيم آخر فتح فيما مضى بلاد النوبة؟

ويلحظ أنه قد أدخل عرضًا في طغراء «بسمتيك الثاني» النعت «نب بحتي» (= رب القوة)،[٢٦] وهذا اللقب كان يحمله إله الحرب والفاتحون العظام مثل «أحمس الأول». ولدينا نقش «لبسمتيك الثاني» على قاعدة تمثال بولهول يلقب فيه هذا الفرعون أنه: «الإله الكامل» الذي يضرب آسيا … والنوبيين والذي خوفه يقضي على الشخصيات الشريرة.[٢٧] ومن المحتمل جدًّا أن هذه العبارة ليست إلا مثالًا من ألقاب المدائح، التي كانت يمكن أن تظهره بمناسبة انتصاره على الكوشيين.

ويظهر لنا الاسمان الجميلان «نفر اب رع قوي» و«نفر اب رع» رب الشجاعة اللذان يحملهما كل من «أحمس» و«بوتاسمتو» قائدي «بسمتيك الثاني»، على أنهما كانا قد أعطيا إياهما مكافأة على شجاعتهما في هذه الحرب.[٢٨]

ومن المحتمل جدًّا أن القائد «حور» المسمى «نفر اب رع أم ابت»؛ أي «نفر اب رع في الأقصر» قد سمى نفسه بهذه التسمية؛ لأجل أن يذكر الناس باشتراكه في الحملة الوحيدة الباهرة، التي أرسلها «بسمتيك الثاني» على بلاد كوش. ولا نزاع في أنه كان معاصرًا لهذا الملك، وقد أدخل في ألقابه النعوت التالية: رجل ثقة لسيد الأرضين والذي نشر خوف جلالته في بلاد الأعداء، وألقى الرعب بين أولئك الذين كانوا عقبة في طريقه.[٢٩] ولدينا شخصية معاصرة «لبسمتيك الثاني» يدعى «بزا»، وقد مثل نفسه مقدمًا صورة ملك في هيئة تقليدية لملك طفل يدوس الأقواس التسعة.[٣٠]

وأخيرًا قد لا يكون من المستحيل أن السياحة التي قام بها «بسمتيك الثاني» إلى فلسطين مصحوبًا بكهنة كانوا يحملون له طاقة الأزهار الرمزية، التي قدمتها الآلهة اعترافًا بالجميل، كان الغرض منها أن يعقدوا في بلدة فلسطينية مجلس انتصار لأجل أن يؤكدوا لآسيا قوة بطش المملكة المصرية.[٣١]

وعلى الرغم من أن حرب السنة الثالثة من حكم «بسمتيك الثاني» كانت بلا نزاع أول حملة مظفرة كسبتها الأسرة الساوية منذ زمن بعيد جدًّا، فإن الاضطهاد الغشوم الذي وقع وقتئذ على ملوك النوبة القدامى، هذا بالإضافة إلى المظاهر التي قدست هذا الانتصار، كل ذلك يفسر بوضوح أن هذه الحرب قد انطلقت من عقالها لا عن رغبة مصرية، بل بسبب طموح الفاتحين الكوشيين: إذ لا نزاع في أن لوحة «تانيس» تدل تمامًا على أن التعدي من الوجهة المصرية كان قد أتى من قبل الكوشيين، والواقع أنه حوالي عام ٥٩٤ق.م وهو تاريخ تتويج «بسمتيك الثاني» كانت آسيا بوجه خاص لا بلاد النوبة هي التي كان يجب أن تسترعي انتباه ملك «سايس» بصورة مقلقة. فمنذ هزيمة «نيكاو الثاني» في «كركميش» كان ازدياد قوة «بابل» في فلسطين يعد تهديدًا خطيرًا لمصر.[٣٢]

ويصعب على الإنسان أن يتصور أنه حوالي هذا العهد كان في مقدور مصر أن ترسل جيشًا على السودان متحدية مناوشة جارتها الجنوبية عن قصد. والواقع أن الحرب التي شنها «بسمتيك الثاني» في أفريقيا كانت حرب دفاع لا حرب فخار. وعلى ذلك فقد كان من باب أولى أن «كور» (ملك) بلاد كوش رأى أن يفيد من الأحوال الجارية؛ لأجل أن يعيد السياسة الإمبراطورية التي كان يتمتع بها ملوك «نباتا» الأول على مصر. ولا بد أن تجهيزاته الحربية كانت قد أقضت مضجع حكومة «سايس». وقد كان غرض حكومة «سايس» أن تعمل على اختفاء ذكرى الأسرة، التي كانت ذكراها يمكن أن تجد لها مبررًا في أعين الذين كان رأيهم يميل مع فراعنة الجنوب ذوي المطامح الطاغية على مصر. ولم يكن على ما يظهر لدى ملك كوش الوقت ليخطو مسافة بعيدة في مشروعه. فقد كان الجواب المصري عندما أحس استعدادات كوش غاية في السرعة، ولم يلبث أن انتهى بنصر باهر لم يتطلب أكثر من حملة واحدة على ما يظهر. ولم يتجاوز «بسمتيك الثاني» نفسه حدود «الفنتين»، وكان سبب ذلك بلا شك ألا يفقد حلقة الاتصال برسله الذين كانوا يحملون له الأخبار من آسيا. ومنذ أن بدأت الحرب في كوش، أخذ يظهر في فلسطين درءًا للخطر الذي كان يتهدد مصر.

وعلى ذلك فإن الحملة التي قام بها «بسمتيك الثاني» على مملكة «نباتا»، كانت قد حدثت في زمن أزمة سياسية خارجية للأسرة السادسة والعشرين، وهذه السياسة كانت بطبيعة الحال موجهة نحو آسيا بمقتضيات الحوادث. وهذا التحول كان سببه مظهرًا جديدًا يرجع إلى الادعاء بالسيطرة على مصر من قبل ملوك كوش منذ منتصف القرن الثامن ق.م، وقد كان هذا الادعاء لا يزال حيًّا كما يثبت ذلك الصل المزدوج الذي كان يلبسه أخلافهم، حتى بعد أن تقهقروا إلى بلاد النوبة، فقد كانوا لا يزالون يحملونه على جباههم في لباس رأسهم؛ أي إنهم كانوا يعتبرون أنفسهم ملوك مصر والسودان. والصلان يرمزان للبلدين مصر والسودان.

وإذا كانت ولاية «طيبة» في عهد الأسرة الخامسة والعشرين، وهي التي كانت محكومة بالمتعبدة الإلهية التابعة لأسرة كوشية قد ظهرت بأنها كانت في قبضة هذه المتعبدة تمامًا، فإن الكوشيين كانوا مضطرين في أحوال عدة أن يعيدوا فتح الوجه البحري، حيث كان الأمراء المحليون هناك وبوجه خاص حكام «سايس»، قد ظهر أنهم انتهزوا الفرص لنزع نيرهم عنهم. فنجد على التوالي «بيعنخي» و«شبكا»، ويحتمل كذلك «شبتاكا» وأخيرًا «تانوتآمون» كان يجب عليهم أن ينزلوا إلى الدلتا، ويسكنوها لأجل أن يشعروا القوم بسلطانهم. وبعد أن اضطرت جيوش «آشوربنيبال» الملك «تانوتآمون» أن يرتد إلى بلاد النوبة، فإن الأخير قد استولى ثانية على إمارة «طيبة»، وإذا أمكن الإنسان أن يوحده مع ملك مصر المسمى «تمنتيس»، وهو الذي على حسب قول المؤرخ «بوليين» قد نازل الملك «بسمتيك»، وهزم على يديه بالقرب من «منف»،[٣٣] فإنه يجب أن نعترف بأن آخر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين كان قد حاول كرة أخرى أن يعيد فتح الوجه البحري. ويمكن أن الحالة المستديمة لإعادة الفتح الكوشي لمصر قد تركت لورثة الملك الأمل في توحيد القطرين من جديد، تحت صولجان ملك بلاد كوش ومصر معًا.

ولا نزاع في أن «بسمتيك الأول» الساوي كان قد أفلح منذ عام ٦٥٦ق.م في الاستيلاء على «طيبة»، وفي أن يولي على عرشها ابنته «نيتوكريس»؛ لتكون خلفًا للمتعبدة الإلهية الكوشية، كما أفلح في وضع حامية في «الفنتين».[٣٤] ولدينا قطعة من متن عثر عليها في «إدفو» تكشف لنا عن أن «بسمتيك الأول» كان قد أرسل في وقت ما من حكمه حملة حربية إلى بلاد «واوات»؛ أي إلى بلاد النوبة السفلى.[٣٥]

هذا ويوجد في مصر نفسها ما يدل على أن الأسرة النباتية كان لها بعد خروجها من مصر أعوان. ولا نزاع في ذلك إذ نعلم أنه في خلال القرن الثامن ق.م قد توطن في إقيم «طيبة» طبقة أشراف نوبيين، كما أن الأسرة الكبيرة المحلية كانت ملتفة حول الحكم الكوشي. فمثلًا نجد أن

أمراء كوشيين كانوا يشغلون وظائف كبيرة بين كهنة «آمون».[٣٦] وكذلك تدل أسماء عظماء رجال الإدارة الطيبية بوضوح على أنهم من أصل كوشي، مثال ذلك «كارابيسكن»[٣٧] و«أريجاديجان»[٣٨] و«كاررخي-أماني»،[٣٩] والظاهر أن الأسرة الخامسة والعشرين كانت خلافًا لذلك قد حابت الكهنة المحليين المختلفين، وبخاصة كهنة «منف»، وهي المدينة التي كان قد اتخذها مقرًّا له كل من «شبكا» و«تهرقا» كما تدل على ذلك النقوش.[٤٠] ومن جهة أخرى يلحظ أن بعض الأمراء المحليين هناك قد فضلوا بلا شك أن يكونوا تحت سلطان فراعنة الجنوب عن أن يكونوا تحت حكم ملك مصر، وذلك مقاومة لمطامع ملك «سايس». والواقع أن فراعنة الجنوب؛ أي الكوشيين كان معترفًا بهم لدرجة عظيمة حتى إن «بسمتيك» لم يكن يفكر في عدم شرعيتهم، وكان عليه أن يسلم بأنه خلفهم،[٤١] ففي الأزمان الأولى من تسلطه على الوجه القبلي نلحظ أن «بسمتيك» قد احترم ظاهرًا جزءًا من المميزات الخاصة بأمراء الكوشيين أصحاب «طيبة»، فمثلًا نجد أن «منتومحات» وابنه «نسبتاح» من بعده، قد حافظ كل منهما في عهد «بسمتيك الأول» على لقبه «عمدة نو» (أي: طيبة) وحاكم الوجه القبلي. وفي «إدفو» نجد أن عمدتها «خنس-أرديس»، ظهر أنه كان يقوم على ما يظهر في العهد الساوي بدور حاكم الوجه القبلي، وهي الوظيفة التي كان والده «باثنف» يشغلها في عهد الكوشيين.[٤٢] ولكن على الرغم من هذه السياسة المهادنة، فإن مملكة كوش قد بقيت مركز تجمع للخارجين على مصر، إذ كان يتوجه صوبها رجال الأرستقراطية الحربية المصرية اللوبية، عندما حرموا استقلالهم على يد «بسمتيك الأول»، وأصبحوا يتوجسون خيفة من الجنود المرتزقة الأجانب الذين كان يعتمد عليهم «بسمتيك»، وأخيرًا هجروه[٤٣] بعد أن ضاقت بهم السبل.

وعلى أية حال فإن أسرة «نباتا» كانت قد حافظت على بعض ثرائها، على الرغم من الهزمات التي حلت بها. والواقع أن الإنسان إذا قدر الآثار العدة التي تركوها، وما دلت عليه محتويات جباناتهم من ثروة فإن أخلاف «تانوتآمون» وهم «أتلانرسا» Atlanersa و«سنكامان

سكن» Senkamaniskin و«أنلاماني» Anlamani و«أمتالقا» Amtalqa و«مالناقن» Malenaqen قد ظهروا بأنهم كانوا ملوكًا أقوياء. وسنتحدث عنهم.[٤٤] ومما يؤسف له أننا نجهل حتى الآن من هو الملك من بين هؤلاء الذين ذكرناهم الآن كان يحارب بسمتيك الثاني، ولكن على حسب آخر تأريخ لملوك كوش اقترحه «ريزنر»، فإن حرب سنة ٥٩٤ق.م قد جدد على وجه التقريب حوالي حكم الملك «أسبلتاه»،[٤٥] وعلى حسبه يكون حكم «أسبلتا» هذا من عام٥٩٣ لغاية ٥٦٨ق.م، والواقع أنه إذا كان الجيش الكوشي قد وجد في إقليم «أبو سمبل»، كما هو المعترف به بوجه عام عند موت الملك «اللاماني»،[٤٦] فإنه يمكن الفرض أنه في هذا العهد كانت على وجه التقريب اللحظة التي كانت القوات الساوية تنازل فيها الجيش الكوشي.

وعلى ذلك فإنه من المحتمل جدًّا أن لوحة «سنكامان سكن» التي عثر عليها في «منف»[٤٧] لا بد كانت قد أتت من غنيمة الجيش المصري. وقد يكون من الأمور المغرية، وإن لم تكن من المؤكدة تمامًا أن يجد الإنسان في جبل «برقل» في تهشيم الطغراءات التي على اللوحات التي تدعى «الطرد»،[٤٨] وعلى لوحة تتويج «أسبلتا»[٤٩] وكذلك في تهشيم تماثيل «تهرقا» و«تانوتآمون» و«سنكامان سكن» و«أنلاماني» و«أسبلتا»[٥٠] شواهد على مرور جنود القائدين «أحمس» و«بوتاسيمتو» بهذه الجهات.[٥١] ومهما يكن من أمر فإنه في بداية القرن السادس قبل الميلاد، كان بدأ عصر حرج للحوادث التي ظهرت فيها كوش بمظهر الدولة الطامحة في ملك مصر لإعادة إمبراطوريتها القديمة. والواقع أن إمارة «طيبة» التي كانت قد اختفى فيها حكم المتعبدة الإلهية الكوشية المسماة «شبنوبت»، كانت تحت حكم مملكة الشمال مدة ستين عامًا، وقد حل محل العظماء الذين كانوا في عهد السيادة النوبية آخرون من الموظفين الذين ينسبون إلى الدلتا ولو جزئيًّا، فمنذ حكم «بسمتيك الأول» نقلت حكومة «إدفو» إلى شريف من أشراف الدلتا الغربية يدعى «اسناوياو»،[٥٢] وكان «بابس» مدير بيت المتعبدة الإلهية «عنخنس نفر أب رع» على ما يظهر من شرقي الدلتا،[٥٣] وكان ابن سلفه «أيا»[٥٤] يدعى «بدي حور رسني»،

ونفس هذا الاسم كان يحمله خلفه[٥٥] ومن المحتمل أن كلًّا منها كان من بلدة «سايس»، وهي التي كان يعبد فيها «حور-رسني»، وهو من أهم المعبودات؛ ومن ثم نجد أن النتيجة التي كسبتها سياسة الهضم التي استعملتها الأسرة الخامسة والعشرون كانت في طريقها إلى الزوال.

فمن الأمور البارزة أنه منذ السنة الأولى من حكم «بسمتيك الثاني» قد نصبت متعبدة إلهية، وهي ابنته «عنخنس نفر اب رع» بجوار عمتها «نيتوكريس»، التي تبنتها فقدس بذلك إرادة أسرته بضم إمارة «طيبة» إليه،[٥٦] ومع ذلك فإن المملكة الساوية التي كانت مهددة من قبل آسيا لم تكن قد قامت بأي عمل جدي ضد مناهضتها «نباتا»، وكانت مملكة «نباتا» في الواقع تنظر دائمًا إلى موضوع ضم البلاد المصرية إلى ملكها بعين الرضا، كما كانت ترى أن مملكة كوش كانت تعمل مستعدة على ما يظهر للحرب حوالي عام ٥٩٤ق.م، غير أن مبادرة «بسمتيك الثاني» بالهجوم عليه كانت قد صدمت الأطماع الإمبراطورية التي كانت تختلج في صدر «كور» كوش، كما أكدت أن في الكنانة جيشًا قويًّا يحمي حماها. وعلى أية حال فإن النصر الذي ناله المصريون لم يكن حلًّا نهائيًّا لهذا الموضوع.

وليس من المؤكد أن المصريين اضطروا إلى حمل السلاح لمحاربة بلاد النوبة ثانية، غير أن كثرة النقوش الصخرية في إقليم «أسوان» بأسماء «بسمتيك الثاني»، تكشف لنا فعلًا إلى حد ما عن أن الملوك الساويين كانوا مهتمين منذ ذلك الوقت بأحوال حدودهم كثيرًا جدًّا. ولكن من جهة أخرى نجد أن بعض المؤرخين يفسر وجود هذه النقوش الكثيرة التي من عهدي «بسمتيك الثاني» و«إبريز»، على أنها دليل على نشاط محاجر «أسوان» في حكميهما.[٥٧] ويذكر لنا «أسحور» الذي عاش في عهد «إبريز» صراحة أنه كان قد نصب حاكمًا لتخوم الجنوب؛ لأجل أن يصد غارات فعلية من جانب المتوحشين.[٥٨] ولدينا قصة صغيرة نقلًا عن «بلوتارك» نجد في ثناياها الأدلة التي بقيت عن موضوع إقليم «الفنتين»، وقد وقعت بين ملك كوش و«أحمس الثاني»، وتتلخص القصة في أن «أحمس» أمره ملك كوش أن يشرب البحر، ولما أراد أن

يتخلص من هذه الورطة طلب (بنصيحة «بياس» أحد الحكماء السبعة) من قرنه أن يوقف مقدمًا الأنهار لأجل أن يكون المشروع ممكنًا، وعلى عكس ما يقول البعض، فإن هذه القصة لم تكن في واقع الأمر خرافة تخيلها الكاتب الإغريقي، بل من المحتمل أن الكاتب الإغريقي قد أفاد من قصة مصرية، ووضعها في قالب إغريقي. والواقع أن هناك تقليدًا مصريًّا يجعل من «أحمس» سكيرًا مدمنًا، ومن الممكن أنه قد راهن على أن يشرب مقدارًا كبيرًا من النبيذ القوي.[٥٩]

ولدينا تقرير كتب بالديموطيقية في السنة الواحدة والأربعين من حكم الملك «أحمس»، يشير إلى اجتياز كوكبة صغيرة من الجنود الشلال الأول متجهة نحو الجنوب.[٦٠] غير أن ذلك لا ينسب على ما يظهر إلى حملة بل تدل شواهد الأحوال على أن هذه الكوكبة كانت تقوم بمراقبة حربية على بلاد النوبة السفلى. وقد كانت الأحوال تحتم وجود نظام دفاعي قوي خوفًا من إغارة النوبيين.

ومن ثم نفهم أن مملكة كوش على الرغم من غزوة عام ٥٩١ق.م كانت دائمًا مركز خطر كافٍ بوصفها ملجأ للخارجين، كما كانت تقوي العقبات التي تواجهها سياسة الأسرة الساوية في داخل البلاد؛ فقد حدث بعد انتصار «بسمتيك الثاني» على النوبيين بزمن قليل أن ثار جنود مرتزقون على «إبريز»، وحاولوا أن يجدوا لهم ملجأ في كوش.[٦١] وهناك سبب أقوى في أن تكون المعارضة قوية في ولاية «طيبة»، التي لم يكن قد تم اندماجها فعلًا في النظام الإداري للدلتا على ما يظهر، إلا بعد نصف قرن تقريبًا من بعد عهد «بسمتيك الثاني»، إذ نجد أن إحلال الديموطيقية بدلًا من الخط الهيراطيقي الشاذ الذي كان يستعمل في ولاية «طيبة» لم يحدث إلا في خلال حكم «أحمس الثاني».[٦٢]

وعلى الرغم من الاضطهاد المتأخر الذي صوَّبه هذا الملك الأخير على الأسرة الخامسة والعشرين، فإنه كان لا يزال يوجد شارع في «منف» يذكرنا اسمه بالملك «شبكا» في عهد

البطالمة،[٦٣] هذا ونلحظ أن طغراءات كل من «شبكا» و«تهرقا» التي كانت قد محيت أعيدت ثانية في المعابد الطيبية في العهد الهيلاني.[٦٤] يضاف إلى ذلك أن معظم القصص التي وضعها الكتاب الكلاسيكيون عن الكوشيين، وتسلطهم على مصر تظهر لنا ملوك كوش في صورة محببة، فمثلًا يظهر «سبكون» بأنه رجل صالح تقي، وبقدر ما كان إنسانًا كان صاحب أدب راق.[٦٥] وقد ظهر «تركوس» (تهرقا) بصورة مناقضة للحقيقة مساويًا للملك «سوزستريس»،[٦٦] هذا بالإضافة إلى فضائل الكوشيين والغنى الخيالي لبلادهم النائية، وكذلك القصص العدة التي كان مفعمًا بها العصر الفارسي، والميل الظاهر من قبل المصريين للقوم الذين وقفوا حجر عثرة في وجه الغاشم الممقوت (ملك الفرس)، هذا إلى تقاليد عدة تشهد بمقدار تعلق بعض المصريين بالأسرة الكوشية، وكيف أن هذا التعلق قد بقي حيًّا على الرغم من «بسمتيك الثاني» وانتصاره الذي احتفل به بمبالغة كبيرة، وما قام به من اضطهادات انصبت على تهشيم آثار الكوشيين ومحو أسمائهم.

ونجد في إمارة «طيبة» التي كانت خاضعة لحكومة الشمال أن العلاقات مع المملكة الجنوبية، قد بقيت ضاربة بأعراقها في تلك البقعة كما كانت الحال في عهد «بطليموس ابفان»، حيث نجد أن الإمارات الثائرة قد ارتمت في أحضان الأمراء النوبيين[٦٧] مجددين بذلك الحركة الساوية، إذ نجد أن الملك اللاجيدي قد أمر بتهشيم طغراءات خلفه العظيم «ارجامن» في معبد أرستوفيس في «الفيلة».[٦٨]

---

[١] راجع: Herodot, II, P. 161.

[٢] راجع: Mallet, Les Premiers Etablissements des Grecs en Egypte, (M. M. P. F., 12) P. 113 Note 3.

ملوك كوش الذين حكموا في «نباتا» بعد الملك «تانوتآمون»

في عهد الأسرة السادسة والعشرين وما بعدها

الملك «أتلانرسا» (٦٥٣–٦٤٣ق.م)



خوكارع

أتلانرسا

تدل النقوش التي لدينا على أن «أتلانرساه»[١] هو ابن الملك «تهرقا» والملكة «... سالكا».

وجد لهذا الملك وديعتان في معبد «برقل» رقم ٧٠٠ باسم الملك «أتلانرسا»، وتحتوي كل منهما على لوحات صغيرة من المعدن والحجر والخزف المطلي. هذا وقد وجد اسم هذا الملك على بعض حجرات هذا المعبد وعمده. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا المعبد كان قد أتمه تقريبًا هذا الملك، ثم أضيف إليه اسم الملك «سنكامان سكن» فيما بعد.[٢]

وكذلك وجدت له لوحة في ردم «نوري» رقم ٥٠٠، وهذه لوحة جنازية، وليست من أساس معبد.[٣] وقد استنبط «ريزنر» من وجود هذه اللوحة في هذا المكان أن «أتلانرسا» دفن في «نوري» في الهرم رقم ٢٠، غير أنه لم يوجد في بقايا هذا الهرم ما يؤكد ذلك.

هذا وكان قد وجد لهذا الملك مائدة قربان عثر عليها الأثري «لبسيوس» في المعبد F بجبل «برقل»، وحملها إلى متحف «برلين»، وقد جاء عليها: «حور» مهدئ الأرضين، السيدتان: محبوب «ماعت» (= العدالة)، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، «منتو» جيشه، «خوكارع» بن «رع» من جسده محبوبه، «أتلانرسا» محبوب «آمون رع» رب عرش الأرضين المشرف على الكرنك.[٤]

وكذلك وجد اسمه على قطعة حجر في المعبد H القائم في جبل «برقل».[٥]

يضاف إلى ذلك أنه وجدت قطعة من مسلة على الأرجح (أو من عمود) من الجرانيت الأسود في «دنقله»، وجيء بها إلى «المُتْحَف المصري»[٦] ونقرأ عليها: «ماعت؟ (= العدالة) حور الذهبي مثبت القوانين، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خوكارع» بن «رع» «أتلانرسا» محبوب «آمون» «نباتا» القاطن في الجبل المطهر.

وأخيرًا وجد له جعران محفوظ في «متحف اللوفر»، غير أن كتابته غريبة[٧] مما يجعل الاسم يقرأ «أديلانلاس».

---

[١] المصادر، راجع:

(1) G., L. R., IV, P. 53 f.

(2) Reisner, Prelimenary Report on the Harvard-Boston Excavations at Nuri; The Kings of Ethiopia after Tirhaqa, P. 18 ff.

(3) J. E. A. vol. 35, P. 139; Names and Relationships of the Royal Family of Napata, P. 143 No. 21.

[٢] راجع: Reisner, Prelimenary Report, P. 21. ff.

[٣] راجع: Ibid, P. 47.

[٤] راجع: L. R. IV. P. 53.

[٥] راجع: Ibid, P. 53.

الملك «سنكامان سكن» ٦٤٣–٦٢٣ق.م



تولى «سنكامان سكن» الملك بعد وفاة والده «أتلانرسا»، وأمه تدعى «ماليتارال» (؟) الأولى.

وهرمه في جبانة «نوري» رقم ٣ وتبلغ مساحته ٢٧٥٩ مترًا مربعًا.[١]

وأهم الآثار التي عثر عليها لهذا الفرعون:

(١) تماثيل مجاوبة مختلفة الأنواع يبلغ عددها أكثر من ثلاثمائة صنعت كلها باليد، ويلحظ أن لباس الرأس قد حُلي بصلين كما هي عادة ملوك كوش.[٢]

(٢) كما وجدت في قبره كذلك آنيتان للأحشاء وغطاءات.

(٣) وعثر له على لوحات صغيرة عليها اسمه.[٣]

(٤) وجد له تمثال من الجرانيت في معبد «برقل» رقم ٥٠٠، وهو محفوظ الآن بمتحف «بوسطون»،[٤] وجاء على هذا التمثال: حور مهدي الأرضين؟ والسيدتان، صورة ماعت (؟) حور الذهبي، عظيم القوة، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «سخبر-نـي-ر ع» «سنكامان سكن».

هذا وقد وجد اسمه على الواجهة الشرقية لبوابة معبد «برقل»، وقد نقل نقوشه الأثري «كايو».[٥]

وعثر له على مائدة قربان نقشت من ثلاثة أوجه، عثر عليها «لبسيوس» في خرائب معبد F في جبل «برقل»، ونقلها إلى متحف «برلين»[٦] وقد جاء عليها: «محبوب «آمون رع» رب تاج الأرضين القاطن في الجبل المقدس، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «سخبر-ني-رع» معطى الحياة، ابن «رع» رب التيجان «سنكامان سكن» أبديًّا.»

ومن المدهش أن هذا الملك الذي كان يقطن «نباتا» قد عثر له على قطعة من الخزف مطلية، وهي من لوحة جنازية في بلدة «ميت رهينة»، وهي محفوظة الآن بالمُتْحَف المصري.[٧]

ويقول بعض المؤرخين: إنه من المحتمل أن هذه القطعة قد جيء بها في عهد الحملة التي قام بها «بسمتيك الثاني» على بلاد كوش حوالي عام ٥٩١ق.م ويظن بعض المؤرخين أن اللقب «مهدي الأرضين»، وكذلك اللقب «عظيم القوة أو البطش» قد يوحيان بأن هذا الملك قد غزا مصر لمدة قصيرة، وبخاصة عندما نعلم أن ملوك كوش كانوا دائمًا يحاولون غزو القطر المصري منذ أن خرجوا منه على يد «بسمتيك الأول». وقد رأينا أن «بسمتيك الثاني» قد صد غارة كانت تحاول الاستيلاء على مصر. وعلى أية حال فإن وجود هذه القطعة من الخزف توحي بوجود علاقات بين البلدين قد تكون تجارية، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

---

[١] راجع: Reisner, Prelim. Report, P. 48; J. E. A., vol. 35, P. 147; & Pl. XVI.

[٢] راجع: Ibid, P. 29.

[٣] راجع: Ibid.

[٤] راجع: Boston. 23–731 (67, c).

الملك «أنلاماني»[١] ٦٢٣–٥٩٣ق.م



عنخ-كا-رع أنلا ماني

تولى هذا الملك عرش كوش بعد موت والده «سنكامان سكن» ووالدته هي الملكة «ناسلسا». ودفن في هرمه «بنوري» رقم ٦.

وأهم أثر له لوحة[٢] عثر عليها حديثًا في معبد T «بالكوة» في الردهة الأولى مسندة على النصف الشمالي من الجدار الشرقي على الجانب الشمالي للوحة رقم ٤٩٨ أي: لوحة «تهرقا» للسنة السادسة التي تحدثنا عنها فيما سبق (مصر القديمة ١١). وهذه اللوحة موجودة الآن في «ني كارلسبرج جليبتوتك» «بكوبنهاجن».[٣] (راجع Ny Carlsberg Glyptotek (Copenhagen).

وصف اللوحة: أبعادها هي ١,٦٥ × ٠,٨٦ × ٠,٢٥ مترًا، وهي مصنوعة من الجرانيت الرمادي، وهي لوحة جميلة مكسورة من القمة إلى أسفل تقريبًا من الجهة اليمنى التي وجد منها عدة قطع منفصلة في الركن الشمالي الشرقي للردهة الأولى من معبد T، وهي منقوشة من وجهها فقط، وتحتوي على ثمانية وعشرين سطرًا بكتابة متوسطة الحجم وحفرها لم يبلغ من الحسن مبلغ حفر لوحات الملك «تهرقا»، غير أن نقوشها مع ذلك لا تزال واضحة وتقرأ بسهولة.

والكتابة الهيروغليفية التي في المتن الرئيسي، والتي في الجزء الأعلى المستدير من اللوحة محفورة، والأشكال التي في المناظر محفورة حفرًا غائرًا وعضلات الساقين بوجه خاص ممثلة

بوضوح.

الجزء الأعلى من اللوحة: حدد أعلى اللوحة بعلامة السماء والصولجان في القمة والجانبين على التوالي، ويشاهد أسفل علامة السماء بقايا قرص الشمس المجنح الذي نقش تحته: «هو صاحب «بحدت»، الإله العظيم رب السماء.» مكتوبة من اليمين إلى الشمال وبالعكس، وعبارة «رب السماء» مشتركة بينهما، وفي الأسفل من هذا؛ المنظران التاليان يفصل الواحد منهما عن الآخر عمودان من النقوش:

الجانب الأيسر: يشاهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عنخ-كا-رع» بن «رع» «أنلاماني» معطى الحياة أبديًّا، واقفًا ومقدمًا صورة الإله «ماعت» لوالده «آمون» عسى أن يمنحه الحياة.

ولباس رأس الملك المؤلف من ريش طويل هو في الواقع لباس رأس الإله «أونوريس» (راجع L. D., V. P. 5)، حيث نجد الملك يقدم للإله «أونوريس»، وكلاهما يلبس نفس لباس الرأس. أما «آمون رع» المصور هنا برأس كبش، والذي كتب فوقه قول «آمون رع» صاحب «جمأتون»، فعلى رأسه القرص العادي وقرنا الكبش. هذا ويلحظ أن شكل الشعر المستعار الذي ظهر جزء منه في مقدمة الرقبة عادي منذ الأزمان المبكرة. وشكل الشعر المستعار الذي نشاهده في لوحات «تهرقا» على أية حال نادر جدًّا، إذ ليس فيه خصلات الشعر الأمامية. وخلف هذا الإله العمود الأول من النقوش، وهو أحد العمودين اللذين يفصلان المنظرين الموجودين، وفي أعلى اللوحة الكلمات التي فاه بها هذا الإله، وهي قوله: «إني أعطيك كل الحياة وكل القوة وكل الصحة والسعادة مثل «رع» أبديًّا.»

وتقف خلف «أنلاماني» أم الملك المسماة «ناسلسا» Nasalsa على رأسها لباس رأس طويل، وترتدي رداءً طويلًا مسبلًا من الكتف إلى الكعب ذا أهداب من الأمام، وهي تلعب بالصاجات لوالدها لأجل أن تمنح الحياة، وقد رفعت يدها الخالية في هيئة تعبد.

الجانب الأيمن: يشاهد «أنلاماني» واقفًا يؤدي شعائر دينية أمام الإله «آمون رع» الممثل برأس كبش، ولم يبقَ من النقوش الخاصة به إلا: «... لأجل أن يعطي الحياة.» والظاهر أن الملك كان يلبس تاج أتف، ويحمل درة مثل «أوزير».

والإله «آمون رع» هنا يقبض على علامة الحياة ☥ والصولجان ‌ وعلى رأسه ريش طويل، وخلفه العمود الآخر الفاصل للمنظرين، وجاءت فيه نفس الكلمات التي في العمود الأول.

وتقف خلف «أنلاماني» ثانية «ناسلسا»، ولم يبقَ من صورتها إلا الجزء الأعلى وكلتا يديها مرفوعة قصدًا، وفي اليمنى الصاجات وتلبس نفس اللباس الذي تلبسه في المنظر الأول تقريبًا.

المتن الرئيسي: هذا المتن مبني في مجموعة على أسلوب نقوش الملك «تهرقا»، والقطع التي فيها أوائل الأسطر الناقصة لم يعثر عليها قط، ومن المحتمل أن السكان الجدد في هذا المعبد قد أخذوها لتستعمل في أغراض أخرى، ولحسن الحظ قد بقي من الأسطر ما يكفي أن يقترح الإنسان تكملة ما نقص في معظم الأحيان:

> السنة ... في عهد جلالته «حوركا-نخت-خع-م-ماعت، السيدتان سعنخ-أبو ناوي»، حور الذهبي «هر-حر-ماعت»، ملك الوجه القبلي «عنخ-كا-رع» «أنلاماني» (ليته يعيش أبديًّا)، محبوب («آمون رع»، رب عروش الأرضين، الأسد) على المملكة الجنوبية القاطن في «جمأتون». قال جلالته لحاشيته الذين كانوا في ركابه: «... لا تدع أحدًا يقتل في زمني إلا العصاة أولئك الذين يخلقون؟) ... ولا تدع فيما ينطق لعنة على الملك، ولا تجعل أحدًا يحزن الأرملة ولا تدع إنسانًا يتكلم النميمة في زمني.» وأجابوا جلالته: «إنك بكر «آمون» ونسله وزعيم الأراضي ورئيس الأحياء، وقد رآك في فرج أمك قبل أن كنت قد خرجت (٦) ... الممالك.» وقال لهم: «إني أتوق إلى رؤية والدي سيد الآلهة «آمون رع» صاحب «جمأتون» ... فقالوا له: (حقًّا) إنه يميل (٧) إلى روحك، ويعطيك المملكة ويهزم كل أعدائك في هذه الأرض.»

وقد سافر شمالًا في الشهر الثاني من الشتاء منظمًا كل مقاطعة، جاعلًا إنعامات لكل إله (٨) ومانحًا أوقافًا للكهنة خدام الإله ولكهنة كل معبد وصل إليه، وقد فرجت كل مقاطعة عند مقابلته مهللة ومقدمة الشكر وحاملة الخشوع (٩)، وقد وصل إلى «جمأتون» في الشهر الثاني من الشتاء، اليوم التاسع والعشرين، وقد نصب كاهنًا ثالثًا لمعبد هذا الإله، وذلك ما لم يفعله أولئك الذين غبروا، ومنحه متاعًا قائلًا: «أما عن هذه الوظيفة التي أغدقتها عليك (١٠)، فإنها ملك أسرتك أبد الآبدين.» وجعل «آمون صاحب جمأتون» يظهر (١١) (أو يملك) ... في أول عيد «لآمون»، وهو الذي كان يوم عيد الملك. فأعطاه عيدًا[٤] من الخبز والجعة والثيران والطيور والنبيذ (١٢) ... وخدم في هذه المقاطعة معيدين نهارًا وليلًا لمدة سبعة الأيام، وهي عيد الإله (١٣) ... ليت روحك يمجده ابن «رع أنلاماني» وليته يعيش أبديًّا، امنحه أن يحفل بملايين الأعياد الثلاثينية واهزم (١٤) كل أعدائه أمواتًا وأحياء؛ لأنه نصب كاهنًا ثالثًا، وجعلك تظهر في العيد الأول لآمون وهو شيء لم يفعله ملوك الوجه القبلي والوجه البحري السابقون (١٥)، والمكافأة على ذلك هي منحه بوساطة والده «آمون رع» رب عروش الأرضين والأسد على بلاد الجنوب الذي في «جمأتون» كل الحياة من نفسه وكل الصحة من نفسه (١٦)، وكل الثبات وكل الفلاح والسعادة من نفسه، والظهور على عرش الأحياء مثل الأحياء مثل «رع» أبديًّا.»

والآن أرسل جلالته جيشه على بلاد «بولهو» (بجا؟) (١٧) ورئيس بلاط (؟) جلالته كان قائده، ولم يذهب جلالته إليهم بل ظل في قصره مصدرًا أوامر بعد (١٨) ... «لرع» بعد أن أصبح ملكًا. وقد عملوا مذبحة عظيمة منهم لا حصر لها (١٩) وبعد ذلك أسروا أربعة رجال وأحضروهم أسرى أحياء. وأخذوا كل نسائهم وكل أطفالهم وكل (٢٠) حيوانهم وكل متاعهم وعينهم ليكونوا خدمًا وخادمات لكل الآلهة. وهذه

الأرض فرحت في زمنه بكل رغبة أنجزت، وكل إنسان نام حتى طلوع النهار؛ ولم يثر البدو في زمنه؛ لأن والده «آمون» كان يحبه كثيرًا (٢٢) والآن كانت الملكة الأم ليتها تعيش أبديًّا بين الأخوات المليكات، وهي أم ملك حلوة الحب سيدة كل النساء، وأرسل جلالته حاشيته (٢٣) لإحضارها. وقد وجدت ابنها متوجًا مثل «حور» على عرشه، وقد فرحت جد الفرح عندما رأت جمال جلالته، كما رأت «أزيس» ابنها «حور» متوجًا على (٢٤) الأرض.

وقد وهب جلالته أخواته الأربع للآلهة لتكن لاعبات صالحات، واحدة «لآمون» صاحب «نباتا» وواحدة «لآمون رع» صاحب «جمأتون»، وواحدة «لآمون» صاحب «بنوبس» وواحدة «لآمون رع» «ثور نوبيا»؛ لأجل أن تلعبن بالصاجات أمامهم (٢٥) ولتصلين لحياة وفلاح وصحة وعمر طويل للملك كل يوم. وقال جلالته: «يا آمون رع» صاحب «جمأتون»، إنك سريع الخطوة تأتي لمن يناديك، امنح حياة طويلة خالية من المرض (٢٦)، صد عن المتآمر على الشر، انظر (بإحسان) إلى والدتي وثبت سعادتها على الأرض وامنحنا فيضانًا عظيمًا وطبب الحصاد (٢٧)، ونبلًا كبيرًا ليس له تأثير مؤذٍ، واجعل هذه الأرض سعيدة في زمني.

وظهر «آمون رع» صاحب «جمأتون» حالمًا كان واقفًا في حضرته، وهذا الإله حول محياه (٢٨) نحوه، وأمضى مدة طويلة واقفًا صاغيًا لكل ما قاله، ومنحه كل الحياة والثبات والفلاح من نفسه، وكل الصحة لنفسه وكل السعادة من نفسه، والظهور على عرش «حور» مثل «رع» سرمديًّا.

ووجد في مقبرة هذا الملك تابوت من الجرانيت محفوظ الآن بمتحف مروى (رقم ١ و٢). هذا وله كذلك حوضان من الجرانيت عثر عليهما في مقصورته، وهما الآن في متحف «بوسطون».

ووجد في قبره أكثر من ٢٧٠ تمثالًا مجيبًا باسمه مصنوعة من الخزف المطفي، كما وجدت له آنيتان للأحشاء وثلاثة أغطية أواني أحشاء أيضًا،[٦] وكانت مقصورته محلاة ببعض المناظر الجنازية.

وعندما فحصت ودائع الأساس وجد له ثمانية عشر قدحًا من الخزف كلها منقوشة باسمه.[٧]

ولهذا الملك تمثال من الجرانيت محفوظ بمتحف «بوسطون»، عثر عليه في معبد «برقل» رقم ٥٠٠.[٨]

وقد تزوج هذا الملك من الملكة «مديقن»، التي عثر على هرمها في «نوري» رقم ١٧ وهي أخته من أبيه «سنكامان سكن». وأمه «ناسلسا»، والظاهر أنها ماتت في عهد الملك «أسبلتا»، وقد عثر لها على تماثيل مجيبة وغطاء أسطوانة.[٩]

---

[١] يقرأ هذا الاسم في الواقع «أمن نل» راجع: Bull., 51., P. 8.

[٢] هذه اللوحة تحدثنا عن سفرة قام بها الملك «أنلاماني» في أنحاء مديرياته، وقد خص فيها عنايته بالمعابد كما يتحدث عن حملة أرسلها من «جمأتون» على بلاد «بولهو» وعن سياحة الأم الملكية «ناسلسا»، وإذا كانت بلاد «بولهو» التي أرسل عليها «أنلاماني» حملته هي حقيقة بلاد «البلمي»، فيجب أن نعترف أن هؤلاء القوم، وهم الذين سنراهم فيما بعد متوطنين في بلاد النوبة السفلى، كانوا شوكة في جنب مملكة «نباتا» في نهاية القرن السابع، وهؤلاء القوم هم الذين نجدهم في عهد الدولة السودانية السفلى، وقد غزوا مرات عدة مديرية مصر الرومانية، وربما يرجع عهدهم إلى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد راجع: Bull. Inst, 51, P. 30.

الملك «أسبلتا» ٥٩٣–٥٦٨ق.م

مر-كا-رع

أسبلتا

كان الملك «أسبلتا» بن الملك «سنكامان سكن» والملكة «ناسلسا»، والأخ الأصغر للملك «أنلاماني». وقد تولى الملك بعد موت الأخير، وقبره معروف وهو الهرم الثامن بين أهرام «نوري». وقد زين جدران حجرة دفنه بالنقوش الجنازية وتابوته محفوظ بمتحف «بوسطون»، وعثر له على تماثيل مجيبة، ثمانية عشر منها مكتوبة، كما عثر له على أواني للأحشاء ولوحات صغيرة وأقداح وأشياء أخرى كثيرة في حجرة دفنه.[١]

ووجد له تمثال في معبد «برقل» رقم ٥٠٠، وهو محفوظ بمتحف «بوسطون»[٢] وأهم النقوش التي وضعت في عهده هي:

(١) أولًا: لوحة انتخاب للملك

وهذه اللوحة من الجرانيت وقد عثر عليها مع لوحة النصر الخاصة بالملك «بيعنخي» التي تحدثنا عنها في مكانها، وهي موجودة بالمُتْحَف المصري، وقد كان أول من نشر شيئًا علميًّا عنها هو الأثري «مريت»،[٣] ثم قام بنشرها «مسبرو» وعلق عليها،[٤] ثم ترجمها «بدج» عام ١٩٠٧[٥] وأخيرًا نقلها «شيفر».[٦]

والجزء الأعلى من هذه اللوحة مستدير، وقد مثل فيه منظر يظهر فيه الملك راكعًا عند قدمي «آمون رع» صاحب الجبل المطهر (في جبل «برقل»). ويلحظ في هذا المنظر أن نقوش الطغراءات قد كشطت، ويحتمل أن ذلك كان بيد عدو الملك «أسبلتا» الذي ظن أنه بعمله هذا

يمحو اسم «أسبلتا» من الأرض. ولحسن الحظ على أية حال يظهر أن عدوه قد نسي أن السطر الأول من النقش نفسه كان يحتوي على الاسم الحوري لهذا الملك، وكذلك اسم السيدتين واسم حور الذهبي، وبذلك أمكن للباحث الحديث أن يتعرف على اسم صاحب اللوحة؛ لأنها أسماء كانت خاصة به وحسب.

وقد لاحظ «مسبرو» عندما كان يجهز ترجمة لهذه اللوحة أن أسماء هذا الملك الخمس، توجد على لوحة كانت وقتئذ في حيازة «دي روجيه». وهي: «حور الطيب الظهور»، «السيدتان الطيب الظهور»، «حور الذهبي»، «قوي القلب»، «ملك الوجه القبلي والوجه البحري»، «مري كارع»، «ابن رع»، «أسبلتا» ويشاهد في يد الإله الذي برأس كبش علامة الحياة، ويده الأخرى ممتدة على رأس الملك الراكع عند قدميه، ويقبض الملك في يده اليمنى على علامتي الحكم والدرة، وفي يده اليسرى علامة الحياة، ويشاهد على جبهته صلان وهما علامتا الحكم على الشمال والجنوب، ويقول الإله في المتن الذي أمامه:

> قول آمون نباتا لابنه محبوبه: ... إني أعطيك تاج «رع» وسيادته على عرشه، وإني أثبت السيدتين (التاجين) على رأسك كما ثبت السماء على عمده الأربعة، وستعيش وتكون قويًّا ومجددًا لنفسك ومجددًا لشبابك مثل «رع» أبديًّا، وكل الأراضي وكل الصحاري قد جمعت مما تحت قدميك.

ويقف خلف الإله الإلهة «موت» سيدة السماء التي تقول: «إني إعطيك الحياة وكل الفلاح وكل الصحة وكل فرح القلب أبديًّا.»

وتقف أمام الإله الملكة «ناسلسا» التي محي وجهها وكذلك اسمها، غير أنه يمكن معرفته من لوحة في متحف «اللوفر»، وتلبس الملكة ثوبًا فضفاضًا وفي كل من يديها صناجة ومحتذية نعلين. والنقش الذي أمامه جاء فيه: الأخت الملكية، والأم الملكية ملكة كوش «ناسلسا» تقول:

«إني آتي إليك يا «آمون رع» يا رب عرش الأرضين يا أيها الإله العظيم القاطن في حريمه، والذي يعرف الاسم، والذي تعطي القوة تابعك. مكن أنت ابنك المحبب إليك «أسبلتا» العائش أبديًّا في مأوى (؟) «رع» الرئيسي، واجعله هناك أعظم من كل الآلهة. ضاعف سني حياته على حياته مثل (سني) «آتون» صاحب السماء. امنحه الحياة والفلاح أمامك، وكل الصحة أمامك، وكل انشراح القلب أمامك، واجعله يرتفع بمثابة ملك على عرش «حور» أبديًّا.»

مضمون اللوحة

يجدر بنا أولًا أن نذكر أن المؤرخ «ديدور» يحدثنا أنه عندما كان يتوج ملك في بلاد النوبة، كان الكهنة أولًا ينتخبون عددًا من المرشحين اللائقين لهذا المنصب الرفيع، وكان هؤلاء المرشحون يحضرون أمام تمثال الإله في أثناء تأدية شعائر دينية خاصة، وكان الفرد الذي يلمسه أو يعانقه الإله هو الذي يختار ملكًا للبلاد، وعلى أثر حدوث ذلك كان يسجد جميع الحاضرين على وجوههم، ويعبدون الملك المختار بوصفه إلهًا، معتقدين أن القوة الإلهية قد انتقلت إليه بلمس التمثال أو معانقته، ومن ذلك نفهم أن «ديدور» كما سنرى بعد على علم تام بهذا الموضوع، هذا وتقدم لنا لوحة التتويج التي نحن بصددها عدة تفاصيل تعد إضافة للبيان الذي قدمه لنا.

أرخت لوحة الانتخاب التي تحتوي على ثلاثين سطرًا باليوم الثالث عشر من الشهر الثاني من الفصل الثاني (أي: شهر الزرع) أي: في أوائل يناير من السنة الأولى من حكم «أسبلتا». ويذكر في ابتداء المتن أن الجيش النوبي قد اجتمع عند الجبل المقدس الذي يدعى إلهه «ددون»، وذلك بعد موت الملك بقليل، وقد عبر عن ذلك بالكلمات: «وصل الصقر إلى قصره»؛ أي إن خلف «حور العرش» قد وضع في قبره الذي تقف عليه روحه. وإنه لمن المهم أن نلحظ هنا ذكر الإله «ددون»، وهو إله البلاد القديم

وأن الإله «آمون» لم يذكر مكانه، وكان الجيش قد جمع ليحفظ النظام في أثناء انتخاب الملك، ويرضي رغبات الناخبين في حالة حدوث أي معارضة.

وكان الناخبون يتألفون من ستة رجال يعينهم الجيش، وستة رجال يعينهم رئيس المالية، وستة رجال يعينهم البيت المالك. وكان هؤلاء يدعون الجيش ليذهب ويختار ملكًا يكون كالثور الفتي القوي. وكان الجيش يرد على هذه الدعوة بأن الملك موجود بينهم، إذا كان في مقدورهم أن يتعرفوا عليه.

وكان الإله «رع» وحده هو الذي يعرف من هو. ولما كان الإله «رع» في عالم الآخرة، فإنه لم يكن في مقدوره أن يقودهم في اختيارهم. وكان «رع» قد قرر من قديم الزمان أن ملك النوبة يجب أن يكون ابنه، ولكن العرش كان خاليًا ولم يكن هناك من يلبس تاجه، ولما لم يكن الجنود يعرفون من الذي سينتخب لهذا المنصب، فإنهم كانوا جميعًا في حزن. ومن المحتمل إذن أنه بإيعاز من كهنة «آمون» كان يقترح أن يستشيروا الإله «آمون رع»، الذي كان يعد وقتئذ ممثلًا للإله «رع»، وأن عليهم أن يذهبوا إلى الإله ويقدموا له الطاعة، ويرجونه أن يمنحهم ملكًا يشرف الآلهة، ويستمر في تقديم القربان لهم.

وقد أعلن الجيش أن هذا الاقتراح حسن وعملوا به مباشرة. وبعد ذلك ذهب القواد والسمار إلى المعبد حيث وجدوا كل الكهنة مجتمعين، ورجوهم أن يسألوا «آمون رع» لينتخب ملكًا لهم. وذهبوا كلهم في حضرة الإله، وبعد عمل شعائر التطهير يضع الجيش ملتمسه أمام الإله، وبعد ذلك يقدم كل الأخوة الملكيين وهم الأعضاء المرشحون للملك أمام الإله. ولكن «آمون رع» رفضهم جميعًا. وبعد ذلك أحضر الكهنة الأخ

الملكي «أسبلتا» أمام الإله، وعندئذ أعلن «آمون رع» أنه يجب أن يكون ملكًا، وذكر سلسلة نسبه التي أظهرت أنه كان الفرد اللائق لحكم بلاد النوبة بمولده وأصله.

وبعد ذلك انبطح قواد الجيش وموظفو البيت الملكي على الأرض، وشكروا «آمون رع» من أجل الملك الذي منحه إياهم، وبعد ذلك ذهب «أسبلتا» أمام الإله ورد التحية على انتخابه للعرش ورجاه أن يعطيه ملكًا دائمًا بالتاج والصولجان، وقد ذكر الإله «آمون رع» في الجواب الذي ألقاه على مسمع الملك «أسبلتا»، أنه أعطاه تاج أخيه وصولجانه وبه سيهزم كل أعدائه. وبعد ذلك قدم «أسبلتا» صلاة ثانية طلب فيها إلى الإله أن يجعل حكمه فالحًا، وأن يجعله محبوبًا من شعبه، وقد وعده الإله بكل هذه الأشياء التي التمسها؛ وأخبره أنه لن يجعله يحتاج إلى شيء؛ لأن كل شيء يمكن أن يتمناه سيمنح إياه. وبعد ذلك خرج الملك إلى الأجناد الذين استقبلوه بنداءات الفرح، كما أن كبار الموظفين أظهروا فرحهم العظيم بملكهم الجديد. وبعد ذلك قرر «أسبلتا» إقامة أعياد على شرف «آمون رع» ووزع هدايا عظيمة على الكهنة.

ترجمة اللوحة

(١) **التأريخ:** السنة الأولى، الشهر الثاني، من فصل الزرع (الربيع) اليوم الثالث عشر (أو الخامس عشر) في عهد جلالة حور جميل الطلعة، نبتي (السيدتان) (المسمَّى) جميل الطلعة، حور الذهبي، (المسمى) قوي القلب، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (المسمى) رب الأرضين (مر-كا-رع)، ابن رع (المسمى) رب التيجان «أسبلتا» محبوب «آمون رع» رب عرش الأرضين القاطن الجبل المطهر (جو وعب).

(٢) **اجتماع الجيش بعد موت الملك في مدينة «جو وعب» (الجبل المطهر):** (٢) والآن تأمل فإن جيش جلالته كله كان في قاعة المدينة التي اسمها «جو وعب» والإله الذي فيها هو

«ددون» خنتي نفرت (؟) وهو إله كوش (٣) وذلك بعد أن ثبت الصقر على عرشه.

(٣) **القواد ينتخبون ملكًا جديدًا من بين ورثة العرش:** تأمل كان يوجد هناك ضباط ملء القلب من جنود جلالته عددهم ستة رجال، تأمل وكان هناك ستة ضباط ملء القلب فيهم من المشرفين على الأختام، وكان هناك مشرفون على الوثائق ملء القلب، وكان هناك عظماء حاملو الأختام للبيت الملكي وعددهم ستة. وعندئذ قالوا لكل الجيش قاطبة: «تعالوا نُنَصِّب علينا سيدًا يكون كالثور الفتي لا تمكن محاربته.» وعندئذ فكر هذا الجيش كثيرًا جدًّا وقال: إن سيدنا موجود بيننا ولكن لا نعرفه. (٦) وليتنا نعرفه حتى ندخل تحت سلطانه ونخدمه كما خدمت الأرضان «حور» بن «أزيس»، عندما جلس على عرش والده «أوزير»، ونقدم صلوات لصليه (اللذيْن على جبهته).

(٤) **الإله «رع» هو الذي يعرفه:** وعلى ذلك قال واحد لصاحبه من بينهم: «لا أحد يعرفه من الناس إلا «رع» نفسه. ليت هذا الإله يبعد عن الملك الشرور التي تهدده في كل الأماكن التي يوجد فيها». ثم تحدث واحد من بينهم إلى جاره: إنه (الملك المتوفى) قد غرب في أرض الحياة (الجبانة) ولكن تاجه باقٍ بيننا، وعلى ذلك قال واحد من بينهم إلى جاره: «إنه «ماعت» وهو قانون «رع» منذ وجدت السماء ومنذ وحد تاج الملك، وقد أعطاه ابنه محبوبه؛ لأن الملك صورة «رع» بين الأحياء. ألم يجعله «رع» ملك هذه الأرض؛ لأجل أن تظل هذه الأرض في سلام.»

(٥) **رابع يتكلم:** وبعد ذلك تكلم الواحد لجاره من بينهم: «ألم يذهب «رع» إلى السماء وعرشه خالٍ من حاكم (ليس) عليه ملك، ووظائفه الممتازة في يديه، وسيعطيها ابنه الذي يحبه؛ لأن «رع» يعرف أنه سيعمل القوانين الحسنة على عرشه.» وعلى ذلك فإن هذا الجيش قاطبة قال متوجعًا: «إن سيدنا معنا ولكنا لا نعرفه.» ومن ثم قال جنود جلالته جميعًا بفم واحد: ولكن هذا

الإله «آمون رع» رب عرش الأرضين القاطن في الجبل المطهر هو إله «كوش»: «تعالوا نحن ونذهب إليه، ولا نصنع كلامًا يجهله، وإنه ليس بالحسن الكلام الذي يعمل بدون علمه، ولنضع الحالة أمام الإله، فهو إله مملكة «كوش» منذ زمن «رع» (أي: منذ حكم «رع»)، وإنه هو الذي يرشدنا؛ لأن مملكة «كوش» في يديه، وهو الذي يمنحها ابنه الذي يحبه، فلنصلِّ لوجهه ولنقبل الأرض منبطحين على وجهنا، ونقول أمامه: «لقد أتينا إليك يا «آمون» فامنحنا سيدنا لأجل أن ننعش، ولتقام المعابد لجميع الآلهة والإلهات للوجه القبلي والوجه البحري ولتأسيس قربانهم، ولم نصنع كلامًا بدونك فإنك الذي ترشدنا، ولن يقال كلام لا تعرفه. وعلى ذلك قال الجيش جميعه: «إنه كلام حسن ويعلن صدقه مئات آلاف المرات».

وذهب قواد جيش جلالته مع سمار بيت الملك إلى معبد «آمون»، ووجدوا الكهنة خدام الإله والكهنة العظام المطهرين واقفين عند باب المعبد، فقالو له: لقد أتينا لهذا الإله «آمون رع» القاطن في الجبل المطهر؛ لنجعله يهبنا سيدنا ليحيينا وليقيم المعابد لجميع الآلهة والإلهات للوجه القبلي والوجه البحري، وليؤسس قربانهم، ولن ننفذ كلامًا دون علم هذا الإله؛ لأنه مرشدنا.»

عندئذ دخل الكهنة خدام الإله والكهنة المطهرون العظام في المعبد، وعملت كل شعائر صب الماء وإطلاق البخور. ثم دخل قواد جيش جلالته مع عظماء بيت الملك في المعبد، وانبطحوا على بطونهم أمام هذا الإله وقالوا: «لقد أتينا إليك يا «آمون رع» يا رب تاج الأرضين القاطن في الجبل المطهر، أعطنا ملكًا ليحيينا وليقيم معابد آلهة الوجه القبلي والوجه البحري وليؤسس القرابين، والوظيفة الفاخرة التي في يديك امنحها لابنك الذي تحبه.»

وعلى ذلك تجمع إخوة الملك أمام هذا الإله، ولكنه لم يأخذ واحدًا من بينهم.

ثم وضع مرة ثانية الأخ الملكي ابن «آمون»، والذي وضعته «موت» ربه السماء ابن «رع» عاش مخلدًا، فقام هذا الإله «آمون رع» رب تاج الأرضين، وقال: «إنه هو مليككم وإنه هو

الذي سيحييكم، وهو الذي سيقيم معابد الوجه القبلي والوجه البحري، وهو الذي سيؤسس قربانهم، وإن والده ابني ابن «رع» ... المرحوم، وأمها أخت الملك، والأم الملكية سيدة كوش وابنة «رع» ... عاشت مخلدة، وأمها هي الأخت الملكية والمتعبدة الإلهية «لآمون رع» ملك الآلهة في «طيبة» ... المرحومة.

وأمها الأخت الملكية ... المرحومة.

وأمها الأخت الملكية ... المرحومة.

وأمها الأخت الملكية ... المرحومة.

وأمها الأخت الملكية ... المرحومة.

وأمها الأخت الملكية ... المرحومة.

وأمها الأخت الملكية سيدة كوش ... المرحومة. وهو سيدكم.

«وانبطح قواد جلالته وعظماء جلالته وعظماء البيت المالك على بطونهم أمام هذا الإله، وقبلوا الأرض كثيرًا جدًّا وقدموا الصلوات لهذا الإله (٢٢) بسبب الشجاعة التي عملها لابنه الذي يحبه ملك الوجه القبلي والوجه البحري عاش مخلدًا.»

«ثم دخل جلالته وظهر أمام والده «آمون رع» رب عرش الأرضين، فوجد شارات ملك «كوش» كلها وصولجاناتها موضوعة أمام هذا الإله. (٢٣) وعندئذ قال جلالته أمام هذا الإله: «تعال إليَّ يا «آمون رع» رب تاج الأرضين القاطن في الجبل المطهر، وامنحني المنصب الممتاز الذي لم يكن في بالي (قلبي) بسبب حبك العظيم، امنحني التاج على حسب رغبتك وكذلك الصولجان.»

وعلى ذلك أجاب هذا الإله: «إن تاج أخيك ملك الوجه القبلي والوجه البحري ... المرحوم ملكك، وهو مثبت على جبينك مثل ما ... على جبينك. وصولجانه في قبضتك وستهزم به كل أعدائك». وعلى ذلك ظهر (توج) جلالته أمام ... المرحوم، وأعطى صولجانه في قبضته، وعندئذ انبطح جلالته على بطنه أمام هذا الإله ليقبل الأرض كثيرًا جدًّا. وقال: «تعال إليَّ يا «آمون رع» يا رب الأرضين القاطن في الجبل المطهر يا أيها الإله العظيم اللذيذ الحب، والذي يصغي إلى من يشكو إليه ... امنحني الحياة والثبات والفلاح كلها والصحة وفرح القلب كله مثل «رع» أبديًّا والعمر الجميل الطويل. (٢٦) وأعطني الفهم ... في زمن «رع» ولن أجعلك تنام ... في تهليل، وامنحني الحب في داخل «كوش». (٢٧) وقد أجاب الإله على هذا الدعاء قائلًا: «سأمنحك كل البلاد الأجنبية جميعها ولن تحتاج أن تقول: يا ليت لي ذلك» أبد الآبدين. وعندما خرج جلالته من المعبد لجيشه مثل (...) فرح كل قومه كثيرًا جدًّا مهللين وقلوبهم فرحة من أجله. وعبدوه قائلين: «تعال في سلام ... مثل سنين «رع» في وسط جيشك، وتشرف على العرش مثل «رع» أبديًّا.»

وقد خلد الملك هذا الحادث بقربان سنوي، وهو ما يحتويه السطران الأخيران. وبعد أن ذكر أنواع القربان المختلفة منح كهنة المعبد ١٤٠ جرة من الجعة.

تعليق وتحليل لهذا المتن

كانت الملكية الكوشية انتخابية ولو اسميًّا على الأقل، وقد أكد لنا «ديدور» هذا الرأي، ولوحة الملك «أسبلتا» التي ترجمناها فيما سبق تبرهن بصفة قاطعة على أن ما أورده «ديدور» كان على أساس صحيح. وعلى حسب قول هذا المؤرخ كان الانتخاب يعمل على درجتين. فكان الكهنة ينتخبون أولًا أبرز الأعضاء من طائفتهم ليقدموهم للإله، وكان الإله يختار من بين هؤلاء العضو الذي يميل إليه أكثر من الكل. وعلى حسب ما جاء في اللوحة كان انتخاب الملك في

غاية البساطة، فكان يقدم أمام «آمون» دون أي انتخاب إخوة الفرعون، وهم أعضاء من أسرة الأمير المتوفى أو من نسل الفراعنة الذين غبروا، وفي هذا نجد أن ما أورده «ديدور» لا يتفق مع ما جاء على الآثار، ويمكن أن نتهمه بعدم الدقة. وذلك أن سلسلة النسب الملكية الكوشية التي تصلها بكهنة «آمون» العظام في «طيبة»، كانت كذلك من أسرة كهانه، وعلى ذلك فإن «ديدور» أو المؤرخ الذي نقل عنه «ديدور» هذه المعلومات عن «كوش»، كان قد ظن أن الكهنة قد انتخبوا المرشحين للملكية من بين أعضاء كل هذه الطائفة، عندما كانوا يعرضون على الإله فقط أولئك الأعضاء الذين ينسبون إلى الأسرة المالكة.

وكان الانتخاب يعمل في «نباتا» نفسها في معبد «آمون» الكبير في حضرة عدد معين من المندوبين، الذين عينوا خصيصًا لهذه المهمة من طبقات معينة من الدولة. وهاك الجملة التي جاءت في المتن الذي نحن بصدده لتقدم هؤلاء الممثلين للأمة الكوشية: «تأمل كان يوجد هناك ضباط ملء القلب من المشرفين على الأختام عددهم ستة، تأمل كان يوجد حكام مشرفون على المالية للقصر الملكي عددهم ستة.» ونرى الممثلين الأولين قد أشير إلى كل منهم، بصيغة تدل على الطائفة التي انتخب عنها هؤلاء الستة. فقد كان ستة قواد ملء القلب من بين جمعية جنود جلالته، وكان هناك ستة ضباط ملء القلب حفاظ الأختام. والطائفة الثالثة قد ذكر أنهم من المشرفين على الوثائق ممن يملأ قلب طائفة لم تذكر، ولكن يتساءل الإنسان ما هي هذه الطائفة؟ حقًّا وجدنا أن الجنود وحفاظ الأختام وضباط القصر الملكي كان لكل طائفة منهم من يمثله، وقد وجدنا فقط أن طبقة الكهنة التي كانت ذات أهمية عظمى لم تذكر.

وقد كان ينبغي أن يكون لدينا في نهاية الجملة الأخيرة من الجمل التي تحدثنا عن ممثلي الانتخاب: «ملء قلب الكهنة خدام الإله والكهنة المطهرين العظام.» غير أن هؤلاء الكهنة خدام الإله والكهنة المطهرين قد ذكروا فيما بعد، ومثلوا بوصفهم منتظرين وصول الوفود على باب المعبد. وعلى ذلك فإنم ليسوا المقصودين هنا، ولكن المقصود موظف عالٍ له مكانة تشبه وظيفة

حامل الختم الذي ذكر قبل وهو المشرف على بيت الحياة للكتاب، أو جماعة من الكتبة الذين يملئون قلب جمعية الناس المتبحرين في فروع العلم من جمعية المقدسين.

ومهما يكن من أمر هذا الإصلاح المقترح، فإنه من المؤكد أن الوفد المكلف بالذهاب للاشتراك في انتخاب كان يتألف من أربع جماعات كل منها تتألف من ستة أشخاص أي: أربعة وعشرين شخصًا تابعين للإدارة والجيش وكلية الكتاب وموظفي القصر الملكي. والأخيرون قد سموا الحكام وحاملي أختام القصر الملكي، وأحيانًا كانوا يذكرون بعبارة «حكام القصر الملكي» وأحيانًا يذكرون بأنهم «أصدقاء البيت الملكي».

والواقع أن ذكر أصدقاء الملك على هذه اللوحة له أهمية عظيمة، إذ يسمح لنا أن نصحح على الأقل فيما يخص هذا العصر خطأ وقع فيه كل من «ديدور» و«استرابون»، إذ على حسب قول هذين المؤرخين، كانت العادة الكوشية أنه إذا حدث أن الملك لسبب ما فقد عضوًا من أعضاء جسمه، فإن جميع رفاقه يقطعون نفس هذا العضو من أجسامهم بمحض اختيارهم، وقد كان يظن أنه من العار إذا فقد الملك ساقه أن يظل أصدقاؤه بسيقانهم، ولم يتبعوا الملك في روحاته عرجًا مثل أيضًا ... ويقال كذلك: إن أصدقاء الملك كانوا يقضون على حياتهم عن طيب خاطر في اليوم الذي يموت فيه الملك، وهذا الموت كان شرفًا لهم ويعتبر بمثابة علامة إخلاص حقيقي، وكذلك كانت المؤامرات على شخص الملك نادرة جدًّا في كوش؛ وذلك لأن كل أصدقاء الملك بسهرهم على حياة الملك كانوا يسهرون على ضمان بقاء حياتهم أنفسهم. والواقع أن عادة موت خدم الملك وأتباعه قد وجدت في بلدان السودان، ويرجع عهدها على حسب الكشوف الحديثة إلى الأسرة الثانية عشرة المصرية، وقد أسهبنا القول في ذلك في مكانه في الجزء العاشر من هذه الموسوعة (راجع مصر القديمة الجزء العاشر).

والاحتفال بانتخاب الملك كما هو موصوف في اللوحة التي نحن بصددها كان غاية في الغرابة. فقبل أن يخاطب الإله كان الوفود يخاطبون الجيش الكوشي، فقد قالوا: «تعالوا لنتوج ملكًا يكون مثل الثور الفتي الذي لا يقاوم.» وعند هذا الاقتراح انفجر الجيش مرددًا «إن سيدنا موجود بيننا دون أن نعرفه، ليتنا نعرفه حتى ندخل تحت سلطانه، ونخدمه كما خدمت الأرضان «حور» بن «أزيس»، عندما جلس على عرش والده «أوزير» ونقدم صلوات لصليه.» وتتبع هذه العبارة محادثة بين الجنود تحتوي على مدح للإله «رع»، ويعلن فيها أن الملك هو صورته على الأرض، وهذا الجزء من المتن ينتهي كما ابتدأ بعبارة الشكوى: «إن سينا موجود بيننا ولكنا لا نعرفه.»

وعندئذ اتجه الجيش نحو الإله أي: نحو «آمون» إله بلاد «كوش» ويحذر من نكران قوة إلهه، وألا يشرع في عمل شيء بدونه: «فلنسجد أمامه ولنقل لوجهه: لقد أتينا إليك يا «آمون»، فامنحنا سيدنا لأجل أن ننعش ... ولن نصنع كلامًا ما بدونك. فإنك الذي ترشدنا، ولن يقال كلام لا تعرفه.»

وعند ذلك ذهب الوفود في حفل إلى معبد «آمون» لاستشارة الإله، وليتسلموا ملكًا من يده، وقد وجدوا عند باب المعبد الكهنة الكوشيين ينتظرونهم، ويسألونهم عن سبب مجيئهم، فيجاوبونهم قائلين: «لقد أتينا لهذا الإله «آمون-رع» لنجعله يهبنا سيدنا ليحيينا ... ولن ننفذ كلامًا دون علم هذا الإله؛ لأنه مرشدنا.» وقبل أن يقدموا أمام الإله يدخل الكهنة؛ ليعلنوا وصولهم وليمهدوا على أن يكون «آمون» في جانبهم بتقديم القربات الأولية. وبعد الانتهاء من تقديم القربان يعود الوفود إلى المحراب، ويجددون مباشرة هذه المرة تلاوة الصيغة التي عرضوها بموافقة الجنود والكهنة، فيقولون: «لقد أتينا إليك يا «آمون رع» ... أعطنا سيدنا ليحيينا ...» وعندما يوافق الإله يقدم إليه الإخوة الملكيون، فيرفضهم كلهم بدوره ثم يقدم إليه «أسبلتا» أخو الملك فيقبله،

وبعد ذلك يدخل الملك الجديد في آخر حجرة من المعبد، وهي قدس الأقداس حيث يقف أمام الإله وجهًا لوجه.

وقد رأينا فيما سبق في نص لوحة «بيعنخي» أن مثل هذه المقابلة السرية بين الإله والملك قد حدثت، وذلك أن «بيعنخي» عندما وصل إلى «هليوبوليس» صعد في السلم الذي يؤدي إلى المحراب العظيم؛ لأجل أن يرى «رع» في «حت-عا-بنبن»، والملك نفسه يشد الضبة ويفتح المصراعين ويرى والده «رع» في «حت عا-بنين» ويقدم الصلاة لسفينة النهار (معنزت)، وإلى سفينة الليل (مسكنت) الخاصة بالإله «آتوم»، ثم يغلق المصراعين ويضع الطين ويختمه بخاتم الملك نفسه.

وفي خلال مقابلة «أسبلتا» مع «آمون» صاحب «نباتا» يتسلم من الإله والده التاج والصولجان وهما شارتا الملك، ثم يخرج ملكًا من المعبد الذي دخل فيه فردًا عاديًّا.

ومما لا نزاع فيه أن الجزء الأول من الحفل، وهو انتخاب الوفود والاستشارة وخطب الجيش، والعزم على وضع الانتخاب أمام الإله، لم تكن إلا مجرد رسميات دون أهمية سياسية، بل الواقع أنها كانت تمثيلًا لأجل أن يستر بقدر المستطاع على نفوذ طبقة الكهنة الذين كانوا أصحاب النفوذ المطلق في البلاد. ويلحظ أن الإله أو الكهنة قد ظهروا بأنهم لا يتدخلون في أمر الانتخاب، إلا عندما كان العنصر الخارج عن الكهنة من السكان يقتنع بنفسه من أنه غير قادر على اختيار ملك لهم، وعلى ذلك كان لزامًا عليهم أن يذهبوا إلى المعبد؛ ليرجوا «آمون» لينتخب لهم ملكًا. والظاهر أنه في العصر الذي كان يحكم فيه «أسبلتا» لم يكن هذا الاحتفال المبدئي إلا مجرد نوع من الروايات المضحكة، حيث كان يقوم كل شخص بدوره وهو يعلم من قبل بالخاتمة.

وعلى أية حال فإن مبدأ الانتخاب لم يكن قاطعًا؛ لأن الكهنة على الرغم من أنه كان لهم الحق في أن ينتخبوا الملك من بين إخواته كانوا بلا شك ينتخبون في العادة ابن الملك المتوفى. وهذه

هي الحال في أمر انتخاب «أسبلتا»؛ يضاف إلى ذلك أن الاحتفال بالتقديم الإلهي نفسه، وهو الذي وصف على لوحتنا، بمثابة شيء رسمي خاص بالتتويج، كان يفرغ منه بأقصى سرعة. فقد كان يقدم أولًا إخوة الملك دفعة واحدة؛ لأجل أن يتجنب كل تأخير، ثم عندما رفضهم الملك دفعة واحدة أحضر إليه الأخ الملكي «أسبلتا» الذي أسرع الإله في قبوله. وعندئذ حياه كل الناس ولم يكن أمام «أسبلتا» إلا تسلم الصولجحان والتاج في محراب الإله لأجل أن يتم حفل التتويج؛ ولأجل أن يوجد الملك المنتخب ويصير كأنه ملك وراثي وملك بالفعل.

وإذا اعتبرنا الحقائق التي وجدت على هذا الأثر، وكذلك المعلومات التي وجدناها على الآثار السابقة لهذا العهد، وكذلك الكتابات التي تركها لنا المؤرخون الأقدمون، فإنه من الممكن على ما يظهر أن نقرر ثلاثة عصور في تاريخ المملكة الكوشية:

العصر الأول الوراثي عندما كان الملوك الكهنة الطيبيون قد أدخلوا في أثيوبيا (كوش) عادات المملكة المصرية.

العصر الثاني عندما دخل الملوك الكوشيون بوصفهم فاتحين لمصر.

والعصر الثالث هو خروجهم من مصر وانزواؤهم في بلاد السودان، وقد حاولوا مرة واحدة وربما أكثر فتح مصر ثانية ولكنهم لم يفلحوا، غير أن شواهد الأحوال تدل على أنه كانت توجد معاملات بين البلدين.

يلحظ أن عادة انتخاب الملك من بين إخوة الملك الحاكم كانت موجودة في عهد «شبتاكا»، فقد انتخب أخاه «تهرقا» كما جاء في لوحة «تهرقا» التي عثر عليها في معبد «الكوة» (راجع مصر القديمة الجزء ١١).

وخلافًا للوحة السابقة توجد للزوجة الملكية «ناسلسا» لوحة عثر عليها في جبل «برقل»، وقد أقامتها لتخليد الهبات التي عملتها لمعبد «آمون رع»، هناك، وهذه اللوحة بعد أن نقلت من

السودان أصبحت ملكًا للمهندس «لينان بك»، ثم استولى عليها الأمير «نابليون»، وبعد ذلك أصبحت ملكًا للأثري «دي روجيه» وبعد موته أعطيت هبة من أسرته لمتحف «اللوفر».

ويشاهد على الجزء الأعلى من هذه اللوحة منظر منحوت مثل فيه «أسبلتا» يقدم صورة العدالة قربانًا للإله «آمون رع» والإلهة «موت» والإله «خنسو»، وخلف الملك تقف أمه «ناسلسا»، ثم زوجه وأخته «ماد … حسن» وأخته سيدة الأرض «خبيت»، وكل منهن تصب قربانًا بيدها اليمنى وتقبض بيدها اليسرى على صناجة.

وتحت هذا المنظر نقش ثلاثة وعشرون سطرًا. وقد تناول بالبحث هذا المتن عدة أثريين منهم (١) «بروكش».[٧] (٢) ومريت.[٨] (٣) و«بيريه».[٩] (٤) و«شيفر».[١٠] (٥) و«بدج».[١١]

وهاك ترجمة اللوحة:

التأريخ: (١) السنة الثالثة الشهر الرابع من فصل الزرع اليوم الرابع والعشرون (؟) في عهد جلالة «حور» جميل الطلعة، صاحب السيدتين (المسمى) جميل الطلعة، حور الذهبي (المسمى) شجاع القلب، ملك الوجه القبلي والبحري (المسمى) «مر كارع»، ابن رع (المسمى) «أسبلتا»، عاش مخلدًا.

(٢) «محبوب» «آمون رع» ثور النوبة، (ثم قائمة بأسماء الموظفين الذين أتوا إلى معبد آمون).

في هذا اليوم الذي أتى فيه إلى معبد «آمون رع» ثور بلاد النوبة: أمراء جلالته (وهم) المشرف على خزينة بلاط الفرعون، وأمير النوبة، والمشرف على … «رو-مي-أمن»، والمشرف على خزانة البلاط … «أمن. تا-رو-ها-ك-نن»، والمشرف على خزانة بيت الفرعون «نبوتو» (؟) … «أ-أمن-سا-ك-نن»، والمشرف على خزانة الفرعون «أ-نا-وا-سارسو»، «كا-را-أمن-ثا-نن»، والمشرف على بيت الفرعون «د

... سا-مي-خي-نن»، والمشرف على بيت الفرعون ورئيس محكمة العدل «نا-سا-تا-ي-بو-سا-ك-نن».

وهؤلاء الموظفون الستة يؤلفون مجموعة، وكلهم يحملون لقب المشرف على خزانة بيت الفرعون. وخلافًا لهذا اللقب يحمل كل منهم لقبًا خاصًّا يميزه عن الآخرين.

فعلى رأس هؤلاء أمير بلاد النوبة؛ أي إنه الرئيس الأعلى لهذه المديرية التي تقع فيها العاصمة إذ نعلم أن «آمون» و«موت»، يحمل كل منهما في معبد جبل «برقل» لقب القاطن في أرض النوبة، وله لقب آخر، غير أنه وجد مهشمًا على اللوحة. ويلحظ هنا أن الكاتب عند نقش اسمه قد جعل مخصصه يدل على شرف محتده، إذ صوره وهو جالس على كرسيه وبيده درة الحكم. أما الآخرون فقد خصصوا برجل عادي. أما المشرفان الثاني والثالث فهما تابعان لعضوين من الأسرة الملكية، أولهما ذكر، والآخر أنثى. واللقب الثاني للمشرف الرابع هام بصفة خاصة؛ وذلك لأنه يدل ظاهرًا على وظيفته ولم يجد لها الكاتب المصري ما يماثلها. أما المشرف الخامس فقد جاء بعد لقبه عبارة غير مفهومة. والمشرف السادس والأخير موظف قضائي. وعلى أية حال نفهم أن هؤلاء الموظفين ليسوا من الموظفين الصغار.

ولا أدل على ذلك من أننا قد رأينا في نقوش لوحة الانتخاب الخاصة بهذا الملك «أسبلتا» نفسه، أنهم من الشخصيات البارزة في جملة أربع الطوائف التي تشتمل كل منها على ستة أشخاص لانتخاب الملك، فقد كانت إحدى هذه الطوائف تسمى «الأمراء المشرفون على خزانة بيت الفرعون»، وعددها ست ومن ثم نفهم أنه ليس من باب الصدفة أن نجد في النقش الذي نحن بصدده هنا ستة موظفين، يحمل كل منهم لقب «المشرف على خزانة بيت المال».

ثم يستمر المتن:

(٧) ورئيس كتبة كوش «مي-را (؟) بي (؟) وا-أمن»، والكاتب الملكي والمشرف على المخازن «خنسو-اردي»، والمشرف على الخزينة «وارر» النوبي، «ا-رو-تا» (؟) وكاتب الملك لمخزن الغلال «تا-كا-رو» (؟) تا (؟)»، وصراف خزينة بلاط الفرعون (؟) «بدي-نوب». بالإضافة إلى أحد عشر شخصًا قد أتوا إلى معبد «آمون رع» ثور النوبة ... وهم يقولون من قبل جلالة «حور» صاحب البيت العظيم للكهنة، والكهنة آباء الآلهة التابعين لهذا المعبد:

«إن الأخت الملكية والزوجة الملكية (للملك) العائش (واسمها) «ميدي (؟) ... نن» (وهي) التي أمها الأخت الملكية والأم الملكية سيدة كوش «ناسلسا»، وهي التي نصبها كاهنة الفرعون «أمن ... رو» أمام والده «آمون» ثور النوبة، ووضع في يدها اليمنى إبريقًا من الفضة، وفي يدها اليسرى صناجة لأجل أن تسر قلب هذا الإله، وجعل لها بمثابة مئونة في هذا المعبد ما يأتي: عشرة رغفان «بيا» وخمسة رغفان بيض، وخمسة عشر أبريقًا من الجعة شهريًّا، وثلاثة ثيران سنويًّا عدا (؟) في كل عيد واحد ... اثنان ... جعة ... تعطيها الأخت الملكية والابنة الملكية سيدة الأرض «خب» الابنة الكبرى لأخت الملك والزوجة الملكية للملك العائش المسماه «مي-وي ... نن».

وإنه لمن الصعب أن نصل إلى المعنى الحقيقي من هذه الجمل المفككة، والواقع أن الكاتب يريد أن يقول: إن ما وهبه الملك المجهول (نن) إلى الملكة العائشة (المجهولة) بتعيينها كاهنة يعطيه الآن أختها (س). غير أن عدم معرفة سلسلة النسب هنا تجعل فهم الجملة صعب المنال. ثم يستمر المتن: «يجب ألا يبقى ذلك أبد الآبدين. وينبغي أن تكون ملكًا، وتبقى أبد الآبدين لأولادهم وأولاد أولادهم دون أن يقتطع منها شيئًا.» «وإن من يثبت بقاء هذه الوثيقة في معبد «آمون رع» ثور النوبة، فإنه سيبقى محظوظًا بجانب «آمون رع»، وسيمكن ابنه على كرسيه. أما من

يقص هذه الوثيقة من معبد «آمون رع» ثور النوبة، فإنه سيقطع بسيف «آمون رع» وبلهيب الإلهة «سخمت» وابنه لن يبقى على كرسيه.»

الإمضاءات

(١) «أمام الكاهن الثاني «لآمون رع» ثور أرض النوبة (المسمى) وا-هـ-مي-ني-أمن».

(٢) أمام الكاهن الثالث «لآمون رع» ثور أرض النوبة (المسمى) «ثا-نن-أمن.

(٣) أمام الكاهن الرابع «لآمون رع» ثور أرض النوبة (المسمى) «تا-نن-بو-تا».

(٤) أمام الكاتب المقدس «لآمون رع» ثور أرض النوبة … ن.

(٥) أمام الكاهن المطهر الكبير لهذا الإله (المسمى) «سا-ب-ي-خي[١٢] … إلخ.

(٢) لوحة الأمير خاليوت

ووجد للملك «أسبلتا» لوحة في جبل «برقل» في عام ١٩٢٠ ميلادية، أقامها تذكارًا للأمير «خاليوت»[١٣] بالمعبد رقم B 500 عند البوابة الأولى.

وهذه اللوحة من الديوريت غير الشفيف، ويبلغ طولها ١٣٠ سنتيمترًا، وعرضها ستون سنتيمترًا وسمكها ٢٨ سنتيمترًا.

وقد كانت مسألة علاقة الأمير «خاليوت» بالملك «أسبلتا» في بادئ الأمر تظهر صعبة، غير أنه بعد درس اللوحة أصبحت سهلة يسيرة. وقد جاءت ألقاب هذا الأمير واسمة سبع مرات على اللوحة كما سنرى في الترجمة، وقد نص صراحة في المتن الرئيسي على أن «خاليوت» كان ابن الملك «بيعنخي»، وقد ذكر في النقش الذي في أعلى اللوحة على أنه ابن الملك «بيعنخي» من ظهره، غير أنه يكاد يكون من المستحيل أن ابنًا للملك «بيعنخي» يمكن أن يكون قد استمر على قيد الحياة، حتى عهد الملك «أسبلتا» الذي أقام مقبرة «خاليوت»، كما ذكر ذلك صراحة

في صلب متن اللوحة، إذ كانت قد توالت سبع مدد حكم لملوك بين نهاية حكم «بيعنخي»، وبين تولية «أسبلتا» عرش الملك. ومدد الحكم هذه كما ذكرنا من قبل هي مدة حكم كل من «شبكا» و«شبتاكا» و«تهرقا»، «تانوتآمون» و«أتلانرسا» و«سنكامان سكن» و«أنلاماني». وقد قدر «ريزنر» مدد حكم هؤلاء الملوك بنحو ١١٧ سنة.[١٤] وليس لدينا إلا تفسير واحد مقبول قد اقترح على حسب ما جاء في البيان الذي ورد في السطر السابع عشر من متن هذه اللوحة، وهو: أن «أسبلتا» قد أقام مقابر لمن لا مقابر لهم». ويفهم من هذه العبارة أن «خاليوت» كان قد مات قبل عهد «أسبلتا»، وأن قبره كان لا يُعد شيئًا يلفت النظر، أو كان قد هدم في عهده، وأن «أسبلتا» قد بنى له في نفس المكان مبنى آخر في صورة هرم كما تذكر لنا النقوش، كما أقام له مقصورة محلاة بالنقوش. ومن الجائز كذلك أنه قد دفنه من جديد في هذا الهرم الذي أقامه. هذا ويحدثنا متن اللوحة أن «أسبلتا» قد أمد هذا القبر بكل ما يلزم من معدات، وكذلك خصص له أوقافًا بما في ذلك الكهنة الجنازيون، وكذلك أقام لوحة في جبل «برقل» إحياءً لذكرى هذا العمل الصالح الذي أنجزه.

وتدل نتائج الحفر التي عملت حتى الآن على أن قبر الأمير «خاليوت» لم يعرف بعد مكانه في أي موقع من المواقع التي حول «نباتا»، والمظنون أنه يوجد بين أهرام الأمراء في الجبانة الشمالية الواقعة عند «البجراوية». وهذه الأهرام تنحصر تواريخها من عهد «بيعنخي» حتى الملك «نستاسن»، وقد وجد في أحدها أوانٍ من المرمر منقوش عليها اسم «أسبلتا».[١٥] وهذا كان هرمًا ذا حفرة[١٦] والنقوش التي على إحدى أواني زيت العطور الموجودة الآن «بالخرطوم» هي ما يأتي: «الزهرة لك. ليت الحياة ترافق أعضاءك مثل «رع» يا سيد الأرضين، وسيد الآثار «مر كارع» «أسبلتا».»

وينقسم متن اللوحة الرئيسي كما يأتي:

(أ) حياة «خاليوت» على الأرض:

(١) خدماته للآلهة من سطر ١–٣.

(٢) اعترافات المتوفى بعدم ارتكاب جرائم سطر ٤–٨.

(ب) صلوات «خاليوت» للملك «أسبلتا» من أجل الإله «حور الأفق»:

(١) الصلوات من سطر ٩–١٥.

(٢) مديح «أسبلتا» من سطر ١٦–٢٠.

(٣) كيف بنى «أسبلتا» قبر «خاليوت»، وأوقف عليه الأوقاف من سطر ٢١–٢٤.

(٤) استمرار الصلوات من سطر ٢٥–٢٧.

(٥) قائمة بالأواني ومعدات القبر الأخرى التي قدمها «أسبلتا» للأمير «خاليوت» ٢٨–٣٤.

والواقع أن الجزء الأعظم من نقوش هذه اللوحة يتحدث عن «أسبلتا»، وفي حين نرى في المنظر الذي في أعلى اللوحة أن الآلهة تضمن «لخاليوت» الحياة بعد الموت وتخليد اسمه، فإننا من جهة أخرى نلحظ أن كلامه لا يخرج عن كونه صلاة للملك «أسبلتا» وحسب.

وتدل شواهد الأحوال إذن على أن اللوحة كانت قد جهزت بأمر الملك «أسبلتا» نفسه، ووضعت بتعليمات منه في المكان الذي وجدت فيه في المعبد. ويلحظ أنه لم يكشط واحد من الطغراءات التي على اللوحة، وأنها قد بقيت مقامة في مكانها على الرغم مما مر من أحداث على المعبد من عهد الملك «أسبلتا» حتى عهد العثور عليها. وكان الكشك الواقع في محور المعبد قد أقيم أمام مخرج البوابة الأولى، وبذلك أخفى اللوحة عن أعين أولئك الذين يدخلون المعبد من الباب الرئيسي. ويدل ما في الأسطر الأولى من اللوحة من صلاح وتقى، على أنها كانت ذات حظوة عند الكهنة وساعدت ماديًّا على حفظ هذا الأثر.

المنظر الذي في أعلى اللوحة: ينقسم المنظر الذي في أعلى هذه اللوحة قسمين يشاهد فوقهما قرص الشمس المجنح يتدلى منه صلان وأسفل ذلك بين الصلين يوجد طغراء الملك «أسبلتا»، وبجانب كل من الصلين نقش: «أعطيك الصولجان». ونقش تحت الطغراء سطران عموديان من الكتابة. والجزء الأيمن من المنظر يحتوي على ثلاثة أشكال؛ ففي الوسط يقف «حور الأفق» متجهًا نحو اليمين وبيده اليسرى صولجان، وخلفه إلهة على رأسها قرص الشمس بقرنين متجهة نحو اليسار، وأمام «حور الأفق» يقف «خاليوت» بيديه مرفوعتين تعبدًا. والجزء الأيسر من المنظر يحتوي على ثلاثة أشكال، ففي الوسط يقف الإله «أوزير» متجهًا نحو اليسار وخلفه إلهة بقرص الشمس ذي القرنين على رأسها، وخلف «أوزير» «خاليوت» متجهًا نحو اليمين، وقد أحيط بكل من قسمي المنظر نقوش تتضمن صلوات وأدعية.

المتن الرئيسي: حياة «خاليوت» على الأرض

خدماته للآلهة: السطر الأول (١) قيل بوساطة «أوزير» حاكم «كاناد»، ابن الملك بيعنخي صادق القول «خاليوت» المرحوم.

حينما كنت على الأرض كنت تابعًا لكل الآلهة كما كنت خاضعًا لهم مقيمًا عيدًا للإله ملك (الآلهة؟) في كل يوم عيد خاص بالسموات والأرض، ومحضرًا قربانًا من الخبز والجعة ولحم البقر والدواجن للإله، الذي كان في يومه (أي: اليوم الذي كان يقدم له فيه القربان). وقد أقمت الحداد في الاحتفال بالأعياد في فصولها؛ لأجل أن أرضي قلب هذه الإلهة «أزيس» العظيمة أم الإله.

تصريحات المتوفى بعد ارتكاب جرائم: «لم أقترف كذبة وهي ما يمقته الآلهة، ولم أسرق الناس، ولم أرتكب جرمًا، ولم يتعدَّ قلبي إلى الإضرار بالفقير، ولم أقتل رجلًا ظلمًا، عندما لم تكن جريمته قد وقعت. لم أتسلم رشوة من أجل عمل شرير، لم أسلم خادمًا إلى يد سيده. لم يكن لي صلة بامرأة متزوجة، لم أصدر حكمًا باطلًا، لم أحبل الطيور المقدسة، ولم أذبح الحيوانات

المقدسة، ولم أغتصب قربان الآلهة، بل أعطيت قربانًا كل الآلهة والإلهات، وأعطيت الجوعان خبزًا، والظمآن ماءً، والعريان ملابس، وقد عملت هذه الأشياء على الأرض، وقد سرت على طرق الآلهة، وبعدت عن لعنتهم لأجل نهاية طيبة للأطفال الذين يأتون بعدي في هذا الأرض أبد الآبدين.»

صلوات «خاليوت» من أجل الملك «أسبلتا» للإله «حور الأفق»: (٩) إن «أوزير» حاكم «كاناد»، ابن الملك، «خاليوت»، صادق القول يقول: «يا حور الأفق»، أيها الإله الفاخر، حاكم التاسوع، والروح العائش أبديًّا، من يخترق السماء كل يوم، ويذهب في العالم السفلي بين الأموات المنعمين كل ليلة. إن كل السنين التي سأعيشها في مملكة الأموات أمام «أوزير»، ليتك تعطيها سنين على رأس الأحياء، ابنك الذي يحبك، «حور» الذي هو الصقر «أسبلتا» العائش أبديًّا. لقد أعطيته عمرك السماوي ومملكة «أتوم»، وعرش «جب»، والظهور بمثابة ملك الوجه القبلي والوجه البحري على عرش «حور» الإحياء أبديًّا، وكذلك أم الملك «ناسلسا» عائشة مثل ما عاشت مع ابنها «حور» في مصر العليا والسفلى، وآثاره هناك ممتدة بقدر ما تضيء أشعتك؛ وذلك لأنه ابن فاخر لوالده «أوزير» حامي أمه (؟).

مديح «أسبلتا»: «ما أسعد الآلهة والناس، إذ إنه منذ أن ظهر جلالته (على العرش) كان يجري وراء ما هو مفيد. وإن كل ما فعله لكل الآلهة والإلهات هو أن يصنع صورهم المقدسة، ويقيم موائد قربانهم، ويبني محاريبهم، ويمد معابدهم بكل شيء طيب، مضاعفًا قربانهم من الذهب والفضة والنحاس، ومؤسسًا لهم أوقاف المعابد، وواهبًا قربانًا جنازيًّا للأموات المنعمين، ومقيمًا مقابر لأولئك الذين لا مقابر لهم، محترمًا صورة المتوفى بوصفها أثر روحه، وواضعًا ابنه مكانه. وأنه يمنح نفسًا لكل أنف جاعلًا كل الناس يعيشون، ولا فكرة خبيثة تسكن فيه أو على مقربة منه، لقد عمل تصميمات ممتازة في هذه الأرض، كما فعل «حور» بعد أن ظهر على عرش والده «أوزير»، وأنه يمنحك الصدق الذي تحبه وأنه يرضي قلبك كل يوم.»

كيف أقام «أسبلتا» مقبرة «خاليوت» ومونها بأوقاف: «يا سيدي «رع حور أختي»، إنك تعلم هذه الأشياء التي عملها لي ابن «رع» «أسبلتا» العائش أبديًّا أنه أقام لي هرمًا من الحجر

الجيري الأبيض الصلب (حجر رملي)، ومون لي بيتًا لملايين السنين بكل شيء، وجعل اسمي يمكث فيها، وضاعف قرباني من الذهب والفضة والنحاس، وأعطاني أرضًا لأجل أن يجلب لي أزهارًا ... كل يوم (؟) ومنحني حاشية من الخدم (كهنة جنازيون)، ووطد قرباني من الطعام أبد الآبدين، كما فعل «حور» (لوالده «أوزير»). وإني أقول ذلك لسيدي «رع حور أختي»: إنك والد الآباء، وإنك الوارث الأبدي الخفي الممتاز (وإنك أعطيت إياه) «أسبلتا» ملكك وحضرتك الفاخرة وقوتك. وإنك تقتل كل أعدائه كما تقتل «أبو فيس»[١٧] كل يوم. ليتك تمنحه كل الحياة والثبات والفلاح وكل الصحة وكل فرح القلب مثل رع أبديًّا. وليتك توطد وارثه، وليتك تربي كل أولاده على الأرض حتى لا يفنون أبد الآبدين.»

قائمة بالجرار ومعدات القبر الأخرى التي أمد بها «أسبلتا» الأمير «خاليوت»: قائمة بجرار القربان السائلة التي عملها ابن «رع» «أسبلتا» العائش أبديًّا؛ لأجل «أوزير» حاكم «كاناد»، ابن الملك «خاليوت» صادق القول لأجل أن يمد بيته أبد الآبدين مثل ما فعل «حور» لوالده «أوزير».

ويلحظ أن الجزء الأكبر من ستة الأسطر الأخيرة لا يمكن قراءتها بالمرة، وهي في الركن الأسفل من اليمين من اللوحة، حيث إن سطح الحجر قد تآكل نهائيًّا وفي نهايات الأسطر توجد بعض إشارات قليلة وكلمات، يمكن معرفة معناها وتدل على أنها في الأصل كانت تحتوي على قائمة قربان وأثاث جنازي.

هذا وقد وجد لهذا الملك في حفائر «الكوة» لوحان مهشمان من الخزف المطلي الأخضر في معبد A، وقد نقش على كل منهما اسمه،[١٨] وكذلك بعض قطع صغيرة لا فائدة منها.

(٣) مرسوم اللعنة

هذا وينسب مرسوم اللعنة للملك «أسبلتا»،[١٩] غير أن هذا ليس مؤكدًا؛ لأن اسم الفرعون في اللوحة قد محي،[٢٠] وسنورد وصف هذه اللوحة وترجمتها هنا، على الرغم من عدم معرفة حقيقة

اسم الملك الذي أصدرها، وذلك لما فيها من غرابة:

عثر على هذه اللوحة في جبل «برقل» كما أسلفنا القول في ذلك عند التحدث عن لوحة «بيعنخي». وتحتوي على منشور أطلق عليه علماء الآثار «منشور اللعنة»، وعلى الجزء الأعلى منها تحت منظر نشاهد فيه الملك الذي كشط اسمه من طغرائه يقدم صورة العدالة قربانًا للإله «آمون رع»، الذي مثل بدوره بصورة رأس كبش يعلوه قرص الشمس المحلى بريشتين، وخلف هذا الإله وقفت الإلهة «موت» والإله «خنسو». وقد نقش على يمين الإله «آمون رع» في صورة الكبش «آمون رع» رب تاج الأرضين القاطن في الجبل المطهر، يقول: «إني أعطيك كل الحياة وكل القوة.» ونقش مع «موت»: «موت» ربة السماء سيدة الآلهة تقول: «إني أعطيك الصحة كلها.» ونقش مع «خنسو»: «خنسو» في «طيبة»، الكاتب الحقيقي للتاسوع، سيد السرور يقول: «إني أعطيك انشراح الصدر.»

المتن

الإله الطيب مثل «رع»، و«أتوم» بادئ الخلق، والذي يعرف بالموت (؟) … واسع الخطوة وضوء «آتون»، والذي يعطي النفس كل أنف، والذي يجعل الناس يحيون، ومن يستولي بقوته مثل من أنجبه، ومن يرشد جلالته في كل حالة من حالاته، رب الأشياء الممتازة والابن الأكبر وحاميه (المنتقم له)، ومن أجاب عندما تسلم عرشه: ملك الجنوب والشمال (…) ابن رع (…) محبوب «آمون رع» رب عرش الأرضين، والقاطن في الجبل المطهر معطَى الحياة أبد الآبدين.

في السنة الثانية (بعد) تتويجه كان جلالته على عرش «جب»، وذهب جلالته إلى معبد والده «آمون نباتا»، قاطن الجبل المطهر ليطرد هؤلاء القوم الذين كانوا مبغضين للإله وهم الذين … قائلًا: «اعمل على ألا يسمح لهم بالدخول في معبد «آمون نباتًا» القاطن في الجبل المطهر،

وذلك بسبب الأمر الذي يُعد إعلانه شيئًا ممقوتًا، وهو الذي قد ارتكبوه في معبد «آمون.» وقد عملوا شيئًا لم يأمر بعمله الإله، فقد ارتكبوا شيئًا منكرًا في قلوبهم خاصًّا بقتل إنسان كان خلوًّا من الشيء المنكر الذي أمر الإله بألا يعمل. (٨) وقد دفع الإله كلماتهم في أفواههم؛ لأنه أراد أن ينزل بهم هلاكهم وقد ذبحهم وجعلهم ... (٩) لأجل أن يلقي الخوف في كل خدام الإله وكل المقربين الذين سيدخلون في حضرة هذا الإله المقدس، الذي تحدث جلالته عن عظم قدرته وعظم سلطانه قائلًا: «إذا كان أي خادم للإله مهما كان، أو أي مقرب يرتكب أي ذنب في المعبد، فإن الإله سيضربهم ولن يسمح لأقدامهم أن تكون على الأرض، ولن يسمح لهم أن يولوا خلفاء من بعدهم، حتى لا يملأ المعبد بالأرجاس وأن تكون مبانيه خالية منها.»

(٤) آثار أسبلتا في معبد تهرقا في الكوة (راجع Kawa, I, P. 89)

وجد لهذا الفرعون بعض قطع من لوحة من الجرانيت، كما وجد له لوحتان مكسورتان من الفخار المطلي من معبد A.

(٥) أسرة الملك «أسبلتا»

أزواجه

(١) تزوج الملك «أسبلتا» من الملكة «حنوت تاخبيت» التي دفنت في «نوري» بالمقبرة رقم ٢٨، ومن المحتمل أنها ابنة الملك «سنكامان سكن». وقد تبنتها الملكة «ماديقين»؛ وقد أنجبت من «أسبلتا» ابنة «امتالقا». وعثر لها على تماثيل مجيبة في هرمها، كما وجدت بقايا أوراق من الذهب.[٢١] وقد جاء ذكر تعيينها كاهنة في اللوحة المؤرخة بالسنة الثالثة من حكم «أسبلتا»، وقد تحدثنا عنها فيما سبق.

(٢) وكذلك تزوج الملك «أسبلتا» من الملكة «أساتا» التي عثر على هرمها في جبانة «نوري» رقم ٤٢، وقد عثر لها على تماثيل مجيبة وجعران قلب محفوظ بمتحف «بوسطون».[٢٢]

(٣) ومن أزواجه كذلك الملكة «أرتاها»، وهرمها في جبانة «نوري» رقم ٥٨ ووجد فيها تمثيل مجيبة باسمها.[٢٣]

(٤) ومن المحتمل أنه تزوج من الملكة «مقمالي» التي عثر على هرمها في جبانة «نوري» رقم ٤٠ وقد وجد لها تماثيل مجيبة، وكذلك وجد لها تمثال مجيب آخر يقال إنه عثر عليه في معبد «صنم».[٢٤]

---

[١] راجع: J. E. A., vol. 35, P. 142.

[٢] راجع: J. E. A., vol. 35, P. 142.

[٣] راجع: Mariette, Mon. div. Pl. 9.

[٤] راجع: Revue Arch., Tom. XXV, P. 300; & Bibliothèque Egyptologique, Tom. VII, P. 223.

[٥] راجع: The Egyptian Sudan, vol. II, P. 63 ff.

[٦] راجع: Schaefer, Urkunden, III, P. 91.

[٧] راجع: A. Z., 1871, P. 60.

الملك «أمتالقا» ٥٦٨–٥٥٣ق.م



تولى الحكم بعد الملك «أسبلتا» ابنه المسمى «أمتالقا»، وأمه هي الملكة «حنوت تاخبيت». وجد هرمه في جبانة «نوري» رقم ٩.

وآثاره الباقية هي تماثيل مجيبة، وقراب أسطوانة، وشريط من الذهب، هذا بالإضافة إلى ودائع أساس في ركنين من أركان هرمه، وجد في كل منهما إحدى عشرة لوحة صغيرة مكتوبة باسمه،[١] وكذلك عثر له على إله توسيع Spacer من الذهب.[٢]

أسرة الملك «أمتالقا»

(١) والظاهر أنه تزوج من أخت له تدعى «أخيقا» (؟) دفنت في جبانة «نوري» بالهرم رقم ٣٨، وهي ابنة الملكة «حنوت تاخبيت»، وقد عثر لها على تماثيل مجيبة كما عثر لها على جعران في «مروى غرب»[٣]

(٢) وتزوج كذلك من الملكة «أماني تاكلي» المدفونة في الهرم رقم ٢٨ بجبانة «نوري»، وهي ابنة الملك «أسبلتا» وأم الملك «مالناقن».

---

[١] راجع: Prelim. Report of Harvard at Nuri, P. 8.

[٢] راجع: J. E. A., Ibid, P. 142.

الملك «مالناقن» ٥٥٣–٥٣٨ق.م



تولى الحكم الملك «مالناقن» بعد والده «أمتالقا»، أما أمه فهي الملكة «أماني تاكاي» ابنة الملك «أسبلتا»، ودفنت في هرمها بجبانة «نوري» رقم ٢٦.

ودفن هذا الملك في جبانة «نوري بالهرم رقم ٥. وقد عثر على عدة تماثيل مجيبة تَرْبُو على العشرين، كما وجدت له خمس أوانٍ من المرمر. هذا بالإضافة إلى ودائع الأساس التي وجدت في ركنين من هرمه، وتحتوي كل مجموعة منها على اثنتي عشرة لوحة نقش على كل منها الإله الطيب «مالناقن» عاش مخلدًا.[١]

وأخيرًا وجد له في معبد «الكوة» خمس طغراءات منقوشة على الفخار المطلى كتبت بطرق مختلفة.[٢]

والظاهر أنه تزوج من ملكة تدعى «تاجال» (؟) دفنت في جبانة «نوري» رقم ٤٥. وقد عثر لها على تماثيل مجببة هناك.[٣]

---

[١] راجع: Reisner, Prelim. Rep., P. 8; & J. E. A., vol. 35, P. 144.

[٢] راجع: Temple of Kawa, I, P. 89, Pl. 35.

الملك «أنا لمعاي» ٥٣٨ــ٥٣٣ق.م



أنا لمعاي — نسوت بيتي نفر كا رع

لا نعرف إلا القليل عن الملك «أنا لمعاي»، فقد عثر على هرمه في جبانة «نوري» رقم ١٨. وقد وجد في هذا القبر أكثر من خمسة تماثيل مجيبة. كما وجدت له أربع ودائع أساس تحتوي كل منها على لوحتين صغيرتين باسمه. وكذلك عثر له على آنية قربان وجدت في مقبرة الملك «أماني-نتكاي-لبتي»، الذي يظن أنه حكم بعده مباشرة.[١]

---

[١] راجع: J. E. A., vol. 35, P. 142; & Reisner, Prelim, Report, P. 8 & P. 52.

الملك «أماني-نتكاي-لبتي» ٥٣٣–٥١٣ق.م



أماني-نتكاي-لبتي عا-خبرو-رع

وجد لهذا الملك أكثر من عشرة تماثيل مجيبة في هرمه الذي دفن فيه بجبانة «نوري» رقم عشرة، وكذلك وجد له قراب أسطوانة مصنوع من الذهب، ومرآة من الفضة محفوظة بمتحف «بوسطون». وكشفت أعمال الحفر له عن ثلاث ودائع أساس في كل منها لوحتان باسمه.[١]

[١] راجع: J. E. A., Ibid, P. 142; & Reisner, Prelim. Report, P. 8–55.

نظرة عامة في الحضارة الإغريقية

الحضارة الإغريقية

لا نزاع في أن الإنسان إذا رغب في دراسة تاريخ أمة دراسة صحيحة، وجب عليه أن يعرف أحوال الأمم التي تحيط بها حتى يكون على بينة من الظروف السياسية والاجتماعية والحربية، التي تضرب بسبب إلى الأمة التي يدرس تاريخها. وقد اتصلت بلاد الإغريق بالأمة المصرية اتصالًا مباشرًا وغير مباشر من منتصف الألف الثانية قبل الميلاد، وقد ازداد هذا الاتصال في القرن السابع قبل الميلاد بصفة بارزة أي: من العصر الذي بدأت فيه البلاد الإغريقية تلعب دورًا هامًّا في تاريخ الشعب المصري إلى أن انتهى الأمر باحتلال «الإسكندر المقدوني» البلاد عام ٣٣٢ق.م.

من أجل ذلك نرى لزامًا علينا أن نورد هنا مختصرًا عن الحضارة الإغريقية منذ نشأتها حتى نهاية «عهد الإسكندر الأكبر»؛ لأن مصر بعد حكمه أصبحت محكومة بحكام إغريق، وإن كانت في ظاهرها مستقلة.

الأساطير الإغريقية الأولى

إن كل حوادث التاريخ قبل اختراع الكتابة وتدوين الحوادث قد وصل إلينا عن طريق الرواية، التي تعتمد على أسس واهية، ومن ثم نتجت الأساطير والأقاصيص التي أفعمت بالمعجزات مما جعلها تظهر كالخرافات وقصص الجان. ولا شك في أن مثل هذه القصص تحمل في تضاعيفها كثيرًا من الحقائق التاريخية، فإذا ما فحصت فحصًا علميًّا دقيقًا، وأُميط عنها ما نُسج حولها من خيال وما ابتدع فيها من أوهام برزت لنا نواة الحقيقة بصورة ما. وسنقص هنا قصة خرافية عن «جزيرة كريت» الواقعة في البحر الإيجي عن ملكها الشهير المسمى «مينوس».

وتقول الأساطير: إن «مينوس» هذا كان ابن «زيوس» أكبر الآلهة كلها، وقد أصبح ملكًا قوي السلطان، ولم يكن حكمه يقتصر على جزيرته «كريت» فحسب، بل كان نفوذه في الواقع يمتد

على كل بحر «إيجة». وكان ابنه قد ذبح غيلة في «أثينا»، وانتقامًا لذلك أجبر ملكها على أن يرسل إليه كل تسع سنين جزية مقدارها سبعة من الشبان وسبع من العذارى، وهؤلاء كانوا يقدمون ضحية إلى «مينوتور» Minotaur، وهو مارد في صورة ثور ذي رأس ضخم قد وضعه الملك في التيه الذي كان صنعه له صانعه المسمى «دادالوس» Daedalus، وقد حملت السفينة في «أثينا» مرتين عبر البحر الإيجي بحمولتها المؤلفة من سبعة شبان وسبع عذارى، وقد كانوا في كل مرة يؤخذون ويذبحون في التيه، لكنه في المرة الثالثة عزم «تيسيوس» Theseus ابن «إيجيوس» ملك «أثينا» على أن يذهب بنفسه إلى «كريت» ويذبح هناك المارد، ثم يقضي قضاءً نهائيًّا على وصمة العار هذه التي كانت عالقة بمدينة «أثينا». وفعلًا أحضر أمام «مينوس» الذي وضعه بدوره في أعماق السجن انتظارًا لحتفه. ولكن لحسن حظ السجين وقعت «أريادني» Ariadne ابنة الملك في حب «تيسيوس»، وذهبت إلى السجن خفية وأعطته سيفًا ليقتل به المارد، كما أعطته كرة من الخيط ليسترشد بها إلى الخارج من منحنيات التيه ومنعطفاته. وفعلًا قتل «تيسيوس» المارد «مينوتور» ووجد سبيله إلى خارج التيه بوساطة الخيط، وخلص أصحابه ثم أقلعوا وبصحبتهم «أريادني» من «كريت» إلى «أثينا».

وكان قد وعد والده «إيجيوس» أن ينشر ملاحوه شراعًا أسود إذا كان هو قد هلك، أما إذا ظل على قيد الحياة فكان عليهم أن ينشروا شراعًا أبيض. ولكن مما يؤسف كثيرًا أن هذا الأمر قد نسي، ورفع الشراع الأسود فلما رآه «إيجيوس» اعتقد أن الكارثة قد حدثت فألقى بنفسه في الماء، وهذا هو السبب في تسمية هذا الجزء من البحر الأبيض المتوسط «إيجي». هذه هي قصة التيه وماردها وضحاياها من الشبان والعذارى.

وقد أطلق المؤرخ «هردوت» لفظة «لبرنته» — أي التيه — على المعبد الجنازي لهرم الملك «امنمحات الثالث»، الذي أقامه في الفيوم لكثرة ما كان يحويه من حجرات يضل فيها الزائر.[١]

وقد كشف حديثا أن «جزيرة كريت» كانت مملكة قائمة بذاتها لمدة طويلة، وصاحبة السلطان العظيم في بحر «إيجة»، وكانت عاصمتها «كنوسوس» Knossos، يضاف إلى ذلك أنه قد أميط اللثام عن حل لرموز لغتها بفضل العالم «بيدرخ هروزني».[٢]

وقد كان الإغريق يعتقدون بوجود ملك يدعى «مينوس». والمظنون أنه هو أو سلسلة من الملوك الذين كانوا يحملون هذا الاسم قد حكموا مدة من الزمن كانت فيها الجزيرة في رخاء عظيم وقوة ضخمة. وقد بلغ من قوة هذا الحكم أن مدنًا أجنبية دفعت له الجزية. وحضارة العصر البرونزي الذي عاش فيه كان يسمى العصر المنواني. ويمكن أن نتتبع الآن تفاصيل حياة «مينوس» وحالته وحال غيره من عظماء ملوك «كريت»؛ وذلك لأنه منذ بداية القرن العشرين الحالي أخذ الأثريون بقيادة «سير أرثر إيفانز» Sir Arthur Evans يقومون بعمل حفائر في آثار هذه الجزيرة؛ مما كشف لنا النقاب عن قصة المدينة منذ حوالي ٣٠٠٠ق.م أو حتى قبل ذلك بصورة جلية يمكن تصورها.

فيمكن أن نتصور أحد ملوك هذه الجزيرة في قصره بمدينة «كنوسوس» يحيط به الثراء ويزدان بالرزانة وبعد النظر، وهو متربع على عرشه ذي الظهر المرتفع بين نصائحه يأمر وينهى في مملكته مصرفًا أمورها بالعدل، وكانت له أوقات فراغ كذلك يتمتع بها فقد كان مغرمًا بمشاهدة مباراة الثيران الشهيرة في ميدان فسيح أقيم بجوار قصره. وكان يقف المدرب على هذا النوع من الرياضة من الشبان أو الفتيات وجهًا لوجه أمام الثور الضخم، وكان الثور ينقض برأس منحنية إلى أسفل في حين كان الشاب يتلافاه، ويقبض على إحدى قرنيه ويأرجح نفسه على راس الثور، ويقف عليه مدة، أو يضع نفسه عليه ظهرًا لظهر، ثم ينقلب على الأرض خلف الثور حيث ينتظره مدرب آخر ليتلقفه.

وكان بعض نواحي قصر «كنوسوس» يحتوي على ردهة عظيمة ذات أعلام، وبها حجرة تسع أربعمائة أو خمسمائة من النظارة تطل عليها درجات ومقعد ملكي على علو مرتفع في نهايتها. وفي هذه الردهة كانت تقام المصارعة والملاكمة وألعاب الكرة، كما تتخذ مسرحًا يموج بالراقصين والراقصات من الشبان والشواب، يؤدون رقصات شهيرة على أنغام القيثارة والصفارة. وكان من بين النظارة أسراب من سيدات الكريت، وقد خرجن في زي أنيق بأثواب طويلة تحلي أطرافها هدابات وأحزمة مشدودة، أما شعورهن فكانت مجعدة في صور خواتم صغيرة مصفوفة على رءوسهن. وكانت مساحة القصر كله تشغل ما يزيد عن أربعة أفدنة ونصف فدان، وتتألف من ثلاث طبقات في بعض جهاتها، وفي البعض الآخر من أربع طبقات عالية. ويحتمل أن يكون هذا القصر وما يضمه من حجرات عديدة منشأ قصة التيه أو اللبرنته، وهي كلمة صارت تعني فيما بعد التيه ذا الممرات المعقدة والمسالك الملتوية، التي لا يمكن الناس أن يجدوا فيها طريقهم بسهولة دون دليل يرشدهم. وكلمة «لبرنت» يمكن أن تعني في الأصل مكان البلط، وهي مشتقة من كلمة تعني بلطة ذات رأسين، وهي رمز استعمله أهل «كريت» ونقشوه على العمد وفي أماكن أخرى من القصر.

أما الثور فقد وجدت له صور على أجزاء مختلفة في الجزيرة بوصفه حيوانًا مقدسًا.

وها نحن أولاء قد بدأنا نرى آثار الحقائق التاريخية مختفية خلف قصة المارد «مينوتور» التيه (لبرنت).

ولا شك في أن الملك كانت له أشياء أخرى يهتم بها غير الرياضة. فقد وُجد في أجزاء من قصره في مدينة «كنوسوس» مصنع لعمل الفخار تصنع فيه الأواني الفخارية الكريتية الشهيرة ذات النماذج المحببة إلى النفس والألوان البهجة. وكانت مخازنه مملوءة بالجرار المصنوعة من الفخار تسع الواحدة منها رجلًا، كالتي نقرأ عنها في قصة «علي بابا» والأربعين لصًّا، أو

كالسلات التي أعدها قائد «تحتمس الثالث»، عندما أراد أن يستولي على «يافا» خلسة ووضع فيها مائتي جندي.[٣] وهذه الجرات الكريتية كانت تسع كميات هائلة من النبيذ والزيت والحبوب لاستعمال الملك وجنوده ومستخدميه، ومفتنيه ونحاتيه وصناع أسلحته وخدمه، وكذلك الأجانب الذين كانوا يفدون على بلاطه.

وكانت جزيرة «كريت» جميلة بما فيها من جبال ومرافئ وأشجار وأزهار — مثل السوسن والورد والزعفران — وكانت تحتوي على تسعين مدينة وعدد عظيم من السكان يشتغل بعضهم بالنسيج وصباغة الملابس أو بصياغة الحلي من الذهب، والأسلحة من النحاس المطعم. ويشتغل آخرون جوابين يعبرون البحار على ظهر السفن أو صيادين أو عاملين في زرع الأرض وحرثها.

وقد امتدت التجارة بين «كريت» والبلاد التي كانت في متناولها امتدادًا عظيمًا. فكان يأتي إليها النحاس من «قبرص». والقصدير يحتمل أنه كان يأتي من «كورنول». والكهرمان عن طريق أوروبا مخترقًا «البلطيق» إلى «البحر الأسود»، ومن ثم إلى البحر «الإيجي» والي «كريت». أما مصر فكانت تورد لها الأواني المصنوعة من الحجر والعاج والخرز، في حين كانت تصدر «كريت» في مقابل ذلك كميات من الزيت والنبيذ والقطع الفنية، هذا بالإضافة إلى الأدوات المصنوعة من المعدن الذي كانت مشتهرة به. ونرى ازدهار التجارة بين مصر وجزيرة «كريت» في عهد الأسرة الثامنة عشرة، وقد تحدثنا عن ذلك بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا في كتاب مصر القديمة.[٤]

وقد كان تبادل التجارة بين «كريت» والبلاد الأخرى سهلًا ميسورًا؛ وذلك لأن «كريت» كانت قد فتحت أو أرسلت مستعمرين إلى أماكن عدة في جزر بحر إيجة وما وراءه، ولم تكن مصر على عظمتها وجبروتها وقتئذ لترفض التجارة مع «كريت» سيدة بحر «إيجة». والواقع أن

حكام هذه الجزيرة وقتئذ كانوا يقبضون بيد من حديد على قرصان البحر فلا نهب ولا سلب، وقد بلغ بهؤلاء الملوك الكبرياء والاعتزاز بالنفس والجبروت إلى أن تركوا مدن جزيرتهم دون تحصين متكلين على الخوف من اسمهم وأسطولهم، والبحر الذي يحرسهم لوقاية مملكتهم الفتية المزهوة بقوتها، غير أن الطبيعة لم تترك هذه الجزيرة تمرح في بحبوحة هذا السلطان والثراء، بل كانت تفجؤها بالزلازل التي تخرب قصورها، فيعيدها الأهلون ثانية بعد كل هزة أرضية بصورة أحسن مما كانت عليه من قبل.

وفي حوالي عام ١٤٠٠ق.م يظهر أنه قد أصاب البلاد زلزال مفاجئ قضى عليها، حتى إنه في مدينة «كوسوس» قد رئي الزيت الذي كان على وشك أن يصب في الأواني للأحفال الدينية، ولكن هول المصاب الداهم حال دون ذلك فلم يصب الزيت، وفي أماكن أخرى من الجزيرة عثر الحفارون على ما يثبت حدوث مصيبة مفاجئة حلت بالناس وهم منهمكون في أعمالهم، يضاف إلى ذلك انتشار الحرائق التي خربت البلاد. والمظنون الآن أن ذلك الحادث قد نجم عن زلزال، وإن كان من المحتمل أن أعداء للبلاد قد زادوا الطين بلة، فقضوا على ما غفلت عنه عين الزلزال بالسلب والنهب.

حقًّا قد أعيد بعض المباني في «كريت» غير أن الحياة في العاصمة لم تعد إلى ما كانت عليه من قبل تمامًا. والظاهر أن قوة الجزيرة البحرية قد استمرت بعد هذا الحادث مدة من الزمن، ولكن أسطولها أخذ في الضعف شيئًا فشيئًا، فظهر قرصان البحر يشقون عبابه ثانية، ويعيثون فسادًا في السفن التي تحمل المتاجر.

والجدير بالذكر هنا أن ثقافة «كريت» قد تركت أثرها في بلاد اليونان نفسها، ومن ثم لم تمت مدنيتها. وقد ظلت معلوماتنا عن مدنية هذه الجزيرة ترتكز على ما تخرجه يد الحفار من آثار لا على ما جد من نقوش؛ وذلك لأن العلماء الباحثين قد بذلوا مجهودات جبارة لحل رموز نقوشها،

ولكنهم باءوا بالفشل، وظلت الحال كذلك إلى أن أماط اللثام عنها اللغوي العظيم «بيدرخ هروزني» في مقال له عن أسرار لغة هؤلاء القوم.[٥] وقد حل كثيرًا من رموز هذه اللغة واستنبط أن سكان «كريت» على ما يظهر كانوا خليطًا من أقوام عدة، وأن الجزيرة كانت محكومة في بادئ الأمر بطبقة من الفاتحين وفدوا من داخل بلاد «آسيا» والجزء الأعظم منهم من أصل هندي أوروبي. فقد قال: لا نكون مخطئين إذا قلنا: إنه عند حدوث هجرة أقوام في آسيا الوسطى في البلقان كان يستقر بعضهم في جزيرة «كريت»، ومن ثم تألفت المدنية الخارقة المجاوزة للمألوف المعروفة بالمدنية المنوانية، وهي التي سبقت المدنية الإغريقية؛ وهي جدة المدنيات الأوروبية. وقد تألفت أولًا بالسكان الهنود الأوروبيين. وإن العالم ينتظر إتمام بحوث هذا العالم، ولكن على أية حال يمكن من الآن القول مما وصل إليه من الكتابات الكريتية أن جزيرة «كريت» ذات الشمس المشرقة كانت ذات يوم مهيمنة على البحر، وسكانها من المحبين للفنون والأناقة والملاذ، وهم من أصل هندي أوروبي من جهة وآسيوي من جهة أخرى. كل ذلك جعلها تمثل بجانب «سومر» و«أكاد» و«مصر» وبلاد «خيتا»، ووادي «نهر السند» و«بلاد الصين» القديمة مهدًا سادسًا هامًّا للثقافة القديمة، هذا بالإضافة إلى أنها الأقدم تاريخيًّا بين المدنيات الأوروبية.[٦]

---

[١] راجع مصر القديمة الجزء الثالث.

[٢] راجع: Bedrich Hrozny, Histoire de L'Asia Antérieure P. 278 etc.

[٣] راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول ص١١٠-١١١.

[٤] راجع مصر القديمة الجزء الرابع.

بلاد اليونان وحروبها مع طروادة

ننتقل الآن إلى بلاد الإغريق نفسها، ولا نزاع في أن جزيرة «كريت» كانت ذات يوم صاحبة قوة عظيمة فيها، ولكنا نجد إلى ما قبل سقوط «كريت» أقوامًا من الجنس المسمى «الآخيين» Achean كانوا يهاجرون جنوبًا من مواطنهم إلى الجزء الشمالي من بلاد الإغريق، وحوالي ١٢٠٠ق.م كانوا قد أصبحوا أقوياء لدرجة أنهم صاروا أقوى قوم في بحر «إيجة». وكانوا قد تعلموا كثيرًا من المدنية الكريتية، ولكن أصبحت لهم حياتهم الصالحة الخاصة المميزة بهم، كما كان رؤساؤهم ومدنهم يتمتعون بثراء وفير وحياة ناعمة. وكانت «ميسيني» تمثل المكانة الأولى من حيث العظمة والسؤدد، وكان ملكها التقليدي المسمى «أجاممنون» صاحب ثروة ضخمة من الذهب والفضة والبرنز والعربات والسفن، يعيش في أبهة وترف في قصره المشرف على المدينة والسهل الذي يقع أسفل منه. وقد أطلق على مدينة هذه البلاد «الحضارة الميسينية» إذ كان لها طابع خاص بها.

وفي الشمال الشرقي من بحر «إيجة» كانت توجد مدينة أخرى تدعى «طروادة»، وكانت ذات سور منيع وتقع على «هلسبونت» (الدردنيل) حيث تلتقي أوروبا بآسيا، وكان قوم الآخيين من البحارة الجسورين الشغوفين بالحصول على منافذ جديدة لمشاريعهم في شرقي بحر إيجة، وقد سبب طموحهم هذا تصادمهم مع «طروادة»، وفعلًا شبت نار حرب بينهما حوالي ١١٩٠ق.م ويقال: إنها استمرت مستمرة بينهما نحو عشر سنين. وبعد هذه الحرب أنشد الشعراء الأناشيد الموقعة على القيثارة تشيد بأعمال الشجاعة العظيمة التي قام بها الرؤساء من كلا الجانبين، وقد تناقلتها الأجيال وزاد عليها في أثناء انتقالها من جيل إلى جيل كثير من الأساطير والأعاجيب طغت على ما فيها من حقائق.

وعندما غزا الدوريون بلاد الإغريق كما سنرى بعد هاجر كثير من الآخيين من بلاد الإغريق إلى «أيونيا»، الواقعة على ساحل آسيا الصغرى حاملين معهم هذه الأقاصيص التي بقيت حية متداولة، وقص فيها الشعراء القصائد الطويلة، وكان أكبر هؤلاء الشعراء وأعظمهم «هومر»، والمفروض أنه كان كفيف البصر وعاش في «أيونيا» حوالي عام ٩٠٠ق.م وقد نسبته سبعة أماكن في هذه الجهة لنفسها، فكان يدعي كل مكان منها أنه مسقط رأس «هومر». والواقع أننا لا نعرف عنه كثيرًا، غير أنه كان من أعظم شعراء العالم. وقد أنتج ملحمتين وهما «الألياذة»[١] التي تتحدث عن جزء من حرب «طروادة»، و«الأودسى»، وهي التي تحدثنا عن مخاطرات «أودسيوس»، وهو عائد إلى بلاد الإغريق بعد الانتهاء من الحروب الطروادية.

ملحمة الألياذة

وتدل البحوث العلمية الحديثة على أن «هومر» لم يؤلف فعلًا كل هاتين الملحمتين، بل وضع في كتاب واحد كل قصائده، وكذلك قصائد الشعراء الآخرين، والقصة التي بنى عليها كتابه هي ما يأتي: خطف «باريس» ابن «بريام» ملك «طروادة» «هيلانة» الجميلة زوج «منلاوس»، الذي كان ملك «أسبرتا» وقتئذ وأخ «أجاممنون». وعلى الرغم من أن هيلانة قد ذهبت معه عن طيب خاطر، فإن المدن الإغريقية قد انضمت تحت لواء «أجاممنون» في حملة على «طروادة»، وانتهت بخراب «طروادة» وقتل أهل «طروادة» في خلال هذه الحرب أو حملوا أسرى، ولم يبقَ إلا قليل بين خرائب مدينتهم، وقد عاد الإغريق إلى أوطانهم ولواء النصر معقود على رءوسهم.

ويلحظ في القصة كما رواها الشاعر «هومر» أن الآلهة والإلهات قد أخذوا بنصيب في هذه الحرب، وسنشرح ذلك فيما بعد. والإله الوحيد الذي يعنينا هنا هو الإله «زيوس» أعظم الآلهة. أما الآلهة الآخرون فنذكر منهم: الإله «أبوللو» إله الموسيقى والشعر والتنبؤ بالغيب، والإلهة

«بلاس أثينا» إلهة الحكمة، والإله «هرميس» رسول الآلهة إله الحكمة، ويقابل عند المصريين الإله تحوت، ثم الإله «هفاستيوس» إله الفنون التي تصنع بالنار. ونرى عند فاتحة هذه الملحمة «أخيل» Achille الذي كان أعظم بطل في المعسكر الإغريقي في سرادقه، وهو في حالة غضب وتفكير عميق؛ بسبب أن «أجاممنون» قد اغتصب منه أمة استولى عليها في أثناء الحرب. وقد صاح «أخيل» قائلًا: «لقد كان ذلك مكافأته مقابل أيام وليالٍ طويلة قضاها ساهرًا يشن الحرب للاستيلاء على المدن والكنوز التي سلمت كلها إلى «أجاممنون» بوصفه سيده الأعلى». وبذلك لم يذهب «أخيل» إلى مكان الاجتماع ولا إلى ميدان الحرب، بل أضنى قلبه في التفكير في مثواه، وكان يتوق عند سماعه صيحة إعلان الحرب والاشتباك في المعركة إلى منازلة العدو.

وفي تلك الفترة كان كل من الفريقين المتحاربين يأتي بضروب الشجاعة التي لا تحصى. وكان الآلهة يميلون طورًا إلى هذا الفريق وتارة إلى ذاك، أما الإله «زيوس» فكان يقبض في يده على كفتي الميزان الذهبي وازنا أقدار الإغريق والطرواديين. وكان أشجع الشجعان في الجيش الطروادي هو «هكتور» بن الملك «بريام»، فقد ودع زوجه وابنه الصغير عند مشارف المدينة، ولم يكن في مقدوره أن يصغي إلى تضرعات زوجه؛ ليبقى معها وعندئذ جاوبها «هكتور» كرة أخرى وعلى رأسه خوذته البرنزية:

زوجتي العزيزة إن في كلماتك حكمة كثيرة
ولكني إذا أحجمت لحقني العار
أمام نساء «طروادة» اللائي يجررن أذيالهن أمام أزواجهن
لا بل إن روحي فضلًا عن ذلك ليست مكانًا للجبن
إن واجبي أن أقف بمفردي
وأن أسلط أول السيوف الطروادية

نائلًا بذلك فخر والدي وفخري أنا نفسي
ومع ذلك فإنه في أعماق قلبي وروحي يُعرف شيء واحد.

وبعد ذلك مد ذراعيه لابنه الذي أسرع إلى أحضان مربيته منزعجًا من رشية خوذته المنحنية، ولما رأى «هكتور» ذلك ألقى خوذته جانبًا، وأخذ الطفل بين ذراعيه ودعا «زيوس» أن يصبح شجاعًا ومنتصرًا أكثر منه نفسه.

وبعد ذلك ضحك والده وأمه بوداعة
ووضع «هكتور» خوذته على الأرض
وكلها تسطع بوضاءة. وأخذ الطفل وقبله
راجيًا «زيوس» وكل الآلهة الذين حوله:
هب يا «زيوس» أن يكون ابني هذا شجاعًا
مثلي وليت شهرته تضيء لامعة
بين الطرواديين وأن تكثر قوته
وعندئذ سيقول الناس: «لقد فاق في القوة
والده.» عندما يعود منتصرًا من الحرب.

وبعد ذلك ذهب لمحاربة الأعداء، وهو يعلم في قرارة نفسه وأعماق روحه أنه سيقتل، وأن «طروادة» ستسقط في يدو العدو.

قتل «هكتور» خلقًا كثيرًا من الأعداء، ولقد قفز فوق جدار المعسكر الإغريقي، ونادى رجاله أن يتبعوه وشتت شمل الإغريق حتى ولوا هاربين، وبعد ذلك قتل «باتروكلوس» Patroclus أكبر أصدقاء «أخيل»، وأخيرًا أزكى نار الانتقام في نفس «أخيل»، فنزل إلى ساحة الوغي وتقابل الخصمان وجهًا لوجه وتبارزا، وكانت درع «أخيل» قد صنعها له الإله «هفاستيوس»

Hephacstus،[٢] وكانت درعه أشهر درع جاء ذكرها في الكتب؛ لأنها كانت مزركشة بالذهب والفضة والبرنز وحفر عليها مناظر من حياة تلك الأيام منها منظر حفل زواج وشجار في مكان السوق وجيوش محاصرة وكرم، ومنظر حصاد وحرث أرض ومرعى.

وبعد ذلك صور مكان رقص هناك
مثل ما كان قد عمله «دادالوس» في «كنوسوس»
تلك المدينة الشاسعة لسيدة جميلة
وهي العذراء أريادني صاحبة الشعر الجميل
وكان هناك شباب يرقصون على تلك الأرض
وعذارى كثرت مغازلتهن ولكن صعب استمالتهن
ويرقصن ممسكة إحداهن بيد الأخرى
والبنات ارتدين الكتان الجميل والشبان يلبسون
أثوابًا نسجت نسجًا جميلًا يضيء لهم مصباح خافت
بالزيت، وكان يزين رأس كل عذراء إكليل
والشباب كانوا يحملون خناجر محلاة بالذهب فقط
وحمالات سيوف متدلية من الفضة. وهكذا مشوا
بأقدام ماهرة تلف، وخطوا برشاقة
وهكذا بالضبط يجلس صانع فخار بعجلته
ممكنة بين يديه كأنه يجربها
لتجري في وقتها. وهكذا يديرها
وكان كل واحد يقابل الباقي ثانية في صفوف منظمة
وكان يجلس حول الرهط الأنيق كثير من الضيفان
كان يغني لهم الشاعر الشبيه بالإله
أناشيد غنائية، وقد ملأ الفرح صدرهم

وقد أحاطوا جميعًا أنفسهم بمهاجرين.

...

وهاجم «أخيل» «هكتور» الذي فر أخيرًا من أمامه، وبعد ذلك تبعه «أخيل» مثل «إريس» إله الحرب أو كالصقر عندما ينقض على يمامة أو ككلب الصيد عندما ينطلق وراء جرو. وكان الإله «زيوس» يقبض على كفتي الميزان المصنوعتين من الذهب، وقد خفت موازين «هكتور» فهوت كفته.

وقد تغلب الغضب الوحشي على «أخيل» آنذاك
وعلى ذلك فإنه عندما انقض قابضًا أمام صدره
درعه المنقوشة وطوح خوذته اللامعة
التي كان يموج حولها أربع ريشات
كان يجلس على مقربة «هفاستيوس»، وهكذا فإن أجمل
كل كواكب السماء «هسبروس» كان يسير
في ليلة مظلمة يفوق ضوءه كل الكواكب
وهكذا في يد «أخيل» اليمنى عندئذ
سطعت حربته الحادة عندما صوب حربته المميته.

وعندما هوت الطعنة وسقط «هكتور» على الأرض لافظًا النفس الأخير رجا «أخيل» أن يقوم بدفن جثته، وحذره أنه هو كذلك سيلاقي نفس المصير تحت جدران «طروادة».

وعندئذ تكلم «هكتور» صاحب الخوذة اللامعة — وهو يموت — مرة أخرى:

حقًّا إني أعرفك تمامًا وأرى بوضوح
أن قلبك من حديد صلب لم يتحرك من أجلي

ومع ذلك فإن ستقتل بيد «باريس» و«أبوللو»
ولا نزاع في أنه سيقضى عليك عند بوابة «سكابين»
على الرغم من كل قوتك. فاحذر إذن مرة أخرى
لئلا أصب عليك كره ربك المر
وقد انتهى نادبًا مصيره المحزن
وخرجت روحه وكانت لا بد أن تذهب إلى عالم الآخرة
مجردة من شبابها ومحرومة من قوتها.

وقد قتله «أخيل» دون أن يحير جوابًا على رجاء «هكتور» لدفنه، كما أنه لم يكترث بما قيل له عن مصيره هو.

وبعد ذلك تكلم «أخيل» العظيم: «فلتكن نهايتك
وأنا كذلك سأتقبل الهلاك الذي سترسله الآلهة.»

وبعد ذلك أتى «بريام» المسن راجيًا أخذ جثة ابنه، وعندئذ تحركت الشفقة في قلب «أخيل» فأعطاه إياها لتدفن.

وهنا تنتهي قصة الإلياذة؛ لأن موضوعها هو غضب «أخيل» الذي بدأ بشجاره مع «أجاممنون»، وانتهى بدفن الرجل الذي قتل أعز صديق لديه.

ملحمة الأودسى

هذه الملحمة تحدثنا عن كيف أنه بعد أن أمضى «أودسيوس» وهو رئيس إغريقي، عشرة أعوام هائمًا في البحار وصل أخيرًا إلى جزيرة «أتاكا» مسقط رأسه.

وفي هذه الملحمة نرى أن «بنلوبي» زوج «أودسيوس»، كانت تنسج منذ ثلاث سنوات نسيجًا وكانت تنقضه ليلة فليلة؛ وذلك لأنها كانت حائرة بين عدة عشاق لها كانوا لا بد أن يضطروها لتختار واحدًا من بينهم عندما يتم هذا النسيج، وهؤلاء العشاق كانوا يأتون إلى بيتها يوميًّا بكبرياء مفعم بالوقاحة، فكانوا يضحون الثيران والغنم والماعز ويحتسون نبيذها بتهور مبذرين ثروة بيتها، ولكن في آخر الأمر كشفت سر عملها إحدى نسائها وأفشته، غير أن النجدة كانت قد أتت إليها من «أوليمبوس» مثوى الآلهة، إذ نجد أن الإلهة «باللاس أثينا» قد أتت لتخليصها بسرعة كالريح عابرة البحر والأراضي التي لا تُحد، وقد نفخت في روح «تلماكوس» بن «أودسيوس» الأصغر فتحدى هؤلاء العشاق:

أسرفوا في أموالكم ذاهبين من بيت إلى بيت
بالتوالي، ومع ذلك فإنه إذا ظهر أنه شيء أفضل
أن يؤكل طعام الإنسان ويشرب نبيذه
دون ثمن فلتذهب اللذات
ومع ذلك فإني سأضرع للآلهة الخالدين أن يرسلوا
انتقامًا، وأن يرسل «زيوس» جزاء في وقته
وأنتم جميعًا ستنالون نهايتكم غير مشكورين.

وقد ظهر «تلماكوس» على حين غفلة بوصفه رجلًا وسيد بيته في آنٍ واحد.

وفي أثناء هذه الحوادث كان «أودسيوس» يقترب من نهاية مخاطراته في عرض البحار. والواقع أن الإلهة «كاليبسو» Calypso قد حجزته سبع سنين في جزيرتها الجميلة باذلة جهد طاقتها بكلماتها الساحرة أن ينسى «أتاكا» مسقط رأسه، ولكنه الشوق إلى وطنه كان يبري قلبه. وأخيرًا أرسل الإله «زيوس» الإله «هرمس» ليخلصه من ورطته هذه:

فوق «بيريا» مارًّا بسرعة
قافلًا ومن طبقة الهواء العليا جاء «هرمس» السريع
وغاص مثل غراب الماء في البحر ... إلخ.

وقد أدى «هرمس» رسالته، وقد سمح لأودسيوس أن يصنع لنفسه قاربًا ويذهب في عرض البحر، وبعد مضي سبعة عشر يومًا لاحت له في الأفق جزيرة، كأنها درع في البحر الملبد بالضباب، وتلك كانت أرض «الفاسيين» Phaecians، ولكن قبل أن يصل إلى تلك الجزيرة الرحيمة، أغرقت قاربه عاصفة هوجاء، واضطر أن يسبح في الماء يومين وليلتين إلى أن رأى أرضًا ذات رءوس وصخور وشعاب تصطخب عليها الأمواج، وقد قذفت به الأمواج إلى الساحل، ومن ثم سبح في مصب نهر ورسا سالمًا على الشاطئ.

وفي تلك الأثناء كانت «نوسيكا» Nausicaa ابنة ملك «ألسينوس» Alcinous قد أتت مع جواريها لتغسل ثيابها في مجرى النهر الجميل ببركه وعيونه المتفجرة:

وعندئذ حملن من العربة في أيديهن
الملابس وأخذنها بقوة
هناك في الأحواض عند شاطئ الماء المظلم
منهمكات في المنافسة، ثم نشرنها ثانية
على شاطئ البحر حيث الأمواج
تغسل تمام الحصباء وتصدم بالشاطئ.

وعندما استحممن وتدلكن بزيت الزيتون أكلن، واضطجعن بجانب شاطئ النهر طلبًا للراحة من مجهود العمل منتظرات حتى تجفف أشعة الشمس الثياب المغسولة، وبعد ذلك وضعن كوفياتهن بجانبهن بعد الوجبة، وأخذت بنت الملك والعذارى اللاتي معها يلعبن الكرة. وقد أخطأت آخر

كرة الهدف، وسقطت في الماء فأيقظت «أودسيوس» من سباته العميق، وعندئذ على حسب أمر «نوسيكا» ذهب إلى قصر «ألسينوس» الجميل حيث أكرمت وفادته، وقد أخبرهن بمخاطراته وكيف أنه هرب من «سيكلوبس» ومن مارد أعور، ومن عاصفة هوجاء ومن الساحرة «سيرس» Circe ومن سيرنز الفاتنات، ومن أخطار المرور بين ماردتي البحر، «سيلا» Seylla و«شاريبدس» Charybdis[٣] — وهما ماردتان تقفان حجر عثرة في طريق البحارة.

وفي اليوم التالي وضعه «ألسينوس» في إحدى سفنه السحرية، وكانت سريعة كالعصفور في طيرانه أو كالفكر في جولاته، وقد حملته إلى «أتاكا» وعلى الرغم من أنه كان مستخفيًا في زي متكفف مسن، فإن مربيته المسنة قد عرفته كما عرفه كلبه «أرجوس»، الذي كان فيما مضى عداءً سريعًا وصيادًا شجاعًا، والآن أصبح مسنًّا وضعيفًا ومهملًا، وقد رفع رأسه وطأطأ أذنيه وبعد ذلك:

هز ذيله وأرخى أذنيه
ومع ذلك فإن سيده لم يكن لديه القوة على السير
وعندما رأى «أودسيوس» في هذه الساعة
التي تلاقيا فيها بعد مضي عشرين سنة
سقط أخيرًا الموت الأسود على «أرجوس».

وبمساعدة «تلماكوس» الذي عرف الآن الحقيقة قتل «أودسيوس» العشاق بنشابة الجبار، وبعد ذلك كشف «لبنلوب» عن نفسه. ومن وقتئذ ذهب الخراب وانقشعت ويلات الحرب إلى غير رجعة، وسادت الطمأنينة في الحجرات ذات الظلال الناعمة.

---

[١] وكلمة «ألياذة» مشتقة من كلمة Llion، وهو اسم آخر لمدينة «طروادة».

النظم السياسية والاجتماعية في العهد المبكر لبلاد الإغريق

أن من يقرأ أشعار «هومر» في ملحمتي «الإلياذة» و«الأودسى» يستطيع أن يكون فكرة لا بأس بها عن الأنظمة السياسية المبكرة لبلاد الإغريق العتيقة، وهي تلك الأنظمة التي صارت فيما بعد الإرث المشترك، الذي ورثه عنها الإغريق ثم الرومان والألمان على السواء؛ فنفهم من تلك الأشعار أن الملك كان على رأس الحكومة، غير أنه لم يكن يحكم بمفرده على حسب إرادته؛ بل كان يرشده مجلس مؤلف من رؤساء رجال يستشيرهم في إدارة البلاد. وكانت القرارات التي يتخذها الملك بالاتفاق مع هذا المجلس توضح أمام جمعية مؤلفة من كل الشعب. وقد نما من هذه العناصر الثلاثة أي: الملك والمجلس والجمعية العمومية دساتير أوروبا.

وفي هذه نجد بذور كل الأشكال المنوعة للملكية والأرستقراطية والديمقراطية؛ ولكن في أقدم العهود كان هذا النظام السياسي ضعيفًا ومفككًا. والواقع أن القوة الحقيقية في المجتمع البدائي كانت في الأسرة. وعندما نلتقي بالإغريق في بادئ الأمر نجد أنهم كانوا يسكنون معًا في جماعات أسرية. وقراهم لم تكن إلا مساكن لقبائل أو أسر بمعنى واسع، وكان أفرادها منحدرين من جد مشترك وتربط بعضهم ببعض رابطة الدم. وكان رئيس الأسرة في الأصل في يده سلطة الحياة والموت على كل من ينتسب للأسرة. وهذه السلطة لم تنتزع من يده إلا عندما نمت سلطة الحكومة بالتدريج وقامت في وجه استقلال الأسرة، ولكن المجتمعات القروية لم تكن إلا جزءًا من مجتمع يسمى «القبيلة» Phyle، والإقليم الذي كانت تسكنه القبيلة يسمى «ديم» Deme، وعندما كان يسيطر ملك ما على أقاليم ملوك مجاورين له، كان ينشأ من ذلك مجتمع مؤلف من أكثر من قبيلة.

وكانت العادة أن تتجمع عدة أسر سويًّا في مجتمع يسمى «فرانزا» أي: الإخوة كان له عادات دينية مشتركة. وقد وصف «هومر» طريدًا بأنه فرد ليس له إخوة وليس له موقد أي: لا إخوة

ولا أسرة له.

ونجد أهمية الأسرة ممثلة بصورة حية في كيفية تملك الإغريق للبلاد التي فتحوها، فلم تكن الأرض ملكًا خاصًّا للفرد الحر، كما أنها لم تكن مع ذلك ملك المجتمع كله؛ بل كانت ملك القبيلة أو القبائل فيقسم كل الأقاليم قطعًا على حسب عدد الأسرات في المجتمع، وكانت الأسر تقترع على هذه الضياع من الأرض، وبعد ذلك كانت كل أسرة تصبح مالكة لضيعتها التي كان يديرها رئيس الأسرة؛ غير أنه لم تكن لديه السلطة للتصرف فيها. فالأرض كانت ملكًا لكل أقاربه وليست لأي فرد معين. وكان حق الملكية على ما يظهر لا يرتكز على الفتح، بل على فكرة دينية. وكانت كل أسرة تدفن موتاها في داخل حدود أملاكها. وكان من المسلم به أن المتوفى يملك إلى أبد الآبدين البقعة التي دفن فيها، وأن الأرض التي حول الضريح كانت ملكًا شرعيًّا لأقارب المتوفى. وكان من أهم واجبات الأبناء أن يحموا قبور آبائهم ويرعوها، كما كانت الحال بالضبط عند قدماء المصريين. وكان الملك يقوم بوظيفة الكاهن الأكبر ورئيس القضاة وقائد الحرب الأعلى للقبيلة في وقت واحد. وكان ينسب إلى أسرة تدعى أنها منحدرة من الآلهة أنفسهم، وكانت علاقته بشعبه علاقة إله حامٍ، فكان يحترم بوصفه إلهًا في الإقليم «ديم»، وكانت الملكية تنتقل من الأب للابن، ولكن من المحتمل أن الشعب كان يرفض توليه ابن خليع عليهم ليس كفئًا للقيام بأعباء الواجب الذي كان يقوم به والده. وكان الملك صاحب الصولجان له ميزات منوعة منها أن يكون له مكان الشرف في الأعياد، ويتمتع بجزء كبير من الغنيمة التي تغنم في الحرب، ومن الطعام الذي يقدم قربانًا. هذا بالإضافة إلى جزء خاص من الأرض يحدد ويصبح ضيعة ملكية مميزة من التي كانت تملكها أسرته.

وفي هذه الميزات السالفة تشابه كبير بالميزات التي كان يتمتع بها ملوك مصر في العهد الفرعوني.

ولم يكن لدى الملك القوة على أن يفرض إرادته إذا لم تحز موافقة رؤساء الشعب، فكان لزامًا عليه أن يتطلع دائمًا إلى موافقة مجلس الشيوخ، ويعمل برأيه، وكان بعض الأسر يعد أسرًا شريفة منحدرة من الإله «زيوس»، ومن هؤلاء الأشراف كان يتألف مجلس الشيوخ. وفي مجلس الشيوخ هذا نشأت نواة أرستقراطية المستقبل.

وكان أهم من الملك والمجلس لنمو بلاد الإغريق المستقبلة اجتماع الشعب، الذي نبعت منه الديموقراطية. فكان كل رجال القبيلة الأحرار — وكل الرجال الأحرار الذين تتألف منهم الأمة عندما كانت تتحد قبائل كثيرة معًا — يجتمعون سويًّا لا في أوقات معينة، بل عندما كان الملك يطلبهم ليسمعوا ويوافقوا على ما اقترحه هو ومجلسه. وكانت وظيفة هذه الجمعية العمومية هي أن يسمعوا، ويوافقوا لا ليناقشوا ويقترحوا. ولم تكن الجمعية العمومية بعد مميزة عن الجيش بوصفها مؤسسة. وهذه الجمعية هي جمعية الشعب بكل معاني الكلمة. وكان يحيط بالملك جماعة من الرفاق والأتباع مرتبطين به بصلات شخصية يقومون بخدمته، وهؤلاء هم الحاشية.

أحوال بلاد اليونان برًّا وبحرًا منذ عام ١١٠٠ق.م تقريبًا

غزو الدوريين لبلاد اليونان

لم يترك قوم الآخيين في سلام مدة طويلة؛ لأن غزاة من الشمال أو الشمال الغربي يدعون «الدوريين» انقضوا على بلاد الإغريق مخربين وفاتحين المدن في طريقهم. وقد انتهت غزوات هؤلاء القوم حوالي عام ١٠٠٠ق.م، ومن الأسباب التي كانت عاملًا في نجاحهم اليسير هو أنهم قد استعملوا في حروبهم أسلحة وآلات مصنوعة من الحديد في حين كان «الآخيون» يستعملون أسلحة مصنوعة من معدن البرنز، الذي كان أقل صلابة من الحديد، ولم يكونوا قد دخلوا بعد في دور عصر استعمال الحديد.

وقد احتل «الدوريون» مدينة «كورنث»، ومعظم شبه جزيرة «البلويونيز»؛ وقد استولوا على بعض المدن وخربوا بعضها الآخر بما في ذلك «ميسينا» Mycenae، وكذلك أصبحت «أسبرتا» مدينة دورية. أما مدينة «أثينا» التي كانت بعيدة عن طريقهم الرئيسية، فقد تركت ولم تمس بسوء، وقد استوطن كثير من «الآخيين» الذين طردوا من أوطانهم «أتيكا»، وتشمل الإقليم الذي حول «أثينا»، كما استوطنوا جزيرة «إيبوا» Euboea، وعندما أصبحت هذه الأماكن مكتظة بالسكان هاجر أهلها إلى ساحل «آسيا الصغرى»، وصارت مستعمراتهم تؤلف المدن الأيونية الغنية المثقفة، وهي التي سنسمع عنها فيما بعد هنا. ومن ثم أصبح يسكن في بلاد الإغريق «آخيون» و«دوريون»، وكلاهما كان يتكلم الإغريقية، ولكن بلهجة إغريقية مختلفة بعض الشيء، كما كان لدينا جماعة أخرى تتكلم الإغريقية تقطن الجانب الآخر من بحر «إيجة».

نمو المدن المستقلة

لا نزاع في أن المتعمق في تاريخ بلاد اليونان يلحظ لأول وهلة أن تاريخ الإغريق لمدة تبلغ نحو مائتي سنة بعد دخول الدوريين يظهر مبهمًا ومرتبكًا، غير أنه قد أصبح يتضح لنا شيئًا فشيئًا. ففي حوالي عام ٨٠٠ق.م قد بدأ عدد من المدن ينمو كل بحياتها الخاصة وحكومتها المستقلة. فقد وهبت الجبال والمداخل الإغريقية كل مدينة حدًّا طبعيًّا يقف في وجه كل معتدٍ أجنبي، وعلى الرغم من أن هذه المدن المستقلة كانت كل واحدة منها تستعمل نفس لغة المدن الأخرى، فإنها كانت مستقلة منفصلًا بعضها عن بعض تمامًا، وكثيرًا ما كان يقع بينهم النزاع والحرب. وهذه المدن كانت كل منها تؤلف حكومة خاصة قائمة بذاتها تسيطر على جزء معين من الأراضي التي حولها.

عهد الاستعمار من ٧٧٠–٦٥٠ق.م

ومن الطبيعي أنه كلما نمت هذه المدن المستقلة كانت حدود دائرة نفوذها تضيق بسكانها، ومن أجل ذلك أخذ كثير من المدن تبحث خارج نطاقها عن بلاد أخرى تستوطنها. والواقع أن آمال أهلها كانت تمنى بالخيبة في كثير من الأحيان في وطنهم، وبخاصة الذين كانوا يشتغلون بزراعة الأرض، وهم الذين كانوا يعيشون عيشة كدح قاسية. وغالبًا ما كانوا رجالًا ذوي نفوس جبلت على حب المغامرة يريدون أن يفتحوا مراكز جديدة للتجارة؛ ولهذه الأسباب نجد أن مستعمرين قد خرجوا من ديارهم، وانتشروا في كل الجهات واستقروا حول البحار «كالضفادع حول البركة».

هذا وكانت حرفة القرصنة لا تزال منتشرة في البحر، وكان بعض هؤلاء المستعمرين أنفسهم قراصنة بحر. فمثلًا نجد أن طائفة من هؤلاء المستعمرين قد اتخذوا جزر «ليباري» القريبة من جزيرة «صقلية» موطنًا لهم، وكان نصفهم يشتغل في فلاحة الأرض في حين كان النصف الآخر يتربص بالسفن «الأترسكية» الآتية من «إيطاليا» ويسلبها متاعها. وعلى أية حال فإن

الإغريق في الوقت المناسب وضعوا حدًّا لهذه العادة الهمجية، ونظموا استعمارهم بالطريقة التالية:

فقد كانوا أولًا يستتشيرون وحي معبد «دلفي»؛ ليعرف إذا كانت الآلهة قد استحسنت المشروع، وبعد ذلك كان ينتخب قائد وتجهز السفن، وكانت في العادة سفنًا طويلة سريعة تحرك بخمسين مجدافًا، وكانت طريقهم عبر البحر الإيجي سهلة ميسورة؛ لأنه كان من النادر أن تبعد السفن عن رؤية الجزر التي كانت ترشدهم كأنها وسيلة لهدايتهم في عرض البحر، غير أن كثيرًا من السياحات كانت غاية في الخطر؛ لأن السفن كانت تذهب بهم أحيانًا بعيدًا إلى «إيطاليا» و«إسبانيا» وجنوب بلاد «غال»، وشمالي أفريقيا والبحر الأسود.

وكان المستعمرون يحملون معهم النار المقدسة من «بريتانيوم» **Prytaneum** (قاعة المدينة) من مدينتهم الأصلية؛ لأجل أن تبقى مشتعلة في الموقد العام لموطنهم الجديد، وكذلك كانوا يحافظون على أواصر القربى والمحبة على الرغم من أنهم كانوا في موطنهم الحديث مستقلين تمام الاستقلال، وكانت ديانتهم ولغتهم ومبانيهم، وطرق حياتهم إغريقية بحتة، وعلى ذلك كانت مستعمراتهم كبذور من بلاد الإغريق زرعت في تربة أجنبية.

والواقع أن كثيرًا من هذه المستعمرات أصبحت فيما بعد غاية في الثراء، كما كانت تزيد في ساحتها عن مدينتهم الأصلية. مثال ذلك مدينة «سيراقوز» بجزيرة «صقلية»، فقد كانت مستعمرة لبلدة «كورنت» وكذلك مدينة «بيزنطم» — «القسطنطينية» فيما بعد — فقد كانت مستعمرة لمدينة «مجارا». وكانت المنطقة المستعمرة وتشمل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، غنية بمواردها الطبيعية مثل الذهب والفضة والمعادن الأخرى، التي كانت تستخرج من المناجم وكذلك الخشب الذي كان يحصل عليه من الغابات، والقمح والزيت والنبيذ من الأرض المنزرعة. وكانت كل هذه الثروة تمر حرة من جزء من العالم الإغريقي إلى الجزء الآخر منه.

وقد تبع هذا الثراء انتشار المعرفة؛ وذلك لأن المستعمرين الإغريق كانوا عادة يستوطنون في أماكن على البحر، ومن ثم كانت هناك طرق داخلية تسهل لهم أعمال التجارة، وبهذه الكيفية كان في مقدورهم أن يرسلوا معلومات عن البلاد التي يرودونها. وهذه المعلومات الجديدة عن جغرافية هذه البلاد وتاريخها كان يتلقفها القوم بشغف، وكان الإغريق يروونها في وطنهم فتنير الأذهان عن العالم الخارجي. وقد كان اتصال مصر بالإغريق في تلك الفترة أي: في القرن السابع وما بعده عظيمًا جدًّا كما أشرنا إلى ذلك عند الكلام على ملوك الأسرة السادسة والعشرين. ففي تلك الحقبة أخذ الإغريق يفدون على مصر وينهلون من علومها.

ديانة الإغريق

كان الإغريق في فجر تاريخهم يعتقدون أن الطبيعة ملأى بالقوى الخفية، التي تساعد بني الإنسان أو تلحق به الضرر شأنهم في ذلك شأن كل الأمم القديمة كمصر و«بابل» و«آشور» وغيرها من الأمم الشرقية؛ فكان لديهم الإله «بان» إله الغابات والتلال والقطعان — وبخاصة الماعز — والرعاة، وكان يمثل في صورة إنسان، ولكن بقرني وساقي معزى، ومن اسم هذه الإله «بان» Pan اشتقت كلمة «بنك» Panic وهي تعني الرعب الذي ينتاب الناس في الأماكن الموحشة؛ وذلك لأن هذا الإله كان يخيف السابلة بظهوره المفاجئ.

وكانت إلهات الماء يتخيلها القوم عذارى جميلات يسكنَّ الأنهار والجداول، وكانت تدعى «نريدس» Nereids[1] والجبال وتدعى Oreads والأشجار وتدعى Dryads والبحر. وكانت هذه الجنيات الطبعية لا بد أن تصير مصادقة للإنسان، وذلك بتقديم قربان من اللبن والشهد أو الحيوانات الوحشية، ومن أجل ذلك كانت توجد صور صغيرة ومحاريب وموائد قربان مبعثرة في طول البلاد وعرضها لعبادتها في الريف.

وكذلك كانت الآلهة العظيمة لبلاد الإغريق تعبد في المدن وفي الريف على السواء. وهذه الآلهة كان يتصورها القوم في صور مخلوقات مثل الرجال والنساء، ولكنها كانت أعظم منهم وأكثر جمالًا. وكان يتخيلهم الإغريق في عقولهم بصور واضحة؛ وذلك لأن «هومر» من جهة قد وصفهم في أشعاره؛ ومن جهة أخرى لأن المثالين والمفتنين قد صنعوا لهم تماثيل وصورًا، وقد أصبحت هذه الآلهة شيئًا فشيئًا أكثر أهمية من أية قوة أخرى، غير أن الاعتقاد في «بان» وإلهات البحر وما إليها من جنيات الطبيعة، قد فاق غيره فاستمرت تعبد بوجه خاص في الأقاليم الريفية.

وكان أعظم الآلهة هو «زيوس» والد الآلهة والناس، كما كان أعظم الآلهة فخارًا وقوة، وكان يسكن في «أوليمبوس» وهو جبل عالٍ قمته فوق السحاب، وهناك كان يعقد مجلس الآلهة، ومن ثم كان يرسل صواعقه على البشر الذين أغضبوه. وكانت «هيرا» زوج «زيوس» وملكة السماء إلهة صاحبة جمال بارع ومقام عالٍ، غير أنها لم تكن جذابة؛ لأنها كانت جامدة غيورة، وكانت الساعات خادماتها و«إريس» Iris إلهة قوس قزح بريدها.

وكانت الإلهة «أرتميس» تعبد بوصفها نور القمر. وكانت بوصفها إلهة الصيد تطوف الغابات والوديان والأنهار والتلال مسلحة بقوسها ونُشَّابها صائدة، إما حيوانات برية، أو مشتركة في الرقص واللعب مع أتباعها من إلهات الماء، وهي أخت الإله «أبوللو» — وهي ديانا عند الرومان.

أما «أفروديت» فكانت إلهة الحب والجمال، وكان ابنها هو «إروس» Eros (إله حب صغير)، وكان اليمام طائرها المقدس وزهرتها المحببة هي الوردة.

وكانت «هستيا» Hestia إلهة الموقد وقد عبدت بوصفها مركزًا ورمزًا لحياة الأسر والدولة. وكان موقدها المقدس لا يقتصر على إقامته في كل بيت، بل كان يقام كذلك في «البريتانيوم» — قاعة المدينة — في كل مدينة، وكانت النار المشتعلة هناك لا يسمح بإخمادها أبدًا. وكان كبار موظفي الدولة والسفراء من أماكن أخرى يقدمون القربان على النار لهذه الآلهة. وكما ذكرنا من قبل أخذ المستعمرون معهم بعض هذه النار المقدسة إلى أوطانهم الجديدة.

وكانت «بلاس أثينا» وهي الابنة العذراء للإله «زيوس» تعد إلهة الحرب والحامية لمدينتها «أثينا». وكذلك كانت إلهة الحكمة والمهارة وحضور الذهن وحزم الرأي وكانت الحامية للنسيج ولحرف أخرى، وكانت إلهة شريفة جميلة طويلة القامة ماهرة في الأعمال اليدوية الفاخرة. وشجرتها المقدسة هي شجرة الزيتون.

وكان «بوزيدون» Poseidon إله البحر والينابيع عذبها وملحها، وكان بصولجانه المثلث الشوكات يهيج البحر، ويغلق الصخور التي تنفجر منها نافورات الماء وتنبثق منها العيون.

وكان «ديونيسوس» إله النبيذ، وقد غنى الأثينيون ورقصوا على شرفه؛ ليضمنوا محصولًا طيبًا من كرومهم. وهذه الأغاني والرقصات كانت أصل الدراما الإغريقية، التي كانت تنظر إليه بوصفه إلهها وحاميها.[٢]

وكان «هفاستوس» الذي عمل درع «أخيل» يعتبر إله النار، وكل ما يصنع منها كالصور المصوغة من الذهب والفضة والأواني المزركشة بصور غريبة.

أما الإله «هرميس» (تحوت عند المصريين) الذي كان قد أرسله الإله «زيوس» لإحضار «أودسيوس» من جزيرة «كاليسو»، فكان رسول الإله وبيده عصا كان يحمل بها النوم إلى أعين الناس، أو يقود بها أرواح الموتى إلى مسكنها في عالم الآخرة، وهؤلاء الآلهة الذين ذكرناهم هنا كانوا بوجه عام عظماء ومنعمين على الناس، ولكن على حسب ما جاء في شعر «هومر»، وغيره من الشعراء الإغريق كانوا غالبًا ما يشتجرون فيما بينهم وتقوم بينهم العداوة والبغضاء، ففي حرب «طروادة» ساعد كل من «هيرا» و«أثينا» الإغريق، في حين أن «أفروديت» و«أبوللو» قد ناصرا أهل «طروادة» وعززاهم.

على أن الناس الذين كانوا يفكرون في ذلك تفكيرًا عميقًا رأوا شيئًا فشيئًا أنه يوجد شيء خاطئ في ذلك، ولم نلبث أن رأينا أعظم الشعراء وغيرهم من أهل الفكر قد بدءوا يكتبون عن «زيوس» أنه عالٍ جدًّا، وأنه بعيد عن كل القوى الأخرى، وأنه قريب لمساعدة كل الناس ويقيم العدل، ويعاقب الآثم. ولكن على الرغم من ذلك فإن عامة الشعب كانوا يتمسكون بالأفكار القديمة فنرى في كل أطوار التاريخ الإغريقي العبادات والأعياد تقام في كل مكان على شرف

آلهة «أوليمبوس» العديدين، على الرغم من الاعتقاد في إله واحد مسيطر، وتلك كانت نفس الحالة في مصر إلى أن ظهرت عبادة «آتون» لمدة، ثم اختفت وعادت البلاد سيرتها الأولى.

معبد دلفي

كان يوجد في عدة أجزاء من بلاد الإغريق أماكن مقدسة يعرف كل منها باسم «الوحي»، حيث كانت الآلهة توحي بإرادتهم للناس. وكان أهم وحي هو «وحي دلفي»، وكان يحدد بالبقعة التي أقيم فيها نسران قيل إنهما تقابلا هناك — وكانا قد أرسلهما «زيوس» شرقًا وغربًا من نهاية العالم — مدللين بذلك على أن «دلفي» هي وسط العالم. وقد كشف النقاب عن «دلفي» هذه الحفائر التي قام بها الفرنسيون في نهاية القرن التاسع عشر.

وكان قد أقيم على موقعها قرية حديثة كان على الحفارين أن يزيلوها، ويقيموا أخرى بدلًا منها قبل البدء في أعمال الحفر. وإله «دلفي» هو «أبوللو»، وكان جذابًا وجماله يفوق جمال كل الآلهة الآخرين، وكان يُعد إله كل الكلام الملهم في الموسيقى والشعر والتنبؤ. وكان يقال إنه ابن «زيوس» نفسه، وأنه ينطق بإرادته. ولا غرابة إذا كان قد جمع كل بلاد الإغريق في حظيرته المقدسة.

والواقع أن «دلفي» تقع في مكان غريب على صورة شعب ارتفاعه ألف قدم على جانب جبل، يشرف خلفها جبل «برناسوس» Parnassus. وتنبع من بين قمتين من قمم هذا الجبل عين «كاستيليان» من الصخر. وكان كل من جبل «برناسوس» و«كاستيليان» مقدسًا لإلهات الشعر «ميوزس» Muses، وكان على الحجاج الذين هم في حاجة لاستشارة الوحي أن يغتسلوا في «العين الكستيليانية». وبعد ذلك كانوا يتسلقون الطريق المقدسة إلى مذبح «أبوللو»، وهنا كانوا يقدمون قربانهم ويقيمون صلواتهم، وعلى مقربة من المذبح يوجد المعبد الكبير الذي كان يحتوي على تمثال للإله «أبوللو»، ونار مقدسة حفظت مشتعلة بالغار وخشب الصنوبر، وفي المحراب

الداخلي كان ينطق الوحي بما يوحى به لكل سائل. والكاهنة التي تنطق بما يقول كانت تسمى «بيثيا» Pythia ولا بد من أن تكون امرأة من أهل «دلفي» حرة لا غبار على حياتها، ولكنها لم تكن على شيء من الذكاء؛ لأنه لم يكن مطلوبًا منها أن تركن إلى شيء من العلم والمهارة، بل كان كل ما تركن إليه هو إلهام الإله لها. ومن الممكن كذلك أنها كانت قد وهبت بصيرة أخرى. وكانت هذه الكاهنة تصوم وتستحم في عين «كستيليان»، كما كانت تمضغ أوراق غار مقدس وفيرة، ثم تأتي بعد ذلك في أثواب فضفاضة محلية شعرها بحلي من الذهب، وتقعد على كرسي مثلث الأرجل في داخل المحراب على شق في الأرض، وكان يخرج من عين تحت الشق بخار يظهر أنه كان يجعلها في غيبوبة، حتى إنها كانت تنطق بأصوات متقطعة أو كلمات أوحى بها الإله.

وكان كاهن «أبوللو» يقف على مقربة ليترجم فيكتب الجواب على لوحة ويعطي السائل إياه. وكان الوحي يستشار في كل الأمور، فكان يستشار مثلًا قبل الدخول في حرب أو تأسيس مدينة. وعندما كانت أثينا في خطر داهم من الفرس أخبر «الوحي» المواطنين أن يثقوا في جدرانهم الخشبية، وقد أكد لهم رجل سياستهم «تميستوكليز» أن المقصود من ذلك هو سفنهم المصنوعة من الخشب، وأغراهم أن يضعوا أسرهم على ظهر السفن؛ لتكون حماية لهم في أماكن قريبة وبذلك نجوا. وكان الموحى به يفهم على وجهين أحيانًا، فمثلًا نجد أن «كروسوس» — الذي سنتحدث عنه فيما بعد — ملك «ليديا» الغني كان مصممًا على عبور نهر «هاليس» في آسيا الصغرى، وإعلان الحرب على الفرس، ولما كان جواب الوحي كالآتي:

وعندما يعبر «كروسوس» «هاليس» (النهر)
فإن إمبراطورية عظيمة ستفقد.

فقد عبر «كروسوس» النهر وهو واثق من النصر، ولكنه وجد فيما بعد أن الإمبراطورية العظيمة التي فقدت كانت إمبراطوريته.

وأحيانًا يكون الوحي مبهمًا أو خاطئًا، ولكن نصيحته كانت حكيمة سليمة بعامة؛ وذلك لأن الكهنة الذين كانوا يلقنون الوحي كانوا يعرفون كثيرًا عن الناس، وعن الأحوال الجارية في البلاد، وقد استعملوا معرفتهم لمساعدتهم في ترجمة الكلمات التي تنطق بها «بيثيا» الكاهنة. وهذا الوحي كان في الواقع إحدى الروابط التي تربط الوحدة الإغريقية، فكان الإغريق يشعرون بأن هذا المحراب ملك كل الإغريق لا ملك بلدة «دلفي» نفسها؛ ولذلك تألف مجلس كان يحتوي على اثني عشر نائبًا مقدسًا أرسلوا من حلف مؤلف من إحدى عشرة مدينة أو دولة (وقد أرسلت «دلفي» نائبين)؛ وذلك لمنع التعدي على أي عضو من الحلف، وكذلك من التعدي على محراب «دلفي» نفسه. وقد قامت حربان مقدستان شنهما أعضاء الحلف حماية لهذا المحراب.

وكانت تتدفق على هذا المحراب الهبات وتقدم له كذلك الهدايا، حتى إن المكان أصبح مفعمًا بالمحاريب والنقوش والتماثيل والآثار التي تقدم شكرًا على ما نال مقدموها من نصر. ولا بد أن «دلفي» كانت مزدحمة أكثر مما يجب، ولكن ما عسى أن يفعله الإنسان عندما يقدم القوم هدايا؟

وكانت تقام في «دلفي» أعياد عظيمة يفد إليها الناس من كل أنحاء بلاد «هلاس».[٣] وفي هذه البقعة كان يشعر سكان «هلاس» بأنهم جميعًا مواطنون إغريق، وكذلك في هذه البقعة كانوا يشتركون في الألعاب الرياضية، التي كانت تعتبر جزءًا من عيدهم، وكذلك كانوا يشتركون في العبادة عند المحراب الذي كان يتوسطها.

---

[١] و«نريدس»

Nereids

دولة «أسبرتا»

تقع مدينة «أسبرتا» على مسافة خمسة وعشرين ميلًا من الشاطئ الجنوبي لشبه جزيرة «البلويونيز»، وهي المقر الرئيسي لغزاة قوم الدوريين المحاربين، وكانت المدينة تحتل موقعًا جميلًا على نهر في وادٍ واسع بين الجبال ينبت فيه الكروم على منحدرات التلال والغلال والزيتون في الحقول. وكان صناعها في باكورة تاريخها يعملون في البرنز والطين والحجر.

وقد أقيمت معابد هناك ورحب بالشعراء، وكان فيها شيء من متاع الحياة ومباهجها. وفي الحق كانت «أسبرتا» تنمو على نسق المدن الإغريقية الأخرى، ولكن حوالي عام ٦٠٠ق.م حدث تغير جعل حياتها جافة قاسية.

وقد كان السبب في ذلك هو الخوف. فقد كانت «أسبرتا» في هذا الوقت قد فتحت «لاكونيا» واستولت على أحسن أراضيها. وسكان «لاكونيا» الذين خضعوا لحكم «أسبرتا» قد بقوا أحرارًا وعالوا أنفسهم بالصناعة والتجارة في الداخل وفي الخارج، غير أنهم مع ذلك لم يحسبوا ضمن أهل «أسبرتا»، بل كانوا يسمون «بريواكوي»،[١] والسكان الذين قاوموا «الأسبرتيين» حتى النهاية أصبحوا عبيدًا وأطلق عليهم اسم «هلوت» Helots، وقد عبر الأسبرتيون فيما بعد هضبة جبال «تايجيتوس» Taygetus متجهين نحو الغرب، وغزوا أراضي «مسينيا» الخصبة. وقد حارب أهلها بشجاعة وعناد، ولكن في النهاية هاجم العدو حصونهم واستولى عليهم وبذلك خضعوا وأصبحوا «هلوت» أي: عبيدًا. وكل هؤلاء «الهلوت» أو العبيد كانوا يمنحون قطعًا من الأرض حيث كانوا يضطرون أن يعيشوا فيها بكدحهم، ويدفعون لأسيادهم مقدارًا محددًا من محصولهم. وكان عليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية، ولكن في أيام السلم كان محرمًا عليهم أن ينتقلوا بعيدًا من أرضهم التي منحوها. ولم يكونوا مع ذلك عبيدًا بالمعنى الحقيقي؛ لأنه كان لا يمكن بيعهم، وقد أصبح بعضهم غنيًّا عندما كانت مزارعهم يصيبها الفلاح،

ولم يمضِ طويل زمن حتى فاق عددهم عدد أهل «أسبرتا» الذين كانوا دائمًا في خوف دائم من أن هذه السلالة المهزومة، يمكن أن يخرج يومًا ما أفرادها عليهم حتى إنهم من شدة خوفهم منهم عينوا عليهم نوعًا من الشرطة السرية كانوا يندسون بين هؤلاء «الهلوت»، ويقتلون كل من شكوا في أمره. وكان أهل «أسبرتا» يعلمون أن هذا العمل القاسي لم يكن كافيًا لإخضاعهم، بل كان عليهم أن يقووا أنفسهم بكل طريقة ممكنة لإذلالهم، وتنفيذًا لذلك حرموا على أنفسهم كل الكماليات، فمنعوا التجارة الخارجية بأن جعلوا لهم عملة واحدة من الحديد وطردوا الأجانب عندما كانوا يرون في ذلك فائدة لهم، وجعلوا من أنفسهم أمة جنود. وقد قال عنهم «بلوتارخ»: إن مدينتهم كانت نوعًا من المعسكر المسلح الذي كان لكل رجل فيه نصيبه من المؤن والأشغال تؤدى. وكان الفرد منهم ينظر إلى نفسه كأنه ولد ليخدم بلاده. وكانت حياة «الأسبرتي» الأصيل منذ الولادة ملكًا للدولة. فلم يكن يسمح بالحياة إلا للأطفال الذين يتمتعون بصحة جيدة، أما الضعفاء فإنهم كانوا يحملون إلى جبل «تايجيتوس»، ويتركون هناك ليلاقوا حتفهم.

وكان الذكور يؤخذون في سن السابعة من بيوتهم، وتدربهم الدولة حتى سن العشرين، وكانوا يتعلمون القراءة والكتابة والموسيقا ومبادئ الحساب ومقطوعات من شعر «هومر» أو مقطوعات من شعر شاعرهم «تيرتايوس» Tyrtaeus ولم يكن يسمح لهم بقراءة كتب إلا إذا كانت عن الحرب، هذا مع عدم التمرن على تنميق الكلام أو الكتابة؛ وذلك لأن أهل «أسبرتا» كانوا يحتقرون الكلام فكانوا لا يستعملون من الألفاظ إلا القليل في كلامهم بقدر المستطاع، حتى إن كلمة «لاكونيك» Laconic المشتقة من بلدة «لاكونيا» لا تزال تستعمل حتى الآن للدلالة على الكلام المختصر المقتضب. وكان التمرين على الجري والمصارعة والرماية جعل الأولاد أقوياء مع خفة حركة، وقد أصبحوا بتدريبهم على الألعاب الأخرى أقوياء البأس شجعانًا صالحين ليكونوا قوادًا عند الحاجة.

وكانوا يلبسون رداءً واحدًا ويمشون حفاة وينامون على القش، الذي جمعوه من شاطئ النهر، ويضيفون بعض شوك العوسج إليه في الشتاء، وطعامهم كان بسيطًا يستولون عليه بالسرقة، وإذا قبض عليهم في أثناء السرقة ضربوا بالسياط لا من أجل السرقة ولكن لعدم مهارتهم فيها. وكانوا يضربون بالسياط كل سنة مرة ليتعودوا احتمال الألم. وكانوا يدربون تدريبًا خاصًّا من سن الثامنة عشرة إلى العشرين على فنون الحرب، وكانوا من سن العشرين يصبحون معلمين للأولاد الصغار، ويسمح لهم بالزواج ولكن على ألا يقيموا في بيوتهم. ومن سن الثلاثين فما فوق يصبحون مواطنين تمامًا «ويسمون الأكفاء» ويعيشون في بيوتهم، غير أنهم مع ذلك كانوا يتناولون وجباتهم الرئيسية في المعسكرات ولا يسمح لهم بترك المدينة دون إذن إذ قد يطلبون لحمل السلاح والذهاب إلى ساحة القتال.

وكان كل خمسة عشر رجلًا منهم يشتركون في مائدة واحدة عند أخذ وجباتهم، وإذا أراد فرد أن ينضم إلى إحدى هذه الجماعات كان لزامًا على كل واحد من الأربعة عشرة الآخرين أن يأخذ كرة من الخبز الناعم — وتعد صوت اقتراعه — ويلقي بها في حوض خاص بذلك، فإذا وجد أن كرة من هذه الكرات قد دحيت رفض قبول العضو الجديد؛ لأن ذلك يدل على أن فردًا واحدًا على الأقل لا يرغب في انضمامه إليهم. وكان على كل فرد أن يورد نصيبه من الشعير والنبيذ والجبن والتين، وبعض النقود لشراء سمك ولحم. وكانت ملابس الجميع واحدة وتحتوي على ثوب مصبوغ باللون الأرجواني، كما كانوا أصدقاء حميمين في السلم والحرب، وكانوا يسيرون سويًّا إلى ميدان القتال على نغمة المزمار.

أما البنات الأسبرتيات فكن يدربن عقليًّا وبدنيًّا ليصبحن أمهات لرجال شجعان. فكن يدربن على الأعمال الرياضية كالأولاد الذكور، وعندما يتزوجن كن يحثثن رجالهن على أعمال الشجاعة والفروسية. ويقال إن أمًّا أسبرتية قد أخبرت ابنها أن يعود من المعركة إما مرتديًا درعه

العظيمة أو محمولًا عليها؛ وذلك لأن الجندي كان لا يلقي بدرعه إلا عند الهرب، والأفضل أن تحمل إلى وطنك عليه ميتًا.

حكومة أسبرتا

كان لمدينة «أسبرتا» ملكان في وقت واحد، وقد أخذا يفقدان من سلطانهما شيئًا فشيئًا، ولكن كان تسيير الأمور في يد خمسة «أفور» أو مشرفين، ومجلس مؤلف من ثمانية وعشرين شيخًا؛ وكان لهم مع المشرفين من القوة بحيث كان في استطاعتهم استحضار الملكين أمامهم. أما سلطة الشعب في جمعيتهم فكانت تنحصر في أن أفراد الشعب كانوا يجتمعون على الأقل مرة كل شهر ليصوتوا على القوانين التي اقترحها المجلس، غير أنه لم يكن من سلطتهم مناقشتها، والظاهر أن المجلس أحيانًا كان لا يلتفت إلى الطريقة التي صوتوا بها.

ومن الطريف أن أهل «أسبرتا» أنفسهم كانوا يعتقدون أن كل نظم قوانينهم قد وضعها لهم مقنن يدعى «ليكورجوس» Lycurgus، ويقال: إنه كان رجلًا حكيمًا أراد أن يساعد مدينته، ولم يكن يقصد من وراء ذلك جمع سلطة في يده، وبعد أن أتم عمله ترك المدينة كما يقال بعد أن أخذ ميثاقًا من الأهلين، على أن يحافظوا على قوانينه إلى أن يعود. وقد ذهب في الحال إلى وحي «دلفي» الذي أخبره بدوره أن «أسبرتا» ستفلح وتسعد ما دامت محافظة على قوانينه، وعلى ذلك فإنه لم يعد قط إلى «أسبرتا» ولم يسمع عنه بعد ذلك ثانية. تلك هي القصة كما تروى في الأساطير أو القصص الأسبرتية، والواقع أن التواريخ في هذه الفترة كانت مبهمة فلم تحدثنا عن هذا المقنن وشخصيته التي يحفها الغموض بالنسبة لنا حتى إنه لا يمكن أن يعد في نظرنا شخصية تاريخية. والظاهر أنه كان بطلًا أو إلهًا يعبد في بلاد «لسيدمون» (= «أسبرتا» وما حولها). غير أنه مما لا شك فيه أن «أسبرتا» قد حافظت على القواعد والأنظمة الخارقة

للعادة التي وضعها كما يقال «ليكورجوس»، وأنها بوساطتها قد أصبحت أقوى دولة حربية برية في بلاد اليونان جمعاء.

---

[١] معنى «بريواكوي» القاطنون حول.

دولة «أثينا»

كانت «أثينا» في بادئ أمرها كباقي الدويلات الصغيرة التي تتألف منها بلاد اليونان، غير أنها على مر الزمن فاقتها جميعًا. وإذا قرناها «بأسبرتا» وجدنا أن الأخيرة كانت محكومة بقوانين صارمة لا تتغير، إذ الواقع أنها كانت حكومة أقلية يدير شئونها حفنة من الرجال في حين أن «أثينا» قد صارت دولة حرة راقية، إذ كانت حكومتها ديموقراطية يدير شئونها مواطنوها على حسب إرادة الشعب، وسنرى فيما يلي كيف أنها وصلت إلى هذا الحكم الشعبي شيئًا فشيئًا، حتى أصبحت مضرب الأمثال في كل تاريخ العالم. ففي حين نرى «أسبرتا» قد فتحت كل من «لاكونيا» و«مسينيا» بالقوة، وأبقتهما في يدها بالخوف والعنف، نجد أن «أثينا» قد حكمت «أتيكا» بإرادتها. والواقع أننا نجد في تاريخ أثينا المبكر أن المدن التي كانت يتألف منها إقليم «أتيكا» قد انضمت تحت لواء حكومة «أثينا» بالطرق السلمية دون عنف ما، وقد كان ذلك من حسن حظ «أثينا»، إذ قد أحاطت نفسها بأصدقاء وجعلت سلطانها يمتد على مساحة عظيمة تبلغ حوالي عشرة آلاف ميل مربع، وتحتوي على موارد طبيعية مثل المرمر والأحجار في جبالها والفضة والقصدير في مناجمها والطين في أنهارها لصنع الفخار، والزيتون والكروم الوفيرة وبعض الغلال مما تنبته تربتها، غير أن الغلال لم تعد كافية على مر الأيام وازدياد عدد السكان لسد حاجاتها.

وقد كان إقليم «أتيكا» من جهة اليابسة محميًّا بجبال، ولكن لم تكن تكنفها هذه الجبال لوجود ممرات عبرها يمكن استعمالها في وقت السلم. أما ساحل «أتيكا» فيبرز في البحر نحو جزر «إيجة» والشرق، وهذا كان مغريًا على ركوب المخاطر في عرض البحر، والواقع أنه لم تلبث طويلًا حتى أبحرت عدة سفن من مينائها محملة بزيت الزيتون والفخار للتجارة، ثم العودة بالغلال، وعلى ذلك كانت التجارة نشطة في بحر «إيجة» مع «أثينا». وكانت «أثينا» في بادئ أمرها محكومة بملوك، ولكن حوالي عام ٦٥٠ق.م حدث تغيير لم يأتِ عن طريق ثورة بل

بالطرق السلمية، وذلك أن الملوك الذين فقدوا سلطانهم شيئًا فشيئًا قد انقطعوا عن الحكم حتى الاسمي منه، وأصبحت حكومة البلاد في يد عصابة من الأسر الشريفة يقودها حكام يطلق عليهم «أركون»، وكان عددهم في بادئ الأمر ثلاثة ثم ازدادوا إلى تسعة، وكان هؤلاء ينتخبون من أفراد هذه الأسر.

وكان الشعب مقسمًا طبقات على حسب الثروة، وكان لكل الطبقات حق التصويت إلا أحط طبقة في جمعية الشعب. وفي هذه الجمعية كان من الممكن الموافقة على انتخاب «الأركون» (الحكام) رسميًّا. وعند تولي هؤلاء الحكام زمام الأمور كانوا يحلفون اليمين على أن يحكموا على حسب القوانين وألا يقبلوا رشوة قط، وإذا لم يقوموا بهذه الالتزامات كان عليهم أن يهدوا لمعبد «دلفي» تمثالًا من الذهب، ومن المحتمل أن هذا التمثال كان بالحجم الطبيعي. ولكن لم يمضِ طويل زمن حتى قامت الصعاب وبوجه خاص بين الطبقة السفلى، التي لم يكن لها حقوق سياسية؛ وهكذا فإنه في مدة المائة والخمسين سنة التي تلت وضع هذا النظام عملت تغييرات من وقت لآخر، سارت بأثينا نحو الديموقراطية الحقة إلى درجة عظيمة.

دراكون: ففي عام ٦٢١ق.م طلب إلى «أركون» (حاكم) يدعى «دراكون» أن يضع قائمة بقوانين «أثينا». والواقع أن «دراكون» وتشريعاته القانونية ليست معروفة لدينا إلا بصورة مبهمة، ولكن يظهر جليًّا أن العقوبات التي توقع على المدنيين كانت صارمة جدًّا حتى إنه إلى أيامنا هذه يضرب بها المثل في القسوة والشدة، وقد ذكر لنا «بلوتارخ» المؤرخ الروماني أن الموت كان العقاب على كل الجرائم تقريبًا، فكان يوقع عقاب الموت من أجل سرقة تفاحة أو كرنبة، أو من أجل البطالة، أو من أجل قتل نفس. ولكن «بلوتارخ» كتب ذلك بعد عهد «دراكون» بنحو ٧٠٠ سنة، فيحتمل ألا يكون بيانه مضبوطًا؛ غير أنه مما لا شك فيه أن الإغريق أنفسهم اعتقدوا أن القوانين كانت صارمة جدًّا حتى قال عنها الخطيب الأثيني «دمادس»: إنها لم تكن مكتوبة بالحبر بل بالدم، وعلى أية حال فإنها كانت خطوة للأثينيين في

أن يكون لهم قوانين يحكمون بها مكتوبة للجميع، ولكن لم تلبث هذه القوانين مدة طويلة حتى حلت محلها قوانين أخرى.

سولون: ننتقل الآن من عهد الأشخاص المبهمة في التاريخ مثل «ليكورجوس» وغيره من الأشخاص غير المعروفين لنا بصفة محسة، مثل «دراكون» إلى أشخاص عرفناهم معرفة أكيدة مدونين في تاريخ بلاد اليونان، ونخص بالذكر أولًا «سولون» الذي ينحدر من أسرة أثينية عريقة في الحسب والنسب، فكان أولًا تاجرًا ثريًّا لاحظ في أسفاره كيف كانت تحكم المدن الأخرى، ولقد رأى أن تشريع «دراكون» على الرغم من أنه قد وضع الحجر الأساسي للحكم المقنن يلمس جذور الفساد، فقد كان يرى كل عام ظلم الأغنياء القليلي العدد، والفقر الذي كان يتفاقم أمره بين صغار الزراع. ومن أجل ذلك عزم على أن يساعد «أثينا» ويعمل عملًا نبيلًا لبلاده، وقد أخذ اسمه يعلو إلى أن انتخب عام ٥٩٤ق.م «أركون» فأخذ يقوم بإصلاحاته. وقد نقل بعض القوانين عن مصر كما أشرنا إلى ذلك عند الكلام عن الملك أحمس الثاني.

والواقع أنه كان يوجد في «أتيكا» عدد كبير من صغار الفلاحين يئنون من الفقر، لدرجة أنهم كانوا يقترضون نقودًا بأرباح فاحشة من كبار الملاك وغيرهم من أثرياء القوم، بضمان ما ملكت أيديهم من أرض زراعية، وهذا يعني أنهم كانوا يرهنون أراضيهم؛ أي إنهم كانوا يسلمونها لدائنيهم، إذا لم يقوموا بتسديد ما عليهم من ديون. وهذه الأراضي المرهونة كانت محددة بأحجار — وتسمى أحيانًا أعمدة الرهن — وغالبًا ما كانت تبقى منتصبة هناك لا تزحزح إذا أخفق الدائن في دفع ما عليه. وعلى ذلك كان المدين يستمر يعمل في الأرض التي كانت يومًا ملكه، والظاهر أنه كان يدفع سدس محصولها فائدة لدائنه. والناس الذين ليس لهم أرض أو الذين لم يكن في مقدورهم دفع ما عليهم من ضريبة كان عليهم أحيانًا أن يرهنوا أنفسهم وأسرهم، وعندما يظل الدين قائمًا بعد ذلك يصبح هؤلاء الرهائن في موقف العبيد الذين يمكن بيعهم في داخل البلاد أو في خارجها على يد أسيادهم.

وأول عمل قام به «سولون» أن خلع أحجار الحدود، وحرر العبيد وحرم على الناس أن يبيعوا أنفسهم، وألغى الديون التي فرضت بسبب ذلك. وهذا العمل كان يطلق عليه كلمة إغريقية معناها «نزع النبر»، وقد خلصت فعلًا «أثينا» في مدة وجيزة كل من كان حولها من رجال عوملوا معاملة سيئة، وكانوا خطرًا عليها خطر طبقة «هلوت» الذين كانوا شوكة في ظهر «أسبرتا» في كل أطوار تاريخها.

وقد حاول «سولون» أن يجعل من الأثينيين مواطنين يدب فيهم روح شعبي عالٍ طيب، فقسم الشعب طبقات وأعطى أحقر طبقة وهم الكادحون حق التصويت في الجمعية العمومية للشعب، ووضع محاكم تشريعية تتألف من مواطنين محلفين ورحب بالأجانب الذين كانوا يفدون على «أثينا»، وشجع التجارة وشدد في ضبط الموازين والمكاييل، ولم يسمح لواحد أن يغتاب الأحياء في الأماكن العامة، كما كان محظورًا عليه أن يذم الموتى، وقرر أنه على كل والد ألا ينتظر معونة ابنه إذا لم يكن قد رباه ليكون صاحب تجارة أو حرفة، كما أنه لم يسمح لأي فرد أن يقف على الحياد؛ أي أنْ يقف بعيدًا عن الاشتراك في مصالح بلاده، إذا كان هناك أحزاب مختلفة في البلاد. وأخيرًا لم يسمح لأي امرأة أن تغالي في زينتها، وقد كتب «سولون» قوانينه هذه على ألواح من الخشب، وحفظت في قاعة المدينة Prytaneum، وحتم على كل مواطن أن يطبعها ... وبعد أن أتم كل هذه الإصلاحات قام بأسفاره ثانية لمدة عشر سنوات، ثم مات في عزلته في «أثينا» عام ٥٥٩ق.م.

أثينا في عهد «بيزستراتوس» Pesistratus

وقبل موت «سولون» ظهر على مسرح الحياة الأثينية رجل عظيم آخر يدعى «بيزستراتوس»، وقد استمال إلى جانبه عامة الشعب بميوله الديمقراطية المتطرفة، وبخاصة سكان التلال الذين

كانوا يقطنون الجهات المرتفعة بجوار «أثينا»، وكان لنفسه منهم حزب يدعى حزب التل، هذا بالإضافة إلى المواطنين الذين لم يعمل «سولون» شيئًا يرضيهم.

والواقع أن تشريعات «سولون» لم ترضِ كل طبقات الشعب؛ مما أدى إلى انقسام السكان ثلاثة أحزاب، وهم أهل الشاطئ، وأهل السهل، ثم أهل التلال الذين كان على رأسهم «بيزاستراتوس» منذ عام ٥٦١ق.م، ويقال: إنه ذات يوم كان يسير بعربته في مكان السوق، فأشار إلى الجروح التي أصابته كما قال من يد أعدائه، ولم يكن ذلك صحيحًا إذ إنه قد جرح نفسه ليضلل الناس، ولكن كلامه وجد أذنًا صاغية وصدقه الشعب وأُعطي حرسًا مؤلفًا من خمسين رجلًا، ولم يلبث أن زادوا إلى أربعمائة جندي، وبمساعدتهم استولى على «الأكروبوليس» Acropolis — وهو التل ذو الجوانب المنحدرة القائم في وسط «أثينا» — وبعد ذلك فرض نفسه حاكمًا مطلقًا على «أثينا» بوساطة حزبه المؤلف من رجال التلال.

وكلمة حاكم مطلق «تيرنت» لا تعني في الأصل حاكمًا قاسيًا طاغيةً، على الرغم من أن الحاكم المطلق يمكن أن يكون متصفًا بهذه الصفات. وكلمة «تيرنت» تعني هنا رجلًا يحكم دون أن يحاسب أو يراقب من الدولة. وقد حكمت عدة مدن إغريقية في أزمان مختلفة بحكام مطلقين كانوا سببًا في شهرة هذه المدن وعظمتها وثرائها. والواقع أن «بيزسترانوس» الذي أصبح الآن حاكمًا مطلقًا على «أثينا» كان بلا نزاع يبغي مصلحتها، وأراد أن يجعلها جميلة مثقفة قوية الجانب عزيزة السلطان، فأعاد إصلاح معبد الإلهة «أثينا» الذي كان على تل «الأكربوليس»، وأعاد نشر أشعار «هومر» وقراءتها في الأعياد العظيمة الخاصة بهذه الإلهة. هذا وقد أمد المدينة بالماء النقي الصافي من التلال بواسطة قنوات، كما شجع الأعمال في الحقول، وفي زمنه وصلت تجارة «أثينا»، ومستعمراتها إلى «الدردنيل» (هلسبونت)، ولا بد أن المدن الإغريقية كانت تلاحظ بعين الحقد والغيرة السفن وهي محملة بالبضائع إلى «أثينا»، ومنها مما يدل على ثرائها وأهميتها المتزايدة.

ولا نزاع في أن «بيزاسترتوس» كان له أعداء في «أثينا»، وهم الذين خرجوا عليه ونفوه مرتين؛ ولكن أنصاره أعادوه كذلك مرتين. وفي النهاية مات عام ٥٢٧ق.م، وقد خلفه ابنه «هبياس» حاكمًا مطلقًا، ولكن عندما أخذ يقسو على القوم وتحوم حوله الريب والشبهات نُفي. وقد كان ذلك عملًا مجيدًا؛ لأن الأثينيين قد خلصوا أنفسهم من حكم الفرد المطلق وأصبحوا أحرارًا.

«كليستنيز»

Cliesthenes

رأينا فيما سبق أن «سولون» قد أنشأ المؤسسات وأقام الآلة التي تُدار بها الديمقراطية الأثينية، وقد رأينا كيف أن آلته لم يمكن إدارتها، فقد كانت العقبة الخطيرة في سبيل نجاحها هي القوة السياسية للعصبيات؛ لأنه بإبقاء «سولون» على العصبيات قد حافظ على نظام القبائل أساسًا للدستور الذي وضعه، ولكن لأجل أن تصبح الديمقراطية حقيقة واقعة كان لا بد من حرمان العصبيات من القوة السياسية، وإحلال نظام جديد محلها. والرجل الذي قام بهذا العمل العظيم هو «كليستنيز» الذي تولى زمام الحكم حوالي عام ٥٠٨ق.م، فقد أضاف أشياء جديدة على قوانين «أثينا»؛ مما جعل حكومتها ديمقراطية حقيقية، وذلك أن تقسيم «سولون» البلاد طبقات قد وضع النفوذ الأعظم للدولة في أيدي رجال المال وأصحاب الغنى، فكان أول عمل قام به «كليستنيز» أنه غير هذا النظام فقسم الشعب مراكز مجمعة من قرى مؤلفة بطريقة جعلت الأقسام القديمة تتمزق، وتجمع المواطنين الأحرار من كل الدرجات غنيهم وفقيرهم في صعيد واحد لأداء واجبهم نحو الدولة، وأصبحوا يعطون أصواتهم في انتخاب «الأركون» وفي انتخاب المجلس المؤلف من خمسمائة عضو — خمسون عضوًا لكل قبيلة — وهم الذين كانت قراراتهم لا بد أن يصدق عليها من جمعية الشعب، وعلى ذلك شعر كل مواطن بأن له نصيبًا حقيقيًّا في الحكومة، وكان مفروضًا على كل واحد أن يعطي ويأخذ. ولما كان المجلس مفتوحًا لكل رجل

يزيد عمره على الثلاثين، فإن كل واحد قد عرف أنه في مقدوره أن يرقى إلى مكانة عليا في خدمة بلده.

وهذا النظام يقودنا إلى زمن مدهش في حياة «أثينا». وذلك أنها بدلًا من أن تبقى جامدة مثل «أسبرتا» قد تغيرت ونمت في اتجاه الحرية الصحيحة، وقد كان مهندسو العمارة والمثالون والصناع في عمل مستمر أدى إلى تجميل مدينتهم، وتحسين حالة أهلها، هذا بالإضافة إلى أنها في ذلك الوقت كانت قد شاركت المدن الإغريقية الأخرى في الوقوف على المدهشات والأعاجيب التي كشف عنها في تلك الفترة الأسفار، التي قام بها أهل الفضل وأصحاب المخاطرات من رجالاتها الذين جابوا الأقطار المجاورة لبلادهم، وبخاصة المستعمرات التي أسسها أهالي بلاد اليونان في آسيا وجزر البحر الأبيض المتوسط، هذا بالإضافة إلى أهل العلم والمؤرخين الذين زاروا مصر وبلاد فارس وغيرها، وتركوا لنا عنها المؤلفات الممتعة التي تصف أحوال تلك البلاد وتاريخها بشيء من التفصيل. وتدل البحوث العلمية الحديثة على أن فلاسفة اليونان وعلماءها، قد نقلوا الكثير من العلوم المصرية إلى بلادهم، مما سنتحدث عنه في فصل خاص يظهر فيه مقدار تأثير مصر في العلوم الإغريقية.

الحروب التي وقعت بين الإغريق والفرس

(١) مقدمة

إن حلقة اتصال بلاد اليونان بالعالم المتمدين ترجع بنا إلى القرن السابع قبل الميلاد، فقد كانت متصلة بمصر منذ عهد الملك «بسمتيك الأول»، كما بينا ذلك في غير هذا المكان، كما أخذت تتصل بالشرق عن طريق ساحل آسيا الصغرى الذي يدعى «أيونيا»، وبخاصة بدولة «ليديا» التي كانت تقع على مسافة ألف ميل في الشمال الغربي من بلاد «بابل». وكانت «ليديا» هذه غنية بأرضها الخصبة ومناجم الذهب التي تحتويها، كما كان موقعها من حيث التجارة عظيمًا جدًّا لدرجة أن ملكها «كرسوس» كان يضرب به المثل في الثراء، والواقع أنه كان مسيطرًا على الجزء الغربي من «آسيا الصغرى»، بما في ذلك المدن الإغريقية الأيونية التي كان قد استولى عليها.

وتقع بين بلاد «بابل» و«ليديا» دولة كبرى أخرى من دول الشرق تدعى «ميديا»، وكانت حدودها وقتئذ تتاخم حدود مملكة «كرسوس»، وهؤلاء الميديون وجيرانهم الفرس كان يربط بعضهم ببعض روابط سلالية قوية، وعندما اشتد ساعد دولة الفرس الفتية في عهد ملكها «كورش» الأكبر (٥٢٩ق.م) وصارت أقوى من الميديين وفتحت بلادهم، فضل حاكم «ميديا» الذي كانت تربطه بملك الفرس قرابة دم أن تنضم المملكتان، وتؤلفان دولة واحدة باسم مملكة الفرس، وبعد ذلك أخذ ملك الفرس «كورش» يفتح الممالك الكبرى المجاورة له في تلك الآونة، وهي التي كانت أنهكتها الحروب، واستولى على ممتلكاتها، ففي الجهة الغربية من ممتلكاته كان الملك «كروسوس» ملك «ليديا»، فقهر بلاده وبذلك أصبح المسيطر على مملكته وإمبراطوريته بما في ذلك مدن «أيونيا» الإغريقية، وفي الشرق هزم «بابل»، وأصبحت إمبراطوريتها في قبضة يده. وفي «بابل» وجد هناك يهودًا نفاهم بختنصر من «أورشليم» منذ ستين سنة مضت.

ولما كان «كورش» هذا ملكًا رحيمًا، فإنه أصدر منشورًا سمح فيه لليهود بالعودة إلى بلاد يهوذا التي أصبحت جزءًا من إمبراطوريته.[١]

وبعد موت «كورش» خلفه على العرش ابنه لبضع سنين استولى بعدها على صولجان الملك ملك عظيم يدعى «دارا» الأول الذي كانت إمبراطوريته وقتئذ تشمل مصر، وتمتد شرقًا عبر حدود الهند. وسنرى ماذا يكون مصير بلاد الإغريق عندما يأتي دورها مع هذا الفاتح العظيم، وبلاده المترامية الأطراف القوية البطش. والواقع أن الملك «دارا» (٥٢١–٤٨٦ق.م) قد ربط أطراف إمبراطوريته بشبكة طرق تؤدي إلى «سوس» عاصمة ملكه. فمن مدينة «سرديس» مقر معسكره في غربي ممتلكاته كانت توجد طريق طولها ١٥٠٠ ميل محروسة عند ممرات الجبال، وعند مصاب الأنهار بجنود فارسية، وكانت السياحة بين المدينتين تستغرق ثلاثة أشهر غير أن الرسائل المستعجلة كانت تنقل من «سوس» وإليها في أسبوع؛ وذلك لأنه كانت توجد محاط بريد واصطبلات خيل لغبار البريد على مسافات تبعد الواحدة منها عن الأخرى أربعة عشر ميلًا، حيث كان ركاب خيل البريد على استعداد ليل نهار لحمل الرسائل بالتناوب على ظهور الخيل. وعندما كان آخر حامل بريد من هؤلاء يقترب من هدفه كان يرى أمامه سهلًا خصبًا ومياهًا غزيرة، ويكنف السهل جبال على مسافة منه، وفي هذا السهل الخصيب كانت تقع مدينة «سوس» العظيمة التي قدر محيطها بعض كتاب الإغريق بما بين خمسة عشر وعشرين ميلًا، والواقع أنها تؤلف طوارا هائلًا أقيم عليه قصر الملك.

وهناك كان الرسول يرقى السلم العظيم، ويمر بالحرس الملكي ثم يدخل قاعة ذات عمد شامخة، حيث كان يتربع الملك العظيم على عرشه المصوغ من الذهب والفضة، يحيط به مستشاروه وكتبته، وهنا كان يتسلم من رعاياه ذهبًا وفضة وبخورًا وعاجًا وأبنوسًا وجزية من كل نوع، كما كان يستقبل السفراء من ممتلكاته وكذلك «الشطاربة» — وهم حكام الأقطار التي كان يسيطر عليها وعددهم عشرون حاكمًا أو «شطربا» — وكان يستقبل موظفي إحصاء يسمون

عيون الملك وآذانه، وهؤلاء الرجال كانوا يطوفون في أنحاء البلاد ويرقبون «الشطاربة» وغيرهم من كبار رجال الدولة؛ ليروا إذا كان هناك ما يجب أن يعرفه مليكهم. والواقع أن كل شيء كان في يد «دارا» وكان سيفه هو القانون، ولكن على الرغم من سلطانه المطلق، فإنه كان حاكمًا عاقلًا ومعتدلًا في معاملاته لقومه بالنسبة لعصره هذا إذ لم يثوروا عليه.

ولم يكن في بلاد الفرس معابد للآلهة كالتي في بلاد «اليونان» و«مصر» و«بابل» و«آشور»؛ وذلك لأن القوم كانوا يعبدون إلها واحدًا عظيمًا يمثل الخير وهو الإله «أهورامازدا» أو «أورموزد» الذي حدد طريق النجوم وحفظ الأرض والسماء، وجعل القمر ينمو ويصغر؛ وسخر الهواء والسحاب، وخلق النور والظلام والنوم والصبح والظهيرة والليل.[٢] وكانت توقد نار مقدسة على رءوس الجبال على مذابح؛ وذلك لأنها كانت رمزًا للإله. وكانت تناهضه قوة أخرى للشر تدعى «أهيرمان»، وكان نصيبها في النهاية الهزيمة على يد قوة الخير. وهذه كانت ديانة رفيعة المغزى، إذا ما قرنت بالديانة الإغريقية لما فيها من معنى روحي أعلى وأرقى. ومعظم هذه التقاليد الدينية الفارسية تعزى للمفكر الديني العظيم «زوروواستر»، الذي انبثق من أرض «فارس»، غير أننا لا نعلم على وجه التأكيد في أي تاريخ ظهر، والمحتمل أنه جاء حوالي ألف سنة قبل الميلاد.

تلك هي أحوال بلاد «الفرس» قبل دخولها في الحروب الطاحنة التي دارت رحاها بينها وبين بلاد اليونان، التي كانت لا تكاد تعادل مساحتها إحدى مديرياتها الصغيرة.

(٢) الحرب الأولى

وقد بدأت حرب «فارس» الأولى على بلاد اليونان، عندما أخذت المستعمرات الأيونية تثور على الحكم الفارسي فيها بعد أن ضمها إلى ممتلكاته. والواقع أن المدن الأيونية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى، كانت تمارس تجارتها في سلام في عهد «دارا»، وكان سكان هذه المدن

أحرارًا في اتباع عاداتهم وقوانينهم وديانتهم، وتلك كانت من حسنات دولة «فارس» في ذلك العهد إذ لم تكن تتدخل في شئون مستعمراتها الخاصة؛ مما جعلها تبقى مدة طويلة. فكانت على ذلك كل مدينة من مدن «أيونيا» تمارس أحوالها الخاصة، ولكن كان على رأسها حاكم مطلق إغريقي نصبه الملك، وهذا نوع من الحكم كان محببًا عند «الفرس»، ولكنه كان مبغضًا عند الإغريق الذين جبلوا على حب الديمقراطية، وفضلًا عن ذلك كان على «الشطرب» — الحاكم للإقليم — أن يحقق ولاء هذه المدن للملك بأن تدفع ما عليها من جزية، وتقوم بما عليها من خدمات عسكرية للجيش الفارسي وأسطوله، عندما تدعو الحاجة لذلك. وقد أخذ السكان الإغريق في هذه المدن يتذمرون لفقدان حريتهم، وانتهى الأمر أن قاموا بثورة عام ٤٩٩ق.م، وقد اندلع لهيبها من مدينة «ميليتوس» Miletus، وهي أهم مدينة أيونية على ساحل «آسيا الصغرى»، وبعد ذلك تتابعت الثورات في المدن الأخرى، والأمل مشتعل في قلوبهم بغية التخلص من حكم الفرس.

وقد طردوا فعلًا حكامهم المستبدين، وقد التجأت هذه المدن إلى «أسبرتا» طالبة النجدة، ولكنها رفضت في حين أن «أثينا» أرسلت إلى الثائرين عشرين سفينة كما أرسلت بلدة «أرتيريا» الواقعة في جزيرة «أيوبوا» Euboea خمس سفن لتساعد الأيونيين على مهاجمة «سارديس»، التي كانت تعد المركز الرئيسي للجيش الفارسي، وقد استولوا على المدينة كلها إلا قلعتها عندما أشعل جندي النار في إحدى بيوتها — وقد يكون ذلك من باب الصدفة — التي كانت مبنية بالغاب والقش المدهوك بالخلط. وكانت نتيجة ذلك أن شبت النار في كل المدينة، والظاهر أن أهلها قد وصلوا إلى اتفاق مع الفرس، ومن ثم عاد الأثينيول وأهل «أرتيريا» في سفنهم إلى وطنهم.

وقد ترك لنا «هردوت» والد التاريخ صورة حية عن شعور الملك «دارا»، عندما سمع بهذا الحادث، إذ يقول: لم يعر أي التفات أهل «أيونيا» — لأنهم لن يفروا من العقاب — ولكن قال:

«من هم الآثينيون؟» وعندما أخبر خبرهم طلب قوسه وركب فيه سهمًا وأطلقه في السماء، ودعا «زيوس» — يعني «أورموزد» أكبر آلهة الفرس — أن يمنحه القدرة على الانتقام من الأثينيين، وبعد ذلك أمر أحد خدمه أن يقول له ثلاث مرات عند كل وجبه يتناولها: «سيدي اذكر الأثينيين.» ولا بد أن نلحظ هنا أن المؤرخين القدامى كان من عادتهم أن يصوغوا بأسلوبهم هم أقوال الشخصية التي يتحدثون عنها، أو حتى يتخيلوها، وهذه الكلمات كانت في الواقع ثمينة؛ لأنها من جهة تشمل كثيرًا من الحقيقة، ومن جهة أخرى؛ لأنها وهي صادرة من مؤلف ماهر نقدم لنا نظرة فاحصة عن عقول المتكلمين في الأزمان التي عاشوا فيها.

وقد جمع «دارا» الأول جموعه، وبعد أربع سنين نجح في إخماد ثورة هذه المدن فعاقب «ميليتوس» أشد العقاب وأقساه، إذ قتل رجالها ونفى النساء والأطفال إلى «سوس»، ووضع حامية فارسية في قلعتها. وقد شعرت «أثينا» بأعمق الحزن وأمره عند سقوط «ميليتوس» وعلمت أن دورها سيكون التالي.

(٣) أول غزو فارسي لبلاد الإغريق

باءت أول محاولة قام بها «دارا» لغزو بلاد الإغريق بالفشل؛ وذلك لأن عاصفة هوجاء حطمت مائتين من سفن ملكها العظيم بعيدًا عن جبل «آتوس»، أما باقي الجيش والأسطول فقد اضطروا إلى التقهقر. وبعد مضي عامين على هذا الحادث كان «دارا» على استعداد لمحاولة غزو بلاد الإغريق ثانية، وقد أرسل أولًا رسلًا لجزر بحر «إيجة» ومدن الإغريق طالبًا منها ترابًا وماءً رمزًا للخضوع له، وقد أطاع معظم الجزر وأرسلوا له ما طلب إلا «أثينا» و«أسبرتا»، ومدن إغريقية أخرى، فإنها رفضت على الرغم من أنها كانت تعلم أن ذلك يعني قيام حرب عليها. وعندئذ أرسل «دارا» أسطوله المؤلف من ستمائة سفينة إلى «أرتريا» في جزيرة «أيوبا»، ونزل هناك جيشه. وقد حارب أهل المدينة ستة أيام صادين هجوم العدو الجبار، ولكن خائنين

من بين السكان فتحوا أبواب المدينة للعدو الذي استولى عليها، ونهبها وحرق معابدها واغتصب الناس وساقهم إلى العبودية وذلك على حسب أمر «دارا».

وتحرك بعد ذلك الأسطول الفارسي إلى بلدة «ماراتون» الواقعة على الشاطئ الشرقي «لأتيكا» على مسافة اثنين وعشرين ميلًا عن «أثينا»، وأنزل جزءًا من الجيش على سهل الساحل، وقد ظن البعض أنهم فعلوا ذلك لأجل أن يحملوا الأثينيين على سحب جنودهم من «أثينا»؛ وذلك لأنه كان يوجد حزب في المدينة يريد أن يعيد الحاكم المطلق «هبياس»، الذي أتى على أحد السفن الفارسية لمساعدتهم، وكان حزب «هبياس» يتآمر مع الفرس ليدخلوا المدينة التي لم تكن محصنة وقتئذ.

وعندئذ أرسلت «أثينا» إلى «أسبرتا» بريدها السريع «فيديبيدس» الذي قطع مسافة مائة وأربعين ميلًا في ثمان وأربعين ساعة، وسلم التماس النجدة العاجلة. وقد رجا أهل «أثينا» اللاسيديميين[٣] ألا يقفوا على مقربة منهم، ويشاهدوا أقدم مدينة في بلاد الأيون تصبح أسيرة في يد قوم همج، وكانت «أرتريا» قد وقعت في ذل العبودية، وصارت بلاد الإغريق ضعيفة بفقدان مدينة عريقة في المجد، ولكن «أسبرتا» وقتئذ كانت تحتفل بعيد ديني تحرم قوانينه عليها أن تخرج من ديارها قبل تمام الفجر.

والواقع أن «أثينا» كانت في خطر؛ ولذلك فإن التأخر أو التردد من جانب الأهالي سيكون من نتائجهما أن يمكن الفرس من القيام بالهجوم، وبخاصة أن المدينة لم تكن مسورة. وفي هذه الآونة كان تحت قيادة القائد الأعلى للجيش المسمى «كاليماكوس» عشرة قواد يسمى واحد منهم «ملتياديز». وقد كان من رأيه أن يقاوم العدو عند المكان الذي رسا فيه أسطول الفرس وقد اتبع رأيه، وبعد مسيرة يوم واحد كان تسعة آلاف جندي يقفون على التلال القريبة من «ماراثون»، مطلين على السهل الذي بينهم وبين البحر، وقد كانوا وحدهم من الأثينيين، ولم يكن يساعدهم إلا

ألف جندي أرسلتهم إلى هناك مدينة صغيرة تدعى «بالاتيا» Palataea من أقليم «بوشيا» Boeotia، وكانت قد وضعت نفسها تحت حماية «أثينا» منذ عشرين سنة مضت.

وأسفل من الجيش الأثيني كانت ترسو السفن الفارسية على مسافة تتراوح ما بين ميلين وثلاثة. والرأي السائد هو أن الفرسان كانوا قد أنزلوا ثانية؛ لأجل أن يقوموا بهجوم مفاجئ على «أثينا». أما المشاة فقد اصطفوا في السهل بالقرب من البحر في خط طويل. وقد عقد «كاليماكوس» مجلسًا حربيًّا وقد انقسم قواده فريقين فريق يحبذ التمهل وفريق يريد العمل في الحال، وكانوا خمسة ضد خمسة، ولكن «ملتياديز» حث على ضرورة القيام بهجوم باسل سريع؛ لأن «أثينا» كانت في أعظم خطر يهدد حياتها، وأن هذه اللحظة لا بد أن نقرر مصيرها، وعندئذ قرر «كاليماكوس» الهجوم، فصف جنوده استعدادًا للمعركة على العدو، وقد جعل صفه بنفس طول الصف الفارسي وقواه في الجناحين، ولكن في الوسط كان عمقه لا يتجاوز بضعة صفوف. وقد أعطيت إشارة الهجوم وعندئذ تقدم الجنود الإغريق إلى الأمام بسرعة على العدو، وقد ظن الفرس أن هؤلاء الجنود قد أصابهم مس بلا ريب، والتحموا معهم في حومة الوغى، وقد استولت عليهم الدهشة عندما رأوا أنفسهم مضطرين إلى التقهقر نحو التلال.

وكان الجناحان — جناحا الجيش الإغريقي — على حذر من أن يتابعوا عدوهم إلى مسافة بعيدة، بل التفوا حولهم وشتتوا شمل قلب الجيش الفارسي المنتصر في هجوم سقط فيه كثير من جنود العدو صرعى، وبعد ذلك هربت البقية الباقية من جيش الفرس إلى سفنهم، والإغريق يقتفون أثرهم ونشب بينهم صراع بالأيدي، فقتلوا منهم عددًا عظيمًا واستولوا على سبع سفن في النهاية.

وقد اقتبس المؤرخ «هردوت» شائعة تقول: إن الفرس في أثناء إقلاعهم بسفنهم رُئي درع يسطع من قمة جبل خلف «ماراثون» يقع بينها وبين «أثينا». وقيل: إن ذلك كانت إشارة من الخونة

في المدينة؛ ليظهروا للفرس أنه يمكنهم أن يدخلوا «أثينا».

وقد لف الفرس حول الساحل حتى وصلوا إلى الميناء الشرقية «لأثينا»، ولكنهم وجدوا الأثينيين قد ساروا بسرعة خاطفة من «مارثون»، ووقفوا هناك أمامهم، وقد كان نجاح الأثينيين في ملاحقتهم بهذه السرعة على ما يظهر سببًا في خيبة المؤامرة، وعندما علم الفرس بانتظار جيش «أثينا» المفاجئ لمنازلتهم عادوا إلى بلادهم يجرون ذيل الخيبة والهزيمة.

وبعد أن تمت كل هذه الأحداث جاء إلى «أثينا» ألفان من جنود «أسبرتا» بعد تمام القمر، ومن ثم ذهبوا إلى «ماراثون» ليشاهدوا مكان الواقعة، وهناك امتدحوا الجنود الأثينيين على ما أحرزوه من نصر مبين، ثم عادوا ثانية إلى «أسبرتا»، على أن هذا النصر لم يسحق الجيش الفارسي تمامًا؛ وذلك لأنه لم يشترك في المعركة إلا جزء منه فضلًا عن أن الفرس كان لديهم موارد كثيرة لتأليف الجيوش الجرارة، ولكن النتيجة الهامة في ذلك أن اسم «أثينا» أصبح مشهورًا، فقد كان في استطاعتها دون مساعدة تقريبًا أن تجبر جيش الفرس الرهيب الجانب على أن يتقهقر إلى بلاده مقهورًا.

(٤) غزوة الفرس الثانية لبلاد الإغريق سنة ٤٨٠ق.م

لم ينسَ الفرس الصدمة التي صدموها في موقعة «ماراثون»؛ ولذلك بيتوا لغزو بلاد الإغريق كرة أخرى. وقد بدأ الفرس غزوتهم بعد مضي عشرة أعوام على الغزوة الأولى، ولم يكن هجوم الفرس هذه المرة موجهًا على «أثينا» و«أيوبوا» وحسب، بل على كل بلاد الإغريق بأسرها. وكانت «أسبرتا» في هذه الحرب الثانية هي الدولة القائدة للحرب. والواقع أنها قد أظهرت رغبتها في أن تأخذ بنصيبها كاملًا في الحروب المقبلة. أما «أثينا» فإنها على أية حال قد قدمت للقتال أسطولها وما لها من دراية بحرية، تلك الدراية التي جعلت النصر في جانب الإغريق. وقد رأى أحد رجال سياستها هو «تمستوكليس» في الوقت المناسب أن الخطر كان داهمًا، وأن

النصر سيكون في جانب من تكون له السيادة البحرية. وكان في «أتيكا» في هذا الوقت منجم فضة يخرج كميات عظيمة من هذا المعدن؛ ولذلك أغرى «تمستوكليس» الأثينيين على أن يكونوا بحارة ماهرين، وأن ينفقوا هذه الثروة على بناء سفن حربية مجهزة بمجاديف كثيرة وشرع كبيرة، وكانت «أثينا» في هذه الآونة لها أسطول يفوق بكثير أي أسطول آخر في بلاد الإغريق.

أما الفرس فكان ملكهم «دارا الأول» كذلك يستعد لحملة أخرى على بلاد اليونان، ولكنه مات عام ٤٨٦ق.م وخلفه ابنه «أكزركزيس» الذي اشتهر بضعفه وغروره، ولم يرث شيئًا من عظمة والده، وقد استمر في التعبئة للحرب على نطاق واسع. وقرر أن جيشه الذي جنده من الست والأربعين أمة التي تتألف منها إمبراطوريته، يجب ألا يعرض إلى بحر إيجة العاصف، بل يجب أن يسير حول ساحل بلاد الإغريق في حين أن الأسطول يكون على اتصال معه بحرًا. ومن أجل ذلك حفرت قناة للأسطول في برزخ جبل «آثوس» Athos، الذي كانت تصطدم فيه العواصف، وهو الذي كانت قد غرقت فيه سفن «دارا الأول» منذ اثنتي عشرة سنة خلت. وكذلك أقيمت قنطرتان من السفن على مضيق «هلسبونت» — الدردنيل الحالي — لأجل مرور الجيش في سلام.

وفي خلال هذه التجهيزات كان جيش الفرس يتجمع عند «سارديس». وفي هذه المدينة جاءت الأخبار إلى «أكزركزيس» بأن القنطرة الأولى التي أقيمت على «الدردنيل» قد حطمتها عاصفة. ويحدثنا «هردوت» هنا بأسلوبه القصصي البديع أن غضب «أكزركزيس»، قد وصل إلى حد كبير حتى إنه أمر بقطع رقاب المهندسين الذين أقاموا هذه القنطرة، وأن تضرب مياه «الدردنيل» بالسوط مائة مرة، هذا وقد نطق بالكلمات الجوفاء الآتية على المضيق: «أنت أيتها المياه المرة، إن سيدك يوقع هذا العقاب عليك؛ لأنك قد ارتكبت جرمًا في حقه وهو لم يخطئ قط في حقك، وإن الملك «أكزركزيس» سيعبرك سواء أردت أم لم تُريدي، وإنه لمن الصواب ألا

يضحي أي إنسان لك؛ لأنك نهر ثائر أجاج!» وفي الحال أمر بعمل قناطر جديدة من مراكب حربية، وقوارب أخرى يعلوها أمراس قوية ومغطاة بطريق مصنوعة من الألواح الخشبية ومكدسة بأغصان من الخشب والطين المثبت، وقد أحيطت من كلا الجانبين بأوتاد من الخشب، حتى لا تتزعج الخيل أو الحيوانات الأخرى من منظر البحر عند عبورها له.

وعندما تمت جميع الاستعدادات، بدأ الجيش يزحف من «سارديس». وقد كان أول ما تحرك هو الأمتعة والحيونات ثم جيوش من أمم عدة، وكان ذلك يؤلف أكثر من نصف الجيش كله. وقد تبع ذلك فرسان الفرس ورجال الحراب وقفوا بعشرة آلاف حصان حجمها غير عادي ومطهمة بفاخر العدة، وأتى بعد ذلك ثمانية جياد بيض والعربة المقدسة للإله «أور موزد» خالية يقودها سائس يمشي على قدميه؛ لأنه كان محرمًا على أي بشر أن يجلس فيها. وبعد هذه العربة جاء «أكزركزيس» نفسه في عربة يسير خلفها رجال حرابه وخيالة آخرون، وكذلك عشرة آلاف فارس من المشاة مسلحين بأفخر العدد. ويقول لنا «هردوت»: إن هؤلاء كانوا يسمون «المخلدين»؛ لأن كل من فقد من بينهم كان يحل محله آخر؛ لأجل أن يبقى عددهم كاملًا غير منقوص باستمرار. وقد وصل الجيش عند مضيق «هلسبونت»، وأخيرًا جاء يوم عبورهم له. وعند بزوغ الشمس استيقظ «أكزركزيس» من نومه، وجلس على عرش من المرمر الأبيض مطلًّا على المضيق، ودعا ووجهه نحو الشمس ألا يعوقه شيء عن فتح أوروبا حتى أقصى حدودها.

وبعد ذلك بدأ الموكب يتحرك عبر القنطرة في حين أن المتاع وحيوانات الحمل كانت تعبر المضيق على قنطرة أخرى من السفن. وقد سار الجيش غربًا حتى وصل إلى سهل عظيم في «تراقية»، حيث أحصى «أكزركزيس» مشاته. ولما كان عددهم كبيرًا لا يحصى، فإن عشرة آلاف منهم قد حشدوا في مساحة تسعهم بالضبط، وهذه المساحة قد فرغت ثم ملئت مائة وسبعين مرة. ولا بد أن تكون رواية «هردوت» مبالغًا فيها. وعند هذه النقطة يصف لنا «هردوت»

الجنود المختلفي المظاهر والأشكال، فكان منهم الآشوريون مثلًا بخوذاتهم البرنزية الملتوية وعصيهم ذات العقد الحديدية، والكاسبيون بعباءاتهم المصنوعة من الجلود حاملين سيوفًا مستقيمة قصيرة، والهنود مرتدين ملابس قطنية ومسلحين بسهام من الغاب مركب فيها أسنة من الحديد، والأثيوبيون السود لابسين جلود فهود أو جلود أسود على أجسامهم، التي كانوا يصبغونها باللون الأحمر أو الأبيض للمعركة، ومسلحين بأقواس طول الواحد منها ست أقدام من جريد النخل، والتراقيون مرتدين جلود ثعالب على رءوسهم وعباءات مختلفة ألوانها فوق قمصانهم، وينتعلون أخفافًا في أقدامهم وعلى سيقانهم جلود الظباء، والليسيون الذين كانوا يرتدون قبعات مزركشة بالريش، واللوبيون ذوو الشعر الملبد الذين كانوا يلبسون ملابس من الجلود، وحرابهم من الخشب محروقة أطرافها، وكثير غير هؤلاء من الذين كان يتألف منهم الجيش الفارسي.

ونجد في الوقت نفسه أن ممثلين لكثير من المدن الإغريقية قد عقدوا اجتماعًا عند برزخ «كورنت»، وقرروا أن يؤلفوا جيشًا يكون تحت قيادة «ليونيداس» Leonidas أحد ملكي «أسبرتا». وقد شعرت «أثينا» آنذاك أنها صاحبة الحق في قيادة كل الأسطول المتحد، ولكن لما كان كثير من الحكومات الإغريقية ترغب في جعل القيادة «لأسبرتا»، فإن «أثينا» نزلت عن حقها بسبب الخطر الذي كان يهددهم جميعًا.

(٥) موقعة «ترموبيلي» عام ٤٨٠ق.م Thermopylae

بعد أن اخترق «أكزركزيس» «تراقيا» و«مقدونيا» اتجه جنوبًا فاتحًا كل ما في طريقه إلى أن وصل إلى المكان «المسمى» «ترموبيلي»، وهو ممر ضيق بين البحر والجبل. وكان قد سمي «بوابة بلاد الإغريق»، ولكن دهش إذ وجد أنه أقفل في وجهه بجنود «ليونيداس»، الذين يبلغون حوالي سبعة آلاف إغريقي كان من بينهم ثلاثمائة محارب أسبرتيي الأصل، وعدد كبير من

جنود شبه جزيرة «بلوبونيز»، وبعض جنود من إقليم «بوشيا» المجاور لإقليم «أتيكا». وكان جنود «أسبرتا» قد اصطفوا أمام صف الجنود الأثينيين على حسب الرواية التي نقلها الجواسيس للملك «أكزركزيس»، ولم يظهروا من أجل ذلك أي وجل أو رعب، بل كانوا إما منهمكين في اللعب والرياضة، وإما منصرفين إلى تسريح شعورهم الطويلة، كما كانت عادتهم دائمًا قبل المعركة.

وقد استولت الدهشة على «أكزركزيس» عندما رأى ذلك، فمكث أربعة أيام منتظرًا العدو أن يتقهقر، وبعد ذلك لما فرغ صبره أمر جنود بالهجوم، واتخذ مكانه على عرشه ولاحظ سير المعركة. وقد صدت الجنود الفارسية حتى «الخالدين» يومين متتالين، وظل الممر في يد الإغريق، وقد استولى الذعر على «أكزركزيس»، حتى إنه قفز ثلاث مرات على ما يقال من فوق عرشه خوفًا على جنوده.

هذا وكان يحمي طريقًا على الجبال جنوبي الممر ألف جندي من أهل «قوسيس»، وهي دويلة إغريقية صغيرة قامت بهذه الخدمة من تلقاء نفسها، غير أن خائنًا من أهل الإقليم يُدعى «إفيالتيز» Ephialtes انقلب على وطنه، وأرشد الفرس إلى الطريق عبر الجبال، وفي فجر اليوم الثالث سمع أهل «قوسيس» وقع أقدام جنود العدو على أوراق شجر البلوط المتساقطة على الأرض، فهربوا واستمر جنود الفرس في سيرهم. وعندما سمع «ليونيداس» بذلك صرف حلفاءه — ومن الجائز أنه كان يأمل من وراء ذلك أنه يكون في مقدورهم أن يهاجموا الفرس، عندما كانوا ينزلون من الجبال في خلفه — وبقي هو وجنود «أسبرتا» معًا مضافًا إلى ذلك بعض جنود «بوشيا» «ويبلغ عددهم حوالي ألف مقاتل» للمحافظة على الممر، وقد ظنوا أن الفرس عندما يطلقون سهامهم ستحجب السماء نفسها من كثرتها، وقد عقب واحد منهم على ذلك قائلًا: «وهذه أخبار سارة فسنحارب إذن في الظل.» ذلك هو الروح الذي قابل به الجنود الإغريق

الحرب الهائلة التي أعقبت ذلك، فقتل «ليونيداس» وتقهقر رجاله شيئًا فشيئًا ثم أحيطوا وقتلوا وقد أقيم على مكان دفنهم في ساحة الموقعة تذكار فيما بعد نقش عليه ما يأتي:

احمل الأخبار إلى «أسبرتا» أيها الغريب المار هنا بأننا نرقد طائعين لكلمتها هنا.

زحف بعد ذلك «أكزركزيس» على «أثينا»، ولكنه وجدها تقريبًا خاوية على عروشها، فقد أبحر غير المحاربين من أهلها طلبًا للتجارة إلى جزيرتي «سلامس» و«أجينا» المجاورتين؛ لأن ذلك كما قال «تمستوكليس» هو ما كان يقصده وحي «دلفي» الذي نصحهم بأن يثقوا في جدرانهم الخشبية (أي: سفنهم وسينتصرون بحرًا). وقد استولى «أكزركزيس» على المدينة من يد العدد الضئيل من الجنود الذين كانوا يدافعون عنها وحرق معابدها وبيوتها، وأخيرًا عوقبت «أثينا» وانتقم لمدينة «سارديس»، وبعد ذلك أرسل خبر هذا النصر المبين إلى «سوس» عاصمة ملكه فدوت شوارعها بأنغام الفرح ونثرت بأغصان الغار.

وفي خلال ذلك كان كل من الأسطولين الإغريقي والفارسي يحارب بعضهما بعضًا على مسافة من الشاطئ، وكانت الحروب بينهما في الجهة الجنوبية. وكان عدد السفن الذي أرسلته «أثينا» ثمانين ومائة سفينة، في حين أنه لم يكن بين المدن الإغريقية الأخرى من أرسل أكثر من ثلاثين سفينة.

(٦) وقاعة «سلامس» البحرية ٤٨٠ق.م

تقع جزيرة «سلامس» غربي «أثينا» وتسد جونا يظهر كأنه بحيرة بخليج ضيق على كل من جانبيه، وهنا تجمعت السفن الإغريقية. وكان «تمستوكليس» يعلم أن قواد البلوبونيز يرغبون في أن ينسحبوا إلى «كورنث»، وينضمون إلى قواتهم البرية التي كانت قد بنت بسرعة جدارًا عبر البرزخ لحماية أنفسهم، وذلك كان لا يعني فقط هلاك اللاجئين من الأثينيين، بل كان فيه كذلك خراب بلاد الإغريق؛ لأن أملها الوحيد كان تحطيم سفن الفرس، ومن أجل ذلك أرسل

«تمستوكليس» رسولًا إلى الملك العظيم «أكزركزيس» مدعيًا فيه بأنه على ود وصفاء معه، وحاثًّا إياه على أن يسرع في الهجوم وإلا فإن السفن الإغريقية التي في الجون قد تهرب قبل حلول الليل، وقد وقع «أكزركزيس» فعلًا في حبائل هذه المكيدة، وقرر حصر سفن العدو فجلس على عرش وضع على منحدر جبل يطل على المضيق الشرقي يحيط به كتابه على أهبة تدوين الملاحظات عن النصر الذي كان ينتظره؛ وفي غرب المضيق كان ينتظر آخرون وهم الهاربون من «أثينا» على جزيرة «سلامس»، التي كان مصيرها معلقًا على هذه الواقعة.

بدأ الأسطول الفارسي يتحرك إلى الأمام عند انفلاق الصباح وتقدم الإغريق لمقابلتهم، وكلما دخلت السفن الفارسية المياه التي كانت تأخذ في الضيق اشتد ازدحامها وأصبحت لا ساعد لها، وقد اضطرت أن تتلاصق بعضها ببعض، وتتقابل أطرافها وسادت في وسطها الفوضى بسبب كثرة عددها وبهجوم مراكب الإغريق عليها، وقد غرق أو حطم أمام عيني «أكزركزيس» مائتا سفينة من سفنه وقتل رجالها أو غرقوا، وعند غروب الشمس كان كل شيء قد انتهى، وقبل الفجر هربت البقية الباقية من الأسطول الفارسي إلى «هلسبونت». بعد ذلك عاد «أكزركزيس» إلى بلاده بطريق البحر مع جنوده، وقد مات كثير منهم من الجوع أو بالطاعون، وما بقي منهم على قيد الحياة عبر «هلسبونت»، ووقفوا ثانيةً في آسيا. ومن ثم لم يحقق «أكزركزيس» حلمه بفتح أوروبا. وترك «أكزركزيس» خلفه أحد قواده لقيادة جيش عظيم، ولكنه هزم في واقعة كبيرة عند «بلاتا» Platea في إقليم «بوشيا»، فكانت هذه الضربة نهاية الفرس في بلاد الإغريق. وقد انتصر الإغريق في نفس السنة (٤٧٩ق.م) على الأسطول الفارسي على ساحل آسيا الصغرى، وقد كان هذا النصر هو بداية تحرير البلاد الأيونية من حكم الفرس. وهكذا نرى أن بلاد اليونان الحرة قد صدت بعيدًا عنها الاستبداد الفارسي، أو بعبارة أخرى الشرقي وهذه لحظة حاسمة في تاريخ العالم.

هذه الحقائق التي دوناها هنا مأخوذة عن المؤرخ الإغريقي «هردوت»، وهو أكبر مصدر لدينا عن حروب هذه الفترة، وبخاصة أنه عاشرها وعاش فيها. وقد ترك لنا أحد شعراء الإغريق في هذا العهد رواية تمثيلية تصف لنا الأحوال والحوادث كأنها الشاهد العيان. والتمثيلية للشاعر «أسكيلس» Aeschylus، وقد سماها «الفرس» كتبها بعد واقعة «سلامس» بثمانية أعوام.

ومنظر الفصل الأول منها هو قصر مصيف الملك العظيم في «سوس» على مقربة من قبر الملك «دارا الأول»، وذلك بعد حدوث الواقعة ببعض الزمن، حلمت «أتوتا» أم الملك حلمًا مزعجًا ينذر بموت «أكزركزيس»، وكانت هي وشيوخ «سوس» في انتظار أخبار عن الحرب، فنشاهد رسولًا يأتي مسرعًا يحمل أخبارًا مزعجة، فيخبر كيف أن الأسطولين واجه الواحد منهما الآخر في مياه «سلامس»، وكيف أن الإغريق تقدموا إلى المعركة ينشدون أنشودة النصر وهم يصيحون:

يا أبناء بلاد الإغريق
تقدموا حاربوا من أجل حرية أرضكم
وأطفالكم وأزواجكم ونجوا محاريب
أجدادكم الآلهة، إن كل شيء في خطر.

وبعد ذلك نرى في الموقعة التي نشبت بعد أن السفن الفارسية قد أغرقت، أو استولى عليها وغرق الجنود أو قتلوا و«أكزركزيس» ينظر إليهم، ترتدي بعد ذلك الملكة ملابس الحزن، وتقدم قربانًا للموتى وتأمر الشيوخ أن يدعوا «دارا» للعودة إلى الأرض ويسديهم النصح، فيظهر شبحه ويندب جنون «أكزركزيس» الذي جلب مثل هذا الخراب على بلاده، ثم يخبرهم أن أمل الفرس الوحيد هو ألا تهاجم مرة أخرى بلاد الإغريق، أما عن عقابهم:

ذهبوا إلى «هلاس» وكان عندهم الشجاعة

أن يسيئوا إلى صور الآلهة ويحرقوا المحاريب
والمعابد ويهشموا الموائد
ومن أجل ذلك عوقبوا.

يختفي الشبح بعد ذلك — وهو خيال ملك جبار — ويعود «أكزركزيس» بأثواب مهلهلة في صورة حزينة، تنقصها عظمة «دارا» ومهابة الملك وتنتهي التمثيلية بصيحات الحزن والخسارة.

وفي استطاعتنا أن نلمس شعور أهل «أثينا» عند رؤية هذه التمثيلية، إذا تخيلنا تمثيلية تمثل أمام المصريين كسر فيها العدو وعاد بالخيبة والفشل، كهزيمة الجيش الإنجليزي مثلًا عند «دمياط» في عام ١٨٠٧ ميلادية أو هزيمتهم مع الفرنسيين في بورسعيد هذا العام.

(٧) أثينا بعد الحروب الفارسية

لا نزاع في أن «أثينا» قد أصبحت ذات شهرة يشار إليها بالبنان، وصارت مكانتها لا تدانيها مكانة بين دويلات بلاد الإغريق، ولا غرابة في ذلك فقد كانت بعض الدويلات الإغريقية الأخرى تنقصها الشجاعة الكاملة لمحاربة العدو، أو قد امتنعت فعلًا مفكرة في مصيرها هي، في حين أن «أثينا» قد ألقت بنفسها في أحضان الخطر مظهرة أقصى ضروب الشجاعة والصبر، رافضة الاستسلام إلى اليأس، فقد رأينا أنها قد خلصت بلاد الإغريق من الغزوة الأولى بطرد الفرس من «ماراثون»، وفي الغزوة الثانية بانتزاع السيادة البحرية من أيدي الفرس، وبذلك كسبت الحرب. وهذا النصر المبين رفعها إلى ذروة المجد والسلطان وعنفوان الحياة وتحيط بها السعادة والفلاح، وتتحلى بالجمال وحسن الذوق بما نشأ فيها من فنون وعلوم كما سنرى بعد.

عندما عاد أهل «أثينا» بعد هذه الحرب الضروس إلى وطنهم بعد التشريد والتشتيت، وجدوا أراضيهم خرابًا بلقعا وبيوت مدينتهم أثرًا بعد عين، فأخذوا في إعادة بناء بيوتهم، وفي إقامة

جدار من جديد حول مدينتهم، غير أن أهل «أسبرتا» أرسلوا إليهم رسولًا في الحال، طالبين إليهم ألا يبنوا هذا الجدار؛ لأن ذلك سيحول المدن إلى حصن للفرس إذا عادوا إليها ثانية. وقد علم «تمستوكليس» أركون «أثينا» بأن هذا ليس هو السبب الحقيقي، وعلى ذلك أخذ يعمل بكل ما لديه من قوة في إقامة هذا الجدار مستعملًا الرجال والنساء والأطفال في إنجازه بما لديهم من المواد التي تقع تحت أيديهم. وقد ذهب هو بنفسه إلى «أسبرتا»، ولكنه عمل ترتيبه بألا يلحق به مبعوثو «أثينا» الآخرون إلا بعد أن يكون بناء الجدار قد ارتفع بالقدر الذي يجعله حاميًا للبلد، وكانت النتيجة أنه في الوقت الذي كان يتساءل فيه الأسبرتيون، ويحتجون على إقامة هذا الجدار وكان «تمستوكليس» يفسر لهم كيف أنه كان مندهشًا من تأخر المبعوثين، كان الجدار قد أقيم فعلًا، ولم يرَ أهل «أسبرتا» بدًّا من قبول الحقيقة الواقعة. بعد ذلك أخذ «تمستوكليس» في تحصين ميناء «بيروس»، التي كانت تقع على مسافة خمسة أميال من الجنوب الغربي من «أثينا»، وقد أصبحت الآن ميناءها الهامة.

(٨) سقوط «تمستوكليس» وتأليف حلف «ديلوس»

أظهر «تمستوكليس» أنه رجل يمتاز بعقل غاية في حدة الذكاء، وأنه سباق إلى فهم ما قد تتمخض عنه الأيام، ماهر في مواجهة الأخطار، لا يعبأ بشيء في سبيل الوصول إلى أغراضه، وقد رأيناه وهو في أوج عظمته، وسنراه الآن وهو يهوي إلى الحضيض.

وقد كانت العادة في «أثينا» أن الرجل إذا أصبح غير محبوب، أو فقد ثقة الناس فيه كان لكل مواطن الفرصة لإسقاطه مرة كل عام بأن يكتب اسمه على قطعة من الفخار، وإذا حدث أن ستة آلاف أعطوا أصواتهم كذلك، فإن الرجل الذي تكون أغلبية الأصوات ضده على قطع الفخار هذه — وتسمى «أوستراكا» — يُنفى لعدة سنوات معلومة. وهذا ما حدث للبطل «تمستوكليس» الذي نفي بعد ذلك إلى «أرجوس». وفي أثناء إقامته هناك اتهمه الأثينيون بأنه على اتصال

بالفرس، غير أن هذه التهمة لم تثبت عليه، ولم يذهب إلى «أثينا» ليدافع عن نفسه بل غادر بلاد الإغريق، وبعد أن طاف كثيرًا في البلدان وصل به المطاف إلى بلاط ملك الفرس، حيث عومل باحترام ووهب موطنًا في آسيا الصغرى حيث مات هناك. وبعد نفي هذا الرجل العظيم ظهر في أفق «أثينا» «أرستيدس» الذي كان يناهضه، ولا يرى رأيه في سياسة البلاد، و«أرستيدس» هذا كان معروفًا بين قومه بأنه يمثل العدالة نفسها، وهو الذي وضع الحجر الأساسي في بناء حلف «ديلوس» الذي تحول فيما بعد إلى الإمبراطورية الأثينية.

وسبب تكوين هذا الحلف هو أن الجزر الإغريقية والمدن التي على ساحل بحر «إيجة»، كانت غير محمية من هجوم الفرس في أية لحظة، من أجل ذلك طلبت هذه المدن إلى «أثينا» أن تصبح قائدتها في حلف يتألف من حكومات ودويلات بحر «إيجة»، وقد قبلت «أثينا» ذلك العرض عن طيب خاطر. وفي عام ٤٧٨ق.م تألف الحلف على أن يكون مقره جزيرة «ديلوس»، وهي جزيرة صغيرة في بحر «إيجة». وقد قيل إنها مسقط رأس الإله «أبوللو» حيث كان يجتمع فيها كل أهل «أيونيا» لتعظيمه. وفي هذه الجزيرة كان يجتمع مجلس الحلف ويتشاور أعضاؤه فيما بينهم، وكذلك كانت مالية الحلف تحفظ فيها. وكان على كل حكومة أن تسهم بسفينة أو أكثر في تكوين الأسطول الإغريقي، أما الحكومات التي لم تكن قادرة على ذلك، فإنها كانت تسهم بالمال سويًّا على قدر الطاقة. وعلى مر الأيام أخذت «أثينا» تجبر البلدان الإغريقية الأخرى على الاشتراك في هذا الحلف، وتقهر التي كانت تحاول الخروج منه، ثم نقلت خزانة الحلف من «ديلوس» إلى «أثينا»، وسبب ذلك أنه على الرغم من أن «ديلوس» كانت جزيرة مقدسة للإله «أبوللو»، ويمكن أن تكون بعيدة عن أي هجوم، إلا أن الأثينيين قالوا إنه يحتمل أن يهاجمها الفرس ويغتصبوا ما فيها، وعلى ذلك فإن الخزانة تكون في أمان تحت حمايتهم، وسبب هذه التغيرات وغيرها من الأمور الهامة أصبح حلف «ديلوس» بعد مضي أربع وعشرين سنة من تأليفه يكون ما نسميه بالإمبراطورية «الأثينية».

(٩) عصر «بركليز»

والواقع أن «أثينا» بعد السيطرة على أعضاء هذا الحلف بلغت أوج رفعتها، ولكن لم تلبث أن بدأت المتاعب تتتابها من أعضاء هذا الحلف، إذ ثار عليها عدد من هذه الدويلات التي كانت خاضعة لسلطانها، وقد تجاسر جيش أسبرتي على مهاجمة «أتيكا»، وأخذ يقتل ويحرق ويخرب البلاد. وقد كان من حسن الحظ أنه كان على رأس «أثينا» وقتئذ قائد حكيم مثل «بركليز»، فقد رأى بفكره الثاقب أنه على الرغم مما كانت تتمتع به «أثينا» من قوة، فإنه لن يكون في استطاعتها أن تخمد الثورات في البلاد الخارجة عليها، وفي الوقت نفسه نحارب «أسبرتا»، فعقد أولًا صلحًا مع «أسبرتا» لمدة ثلاثين سنة وأطلق عليه صلح «بركليز».

وكان «بركليز» هذا رجلًا يمتاز بالجد وضبط النفس وسمو العقل كما كان حاضر الذهن، أرستقراطي النزعة، ديمقراطي الميول، وخطيبًا مصقعًا لا يجري وراء الشهرة الشعبية بل كان يبتعد عنها بطريقة تدل على العزة والاحتشام حتى إن الناس أطلقوا عليه «الألمبي»، وقد بقي ثلاثين عامًا ممسكًا بزمام الأمور في «أثينا» بعزم وأصالة رأي، وقد بدأ أولًا محاولة إغراء الحكومات الصغيرة الإغريقية في بلاد اليونان نفسها في أن تنضم إلى «أثينا»؛ لتكوين اتحاد مؤلف من مدن حرة، وكذلك عمل على إعادة إصلاح المعابد التي خربها الفرس خلال حروبهم؛ لتكون دليلًا على إظهار شكر الأثينيين على ما وهبوهم من نصر على عدوهم الجبار، وعندما رفضت حكومات البلوبونيز هذا العرض حول «بركليز» أفكاره ومجهوداته إلى إعادة بناء معابد «أثينا». وقد استعمل جزءًا من أموال حلف «ديلوس» في النفقات اللازمة لذلك، وعندما عارض نفر من الأثينيين في ذلك أجاب «بركليز» بأنه إذا كانت الجزر والمدن قد أصبحت في مأمن من الفرس، فإن «أثينا» بوصفها رئيسة الحلف هي التي عملت كل ما يلزم للوصول إلى هذا الأمن. ومن المحتمل أن يوافق الإنسان مع المعارضين، ولكن «بركليز» كانت له طريقته، وشرع في جعل «أثينا» أجمل مدن بلاد الإغريق قاطبة، ففي مدى عشرين سنة تقريبًا كان تل

«اكروبوليس» الصخري المنحدر قد توج بالمعابد الجميلة والتماثيل البديعة، ولا بد أن منظرها وقتئذ كان غاية في البهجة في سماء وهواء «أثينا» الصافي وجبالها وبحرها، وبخاصة أن هذه المباني كانت مقامة من المرمر، ولونت بعض أجزائها بالألوان الزاهية. وكان منحدر «اكربوليس» الغربي يؤدي في أعلاه إلى المبنى المسمى «بروبيلا»، وهو بناء جميل مؤلف من عدة عمد له طريق ينفذ الإنسان منها إلى قمة التل، وعن يمينه أقيم على ركن صخري فيما بعد معبد النصر الصغير، وهو مقدس للإلهة «أثينا» ويطل على جزيرة «سلامس».

وكان يشمخ على قمة التل التمثال البرنزي العظيم للإلهة «بلاس أثينا»، وكان شاهقًا في ارتفاعه حتى إن البحارة الذين كانوا يلفون حول أقصى نقطة جنوبية في «أتيكا» كان في استطاعتهم رؤيته. وخلفه أقيم مبنى من أهم مباني العالم. وهذا هو «برثنون» Parthenon[٤] معبد «أثينا» الإلهة العذراء، وكان مقامًا من الرخام الأبيض السمني اللون وزينه الحفار الشهير «فدياس»، وكان يرى من بابه المفتوح من نهايته الشرقية قاعة ذات عمد نصب فيها كذلك تمثال آخر للإلهة نحته «فدياس» أيضًا. وكان مغطى بالعاج وسجف بالذهب ويرتدي خوذة، وزردية وترسا. وهذا التمثال في جماله السامي كان يُعد عند الأثينيين صورة مجسمة لآلهتهم واقفة على استعداد لحماية مدينتها.

ولم تكن المعابد الإغريقية تحتوي على منافذ، ولكن كان الضوء يدخل إليها من الباب الشرقي العظيم — ومن المحتمل كذلك من أحجار المرمر الشفيفة التي يتألف منها السقف — فينتشر على الذهب الوهاج والعاج الذي كان يغطي التمثال. وخلف قاعة الآلهة كانت توجد حجرة صغيرة استعملت خزانة للإلهة «أثينا»، وهي عند الإغريق إلهة الحكمة والنظام الشخصي؛ ولذلك فإن «فدياس» عندما أراد أن يعبر عن ذلك حفر على ترسها، وعلى أماكن في ظاهر المعبد مناظر تظهر انتصارات الإغريق على الأمازون المتوحشة و«سنتور»، ومناظر إلهة منتصرة على شياطين جامحة فخورة، كل ذلك كان المقصود منه التعبير عن روح الإلهة

«أثينا» ومدينتها. وقد حفرت مناظر أخرى على جدران «برثنون» الخارجية؛ لتقص علينا قصة هذه الآلهة. ففي مكان مرتفع فوق العمد كان يوجد في كل طرف مساحة مثلثة تسمى «قوصرة» (واجهة) تحتوي على مجموعة تماثيل، ويفسر لنا واحد منها كيف أن أنباء ولادتها قد انتشرت في الخارج، وتشاهد الإلهة «إريس» إلهة قوس قزح، وهي تنشر ألوانها لتحمل الأنباء السارة، والقوصرات (الواجهات) الأخرى فسرت لنا كيف أن الإلهة «أثينا» قد انتصرت على مناهضها الإله «بوزيدون»، وأصبحت الإلهة الحامية لمدينة «أثينا»، وقد كسبت بذلك لمدينتها الينبوع الملح الذي كان رمزًا لسيادتها في البحر، وكانت قد استولت على الزيتون الذي منحها زيته السيادة على التجارة. وكان يوجد أفريز في داخل الصف الخارجي من عمد المعبد منقوش، وهو يمثل الموكب العظيم الذي أقيم على شرف الإلهة «أثينا». ويخيل للناظر إليه أن صور الرجال والشبان والعذارى وحيوانات الضحية والخيل يسيرون إلى الأمام بين العمد كلما تقدم الإنسان في طريقه خارج المعبد. والواقع أن كل المعبد كان يمثل الخدمة التي قدمها الأثينيون للإلهة اعترافًا بعظمتها وهداياها وقوتها الحامية لهم.

(٩-١) الحياة الاجتماعية في عهد «بركليز»

لقد خلق «بركليز» بالإصلاحات التي قام بها في مدة حكمه الطويل جوًّا صالحًا لحياة ناعمة في «أثينا»، وما حولها من البلدان حتى إن الزائر «لأثينا» في ذلك الوقت كان يرى فيها الحياة تعج بكل ما يدهش النظر ويستولي على اللب، فعندما كانت تطأ قدمه ميناء «بروس» العظيمة التي كان قد حصنها «تمستوكليس» بجدران قوية يبلغ ارتفاعها ستة عشر مترًا، وسمكها خمسة عشر مترًا يراها مزدحمة بالسفن الحربية الأثينية، وسفن الشحن وسفن التجارة. وفي هذه الميناء كانت السفن من كل الجهات القاصية والدانية تفرغ شحنتها من خشب وصوف ونبيذ وقمح وحديد ونحاس وعاج بمثابة مواد للصناعات، وكذلك كانت تتدفق على تلك الميناء التي كانت تعد

المركز الرئيسي لبلاد الإغريق السجاجيد من بلاد العجم والعطور من بلاد العرب وغيرها من المواد الأخرى، التي لا تحصى. وقد قال «بركليز» في هذا الصدد: «إن مدينتنا تجذب محاصيل كل العالم.» ومعظم هذه التجارة كان يقوم بها أجانب يقطنون في «أثينا»، ولم يكونوا يحسبون ضمن المواطنين الأثينيين، غير أنهم كانوا يصبحون غالبًا أغنياء كما كانوا يجلبون الثروة إلى «أثينا» في الوقت نفسه.

وكان يصل الإنسان من ميناء «بروس» إلى «أثينا» بطريق عرضها حوالي مائتي متر يسير فيها الإنسان بين جدارين من الحجر؛[٥] مما جعل «أثينا» تسيطر على البحر، كما كانت تحميها في وقت الحرب. وعندما كان يصل الإنسان إلى المدينة من جهة الغرب، فإنه كان يمر في شوارع بها صناع من كل صنف من الإسكاف وصانع الحبال إلى الصائغ الماهر الذي يصوغ الذهب، وينقش العاج وينحت الأحجار. وهؤلاء العمال كانوا يعملون لحساب أنفسهم، وغالبًا ما كان يساعدهم تلاميذ وعبيد، والواقع أنه كان يوجد عدد عظيم من العبيد في بلاد الإغريق، غير أنهم كانوا غرباء عن «أثينا» إذ كان معظمهم قد جلبوا أسرى حرب أو اشتروا بالمال، وعلى أية حال لم يكونوا يعاملون في «أثينا» معاملة حسنة إلا في مناجم الفضة، حيث كانوا يعملون في أحوال قاسية.

على أن أهم صناع هم أولئك الذين كانوا في حي صناعة الفخار، إذ إن عجلة صانع الفخار كانت تخرج أواني من الصلصال على كل الأشكال والأنواع، مثل جرار النبيذ والزيت والشهد وأقداح الشراب وأواني الخلط، وزجاجات العطور وصناديق المسوح. وكان صانع الفخار الإغريقي ذا عبقرية في عمل أوانٍ أنيقة الشكل، وهي تقلد في أيامنا هذه، وكان يعمل معه مفتنون مشهورون في تزيين الأواني بمناظر من الأساطير الإغريقية، أو مناظر من الحياة اليومية، وكانت ترسم باللون الأسود على رقعة الأواني المائلة للون الأحمر، ومنذ زمن الحرب الفارسية تركت الأشكال بدون صباغة، وكانت المسافات التي بين هذه الأشكال على رقعة الآنية

تملأ بالصبغة السوداء. وكان صناع الفخار والرسامون يفخرون بأعمالهم، وغالبًا كانوا يضعون إمضاءاتهم عليها، مثال ذلك ما كتبه اثنان منهما «ارجينوس» صنعني أو «آسون» رسمني ولا غرابة إذا وجدنا أن الإغريق كانوا يميلون إلى استعمال هذه الأواني في حياتهم اليومية، هذا إلى أن هذه الأواني كانت تصدر إلى خارج بلاد اليونان بكميات كبيرة.

وكثير من مباني «أثينا» الواقعة في هذا الجزء الجنوبي كان يتألف البيت منها من طابق أو طابقين، وله سقف مسطح وليس له نوافذ تطل على الشارع. وهذه كانت بيوت عامة الشعب، وكان يدخل فيها الإنسان من ممر مؤدٍّ إلى ردهة مفتوحة لا سقف لها تحفها الخارجات والحجرات. وكانت هذه البيوت وأثاثها غاية في البساطة؛ لأن أهل «أثينا» كانوا لا ينفقون أموالهم على الكماليات على أنهم في الوقت نفسه كانوا لا يرون أي إسراف في تجميل مبانيهم العامة ومعابد الآلهة، فقد كانوا ينفقون عليها كل ما يمكن إنفاقه. وكانت ربة البيت تصرف معظم وقتها في داخل بيتها تغزل وتنسج وتصنع ملابسها وملابس زوجها بيدها، كما كانت تدير شئون خدم بيتها، وكان تعليمها ضئيلًا إلى أقصى حد، فكانت لا تعرف شيئًا في السياسة، وكانت الفرص أمامها قليلة لتتعلم أي شيء عن العالم الخارجي، أو لمقابلة الناس أو الاختلاط بهم، وكانت لا تخرج قط من بيتها إلا ومعها تابع لها، وكانت بناتها يلزمن عقر دارهن، ويبدأن حياتهن التي كانت لا تختلف في شيء عن حياة أمهن، أما أولادها الذكور فكانوا يرسلون إلى المدرسة يوميًّا عندما كانوا يبلغون السادسة من عمرهم يصحبهم عبد يحمل لقب مربٍّ، وكانوا يتعلمون حتى الرابعة عشرة في المدرسة القراءة والكتابة والحساب، وكانوا يحفظون شعر «هومر»، ويلقونه ويضربون على القيثارة، ويمرنون أجسامهم في «البالاستر» أو مدرسة المصارعة والرقص والتمارين الرياضية. وإذا كان الوالدان من الأغنياء، فإن الأولاد كانوا يستمرون في التعليم حتى يبلغوا السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمرهم، وكان مثلهم بعد ذلك كمثل كل مواطن أثيني يدربون، ويخدمون مدة سنتين في الجيش.

أما حياة الزوج فكانت حافلة بالفوائد، فقد كان كل أثيني مغرمًا بالقيام مبكرًا من نومه، ويخرج إلى الهواء الطلق ويصرف فيه معظم يومه. وكان يترك معظم التجارة للأجانب، ولكن كان لديه مهام عظيمة غير ذلك مثل المناجم أو تجارة الأخشاب التي يمكن أن يكون له فيها فائدة، هذا بالإضافة إلى واجباته العامة، فكان يأخذ دوره بوصفه محكمًا في المحاكم القضائية، وعلى الرغم من أنه قد لا ينتخب عضوًا من أعضاء المجلس أو موظفًا عاليًا، فإنه كان ينتظر منه أن يحضر جمعية الهواء الطلق الخاصة بالشعب؛ لأجل أن يعطي صوته في المسائل العامة. والمواطنون الذين كانوا يتراخون في تأدية هذا الواجب، ويفضلون التسكع في السوق كانوا يساقون منها إلى الجمعية بوساطة عبيد ممسكين بحبل طويل مدهون بالزنجفر — لون أحمر — الذي كان يلون ملابسهم ويظهرهم بأنهم يميلون إلى الكسل والبلادة. وقد أنشأ «بركليز» أجرًا صغيرًا للخدمة في المحاكم القضائية؛ وذلك لأنه أراد أن يجعل كل مواطن قادرًا على أن يقوم بنصيبيه فيختار محكمًا، ولكن شيوخ «أثينا» هزوا رءوسهم استهزاءً من أجل دفع مقابل للناس على أداء واجبهم.

وبجانب حي صناع الفخار كانت السوق «أجورا» مزدحمة قبل الظهر، وذلك عندما كان سكان القرى يعرضون محصولهم على دككهم في حوانيتهم. فكانوا يبيعون هنا خضرهم وفاكهاتهم وجبنهم ونبيذهم ودجاجهم وخنازيرهم، وكذلك كانت توجد دكك منوعة للفخار والأحذية والكتب، وغير ذلك من المناظر المألوف رؤيتها في الأسواق، ولكن موضع هذه السوق كان ذا جمال خارق لحد المألوف؛ لأنه كان يشرف عليه تل «الأكربوليس» بمعابده وتماثيله التي كانت متعة للناظرين، وبجانب «الأجورا» قاعة عمد ملونة بمناظر من موقعة «ماراثون»، والاستيلاء على «طروادة»، والواقع أن «الأجورا» كانت تقابل ما نسميه الآن مقرًّا مدنيًّا لا مجرد سوق. إذ في هذا المكان كان في مقدور الأثينيين أن يناقشوا مع أصحابهم السياسة الحاضرة والأخبار، أو الشائعات التي على الألسن، وكذلك آخر رواية مثلت أو أحدث تمثال ظهر.

والواقع أنه كان هناك شيء جديد يرى أو يسمع؛ مما جعل الحياة شيقة متجددة لأهل «أثينا» المغرمين بالإفاضة في الحديث. وكانت وجبة المساء تؤخذ في البيت، وهي أهم وجبة عندهم في اليوم. وكان لا يسمح للنساء على أية حال أن يشتركن في هذه الوجبة إذا كان فيها ضيوف. هذا ولم يكن مصرحًا للنساء على أية حال بالذهاب إلى المسرح لحضور الروايات التراجيدية أو الاشتراك في بعض الأعياد، وبخاصة عيد «باناثنا» الكبير الذي كان يعقد في الصيف كل أربع سنوات على شرف الإلهة «باللاس أثينا»، وكانت تختار عذارى أثينيات ليغزلن مدة تسعة أشهر قبل انعقاد هذا العيد الكبير قطعًا مستطيلة من النسيج مصبوغة باللون الأصفر؛ لأجل أن تكون ثوبًا يقدم لهذه الإلهة. وكانت ستة الأيام الأولى من العيد تخصص للمباراة في الموسيقا وإلقاء القصائد والألعاب الرياضية. وفي اليوم الأخير كان يعمل سباق المشاعل الذي كان يتسابق فيه الشباب بشعلة متقدة من نار مذبح «بروميتوس» Prometheus[٦] إلى المدينة، وكانت المكافأة يحظى بها الشاب الذي يصل أولًا بالشعلة وهي لا تزال متقدة. وفي أعياد أخرى كان هذا السباق بالتناوب، وذلك أن الشعلة كانت تسلم من شاب لآخر لكل أفراد الفرقة بالتتابع. والمكافآت على الألعاب كانت جرارًا كبيرة تحتوي زيتًا جميلًا من شجر الزيتون المقدس عن الأثينيين. وهذه الأواني كان مرسومًا عليها باليد صور الآلهة على أحد جانبيها، وعلى الآخر كانت غالبًا تصور صور الحادثة التي من أجلها كسبت الجائزة. وفي آخر يوم من أيام هذا العيد كان يقام موكب عظيم، يفتتح أولًا بسفينة تسير على أسطوانات، والثوب الزعفراني اللون منشور على ساريتها كأنه شراع، ثم يتبع ذلك عذارى يحملن سلالات قربان وثيران بيضاء للتضحية، وشيوخ يحملون أغصان الزيتون، وشبان يمتطون ظهور الخيل، أو يقفون بجوار الجياد والعربات — وهذا الجزء الأخير من الموكب كان منقوشًا في أفريز معبد «البرثنون» — وكان الموكب صاعدًا المنحدر الحاد «للأكروبول» في داخل البوابات العظيمة ومارًّا «بالبرثنون» إلى معبد كان يضم

تمثالًا قديمًا من الخشب مقدسًا للإلهة «باللاس أثينا»، وعليه كان يوضع الثوب الزعفراني اللون. هذا وكانت نهاية العد سباق قوارب لا نعرف شيئًا عن تفاصيله.

(أ) الألعاب الرياضية والألعاب الأولمبية

كانت تقام أعياد أخرى بالإضافة إلى الأعياد الخاصة التي كانت يحتفل بها على شرف إله أو إلهة المدينة الواحدة، وهذه الأعياد كانت تدعى الأعياد «البانهيلانية» أي: لكل بلاد «هليوس» وهو الاسم الذي كان يطلق على العالم الإغريقي كله. وكان يحضرها إغريق من كل دنيا الإغريق. وكان يحتفل بواحد من هذه الأعياد في «دلفي»، وقد تحدثنا عنه فيما سبق، وسنتناول بالوصف الآن أشهر هذه الأعياد العامة قاطبة، وكان يقام في «أولمبيا» في «أليس» الواقعة على الساحل الغربي لشبه جزيرة «بلوبونيز» على شرف الإله «زيوس» أعظم آلهة الإغريق، وكان صاحب شهرة في كل العالم؛ بسبب الألعاب والمباريات التي كانت تحدث في هذا العيد.

ولا بد أن نفهم أولًا أن الألعاب الرياضية كانت تؤلف جزءًا من تربية كل شاب إغريقي، بل من حياة الرجل الإغريقي، وكانت كلما نمت المدن بنيت فيها ملاعب للرياضة البدنية، ولم تكن هذه مسقوفة كما هي الحال عندنا، بل كانت ملاعب كبيرة محاطة بعمد وتقع بجوار مجرى ماء وخميلة أشجار للتبريد.

وكان الرجل الرياضي يخلع ملابسه، ثم يدلك جسمه بالزيت لتصير أطرافه لدنه، وكان في بعض التمارين مثل المصارعة يرش جسمه بالتراب أو البدرة ليحفظ جسمه باردًا وجافًّا. وهذا الزيت وهذا التراب كانا يزالان من جسمه فيما بعد بالكحت بوساطة آلة صغيرة. وكانت التمارين تحتوي على الجري والمصارعة والنط والرماية بالحربة أو القرص — وهو قرص مسطح مستدير من الحجر أو المعدن — وكانت هناك ألعاب أخرى مثل لعب الكرة، وهذه كانت تشبه لعبة الهوكي الآن. ولدينا صور على أوانٍ نشاهد فيها المدربين واقفين بجوار اللاعبين،

وبيد كل واحد منهم قضيب وكذلك نشاهد رجلًا ينفخ في مزمار ليساعد التلميذ؛ ليتحرك بطريقة إيقاعية جميلة لا بالقوة والسرعة فحسب، وبعد انتهاء التمرينات كان ينغمس اللاعب في ماء بارد أو يقف تحت «دش»، ثم يدلك مرة أخرى بالزيت ويحك جلده بآلة خاصة، وبكل هذا التدريب أصبحت الإغريق أمة رياضية. وكانت أجسامهم القوية الرشيقة موضوعات مغرية للمثالين المشهورين في هذه الأيام. وكان الرسل يأتون كل أربعة أعوام إلى كل مدينة من مدن «هيلاس»؛ ليدعوا المواطنين الأحرار من الإغريق ليأتوا إلى «أولمبيا»؛ ليحتفلوا بالعيد الذي كان يعقد هناك في أواخر الصيف. وكان هؤلاء يستقبلون في كل مكان بنفس الترحاب العظيم، سواء أكانت المدينة في بلاد الإغريق نفسها أم بعيدة في إيطاليا أو مصر أو سواحل البحر الأسود. ولم يكن الرياضيون وحدهم هم الذين يستعدون للرحيل إلى «أولمبيا»، بل كان ينتخب رجال بمثابة وفود يمثلون مدينتهم في كل الأحفال التي كانت تقام في «أولمبيا»؛ وذلك لأنه كان من المستحيل على كل المواطنين أن يذهبوا إلى مكان بعيد كهذا، ويتركون عملهم مدة طويلة كهذه.

وكان الرسل يعلنون باسم الإله «زيوس» هدنة مقدسة.[٧] وبذلك تكون خمسة الأيام الخاصة بالعيد والرحلات برًّا وبحرًا من كل أنحاء العالم الإغريقي في مأمن من الحرب أو الخطر.

وكلما اقترب يوم الاحتفال ازدحمت الطرق البحرية والبرية المؤدية إلى «أولمبيا» أكثر فأكثر بالإغريق الذين كانوا في سبيلهم إلى مكان العيد، وهو سهل صغير محوط بالتلال ويرويه نهر جارٍ. وكان كل المتنافسين قد سبقوا إلى هذا المكان بمدة شهر أو أكثر؛ ليتمرنوا في مكان المسابقة على حسب قواعد الألعاب، وكان هؤلاء والممثلون يقيمون في أحياء خاصة، ولكن بعض الزوار كانوا ينامون في خيام أو في أخصاص في العراء. ولم يكن يسمح لأحد أن ينام في البقعة المقدسة التي كانت تشمل المعابد والموائد الخاصة بالآلهة بما في ذلك أقدس مكان وهو معبد «زيوس» نفسه. ففي هذا المعبد كان يجلس تمثال الإله المصنوع من الذهب والعاج على

عرش منحوت من العاج والأبنوس، ومزين بالذهب والأحجار الكريمة، ومعه صورة «النصر» في يده اليمنى وصولجان في يده اليسرى. وهذا التمثال كان أعظم قطعة فنية أخرجتها يد المثال «فدياس»، وكان التمثال ذائع الصيت لا لحجمه الذي كان يبلغ أربعين قدمًا؛ بل لأن جلاله وجماله قد ملأ أذهان الناس بما يوحي من هيبة واحترام.

وهذا المعبد بالإضافة إلى الأرض المقدسة التي كان مقامًا عليها يُعد المركز الهام للجزء الديني في هذا الاحتفال. فكان القضاة والمدربون والرياضيون يعقدون الأيمان عند مذبح «زيوس» العظيم الذي كان موضوعًا خارج المعبد بالضبط في اليوم الأول، على أن يكونوا معتدلين في مسابقاتهم. وكان يقام في اليوم الثالث موكب عظيم يسير فيه قضاة الألعاب مرتدين ملابس أرجوانية، وكهنة، وممثلون من المدن حاملين هدايا من الأواني الذهبية والفضية. ويقفو هؤلاء خيالة بعرباتهم والرياضيون وأصحابهم. وكل هؤلاء كانوا يقدمون ضحية مقدسة، وكان يهصر من شجرة الإله المقدسة أغصان زيتون للأكاليل التي كانت تعطى مكافآت للانتصار في الألعاب، وفي اليوم الخامس كان المنتصرون يقدمون ضحية للإله «زيوس»، وهم متوجون بهذه الأكاليل.

وخلافًا لهذه الأحفال كانت هناك أشياء كثيرة تهم الزوار، إذ كان في استطاعتهم أن يجولوا في وسط الأشجار المقدسة لهذه البقعة متفرجين على المعابد والتماثيل، وعلى الهدايا التي أحضرت للإله، وكان يمكنهم أن يسمعوا الفلاسفة والشعراء، وكان المؤرخون يقرءون مؤلفاتهم، ويصغون إلى الرسل وهم يعلنون قوانين جديدة لهذه المدينة أو تلك أو معاهدة أبرمت بين اثنتين منها، وكل هذه الأشياء كانت هامة عند الإغريق لما جبلوا عليه من حب الاستطلاع، غير أن هذه لم تكن مثيرة لعواطفهم، كالألعاب التي كانت تعقد في الأيام الثانية والثالثة والرابعة من أيام هذا العيد.

ولما كانت النساء المتزوجات لا يسمح لهن بحضور هذه الألعاب، فإنهن كن يكتفين بألعابهن الخاصة في عيد النسوة الذي كان يحتفل به على شرف الإلهة «هيرا»، وهذا العيد كان يعقد في «أولمبيا»، ولكن في أعوام مختلفة عن عيد الألعاب العظيمة، والظاهر أن النسوة اللائي كن يحضرنه هن اللائي كن يسكن بالقرب منه وهو عيد بسيط إذا ما قرن بعيد الرجال.

الألعاب

وكان أول سباق هو سباق العربات الذي كان يسبب انفعالات، وضجة شديدة لدى المتفرجين عندما كانت العربات تنهب الأرض وهي تلف حول المضمار لقطع الشوط الذي كان يبلغ طوله تسعة أميال. وكان يتبع ذلك سباق الخيل غير المسرحة، هذا إلى عمل التجارب في المضمار للرياضيين، وهي التي كانت تتألف من الجري والنط والرماية بالقرص والحربة. وكان هناك محكمون على وجه عام للمكافأة، وفي اليوم الثالث كانت ألعاب الأولاد وتحتوي على الجري على الأقدام والمصارعة والملاكمة. وفي اليوم الرابع كان سباق جري الرجال الذي كان يختلف في الطول بين مائتي ياردة إلى ثلاثة أميال. ويمكن أن تشاهد حتى الآن العلامات التي في الحجر، حيث كان المتسابقون يدوسون الخط الفاصل، ويأتي بعد ذلك بعض المصارعة، والملاكمة القوية جدًّا، وكانت محببة بدرجة عظيمة لدى المتفرجين، وأخيرًا تأتي مباراة السلاح. وكان آخر يوم ينتهي بالابتهاج وبإقامة وليمة عامة كان الفائرون يدعون لها.

وفي اليوم التالي لذلك يعود الكل إلى مدنهم، وكان المهزومون على حسب قول الشاعر «بندر» يصلون إلى أوطانهم خلسة مصابين بسوء حظهم، ولكن الفائزين كانوا يستقبلون بالفرح؛ لأنهم قد حملوا معهم الشرف لمدينتهم على مرأى من كل «هلاس»، وكانت أناشيد النصر تكتب على شرفهم بقلم الشاعر «بندر» وغيره من شعراء العصر، وكانت تنشدها الجماعات من الرجال والأولاد، وذلك خلال ما كان البطل الفائز يرتدي الثوب الأرجواني، ويسير في عربة إلى معبد

الإله الرئيسي للمدينة؛ ليقدم له إكليل نصره المصنوع من أغصان الزيتون. وكان الفائز في «أثينا» يمنح مكافأة كما كان له الحق في أن يحتل مكانه شرف في الأعياد العامة، ويتناول وجبات بدون ثمن في قاعة المدينة «بريتانيوم» إذا كان في حاجة إليها. أما إذا كان الفائز قد انتصر في ثلاثة ألعاب في المباريات في ثلاث دورات متتاليات، فإنه كان يقام له تمثاله في «أولمبيا» نفسها.

والواقع أن هذا العيد كان غاية في الأهمية في أعين الإغريق، حتى إنهم عندما كانوا يريدون أن يؤرخوا أية حادثة وقعت لهم كانوا يحسبونها من أول سنة ٧٧٦ق.م وهو تاريخ أول انعقاد للعيد الأولمبي — أي: كما يؤرخ المسيحيون بتاريخ عصر المسيح والمسلمون بهجرة سيدنا محمد ﷺ — والألعاب التي تقام في هذا العيد كانت، ولا تزال شهيرة حتى أطلقنا في عصرنا على الدورات العالمية، التي تعقد في ممالك العالم المختلفة الحديثة اسم الألعاب الأولمبية.

(ب) أول ظهور الدراما الإغريقية

تدل شواهد الأحوال على أن الدراما الإغريقية لم تكن الأولى من نوعها في العالم، فقد دلت البحوث والكشوف الحديثة على أن الدراما المصرية قد سبقتها في هذا المضمار بآلاف السنين، وقد شرحت هذا الموضوع في غير هذا المكان.[٨] وكما أن الدراما المصرية كانت خاصة بالإله «أوزير»، فإن الدراما الإغريقية كانت كذلك خاصة بالإله «ديونيسيس». وتدل الموازنة على أن كل دور منهما كان واحدًا لدرجة أن بعض المؤرخين يعتقد أن «ديونيسيس» مشتق من «أوزير»، وعلى أية حال سنحاول هنا أن نفسر معنى كلمتي «تراجدي» (= مأساة) و«كومدي» (= تمثيلية مضحكة)، لا كما نفهمها نحن الآن، بل كما كان يفهمها الإغريق في بادئ الأمر في مسارحهم، وبخاصة في مسرح «أثينا» في عز مجدها.

ففي نهاية شهر مارس من كل سنة كان يعقد عيد عظيم للإله «ديونيسيس» إله الخمر، وهو الذي على شرفه نمت الدرامات. فكان في كل يوم من أيام العيد الثلاثة يهرع الناس عند مطلع الفجر إلى مكان فسيح مكشوف مستدير تقريبًا يحتوي على مقاعد مدرجة، نقرت في جانب تل «الأكروبوليس»، وهذا كان مسرح «ديونيسيس»، وكانت مقاعده من غير ظهر وغير مقسمة وضيقة وخشنة. وكان من الخير لكل إنسان أن يحضر معه وسادة وطعامًا يكفيه يومًا كاملًا، ولكن كان محرمًا عليه أن يحضر معه مظلة؛ لأن ذلك كان يضايق الصف الذي خلفه. وكان المتفرجون الذين يبلغ عددهم حوالي خمسة عشر ألف نسمة يفدون على المكان شيئًا فشيئًا، فكان منظرًا بهجًا، إذ كان القوم يلبسون في مثل هذه المناسبة ملابس مختلفة ألوانها زاهية، كما كانوا يلبسون كذلك الملابس البيضاء المعتادة. وعندما كان وقت التمثيل يقترب كانت المقاعد التي في الصف الأول، وهي التي كانت محجوزة للأفراد الذين أرادت المدينة أن تكرمهم، تملأ بالموظفين والكهنة والقواد والأطفال الذين سقط آباؤهم في ميدان الشرف من أجل مدينتهم، والسفراء من الحكومات الأجنبية، أما مكان الشرف الأول، فكان يتربع فيه كاهن الإله «ديونيسيس»، وكان يوجد أسفل الصف الأول من المقاعد مكان مسطح مستدير يدعى أوركسترا أي: «مرقص»، وفي وسطه مذبح الإله «ديونسيس» وخلف ذلك كان من المحتمل طوار منخفض له ظهر كان يمثل عادة واجهة قصر؛ وذلك لأن الروايات التمثيلية كانت غالبًا تتناول الأسر الملكية، غير أن الشاعر لم يكن مرتبطًا بمثل هذا المنظر إذا كان يريد أن يمثل واجهة معبد، أو منظرًا طبعيًّا ولم يكن هناك ستارة. وفي هذا الوقت كان المحكمون الذين سيمنحون المكافأة في مقاعدهم؛ وذلك لأن العيد كان مباراة لأحسن رواية تمثيلية كتبت ومثلت أحسن تمثيل. وقد كان ينتخب ثلاثة شعراء واحد لتمثيل يوم، وكان هذا اليوم طويلًا أيضًا؛ وذلك لأن كل شاعر كان قد كتب ثلاث مآسٍ — وغالبًا ما يكون بعضها مرتبطًا ببعض ارتباطًا تامًّا في الغرض، وتكون في الأغلب كأنها ثلاثة فصول طويلة لتمثيلية واحدة — وكان يأتي بعدها مباشرة رواية مضحكة تكون

بمثابة تفريح للنظارة بعد مشاهدتهم تلك المآسي. وكان جوق هذه التمثيليات يمثل في صور «بجن»، وهي مخلوقات طروبة لها أنوف فطس، وآذان مدببة وحوافر وذيول، وكانوا متصلين بعبادة الإله «ديونيسيس».

وأكبر كتاب المأساة — تراجدي — عند اليونان ثلاثة وهم «إيسكبلس» (٥٢٥–٤٥٦ق.م) وقد اشترك في حرب موقعة «ماراثون». ثم «سوفوكليس» (٤٩١–٤٠٤ق.م) وقد كان قائدًا في إحدى حروب «أثينا» فيما بعد، وأخيرًا «يوربيديز» (٤٨٠–٤٠٦ق.م) وهؤلاء الشعراء الثلاثة كانوا مختلفي المشارب اختلافًا بينا، فكان «إيسكيلس» خشنًا فطنا ولكنه كان عظيمًا. حقًّا كانت مآسيه غاية في الجمال، ولكنها كانت قد كتبت بصورة جدية حتى إنها بعد بضع سنين أخذ الناس يملونها، وصوتوا للإجازة في جانب «سوفوكليس»؛ وذلك لأن أشخاص تمثيلياته لم يلبسوا صورًا جدية ورسمية، بل ظهروا كأنهم أناس حقيقيون، ومن ثم نجد أن «سوفوكليس» كان أكثر تهذيبًا منه كما كان أهدأ نفسًا. أما ثالثهم وهو «يوريبيديز» Euripides، فإنه على ما يظهر كان يفهم الشعب الذي يكتب له أكثر من «سوفوكليس»، وكان يحب الطبيعة ولذلك كانت رواياته تستهوي السامعين بسرعة وتحرك عواطفهم؛ لأنها كانت مليئة بموضوعات إنسانية كثيرة.

ولا نزاع في أن هؤلاء الشعراء الثلاثة قد كتبوا بعض ما يفخر به الأدب العالمي. وكانت موضوعات قصصهم مأخوذة من الأساطير عادة، وأحيانًا من التاريخ القديم المبكر أي: من قصص الآلهة والأبطال، أو من موضوعات حروب «طروادة» ونتائجها. وقد ساعد ذلك كثيرًا المتفرجين على فهم التمثيلية؛ لأنها كانت من صميم تاريخهم القومي وخرافاتهم الشعبية.

وسنضع أمام القارئ هنا ملخصًا لإحدى تمثيليات «سوفوكليس»، ولتكن رواية «أنتيجون» Antigone، وهي تمثيلية شهيرة أخذ موضوعها من قصة «طيبة»، إحدى بلدان الإغريق التي كان لها شأن عظيم في تاريخ هذه البلاد قد أتى عليها فترة كانت أقوى دولة في بلاد الإغريق.

وأهم أشخاص التمثيلية، وكلهم من البيت المالك في «طيبة» هم «أنتيجون» و«اسمين» وهما أختا «أوتوكليز» و«بولينيسس»، اللذين كانا قد ماتا ثم كرون عمهما وكان وقتئذ ملك «طيبة»، وكان ابنه المسمى «هامون» خطيب «أنتيجون».

وتوجد جوقة مؤلفة من خمسة عشر طيبيًا مسنًّا، والمنظر هو واجهة قصر «طيبة». ولم يكن على المسرح أكثر من ثلاثة ممثلين لهم أدوار يتكلمون فيها في أي منظر من أية تمثيلية إغريقية، ولكن كان يوجد على المسرح ممثلون كثيرون لا يتكلمون كالجنود ورجال البلاط وغيرهم، وقد دخلت كل من «أنتيجون» و«اسمين»، ومثلتا برجلين اختيرا لقوتهما وجمالهما وصوتيهما، وكانا يلبسان قناعين ليظهرا نوع الشخصية التي يمثلها كل منهما، كما كانا يلبسان أحذية بنعال سميكة جدًّا لتزيد في طولهما، وكانت الأختان ترتديان ملابس الحداد لموت أخويهما. وقبل بداية التمثيلية كان «أوتوكليز» قد نقض عهده في أن يحكم «طيبة» بالتناوب مع «بولينيسس»، الذي جاء وقتئذ بجيش من بلدة «أرجوس»؛ ليحارب مدينته «طيبة». وقد هزم هذا الجيش وقتل الأخوان الواحد منهما الآخر في مبارزة. وعلى ذلك اعتلى عمهما «كرون» عرش الملك، وأصدر منشورًا حرم على كل فرد دفن «بولينيسس»، وحدد عقوبة الموت لكل من خالف ذلك؛ بسبب أنه كان قد أتى لأجل «أن يحرق بالنار أرض وطنه ومحاريب أجداده الآلهة ويسفك دماء أقاربه».

وكان الإغريق يعتقدون أن روح المتوفى لا يستقر لها مكان حتى يدفن جسده. وفي المنظر الافتتاحي تخبر «أنتيجون» أختها «اسمين» أنها عازمة على دفن جثة «بولينيسس»، أو على الأقل تذر عليها الرماد؛ لأن ذلك كان يقوم مقام الدفن. وقد حاولت «اسمين» عبثًا صرفها عن عزمها. تترك الأختان بعد ذلك المسرح، ويدخل بعدهما الجوقة المؤلفة من خمسة عشر مسنًّا من رجال «طيبة»، وهنا ينشدون ويغنون عن الواقعة التي وقعت عند جدران المدينة. وفي أثناء غنائهم يقفون أو يتحركون في رقصة مقدسة مظهرين في حركاتهم وأوضاعهم رجفتهم،

واستبشاعهم للعمل الذي ارتكبه «بولينيسس»، كما كانوا يظهرون فرحهم واغتباطهم لنجاة «طيبة» ـــ وكذلك كانوا يغنون مقاطيع فرح وخوف وتحذير على فترات خلال التمثيلية ـــ ثم يخرج «كرون» من القصر، فيعرف بسهولة بملابسه الملكية الفاخرة وحاشيته، ولم يمضِ طويل زمن حتى يدخل حارس ليخبره أن فردًا ما قد ذر التراب على جثة «بولينيسس»، وبعد أن تغني المجموعة أغنية يدخل الحارس مرة أخرى، ومعه «أنتيجون» التي أمسك بها وهي تصب القربان على جثمان أخيها على الرغم من أمر الملك. يترك بعد ذلك «كرون» و«أنتيجون» وجهًا لوجه. فهو يتمسك بما جاء في منشوره؛ لأن واجبه نحو دولته أن يقف خرق القانون بهذه الكيفية، ولكنها من جانبها تفخر بعملها الصالح؛ لأنها كانت قد قامت بواجبها نحو أخيها، وهي عالمة تمامًا أن ذلك يعني موتها:

لا أعتقد أن مرسوم رجل
له القوة حتى يعلو قوانين السماء
التي لم تكتب وثابتة لأنها تعيش
لا الآن ولا أمس بل في كل الأزمان أبديًّا.

وهكذا لم يتحول كل منهما عن عزمه، والواقع أن هذه لم تكن معركة بين شخصين كل منهما مصمم على ما عزم عليه، بل إن هذا كان تصادمًا بين واجبين عظيمين لقوانين الإنسان وقوانين الآلهة. وكانت «أنتيجون» و«اسمين» قد اقتيدتا إلى القصر محروستين، وكانت «اسمين» تريد أن تشاطر أختها مصيرها على الرغم من عدم رضا «أنتيجون» بذلك. وقد أخلى سبيل «اسمين»، أما «أنتيجون» فقد سبقت إلى الموت في حجرة مسورة. وعلى الرغم من كلمات المجموعة التي فاهت بها لنصح الملك وتضرعات «هامون»، ثم توبيخه المر للملك فإنه لم يتزحزح عن قراره. ولكن في نهاية الأمر خضع «كرون» لتحذيرات كاهن عجوز أعمى بعد أن سمع منه أنه ومدينته سيحل بهما عقاب فظيع من الآلهة الذين غضبوا من أجل رفضه شعائر

الدفن. وعلى ذلك دفن «كرون» جثمان «بولينيسس»، وذهب ليخلص «أنتيجون» من الموت ولكنه أتى متأخرًا، إذ وجد أنها قتلت نفسها بيدها وأن «هامون» قد انتحر فوق جثتها. وقد بقي «كرون» في يأس وذهبت عنه كل سعادته، وولت أيام نعيمه. والكلمات الأخيرة التي أنشدتها المجموعة تقدم لنا درسًا عن مغزى التمثيلية:

إن أهم نصيب من السعادة
هو أن تكون عاقلًا ومحترمًا للآلهة
وكلمات الكبرياء العظيمة تعاقب بضربات شديدة
وهذه تعلم الناس أن يكونوا عقلاء في سن الشيخوخة.

التمثيلية الهزلية

كان أعظم مؤلف للروايات الهزلية الشاعر «أريستوفانيس» الذي عاش بعد المؤلفين الثلاثة للمآسي الذين سبق ذكرهم. وقد كان مغرمًا بأن يسخر من مواطنيه، وقد كانت سخريته لاذعة ومليئة بالنكتة لدرجة أن الأثينيين أنفسهم لم يستغنوا عن التمتع بها، ولكنه كان يقصد من وراء هذه الهزليات إصلاحات معينة، فكان يندد بالأخطاء التي يراها في نظام الديموقراطية وغير ذلك من الأمور الهامة في نظام الحكم.

فنجد أنه في إحدى هزلياته التي سماها «العصافير» — والمجموعة في هذه التمثيلية كانت تظهر بملابس في صور عصافير — وموضوع الرواية هو بناء بلد خيالية في الهواء العلوي، وذلك أن اثنين من الأثينيين كانا قد ملَّا من كثرة القضايا في مدينتهم فهربا من الناس إلى الطيور، وأغرياها لتبني لهما مدينة في السحاب، وتلك كانت تسلية عظيمة للأثينيين؛ لأنه كان لا يوجد لديهم على ما يظهر تسلية إلا الذهاب إلى المحكمة، والسماع إلى القضايا والمحاكمات، ولا بد أن المتفرجين قد ضحكوا بملء قلوبهم عندما قال أحد شخصيات الرواية:

لأن الجنادب تجلس مدة شهر
تزقزق على الأغصان، ولكن الأثينيين
يجلسون يزقزقون ويتناقشون طوال السنة
جاثمين على نقاط من البيان والقانون.

وفي تمثيلية أخرى تسمى «الضفادع» — سميت كذلك بسبب أغنية الضفادع في الجزء الأول من التمثيلية — قرن فيها بين «إيسكيلس» و«يوريبيديز»؛ وذلك لأنه نصب ميزان على المسرح وضع في كفتيه أبيات ذات وزن من شعر إيسكيلس وأبيات فذة من شعر «يوريبيديز»، وقد تقدم «إيسكيلس» طالبًا أن يوضع سطران من كلامه في كفة مقابل «يوريبيديز»، وكل مؤلفاته وجميع أسرته في الكفة الأخرى. وقد حكم القاضي في صالح «إيسكيلس»؛ وذلك لأن كلماته الرتيبة ورأيه الصائب تؤهله تمامًا ليقدم للدولة النصح في متاعبها التي كانت تئن منها. وليس المجال هنا للتحدث أو لوصف هذه التمثيليات الهزلية، وما كانت تنطوي عليه من خليط من الجمال والخشونة، النقد الصائب والعبث الحسن. ومن المحتمل أنها كانت تمثل في أوقات العصر، فيختم بها يوميًّا الأعياد العظيمة.

وفي خلال القرن الذي تلا عهد «بركليز» تغير وجه الرواية الهزلية، فقد استحالت الخشونة إلى النعومة والرقة، والشطط السياسي إلى قصص من صميم الحياة اليومية.

وأعظم كتاب للروايات الهزلية الحديثة، كما كانت تسمى هو «مناندر» الذي كانت رواياته الهزلية نموذجًا للكتاب الهزليين من الرومان فيما بعد، وهم الذين بدورهم أثروا على كتاب الروايات الهزلية الحديثة.

(ج) المؤرخون

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه كان يعيش في عهد «بركليز» مؤرخان عظيمان، وهما «هردوت» و«ثوسيديدس»، ويرجع الفضل إلى «هردوت» في معظم ما نعرفه عن حروب الفرس، فقد كانت الدنيا في ذلك العصر مكانًا صغيرًا ولم يكن المتمدينون فيها يعرفون إلا الشيء القليل عنها وعن أحوالها. وقد جال «هردوت» في كل الأنحاء التي كانت معروفة في عهده، فكان أينما حل يفتح عينيه وأذنيه، كما كان يضع الأسئلة الكثيرة للناس، وبعد ذلك دون ما رأى وما سمع، وكتابته كانت تحفة قصصية، فمثلًا عندما وصف مرور «أكزركزيس» على مضيق «هلسبونت» تجده يقف ويصف لنا القوم وصفًا شيقًا، وكان متأكدًا أن قراءه كانوا يحبون السماع إليه. ولدينا قصة حسنة في ذاتها حتى لا يسع الإنسان إلا تصديقها، وهي أنه قرأ تاريخه الذي ألفه في المباريات الأولمبية، ويقال: إنه كان ضمن من استمع عليه صبي في الخامسة عشرة من عمره يدعى «ثوسيديدس»، وأنه عندما سمع صيحات الاستحسان المتكررة اغرورقت عيناه بالدموع، وقال في نفسه: «وأنا كذلك سأكون مؤرخًا.» وقد أصبح «ثوسيديدس» مؤرخًا في شهرة «هردوت»، ولكنه لم يجعل قارئيه يشعرون كأنه يقص قصة، كما وجد هو لذة كبيرة عند قراءة «هردوت»، غير أنه كان واضحًا في كتابته معتدلًا، يرى بثاقب رأيه الأسباب التي دعت للحوادث التي يسردها، ويذكرها بوضوح تام واهتمام حتى إن كثيرًا من الكتاب قرءوا مؤلفاته مرارًا ساعين في أن يتعلموا أن يكتبوا كما كتب. وإليه يرجع الفضل في تدوين حروب «البلوبونيز» التي دارت بين «أثينا» و«أسبرتا» واشترك هو فيها.

---

[١] عزرا، الإصحاح الأول السطر ١–٤.

[٢] راجع: Cambridge Ancient Hist. vol. IV P. 207.

النضال بين «أثينا» و«أسبرتا» أو الحروب البلوبونيزية ٤٣١–٤٢١ق.م

في الوقت الذي كانت فيه «أثينا» تنمو وتزدهر وتقوى في جمال وروعة كانت «أسبرتا» لا تزال على ما كانت عليه قديمًا من عيشه خشنة ساذجة، فلم يكن لها مبانٍ فخمة ولا تماثيل هائلة ولا نقوش فاخرة، هذا فضلًا عن أن حلف «ديلوس» قد تطور إلى إمبراطورية أثينية، كل هذا قد أهاج شعور الحقد والغيرة في نفوس أهل «أسبرتا». وقد رأت الآن أن مكانتها في بلاد اليونان أصبحت مهددة، وأن تجارتها في خطر، وأن بلاد الإغريق التي كانت في نظرها فيما سبق حرة قد أصبحت مستعبدة في قبضة الأثينيين. فأخذت تجمع حولها شيئًا فشيئًا حلفاء من دويلات أرض الإغريق، كانت تشاطرها أفكارها وغيرتها من «أثينا»، وتعهدت لها ألا تتركها دون مساعدة إذا حلت أية كارثة. وفعلًا حدث أمر خطير عام ٤٣٣ق.م، وذلك أن «كورسيرا»، وهي جزيرة بعيدة عن ساحل «أبيروس» قد تشاجرت مع المدينة التابعة لها، وهي «كورنث» فالتجأت إلى «أثينا» لتساعدها.

وقد كان حادث «كورسيرا» هو الشرارة التي أشعلت النار في كمية من مواد الحقد، التي كانت تتراكم بعضها فوق بعض منذ سنين عدة مضت، فعندما أرسلت نجدة لجزيرة «كورسيرا» لجأت «كورنت» إلى «أسبرتا» تطلب مساعدتها، وبعد جدال طويل أنشبت الحرب أظفارها بين الفريقين. كان في جانب «أسبرتا» كل بلاد البلوبونيز تقريبًا، هذا بالإضافة إلى «كورنث» و«مجارا» الواقعة على برزخ «أثينا» وكل «بوشيا» عدا «بلاتيا» Plataea. وكانت تحتفظ بجيش قوي مدرب متمرن إلى أقصى حد، حتى إنه كان يمكن الاعتماد عليه تقريبًا في كسب موقعة جبارة. وكان في جانب «أثينا» حلفاء قليلون، هذا إلى الخدمة الإجبارية التي كانت تقدمها الأحلاف التي تكون إمبراطوريتها؛ يضاف إلى ذلك أموال كثيرة ادخرت للحرب، وعدد كبير من الرجال يمكن تجنيدهم في جيشها، وفوق كل ذلك كان لها أسطول قوي يديره بحارة ماهرون. وكما قال «بركليز»: إن الملاحة فن لا يمكن استعماله في الأوقات غير العادية مثل

الهواية، وقد كان الأثينيون يمارسون هذا الفن مدة خمسين سنة، وكان لا بد «لأسبرتا» من أن تنفق زمنًا طويلًا؛ لتلحق بهم في فن الملاحة.

ومما تطيب الإشارة إليه هنا أن قصة هذه الحرب قد وضعها للتاريخ المؤرخ «ثوسيديدس»، الذي يعد من أكبر مؤرخي العالم وقد عاش طوال مدة هذه الحرب كلها، وكان أولًا قائدًا ثم مؤلفًا يقظًا لكل الحوادث التي وقعت حتى عام ٤١١ق.م ويكاد يكون هو المصدر الوحيد لدينا عن هذه الحروب وقد سبقت الإشارة إليه هنا.

(١) غزو أتيكا

في نهاية شهر مايو عندما كان القمح قد نضج سارت قوات «أسبرتا» نحو «أتيكا». وعندئذ أتى أهل الريف إلى «أثينا» بنصيحة من «بركليز» لحمايتها، حاملين معهم أولادهم وأزواجهم وأمتعتهم الشخصية؛ أما أغنامهم وحيواناتهم فأرسلوها إلى الجزر المجاورة، وقد استولى الحزن على معظم هؤلاء الناس؛ لأنهم كانوا يسكنون في الأرياف دائمًا، فلما فارقوا أوطانهم ومزارعهم ومحاريبهم التي كانت دائمًا ملكًا لهم إلى مواطن مجهولة لهم في المدينة شعروا بمرارة فرقة هذه الأوطان المحببة إليهم. ولم يجد منهم إلا القليل مأوى يأوي إليه؛ ولذلك فإن سائرهم قد ذهبوا ليسكنوا في المساحات الخالية من المدينة، أو في المعابد والمحاريب — غير «الأكروبوليس» — وفي الأبراج التي في جدران المدينة. وفيما بعد أقيمت لهم أكواخ في المساحة الواقعة بين الجدار الطويل وميناء «بيروس». وقد زحف جيش «أسبرتا» حتى صار على مسافة سبعة أميال من «أثينا»، مدمرين في طريقهم الغلال والمزارع. وقد فكر معظم الناس الذين في المدينة، وبخاصة الشباب منهم أن يخرجوا لوقف هذا العبث في الحال. وقد تجمعوا فعلًا عصابات وتناقشوا بحدة، وقد انفجر الغضب في المدينة على «بركليز»؛ لأنه لم يسر على رأسهم لمقابلة العدو، والواقع أنه رفض عن حكمة أن يقودهم إلى الاشتباك في معركة

برية، ولكنه أرسل أسطولًا مؤلفًا من مائة سفينة؛ لتنهب وتستولي على المدن الواقعة على شبه جزيرة «البلوبونيز». ولما نضب طعام الجيش الأسبرتي عادوا إلى وطنهم، ولكن غاراتهم وكذلك الهجمات المضادة لهم حول الساحل على يد الأثينيين كانت تحدث كل سنة تقريبًا في هذه الفترة من الحرب.

وفي نهاية السنة أقيم مأتم عام في «أثينا» من أجل أولئك الذين سقطوا في ميدان الشرف، فكانت عظامهم تحمل في موكب مؤلف من عشر عربات. كما كانت يوجد تابوت خالٍ مغطى بكفن جنازي على شرف أولئك الجنود المجهولين الذين فقدوا، ولم يعثر لهم على أثر مميز لهم. وهذا الموكب تبعته خطبة رثاء ألقاها «بركليز» تحدث فيها بألفاظ متوهجة ممتدحًا بها المدينة التي كانت تعد «مدرسة هلاس»؛ وذلك لأن كل العالم الإغريقي كان يأخذ العلم عنها، فهي المدينة التي تتألف من رجال أحرار محبين للجمال والحكمة. ولا غرابة في ذلك؛ فإنها المدينة التي أنشأت هؤلاء الرجال الشجعان الذين إذا دعا داعي الحرب خرجوا ليموتوا تاركين وراءهم ذكرى لا تموت ولا تفنى.

(٢) الطاعون وسقوط «بركليز»

وفي العام التالي لقيام الحرب ظهر الطاعون في «أثينا»، وانتشر بسرعة بين سكان المدينة المزدحمة والتي كانت في حالة غير صحية، وقد أسهب «ثوسيديدس» في وصف هذا الطاعون الذي أصابه هو ونجا منه، وقد عرف كيف أنه أتى على حين غفلة، وكيف كانت حالته شديدة، وكيف أن الأطباء قد وقفوا أمام هذا الوباء مكتوفي اليدين، ويقول «ثوسيديدس» كذلك: إن الناس الذين نجوا منه ظنوا أنه لا يمكن لأي مرض آخر أن يقضي على حياتهم، وقد جرف هذا المرض ربع سكان المدينة، ولم يعد قط عدد السكان إلى ما كان عليه قبل هذا الطاعون.

ولما استولى اليأس والبؤس على السكان قاموا على «بركليز» ولاموه بغير حق على ما هم فيه وكان ابناه قد ماتا بالطاعون وقد مرض به هو نفسه، ولكنه لم يقضِ عليه، غير أنه لم يسترد صحته منه تمامًا. وعلى الرغم من أن الناس رضوا عنه ثانية وانتخبوه قائدًا، إلا أنه مات في السنة التالية أي: عام ٤٢٩ق.م وهكذا كانت نهاية «بركليز»، وهو الرجل الذي أقام «أثينا» وبنى صرح حياتها بعد حروب الفرس كما أسس الإمبراطورية الأثينية.

وفي خلال ثمانية السنين التالية كان الأثينيون بوجه عام منتصرين، إذ كان في مقدورهم أن يهزموا أسطول العدو، ويحافظوا على أن تكون الطرق البحرية مفتوحة لاستيراد مؤنهم؛ ولكنهم أخطئوا السيطرة الحكيمة التي كان يتصف بها «بركليز»، فكان مثل الدولة كمثل عربة تجرها خيل تشد في جهات مختلفة. ولم يكن هناك رجل مثل «بركليز»؛ ليقودها الآن فيمسك بخيله ويقودها إلى النظام ويسهر على حراسة ومنع أي خطر حوله، دون أن يحول نظره عن الهدف الذي يرمي إليه.

(٣) «كليون»

Cleon

و«كليون» يقدم لنا مثلًا من نوع جديد من القواد السياسيين في «أثينا»، فقد كان رجلًا شعبيًّا، وهذا هو نوع القائد الذي استطاع بلغو القول والعنف في الرأي والكلام أن يهز مشاعر الشعب ويتسلط عليه. والواقع أنه كان قاسي القلب، واثقًا بنفسه، وماهرًا. وسنرى من الحوادث التالية صدق اتصافه بهذه الصفات، وسنشاهد أي شخص هذا الذي كانت في يده قيادة الشعب الأثيني فيما يلي:

(١) فقد كانت «ميتيلين» أهم مدينة في جزيرة «لزيوس» التي كانت قد خرجت على «أثينا»، وقد أغرى «كليون» الجمعية الأثينية بأن ترسل أمرًا في الحال بقتل كل الرجال، واستعباد كل

النساء والأطفال في هذه المدينة؛ ولكن الأثينيين في اليوم التالي لذلك ندموا على إصدار هذا المرسوم، وأرسلوا سفينة أخرى مسرعة عبر بحر «إيجة» ليلًا ونهارًا لسحب هذا المرسوم، وقد وصلت السفينة في الوقت المناسب، ونجا القوم من هذا الحكم الجائر. وقد ترك «كليون» في «أثينا» ساخطًا على هذا الضعف في معاملة الثوار الذين يجب أن يعاملوا بما يستحقون مظهرًا للكل أن العصيان معناه الموت.

(٢) ويروي لنا التاريخ حادثة أخرى عن تعنت «كليون»، وذلك أن القائد «دموستين» القوي البأس — وهو غير الخطيب الشهير الذي سنتكلم عنه فيما بعد — استولى على رأس من الأرض يسمى «بيلوس» عام ٤٢٥ق.م يقع على الساحل الغربي من جزيرة «سفاكتيريا» Sphacteria، وبذلك سد الطريق في وجه أربعمائة وعشرين لاسيدموني في جزيرة «سفاكتيريا» جنوبي «بيلوس». وقد حزن أهل «أسبرتا» على هذا الاستيلاء على جزء من أراضيهم، وعلى حصار رجالهم لدرجة أنهم أرسلوا رسلًا إلى «أثينا» يعرضون عليها الصلح والمهادنة، غير أن ذلك لم يرق في عيني «كليون» وحزب الحرب، قائلين بأنهم قد استولوا الآن على شيء، فلا يمكن التخلي عنه ويطلبون المزيد طمعًا وانتقامًا في مقابل فك الحصار عن هؤلاء التعساء أكثر مما يجب، مما اضطر الرسل إلى مغادرة «أثينا»، دون الوصول إلى نتيجة مرضية. والآن يتساءل المرء كيف كان يمكن أن يصبح تاريخ «أثينا» مختلفًا إذا كان على رأسها ناصح أعقل من «كليون» هذا؟ نرى بعد ذلك «كليون» ثانية في الجمعية العمومية موبخًا القواد لجعلهم حادثة «سفاكتيريا» تجر في أذيالها ببطء دون عمل حاسم، ويقدم لنا المؤرخ «ثوسيديدس» بيانًا حيًّا عن هذا المشهد، فقد أشار «كليون» إلى «نيسياس» Nicias أحد القواد مفاخرًا بأنه هو الذي يمكنه أن يستولي على الجزيرة، إذا كانت قيادة الجيش في يده. وقد دهش عندما أخذته الجمعية بكلمته، وقد انفجروا بالضحك عندما أعلن أخيرًا أنه سينهي هذا الحادث في مدى عشرين يومًا، وكم كانت دهشتهم عندما عاد بالأسرى الأسبرتيين مما جعله بطل الساعة.

ولم تمدنا الأخبار عن هذا القائد «دموستين» الذي قام بمعظم عبء هذا العمل هل نال شيئًا عن الشكر؟ وبعد ذلك بثلاثة أعوام قتل «كليون» والقائد الأسبرتي «براسداس»، الذي انتصر على الأثينيين في موقعة حاسمة في «مقدونيا» في نفس الحرب. وكان كل من «أسبرتا» و«أثينا» وقتئذ قد ملت الحرب، وتعبت بعد استمرارها عشر سنين، فعقد بينهم صلح يدعى صلح «نيسياس» على أن يسلم كل فريق ما عنده من الأسرى، وما فتحه من أرض عام ٤٢١ق.م، غير أن هذا كان صلحًا مضطربًا فقد أعقب إمضاءه مباشرة القلاقل والمشاحنات، وعمل محالفات ونقضها وهذا ما ينافي السلام مع كل الوجوه.

(٤) الحملة على «صقلية»

وعلى أية حال فإن ما جلبه صلح «نيسياس» هذا هو إخماد نار الحرب لمدة سنتين أو ثلاث، وفي خلالها كانت أحلاف ومحالفات كثيرة تعقد بين حكومات بلاد الإغريق المختلفة، حتى إنه كان من العجب أن حكومة من هذه كان في استطاعتها أن تعرف صديقها من عدوها من الحكومات الأخرى، فكان حلفاء «أسبرتا» حانقين عليها؛ لأنها عملت ما هو صالح لنفسها في هذه المعاهدة، ولم تهتم بمصالحها. هذا إلى أن كثيرًا من المدن المستولى عليها عارضت في أن تعود ثانية إلى حكامها السابقين، كما نصت على ذلك المعاهدة. وقد عقدت كل من «أسبرتا» و«أثينا» فيما بينهما اتفاقًا يقضي بإجبار حلفائهم على إطاعة ما جاء في المعاهدة من شروط.

وتدل شواهد الأحوال على أن «أثينا» كانت لا تهتم بشيء إلا بزيادة أملاك إمبراطوريتها، وكانت تحكم وقتئذ الجزر التي في شرقي بلاد الإغريق، ولكنها لم تكتفِ بذلك بل تطلعت إلى جزيرة صقلية، ومن ثم أخذت تفكر في ذلك.

وقد رأينا فيما سبق كيف أن مدنًا إغريقية قد أقيمت حول ساحل البحر الأبيض المتوسط، وبخاصة حول «صقلية» وفي جنوب إيطاليا. وكانت «سرقوصة» مستعمرة أسستها «كورنث»

فيما مضى هناك حوالي ٧٣٤ق.م وقد أصبحت الآن أقوى مدينة في صقلية، وكان حكامها المطلقون يعيشون في بذخ وقوة كأنهم ملوك، وقد اجتذبت كثيرًا من عظماء بلاد الإغريق إلى بلاطها، ونخص بالذكر منهم «إيسكيلس» الذي وفد إليها من «أثينا» و«بدار» من «طيبة»، هذا إلى كثير غيرهما، وكانت المدينة من القوة والتشجيع للفنون والعلوم بحيث أصبحت تلقب «أثينا الغرب». وقد أدى كبرياء «سرقوصة»، وغرورها إلى أن أعلنت الحرب على بعض مدن «صقلية»، وكانت معاملتها الغاشمة وطرقها التي لا تطاق «قد جعلت أهل هذه المدن يحقدون عليها بعد أن ظلوا سنين عدة أحرارًا في مدنهم. وكانت «أثينا» على ود ومصافاة مع بعض هذه المدن، وبذلك انتهزت هذه الفرصة لتمد سلطانها ونفوذها على «سرقوصة» خوفًا من ازدياد سلطان الأخير. ولكن يتساءل المرء هل كانت «سرقوصة» تهدد فعلًا مواردها من الغلال الآتية إليها من «صقلية»، وأن هذه كانت الفرصة السانحة أمامها لمد إمبراطوريتها نحو الغرب كما كانت تريد؟ وجوابًا على ذلك يجب أن نعود إلى «أثينا»، ونرى أي صنف من الرجال قد أخذوا على أنفسهم الإجابة على هذين السؤالين.

كان «نيسياس» الذي سمي باسمه الصلح الذي لم يدم إلا مدة قصيرة رجل دين ثريًّا أمينًا ومحترمًا ومحبًّا للسلام، معتدلًا في تصريف الأمور. وقد أظهر براعته في قيادة الجيش، غير أنه كانت تنقصه القوة والعزيمة اللازمتان للقيام بالواجب الملقى على عاتقه. وكان عليه لإنجاز هذا الواجب أن يعمل مع رجل على طرفي نقيض منه من حيث الأخلاق والأفكار.

هذا الرجل هو «ألسيبيادس» Alcibiades، فقد كان شابًّا لامعًا مشرق الطلعة، وقد نشأ في أحضان الحياة الناعمة والترف، ولم يلبث بعد ذلك أن وقع تحت سحر المالقين الذين نفخوا في أوداجه بأنه سيفوق كل القواد، ورجال السياسة الآخرين حتى «بركليز» نفسه. ومن أجل هذا لم تستطع تعاليم الفيلسوف «سقراط»، الذي كان يكن له احترامًا حقيقيًّا ومحبةً خالصةً أن تتغلب على كل هذا الملق أو تثني عقل «ألسيبيادس» عن عزمه. والواقع أنه كان لا يتحول عن هدفه

ولا يخضع لقانون، ولا يعرف معنى أن يكون مستقيمًا وشريفًا؛ غير أن كثيرًا من المواطنين قد أخذوا ببلاغته ومباهاته، وكانوا على استعداد أن يتبعوه في كل مشاريعه الجريئة. وكان في تلك اللحظة يعمل لنقض السلام، ويكون في عقله فكرة القيام بحملة عظيمة على بلاد الغرب، فقد كان يظن أنه في مقدوره أن يضم إلى إمبراطورية «أثينا» تحت قيادته اللامعة القوية «صقلية» و«قرطاجنة»، وساحل أفريقيا وإيطاليا.

وقد انتهز الفرصة المواتية. ففي عام ٤١٦ق.م نشب شجار بين بلدين من بلاد «صقلية» هما «سلينوس» Selinus التي كانت تعضدها «سرقوصة» و«سجستا» Segesta وكانت حليفة «أثينا». وجاء الرسل من «سجستا» إلى «أثينا» طالبين النجدة، على أن يدفعوا كل مصاريف الحملة، وجوابًا على ذلك أرسل مبعوثون من «أثينا»؛ ليروا، إذا كانت «سجستا» يمكن أن تنفذ وعدها، وقد احتفل بالبحارة في بيوت المدينة الواحد بعد الآخر، وأقيمت لهم موائد مجهزة بأقداح الشراب المصنوعة من الذهب والفضة، وقد رأى الضيفان عددًا عظيمًا من الأواني المقدسة كذلك في خزانة المعبد. وقد أخذ الأثينيون بكل هذا الثراء وأثروا على «ألسيبيادس» بما رأوه وصوتوا للحملة على «سرقوصة». وقد رفضوا الإصغاء إلى «نيسياس»، عندما حذرهم من الشروع في إشعال نار حرب أخرى ليس لها ما يبررها، وفي حين أن بلادهم كانت «لا تزال في وسط الأمواج». وقد وضعوا الحملة برياسة «نيسياس» و«ألسيبيادس»، وقائد من الجنود العاملين المشهور لهم يدعى «لاماكوس» Lamachus. وفي أثناء أن كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق أزعج الأثينيون ذات صباح حينما وجدوا «هرمًا»،[1] التي كانت منصوبة في محاريب وعند أبواب بعض البيوت قد هشمت وجوهها، وكسرت في أثناء الليل بأيدٍ مجهولة. وقد اشتبه في أمر «ألسيبيادس» وصحبه، وعد ذلك أنه هو نوع السلوك الجنوني الذي قد انغمسوا فيه، وقد كان الهياج بسبب ذلك بالغًا أشده، وأن مثل هذا الانتهاك لحرمة الإله كان يعد فألًا شؤمًا للحملة، ومن الجائز أن ذلك العمل المشين كان جزءًا من مؤامرة على الديموقراطية؛

ومع ذلك فإن الحملة قد تحركت نحو غرضها المنشود في منتصف الصيف ومعها «ألسيبيادس».

وقد وصف لنا «ثوسيديدس» تلك الحملة الشهيرة وصفًا بارعًا، ففي فجر اليوم المحدد ذهب الأثينيون إلى ميناء «بيروس»، وأخذوا في تجهيز السفن. وقد ذهب كان فرد من المدينة تقريبًا كذلك ليودع الأصدقاء والأقارب والأبناء يحدوه الأمل والأسى، أما الأمل فكان للحصول على مغانم جديدة، وأما الأسى فكان لخوف ألا يرى ذويه ثانية، ولكن الجميع قد دبت في نفوسهم الشجاعة عندما نظروا إلى قوة أسطولهم وجماله، وكان كل صاحب سفينة حربية يعمل جهده في أن تظهر سفينته بأنها تفوق السفن الأخرى في السرعة والجمال، وفي رجالها المحاربين، وكانوا رجالًا منتخبين، قد ينافس بعضهم بعضًا في حسن التسلح للحرب.

وعندما جهزت السفن وكان كل شيء على ظهرها نفخ بوق ليسود السكون، ثم قاد الجميع حاجب للقيام بالصلاة المعتادة قبل السفر، وقد انضمت إليهم الحشود الذين كانوا متجمعين عند الشاطئ في إقامة هذه الصلاة. وبعد ذلك أنشد البحارة صلاة للإله «أبوللو»، وساروا في البحر يقودون مائة وأربعًا وثلاثين سفينة حربيةً وسفنًا أخرى كثيرة تحمل على ظهرها سبعة وعشرين ألف مقاتل. وقد أبحروا أولًا في صف واحد، وتسابقوا حتى «أجيتا» ومن ثم أسرعوا إلى «كورسيرا»، حيث كانت سفن حلفائهم متجمعة؛ ومن ثم أبحروا إلى الغرب. وعندما اقتربوا من «صقلية» سمعوا أنه لم يكن في «سجستا» إلا القليل جدًّا من المال الذي وعدوا به، وأن الأواني الذهبية المقدسة كانت فضة مذهبة، وأن أواني الشرب من الذهب والفضة التي كانت معروضة على موائد مضيفيهم قد جمعت من «سجستا»، ومن غيرها من المدن ونقلت من بيت إلى بيت للتمويه بإعطاء فكرة كاذبة عن ثروة المدينة. حقًّا كانت هذه أخبار سيئة غير أنهم قرروا المضي في القيام بحملتهم، وقد عملوا بنصيحة «ألسيبيادس» فلم يهاجموا «سرقوصة» في الحال، بل اجتهدوا أولًا أن يكسبوا إلى جانبهم المدن الأخرى. وعلى أية حال فإن هذا

التصميم قد خاب؛ لأنه لم يستقبلهم بالترحاب إلا مدينة «ناكسوس» Naxos في حين كان لدى «سرقوصة» الوقت للاستعداد للدفاع عن نفسها. وقد حضر إلى «ناكسوس» سفينة شراعية على جناح السرعة من «أثينا» عادت «بألسيبيادس»؛ لأجل أن يحاكم بسبب تهشيم تماثيل «هرما»، ولكن الأسطول الأثيني أقلع إلى «سرقوصة»، وعلى الرغم من كل هذه العوائق والمنغصات بقيادة «نيسياس»، فإنه أنزل جيشه وأخذ في تضييق الخناق على المدينة بإقامة جدار من الجنوب والشمال، وقد كان أهل «سرقوصة» في يأس تقريبًا؛ لأنهم عندما أرادوا أن يقطعوا الجدار ببناء جدران مضادة كان الأثينيون أسرع منهم فصارت أعمال البناء تمتد نحو الساحل الشمالي أقرب فأقرب؛ وبالإضافة إلى ذلك كان الأسطول الإغريقي الآن في مينائهم الكبير. وعلى أية حال فإن الحظ انقلب على الأثينيين؛ لأنه في الحرب التي دارت حول الجدار الذي كان لم يتم، قتل «لاماكوس» ومما زاد الطين بلة أن «بيسياس» الذي تركه وحده في القيادة أصابه مرض.

وفي تلك الأثناء هرب «ألسيبيادس» من السفينة التي كانت تحمله إلى «أثينا»، واتخذ طريقه نحو «أسبرتا». وهناك انقلب إلى خائن على بلاده فقد أخبر الأسبرتيين كيف يمكنهم أن يلحقوا الأذى بالأثينيين فعملوا على حسب نصيحته، وأرسلوا إلى «سرقوصة» قائدهم «جليبيبوس» Glypippus. وقد عمل بقوة ونشاط حتى أوقف الأثينيين عن إتمام جدارهم، وهزمهم في القتال الذي دار حوله.

وقد أرسل الآن «دموستين» من «أثينا» بجيش وأسطول لمساعدة «نيسياس»، وقد حثه على إنزال رجاله في السفن الأثينية في الميناء الكبير. ولسوء الحظ حدث كسوف للقمر عندما كانوا قد بدءوا في إنزال الجنود، وقد ظن «نيسياس» المتشائم أن هذه ظاهرة على أنه يجب عليهم أن ينتظروا حيث كانوا لمدة سبعة وعشرين يومًا. وعندما حل الوقت الذي رضي أن يتحرك فيه

بجيشه كان أهل «سرقوصة» قد سدوا مدخل الميناء، وبذلك أصبح الأمل الوحيد الذي أمام الأثينيين هو أن يخترقوا الحاجز إلى عرض البحر.

(٥) موقعة الميناء سبتمبر سنة ٤١٣ق.م

نزل الجيش إلى السفن وجهزت، ثم وقعت واقعة عظيمة في الميناء. ومن البدهي أنه في المياه الضيقة المزدحمة بالسفن كان لا يمكن أن يوجد نظام في الحرب، فقد اشتبكت سفينة أخرى في كل أنحاء الميناء؛ وعندما كانت الواحدة تلتصق بالأخرى كان بحارتها يتحاربون بالأيدي في وسط أصوات السفن المتصادمة، والأصوات العالية المنبعثة من القيادة. وكان يقف على الشاطئ سكان المدينة، كما كان الأثينيون يقفون في معسكراتهم مراقبين المعركة بين الرجاء واليأس، وفي النهاية أجلى الجيش السراقوصي مراكب الأثينيين إلى الشاطئ، واندفع البحارة طالبين النجاة في معسكراتهم.

(٥-١) التقهقر

أخذ بعد ذلك الجيش الأثيني يتقهقر على اليابسة غربًا، ولكنه وجد طريقه قد سدت في وجهه بالعدو، فعادوا جنوبًا وفي ليلة اليوم السادس من تقهقرهم فرق الظلام بين الفيلقيْنِ اللذين كان يتألف منهما الجيش. وقد كان هذا الحادث بداية النهاية. فحوصر «دموستين» في خميلة من الزيتون وأجبر على التسليم، أما «نيسياس» الذي كان على رأس فيلقه الثاني، فقد شق طريقه محاربًا حتى وصل إلى مجرى ماء، فوجد العدو أمامه على الشاطئ الثاني للنهر؛ وقد هجم رجاله إلى الماء ليطفئوا ظمأهم، ولما كان كثير منهم بعيدًا عن إخوانه، فإن العدو انقض عليه وقتله، وكذلك قتل كلًّا من «دموستين» و«نيسياس»، وسيق كثير من الأسرى ليعملوا في قطع الأحجار من محاجر «سرقوصة»، ومن بقي منهم على قيد الحياة بيعوا عبيدًا. وقليل منهم حررهم أسيادهم في مقابل أنهم ألقوا عليهم خطبًا أو أناشيد من شعر «يوربيديز»، ووصلت القلة

القليلة منهم إلى وطنهم ليقصوا قصة مصابهم. وعلى الرغم من الأخبار المخيفة التي حملوها، فإن «أثينا» رفضت أن تستسلم لليأس وبنت أسطولًا جديدًا.

وفي هذا الوقت كان «ألسيبيادس» قد تشاجر مع «أسبرتا»، ثم ذهب عند الفرس الذين كانوا يشجعون حلفاء «أثينا» على القيام بثورة. ولم نلبث أن رأينا «ألسيبيادس» يقلب ظهر المجن للفرس، وطلب أن يعود ثانية إلى «أثينا» فاستدعته فعلًا، ولكن على الرغم من أنه قد ساعدها على أن تنال نصرًا في البحر، فإنه اتهم بالخيانة مرة أخرى فعُزل ونُفي، ثم اعتزل في قصره بالقرب من «هلسبونت» وفيما بعد ذهب إلى «فريجيا»، حيث حوصر بيته بأمر من «أسبرتا» بجنود من الفرس وقتل.

(٥-٢) سقوط أثينا

على الرغم من أن «أثينا» قد فقدت معظم حلفائها، فإنها استمرت في الحرب بعد ذلك تسع سنوات أخرى، وقد انتصرت بعض انتصارات هامة بحرًا، ولكن في نهاية الأمر سارت كل من «أسبرتا» والفرس بأسطول عظيم لمحاربتها في «أجوسبوتامي» Aegospotami الواقعة على «هلسبونت» عام ٤٠٥ق.م فهزماها شر هزيمة وقد أجبر «ليساندر» القائد الأسبرتي آخر حلفاء «أثينا» على أن يخضع له، وحاصر «أثينا» نفسها ومنع عنها مواردها من الغلال حتى سلمت، ولكنه لم يخرب المدينة؛ لأنها قامت بخدمات عظيمة لبلاد الإغريق في زمن محنتها في الماضي، غير أنه أجبرها على أن تنزل عن إمبراطوريتها وكل سفنها إلا اثني عشرة سفينة، كما جعلها تهدم جدرانها الطويلة وحصونها في «بيراوس» Piraeus، وكان على «أثينا» أن تكون حليفة «لأسبرتا»، وما عدا ذلك فإنها كانت فيه حرة.

وفي خلال مدة الثمانية عشر شهرًا التالية لم يكن هناك سلم أو أمان في «أثينا»، فقد قام حزب يرمي إلى جعل «أثينا» تحكم بالأقلية، وقد استولى ثلاثون من هذا الحزب على السلطات بقيادة

«كريتاس» Critias. وفي مدة قصيرة أطلق عليهم اسم الحكام الثلاثين المستبدين. وفي خلال مدة حكمهم القاسي قتل مئات من الديموقراطيين ونفي كثير، ولم يُقْضَ على هذه الفوضى وسفك الدماء إلا بعد قتل «كريتياس» في حرب مع أنصار الديمقراطية، ثم أتى ملك «أثينا» ليصلح بين الحزبين وبمساعدته نُفي الحكام المطلقون، وأعيدت الديمقراطية إلى ربوعها عام ٤٠٣ق.م.

---

[١] وهو تماثيل نصفية للإله «هرميس» على عمد مربعة.

العلوم الإغريقية

(١) الفلسفة

تحدثنا فيما سبق عن حروب بلاد الإغريق وإمبراطوريتها، وسنحاول فيما يأتي أن نضع صورة مصغرة عن حياتها العقلية وبخاصة ما خلفته للعالم من فلسفة ومبادئ علوم في شتى الفروع، مما كان الأساس الذي بنت عليه أوروبا حياتها العقلية والعلمية والأدبية؛ ولأجل أن نصل إلى كنه الحياة العقلية ونموها في بلاد الإغريق، يجب أن نعود إلى الوراء في تاريخ نشأة هذه البلاد من حيث العلوم والمعارف أي: قبل ظهور فيلسوفها العظيم «سقراط، بنحو مائتي سنة عندما كانت تلك البلاد ترقى سلم التقدم على يد رجال قد وقفوا حياتهم لا على الحرب، بل إلى تنمية الحياة الفكرية وإذكاء روحها.

والواقع أن الفضل في ذلك يرجع إلى الممالك المجاورة لبلاد الإغريق، إذ قد بدأ نجم الإغريق يسطع في وقت كانت فيه ممالك الشرق المتاخمة لها على جانب عظيم من العلوم والمعارف. وآية ذلك أن بلاد «أيونيا» الساحلية كانت مسكونة بمواطنين إغريق في مقدورهم أن يختلطوا بأهل الإمبراطوريات الشرقية ويأخذوا عنهم معارفهم. والواقع أن هذه الجهة كانت نقطة بداية حسنة للأسفار والمخاطرات في كل جهة من جهات العالم المعروف وقتئذ. وهذه الأسفار عادت على من قام بها بالمعارف الجديدة والأفكار الحديثة، وبخاصة على أصحاب العقول التي تبحث وراء حب الوصول إلى الحقيقة من أولئك الأيونيين، وبذلك نرى أنه في عصر مبكر جدًّا في تاريخ هذه البلدان الإغريقية، أنها أصبحت أكثر تقدمًا من بلاد الإغريق نفسها.

«ثالس» Thales

وكان أول وأعظم هؤلاء المفكرين من أهل «أيونيا» هو «ثالس» من أهالي «ميليتس» ولد عام ٦٢٤ق.م ويقال: إن أعماله الهندسية قد حملته على السفر إلى مصر حيث أمضى فيها سنين عدة، وقد عاد من بلاد الفراعنة يملؤه الإعجاب بالعلوم المصرية لدرجة أنه ترك التجارة، وانقطع إلى تحصيل العلم فدرس الفلك وكان في قدرته أن يتنبأ بوقوع الكسوف، وخطا خطوات واسعة في علم الهندسة، وعلى الرغم من أن المصريين قد درسوها، فإن أشكالهم الهندسية كانت تتألف من خطوط أو زوايا ذات حجم خاص أو صورة خاصة في حين أن «ثالس» قد كشف حقائق صالحة لأي شكل من النوع الذي كان يصفه، مثال ذلك أنه عرف أن مجموع زوايا أي مثلث يساوي زاويتين قائمتين، وأن الزاويتين اللتين عند قاعدة مثلث متساوي الساقين متساويتان، وأن الزاويتين المتقابلتين اللتين تتكونان بأي خطين متقاطعين تكونان متساويتين. وكان كذلك في مقدوره أن يطبق الهندسة على المسائل العملية كحساب ارتفاع هرم من ظله، أو مسافة بعد سفينة في البحر من اليابسة. هذا وكان «ثالس» يعرف شيئًا عن المغنطيسية أو الجاذبية، والكهرباء التي تحدث من الاحتكاك (أي بحك مادة بأخرى). وكان الكهرمان (وهو بالإغريقية = إلكترون) — وهو العصارة المتجمدة المستخرجة من نوع من شجر الصنوبر تنمو على ساحل البحر البلطي — معروفًا بجماله، وقد استعملته السيدات الإغريقيات قلائد وحلي — كما هي الحال في مصر، وبخاصة في الأرياف هذا فضلًا عن أنه يستعمل مسابح في كل العالم الإسلامي — وقد لاحظ «ثالس» أن الكهرمان عندما يحك بنسيج ملبس يجتذب إليه قطعة صغيرة من الشعر أو القش أو التراب، وقد ظن أن ذلك يرجع إلى روح خفي، أو جن كامن فيه، ووجد أن مادة واحدة أخرى كانت لها نفس هذه القوة الجاذبة للأشياء، وهذه المادة هي حجر المغنطيس الذي وجد في «ماغنيزيا» ببلاد آسيا الصغرى. وهناك قصة تروى عن صبي راعٍ من «طراودة» كان يحتمي بصخرة من حرارة الشمس، وقيل: إن عصاه المعكوفة

المصنوعة من الحديد قد اجتذبت من يده، وعلقت بالصخر فوق رأسه وقد فسر هذا ثانية بأن الحديد الغفل كان يسكنه روح خفي أو جهرًا.

وهذه الملاحظات التي لاحظها «ثالس» — وكانت قد بقيت ذكراها، ولكن لم تأخذ تطورها العلمي في الأزمان القديمة أو في القرون الوسطى — قد استعملها في عام ١٦٠٠م الدكتور «جلبرت» الإنجليزي من «كولشستر» Colchester للمرة الأولى في إجراء تجارب منظمة في علوم المغناطيسية والكهربية.

وكانت كلمة «فلسفة» في طورها الأول (حب الحكمة) تشمل العلوم والرياضيات، وقد اجتهد بعض الفلاسفة في أن يفكروا في سبب وطبيعة العالم الذي رأوا عجائبه حولهم. وقد رأى «ثالس» أن الماء هو الذي ساعد على الحياة وامدادها؛ ولذلك فكر في أن الماء هو السبب الأول لكل هذه الأشياء، وقد فكر آخر غيره في أن السبب الأول هو النار، وتوهم ثالث أنه هو الهواء، وظن رابع أنه هو الضباب أو البخار الذي لم يكن في الواقع إلا صورة أسمك أو أرفع تتألف منه النار والماء والهواء والسحاب والأرض. وكشف بعض الفلاسفة حقائق أصبحت فيما بعد جزءًا من الفكر العلمي مثال ذلك اعتقد أحد العلماء أن العالم يتألف من ذرات،[١] غير أنه في استعمال هذه الذرات لم يكن يسير على قواعد علمية صحيحة جدًّا؛ وذلك لأنه ظن أن العالم ومشتملاته كان يتألف من هذه الذرات متصادمة معًا عندما تسقط في الفضاء. وكذلك قرن «ثالس» الدنيا بطبق مسطح عائم على الماء، ولكن في هذا الوقت ظن بعض العلماء أنه يمكن أن تكون كرة، وأنه من المحتمل ألا تكون المركز الذي تدور حوله الأجرام السماوية، وأن الشمس كانت أكبر مما نرى وأنها من المحتمل أكبر من كل شبه جزيرة «البلوبونيز». وتدل شواهد الأحوال على أن ثالس قد نقل الكثير من أفكاره هذه عن المصريين في زيارته لأرض الكنانة.

وفي حين كان العلماء يبحثون عن الحقائق بهذه الطريقة كانت «أثينا» تنمو من مدينة صغيرة إلى مدينة هامة جدًّا. فعندما انتهت حروب فارس وأصبحت «أثينا» بقيادة «بركليز» صاحبة شهرة عظيمة بقوتها وفنونها وآدابها، توجه إليها العلماء من أنحاء كثيرة من العالم الإغريقي، ومن بين هؤلاء العلماء طبقة تعرف «بالسفسطائيين» الذين أخذوا على عاتقهم أن يعملوا بأجر أي فرد من أفراد البلاد، وبخاصة الأجرومية والآداب والبلاغة، وهذه الدراسات كانت تجعل الفرد أكثر تثقيفًا وتساعده على أن يفكر بوضوح، ويكون حسن الحديث في المجتمع. ومثل هذا التعليم لم يكن إلا تعليمًا إلى حد ما، وأن الغرض منه كان تدريب الشبان فقط على أن يسيروا في الحياة، وأن يعرضوا بطريقة خلابة معارفهم على الناس.

وفي هذا الوقت كان الفلاسفة قد أخذوا يميلون التأملات عن طبيعة العالم، وأصبحوا الآن يهتمون أكثر بالفلسفة البشرية، وما يتبعها من درس العقل وسلوك الإنسان. ومن أهم المفكرين في هذا الحقل الفيلسوف «سقراط».

«سقراط» وأثره في الفكر الإنساني

إذا كان الرجال يقدرون بآثارهم الخالدة، فإن «سقراط» يعد في الطليعة بين عظماء العالم المفكرين الذين حملوا شعلة الفلسفة، وجعلوا نورها يسطع على العالم الذي عاش فيه، وعلى الأجيال التي لا تحصى من بعده. وإذا كانت أعمال «بركليز» و«ليسندر» قد تركت أثرها أجيالًا قليلة في جزء صغيرة من العالم، فإن روح «سقراط» قد ترك أثرًا لا يمحى إلى الأبد على الفكر الإنساني.

ولد هذا الفيلسوف بالقرب من «أثينا» عام ٤٦٩ق.م وعاصر الحوادث الجسام التي وقعت في بلاد الإغريق في عهد «بركليز» ومن بعده، فقد رأى «أثينا» في عز نصرها وفي ذل سقوطها، وكان يحبها حبًّا جمًّا، حتى إنه لم يغادرها إلا عندما كان يناديه واجبه بوصفه مواطنًا أثينيًّا

ليحارب في حرب «البلوبونيز». وقد أظهر شجاعة وبديهة حاضرة في الحرب، فقد نجى «ألسيبيادس» مرة في ساحة الميدان بوقوفه بجانبه عندما جرح وحماه من الأعداء. وكان صبورًا على تحمل الجوع والبرد القارس، حتى إنه في شدة برد الشتاء القارس عندما كان الناس يقون أنفسهم من البرد بالملابس الدافئة كان يمشي عاري القدمين على الثلج. وفي ذات يوم حدث في المعسكر أمر غريب، وذلك أنه من الصباح المبكر حتى المساء رئي واقفًا وحده في فكر عميق، كأنه يسأل نفسه ويجاوبها، وقد بقي واقفًا طوال الليل إلى أن طلعت الشمس فحياها بصلاة ثم ذهب، وفي «أثينا» كان يلاحظ على «سقراط» كذلك أنه شاذ عن غيره من الناس، وكان لا يزال يهتم بأي شيء لراحته الشخصية، وكان قبيح الخلقة رث الملبس وجهه منبسط، أفطس الأنف، جاحظ العينين، ومع ذلك فإنه كان يحيط به حشد من الناس في السوق، وفي أماكن أخرى من التي كان يتجمع فيها مواطنوه.

وفي عصره كان الناس قد بدءوا يهتمون بالإنسان وعقله وسلوكه ومثله العليا. وقد وهب «سقراط» نفسه إلى هذه الناحية من الفلسفة، وهي الخاصة بالبحث عن الحقيقة والحكمة والتي ينبغي أن تقود سلوك الناس. وقد كان عبقريًّا بصورة غير منتظرة، وبعيد النظر لدرجة أن كلماته قد استحوذت على آذان سامعيه، وضربت بأعراقها في عقولهم أكثر من أي كلام بليغ. وكان «سقراط» لا يأخذ أجرًا مقابل تعليمه من الناس؛ وذلك لأنه ادَّعى أنه ليس إلا زميلًا باحثًا عن المعرفة مع أتباعه. وقد استولت عليه الدهشة البالغة عندما ذهب صديقه «كايرفون» Chaerephon المندفع إلى «دلفي»؛ ليسأل الوحي إذا كان يوجد أي رجل أعقل من «سقراط»، فأجيب أنه لا يوجد من هو أعقل منه. وقد قال «سقراط»: ذهبت أولًا إلى رجل سياسي، ولكني وجدت أنه لم يكن أكثر عقلًا على الرغم من أن كل إنسان بما فيه هو نفسه فكر هكذا، ثم ذهبت بعد ذلك أسأل الرجل تلو الرجل مكونًا لي أعداء كل يوم، وأخيرًا ذهبت إلى شعراء وصناع كانوا مهرة في فنهم، ولكنهم ليسوا عقلاء بالمعنى الحقيقي، وعلى ذلك فإني في

نهاية الأمر قررت أن الوحي قصد من جوابه أن هؤلاء الناس الأرجح عقلًا، هم الذين يعرفون مثلي أن حكمتهم لا تصل إلى شيء.

وكان «سقراط» يظن أن الناس قد عملوا الشر؛ لأنهم كانوا يجهلون الخير، وعلى ذلك اجتهد في أن يرشدهم إلى الحقيقة بأمثلة مثل: ما هو الصلاح والعدل والشريف والوضيع والجميل والقبيح؟ وأرشدهم بطريق السؤال والجواب؛ ليعرفوا بأي كيفية كانت آراؤهم سطحية أو مرتبكة، وأن يفكروا لأنفسهم لأجل أن يصلوا إلى أصول الأمر الذي يبحثونه. ولم يحاضر تلاميذه أو يملي شيئًا قط من أفكاره بل كان باحثًا مثلهم. وقد تضايقت طبقة السفسطائيين منه عندما ادعى أنه في حاجة إلى التعلم منهم، ثم أخذ يحرجهم بأسئلته، ولكن الشباب الذين كانوا يتبعونه أحبوا فطنته وسحره كما كانوا مخلصين له أشد الإخلاص.

وبعد أن أمضى ثلاثين عامًا على هذا النحو من التعليم أخذ بعض الأثينيين يظنون به الظنون، حتى إنهم اتهموه بأن أصبح مصدر خطر على الدولة. فقد قالوا: إن أتباعه قد انقلبوا إلى عناصر سوء، وبخاصة «ألسيبيادس» الخائن و«كريتياس» الذي انقلب مستبدًّا، هذا بالإضافة إلى أنه كان هناك آباء تذمروا؛ لأنهم ظنوا أن أولادهم كانوا يضيعون وقتهم معه وأصبحوا غير مستقرين؛ وكذلك اضطربت عقول كثير من الناس بطرق وكلمات هذا الفيلسوف الغريب الأطوار. وقد شكوا في آرائه عن الآلهة، وذلك على الرغم من أنه كان يقوم بأداء الشعائر الخاصة بهم والصلوات الواجبة عليه، فإنه أنكر صراحة القصص القديمة الخاصة بحروبهم وأضغانهم، وكثيرًا ما كان يتحدث عن الله لا عن الآلهة، وعن صوت خفي، وعن وازع قدسي كان قد أتى إليه من وقت لآخر، عندما كان يتأمل درس موضوع. وفي عام ٣٩٩ق.م اتهم بأنه لا يعتقد في آلهة المدينة، وأنه جاء بآلهة جدد، وأنه أفسد الشباب، وكان العقاب على ذلك هو الموت. وعلى الرغم من أنه كان في استطاعته أن يفر من «أثينا»، فإنه فضل أن يبقى فيها ويواجه محاكمته أمام محكمين مؤلفين من خمسة آلاف وواحد من الأثينيين.

تحدث «سقراط» عن الوحي وعن صوته الخفي، وعن رفضه تسلم أجر عن التعليم، وعن خدمته «لأثينا» في حث الناس على ألا يفكروا كثيرًا في جمع المال ولا في آراء الآخرين، بل يعتنوا بالأشياء التي لها وزن كالحكمة والصدق وكمال الروح وقال: إنه لم يهرب من وظيفته في وقت الحرب. وعلى ذلك كان يعد سلوكًا غريبًا منه إذا هرب الآن بسبب الخوف من الموت، ومن عمل ما أمره الله به أن يفعل، فقد قال: «لن أغير طريقة حياتي حتى لو كنت أموت من أجل ذلك مرات عدة.» وقد انتهى دفاعه بقوله: «إني أعتقد في الآلهة أكثر مما يعتقد فيهم أي واحد من متهمي، وإني أسلم قضيتي إليكم ولله للحكم فيها بما هو خير لكم ولي.»

وقد اعتبر مذنبًا بأغلبية ستين صوتًا، وعلى ذلك فإنه على حسب القانون الأثيني قد سمح له أن يقترح نوعًا آخر ليعاقب به، فقال: إنه يستحق الشرف لا العقاب ورفض فكرة النفي؛ لأنه كان يرى أنه في أي بلد آخر لا يجد من يتحدث إليهم كتلاميذه، وبخاصة أنه كان قد بلغ من العمر مبلغًا لا بأس به، وقد قدم غرامة تافهة فلم تقبل وعلى ذلك حكم عليه بالموت فشرب الكأس وقضى وعلى شفته ابتسامة.

وقد سمح لأصدقاء «سقراط» بزيارته في سجنه، فأتوا إليه في اليوم الأخير عند الفجر وهم يشعرون بأنهم سيفقدون فيه أبًا، ولكنه رفض أن يساعدوه على الهرب أو الحزن عند موته، إذ كان ينظر إلى ذلك بأنه رحلة لروحه إلى عالم جديد مجهول.

والواقع من جواب «سقراط» الفعلي عند محاكمته لم يحفظ لنا، ولكنا عرفنا نغمته وروحه وما كان ينطوي عليه؛ وذلك لأن هذه المحاكمة قد أمدت رفيقه «أفلاطون» الذي كان حاضرًا بمادة لمؤلف منقطع القرين في الأدب العالمي، ذلكم هو دفاع «سقراط» وقد أفلح «أفلاطون» في أنه لبس شخصية أستاذه ونقلها لقرائه. فقد وصف لنا تفسير حياته وأغراضه منها، ولم يلقَ صعوبة في إظهار أن كثيرًا من الأشياء التي نسبت إليه كانت كاذبة. ولا نزاع في أن إعدام «سقراط»

كان يمثل احتجاج النظام القديم على قيام ونمو الفردية، التي أخذت تظهر في عالم الوجود، وإنه لمن النادر في مجرى التاريخ أن نجد ضربات شديدة من هذا النوع قد خابت، وانقلبت على الضارب وخدمت القضية التي أريد الإضرار بها فقد بقي «سقراط» مذكورًا عند الأثينيين بالفخر والأسى، وقد بدأت تعاليمه تقوم بتأثير زاد في مفعولها مأساة موته، فلم يغفر تلاميذه للديموقراطية حكمها عليه بالإعدام، وقد عاش ونما في درس مخيلاتهم، وأمضوا حياتهم في نشر تعاليمه، وكان أكثرهم في ذلك «أفلاطون»، وبخاصة نشر الفردية التي كان ينشرها بطريقة غير مباشرة دون علم منه.

أبقراط

نترك الآن قصة «سقراط» وعنايته بتربية عقول الناس وأفكارهم، ونتحدث الآن عن شخصية إغريقية أخرى صاحبها يصغر «سقراط» بتسع سنين، وقد خصص حياته للعناية بأجسام الناس، هذا هو «أبقراط» وقد أُطلق عليه والد الطب كما أطلق على «هردوت» والد التاريخ. ولد «أبقراط» حوالي عام ٤٦٠ق.م في جزيرة ببحر «إيجة» تدعى «كوس» Cos كانت وقتئذ مركزًا لدراسة الطب، وكان والده وجده من بين الأطباء الذين عاشوا في هذه الجزيرة، ولا نعلم إلا القليل عن حياة «أبقراط»، وقد عاش إلى أن بلغ من العمر أرذله، وكانت له شهرة عالية، وساح في كثير من البلدان بما في ذلك «أثينا» يدرس ويمارس حرفته، ولم يكن يرتكن في طبه قط على الرقى وأمور السحر التي كان غالبًا ما يستعملها أطباء الماضي، ولكنه لاحظ ودون بدقة أعراض المرض الذي أصيب به القليل، وهكذا من عدة حالات بهذه الطريقة أقام أساسًا لمعرفة المرض نفسه وعلاجه. وهذه الطريقة في الاستنباط من الحالات التي صادفته أوصلته إلى قاعدة عامة تسمى الطريقة الاستنباطية، وهي طريقة علمية غاية في الأهمية. عمل «أبقراط» ملاحظات عن كشوفه؛ لأنه أراد أن يسلم لأولئك الذين أتوا بعده المعلومات التي

حصل عليها بعناية كبيرة. وقد اعتقد أن المرض يرجع أصله إلى أسباب طبعية، وأن الطبيعة هي غالبًا ما تحدث هذا السبب، وقد اتبع قواعد معقولة للمعالجة أساسها الهواء النقي والغذاء الجيد، وهما يساعدان عمل الطبيعة في إعادة صحة المريض ويظهر أن «أبقراط» كان كما ينبغي أن يكون عليه الطبيب، إذ كان هادئًا ممتلئًا حكمةً ومعرفةً، كثير العناية بمصلحة مريضه وكان له تلاميذ عديدون، والذين عاشوا بعده قد ساروا على طريقته بنفس الروح.

وعندما كانوا يبدءون عملهم بوصفهم أطباء كانوا يحلفون اليمين الذي يسمى اليمين الأبقراطي، وذلك أن ينظروا إلى من علمهم بمثابة والد، وأن يعلموا أولاده بدون أجر، وأنهم سيسلمون معرفتهم إلى أبنائهم وإلى أبناء معلمهم وتلاميذهم على حسب قانون الأطباء، وأن كل مهارتهم لا بد أن تستغل لمصلحة المريض، وأنه ينبغي عليهم ألا يتكلموا عنه لأناس آخرين، وهذا اليمين الذي لا يزال يعقده تلاميذ مدارس الطب يظهر لنا مقدار المستوى العالي الذي وضعه «أبقراط» وأتباعه لأعضاء مهنة الطب العظيمة.

وفضلًا عن العلاج الطبي العادي الذي بدأ من عهد «أبقراط» وما بعده كان يوجد ما يسمى علاج المعبد. ولا نعلم في أي وقت بدأ تأسيس هذه المعابد للعلاج، ولكن المعبد الذي سنصفه الآن يحتمل أنه لم يزدهر حتى القرن الخامس قبل الميلاد. وهذا النوع من العلاج قد استمر إلى العصر الذي أصبحت فيه بلاد الإغريق جزءًا من الدولة الرومانية.

وكانت توجد ثلاثة أماكن من هذا النوع في العالم الإغريقي، وسنأخذ مثلًا من بينها وهو العلاج في «أبيداروس» التي لم تكن بعيدة عن مدينة «أرجوس»، وكانت مركزًا حسنًا لمعظم المدن الإغريقية في الداخل. وهذا المستشفى يقع على سهل صغير تحميه تمامًا التلال المحيطة به، ويحتوي على خمائل من الأشجار وماء غزير من حوض وعين مقدسة، وفي هذا المكان البهج كان قد أُقيم معبد للإله «أسكلبيوس» إله الطب، وكان العلاج يجري على الأراضي المقدسة

حوله. فكان المريض يظهر أولًا، ومن المحتمل أن ذلك كان بملح أو ماء بحر، وكان ذلك يذكر المريض أنه ليس الجسم وحده الذي يحتاج إلى النظافة في المحراب «المكان المقدس» بل كذلك عقله وروحه. ففي داخل المعبد لا بد أن يكون الإنسان مظهرًا، والطهارة هي «أن يكون الفرد أفكاره بارة صالحة»، هكذا تذكر لنا إحدى قواعد الإله. وبعد ذلك يقدم المرضى قربانهم، ويحتوي على فطائر سمينة من الشهد مغموسة في الزيت، هذا إذا كانوا فقراء، أما إذا كانوا أغنياء فتشمل القربان حملًا أو خنزيرًا أو خروفًا. وكانت الموسيقا والغناء والصلوات تسمع في أثناء تقديم هذه القربات للإله.

وبعد أن يكون أحد الكهنة قد فسر عبادة هذا المكان ومعناه، يسمح للمرضى بالدخول في المحراب ولمس صورة الإله، وهكذا يبتدئ العلاج في جو من الهدوء والقداسة. وكان بجانب المعبد قاعات عمد مكشوفة استعملت إحداها مكانًا لنوم المرضى وعندما كان الظلام يخيم، يقترب منهم الكاهن، وبعد أن يأخذ منهم هداياهم للآلهة، يترك المرضى ملفوفين في أغطيتهم البيضاء إلى سكون الليل وظلمته، وقيل: إن كثيرًا قد شفوا بمعجزات قبل بزوغ الفجر، ولكن في أغلب الأحيان كان يسأل الكاهن المرضى أن يقصوا عليه أحلامهم التي رأوها، وكان الكاهن بهذه الكيفية يصل إلى بعض المعلومات عن عقلية المريض وصحته، وبذلك كان في استطاعته أن يذكر للطبيب الأحلام وتفسيره لها. وبذلك يكون لدى الطبيب شيء يعمل على حسبه لشفاء المرضى، ومن ذلك نفهم أنه كان هنا كثير من أعمال الحدس والتخمين، وأن ما كان يقال عن حوادث الشفاء أكثر مما كان يقال عن فشلها، ولكن الأطباء كانوا في كل هذا الوقت يكتسبون معرفة أكثر عن الطب، وكانت معالجاتهم تنمو شيئًا فشيئًا في طريقها العلمي. وكان على المريض أن يصوم أو يتبع حمية خاصة، وأن ينشق هواءً نقيًّا ويتضمخ ويشرب ماء بكثرة، هذا إلى أن الاستحمام والتدليك والألعاب الرياضية كانت تؤلف جزءًا هامًّا من العلاج، وذلك بالإضافة إلى الطب والجراحة، ولكن الشفاء بالإيمان كما يطلق عليه الآن كان لا يزال جزءًا

هامًّا من العلاج؛ ولذلك فإن عبادة الإله «أسكلبيوس» إله الطب لم تهمل قط. وعلى مر الزمن نمت هذه المؤسسات وأصبحت تحتوي على مكتبة ومدرسة ومضمار سباق ومسرح كبير يمكن أن يسع آلاف المتفرجين، وكان يقام عيد كل أربعة أعوام يحضره نظارة من كل أنحاء بلاد الإغريق، وكانت المعابد تزين وتقدم الضحايا وتحمل صورة الإله «أسكلبيوس» في موكب في هذه البقعة تسير على نغمات الكهنة والتابعين. وكانت تعلن معجزات الشفاء التي حدثت في هذا المكان. أما باقي الوقت فكان يخصص للألعاب الرياضية، وكذلك للمسابقات الموسيقية وتمثيل الروايات. كل هذه الأشياء كان بلا نزاع حسنة للمرضى الذين كانوا في دور النقاهة، ويمكن أن نتصور أن هؤلاء الذين كانوا بالفعل مرضى لن يدخل عليهم الحزن، عندما تسافر هذه الجموع المحتشدة ويتركونهم في هدوء وراحة.

---

[١] وهي أجزاء لا يمكن كسرها إلى جزئيات.

بلاد الإغريق في القرن الرابع قبل الميلاد

رأينا فيما سبق أن «أثينا» قد أصبحت تحت سلطان «أسبرتا»، غير أن الأخيرة لم تقنع بذلك، فأخضعت كل المدن الأخرى الإغريقية وفرضت عليها حكامًا من عندها بعد أن كانت تمنيها بالاستقلال والحرية بعد هزيمة «أثينا».

تدخل الفرس

وكانت بعض المدن الإغريقية، وبخاصة «أسبرتا» قد طلبت إلى الفرس مد يد المساعدة، وكانت لا تزال دولة قوية البطش ذات ثراء ضخم، وكانت النتيجة أن صار في مقدور «فارس» عام ٣٨٧ق.م أن تجبر بلاد الإغريق على عقد معاهدة معها هي و«أسبرتا». وهاك الكلمات التي فاه بها الملك «أكزركزيس» ملك الفرس: «إن الملك «أكزركزيس» يعتقد أنه من العدل أن مدن آسيا[١] تكون ملكه، وفضلًا عن ذلك فإن المدن الإغريقية الأخرى الصغيرة والكبيرة تكون حرة لتحكم نفسها، وإذا رفضت أية واحدة منها قبول هذا الصلح، فسأعلن عليها الحرب برًّا وبحرًا بالسفن والمال.» وهذا ما يُدعى «صلح الملك». وهذا الصلح كان يعد معرة لبلاد الإغريق؛ لأنه سلم الفرس بلاد آسيا الصغرى التي كانت في الواقع إغريقية الصبغة، وكانت دائمًا على اتصال وثيق بأرض الوطن، أما بلاد الإغريق نفسها وما تحتويه من حكومات، فقد حاولت عبثًا منع تسلط بعضهم على بعض، ومن قيام أحلاف فيما بينها، ولكن الحلف الهبلاني العام على الفرس كان كالحلف الذي يدعو إليه باستمرار «أسقراطيس» الخطيب فلم يلقَ قبولًا قط.

وقد ظل الشجار بين مختلف المدن سائرًا على قدم وساق. فنجد أولًا أن «أسبرتا» قد نالت القيادة وبعد ذلك في عام ٣٧١ق.م أصبحت «طيبة» قوية السلطان تحت حكم ملكها «أبا مبنوداس» Epaminodas لدرجة أنه هزم «أسبرتا» هزيمة منكرة في موقعة «لوكترا»

Leuctra في «بوشيا». وبعد تسع سنين من ذلك قتل ملك «طيبة» في واقعة، وبموته ماتت كذلك قوة «طيبة» وانتهت سيادتها.

وقد بدأت في تلك الفترة «أثينا» تسترد قيادتها في بلاد الإغريق، ولكن لما كانت حكومات مدن الإغريق لا تريد بأية حال الانضمام في حلف مع «أثينا» أو غيرها، فإنه كان لا بد من قيام حروب جديدة واضمحلال وضعف في البلاد. وحقيقة الأمر أن زمن حكومات المدن المستقلة كان قد ولى وانقضى، وحان عصر ظهور ممالك قوية في عالم الوجود، ففي شرقي بلاد اليونان كانت تقع إحدى الدول العظمى وأعني بلاد الفرس عدو اليونان القديم وكان يخشى بأسها، في حين كان في الشمال مملكة «مقدونيا» الفتية، وهي التي صارت بعد قليل من القوة بحيث لا يمكن تجاهل أمرها وخطرها.

الحياة في «أثينا» في تلك الفترة

من المدهش حقًّا أن نجد في هذا الوقت المليء بالاضطرابات والحروب الداخلية أن الحياة في «أثينا» كانت لامعة مزدهرة، فسفنها كانت تمخر عباب البحار قاصيها ودانيها محملة بالسلع، وهذه التجارة مع البلاد الأخرى كانت تدر عليها الثروة، كما كانت تمدها بالمعلومات الجديدة والآراء المستحدثة، حتى إنها أصبحت مركز الفكر والثقافة، ووفد عليها الناس لدراسة فن الخطابة وتلقي الفلسفة.

أفلاطون وأرسطو

وفي هذا العهد عاش كل من «أفلاطون» و«أرسطو»، وكان «أفلاطون» أعظم تلميذ نهل الحكمة عن «سقراط» (٤٢٧–٣٤٧ق.م) وهذا الفيلسوف كتب بلغة إغريقية بليغة حياة أستاذه وتعاليمه، كما أضاف الكثير من فيض علمه فكتب أفكاره عن الحكومة والتعليم وعقل الإنسان وروحه، وعن طبيعة الصدق والطيبة والجمال، وعن الأسباب الإلهية لكل الأشياء. ومن أحسن

مؤلفاته الذائعة الصيت «الجمهورية» التي يصور لنا فيها حكومة مثالية، وقد وضعها لتعبر عن آرائه الفلسفية.[٢] وقد درس «أفلاطون» في «الأكاديموس» Academus، وهي مدرسة «جمنازيوم» على مقربة من «أثينا» تحليها أشجار وارفة الظلال ومياه جارية، وتعرف مدرسته باسم «أكاديمي».

وبعد وفاة «أفلاطون» في الستين من عمره كان تلميذه «أرسطو» قد اشتهر اسمه في عالم الفلسفة، وكان يعلم في طرقات «ليسيوم» Lyceum الظليلة، وهي مدرسة على مشارف «أثينا». وكان يبحث في كل نوع من المعرفة، فضرب بسهم في العلوم بكل فروعها. وبخاصة علم النبات وعلم الحيوان وعلم الأخلاق وسلوك الإنسان والمنطق والسياسة وصناعة الشعر. ولا نزاع في أن العالم كان متأثرًا في كل الأزمان بهذين المفكرين العظيمين، فيُنعت «أفلاطون» بأنه والد الفلسفة الحديثة، ويُلقب «أرسطو» بوالد العلوم الحديثة.

وفي هذه الفترة لم تقم مبانٍ كثيرة في «أثينا»، ولكن نحتت تماثيل كبيرة غاية في الجمال، وكثيرًا ما كان المغنون الإغريق يسيحون في الخارج، ويعملون في المدن الأجنبية، وبذلك نشروا الثقافة الإغريقية والفن الإغريقي.

وعلى الرغم من كل هذا الازدهار فإن السخط وعدم الاستقرار والفقر أمور كانت ضاربة أطنابها في «أثينا» وغيرها من المدن الإغريقية، وقد ترك كثير من الرجال المخاطرين مدنهم، وانخرطوا جنودًا مرتزقين في جيوش بعض الأمم المجاورة، ونخص بالذكر من بينها مصر وفارس. وأشهر فرقة من هؤلاء المرتزقة تلك التي قامت بأكبر مخاطرة في التاريخ القديم، وهي المخاطرة المعروفة «بموكب عشرة الآلاف» وهؤلاء كانوا يؤلفون فرقة من الإغريق في خدمة أمير فارس يدعى «كورش» كان قد أراد أن يستولي عنوة من أخيه على عرش فارس الذي كان يعتليه «كورش» الأكبر منذ مائة وخمسين سنة مضت. وقد حدثنا «أكزنوفون» أحد تلاميذ

«سقراط» عن أعمالهم العظيمة، فيخبرنا عن انتصارهم في موقعة بالقرب من «بابل» على ملك الفرس، ثم يذكر لنا هربهم من المكيدة التي كانت قد نصبت لهم بقيادة «أكزنوفون»، وتقهقرهم في أراضٍ مجهولة لهم عابرين الأنهار وسائرين على الثلوج الكثيفة وشاقين طريقهم في مضايق الجبال التي كانت محروسة بأعدائهم، وأخيرًا عندما وصلت مقدمة هؤلاء الشجعان إلى قمة جبل صاحوا على حين غفلة قائلين: البحر! البحر! وذلك لأنهم وقتئذ كانوا قد وصلوا في سفرهم الشاق إلى البحر الأسود، ومن ثم وجدوا طريقهم بسهولة إلى وطنهم. وهذه المخاطرة الهائلة قد برهنت مرة أخرى على أن الإغريق جنود أحسن من الفرس. وقد ترك لنا «أكزنوفون» نفسه تاريخ هذا الحادث في كتاب ممتع.

---

[١] يقصد المدن التي على الشاطئ الغربي لما نسميه الآن آسيا الصغرى والجزر القريبة منها.

[٢] وقد وضع الكتاب المحدثون كتبًا خيالية على غرارها، نذكر من بينها كتاب «يوتوبيا» (أي: لا مكان) لصاحبه «سير توماس مور» وكتاب «أخبار من لا مكان»

News from Nowhere

لصاحبه «وليم موريس».

المقدونيون

وهكذا نرى من النظرة العامة التي ألقيناها على تاريخ بلاد اليونان، أن السيادة في هذه البلاد كانت أولًا في يد «أرجوس»، ثم انتقلت إلى «أثينا» وبقيت في يدها مدة طويلة، ثم انتقلت من يدها إلى قبضة «أسبرتا» وأخيرًا كانت في يد «طيبة». ولا نزاع في أن حب النفس والغيرة، وتنازع السلطان بين هذه المدن قد انتهى باضمحلال البلاد جميعها، وجعلها فريسة لرجل قوي الشكيمة حازم يعرف كيف يعمل بحذر ومهارة. وقد كان هذا البطل متربصًا في بلاده ينتظر الفرصة، وأعني به ملك بلاد «مقدونيا» الواقعة على حدود بلاد الإغريق الشمالية والشمالية الشرقية.

وكان المقدونيون يعدون أنفسهم إغريقًا، ويتكلمون الإغريقية غير أن الإغريق كانوا لا يفهمون كلامهم. ومن المحتمل أن هؤلاء المقدونيين كانوا جزئيًّا من دم إغريقي، ولكنهم كانوا أقل تمدينًا منهم بدرجة كبيرة. وكان على أية حال «أركلوس» ملكهم من سنة ٤١٣ إلى ٣٩٩ق.م يعمل على إدخال الحضارة الإغريقية في بلاده؛ ولذلك فإنه رحب في بلاطه بالمفتنين والشعراء من الإغريق ومن بينهم «زوكسيس» Zeuxit الرسام العظيم و«يوربيدس» الشاعر الفحل. وكان «فيليب الثاني» أحد أخلافه من المعجبين بالثقافة الإغريقية، وكان يرقب عن كثب كل التقلبات التي حدثت في بلاد اليونان، وكان صبيًّا في سن الخامسة عشرة من عمره عندما حضر «بلوبيداس» إلى مقدونيا، وأخذه رهينة إلى «طيبة» وقد مكث هناك ثلاث سنوات على ما يظن في بيت والد «أبامينوداس» ملك «أسبرتا». ومهما يكن فإنه كانت لديه الفرصة بلا ريب ليتعلم كيف كان يعيش الإغريق، وكيف كانوا يحاربون وكيف يمكن ملافاة الحرب أحيانًا بالدبلوماسية. فلما عاد إلى بلاده ألف جيش مشاته على غرار الجيش الطيبي، وكان خيالته شرذمة من أشراف مقدونيا تعرف باسم «الرفاق»، وهؤلاء هم الذين فيما بعد وصل عددهم إلى ألفين بقيادة «الإسكندر الأكبر»، وكانوا يهاجمون الأعداء معه في المواقع الحربية، وكان «فيليب» ثريًّا؛

لأنه استولى على مناجم ذهب «تراقيا» وهذه الثروة مضاف إليها قوة جيشه ساعدته على أن يهدد، أو يعقد محالفة مع البلاد الإغريقية القريبة منه، ويفتح أو يراقب المراكز التي حول الشمال أو الشمال الغربي من بحر «إيجة»، وهذه القوة النامية كانت كالسحاب الثقيل المخيم على بلاد الإغريق من الشمال، وقد لاحظها الأثينيون بانزعاج وذهول. وقد اتفق بعضهم مع «أسوكراتيس» على أن تنضم الحكومات الإغريقية معًا، وتقبل «فيليب» قائدًا لها وأن يسير جنودها إلى بلاد الفرس لمحاربتها، غير أن كثيرًا منها تبع رأي أشهر خطبائهم المسمى «دموستنيس»، الذي هاجم «فيليب» في عدة خطب تعرف باسم «الفلبيات» Philippics.[1] وقد تغلب رأي «دموستنيس» واتخذ الإغريق العدة لمقاومة «فيليب» الذي زحف على بلاد الإغريق وفتح «أثينا» و«طيبة» في موقعة «كارونا» Chaeronea في «بوشيا» عام ٣٣٨ق.م وبذلك جعل كل الحكومات الإغريقية تخضع لسلطانه عدا «أسبرتا»، وبعد ذلك دعاهم إلى مؤتمر كبير في «كرنث»، حيث لقب نفسه قائدهم لا ملكهم، وأخبرهم عن تصميمه على فتح بلاد الفرس على رأس جيش من جنوده المقدونيين. وفي عام ٣٣٦ق.م عندما كان على أهبة الزحف على بلاد الفرس اغتيل، وهو في السادسة والأربعين من عمره وتولى عرش الملك بعده ابنه «الإسكندر».

(١) الإسكندر الأكبر

ولا نزاع في أنه لا يوجد بين أبطال العالم القديم من محاربين، أو رجال سياسة بما فيهم «يوليوس قيصر» نفسه من اشتهر مثل «الإسكندر»، كما أنه لا يوجد من بينهم من غير بعمق مثاليات الناس في تفكيرهم من وجهة حكومة الدول، ومن وجهة حكومة العالم أو الشعوب أو الرجال أو الطبيعة أو الله، كما لا يوجد من أثر بصورة قوية على خيال الذين أتوا بعده، سواء أكانوا أمراء أو مفكرين أو كتابًا أو قصاصين مثله. وأول شيء هو أن ندرك مقدار عظم

التغيرات التي قام بها، وكيف وصل إلى تنفيذها، وبعد ذلك يأتي السؤال الذي يعد أصعب وأشد تعقيدًا وهو: ما نوع هذا الرجل الذي أنجز كل ذلك؟ وليس بكافٍ أن نضع جوابًا على ذلك قائمة بصفاته ثمينها وغثها، كأننا نضع تقريرًا عن أخلاق تلميذ في المدرسة؛ لأنك عندما تحصي كل صفاته الحسنة فماذا أنت صانع بنقائصه؟ هل تضاف إلى صفاته الأخرى أو تطرح منها؟ أليس من البدهي أن عظماء رجال التاريخ قد أنجزوا ما أنجزوه؛ لأنهم بشر مثلنا كذبوا وطمعوا، ولأنهم كان لهم لحظات خرقهم مثلنا، ولأنهم أفرطوا في الشراب أو أهملوا واجبهم؟ والواقع أنه كلما كثر عدد أخطاء الرجل العظيم، وكلما أصبحت نقط ضعفه ظاهرة، فإن ذلك يكون حافزًا أكبر لك لتبحث عن القوة الحقيقية التي ساعدته على أن يصل إلى كل ما وصل إليه من أعمال جبارة، ولكن يحتمل بعد كل ما يقال أنه لا بد أن نعترف أننا لا نعرف ما هي العبقرية، وأن العبقرية في الرجل هي التي تعمل معظم ما يأتيه من عظيم الأمور. ويمكننا حقًّا أن نتعرف على العبقرية، وأحيانًا نرى أنه حتى أخطاء صاحبها تنبع منها، وتساعده على ذلك الاتفاق الغريب مع الناس مما جعلهم يعتقدون فيه، ويتحولون إلى مساعدين متهيئين إلى إنجاز خططه العظيمة.

وكان من بين مربي «الإسكندر» «أرسطو» الفيلسوف الذائع الصيت، فقد دعاه «فيليب» والده إلى بلاطه لتربية ابنه وهو في الثالثة عشرة من عمره، ومكث يلقنه العلم حتى الخامسة عشرة وكان ذلك من الأمور الهامة جدًّا؛ لأن «الإسكندر» أخذ يميل إلى العلوم البحتة على يد «أرسطو»، وبخاصة الطب وعلوم الطبيعة كما شغف كذلك بالأدب الإغريقي ويقال: إن «الإسكندر» كان ينام وملحمة «الإلياذة» وخنجر تحت مخدته، وأرسل إلى بلاد الإغريق لإحضار نسخ من كتب المآسي العظيمة، التي وضعها فحول الشعراء في أثناء قيامه بحملاته في آسيا. ولكن كان إعجابه فوق كل شيء ينحصر في الإلياذة، وكان ينظر إلى «أخيل» الذي كانت تدعي والدة «الإسكندر» أنها منحدرة من أصلابه نظرته إلى بطله العظيم، ولم يعش «الإسكندر» على أية حال للدرس وحده، ففي صباه راض جوادًا من «نسليا» لم يكن في مقدور

والده «فيليب» وأتباعه أن يكبحوا من جماحه، إذ إنه عندما لاحظ أن الحصان خاف وانغمس في ظل نفسه هدأه، وبعد أن أداره إلى الضحى قفز على ظهره، وأرخى له العنان ليجري بمنتهى سرعته، وهذا هو الجواد الشهير المسمى «بوسفالوس» Bucephalus الذي كان يركبه في حملاته.

ولما بلغ «الإسكندر» السادسة عشرة من عمره، وكان والده غائبًا بسبب الحرب، جعله والده يقوم بأعباء مملكته، وفي تلك الفترة شن «الإسكندر» حربًا صغيرة كان رائده فيها النصر على قبيلة ثائرة؛ لأنه كان فعلًا تواقًا للفتح، كما كان يخاف أن والده «فيليب» لن يترك له من البلاد ما يفتحها، وفي موقعة «كارونا» Chaeronea سار على رأس الفرسان على الأعداء. وعندما تولى العرش وهو في العشرين من عمره، رأى القوم أن رجلًا عظيمًا كان يدخل في مسرح تاريخ العالم ليلعب دوره المنقطع النظير.

التعبئة لمحاربة الفرس

أمضى «الإسكندر» السنتين الأوليين بعد موت والده في تحصين تخوم بلاده، وجعلها في مأمن من أي غارة مفاجئة، ثم جعل كل الحكومات الإغريقية تعترف وتقبل قيادته لها. وكان عندئذ قادرًا وهو في سن الثانية والعشرين على أن يزحف على الشرق؛ لتنفيذ خطة والده «فيليب» الذي كان محط آماله غزو بلاد الفرس.

وكان «دارا الثالث» ملك الفرس وقتئذ شخصية جميلة لها وقع على النفس، غير أنه كان لا يقرن «بدارا العظيم» الذي قام بالحروب الفارسية الأولى على بلاد اليونان وغيرها. وكانت ثروته تصل إلى حد الخرافة في ضخامتها، وكان أسطوله عظيمًا ذا شهرة واسعة وجيشه البري عظيمًا غير أنه كانت تنقصه خفة الحركة، وإمبراطوريته تمتد من مصر وآسيا الصغرى إلى الهند. وفي مقابل ذلك كان «الإسكندر» لا يملك إلا جيشًا صغيرًا نسبيًّا، ولكنه كان جيشًا حسن

النظام يشد ظهره أسطول صغير، ودخل معتدل من مناجم الفضة في بلاده، والمراعي والغابات، وعلى أية حال فإن هذا البطل كان عنده من الشجاعة، وحسن القيادة وقوة الإيمان بنفسه ومصيره ما جعله يقدم على تنفيذ مقاصده دون خوف أو وجل. ألم توحِ إليه كاهنة «دلفي» مرة قائلة: «يا بني إنك لا تُقهر.»

حملته على آسيا الصغرى

كان أول عمل قام به «الإسكندر» بعد عبر مضيق «هلسبونت» هو الذهاب إلى «طروادة»، وهناك وضع إكليلًا على قبر «أخيل»، ثم سار بعد ذلك إلى نهر «جرانيكوس»، حيث وجد الفرس معسكرين على الشاطئ المقابل له على استعداد لصده بالحراب والسهام، فهاجم العدو بعد أن عبر النهر على ظهر جواده «بوسوفالوس»، وهو يقود رفاقه الذين ميزوا عن باقي جنوده بخوذاتهم البيضاء المجنحة، وقد جعله الفرس هدفهم حتى إن واحدًا منهم كاد أن يرميه قتيلًا بسيفه لولا أن صديقه «كلينوس» صد الضربة ونجاه من الموت. وبعد ذلك شتت «الإسكندر» ورجاله شمل الأعداء الذين وقفوا في وجههم، حتى إنه بقوة هجمته ونضال كتيبته المستمر الثابت كسب اليوم، وبهذا النصر وما تبعه من انتصارات سيطر على آسيا الصغرى، وسد المواني في وجه الأسطول الفارسي. وبعد مدة وجيزة جمع «الإسكندر» بعد ذلك لزحفه نحو الشرق جنوده عند «جورديوم» الواقعة في الهضبة الوسطى لهذه البلاد. وفي هذا المكان كانت توجد عربة «جورديوس»[٢] الشهيرة، وكان نيرها موثقوقًا بعقد من الحبال معرقلة، وقد قال الوحي: إن حلها سيكون بيد من سيحكم على آسيا. ولما لم يكن في مقدور «الإسكندر» أن يحلها، فإنه قطع العقدة بسيفه. وقد أظهر له ما حدث من برق ورعد في الليلة التالية أن الوحي قد صدق، ومن ثم فإن عبارة قطع العقدة الجوردنية لا تزال تستعمل لحل صعوبة معقدة بطريقة مباشرة سهلة.[٣]

وأصبح الآن طريق «الإسكندر» يتجه داخل بوابات «سليسيه» — وهو ممر في الجبال غاية في الضيق حتى إنه قيل: إن جلالته لا يمكنه أن يمر فيه إلا بعد رفع ما عليه من أثقال — وكان هذا الممر محروسًا بحامية هربت عند اقتراب «الإسكندر» تاركة الطريق مفتوحة إلى «ترسوس»، ومن ثم إلى سوريا.

دخول سوريا

وفي خلال ذلك كان «دارا» زاحفًا لصد تقدم «الإسكندر»، وفي الحال تقابل الجيشان عبر نهر في سهل «أسوس» عام ٣٣٣ق.م، وبخطط «الإسكندر» الماهرة أمكنه أن يجعل الجيش الفارسي يصطف في مساحة ضيقة جدًّا بالنسبة لعظم عدده الضخم. ولكن مع ذلك فإنه قد دارت حرب قاسية، استمرت إلى أن أعلن أن «دارا» قد ولى هاربًا، وعندئذ أخذ كل الجيش الفارسي في التقهقر، فاستولى «الإسكندر» وجنوده على معسكرهم، وانقض الجيش المنتصر على الغنيمة غير أن سرادق «دارا» وعربته حفظتا «الإسكندر». ويقول «بلوتارخ»: وهنا عندما رأى «الإسكندر» أحواض الاستحمام وصناديق العطور كلها من الذهب المشغولة شغلًا عجيبًا، واستشنق عبير الروائح التي عطر بها كل المئات تعطيرًا جميلًا، ومن ثم انتقل إلى إيوان عظيم الحجم شاهق الارتفاع، حيث كانت الأرائك والموائد والاستعداد لوليمة غاية في الأبهة والعظمة، عند ذلك التفت إلى من حوله، وقال: «هذه هي على ما يظهر الملكية.» وسمع «الإسكندر» ولولة في السرادق الملاصق، وعندما علم أنها آتية من أم الملك «دارا» وزوجه وابنتيه أرسل رسولًا ليخبرهن أن «دارا» لا يزال على قيد الحياة، وأنهن أنفسهن لا خطر عليهن. لم يقف «الإسكندر» أثر «دارا» في هربه شرقًا بل ولى وجهه جنوبًا شطر سوريا، ثم انحدر إلى ساحل «صور»، وهي قاعدة بحرية قوية على جزيرة تبعد نصف ميل من الشاطئ فحاصرها، وبعد مقاومتها سبعة أشهر مقاومة اليائس استولى عليها بالهجوم.

غزو مصر

وبعد أن فتح سوريا وفلسطين زحف على مصر التي كانت وقتئذ تؤلف جزءًا من أملاك الفرس، فسلمت له واعترفت به فرعونًا على مصر. وفي أثناء إحدى سفراته في هذه البلاد المصرية مر بقرية صيد أسماك على دلتا النيل، وهنا أسس مدينة إغريقية أسماها «الإسكندرية»، وهي إحدى المدن العديدة التي منحها اسمه، ولكنها تفوق بكثير سائر المدن التي لقبت بهذا الاسم من حيث العظمة والشهرة وحسن الموقع. وكان يوجد في غربي النيل معبد شهير يوحي للإله المصري «آمون». وبعد سفر ثمانية أو عشرة أيام في الصحراء وصل «الإسكندر» إلى واحة «سيوة» المشهورة بعيون مائها وينابيعها ونخيلها وزيتونها، وهناك كان مقر الوحي، فاستقبله الكهنة بوصفه «ابن الإله»؛ وذلك لأن كل الفراعنة كانوا يعدون من أصل إلهي، ولم يكشف «الإسكندر» لأي فرد ما قيل له في المحراب، غير أنه قد سمع ما قيل له وحده. والظاهر أن ترحيب الكهنة وما أوحى به الوحي كان صدى ما يشعر به في قرارة نفسه، وهو أنه كان صاحب قوة ومستقبل يفوقان ما لأهل البشر العاديين، والواقع أنه قد حطم سلطان الفرس حول البحر الأبيض المتوسط. والآن أخذ على عاتقه أن يفتح إمبراطوريتها إلى أقصى حدودها.

سار «الإسكندر» شرقًا وعبر الفرات إلى نهر الدجلة حيث هزم «دارا» في واقعة «جاوجاملا» (٣٣١ق.م) وهي قرية على مقربة من «أربلا»، وهرب «دارا» ودخل «الإسكندر» عواصم بلاده فاستولى على «بابل» ثم «سوسا»، ومن ثم إلى «برسبوليس» التي أخذها بالهجوم عنوة. وقد أصبح بعد ذلك ما تحتويه هذه المدن العظيمة من ثروة مدهشة ملكًا له، فقد استولى منها على ثمانين ومائة ألف تلنت من الذهب والفضة مسكوكة وغير مسكوكة، وعلى كميات من صبغة الأرجواني وكنوز أخرى. ويقول «بلوتارخ»: «إن الغنائم من «برسوبوليس» كانت عظيمة لدرجة أنه كان يلزم لحملها ما لا يقل عن ألف بغل وخمسة آلاف جمل.» وقد طارد «دارا» ولحق به في الإقليم الواقع جنوبي بحر قزوين، ولكنه وجد أنه جرح جرحًا مميتًا بيد

أحد شطاربته ورفاقه المتآمرين معه، وقد احتفل «الإسكندر» بدفن «دارا» احتفالًا يليق بملك، ومن ذلك الوقت أخذ يعد نفسه ملك الفرس.

كان جيش «الإسكندر» حتى هذه اللحظة طوع بنانه، وكان هو من جانبه يشاطرهم متاعبهم، وعُني بما فيه إسعادهم، فمنحهم مكافآت وأقام لهم المسابقات والأعياد، وكان يهيئ لهم أسباب الراحة بين أوقات الزحف والمعارك، ولكن الآن كان «الإسكندر» يدبر في عقله خطة عظيمة لم يكن في استطاعتهم فهم مغزاها أو مراميها.

وكان «الإسكندر» يحب الثقافة الإغريقية ويعجب بها — لغتها وآدابها وفنها وكل العلوم الخاصة بها مما لقنه إياها «أرسطو» في صباه — فأراد أن ينشر هذه الثقافة في كل مكان، وكذلك رأى أنه لا يمكن اعتبار الفرس مجرد قوم همج وأراد أن يضم معًا الفرس والإغريق بما في ذلك أحسن ما في الأمتين من ثقافة وعرفان، ويؤلف منهما ملكًا واسعًا يكون هو ملكًا على رأسه. فملأ أولًا الثغرات في جيشه بجنود من الفرس، وأعطى أشرافهم نصيبًا في حكم المديريات المقهورة، ولكن ذلك أغضب كثيرًا من أتباعه ومن ثم ظهر أول تذمر وعدم رضا بين جنوده. وكان رجاله قد جمعوا غنيمة كبيرة، وأخذ الملل من الحرب يتسرب إلى نفوسهم واشتاقوا إلى العودة إلى أوطانهم التي تركوها منذ أربعة أعوام مضت، وكرهوا الرعاية والإكرام اللذين أظهرهما الملك للفرس، كما كرهوا طرقهم الشرقية وسجودهم على وجوههم أمام الملك كأنه إله، وكذلك لم يستسيغوا الملابس الشرقية الفاخرة التي كان يقابلهم بها. وكان الناس قد أظهروا عدم الرضا، حتى إن بعض أصدقاء «الإسكندر» قد اتهم بالعصيان الذي من أجله حكم عليه بالإعدام. ولا نزاع في أن المعارك وزحف الجيوش من مكان إلى مكان، والتنظيم الذي كان لا نهاية له، وتأسيس المدن، وكذلك تأثير جروحه كان له مفعول عظيم على أعصابه، وقد ظهرت نتيجة ذلك فيما بعد في ساعة انفعال نفسي. فقد قتل صديقه «كليتوس» في وليمة

سرت نشوة الخمر فيها على لبيهما، وذلك بسبب بعض كلمات ازدراء، ولكن «الإسكندر» لم يغفر لنفسه هذه الزلة فيما بعد.

الزحف على الشرق الأقصى والعودة إلى الوطن

عبر بعد ذلك «الإسكندر» جبال «هندوكوش» المغطاة بالثلوج إلى أعالي وادي «نهر السند»، وقد قام هناك بالعجائب التي يطول شرحها، وسنذكر واحدة من مخاطراته هناك، تلك هي المعركة التي دارت بينه وبين «بوروس» ملك أحد أجزاء البنجاب الحالية. فيحدثنا «بلوتارخ»: «أن ارتفاع قامته كان حوالي سبع أقدام، وأنه عندما ركب فيله الضخم ظهر أنه كان متناسبًا مع ركوبته كتناسب الفارس مع جواده.» وقد تغلب «الإسكندر» عليه بعد مصاعب كبيرة في واقعة حمي وطيسها، وعندما أخذ «بوروس» أسيرًا، وسأله «الإسكندر» عما يريد أن يعامل به أجابه: «كملك.» وعلى الرغم من أن بلاده كانت ستصبح وقتئذ جزءًا من أملاك مقدونيا، فإن «الإسكندر» نصبه ملكًا على بلاده وفوق ذلك أعطاه أراضي أوسع ليحكمها. وبعد ذلك مباشرة مات جواد «الإسكندر» الشهير المسمى «بوسفالوس»، فأسس مدينة تذكارًا لاسمه تسمى «بوسفالوس» بالقرب من مكان واقعته التي حاربها على نهر السند.

وكانت المملكة التي خلف نهر السند معروفة بصورة مبهمة، ولم يكن لدى «الإسكندر» فكرة عن أن بلاد الهند تمتد جنوبًا، وأن آسيا تمتد بعيدًا إلى جهة الشرق، فقد تاقت نفسه إلى كشف مجاهلها حتى نهر «الكنج»؛ ليرى ماءه يصب في المحيط الذي يحيط بالأرض؛ وكذلك كان يرغب في أن يعرف شيئًا عن المناجم، والنباتات والحيوانات ويفتح طريق تجارة، وكذلك يخضع هذه البلدان لحكمه. عند هذه النقطة أبى رجاله أن يسيروا معه إلى أبعد من ذلك، فقد كانت الحرب الأخيرة مع «بوروس» قد قضت على ما كان عندهم من شجاعة، وبخاصة أنهم قد سمعوا أن نهر الكنج البعيد يبلغ عرضه أربعة أميال وعمقه ستمائة قدم، وأن الشاطئ المقابل

كان مزدحمًا بالجنود، هذا فضلًا عن ستة آلاف ميل. والواقع أن هؤلاء الجنود قد قطعوا على الأقدام ما يقرب من اثني عشر مائة ميل في ثمانية أعوام، وصمموا على أنهم لن يسيروا خطوة واحدة أبعد من ذلك، فاضطر «الإسكندر» أمام ذلك إلى أن يخضع وأعطى الأوامر بالتقهقر. وقد ذهب هو وحرسه في جولة طويلة للارتياد حتى وصل إلى مصب نهر السند، ومن ثم عبر صحراء «جدروسيان»، وفي النهاية تقابلت كل قواته عند «بابل»؛ ولكن هنا أصيب «الإسكندر» بالحمى، وبعد اثني عشر يومًا مات في صيف عام ٣٢٣ق.م وهو في الثانية والثلاثين من عمره تقريبًا.

ويحدثنا المؤرخ «أريان» Arrian عن آخر أيامه مظهرًا كيف أنه كان لا يزال محبوبًا، وموضع الإعجاب من كل جيشه: «في اليوم السادس من إصابته بالحمى كان في شدة المرض، وحمل إلى القصر، وكان في استطاعته أن يتعرف على ضباطه ولكنه كان فاقد النطق، وفي هذه الليلة كانت الحمى مرتفعة، وكذلك في اليوم التالي والليلة التي بعدها، وكذلك في اليوم التالي، وقد ألح جنوده في أن يروه، ورغب بعضهم في أن يروه وهو لا يزال حيًّا، وآخرون رغبوا في رؤيته؛ لأنه قد أعلن أنه كان قد مات فعلًا، وأن موته قد أُخفي بوساطة حرسه، أما الكثرة فقد سبب حزنهم عليه، وشوقهم إليه، أن اقتحموا الطريق ووقفوا في حضرته، فرأوا أنه فاقد النطق، ولكنهم مروا أمامه واحدًا فواحدًا، فحياهم برفع رأسه قليلًا مرة واحدة ومشيرًا إليهم بعينيه. وفي المساء التالي فارق الحياة فأخذ أحد قواده الذي أعطاه خاتمه تسلم قيادة الجيش، ورجع الكل إلى بلاد الإغريق.»

فماذا نصنع في «الإسكندر» وأعماله المدهشة؟ ولدى الإغريق حكمة محببة، وهي: «لا شيء في الإفراط.» وقد كان «الإسكندر» في أعينهم فوق المبالغة والإفراط، وتلك نقيصة نمت فيه في فتوحه الأخيرة، ولكن مع ذلك لا يمكن لأحد أن ينكر عليه حبه للثقافة الإغريقية وقوته الخارقة لحد المألوف، وهي التي كان يمكن أن تستعمل في توحيد كل العالم الإغريقي بروابط السلام لولا

أن الموت اختطفه. وعلى أية حال فإن الحرب كانت في أيامه قضية مسلمًا بها، وكانت أفكاره بطبيعة الحال متجهةً إليها. و«الإسكندر» لم يكن قائدًا عبقريًّا وحسب، بل كان له عقل فاق عقول رجال آخرين، من حيث القوة وسرعة الفهم بالإضافة إلى الحيوية والشجاعة في إبراز خططه البعيدة المدى إلى حيز العمل. ويمكن أن يسمى بحق «الإسكندر الأكبر»؛ لا لأنه كان واحدًا من أعظم قواد التاريخ؛ بل لأنه نشر الثقافة الإغريقية والآراء الإغريقية في كل العالم الشرقي؛ ولأنه لو عاش لوحد العالم تحت لواء الحب والإخاء تحت حكمه، الذي دلت كل الظواهر على أنه كان عادلًا يرمي إلى تكوين أمة عالمية رائدها المحبة والسلام، وما أحوجنا إلى ذلك الآن.

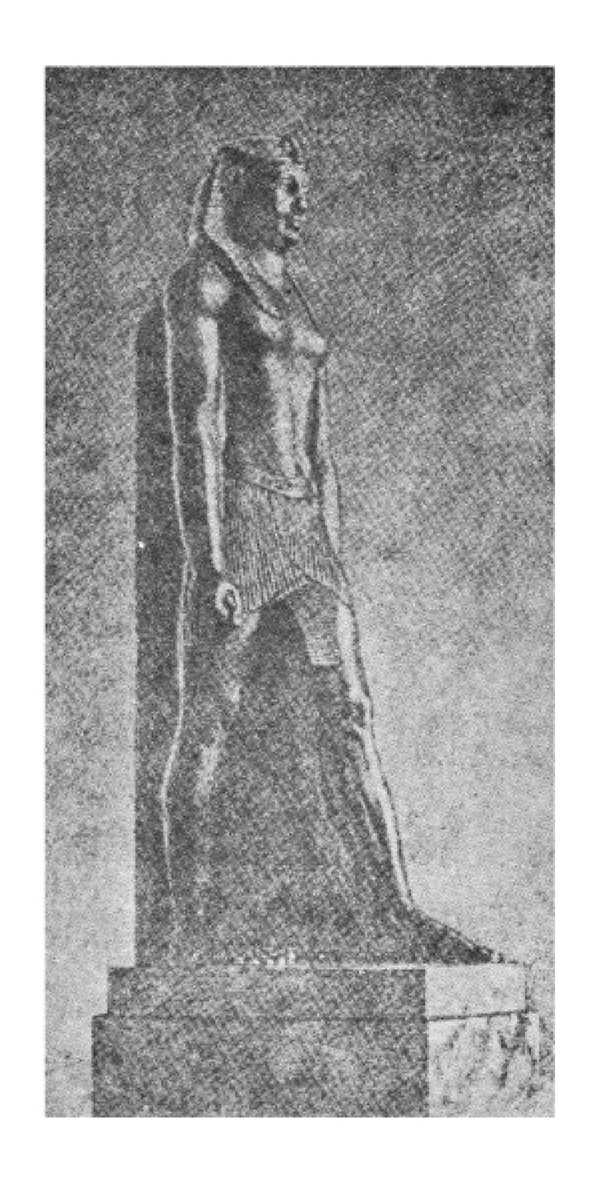
(٢) العصر الهيلاني

لم يترك الإسكندر وارثًا شرعيًّا للفرس، ومن أجل ذلك تحارب قواده فيما بينهم مدة أربعين سنة سعيًا وراء أن يكون كل واحد منهم أميرًا على الإقليم الذي كان تحت إمرته. وقد قامت عدة ممالك بعده على أنقاض إمبراطوريته وأهمها وأطولها عمرًا مصر وسوريا ومقدونيا، أما الشرق الأقصى فقد عاد إلى حكم نفسه بنفسه في الوقت المناسب، وبقيت المدن الإغريقية تحت الحكم المقدوني، ولكنها كانت تتمتع بحرية كبيرة، «فأثينا» على الرغم من أن أيام عزها قد مضت كانت لا تزال مركز ثقافة عظيمة، أما الحروب بين المدن الإغريقية فقد استمرت. ونميل إلى التساؤل ما الجديد الذي أتى به «الإسكندر» بعد كل ذلك إلى العالم؟ والجواب عن ذلك هو كل جديد إذ إن العالم لم يعد نفس العالم الذي كان قبله بل لبس حلة جديدة، وسنرى ذلك إذا نظرنا إلى تاريخ مائتي السنة التالية. وهذه المدة تسمى «العصر الهيلاني»؛ بسبب الطريقة المدهشة التي بوساطتها أثرت آراء بلاد الإغريق العظمى — أي كل «هيلاس» — على كل العالم المتمدين.

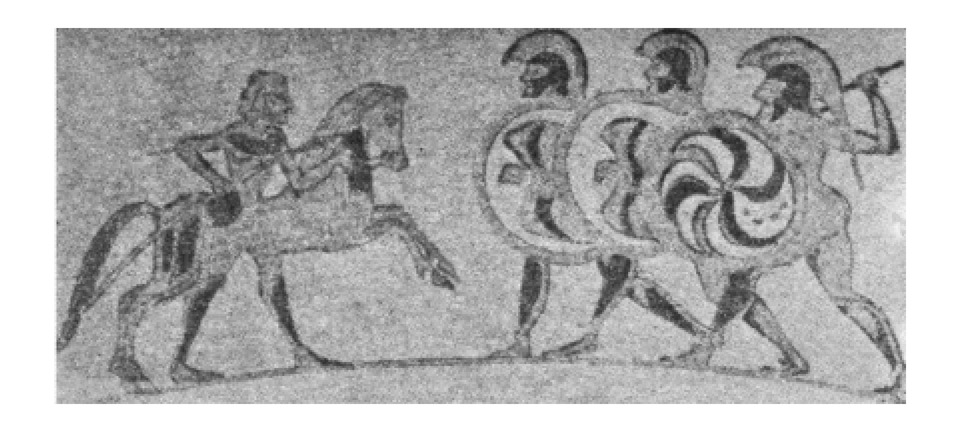
الصور والأشكال



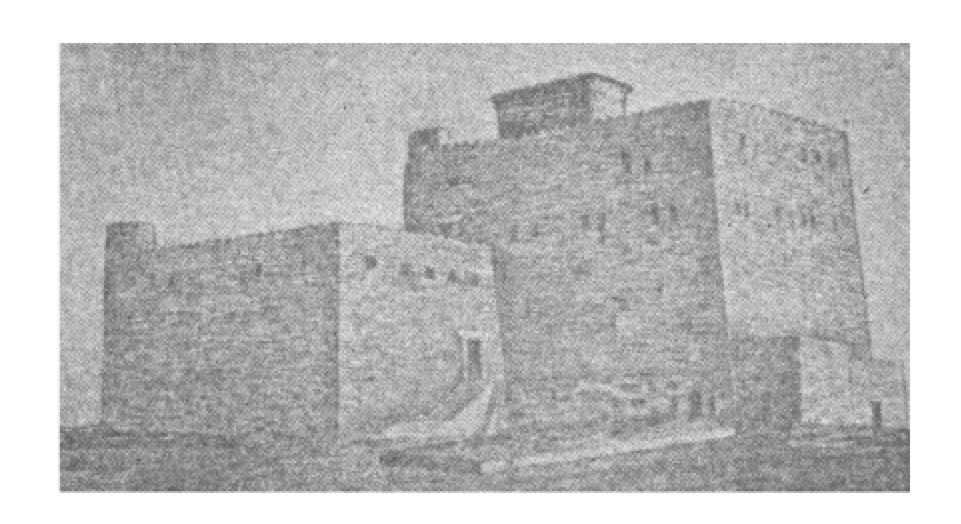
شكل ١: بسمتيك الأول.



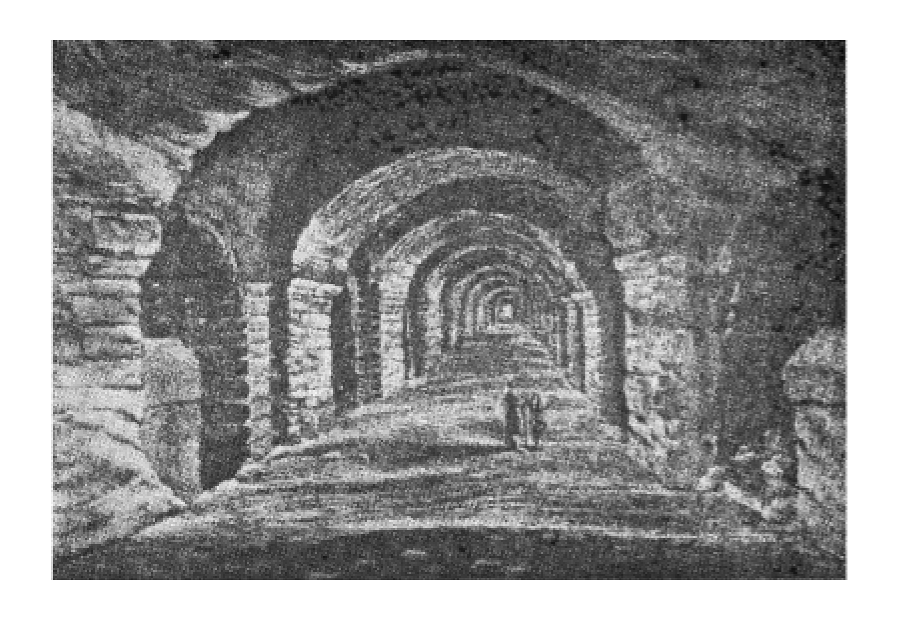
شكل ٢: تمثال بسمتيك الأول.



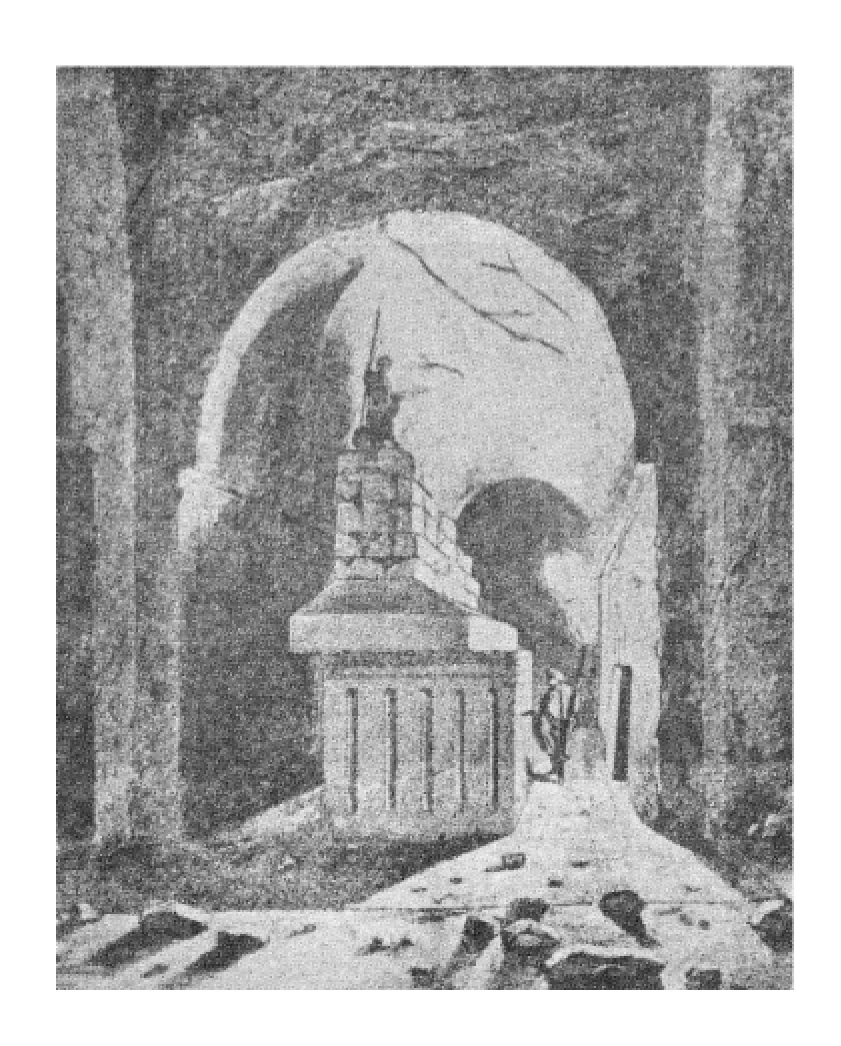
شكل ٣: صورة تمثل الجنود الإغريق في الحرب.



شكل ٤: قلعة دفني (أدفينا) في العهد الساوي.



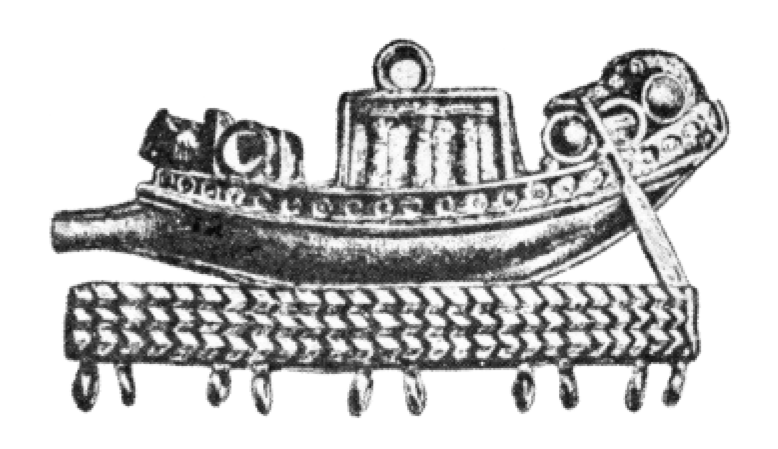
شكل ٥: الدهليز العظيم لمدفن العجول بسقارة (السربيوم).



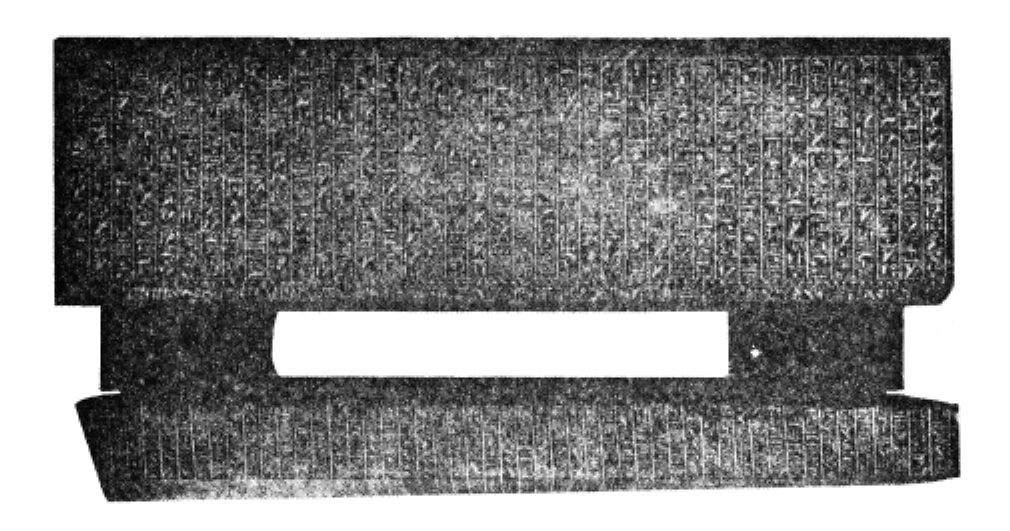
شكل ٦: حجرة دفن العجل أبيس وبها تابوت.



شكل ٧: جعران عليه متن يشير إلى انتصارات الملك نيكاو الثاني على الآسيويين.



شكل ٨: سفينة مصرية من العهد الساوي.



شكل ٩: تابوت المتعبدة الإلهية عنخنس نفر اب رع ابنة بسمتيك الثاني.



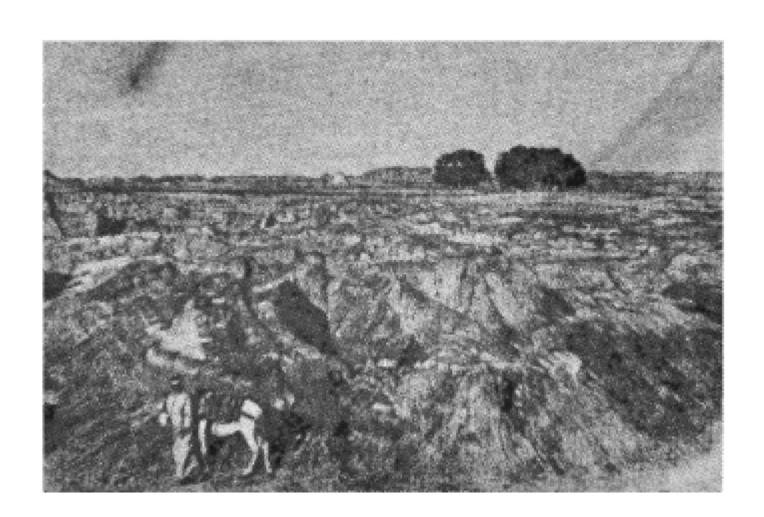
شكل ١٠: تمثال بولهول يمثل الملك ابريز.



شكل ١١: صورة تمثل نبات السلفيوم.



شكل ١٢: صورة تمثل وزن محصول شجر السلفيوم في حضرة الملك أركسيلاس اللوبي.



شكل ١٣: منظر يمثل خرائب مدينة سايس القديمة (صا الحجر الحالية).



شكل ١٤: تمثال يمثل أحمس الثاني على هيئة بولهول.



شكل ١٥: صورة تمثل أحمس الثاني.



شكل ١٦: منظر من مدينة منف فى العصر الساوي.



شكل ١٧: رأس بسمتيك الثالث.



شكل ١٨: صورة تمثل السيدة تانفرت باست وأمامها ابنتها وقد مثلتا بملابس غير مصرية.

المصادر الإفرنجية

(١) مختصر أهم أسماء الدوريات الإفرنجية المستعملة في هذا الجزء

A. F. O.: Archiv fur Orientforschung. Berlin.

A. J. S. L.: The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Chicago and New York.

Ancient Egypt, London.

A. R.: Archeaological Report. Egypt Exploration Fund.

A. S.: Annales du Service des Antiquites de l’Egypte. Caire.

A. S. N. Bull.: Survey Department. Arbhaeological Survey of Nubia, Cairo.

A. Z.: Zietschrift fur Agyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig.

B. B. M. F. A.: Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston.

B. C. H.: Bulletin de Correspondence Hellénique, Paris.

B. I. F. A. O.: Bulletin de l’Institut Français d’Archeologie Orientale, Cairo.

Chronique d’Egypte, Brüssel.

E. EM. M.: The Bulletin of the Egyptian Expedition Metropolitan Museum of Art New York.

J. A.: Journal Asiatique.

J. E. A.: Journal of Egyptian Archaeology, London.

J. H. S.: Journal of Hellenic Studies. London.

Kemi, Revue de Philologie et d'Archaeologie, Egyptienne et Coptes. Paris.

L. A. A. A.: Annals of Archaeology and Anthropology issued by the Institute of Archaeology. University of Liverpool, Liverpool.

Mem. Inst. Fr.: Memoires publies par les members de l'Institut Française d'Archaeologie Orientale du Caire.

Mém. Miss. Fr.: Mémoires publiés par les Membres de la Mission Française au Caire, l'aris.

Mitt. D. Inst.: Mittelungen des Deutschen Instituts fur ägyptische Altertumskunde iin Kairo, Berlin.

N. G. A. W.: Nachrichten der Göttinger Akademie des Wissensch.

N. GG. W.: Nachrichten der Ges. der Wissensch. Zu Gottingen.

O. L. Z.: Orientalistische Literaturzeitung, 1898 ff.

P. S. B. A.: Proceedings of the Society of Biblical Archaeology; London.

Rec. Trav.: Recueil de Travaux relatifs à la Philologie et à l'Archéologie Egyptienne et Assyrienne, Paris.

Rev. Arehaeol.: Revue Archaeologique.

Rev. EG.: Revue Egyptologigue, Paris.

Rev. Eg. Anc.: Revue de l'Egypte Ancienne; Paris.

Sphinx, Revue Critique Embrassant la Domaine Entier de L'Egyptologie, Upsala.

Sudan Notes ane Secords, Khartoum.

T. S. B. A.: Transactions of the Society of Biblical Archàology, London.

W. O.: Die Welt des Orients. Wissenschaftliche Beitràge zur Kunde des Morgenlandes. Wuppertal.

Z. A.: Zeitschrift fu Assyriologie und verwandte Gebiete.

Z. D./M. G.: Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gessellschaft, Leipzig.

(٢) المراجع الإفرنجية

Amelineau, Nouvelles Fouilles.

Avedief, Y., The Origin and Development of Trade and Cultural Relations of Ancient Egypt with Neighbouring Countries (Papers presented by the Soviet Delegationn at the 23rd International congress of Orientalism, 1954).

Borchardt, L., Die Mittel Zur zeitlichen Festlegung von Punkten der agyptischen Geschichte, Kairo, 1935.

Boreaux, Antiquités Egyptiennes, Guide Catalogue Sommaire.

Breasted J. H., Ancient Records of Egypt.

British Museum, A Guide to the Egyptian Galleries, Sculptures, etc. 1909.

British Museum, Hiereglyphic Texts from Egyptian Stelae, 1911.

Brugsch, H. K., Thesaures Inscript. Aegy. Altaegvpt. Inschrift.

Brugsch, H. K., Gesch. Aegypt.

Budge, E. A. W., Book of Kings.

Busolt, G., Griechische Geschichte bis zur Schlacht bei Chaeroneia.

Buttles, Miss, The Queens of Egypt.

Cambridge Ancient History.

Campell, The Sarcophagus of Pabasa.

Catalogue Général du Musée du Caire, 1901.

Champollion, F., Monuments de l'Egypte et de la Nubie, Paris.

Champollion, F., Notices Descriptives, Paris, 1844.

De Laporte, Le Proche Orient.

Diodorus Siculus, Loeb. Ed..

Evans, A., The Palace of Minos at Knossoss, London, 1921.

Gauthier, H., Le Livre des Rois d'Egypte Caire 1907f, IV.

Gauthier, H., Dictionaire des Noms Geographiques contenus dans les Textes Hieroglyphiques, Caire 1925 ff., 1–VII.

Griffith, E. Ll., Catalogue of the Demotic Pabyri in the Rylands Library at Manchester, I–III, Manchester, 1909.

Hall, H. R., The Ancient History of the Near East, London, 1913.

Herodotus, Book I–V.

Hieratiche Papyrus aus den Koniglichen Mussen zu Berlin, Leipzig, 1911.

Kees. H., Handbuch der Altertumswissenschaften.

Kientz, F. K., Die politische Geschichte Agyptens vom. 7. bis zum 4 Jahrhundert vor der Zeitwende.

Lepsius. C. R., Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien, Berlin, 1894.

Luckenbill D. D., Ancient Records of Assyria and Babylnia, I-II.

Marriette, Monuments Divers Recueillis en Egypte et en Nubie, Paris, 1889.

Marriette, Le Serapeum de Memphis, Paris, 1857.

Maspero, G., Guide du Visiteur au Musée du Caire. aire, 1015.

Meyer E., Geschichte des Altertums.

Meyer E., Geschichte des Alten Agyptens, Berlin, 1887.

Meyer E., Forschungen zur alten Geschichte, III.

Meyer E., Kleine Schriften, I-II.

Meyer, E., Der Papyrusfund von Elephantine, Leipzig, 1192.

Moret. A., Histoire de L'e orient.

Muller. C., Fragmenta Historicorum Graecorum.

Newberry. P. E., Egyptian Antiquities, Scarabs. 1906.

Otto, M. W., Priester und Tempel im hellenitischen Agypten. I-II.

Pauly-Wissawa, Real-Encyklopädie der Klassischen Altertumswissenschaft.

Petrie, W. M. F., Ihnansya.

Petrie, W. M. F., A History of Egypt. London.

Petrie, W. M. P., Kahun.

Petrie, W. M. P., Memphis.

Petrie, W. M. P., Naukratis.

Porter B. and Moss, R., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts Reliefs and Paintings, I–VI.

Posner. G., La Premiére Domination Perse en Egypte Recueil d’Inscriptions Hiéroglyphiques, Kairo 1936.

Reisner. G. A., The Archaeological Survey of Nubia, Report for 1907, 1908.

Rosellini. I., Monumenti dell, Egitto e della Nubie, 1832–1844.

Scharff, A., Handbuch der Altertumswissenschaften, herausgeg. Von W. Otto 6, Abteilung. I. Textband, Handbuch der Archäologie, S. 433–642 A. Scharff, Agypten.

Schrader, E., Keilinschriftliche Bibliothek, I–VI.

Spiegelberg, W., Die sog. Demotiche Chronik des Pap. 215 der Bibliothepue Nationale zu Paris nebst den auf der Ruckseite des Papyrus stehenden Texten, herausgeg. und erklärt von W. Spiegelberg, Leipzig, 1914.

Steindorff. G., Urkunden des Agyptischen Altertums, herausgeg, Leipzig, 1905.

Wiedemann, A., Geschichte Agyptens von Psammetich I. bis auf Alexander d. GR., Leipzig, 1880.

Wiedemann, A., Agyptische Geschichte, Gotha, 1884, Supplement hierzu, 1888.

Wiedemann, A., Herodots zweites Buch mit sachlichen Erlauterungen, 1890.